إرشاد المؤمنين

إلى معرفة نهج البلاغة المبين

ويتضمن مناقشات كلامية

مع ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة

للسيد يحيى بن إبراهيم الجحافي (ت/١١٠٢هـ)

(من أعلام الزيدية)

تقديم

السيد محمد حسين الحسيني الجلالي

حققه وعلق عليه

محمد جواد الحسيني الجلالي

الجزء الثاني



إرشاد المؤمنين

إلى معرفة نهج البلاغة المبين

ويتضمن مناقشات كلامية

مع ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة

للسيد يحيى بن إبراهيم الجحافي (ت ١١٠٢ هـ)

(من أعلام الزيدية)



تقديم

السيد محمد حسين الحسيني الجلالي

حققه وعلق عليه

محمد جواد الحسيني الجلالي

الجزء الثاني

جحاف، يحيى بن ابراهيم ۱۱۰۲ ق.
ارشاد المؤمنين الى معرفة نهج البلاغه المبين / يحيى بن ابراهيم بن يحيى الجحاف؛ علق عليه اخـوه اسماعـيل بـن ابـراهيم؛ حـققه و عـلق عـليه محـمد جـواد الحـسينى الجـلالى. قـم: دليل ما، ۱٤۲۲ ق. = ۱۳۸۰.
۳ ج.
ISBN 964 _ 7528-34-5 (دوره)
ISBN 964 _ 7528-00-0 (ج. ۱) ISBN 964 _ 7528-01-9 (ج. ۲)
ISBN 964 _ 7528-02-7 (ج. ۳)
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربى.
كتابنامه.
۱. على بن ابى طالب عليه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ٤۰ ق ـ ـ نهج البلاغه ـ ـ نقد و تفسير. الف. جحاف، اسماعيل بن ابراهيم، ۱۰۲٤ ـ ۱۰۹۷ ق. ب. حسينى جلالى، محـمد جواد، ۱۳۳۱ ـ محقق. ج. عنوان.
۳ ج / ۰۸ / BP۳۸ ۲۹۷ / ۹۵۱۵
۱۳۸۰
كتابخانه ملى ايران م۸۰ ـ ۸۳٦٤

ارشاد المؤمنين الى معرفة نهج البلاغة المبين (الجز الثاني)

تأليف: السيد يحيى بن ابراهيم الجحّاف

تقديم: السيد محمد حسين الحسيني الجلالي

تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي

منشورات: دليل ما

الطبعة الاولى: ۱۰۰۰ نسخة

مطبعة: نگارش

۱٤۲۲ ق. ـ ۱۳۸۰ ش.

شابك (ردمك): ۹ ـ ۰۱ ـ ۷٥۲۸ ـ ۹٦٤ ISBN

شابك (ردمك) دوره: ٥ ـ ۳٤ ـ ۷٥۲۸ ـ ۹٦٤ ISBN

ايران، قم، شارع معلم، زقاق ۲۹، رقم ٤٤۸

الهاتف: ۷۷۳۳٤۱۳، ۷۷٤٤۹۸۸ ـ ۰۲٥۱

بسم الله الرحمن الرحیم

ومن خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الأشباح[١]، وهي من جلائل خطبه عليه السلام[٢]:

روى مَسعَدَةُ بنُ صَدَقَةَ عن الصادقِ جعفرِ بن محمدٍ عليهما السلام، أنه قال: خطب أميرالمؤمنينَ بهذه الخطبةِ على منبرِ الكوفةِ؛ وذلك أن رجلاً أتاه، فقال: يا أميرالمؤمنين، صِفْ لنا ربَّنا[٣]، لنزداد له حبّاً، وبه معرفة؛ فغضِبَ ونادَى: الصلاة جامِعَةً، فاجتمع إليه الناسُ حتى غَصّ[٤] المسجدُ بأهلِهِ؛ فصعَدَ المنبَر وهو مغضَبٌ[٥] متغيّرُ اللّوْنِ، فحمَدَ الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال:[٦]

اَلحَمْدُ لِلّهِ اَلّذي لاَ يَفِرُهُ[٧] المَنْعُ[٨]، وَلاَ يُكْدِيهِ[٩] اَلإعْطَاءُ وَاَلْجُودُ؛ إذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقَصٌ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلاَهُ؛ وَهُوَ المَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ، وَعَوَائِدِ المَزِيدِ وَاَلْقِسَمِ، عِيَالُهُ[١٠] اَلْخَلاَئِقُ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إلَيْهِ، وَالطَّالِبِينَ مَا

---

(١) في هـ.ص: الأشباح الأشخاص؛ لأنّه ذكر فيها أشخاص العالم من الملائكة وغيرهم.

(٢) في أ و د زيادة: وكأنّ سائل سأله أن يصف الله حتىٰ كأنّه يراه عياناً، فغضب لذلك.

(٣) في ط زيادة: مثل ما نراه عياناً.

(٤) في هـ.ص وب: بفتح العين: إمتلأ.

(٥) في هامش الأصل: أي قد اغضب، أي قد فعل معه ما يوجب الغضب.

(٦) لم يرد «وروى مسعدة... الى ثمّ قال» في أ.

(٧) في هـ.ب: لا يعرّه، وفي هـ. د: لا يعره ـ ك، وفي هـ ص: لا يفره، أي لا يزيد في ملكه، وفي هـ.ب: وفرته: إذا تركت ماله موفوراً عليه، والوفور: المال الكثير، وقولهم: توفر وتحمل، وقولهم: وفرته جرعة ماله، يضرب هذا المثل للرجل يخصّك بشيء فترده عليه من غير سخط.

(٨) في ط ود زيادة: والجمود.

(٩) في هـ.ص: الكدية ـ في الأصل ـ: صخرة تلاقي حافر البئر فتقطع حفره، فتوسع فيه في غيره، يقال: أكدىٰ: قطع عمله، وأكداه غيره: قطع عليه عمله. وفي هـ ب: أكدىٰ الحافر: إذا بلغ الكدية، وهي الأرض الصلبة، وأكديت الرجل عن الشيء: رددته عنه.

(١٠) في هـ ص: عيال العائل: من يقوم بكفايته، يقال: عاله يعوله.

لَدَيْهِ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَل، الأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُن لَهُ قَبْلٌ[١] فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَٱلآخِرُ الَّذِي ليس لَهُ بَعْدٌ[٢] فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ، والرَّادِعُ[٣] أَنَاسِيَّ ٱلأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ، مَا ٱخْتَلَفَ[٤] عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ[٥] مِنْهُ الحالُ، وَلاَ كَانَ في مَكَانٍ فَيَجُوزَ[٦] عَلَيْهِ الانتِقَالُ.

وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الجِبالِ[٧]، وَضَحِكَتْ[٨] عَنْهُ أَصْدَافُ[٩] ٱلْبِحَارِ؛ مِنْ فِلِزِّ[١٠] ٱللُّجَيْنِ وَٱلْعِقْيَانِ، وَنُثَارَةِ ٱلدُّرِّ وَحَصِيدِ[١١] المَرْجَانِ، مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ، وَلاَ أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ ٱلأَنْعَامِ، مَا لاَ تُنْفِدُهُ[١٢] مَطَالِبُ ٱلأَنَامِ؛ لِأَنَّهُ ٱلجَوَادُ الَّذِي لاَ يَغِيضُهُ[١٣] سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَلاَ يُبَخِّلُهُ[١٤] إلحَاحُ ٱلمُلِحِّينَ[١٥].

---

(١) في هـ. د: الذي ليس له قبل ـ ك.

(٢) في ط: الذي لم يكن له بعد، وفي هـ. د: الذي لم يكن له بعد ـ ح.

(٣) في هـ.ب: الرادع: الدافع، يقال: أردعته فارتدع، أي كففته فكف، والأُناسي: جمع انسان. وأصله اناسين، فاسقطت النون، وفي هامش آخر: أناسي: انسان العين.

(٤) في هـ.ب: ما اختلف بالنفي، وجوابه: فتختلف ـ بالنصب ـ.

(٥) في ب فتحلف، وفي هـ. د: فتخلف ـ ن م ف.

(٦) في هـ.ب، وفي نسخة: فتجوز.

(٧) في هـ.ب: ولو وهب واعطىٰ سبحانه هذه الأشياء ... التي خلقها في معادنها، وادّخرها في مظانها لمصالح العباد علىٰ ما تقتضيه وجوه الحكمة، لما نفذ سعة ما عنده ولا تنتهي مقدوراته.

(٨) في هـ.ب: استعارة حسنة. وهي استعارة عن انفتاح الأصداف.

(٩) في هـ.ب: صدف الدر: غشاؤها.

(١٠) في هـ ص : الفلز ـ بكسر الفاء والعين وتشديد اللام ـ: اسم الأجسام الذائبة من الذهب والفضة ونحوهما، واللجين: الفضة، والعقيان: الذهب، وفي هـ ب: الفلز: اسم لأجناس سبعة التي هي: العقيان ـ وهو الذهب ـ واللجين ـ وهو الفضة ـ، والحديد، والنحاس، والرصاص الاسرب، والزئبق، وقيل: لها ثامن، وهو الخارصين.

(١١) في هـ.ب: الحصيد: صغار اللؤلؤ.

(١٢) في هـ.ص : يقال: نفد المرء: فنيٰ، وانفده غيره: أفناه.

(١٣) أي لا ينقصه، من غاض الماء: إذا نقص.

(١٤) في هـ.ب: يبخله، أبخلته: وعدته بخلاً، وبخلّته: أي نسبته إلىٰ البخل.

(١٥) في هـ.ب: أَلَحَّ السائل علىٰ فلان، أي: أقام بالمسألة عليه وألحّ السحاب: إذا أدام مطره.

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ[١]، فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ، وَاسْتَضِيءْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ، مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، وَلاَ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ[٢] مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ[٣] هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ[٤] السُّدَدِ[٥] الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللهُ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ[٦] مَا لَمْ يُحِيطُوا به عِلْماً، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً، فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، وَلاَ تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

هُوَ الْقَادِرُ الذِي إِذَا ارْتَمَتِ[٧] الْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرِ[٨] الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتِ[٩] الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، وَغَمَضَتْ[١٠] مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لاَ تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ[١١]

---

(١) في هـ.ص ، وفي نسخة: زيادة بعقلك. (٢) في هـ.ص ، وفي نسخة: هذا.
(٣) في هـ.ب: الراسخون: المبالغون في العلم والثابتون.
(٤) في هـ.ب: اقتحام الفرس في الماء: الدخول فيه بغير وسيلة.
(٥) في هـ.ب: السدد: جمع سدة، وهي باب الدار، وها هنا كناية عن الخيام؛ لأنّها موصوفة بالمضروبة. (٦) في هـ.ب، وفي نسخة: تأوّل.
(٧) في هـ.ب: ارتمىٰ ... رمىٰ يقال: رميت الشيء، أي ألقيته فارتمىٰ.
(٨) في أ وط ود: خطرات، وفي هـ ص : مصدر خطر: أي عَرض، ويروىٰ: خَطرات، وفي هـ.ب: وروي خطرات الوساوس، والوسوسة: حديث النفس.
(٩) في هـ.ص : الوله: شدّة الشوق إلىٰ الشيء والولوع به، وفي هـ د: ويروىٰ: وتواهقت القلوب ـ ك. وفي هـ.ب: أي تحيّرت، والوله: ذهاب العقل.
(١٠) في هـ.ص : أي دقت وخفيت، وفي هـ ب: الغامض من الكلام: خلاف الواضح، وقد غمض موضع، من قولهم للمطمئن من الأرض: الغامض.
(١١) في هامش الأصل: أي العبارات، فلا توضحه.

لِتَنَاوُلِ[١] عِلْمِ ذَاتِهِ[٢]، رَدَعَهَا[٣] وَهيَ تَجُوبُ[٤] مَهَاوِيَ[٥] سُدَفِ ٱلْغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً[٦] إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ[٧]، مُعْتَرِفَةً بِأَنَّـهُ لاَ يُنَالُ بِجَوْرِ الإِعْتِسَافِ[٨] كُنْهُ[٩] مَعْرِفَتِهِ، وَلاَ تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِرِ جَلاَلِ عِزَّتِهِ.

ٱلَّذِي ٱبْتَدَعَ ٱلْخَلْقَ عَلَى غيرِ مِثَالٍ ٱمْتَثَلَهُ، وَلاَ مِقْدَارٍ ٱحْتَذَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ[١٠] كَانَ قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ[١١]، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَٱعْتِرَافِ ٱلحَاجَةِ مِنْ ٱلخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا[١٢] بِمِسَاكِ[١٣] قُوَّتِهِ[١٤]، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ[١٥] قِيَامِ ٱلحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَظَهرتْ[١٦] فِي ٱلْبَدَائِعِ ٱلَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلاَمُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلاً عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً؛ فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، وَدَلاَلَتُهُ عَلَى ٱلْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ.

وَأَشْهَدُ[١٧] أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلاَحُمِ حِقَاقِ[١٨] مَفَاصِلِهِمُ ٱلْمحْتَجِبَةِ

---

(١) في د: لتنال.

(٢) في هـ. د: ويروىٰ لتنال علم ذلك ـ ر.

(٣) في هـ.ب: أي كفّها.

(٤) في هـ.ص : أي تقطع، من جاب الفلاة، وفي هـ ب: تقطع.

(٥) في هـ.ص : المهاوي: جمع مهواة، وهي ما يهوىٰ فيه، أي يتردّىٰ، وفي هـ أ : أي حفر يسقط فيها الناس، وفي هـ ب: مساقط.

(٦) في هـ.ب: مقدرة التخلص إليه.

(٧) في هـ.ص : أصاب الجبهة، ضرب الجبهة.

(٨) في هـ.ص : أي السير في غير طريق. وفي هـ ب: التعسف: الأخذ علىٰ غير الطريق.

(٩) في هـ.ص : الكنه هو الحقيقة.

(١٠) في هـ. د: من خالق معهود ـ ض.

(١١) في هـ.ب: أي أرانا من الحكم العجيبة من أفعاله.

(١٢) في هـ.ب: الضمير للعجائب.

(١٣) في ب: بمسلك، وفي هـ ب، وفي نسخة: بمسالك، وفي هـ. أ: المساك: ما يمسك به قوّته، والمساك: المكان الذي يمسك الماء، وفي هـ ب: استمسكت بالشيء: اعتصمت به، وفي هـ. د: بمسك قوته ـ ر، وحاشية م.

(١٤) في هـ. د: قدرته ـ ب.

(١٥) في هـ.ص : بالنظر في شواهد الصنع والنظر في مقدمات تفضي إلىٰ العلم الضروري، وهذا مأخذ لقول أصحاب المعارف، الجاحظ ومن وافقه، ألا ترىٰ إلىٰ قول الجاحظ في كتابه «العبر والاعتبار»: فكر في كذا، فكّر في كذا؛ وهي دلالة صحيحة قد نبّه عليها الكتاب والسنة وكلام عليّ عليه السلام.

(١٦) في هـ.د: فظهرت ـ ح.

(١٧) في ب و ط : فأشهد، وفي هـ. د: وأشهد ـ ش، وفي هـ.ب: أشهد أن من شبّه الله بالأجسام

لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ[١٩] غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ ٱلْيَقِينُ بِأَنَّهُ لاَ نِدَّ لَكَ، وَكَأَنَّهُ لَمْ[٢٠] يَسْمَعْ تَبَرُّأَ التَّابِعِينَ مِنَ ٱلمَتْبُوعِينَ، إِذْ يَقُولُونَ: ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[٢١] كَذَبَ ٱلْعَادِلُونَ بِكَ[٢٢]؛ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ، وَنَحَلُوكَ[٢٣] حِلْيَةَ المَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ[٢٤]، وَجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ المُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى ٱلْخِلْقَةِ ٱلمُخْتَلِفَةِ ٱلْقُوَىٰ[٢٥] بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ[٢٦].

وَأَشْهَدُ[٢٧] أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَٱلْعَادِلُ بِكَ[٢٨] كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَأَنَّكَ[٢٩] أَنْتَ ٱللهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ[٣٠] فِي ٱلْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً[٣١]، وَلاَ فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا[٣٢] مَحْدُوداً مُصَرَّفاً.

وَمِنْهَا:

← والصور لم يعرفه يقيناً.

(١٨) في ص : حقائق، وفي هـ.أ. في نسخة: حقاق، والحقاق جمع حق بضم الحاء، وهو رأس العظم عند المفصل، وفي هـ ب: حقاق المفاصل تشتمل علىٰ حكمة الله تـعالىٰ مـحتجب تدبيرها، ومفصل العضو من العضو فيه تأمل للمتأمل، ترىٰ أحدهما كالحقة يدور فيها الآخر، مشدوداً هذا بصاحبه بالعصب، متلاحماً متصلاً، حتىٰ احتذىٰ البناؤن فـي بـنائهم بـالذكر والأُنثىٰ.

(١٩) في هـ. د: روي ما يعقده غيب ـ ر.

(٢٠) في ب: فكأنه لم.

(٢١) الشعراء ٢٦ / ٩٧ ـ ٩٧.

(٢٢) في هـ ص : أي الذين جعلوا عديلا لربهم، أي: مثلاً، وفي هـ ب: الذين يجعلون لله عديلاً وشريكاً، أي: حائدون بك عن الطريق.

(٢٣) في هامش ب: أي أعطوك.

(٢٤) في هـ ص : تصوّر الغائبات بصور المألوفات.

(٢٥) في هـ ب: القوىٰ جمع قوة، وهي في الأصل: الطاقة من الحبل، ورجل شديد القوى: أي شديد أسرا.

(٢٦) في هـ. د: بقرائح قلوبهم ـ ك.

(٢٧) في ب: فأشهد، وفي هـ. د: فاشهد ـ ش.

(٢٨) لم ترد «بك» في أ و ب، وفي هـ. د: والعادل كافر ـ ش.

(٢٩) في ب: فأنّك، وفي هـ. د: فانك ـ ش.

(٣٠) في هـ.ص : أي لم يكن ممّن يبلغ العقول غاية معرفته، ولا ذلك من ممكنها.

(٣١) في هـ.ب: أي، واشهد انك الله الذي لا يكيّف.

(٣٢) في هـ. د زيادة: فتكون ـ ض.

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ[١] فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ[٢] دُونَ الاِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ، وَكَيْفَ[٣]؟ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ[٤]، اَلْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ[٥] بِلاَ رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ[٦] إِلَيْهَا، وَلاَ قَرِيحَةِ[٧] غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عليها، وَلا تَجْرِبَةٍ استفادها[٨] مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، ولا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بأمره، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ، لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ[٩] المُبْطِيءِ، وَلاَ أَنَاةُ المُتَلَكِّيءِ[١٠]، فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا[١١]، وَنَهَجَ حُدُودَهَا[١٢]، وَلاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا[١٣]، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ، وَالْغَرَائِزِ[١٤] وَالْهَيْئَاتِ، بَدَايَا[١٥] خَلاَئِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا[١٦]، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا.

ومنها في صفة السماء:

---

(١) في هـ ص : ـ بكسر الواو ـ الجهة التي يتوجه إليها.

(٢) في أ وب وط و د: ولم يقصُر، وفي هـ ب، وفي نسخة: لم يقصر.

(٣) في ط : فكيف.

(٤) في أ وب ود: مشيّته.

(٥) في هـ.ص : أي جاعلها أشياء.

(٦) في هـ.ب: أي رجع.

(٧) في هـ.ب: أي استنباط.

(٨) في أ وب وط ود: أفادها.

(٩) في هـ.ب، وفي نسخة: ريب، وفي هـ ص : الريث: البطؤ.

(١٠) في هـ.ص : التلكؤ: التحبس والتقاعد عن العمل، وفي هـ.ب: سكوت المتحبس والمتشاجر، وتلكأ في الشيء تباطأ فيه.

(١١) في هـ.ص وب: أي اعوجاجها.

(١٢) في هـ.ص وب، وفي نسخة: حددها. وفي هـ ب: حددها، أي في حدها، يعني طرق نهج في الأرض ....

(١٣) في هـ ص : لما ذكر انه تعالىٰ لاءم بين المتضادات، ذكر أنّه الذي ناسب بين المتناسبات.

(١٤) الغرائز: الطبائع.

(١٥) في هـ.ب: بدايا جمع بدية، وهي الخليقة المبدء بها. أي هذه بدايا خلائق وإلها. من بدايا إلىٰ خلائق. او يكون بدايا بدلاً من قوله اجناساً وخلائق عطف بيان وفي هـ. د: والرواية الصحيحة: برأ خلائق ـ ك .

(١٦) في هـ ص ، وفي نسخة: صنعتها.

وَنَظَمَ[١] بِلاَ تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ[٢] فُرَجِهَا، وَلاَحَمَ[٣] صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا، وَوَشَّجَ[٤] بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا، وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَةَ[٥] مِعْرَاجِهَا، ونَادَاهَا بَعْدَ[٦] إِذْ هِيَ دُخَانٌ[٧]، فَالْتَحَمَتْ[٨] عُرَى أَشْرَاجِهَا[٩]، وَفَتَقَ بَعدَ الاِرْتِيَاقِ[١٠] صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا، وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ[١١] عَلَى نِقَابِهَا[١٢]، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ رَائِدةِ[١٣]، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً[١٤] لِنَهَارِهَا، وَقَمَرِهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا[١٥]، فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ[١٦] مَجْرَاهُمَا[١٧]، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا[١٨] فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيَعْلَمَ

---

(١) في هـ. د: فنظم ـ ع.

(٢) في هـ.ص : جمع رَهوة، وهو ما ارتفع من الشيء، وفي هـ ب: أوساط، والرهوة: المرتفع.

(٣) في هـ.ب: أي جمع.

(٤) في هـ.ص : بالتشديد ـ أي شبك، وفي هـأ: وشج من الوشيجة، وهي عروق الشجرة، ومنه: الواشجة، للقرابة المشتبكة، وفي هـ ب: أي خطّط.

(٥) في هـ.ص : هو ضد السهولة، وفي هـ ب: أي صعوبة.

(٦) في هـ.ب: مبنيّ على الضم بدلاً لـ«بعد». (٧) في ب زيادة: مبني.

(٨) في هـ.ب: من لحمة الثوب.

(٩) في هـ.ب: شرج العيبة: عروتها، ومجرّة السماء يسمىٰ شرجا، وشرج الوادي: منفسحه، والجمع: اشراج.

(١٠) في ط و د: الارتتاق، وفي هامش ب، وفي نسخة: الارتتاق.

(١١) في هـ.ب: جمع شهاب، وهو النجم، وأصله النار، والثواقب: جمع ثاقب، وهي المضيئة.

(١٢) في هـ.ب: علىٰ نقابها، أي طرقها، جمع نقب، وهو الطريق في الجبل.

(١٣) كذا في أ وص : ظاهراً ويحتمل : «رابدة»، وفي ب وط ود: بايدة، وفي د: بأيْدِهِ، وفي هـ ب، وفي نسخة: بايدة أي هالكة. وفي نسخة: ذايدة، وفي هـ. د: في خرق الهوا رائدة ـ ف ع، بائدة ـ م ل، من راد يرود: إذا جاء وذهب.

(١٤) في هـ.ب: أي علامة واضحة مضيئة، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي تبصر في النهار، كما يقال: ليل نائم، أي ينام فيه.

(١٥) ممحوّة، أي يمحى ضوؤها في بعض ساعات الليل في بعض ليالٍ من الشهر، وفي جميع الليل في أوقات من الشهر، وهي أوله وآخره.

(١٦) المناقل: مجراهما، ومحلّ منتقل الشمس والقمر، وهو مدار الشمس والقمر.

(١٧) كذا في ص وأ وب، وفي ط: مجزيّهما. (١٨) في أ وب ود: مسيرهما.

عَدَدَ السِّنِينَ وَٱلْحِسَابِ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا[١]، وَنَاطَ[٢] بِهَا زِينَتَهَا، مِنْ خَفِيَّاتِ[٣] دَرَارِيِّهَا[٤] وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا، وَرَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ[٥] بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا، وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلَالِ[٦] تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا.

ومنها في صفة الملائكة عليهم السلام:

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ ٱلْأَعْلَى[٧] مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَمَلأَ بِهِمْ[٨] فُرُوجَ فِجَاجِهَا[٩]، وَحَشَى بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا[١٠]، وَبَيْنَ فَجَوَاتِ[١١] تِلْكَ ٱلْفُرُوجِ زَجَلُ[١٢] الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ ٱلْقُدْسِ[١٣]، وَسُتُرَاتِ[١٤] ٱلْحُجُبِ، وَسُرَادِقَاتِ[١٥] المَجْدِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ[١٦] ٱلَّذِي تَسْتَكُّ[١٧] مِنْهُ ٱلْأَسْمَاعُ

---

(١) في هـ.ب، وفي نسخة: فلكاً. الفلك هو المدار الذي يكون للكوكب في السماء، وفي هـ ص: قال في الشرح: هذا يقتضي إنّ الفلك غير السماء، وهو خلاف قول الجمهور، انتهى.وكأنّه علىٰ نحو العجل التي تنقل الكائنات، والله أعلم. وفي هـ.ب: الفلك: استدارة السماء ويقال: دوران السماء.

(٢) في هـ.ب: أي علّق.

(٣) في ب: حفيّات.

(٤) في هـ.ب: جمع درّ، وهي كناية عن النجوم.

(٥) في هـ.ب: كان الشياطين قبل بعث النبيّ صلى الله عليه وآله يصعدون ويسمعون كلام الملائكة علىٰ نحو السّرقة.

(٦) في هـ أ: أذلالها، أي مجاريها وطرقها.

(٧) في هـ.ص: يقال لوجه فلز عريض: صفيح وصفحة، انتهىٰ من الشرح، وفي هـ أ: الصفيح: الجانب، وفي هـ ب: كناية عن السماء وما فوقها، ويقال لوجه كل شيء عريض: صفيح وصفحة.

(٨) في ب: ملأ بهم.

(٩) في هـ.ب: الفجوة: الفرجة بين الشيئين.

(١٠) في هـ.ب: جمع جوّ، وفي هـ. د: وروي اجوابها ـ ك .

(١١) في هـ.ب: أي متّسعات.

(١٢) في هـ.ص: هو الصوت المردّد. وفي هـ.ب: صوت.

(١٣) في هـ.ص: أي الحضائر المقدّسة، وفي هـ.ب: مجاميع محفوظة.

(١٤) السترات جمع سترة، وهو ما يستتر به.

(١٥) السرادقات: جمع سرادق، وهو ما يمدّ على صحن البيت فيغطّيه.

(١٦) في هـ ب: الرجيج: الصوت العالي، من رجه يرجّه: أي حرّكه وزلزله.

(١٧) في هـ. د: تسلّ ـ م، وفي هـ.ص: أي يملأها فيصمّها، وفي هـ ب: استكت به، أي ضاقت

سُبُحَاتُ[١] نُورٍ تَرْدَعُ ٱلْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً[٢] عَلَى حُدُودِهَا.

أَنْشَأَهُمْ[٣] عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ، أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ[٤] جَلَالَ[٥] عِزَّتِهِ، لَا يَنْتَحِلُونَ[٦] مَا ظَهَرَ فِي ٱلْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ[٧]، وَلَا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ[٨] مِمَّا ٱنْفَرَدَ بِهِ، (بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)[٩] جَعَلَهُمُ[١٠] فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ ٱلْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ[١١] عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ.

وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ المَعُونَةِ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ[١٢] السَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً[١٣] إِلَى تَمَاجِيدِهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ، لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُؤْصِرَاتُ[١٤] الآثَامِ، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ[١٥] عُقَبُ ٱللَّيَالِي وَٱلْأَيَّامِ[١٦]، وَلَمْ تَرْمِ[١٧] الشُّكُوكُ[١٨]

← وصمّت.

(١) في هـ.أ: السبحة: الخرزة التي يسبّح بها.

(٢) في هـ.ب: أي بعيدة.

(٣) في ط: وأنشاهم، وفي هـ. د: وأنشأهم ــ ح ض.

(٤) في ب وهـ. ص، وفي نسخة: تسبّح. وفي هـ ص: قوله: «تسبح» يقال: سبخ بالخاء المعجمة، أي تخفف العمل، ويقال: سبخ: نام نوماً مستغرقاً شديداً، فكأنّ المعنىٰ ــ والله أعلم ــ: تسبخ جلال عزّته، أي توقر وتعظّم فتتساقط وتتمارت تذللاً فتعود شيئاً لاحراك به، كسكون المستغرق في النوم، فضمّن «تسبح» معنىٰ توقر كما ورد في صفة اسرائيل عليه السلام انه يتضائل لعظمة الله حتىٰ يعود كالصعوة. أو يكون المعنىٰ: تسبّح إجلالاً لعزّة الله، وفي كون مفعولاً له، والله أعلم.

(٥) في الف: خلال.

(٦) في هـ.ب: لا ينتحلون: أي لا يدّعون.

(٧) في أ وب ود: صنعة.

(٨) لم ترد «معه» في ط، وفي هـ. د: شيئاً ممّا ــ ب، وفي هـ. ص: لا يخفىٰ ما في زيادة هذه الكلمة من التحرز من مذهب المجبّرة.

(٩) اقتباس من سورة الأنبياء ٢١: ٢٧.

(١٠) في هـ. د: جعلهم الله ــ ح.

(١١) في هـ.ب: أي مائل.

(١٢) في هـ ب: أي تواضع.

(١٣) جمع ذلول: أي غير صعب، وفي هـ ب: وصف الأبواب بالذلّ تشبيها بالدابة الذلول.

(١٤) في هـ.ب: أي مثقلات.

(١٥) في هـ.ب: ارتحلت البعير: أي ركبته.

(١٦) في هـ.ص: العقب جمع عقبة، وهي النوبة أي لم يؤثر فيهم كما يؤثر ارتحال الانسان البعير في ظهره، إمّا بمعنىٰ لم تؤثر فيهم بالإبلاد كما تؤثر في سائر الأجسام، وإمّا بمعنىٰ لم تؤثر منهم بطولها كمّاً حتىٰ يملوا ما هم فيه من العبادة ويتركوا ما هم عليه في البداية من الاجتهاد ←

بِنَوَازِعِهَا[١٩] عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكَ[٢٠] الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ، وَلاَ قَدَحَت قَادِحَةُ ٱلْإِحَنِ[٢١] فِيما بَيْنَهُمْ، وَلاَ سَلَبَتْهُمُ ٱلْحَيْرَةُ مَالاَقَ[٢٢] مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ[٢٣] فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ ٱلْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ[٢٤] بِرَيْنِها[٢٥] عَلَى فِكْرِهِمْ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ ٱلْغَمَامِ الدُّلَّحِ[٢٦]، وَفِي عِظَمِ ٱلْجِبَالِ الشُّمَّخِ[٢٧]، وَفِي قَتْرَةِ[٢٨] الظَّلاَمِ ٱلْأَيْهَمِ[٢٩].

وَمِنْهُمْ: مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ[٣٠] ٱلْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ[٣١] ٱلْهَوَاءِ، وَتَحْتَها رِيحٌ هَفَّافَةٌ[٣٢] تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ ٱنْتَهَتْ مِنَ ٱلْحُدُودِ

← والرغبة من نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ و ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾، وفي هـ ب: معنىٰ عُقَب الليالي، أي: تؤثر فيهم توالي الأيّام وكرورها.

(١٧) في هـ.ب، وفي نسخة: ولم تؤم، أي لم تزدحم الظنون.

(١٨) في هامش ب: ترم الشكوك إيمانكم الذي معه.

(١٩) في هـ. د: بنوازغها ـ ك ل، وفي هـ ص: بالعين المهملة من نزع الشهوات، وبالمعجمة من نزغ الشيطان.

(٢٠) في هـ.ص: أي لم تزدحم، وفي هـ. ب: العرك الدلك.

(٢١) في هـ.ص: جمع إحنة، وهي الحقد، وفي هـ ب: أي لم يخرج نار العداوة والحقد.

(٢٢) في هـ.ص: ما ثبت وناسب، وفي هـ ب: أي مالصق.

(٢٣) في ب وهـ ص، وفي نسخة: حلاله، وفي هـ. د: حلاله ـ ل.

(٢٤) في هامش ب، وفي نسخة: فتفترع برينها، من الفرع، وفي هامش الأصل: يروىٰ بالقاف من القرعة: المساهمة، وبالفاء من فرعه، أي علاه، وفي هامش ب: من القرعة.

(٢٥) في هـ. د: وتفترع بريبها ـ ك ر، وفي هـ. ص: الرين: الدنس كالدسم يعلو علىٰ الماء.

(٢٦) في هـ.ص: جمع دالحة: من يمشي مثقلاً، وفي هـ ب: الدلح: الثقال، المثقلة.

(٢٧) في هـ.ص: جمع شامخ، أي مرتفع، وفي هـ ب: الجبال العظيمة.

(٢٨) في هـ. د: فترة ـ د، وفي هامش الأصل: أي شدّته؛ وفي هامش ب: القترة، والقتر: الجانب والناحية، لغة في القطر.

(٢٩) في ط: الا بهم. وفي هـ ص وب: التي لا يهتدىٰ فيه.

(٣٠) في هـ.ص: جمع تخم، وهو حدّ الأرض ومنتهاها، وفي هـ.ب: التخوم بفتح التاء واحدة، جمعه تخم، والتخوم بضم التاء، جمع تخم، نظير الأوّل.

(٣١) المخارق: مواضع ما خرقت أقدامهم.

(٣٢) في هـ.ص: أي رخاء طيبة، وفي هـ ب: أي ساكنه بلا سرعة.

ٱلْمُتَنَاهِيَةِ، قَدِ ٱسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ(١)، وَوَسَّلَتْ(٢) حَقَائِقُ ٱلْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ ٱلْإِيقَانُ بِهِ إِلَى ٱلْوَلَهِ إِلَيْهِ(٣)، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ.

قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ ٱلرَّوِيَّةِ(٤) مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ(٥) وَشِيجَةُ(٦) خِيفَتِهِ، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ ٱعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ(٧)، وَلَمْ يُنْفِذْ طُولُ ٱلرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلاَ أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ(٨) خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ ٱلْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُم، وَلاَ تَرَكَتْ لَهُمُ ٱسْتِكَانَةُ(٩) ٱلْإِجْلاَلِ نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ ٱلْفَتَرَاتُ(١٠) فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ(١١)، وَلَمْ تَغِضْ(١٢) رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ(١٣) رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ ٱلْمُنَاجَاةِ أَسَلاَتُ(١٤) أَلْسِنَتِهِمْ، وَلاَ مَلَكَتْهُمُ ٱلْأَشْغَالُ(١٥) فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ(١٦) ٱلْحنين(١٧) إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ(١٨) الطَّاعَةِ

---

(١) في هـ.ص : أي استنفذت قواهم وأبدانهم وأفكارهم حتىٰ لم يبق لغير عبادته نصيب فيهم، من تفريغ ما في الإناء، وفي هـ ب: أي طلبت أن يفرغوا إلىٰ العبادة.

(٢) في ط ووصلت، وفي هـ ب: في نسخة، ووصلت، وفي هـ. د: ووصلت ـ ح ض، وفي هـ ص : من الوسيلة، وهي القربة والوصلة، ويروىٰ وصلت. وفي هـ ب: أي قربت، من الوسيلة.

(٣) في هـ ب: وله إليه: تحيّر في الفزع إليه، وفي هـ. ب أيضاً : ذهاب العقل.

(٤) الرويّة: التي تروّي من العطش.

(٥) في هـ ص : أي من حبة القلب، وفي هـ ب: سويداء القلب: حبته. وكذلك سوداوه وسويداوه.

(٦) في هـ ص : الوشيجة: عروق الشجرة، وقد وشجت العروق: تشبّكت، وفي هـ ب: الوشيجة ـ في الأصل ـ عرق الشجرة، وها هنا استعارة للمبالغة في الخوف.

(٧) في هـ.ب: أي عوّجوا اعتدال ظهورهم.

(٨) في هـ.ص : جمع ربقة: حبل يشد في عنق الأسير، وفي هـ ب: الرِبق: الحبل، والرَبق: الجمع.

(٩) في هـ.ب: أي ذلّة.

(١٠) في هـ.ب: أي ضعف.

(١١) في هـ.ب: الدؤوب: والدآب: الجدّ، وفي هامش آخر: الدؤبة على العمل: إدامته.

(١٢) في هـ.ب: هنا روايتان: يتغض وتنقص. (١٣) في هـ.ب: من مجاورتهم.

(١٤) في هـ.ب: اصابة، وفي هامش آخر: أسَلَة اللسان: طرفه.

(١٥) في هـ.ب: الهمس: الصوت الخفي، وفي هـ. د: ولا ملكتهم الإغفال ـ ر.

(١٦) في هـ.ص وب: الهمس: الصوت الخفي.

(١٧) كذا في ص وهـ ب، وفي نسخة، وفي أ وب: الخبر، وفي هـ.ص ؛ وفي نسخة: الجؤار، وفي

مَناكِبُهُمْ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ ٱلتَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ، وَلاَ تَعْدُو[١٩] عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلاَدَةُ ٱلْغَفَلاَتِ، وَلاَ تَنْتَضِلُ[٢٠] فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ[٢١] الشَّهَوَاتِ[٢٢].

قَدِ ٱتَّخَذُوا ذَا ٱلْعَرْشِ[٢٣] ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ[٢٤]، وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ ٱلْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ[٢٥]، لاَ يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَلاَ يَرْجِعُ بِهِمْ ٱلاِسْتِهْتَارُ[٢٦] بِلُزُومِ طَاعَتِهِ، إِلاَّ إِلَى مَوَادَّ[٢٧] مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرَ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ[٢٨] مِنْهُمْ فَيَنُوا[٢٩] فِي جِدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ ٱلْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ[٣٠] السَّعْيِ عَلَى ٱجْتِهَادِهِمْ، ولَمْ[٣١] يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوِ ٱسْتَعْظَمُوا ذٰلِكَ لَنَسَخَ ٱلرَّجَاءَ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ[٣٢] وَجَلِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ ٱلتَّقَاطُعِ، وَلاَ تَوَلاَّهُمْ[٣٣] غِلُّ[٣٤] التَّحَاسُدِ، وَلاَ تَشَعَّبَتْهُمْ[٣٥] مَصَارِفُ[٣٦] ٱلرَّيْبِ، وَلاَ

← ط ود: الجوّار.

(١٨) في هـ.ب: جمع مقام. وفي هـ. د: وروى «في مقادم» بالدال ــ ك.

(١٩) في هـ.ص : عدا عليه: قهره وغلبه. وهو هنا مجاز، وفي هـ.ب: عدا عليه واعتدىٰ وتعدّى بمعنىٰ.

(٢٠) في هـ.ص : الانتضال: المراماة، وفي هـ ب: لا تتنازع ولا تتناضل ولا تتوانى من النضال، وهو المراماة. وفي هامش آخر: لا تُغلب. (٢١) في هـ.ب، وفي نسخة: خداع.

(٢٢) ما تخدع الشهوات به النفس. (٢٣) في هـ. د: ذي العرش لهم ــ م.

(٢٤) أي ليوم حاجتهم إلىٰ الله.

(٢٥) أي قصدوه بالرغبة عند انقطاع الخلق سواهم إلىٰ المخلوقين.

(٢٦) في هـ.ص : مصدر استهتر بالشيء: تولّع به. وفي هـ ب: يقال: فلان مستهتر بالشراب، أي مولع به لايبالي ما قد قيل فيه، وفي هامش آخر: الاستهتار: الحرص.

(٢٧) المواد: جمع مادة، أصله من مدّ البحر. ويراد به هنا البواعث علىٰ الطاعة.

(٢٨) في هـ.ب: أي الخوف. (٢٩) في هـ.ب: فينوا: فيضعفوا.

(٣٠) في هـ.ص وب: أي سريعة. (٣١) في ط : لم.

(٣٢) الشفقات: تارات الخوف وأطواره.

(٣٣) في هـ.ب: أي لا تولاهم الشيطان، والتقاطع لاستحواذ الغلبة.

(٣٤) في هـ. د: وروي على التحاسد ــ ر.

(٣٥) في أ ود: ولا شعّبتهم ــ وفي هـ. د: ولا شيعتهم ــ ك، وفي هـ.ب: أي فرّقتهم.

(٣٦) في هـ.ب: أي موضع الصرف.

ٱقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ[١] ٱلْهِمَمِ[٢]، فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ، لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلاَ عُدُولٌ، وَلاَ وَنىً[٣] وَلاَ فُتُورٌ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ[٤] إِلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاعٍ[٥] حَافِدٌ[٦]، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً.

ومنها فِي صِفَةِ الأرْضِ ودَحْوِهَا على المَاءِ:

كَبَسَ[٧] ٱلْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ[٨] أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ[٩]، وَلُجَجِ[١٠] بِحَارٍ زَاخِرَةٍ[١١]، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ[١٢] أَمْوَاجِهَا، وَتَصْطَفِقُ[١٣] مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا[١٤]، وَتَرْغُو[١٥] زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا[١٦]، فَخَضَعَ[١٧] جِمَاحُ[١٨] المَاءِ المُتَلاطِمِ لِثِقَلِ[١٩] حَمْلِهَا[٢٠]،

---

(١) في هـ.ص : الاخياف: المختلفة من الأشياء، وفي هـ.ب: اخياف: أي مختلفون، وأخياف الهمم، من اضافة الصفة إلىٰ الموصوف. (٢) في هـ. د: وروي اخياف الهم ـ ر.

(٣) في هـ. ب: مصدر ونيَ كتعب، أي تأنٍّ. (٤) في هـ.ب: أهاب: قطعة جلد.

(٥) في هـ.ب: أي مسرع بالخدمة. (٦) الحافد : المسرع، أي: خفيف سريع.

(٧) في هـ.ص : الكبس: مداخلة أجزاء الشيء بالقوة، وفي هـ أ : أي طمّ، وفي هـ.ب: أوقع، مشتق من الكابوس، وهو ما يقع على الانسان بالليل، وهو مقدمة الصرع.

(٨) في هـ.ص : المور: مصدر مار يمور: تحرّك وذهب وجاء، وفي هـ.أ : أي حركة، وفي هـ.ب: أي ذهاب ومجيء.

(٩) في هـ.ص : تشبه الفحول في شدّتها وهياجها، وفي هـ أ : أي عظيمة، وفي هـ.ب: مستفحلة: مستعظمة، استفحل الأمر: تفاقم واشتد. (١٠) في هـ.ب: أي تضطرب.

(١١) أي ممتلئة.

(١٢) في هـ.ص : جمع اوذي، وهي الأمواج والإضافة للبيان، وفي هـ.أ وب: أواذي: جمع أُوذي، وهو الموج. (١٣) الاصطفاق: الاهتزاز.

(١٤) في هـ.ص : الثبج ـ في الأصل ـ ما بين الكاهل إلىٰ الظهر، ويستعار لوسط كلّ شيء، وفي هـ.أ : جمع ثبج، وهو السنام، وثبج الرمل: معظمه. وقيل: لعُلىٰ كلّ شيء، وقيل: وسطه، وفي هامش ب: الثبج في اللغة: ما بين الكاهل إلىٰ الظهر، وها هنا: أعالي الأمواج.

(١٥) في هـ.ب: تصوّت، يقال رغا البعير: إذا هاج.

(١٦) في هـ.ب: أي اضطرابها. (١٧) في هـ.ب: أي ذلّ.

(١٨) في هـ. د: وروي جمام ـ ر. وفي هـ ص : الجماح: أن يجمح الفرس براكبه، يتوثّب حتىٰ يلقيه عن ظهره، وفي هـ ب: ارتفاع. (١٩) في هـ.ب: لنقل حملها.

وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمائِهِ[٢١] إذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِها[٢٢]، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً[٢٣] إذْ تَمَعَّكَتْ[٢٤] عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِها، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ[٢٥] أَمْوَاجِهِ سَاجِياً[٢٦] مَقْهُوراً، وَفِي حَكَمَةِ[٢٧] الذُّلِّ مُنْقاداً أَسِيراً، وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً[٢٨] فِي لُجَّةِ[٢٩] تَيَّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ[٣٠] وَاعْتِلَائِهِ[٣١]، وَشُمُوخِ[٣٢] أَنْفِهِ، وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ[٣٣]، وَكَعَمَتْهُ[٣٤] عَلَى كِظَّةِ[٣٥] جَرْيَتِهِ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ[٣٦]، وَلَبَّدَ بَعْدَ[٣٧] زَيَفَانِ[٣٨] وَثَبَاتِهِ.

فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الماءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا، وَحَمْلَ شَوَاهِقَ[٣٩] الْجِبالِ الْبُذَّخِ[٤٠] عَلَى أَكْتَافِهَا، فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ[٤١] أُنُوفِهَا، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ[٤٢] بِيدِهَا[٤٣] وَأَخَادِيدِهَا[٤٤]،

---

(٢٠) في هـ.ب: أي الأرض.
(٢١) في هـ.ب: اضطرابه.
(٢٢) في هـ.ص : الكلكل: الصدر، والمراد: بجملتها، وفي هـ.ب: بصدرها.
(٢٣) في هـ.ص : أي ذليلاً خاضعاً، وفي هـ أ : متواضعاً، وفي هـ.ب: خاضعاً.
(٢٤) في هـ.ص : التمعك: التمرّغ والتقلّب، وفي هـ ب: تمعكت مستعارة ها هنا من قولهم: تمعكت الدابة: إذا تمرغت، وفي هـ ب: تمرغت يعني الأرض، من تمعك الدابة.
(٢٥) في هامش الأصل وب: هو افتعال من الصخب، وهو الصوت والجلبة، وفي هامش الف: صوته.
(٢٦) في هـ.ب: أي ساكناً.
(٢٧) في هـ.ب: حكمة: كناية عن وصف الأرض بالسكون.
(٢٨) في هـ.ب: أي مبسوطة.
(٢٩) في هـ.ب: أي معظم موجه.
(٣٠) في هـ.ب: أي تكبره.
(٣١) في هـ.ب: أي زهوه.
(٣٢) في هـ.ب: أي علو.
(٣٣) في هـ. د: انفه وغلوائه ـع، وفي هـ ص : أي تزائده، وفي هـ.ب: سمّوه: علوّه و تجاوز حده.
(٣٤) في هـ.ص وب: الكعم: شد الغم. وفي هـ ب: شدته.
(٣٥) في هـ.ص وب: أي امتلاء.
(٣٦) في هـ. د: وروي: نزفاته بالفاء ـك، وفي هـ ص : النزق: الحنق والطيش، وفي هـ.ب: حركاته.
(٣٧) في هـ.ب، وفي نسخة: وبعد زيفان. الزيفان: شدة [هبوب] الريح.
(٣٨) في هـ.أ و ص: الزيفان: التبختر، وفي هـ.ب: تكبر.
(٣٩) في هـ.ب: الشواهق: المرتفعة العالية.
(٤٠) في ط و د: الشمّخ البذخ، وفي هـ.أ : الأعالي، وفي هـ.ب: جمع باذخ، وهو: العالي جداً.
(٤١) في هـ.ص وب: جمع عرنين، وهو أول الانف.
(٤٢) في هـ.ص : القاع الأملس، وفي هـ.أ : المتّسع من الأرض.

وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلاَمِيدِهَا(٤٥)، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ(٤٦) الشُّمِّ(٤٧) مِنْ صَيَاخِيدِهَا(٤٨)، فَسَكَنَتْ مِنَ المَيَدَانِ(٤٩) بِرُسُوبِ(٥٠) ٱلْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا(٥١)، وَتَغَلْغُلِهَا(٥٢) مُتَسَرِّبَةً(٥٣) فِي جَوْبَاتِ(٥٤) خَيَاشِيمِهَا(٥٥)، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ ٱلْأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا(٥٦)، وَفَسَحَ(٥٧) بَيْنَ ٱلْجَوِّ وَبَيْنَهَا، وَأَعَدَّ ٱلْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا(٥٨).

ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ ٱلْأَرْضِ(٥٩) ٱلَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ ٱلْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا(٦٠)، وَلاَ تَجِدُ جَدَاوِلُ الأَنْهَارِ(٦١) ذَرِيعَةً(٦٢) إِلَى بُلُوغِهَا حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا(٦٣) نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا وَتَسْتَخْرِجُ

---

(٤٣) في هـ.ب: المفازة.

(٤٤) في هـ.ص : جمع أُخدود، وهو الشقّ في الأرض، وفي هـ.ب: جمع الأُخدود، وهو الشق المستطيل في الأرض.

(٤٥) في هـ.ب: الثابتات الأصل، جمع جملود، وهو الصخر، وفي هـ.ب: صخورها.

(٤٦) في هـ.ص : جمع شنخوب: رؤوس الجبال، وفي هـ.أ وب: رؤوس الجبال.

(٤٧) في هـ.ب: العالي.

(٤٨) في هـ.ص : الصيخود: الصخر، وفي هـ.أ : الصياخيد: الشداد، جمع صخرة، وفي هـ.ب: الشديدة.

(٤٩) الميدان التحرك والاضطراب.

(٥٠) في هـ.ب: بنشوب، وفي ط: لرسوب، وفي هـ. ط: برسوب، وفي هـ. د: لرسوب ـ ض ح.

(٥١) المراد: سطح الأرض.

(٥٢) في هامش ب: دخولها.

(٥٣) في هـ.ص : كالسائر في سرب، [وهو] طريق باطن، وفي هـ ب: سارباً.

(٥٤) في هـ.ص : جمع جوبة، وهي الفرجة، وفي هـ.أ وب: أي متسعات.

(٥٥) في هـ.ب: ثقب الانوف.

(٥٦) في هـ.ص : جمع جرثومة: ما اجتمع، وفي هـ.ب: أي أصلها.

(٥٧) في هـ.ب: أي وسع.

(٥٨) المرافق ما يرفق الشيء ويلازمه، كمرافق البيت أو ما يتم بها الانتفاع بالشيء.

(٥٩) في هـ.ب: الأرض الجرز: التي لا نبات فيها.

(٦٠) في هـ.ص : جمع رابية، بمعنىٰ ربوة: ما ارتفع من الأرض، وفي هـ.أ : الأعالي، وفي هـ.ب: آكامها.

(٦١) في هـ. د: جداول الأرض ـ ن م. وفي هـ.ص : الجدول: النهر، وفي هـ ب: الأنهار الضيقة [اضيف] إليها تخفيفاً.

(٦٢) في هـ.ص : وصلة.

(٦٣) في هـ. د: ثم انشألها ـ م.

نَبَاتَهَا، أَلَّفَ غَمامَهَا بَعْدَ ٱفْتِرَاقِ لُمَعِهِ[١]، وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ[٢]، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ[٣] لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ، وَٱلْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ[٤]، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيْضُهُ[٥] في كَنَهْوَرِ[٦] رَبَابِهِ[٧]، وَمُتَرَاكِمِ[٨] سَحابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً[٩]، قَدْ أَسَفَّ[١٠] هَيْدَبُهُ[١١]، تَمْرِيْهِ[١٢] ٱلْجُنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ[١٣]، وَدُفَعَ[١٤] شَآبِيبِهِ[١٥].

فَلَمَّا أَلْقَتِ ٱلسَّحَابُ بَرْكَ بَوَانِيْها[١٦]، وَبَعَاعَ ما ٱسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ ٱلْعِبْءِ[١٧] الَمحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ[١٨] الأَرْضِ النَّبَاتَ، وَمِنْ زُعْرِ[١٩] ٱلْجِبَالِ الأَعْشَابَ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ

---

(١) في هـ.ص : جمع لمعة، وهي قطعة من الشيء وفي هـ.ب: اللمعة قطعة من النبت إذا أخذت في اليبس.

(٢) في هـ.ص و ب : وهو قطع السحاب الرقيقة، وفي هـ.أ : قزعة: قطع سحاب متفرقة.

(٣) في هـ.ص : أي تحركت بقوّة، وفي هـ.أ وب: تحركت.

(٤) في هـ.ص : جمع كفة وهي كالدّارة المجتمعة، وفي هـ.ب: الكفف: قطع السحاب التي هي كالشبكة، وهي ـ في الأصل ـ: جمع كفة الميزان، وكفة الصائد: حبالته.

(٥) في هـ.ص : الوميض: التماع البرق.

(٦) في هـ. ص: الكنهور: قطع السحاب، قيل: المجتمع، والكهنور: المجتمع المتكاثف، وفي هـ.أ : العظيم من السحاب.

(٧) الرباب: السحاب الابيض المتلاحق من الغيوم.

(٨) في هامش ب: سحاب متراكم.

(٩) أي صباً متلاحقاً ومتواصلاً.

(١٠) في هـ.ص وب: أي دنا من الأرض.

(١١) في هـ.ص : الهيدب: أطرافه السفلىٰ، وفي هـ.أ : الهيدب من السحاب: ما تهدّب منه، إذا تدلّىٰ كأنه خيوط.

(١٢) في هـ.ص : تمريه: أي تستنزله كما يمرىٰ الضرع، وفي هـ.ب: تخلّيه، وفي هـ ب: تجليه.

(١٣) في هـ.ص : جمع: أُهضوب، وفي هـ.أ : أهاضيب جمع هضاب، وهو جمع هَضْب. وهي حلبات القطر بعد القطر.

(١٤) في هـ.ب: عطف علىٰ «درر» .

(١٥) في هـ.ص : جمع شؤبوب، وفي هـ أ: الشآبيب: الدفع من المطر، واحدها: شؤبوب، وفي هـ ب: جمع شيبوب.

(١٦) في هـ.ص : البرك ـ في الأصل ـ: الصدر، والبواني: ما يليه من الأضلاع، وعنىٰ به ـ هنا ـ: ثقلها، وفي هـ.ب: الصدر.

(١٧) في هـ.ص وب: البعاع: الأثقال.

(١٨) في هـ.ص : وب: أي الثقل، وفي هـ ب: أي الخالية.

(١٩) في هـ.ص : جمع أزعَر، وهو قليل النبت، وفي هـ.ب: الزعر جمع أذعَر، وأصله من قلّة الشعر، وها هنا: قلة الشعر.

رِياضِها، وَتَزْدَهِي[١] بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ[٢] أَزَاهِيرِها، وَحِلْيَةِ ما سُمِطَتْ بِهِ[٣] مِنْ ناضِرِ أَنْوَارِهَا[٤]، وَجَعَلَ ذٰلِكَ بَلاَغاً[٥] لِلْأَنَامِ، وَرِزْقاً لِلْأَنْعَامِ، وَخَرَقَ ٱلْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا[٦]، وَأَقَامَ المَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِها.

فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ ٱخْتَارَ آدَمَ عليه السلام خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ[٧]، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ، وَ أَوْعَزَ إِلَيْهِ[٨] فِيما نَهاهُ عَنْهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي ٱلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ٱلتَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَالْمخاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِه، فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهاهُ عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ[٩] عِلْمِهِ، فَأَهْبَطَهُ[١٠] بَعدَ ٱلتَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ ٱلْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبادِهِ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ[١١] بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ ٱلْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالاَتِهِ، قَرْناً فَقَرْناً حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله حُجَّتُهُ، وَبَلَغَ المَقْطَعَ[١٢] عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ، وَقَدَّرَ ٱلْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَها، وَقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ[١٣] وَالسَّعَةِ، فَعَدَّلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِها وَمَعْسُورِهَا[١٤]، وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا، ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ[١٥] فَاقَتِهَا[١٦]، وَبِسَلاَمَتِهَا

---

(١) في هـ.ص : من الزهو، وهو الإعجاب، وفي هـ.ب: يزدهي نظر الناظر إليها.

(٢) في هـ.ص : جمع ريطة، وهي الملاءة، وفي هـ.ب: الملاءة الواسعة.

(٣) في أ وهـ. د: شمطت ـ م ك، وفي هـ.ص : ويروىٰ «شمطت» بالشين المعجمة، أي خططت، ويروىٰ «سمطت» بالسين المهملة والتشديد، من التسميط، وهو التحلية، وهم يشبّهون النبات باللباس، والحلية للأرض، والله أعلم، وفي هـ.أ : أي علقت جعلت ذات لونين، وفي نسخة: سمطت من السمط وهو العقد، وفي هـ.ب: أي علقت.

(٤) الأنوار: جمع نَوْر، وهو الزهرة قبل انفتاحها.

(٥) في هـ.ب: أي طعاماً.

(٦) في هـ.ب: أي نواحيها.

(٧) في هـ. د: أول جبلته وبديع فطرته ـ م . ف .

(٨) في هـ.ص : أي عهد، وفي هـ ب: أو عز، يقال: أوعزت إليه في كذا: أي تقدمت.

(٩) في هـ. د: بسابق علمه ـ ر.

(١٠) في هـ.ب: أي أنزله.

(١١) في هـ.ب: التعاهد: تجديد العهد بالشيء، يقال: تعاهدته بكذا.

(١٢) المقطع: النهاية.

(١٣) في هـ.ص : بفتح وبكسر اسم المصدر، وبالكسر لا غير المصدر.

(١٤) في هـ.ب: من العسر واليسر.

(١٥) في هـ. ص: عقبول، وهو بقية نحو المرض، وفي هـ.أ : واحدها عقبول من بقية الحمّىٰ، وفي هـ.ب: وهو الوجع.

(١٦) الفاقة: الفقر.

طَوَارِقَ[١] آفاتِها، وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِها[٢] غُصَصَ أَتْرَاحِها[٣]، وَخَلَقَ ٱلْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَها، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بِالمَوْتِ أَسْبَابَها[٤]، وَجَعَلَهُ خالِجاً[٥] لِأَشْطانِها[٦]، وَقاطِعاً لِمَرَائِرِ[٧] أَقْرَانِها[٨]، عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمائِرِ المُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى[٩] المُتَخَافِتِينَ[١٠]، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ[١١] الظُّنُونِ، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ ٱلْيَقِينِ، وَمَسَارِقِ[١٢] إِيمَاضِ[١٣] ٱلْجُفُونِ، وَما ضَمِنَتْهُ[١٤] أَكْنَانُ[١٥] ٱلْقُلوبِ، وَغَيَابَاتِ ٱلْغُيُوبِ[١٦]، وَما أَصْغَتْ[١٧] لِاسْتِرَاقِهِ مَصائِخُ[١٨] ٱلْأَسْمَاعِ، وَمَصَائِفِ[١٩] الذَّرِّ[٢٠]، وَمَشَاتِي[٢١] ٱلْهَوَامِّ، وَرَجْعِ ٱلْحَنِينِ[٢٢] مِنَ المُولَهاتِ[٢٣]، وَهَمْسِ[٢٤] ٱلْأَقْدَامِ، وَمُنْفَسَحِ[٢٥] ٱلثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ[٢٦] ٱلْأَكْمامِ، وَمُتَقَمَّعِ[٢٧] ٱلْوُحُوشِ مِنْ

---

(١) في هـ.ب: هي التي تأتي غفلة أو بالليل. (٢) في هـ.ب: جمع فرح.
(٣) في هـ.ص : الترح: الغم والحزن. (٤) جمع سبب: وهو الحبل الطويل.
(٥) في هـ.ب: أي جاذباً. (٦) الشطن: الحبل، وفي هـ أ: أي حبالها.
(٧) في هـ.ب: المرير من الحبال، ما لطف واشتد فتله، والجمع مرائر.
(٨) في هـ.ص : القرن الحبل، والمريرة: ما طال ولطف واشتد فتله، وفي هـ.ب، القرن: وِجَار يقرن به البعيران، والجمع أقران.
(٩) في هـ.ص : التخافت: اخفاء الكلام، وفي هـ ب: قول سرٍ.
(١٠) في هـ.ب: الذين يتكلّمون في خفاء.
(١١) في هـ.ص : ما لا وثوق به وفي هـ ب: التكلم بالظن.
(١٢) في هـ.ص : محائلة الرؤية.
(١٣) في هـ أ وب: يقال: أو مضت المرأة: إذا سارقت النظر، وهو قوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلأَعْيُنِ ومَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾. (١٤) ضمنته: حوته.
(١٥) الاكنان: جمع كن، وهو ما يستتر فيه. (١٦) غيابات الغيوب: أعماقها.
(١٧) في هـ.ب: أي مالت.
(١٨) في هامش الأصل: جمع مصيخ: آلة السمع، وفي هامش الف: الموضع الذي يستمع به، وفي هامش ب: مسامع.
(١٩) في هـ.ص : بالكسر، عطفاً علىٰ السّر، وهي جمع مصيفة: ما يقام فيه في الصيف، وفي هـ ب: من الصيف. (٢٠) الذر: النمل.
(٢١) في هـ.ص : جمع مشتىٰ. (٢٢) رجع الحنين: ترجيعه وترديده.
(٢٣) في هـ.ص : فاقدات أولادهن، وفي هـ.ب: أي من الامهات التي فرّق بينها وبين وُلدها.
(٢٤) في هـ.ص : الحسن الخفي. (٢٥) في هـ.ب: أي متوسع.
(٢٦) في هـ.ص : جمع غلاف.
(٢٧) في ب ود: منقمع، وفي هـ. ص: التقمّع: الانقباض والتستر، وفي هـ.أ: منقمع الوحوش:

غِيرَانِ[١] ٱلْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِها، وَمُخْتَبَأَ[٢] ٱلْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ[٣] ٱلْأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِها[٤]، وَمَغْرِزِ ٱلْأَوْرَاقِ مِنَ ٱلْأَفْنانِ[٥]، وَمَحَطِّ ٱلْأَمْشاجِ[٦] مِنْ مَسَارِبِ ٱلْأَصْلَابِ[٧]، وَناشِئَةِ ٱلْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِها، وَدُرُورِ[٨] قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِها، وَمَا تَسْفِي ٱلْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا[٩]، وَتَعْفُو[١٠] ٱلْأَمْطَارُ بِسُيُولِها، وَعَوْمِ[١١] بَنَاتِ[١٢] ٱلْأَرْضِ[١٣] فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ ٱلْأَجْنِحَةِ بِذُرَى[١٤] شَنَاخِيبِ[١٥] ٱلْجِبَالِ، وَتَغْرِيدِ[١٦] ذَوَاتِ المَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ[١٧] ٱلْأَوْكَارِ[١٨]، وَمَا أَوْعَبَتْهُ[١٩] ٱلْأَصْدَافُ[٢٠] وَحَضَنَتْ[٢١] عَلَيْهِ أَمْوَاجُ ٱلْبِحَارِ، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ[٢٢] أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ[٢٣] شَارِقُ نَهارٍ، وَمَا ٱعْتَقَبَتْ[٢٤] عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ وَسُبُحَاتُ[٢٥]

← موالجها.

(١) في هـ.ب: جمع غار.

(٢) في هـ.ب: محل خفائها. (٣) في هـ.ب: جمع ساق.

(٤) في هـ.ص: جمع لحاء، وهو قشرة الشجرة.

(٥) الأفنان: الغصون.

(٦) في هـ.ص: جمع مشج، وهو المني، وفي هـ ب: أي منزل ماء الرجل والمرأة.

(٧) في هـ.ص: جمع مسرب، حيث يتسرب أي يسيل، وفي هـ ب: مسائل.

(٨) في هـ.ص: أي نزول، وفي هـ ب: الدرّ: السيلان.

(٩) في هـ.ب: أي ما تذر هذه الرياح. (١٠) في هـ.ب: تعفو: تدرس.

(١١) في أ: وعموم. (١٢) في ص وب: وط ود: نبات.

(١٣) في هـ.ص العوم: الغوص، وبنات الأرض: الهوام والحشرات تعوم في الأرض كما يغوص السابح في الماء، وفي هـ ب: أي عالم عوم نبات الأرض في الرمال، أي دخول الهوام والحشرات التي تكون في الأرض. (١٤) في هـ.ب: أي يعلىٰ.

(١٥) في هـ.ب: الشنخوب: رأس الجبل. (١٦) في هـ.ب: التصوّت بالغناء.

(١٧) في هامش الأصل: الديجور: الظلمة. وفي هامش ب: الظلمات.

(١٨) في هـ.ب: الأوكار: جمع وكر، وهو موضع الطير.

(١٩) أي جمعته، والمراد اللؤلؤ، وفي هـ ص في نسخة: اودعته وفي ب: وما وعته، وفي ط ود: وما أوعبته. (٢٠) في هـ.ب: أي عالم ما جمعته الأصداف.

(٢١) في هـ.ص: أي ضمته، كما يحضن الولد، وفي هـ.ب: حضنة البحار: السمك، وحضن الطائر بيضه.

(٢٢) في هـ.ص: بالضم والفتح، وفي هـ ب: أي ظلمتهٔ.

(٢٣) في هـ. د: وذر ـ ى ن، وفي هـ ص: أي مدّ عليه نوره، وفي هـ ب: أي ما طلعت عليه الشمس.

النُّورِ، وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ[٢٦]، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ[٢٧] كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ[٢٨]، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ[٢٩]، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرَارَةِ[٣٠] نُطْفَةٍ، أَوْ نُقَاعَةِ[٣١] دَمٍ وَمُضْغَةٍ. أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلاَلَةٍ. لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُلْفَةٌ. وَلَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ[٣٢] مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، وَلَا اعْتَوَرَتْهُ[٣٣] فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلاَلَةٌ وَلَا فَتْرَةٌ، بَلْ نَفَذَهُمْ[٣٤] عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُمْ عَدُّهُ[٣٥]، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ[٣٦] فَضْلُهُ مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، وَالتَّعْدَادِ[٣٧] الْكَثِيرِ، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ، وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ.

اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي[٣٨] فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ، وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ، وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ.

---

(٢٤) في هـ.ص : من العقبة، وهو التداول، وفي هـ ب: أي تعاقبت، يقال: اعتقب البائع السلعة من المشتري: حين يأخذ ثمنها.

(٢٥) في هامش الأصل: أي أجزاءه العظيمة الضخمة. وفي هامش ب: السبحات: الانوار، وسبحات وجهه: أي جلاله ونوره.

(٢٦) في هـ.ب: أي نفسٍ.

(٢٧) في هـ.ص : جمع همهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر، والظاهر انه يريد ترديد الخاطر بين فعل الشيء وتركه، لكن لابد ان يقارن هذا الخاطر صوت يردّد، فاستعير اسمه له.

(٢٨) في هـ.ص : الهامة: التي تهم، أي تريد، والله أعلم.

(٢٩) في ب: من ثمر كل شجرة.

(٣٠) القرارة: مقرّ النطفة.

(٣١) في هـ.ب، وفي نسخة: أو نقيعة دم، وفي هـ.ص : هي ما يجتمع ممّا له نون. وفي هـ أ : ما يجتمع فيه الماء، وفي هـ ب: نقاعة، فعالة كالنخالة والبراءة، يقال: نقع الدم الموضع الذي استنقع فيه، كما يقال للماء.

(٣٢) في ط: ابتدعه.

(٣٣) اعتورته: تداولته وتناولته.

(٣٤) في ط : نفذ فيهم، وفي هـ ب، وفي نسخة: نفذ فيهم.

(٣٥) في د: واحصاهم عدده، وفي أ وهـ. د: واحصاهم كتابه ـ ف، وفي هـ أ، وفي نسخة: واحصاهم عدّه.

(٣٦) في هـ.ب: أي سترهم.

(٣٧) في هـ.ص : مصدر عدد للتكثير.

(٣٨) في هـ.ص : أي آتيتني لساناً وفصاحة وسعة نطق.

اَللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثوبَةٌ مِنْ جَزَاء، وَعَارِفَةٌ[١] مِنْ عَطاءٍ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ[٢] اَلرَّحْمَةِ، وَكُنُوزِ المَغْفِرَةِ.

اَللَّهُمَّ وَهَذَا مَقامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهٰذِهِ اَلمحَامِدِ وَالمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وَبِي فاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَها إِلَّا فَضْلُكَ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِها إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ، فَهَبْ لي[٣] فِي هٰذَا المَقامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ اَلأَيْدِى إِلَى سِوَاكَ[٤]، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

* * *

قول الراوي: فغضب لذلك.

قال في الشرح: إنه إنما غضِب وتغيّر وجهه لقول السائل: «صِفْ لنا ربّنا مثل ما نراه عيانا»؛ وإذا هذا المعنى ينصرف وصية له بما أوصاه به من اتباع ما جاء في القرآن والسنّة؛ وذلك لأنَّ العلم الحاصل من رؤية الشيء عيانا، عِلمٌ لا يمكن أن يتعلّق مثله بالله سبحانه؛ لأن ذاته تعالى لا يمكن أن تُعْلَم من حيث هي هي؛ كما تعلم المحسوسات، ألا ترىٰ أنّا إذا علمنا أنه صانع العالم، وأنه قادر عالم حيّ سميع بصير مريد، وأنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عَرَض، وعلمنا جميعَ الأمور السلبية والايجابية المتعلّقة به، فإنما علمنا سُلوباً وإضافات؛ ولا شك أنّ ماهية الموصوف مغايرة لماهية الصفات، والذوات المحسوسة بخلاف ذلك؛ لأنّا إذا رأينا السّواد، فقد علمنا نفس حقيقة السوادلا صفة من صفات السواد.

وأيضاً فإنّا لو قدرنا أنّ العلم بوجوده وصفاته الإيجابية والسلبية، يستلزم العلم بذاته؛ من حيث هي هي لم نكن عالمين[٥] بذاته علما جزئياً[٦]؛ لأنّه يمكن أن يصدُق هذا العلم على كثيرين، على سبيل البدل؛ وإذا ثبت أنه يستحيلُ أن يصدُق على كثيرين على سبيل البدل، ثبتَ أنّه يستحيلُ أن يصدُق على كثيرين على سبيل الجمع والعلم بالمحسوس،

(١) في أ و ط: من جزاءٍ أو عارفة.
(٢) في هـ،ص : جمع ذخيرة، وهي هنا الأعمال الصالحة.
(٣) كذا في ص ، وفي أ وب وط ود: لنا.
(٤) في هـ،ص ، وفي نسخة: إلىٰ من سواك.
(٥) في ط: لم يكن عالماً.
(٦) في ط: علما جزئياً.

يستحيل أن يصدق على كثيرين لا على سبيل الجمع ولا على سبيل البدل، فقد بان أنّه يستحيلُ أن يعلم الله تعالىٰ كما يعلم الشيء المرئيّ عيانا، فأمير المؤمنين عليه السلام أنكر هذا السؤال كما أنكره الله تعالىٰ على بني إسرائيل لما طلبوا الرؤية[١]؛ انتهى[٢].

وأقول: لو اختصرنا العبارة، وقلنا: الحاصل من علم المشاهدة انطباع صورة المدرك في خيال المدرك، والصورة والشكل من خواص المحدثات، فهو مستحيل في حق الباري، فانكر عليه السلام توهم السائل للباري سبحانه، لان التوحيد: نفي التوهم.

ولعل الشارح أراد بالاضافات والسلوب: أقوال الواصفين التي هي مدلول لفظ صفةٍ حقيقية في حق الباري تعالىٰ، والله أعلم.

قوله عليه السلام: **«فانظر أيها السائل بعقلك ... إلىٰ آخر كلامه»**:.

أي ما وجدت الكتاب والسنة قد نطقا باطلاقه علىٰ الباري سبحانه، من وصفه بنحو كونه عالماً، قادراً، حياً، مريداً، سميعاً، بصيراً ـ من الاضافات ـ، وبنحو كونه ليس بجسم، ولا حالٍ، ولا في جهة ـ من السلوب ـ، التي أفادها قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٣] فاطلق ذلك الوصف علىٰ نحو اطلاقهما.

وما لم تجد الكتاب والسنة والائمة قد اطلقوه عليه من الوصف فلا تطلقه ولا تنظر فيه، فإنّما ذلك من الشيطان، ولكن كِلْ علمه إلىٰ الله، وامنع نفسك عن تكلّفه.

فاكتفِ مثلاً بما أفادك القرآن من ان الباري سبحانه ذات لا يشبهه شيءٌ من الذوات، ولا تنظر في ان تلك الذات علىٰ أية كيفية هي، كما تفعل المجسمة، بل أَلْهُ عن هذا بعد ان تقرر ان الكيفيات من لوازم الأجسام، والباري ليس بجسم، كما افادك القرآن، والله أعلم.

ثم انه ضرب مثالاً لكون الاقتصار علىٰ الجمل كافياً، والامتناع عن النظر فيما لا سبيل إلىٰ العلم بحقيقته واجباً، فقال: «ان الراسخين في العلم هم الذين قالوا: نحن نعلم ان تحت الآية المتشابهة معناً صحيحاً أراده الله، ولها مدلول ثابت ولكن ليس لنا طريق إلىٰ العلم به، فنحن لانخمنه ولا نتظنّاه، ولكن نعلم ان الباري سبحانه تعبّدنا بتلاوته وبالوقف

---

(١) البقرة ٢: ٥٥.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٠٥.
(٣) الشورى ٤٢: ١١.

عن النظر في تعيينه إلّا ان يأتي نص من جهة الرسول اتبعناه لأنّه من عند الله» ثم ذكر ان الله مدح أمرهم وقولهم، وسمّاه رسوخاً وسماهم راسخين.

وأعلم ان فائدة خلق الانسان في الدنيا وتكليفه هو الابتلاء لتمييز الراسخ من الزائغ، فلا منع ان يتعبدنا بالوقف عن اشياء من خصوصيات أقواله وأفعاله.

وقد نص الهادي: ان حكمة ورود المتشابه في القرآن الابتلاء والاختبار، وذكر الزمخشري: ان الواجب اعتقاد ان فعل الله مشتمل علىٰ حكمة وان لم نعلم خصوصيتها، فلم لا يكون حكم القول كذلك؟ والله أعلم.

قوله عليه السلام: «وأعلم ان الراسخين في العلم ... إلىٰ قوله: رسوخاً»:

أعلم ان كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل صريح في ان «الراسخون في العلم» ليس عطفاً علم اسم الله؛ بل هو مبتدأ، و «يقولون» خبره.

قال في الأساس وشرحه ـ رداً علىٰ من يقول بهذه المقالة ـ: فإن قالوا: إنّا لا ننكر انه يفهم منه معنىً يتبعه من في قلبه زيغ، ولكن معناه الذي أراده الله تعالىٰ لا يعلمه إلّا هو.

قلنا: خوطبنا به والحكيم لا يخاطب بما لا يفهم، لأنّه يكون عبثاً واغراءً بالقبيح، وهما قبيحان، انتهىٰ.

والجواب: لا يلزم عبث ولا اغراء بالقبيح، وذلك لأنّ الفائدة الابتلاء والتعبّد بتلاوة لفظه والامساك عن طلب خصوصية معناه.

وبذلك يفترق ذو الزيغ والراسخ في العلم. فالزائغ يطلب الخصوصية فيؤديه ذلك إلىٰ الضلال، والراسخ يقول: أعلم انه انزله ربنا الحكيم، فله معنىً صحيح، لكني اتوقف علىٰ توقيفه لي عليه.

فان ورد النص عن النبيّ صلى الله عليه وآله، أو عمّن حكمه حكمه كعلي عليه السلام وجماعة أهل بيته بتفسيره، صرت إليه؛ لأنّ هذا التفسير عن الله، وان لم يرد نص بذلك عن الله وعمّن قوله من جهته؛ امسكت عن النظر في الخصوصية.

وهذا هو معنىٰ «ما يعلم تأويله إلّا الله» وهذا هو المعلوم من حال الصحابة، انهم كانوا لا يتجاسرون علىٰ تفسير القرآن بآرائهم، ويدلّك علىٰ ان العلماء لا يعلمون تأويله انك

تراهم يذكرون في تأويل الآية المتشابهة أقاويل مختلفة، وقد تكون متنافية يعلم استحالة ان يريد الله جميعها، وأحدها المراد غيرُ متعيّن، فهو غير معلوم، وربما ذكر المتأخر خلاف ما قاله المتقدم، فظهر انه قول بالوهم لا بالعلم.

قوله عليه السلام: **«فاقتصر علىٰ ذلك»**:

أي علىٰ الايمان بالجمل، والاقتداء بالكتاب والسنة والائمة فيما تصف الله به من الأوصاف، ولا تقدّر عظمة الله علىٰ قدر عقلك، حتىٰ تزعم انك تعلم منه ما يعلم هو من ذاته، كما روي عن بعضهم: ان الله لا يعلم من نفسه إلّا ما يعلمه هو، فذلك غلوّ وتجاوز للحدّ المأذون فيه، فيكون سبباً للهلاك.

ثم ذكر ما دل القرآن عليه من صفته وبين ما قصرت عنه القوىٰ من حقيقة معناها وغايته بقوله: هو القادر ... إلىٰ آخره.

قوله عليه السلام: **«ما دلنا باضطرار قيام الحجة علىٰ معرفته»**:

أي ان النظر في شواهد الصنع، نظر في مقدمات تفضي إلىٰ العلم الضروري، وهذا مأخذٌ لقول أصحاب المعارف: الجاحظ ومن وافقه، الا ترىٰ إلىٰ قول الجاحظ في كتابه «العبر والاعتبار» فكر في كذا ... فكر في كذا؟

وقد أشار القاسم بن إبراهيم إلىٰ ذلك في مواضع من كلامه، وكلام امير المؤمنين عليه السلام يدل علىٰ اعتماد هذا الدليل في مواضع منه، بل هو الدليل الذي دلّ علىٰ النظر فيه الكتاب العزيز، وحاصله: ان اختلاف الصنع يدل علىٰ صانع مختار ضرورة.

قوله عليه السلام: **«وأشهد ان من شبهك ... إلىٰ آخره»**:

قال ابن أبي الحديد: ومعنىٰ هذا الفصل: انه عليه السلام شهد بأنّ المجسم كافر وانه لا يعرف الله، ومن شبه الله بالمخلوقين ذوي الأعضاء المتباينة والمفاصل المتلاحمة لم يعرفه ولم يباشر قلبه اليقين، بأنه لاندّ له ولا مثل، انتهىٰ[1].

وقال ميثم بن علي في موضع من شرحه: ان المشبّهين لله بخلقه ـ، وان اختلفوا في كيفية التشبيه ـ بأسرهم جاحدون له في الحقيقة، وذلك ان المعنىٰ الذي يتصورونه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٤١٤.

ويثبتونه إلٰهاً ليس هو إلّا نفس الإلٰه مع انهم ينفون ما سوىٰ ذلك، فكانوا نافين للآله الحق في المعنىٰ، فالمشبهون مثبتون له صريحاً جاحدون له لزوماً، انتهىٰ[1].

قلت: وهذا حقيقة النفاق ـ اعني كتم الكفر واظهار الإيمان، وقد صرح القاسم بن ابراهيم في كتاب «العدل والتوحيد» بان المشبّهين منافقون، قال في بعض كلامه فيه: فأما أهل العلم والإيمان ففسروها على غير ما قال أهل التشبيه المنافقون، انتهىٰ.

وروىٰ في كتاب «التقرير» في كتاب الزكاة ـ في باب ذكر من لا تحل له الزكاة ـ ما رسمه: قال القاسم: اولاد المشبهة الاصاغر منهم ونساءهم وبناتهم الذين لم يظهر منهم قول بالتشبيه يعطون ما يُعطىٰ أهل الملة، وإليه ذهب المنصور بالله، وهذا محمول علىٰ انهم ساكنون في دار الاسلام، فان كانوا في دار الحرب لم يجز بالاجماع من أهلنا ـ فيما أعلم ـ ، انتهىٰ.

قال: وحمل ابوطالب عليه كلام علماء العترة، ونقلاً عن تعليق الافادة رواية عن [المنصور] بالله والقاسم والهادي والناصر قال الامير الحسين: والمراد بذلك إذا كانوا في دار الإسلام، فان كانوا في دار الحرب فحكمهم حكم أهل الحرب، انتهىٰ.

أقول: ففحوىٰ هذا الكلام ومراده ان كفار التأويل يجري عليهم أحكام المنافقين، وهي انهم ما داموا بين المسلمين في دار الإسلام، فحكمهم انهم يعاملون معاملة المسلمين، ألا ترىٰ انهم جعلوا لاطفالهم حكم الاسلام؟ وكذلك لنسائهم مع ثبوت النكاح بينهم، بل هذا هو الظاهر من معاملة المسلمين لهم في كل الاقطار في كل عصر، وكأن مراد من قال: بأن الاجماع منعقد علىٰ ان حكمهم حكم المسلمين في الدنيا، وانما الخلاف في انهم هل يعذبون عذاب الكفار في الآخرة، كما روىٰ عن أبيالقاسم الكعبي والامام يحيىٰ بن حمزة[2]؟

---

(١) انظر شرح ميثم بن علي ١ : ٣٢٩.

(٢) في هـ. ص في هذا الموضع عدة هوامش نذكرها تباعاً كما يلي: قال في «الاساس وشرحه»: وقال ابوالقاسم البلخي: بل لهم في الدنيا حكم الفاسق من الدفن في مقابر المسلمين والمناكحة والتوارث، ولهم في الآخرة حكم الكفار في العقاب.

ويؤيده الكلام الذي طالب به أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج، فانه أثبت لهم جميع أحكام المسلمين ما لم يباينوا المسلمين، والأدلة علىٰ كفر الخوارج أظهر من النور، ولم يكن من جملة ذلك الا قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «يمرقون من الدين ـ أي يخرجون منه ـ كما يمرق السهم من الرمية»[1]. وقوله صلى الله عليه وآله: «هم شر الخلق والخليقة»[2]. وقوله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «من سبّك فقد سبني ومن سبني فقد سب الله»[3]، وسب الله ورسوله كفر. وقد لزمهم، وقوله صلى الله عليه وآله: «لا

← قال المنصور بالله في «الافادة» وذكر يحيىٰ في الأحكام ان رجلاً من الخوارج تكلم في مسجد علي عليه السلام، فقال له عليّ عليه السلام: اما ان لكم علينا ثلاثاً ما كان لنا عليكم ثلاث: لا نبدأكم بالقتال ما لم تبدؤنا، ولا نمنعكم نصيبكم من الفيء ما كانت ايديكم مع ايدينا، ولا نمنعكم مساجدنا ما كنتم علىٰ ديننا، أراد عليه السلام جملة الاسلام، لان القوم كانوا يكفّرون علياً عليه السلام، انتهىٰ.

وذلك مضمون قوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ... إلىٰ قوله: تَقْتِيلاً﴾ فحكمهم مع المساكنة خلاف حكمهم مع المنابذة، وبهذه الطريقة من المعاملة جرت سنّة الأئمة في كل عصر، والله أعلم.

وذلك كما جعل الله عداوة اليهود لجبريل عداوة لله وملائكته وكتبه ورسله، فهذه أحكام تتلقىٰ عن الله ورسوله، لانظر فيها، انتهىٰ.

ومما يدل علىٰ كفر ساب عليّ عليه السلام: ما رواه المرشد بالله عن زيد بن عليّ عليه السلام، انه قال في خطبته التي خطبها يوم خروجه: وقد كنت نهيتكم لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا علىٰ جريح ولا تفتحوا باباً مغلقاً، واني سمعتهم يسبون علي بن أبي‌طالب فاقتلوهم علىٰ كل وجه، انتهىٰ.

ويعضده ما رواه أصحابنا عن أبي‌حنيفة: انه كتب إلىٰ ابراهيم بن عبدالله: إذا ظفرت بآل عيسىٰ بن موسىٰ فلا تسر فيهم سيرة أبيك في أهل الجمل، ولكن سر فيهم سيرته في أهل صفين؛ فإنه قتل المدبر واجهز علىٰ الجريح، انتهىٰ.

ولا فرق بين أهل الجمل وأهل صفين، إلّا ان أهل صفين كانوا يسبّون عليّاً عليه السلام.

ويؤكد ما رووه عن ابن عباس انه سمع قوماً يسبّون علياً فجاء إليهم فقال: أيّكم الساب لرسول الله؟ فقالوا: أينا؟ فقال: أيّكم الساب علي بن أبي‌طالب؟ فقالوا: اما هذا فقد كان، فروىٰ لهم الحديث، فألزمهم سب الله ورسوله، وهذا لفظ الحديث أو هو معناه، والله أعلم.

وصرح الهادي في خطبة الاحكام بإكفار من لم يعتقد امامة عليّ عليه السلام، ورواه عن جده القاسم، فمن سبه فذلك اولىٰ بالاكفار، والله أعلم، انتهىٰ.

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٤٥ . (٢) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ١٧٦ .

(٣) انظر مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٣٢٣ وفيه عن أُمّ سلمة: سمعت رسول الله يقول: من سبّ عليّاً فقد سبّني.

يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»[١] وغير ذلك مما يكثر على النقل.

ان قيل: ان كفار التأويل مظهرون لما به كفروا، فيكونون مصارحين.

قيل في الجواب: انهم يتظاهرون بما يعدونه ايماناً، وانما لزمهم الكفر لزوماً من حيث ان المشبّهة اعتقدوا الخالق بصفة المخلوق، ونفوا الآهية غير المتصف بتلك الصفة، فلزمهم الجحد، والمجبرة نسبوا فعل القبيح والنقص إلىٰ الله، فلزمهم سب الله ووصفه بأنّه ظالم، مع انهم ينفونه ظاهراً.

والمرجئة لزمهم تكذيب القرآن والرسول وهم ينفونه ظاهراً.

والخوارج لزمهم سب الله والرسول وبغضهما، وهم ينتفون منه، والله أعلم.

قوله ﷺ: «ولم يستصعب إذا امر بالمضي علىٰ ارادته»:

قال في الأساس وشرحه: وصف الله تعالىٰ بانه مريد ثابت عقلاً وسمعاً:

أمّا عقلاً، فلأنّه خالق ورازق آمر، ومثل ذلك لا يصدر من حكيم من غير إرادة؛ إذ ما فعله غير المريد فليس بحكمة، والله سبحانه حكيم.

وأمّا السمع، فقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٢]، وقال الله سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللهَ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٣] وغير ذلك كثير.

وكذلك يوصف الله جلّ وعلا بأنّه كاره عقلاً وسمعاً:

اما العقل، فلأن الكراهة ضد الإرادة، فمن أراد شيئاً لزم منه ان يكره ضده، والحكيم لا يكره إلّا ما كان ضد الحكمة، ومن المعلوم انه لابدّ للحكمة من ضدٍّ، وإلّا لما علم كونه حكمة.

واما السمع، فقال سبحانه: ﴿وَلٰكِنْ كَرِهَ ٱللهُ انْبِعَاثَهُمْ ...﴾[٤] الآية، فإرادته: ادراكه بعلمه حِكَمِيَّة الفعل، أي علمه باشتمال الفعل علىٰ المفسدة، فالإرادة والكراهه علىٰ هذا راجعة إلىٰ معنىٰ الادراك، أي علم الله سبحانه بكون الفعل حكمة أو مفسدة.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١ : ١٢٨.
(٢) يٰس ٣٦ : ٨٢.
(٣) البقرة ٢ : ١٨٥.
(٤) التوبة ٩ : ٤٦.

وهو سبحانه لم يزل عالماً بذلك قبل وجود المعلوم، والمعلوم عند العقلاء أنّ ادراك المعلوم غير العالم وغير المعلوم، ولا يلزم من ذلك توطين النفس؛ لأنّ التوطين هو النية، ولا يشك العقلاء ان ادراك المعلوم هو غير النيّة وغير الضمير، فلا يلزم من ذلك ان تكون الإرادة عَرَضاً حالاً في غيره، انتهت النسخة المتأخرة[١]، ولعله عليه السلام نظر إلىٰ ما ذكره الامام يحييٰ في «الشامل»: والمختار عندنا ان معنىٰ الارادة في حق الله تعالىٰ هو علمه باشتمال الفعل علىٰ مصلحة، فإرادته لا فعاله تعالىٰ هو علمه باشتمالها علىٰ المصالح، فيفعلها. ومعنىٰ ارادته لفعل غيره هو امره بها. وأما كراهته فهي علمه باشتمال الفعل علىٰ مفسدة، وكراهته لفعل غيره هو نهيه عنه.

قال: ويدلنا علىٰ ما قلنا انا توافقنا انه لابد من الداعي إلىٰ الفعل في حقه تعالىٰ وهو علمه باشتمال الفعل علىٰ مصلحة، ولكن زعموا أنّه لابد من أمر زائد علىٰ هذا العلم يكون تابعاً له، وهو الذي يعنونه بالإرادة فنقول: كون الإرادة أمراً زائداً علىٰ الداعي لا يعقل إلّا أن يكون ميلاً في القلب وتشوّقاً من جهة النفس وتوقاناً من جهتها إلىٰ مرادها، وهذا المعنىٰ مستحيل في حقه تعالىٰ.

فقلنا: ان معنىٰ الارادة في حقه تعالىٰ ليس امراً زائداً علىٰ مجرّد الداعي وهو علمه باشتمال الفعل علىٰ مصلحة، واثبات أمر زائد علىٰ ما ذكرناه لا يعقل.

قال: وهذا الذي اخترناه في ارادته تعالىٰ هو مذهب الخوارزمي وأبي الحسين.

انتهىٰ كلام الامام يحييٰ، وهو معنىٰ كلام الأئمة المتقدّمين وان اختلف اللفظ؛ لأن مضمونه أنّه لا إرادة لله سبحانه غير علمه باشتمال الفعل علىٰ مصلحة.

فاطلاق اسم الارادة علىٰ ذلك كاطلاقه علىٰ المراد سواء سواء؛ لأن حقيقة الارادة في حقه تعالىٰ محال إلّا أنه لا ينبغي اطلاق اسم الداعي عليه[٢] تعالىٰ، لا يهامه الخطأ، والله

---

(١) الظاهر ان هذه النسخة في قبال نسخة الأساس المتقدّمة، التي سينقل عنها بعد صفحتين.

(٢) وذلك لأنه لما كان الداعي يساوي الغرض في حق المخلوق، والمتبادر من الغرض في حقه جلب النفع ودفع الضرر وكره استعمالهما في حقه تعالىٰ، ووجب التعبير عن مقتضي فعله بالحكمة، ولابدّ من مقتضى هو الذي صحّ التجوز عنه بلفظ الارادة في حقه باعتباره، والله أعلم.

العالم. انتهىٰ من شرح الاساس.

وقوله: هو معنىٰ كلام الأئمة المتقدمين وان اختلف اللفظ، لأنّ الواقع في عباراتهم ان الارادة هي المراد، ولفظ نسخة «الأساس»: الاولىٰ عند جمهور ائمتنا والبلخي والنظام أرادة الله سبحانه لخلقه المخلوق، ولأمر عباده نفس ذلك الأمر، ولنهيهم نفس ذلك النهي، ولإخبارهم نفس ذلك الخبر.

قال في شرحه: وهذا علىٰ سبيل المجاز سمي مراده إرادة، انتهىٰ.

فأراد باتفاق معنىٰ الكلامين أنّ الإرادة في حق الله مجاز، إمّا اطلاقاً لها علىٰ المراد الذي هو كالمسبب عن الإرادة الحقيقية في حق الشاهد؛ فان فعلنا صادر عن ارادتنا بشبه التسبيب.

واما اطلاقاً علىٰ ما يقتضي ايقاع الفعل الذي هو كالسبب الارادة؛ لأنّه في الشاهد اعتقاد رجحان الفعل علىٰ الترك، فهي في التقدير مجاز، كما ان الرحمة والغضب في حقه مجاز، ويعتبر في كل مورد من المجازين ما كان أقرب وأنسب.

ويجمع القولين: ان تجعل الارادة في حقه تعالىٰ عبارة عن ترجيح الفعل علىٰ الترك، والكراهة عبارة عن ترجيح الترك علىٰ الفعل، فان الترجيح ينبيء عن السبب والمسبب.

وأراد الامام القاسم بالإدراك: أحد معاني لفظ العلم؛ فإنّه يطلق علىٰ العالم وعلىٰ المعلوم وعلىٰ تبيين العالم للمعلوم وهو المعبر عنه بالادراك، والله أعلم.

وقول شارح الاساس: ان اطلاق الداعي يوهم الخطأ.

وجدت في شرح ميثم بن علي في بعض المباحث:

والباري تعالىٰ لا يجوز ان يفعل لغرض؛ لأن الغرض والقصد ان كان أولىٰ به لذاته كانت ذاته مستكملة بتلك الأُولوية ناقصة بعدمها ـ هذا محال ـ، وان لم تكن اولىٰ به كان ترجيحاً من غير مرجح.

ثم لا يجوز ان يكون اولىٰ بالنظر إلىٰ تلك الاولوية وعدمها ان كانا بالنسبة إليه علىٰ سواء، فلا ترجيح، أوْ لا علىٰ سواء، فيعود حديث النقصان والكمال.

فكان الله تعالىٰ منزها عن الفعل علىٰ هذا الوجه، بل إنّما يصدر منه علىٰ وجه الابداع

بجوده المحض، وفي هذه المسألة بحث طويل ليس هذا موضعه، انتهىٰ[١]. والله أعلم.

قوله عليه السلام: **«ونحوسها وسعودها»:**

قال في الشرح: فإن قلت: ما باله عليه السلام قال: «ونحوسها وسعودها»، وهو القائل لمن أشار عليه ألاّ يحارب في يوم مخصوص: «المنجّم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار»[٢].

قلت: إنه عليه السلام إنما أنكر في ذلك القول عَلَى مَنْ يزعم أن النجوم مؤثرة في الأُمور الجزئية، كالذين يحكمون لأرباب المواليد وعليهم، وكمن يحكم في حَرْب أو سلم، أو سفر أو مقام، بأنه للسعد أو النحس، وأنه لم ينكر على من قال: إنّ النجوم تؤثّر سعوداً ونحوساً في الأُمور الكلية، نحو أن تقتضي حَرّاً أو بردا، أو تدلّ على مرض عامّ أو قحط عام، أو مطر دائم، ونحو ذلك من الأُمور التي لا تخصّ إنساناً بعينه، وقد قدمنا في ذلك الفصل ما يدل على تصويب هذا الرأي، وإفساد ما عداه، انتهىٰ[٣].

قوله عليه السلام: **«منهم من هو في خلق الغمام الدلح ... إلىٰ آخره»:**

في هذا الكلام دليل علىٰ ان الملائكة أجسام عظام ملوّنة بألوان مختلفة من السواد والبياض وغيرهما من الألوان، كما جاء في الخبر في صفة جبريل عليه السلام: «ان له جناحين في أقصىٰ المشرق وآخرين في المغرب وآخرين قد رفعهما في الهواء، وان لون هٰذه الأجنحة الخضرة».

وجاء في الخبر: «ان لاسرافيل جناحين احدهما في اقصىٰ المشرق والآخر في أقصىٰ المغرب وان العرش علىٰ كاهله وانه ليتضائل أحياناً لعظمة الله حتىٰ يعود مثل الوضع ـوهو العصفورـ، ولا يلزم عليهم ان يُروا مع حضورهم؛ لأنّ من موانع الرؤية ردع الأبصار عن رؤية من تصح رؤيته، كما في حق الجن.

فإنّ الأخبار والآثار تدل صريحاً علىٰ ان رؤيتهم ممكنة، لولا المنع الرباني للمصلحة والبلوىٰ، وكما ردع الله أبصار بعض الظالمين عن رؤية بعض الصالحين كما ورد في قصة

(١) أُنظر شرح ميثم بن علي ٢ : ١٧٥ . (٢) نهج البلاغة، الخطبة : ٧٩ .
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٢٣ .

النبيّ ﷺ مع أمّ جميل ـ امرأة أبي لهب ـ، وقصته مع الذين مكروا به ليلة الهجرة.

وكما دلّ علىٰ أن أجسام الملائكة كما ذكرنا، دل علىٰ بطلان قول المعتزلة ان الملائكة اجسام لطاف غير ملونة وانها شفّافة يخرقها البصر، فان كونها سوداً وخضراً يمنع كونها شفافة؛ فإن الشفّاف لا يكون أسوداً ولا أخضراً.

ثم ان المحتضر وأهل الآخرة يرونهم بنصّ القرآن، أفبحاسة أُخرىٰ أو بتبديل اجسامهم؟ وكذلك قد رآهم كثير من الصحابة .

واحسب ان الحامل للمعتزلة علىٰ هذه المقالة اعتمادهم في نفي رؤية الباري علىٰ دليل الموانع، فتحرّزوا من انتقاضه، والدليل الصحيح دليل المقابلة، والله أعلم.

قال ابن أبي الحديد ـ بعد ان أورد هذا الفصل في ذكر الملائكة ﷺ إلىٰ آخره ـ: هذا موضع المثل: «إذا جاء نهرُ الله بطل نهر مَعْقِل»[1]! إذا جاء هذا الكلام الربانيّ، واللفظ القدسيّ، بطلَتْ فصاحة العرب، وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه، نسبةَ التراب إلى النُّضَار الخالص؛ ولو فرضنا أنّ العرب تقدِرُ على الألفاظ الفصيحة المناسبة، أو المقاربة لهذه الألفاظ، من أين لهم المادّة التي عبَّرت هذه الألفاظ عنها؟ ومن أين تعرف الجاهلية، بل الصحابة المعاصرُون لرسول الله ﷺ هذه المعاني الغامضة السمائية، ليتهيّأ لها التعبير عنها!

أما الجاهلية، فإنهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش، أو ثور فلاة، أو صفة جبال أو فلوات؛ ونحو ذلك.

وأما الصحابة، فالمذكورون منهم بفصاحةٍ إنما كان منتهَى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة، إمّا في موعظة تتضمّن ذكر الموت أو ذمّ الدنيا، أو ما يتعلق بحرب وقتال؛ من ترغيب أو ترهيب؛ فأمّا الكلامُ في الملائكة وصفاتها، وصُورها وعباداتها، وتسبيحِها ومعرفِتها بخالقها وحبِّها له، وولهها إليه، وما جرى مجرى ذلك مما تضمّنه هذا الفصل على طوله، فإنّه لم يكن معروفاً عندهم على هذا التفصيل؛ نعمْ ربما

---

(١) نهر معقل: منسوب إلىٰ معقل بن يسار بن عبدالله المزني؛ ذكر ياقوت عن الواقدي أن عمر أمر أباموسى الأشعري أن يحفر نهراً بالبصرة وأن يجريه على يد معقل بن يسار، فنسب إليه.

علموه جملة غير مقسّمة هذا التقسيم، ولا مرتبة هذا الترتيب؛ بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم؛ وأما مَنْ عنده علم من هذه المادة، كعبد الله بن سلاَم وأمّية بن أبي الصَّلْت وغيرهم؛ فلم تكن لهم هذه العبارة، ولا قَدَرُوا على هذه الفصاحة، فثبت أنّ هذه الأُمور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة، لم تحصل إلا لعليّ وحده.

وأُقسِم أنّ هذا الكلام إذا تأمّله اللبيب اقشعرّ جلده، ورجَفَ قلبُه، واستشعر عظمةَ الله العظيم في روعه وخَلده، وهام نحوه، وغلب الوجد عليه؛ وكاد ان يخرج من مُسْكه شوقاً؛ وأن يفارق هيكله صَبابة ووجدا[1].

ويقول له: إنه لم يُعْفِ ما شيّدْتُ من معالم التوحيد، بل أخرج الله تعالىٰ لك من ظهري ولد ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب ما لم تبتدعْه أنت في جاهلية النَّبَط. بل لو سمع هذا الكلام أرسطوطاليس، القائل بأنه تعالىٰ لا يعلم الجزئيّات؛ لخشع قلبُه وقَفّ شعرُه، واضطربَ فكره؛ ألا ترى ما عليه من الرُّواء والمهابة، والعظمة والفخامة، والمتانة والجزالة! مع ما قد أُشربَ من الحلاوة والطُّلاوة واللطف والسلاسة؛ لا أرى كلاما يشبه هذا إلاّ أن يكون كلامَ الخالق سبحانه، فإنّ هذا الكلام نَبْعةٌ من تلك الشجرة، وجدول من ذلك البحر، وجَذْوة من تلك النار؛ وكأنه شَرْح قوله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[2]، انتهىٰ[3].

---

(١) شرح أبن أبي الحديد ٦: ٤٢٦.

(٢) الأنعام ٦: ٥٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٤.

[٩١]

ومن كلام له عليه السلام لما أُريد[1] على البيعة بعد قتل عثمان:

دَعُونِي[2] وَالْتَمِسُوا غَيْرِي[3]؛ فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ[4]؛ لاَ تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ[5]، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ.

وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ[6] رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ؛ وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ، وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ؛ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً!

* * *

هذا الكلام منه عليه السلام لما لم يظهر له جِدّهم في نصرته واجتماعهم على بيعته، وكان يظن ان عذره الاول في القعود عن القيام بأُمور الامامة قائم ثابت، بل زاده زهادة في ولايتهم ما علمه من انكارهم لطريقة العدل والفهم لطريقة الجور، وهو مع ذلك كاره لتولّي امور المسلمين لعلمه بخطره وعظيم تكليفه، فلا يدخل فيه الا مع لزوم الحجة له وتبين لهم انه لا يعمل الا بما علمه حقاً لوجوب العمل به عليه، وإذا عمل غيره بخلافه لم يلزمه في ذلك حجة؛ لعدم استكمال شرائط وجوب النهي عن المنكر، فهو عليه السلام يتطلب ما يسقط عنه

---

(١) في ب وط : لما أراده الناس. (٢) في هـ.ب: أي اتركوني.

(٣) في هـ.ب: أي اطلبو غيري.

(٤) في هـ.ب: أي ان رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني عن جبرئيل عن الله: ان إذا بايعتموني [فإنّا] نستقبل امراً عظيماً هائلاً له وجوه مختلفة وأنواع متفاوتة، لا تقوم له القلوب، ويزل العقلاء فيه مثل الناكثين والقاسطين والمارقين، وان نواحي الاسلام قد اظلمت بغيوم ظلم بني أُمية.

(٥) وفي هـ.ص : أغامت كناية عن الشبهة واللبسة.

(٦) في هـ.ب: ثم قال: إن أجبتكم فبثلاثة شروط، أحدها: ان أعمل بكتاب الله فيكم، ولن يكون لكم قول فيما يحدث من الاحكام، بل جميع ذلك موكول إلىٰ الله، وإذا قضيت بقضية لا تطيقون عليَّ فيها، فإمّا أن تتركوني علىٰ ما كنت بعد رسول الله، أو أكون وزيراً عن رسول الله كما كان.

تكليفه ويعذره عذر الله، فلما لزمته الحجة لما رأىٰ من جدهم في نصرته ورغبتهم في بيعته قام بما أمره إليه من النظر في أُمور المسلمين.

وهذا لا ينافي كونه منصوصاً عليه وثابت الامامة وواجب الطاعة، لأنّ النظر في الأُمور وثبوت الامامة، غير ان يجتمعان ويفترقان، وهذه الوجوه الصارفة له عن مبايعتهم قد ذكرها في مواضع من كلامه، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «**والمحجة قد تنكّرت**»:

يعني طريقة النبيّ صلى الله عليه وآله قد تغيرت بمخالفة الولاة له في السيرة، وأنا لا أعمل إلّا بسيرته فلا تقبلونها مني، وهو ـ عليه السلام ـ كان يذكر عمن ولي الامر قبله انهم خالفوا الشريعة في اشياء، فحيث يجب عليه العمل والحكم فيها لا يعمل إلّا بما يعلمه، وحيث تولىٰ الحكم غيره سكت عنه، وهذا معنىٰ قوله: «لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيّرت أشياء»[1].

قوله عليه السلام: «وأنا لكم وزيراً خير مني لكم أميراً»:

أي ان بلواهم به مع امارته اعظم من بلواهم مع وزارته، ألا ترىٰ أن بعضهم حاربه، وبعضهم قعد عنه، ومع وزارته الفتنة مختصة بمتولي الأمر.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة: ٢٧٢.

[٩٢]

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدَ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّا[١] فَقَأْتُ[٢] عَيْنَ ٱلْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيءَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا[٣]، وَٱشْتَدَّ كَلَبُهَا[٤].

فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونَنِي[٥] عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ[٦]، وَلاَ عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ[٧] بِنَاعِقِهَا[٨] وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً.

وَلَوْ قَدْ[٩] فَقَدْتُمُونِي، وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ[١٠] ٱلْأُمُورِ، وَحَوَازِبُ[١١] ٱلْخُطُوبِ، لَأَطْرَقَ[١٢] كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ المَسْئُولِينَ؛ وَذَلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ[١٣] حَرْبُكُمْ، وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ؛ وَضَاقَتْ[١٤] ٱلدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً، تَسْتَطِيلُونَ أَيَّامَ ٱلْبَلاءِ عَلَيْكُمْ، حَتَّى يَفْتَحَ ٱللهُ لِبَقِيَّةِ الأَبْرَارِ مِنْكُمْ[١٥].

---

(١) في ط: اما بعد حمد الله والثناء عليه، أيّها الناس فاني، وفي هـ. د: اما بعد حمد الله والثناء عليه، ايها الناس فإني ـ ح .

(٢) في هـ.ب، وفي نسخة: فقد فقأت.

(٣) في هـ.ص : هو الظلمة، أي تحركت الظلمة وانتشرت في الافاق، وفي هـ ب: أي ظلمتها.

(٤) في هـ.ص : أي شرها، وفي هـ ب : أي شدتها.

(٥) في ب ود: لا تسألوني.

(٦) في هـ.ب: أي القيامة.

(٧) في أ وط ود: أنبأتكم.

(٨) في هـ.ص : أي داعيها، من نعق الراعي إذا صاح بالماشية لتتبعه، وفي هـ ب: صوّت لها.

(٩) في هـ. د: ولقد ـ م .

(١٠) الكرائة: جمع كريهة.

(١١) في هـ.ب: الحوازب: الموانع، ويقال: جمع حازب، وهو الأمر الشديد.

(١٢) في هـ.ب: نكّسوا رؤسهم.

(١٣) في هـ.ب: ارتفعت وشمّرت، من قولهم: فرس مقلص مشمّر، أي: طويل القوائم، يقال: قلص الشيء وقلص: أي انضم، وقلص الطائر أي ارتفع.

(١٤) في ب وط: وكانت.

(١٥) في هـ.ب: البقية الأبرار منكم، يعني امام الوقت صاحب الزمان.

إِنَّ ٱلْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ[١]، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ؛ يُنْكَرْنَ مُقْبِلاَتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ[٢] يُصِبْنَ بَلَداً، وَيُخْطِئْنَ بَلَداً.

أَلَا وَإِنَّ أَخْوَفَ ٱلْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ؛ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ، عَمَّتْ خُطَّتُهَا[٣]، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ ٱلْبَلاَءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ ٱلْبَلاَءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا.

وَآيْمُ ٱللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ[٤] ٱلضَّرُوسِ[٥]، تَعذِمُ[٦] بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا[٧]، وَتَزْبِنُ[٨] بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا[٩]، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّىٰ لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلاَّ نَافِعاً لَهُمْ؛ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ.

وَلَا يَزَالُ بَلاَؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ ٱنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ ٱلْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ؛ وَٱلصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ[١٠] شَوْهاءَ[١١] مَخْشِيَّةً[١٢]، وَقِطَعاً[١٣] جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلَا عَلَمٌ يُرَىٰ، نَحْنُ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ[١٤]، وَلَسْنَا فِيهَا

---

(١) في هـ ب: أي اشبهت.

(٢) في ص : حوم الحمام، وفي هـ ص ، وفي نسخة: الرياح.

(٣) في هـ.ب: أي خصلتها.

(٤) في هـ.ص وب: هي المسنة من الابل.

(٥) في هـ.ص وب: الضروس السيئة الخلق.

(٦) في هـ. ب و ص: أي تعضّ، وفي هامش ب: تعدم من العدم، وهو العض والأكل بخفاء.

(٧) في ب: بيديها، وفي هـ ب، وفي نسخة: بيدها.

(٨) في هـ ص : أي تدفع بها، يقال: زبنت الدابة إذا ضربت بثفنات رجلها عند الحلب، فالزبن: الضرب بالثفنات.

(٩) في هـ ب: لبنها، وفي هـ ص : يشير إلىٰ انهم يستأثرون بالأموال.

(١٠) في أ وب ود: فتنهم، وفي هـ ب، وفي نسخة: فتنها، وفي هـ. د: ترد عليهم فتنتهم ـ م ض ح .

(١١) في هـ.ص : أي قبيحة المنظر، تمثيلاً بشناعتها، وفي هـ. ب: قبيحة متنكرة، يقال: فرس شوهاء، يراد به سعة أشراقها، وشاهت الوجوه: أقبحت.

(١٢) مخشية: مخوفة مرعبة.

(١٣) في الف وط وب ود: قِطَعاً، وفي هامش الأصل: أي لا أصل لها من الدين، وهي من أمر الجاهلية، وفي هامش ب: أي متنكرة متعوّرة مقطوعة اليد.

(١٤) في هـ.ص : أي ناجون من أمرها الأُخروي.

بِدُعَاةٍ[١]، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ، بِمَنْ يَسُومُهُمْ[٢] خَسْفاً، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ[٣] لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ[٤] إِلاَّ الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَوَدُّ[٥] قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي[٦] مَقاماً وَاحِداً، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ[٧]؛ لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ ما أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلاَ يُعْطُونَنِيهِ.

* * *

قوله عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني»:

روى صاحب كتاب "الاستيعاب" وهو أبوعمر محمد بن عبد البر عَنْ جماعةٍ من الرواة والمحدّثين، قالوا: لم يقلْ أحدٌ من الصحابة رضي الله عنهم: «سَلُوني» إلا علي بن أبي‌طالب. وروى شيخنا أبوجعفر الإسكافي في كتاب "نقض العثمانية" عن علي بن الجَعْد، عن ابن شُبْرمة، قال: ليس لأحد من الناس أن يقول عَلَى المنبر: «سَلُوني» إلا عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام، انتهىٰ من شرح ابن أبي الحديد[٨].

قوله عليه السلام: «ولا عن فئة»:

والفئة: الطائفة؛ والهاء عوض من «الياء» التي نقصت من وسطه؛ واصله «فيء» مثال «فيع» لأنه من فاء.

---

(١) في هـ.ب، وفي نسخة: برعاة، وفي هـ. ص: أي لا ننصرها ولا ندعو إليها، وفي هـ ب: دعاة جمع داع.

(٢) في هـ.ب: أي يذلهم ويهينهم.

(٣) في هـ.ص : أي ممزوجة بالصبر، ويجوز ان يريد مملوءة، من قولهم: ملأ الدلو إلىٰ أصبارها، وفي هـ.ب: من الصبر.

(٤) في هـ.ص : الحلس: كساء رقيق يجعل تحت البردعة، أي: يلزمهم الخوف، وفي هـ.أ : احلست فلاناً كذا إذا ألزمته ذلك، وأصله من الحلس، ومنه يقال: فلان حلس بيته: إذا لزمه، وهم احلاس الخيل: إذا لزموا ظهورها، وفي حديث الشعبي ـ حين عاتبه الحجاج على خروجه مع ابن الاشعث ـ استحلسنا الخوف، يقال استحلس فلاناً الخوف إذا تقارفه يقول: كأنا استشهدنا الخوف، وفي هـ ب: أي يلبسهم، واحلس: لزم بيته.

(٥) في هـ.ب: أي تحب.

(٦) في هـ. د: لو يروني ـ هـ ن ر.

(٧) في هـ.ب: قتل، يقال لما يَقِلُّ [وقته] كأنّه يكون بقدر جزر جزور، والجزر في الابل كالذبح في الغنم، ويقع به علىٰ الذكر والانثىٰ.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٤٥٠.

وقوله عليه السلام: «تهدي مائة»:

أي تكون سبب هدىً مئة وضلال مئة، أي ضلال كثير واهتداء كثير، ولم يرد خصوصية هذا العدد.

قوله عليه السلام: «عمّت خطتها»:

الخطة ـ بالضم ـ: الأمر العظيم، والقصة، وذلك لأنّها رئاسة عمّت الأُمة وأجرت أحكام الضلالة في الآفاق. وخصت بليتها: أي ضررها العاجل، وذلك لأنّ حظ أهل البيت وشيعتهم من ضرّها أعظم ونصيبهم منه أوفر، واصاب البلاء من أبصر فيها: أي استبصر وعمل لله بما يجب من منابذتهم[1] ومباينتهم ناله أشد البلاء، ومن عمي ورضىً فتنتهم أو دخل فيها اخطأه بلاءها العاجل ومصائبها، وقد وقع الأمر كما ذكر عليه السلام؛ فإنّ أهون مصائب من استبصر أن منعوه سهمه من أموال الله وجفوه وصغّروه.

(١) كذا في ص، والمراد: منابذة أهل البلاء.

[٩٣]

و من خطبة له ﷺ:

فَتَبَارَكَ ٱللهُ[١] ٱلَّذِى لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ ٱلْهِمَمِ. وَلَا يَنَالُهُ حَدْسُ[٢] ٱلْفِطَنِ. ٱلْأَوَّلُ ٱلَّذِى لَا غَايَةَ فَيَنْتَهِي. وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِي.

منها فِي وَصْفِ الأَنْبِياءِ:

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ[٣] كَرَائِمُ ٱلْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ ٱلْأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ ٱللهِ خَلَفٌ، حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْمَعَادِنِ مَنْبِتاً[٤]، وَأَعَزِّ ٱلْأَرُومَاتِ[٥] مَغْرِساً، مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي صَدَعَ ٱللهُ[٦] مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَٱنْتَجَبَ[٧] مِنْهَا أُمَنَاءَهُ، عِتْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ[٨] فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ[٩]، فَهُوَ إِمَامُ[١٠] مَنِ ٱتَّقَى، وَبَصِيرَةُ مَنِ ٱهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْءُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ ٱلْقَصْدُ[١١]، وَسُنَّتُهُ ٱلرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ ٱلْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ ٱلْعَدْلُ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ[١٢] مِنَ ٱلرُّسُلِ، وَهَفْوَةٍ عَنِ ٱلْعَمَلِ[١٣]، وَغَبَاوَةٍ مِنَ

---

(١) في هـ.ب: تبارك العلم في خزائن الله.

(٢) في أ وط: حسن، وفي هـ ص : أي ظنّها وتخمينها، وفي هـ.ب: ألحدس والظن والتخمين واحد.

(٣) في ط: تناسخهم. وفي هـ ب: أي تناسلتهم وتناقلتهم.

(٤) في ب: منصباً، وفي هـ ب، وفي نسخة: منبتاً.

(٥) في هامش ب: الاروماتْ: الاصول.

(٦) لم ترد لفظة الجلالة في أ وب وط ود.

(٧) في ط وهـ. د: وانتخب ـ ض ن .

(٨) في هـ.ب: أي ارتفعت وطالت.

(٩) في ط ود: وثمرة لا تنال، وفي ب: وثمره لا ينال.

(١٠) في هـ.ب، وفي نسخة: وثمال من اتقىٰ، أي ملجأً.

(١١) القصد: الاستقامة.

(١٢) الفترة: الزمان بين رسولين.

(١٣) في هـ.ب: هفوة، أي: سقط.

ٱلْأُمَمِ.

ٱعْمَلُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ[١] يَدْعُو[٢] إِلَى دَارِ ٱلسَّلَامِ، وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ[٣] عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ، وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَٱلْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَٱلْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَٱلتَّوْبَةَ مَسْمُوعَةٌ، وَٱلْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.

* * *

قوله عليه السلام: «**فتبارك الذي لا يبلغه بعد الهمم**»:

قال في الشرح: أي بعد الافكار والانظار، عبر عنها بالهمم لمشابهتها إيّاها، انتهىٰ[٤].

ويمكن أن يقال إنّه من باب اضافة مصدر الصفة إلىٰ الموصوف، أي الهمم البعيدة المذهب الجلدة في نيل المطلب، أي ليس العلة في عدم ادراكه التقصير حتىٰ يدركه من جدّ وبعدت همته، بل لان ادراك حقيقته محال، والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «**فينتهي، ولا آخر له فينقضي**»:

أي ليس وجوده زمانياً فينتهي وجوده في آخر زمانه، ولا هو مترتّب الوجود بأن يثبت أوّله قبل آخره فينقضي عند تمام آخره فالفاء للزّوم الجاري مجرىٰ التسبيب، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «**كلما مضىٰ سلف قام منهم بدين الله خلف**»:

هذا بيان مصلحة بعث الرسل من كلام الامام القاسم بن ابراهيم أورده في جوابه علىٰ الملحد الذي اسلم علىٰ يده.

قال الملحد: ما الدليل علىٰ أن الصانع له رسول؟

قال القاسم: الدليل علىٰ ذلك ان الصانع حكيم محسن إلىٰ خلقه، وفي العقل ان شكر المنعم واجب، فلما كان هذا في عقولنا واجباً، وكان الله حكيماً منعماً علىٰ خلقه، كان من

---

(١) في هـ.ب: أي واضح. (٢) يدعو: يوصل.

(٣) في هـ.ص : هو مصدر ميمي، استعتبته أي أزلت عتبه، أي يمكنكم فيها استرضاء الخالق سبحانه وازالة عتبه ـ أي سخطه ـ بالتوبة النصوح، وفي هـ.ب: يقال اعتبته واستعتبته: أي ارضيته واسترضيته، والمستعتب: طالب الرضا، وهو مصدر ها هنا.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٦١.

كمال النعمة ان ارسل إليهم الرسل، مع دلائل اضطرت العقول عندها لتبين لهم كيفية شكره، لان كيفية شكره ليس مما يعلم بالفعل، ولا بالنفس ولا بالحس ولا بالظن، وان كان في العقل جوازه، فحينئذٍ اقام لهم معهم دلائل ومعجزات دل بها علىٰ صدقهم[1].

قال الملحد: كأنك تقول: ان شرائع الأنبياء خارجة عن العقول، إذ قلت: لا نعلم كيفيتها؟

قال القاسم: أما قولك ان شرائع الرسل خارجة عن العقول إذ ليس فيها كيفيتها، فاني لم اقل لك ليس فيها كيفيتها بَتَّةً، بل اشترطت فقلت: انه وان لم يكن فيها كيفيتها ففيها جواز كونها.

قال الملحد: وكيف ذاك؟

قال القاسم: هو مثل ما نعرفة في الشاهد، وذلك لو ان سيداً أمر عبده ببناء دار، أو قطع شجرة أو إعطاء عبدالله، أو ضرب زيد، فانه ليس في العقل ان السيد يأمر به، فإذا أمر به، كان في العقل ان الائتمار به حسن، وان تركه قبيح؛ إذ كانت لامر سيده عاقبة محمودة، ومرجع نفع إلىٰ العبد، فالعقل يجوز الأمر بكل شيء علىٰ حياله، ولا يوجب شيئاً من ذلك دون شيء، إذا كان ذلك الأمر ممّا ينتقل حاله في العقل، وذلك انه قد يكون المشي إلىٰ موضع ما حسناً في العقل، إذا كان للمشي معناً حسناً، فاما اللواتي يدرك حكمها في العقل فقد ادرك ان الآمر بها لا يأمر الا بما هو حسن ولا ينهىٰ الا عما هو قبيح عنده.

قال الملحد: فحدّثني عن الصلاة والصيام وغيرها من الشرائع، هل له أصل في العقل تفرّع هذا منه.

---

(١) في هـ. ص : ويمكن تحرير كلام القاسم بما يلي: لا شك بان النعم الموجوده لدنيا من السمع والبصر والعقل ليست هي منّا، بل هي من الله، ولمّا وجب بدليل العقل لزوم شكر المنعم، ولزم ان يكون الشكر بما يليق بحال المنعم، إذ كل منعم له حال خاص، ولابدّ أن يكون الشكر لائقاً به، وحيث اننا لا نعرف ما يليق بالله من الشكر إلّا بالشكل الذي يبينه هو ويدلّنا عليه بنفسه، وحيث ان الله لا يمكن ان يكلّمنا بصورة مباشرة لعدم قدرتنا علىٰ تحمل هذا المقام العظيم، فلابدّ أن يرسل رسلاً ويجعلهم واسطة لإبلاغنا كيفية الشكر، وهؤلاء الرسل هم الأنبياء.

قال القاسم: أجل قد أخبرتك آنِفاً، وهو كالأمر بالمشي إلىٰ موضع مّا، وكضرب زيد واعطاء عبدالله، ليس له في العقل أصل أكثر من الائتمار لأمر الحكيم، ووجه الحكمة فيه أنّ الآمر إنما يأمر به لينظر هل يأتمر به المأمور فيجازيه لذلك لا سيما إذا كان الآمر مستغنياً غير محتاج إلىٰ ما أمر به، وانما يأمرهم ليمتحنهم وليظهر بذلك أعمالهم، فإنّ الأمر به حسن وعلىٰ ذلك سبيل الشرائع.

قال الملحد: خبّرني عن كيفية معجزاتهم؟[1]

قال: هو قلب العادات وان لا يترك العادات جارية علىٰ مجراها، فإذا جاء أحدهم قال له قومه ما الدلالة علىٰ صدقك؟ قال: الدليل ان الله يقلب عادتهم في كذا وكذا إلىٰ كذا وكذا، فحينئذٍ يعرفون صدقه ويضطرون إلىٰ قبول قوله، وهذه سبيل المعجزات كلها وبمثل ذلك يعرف الفرق بين النبي والمتنبيء والصادق والكاذب، انتهىٰ.

---

(١) في هـ. ص : وهذا الكلام تأصيل ان حكمة شرع الشارع للشرعيات ابتلاء طاعة العباد ليمتازوا باعتبارها كما افادته النصوص والقرآن، فتحقق حقائق الحق لتنفعك، والله أعلم، انتهىٰ.

[٩٤]

ومن خطبة له عليه السلام:

بَعَثَهُ وَٱلنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ[١] فِي فِتْنَةٍ، قَدِ ٱسْتَهْوَتْهُمُ[٢] ٱلأَهْوَاءُ، وَٱسْتَزَلَّتْهُمُ[٣] ٱلْكِبْرِيَاءُ[٤]، وَٱسْتَخَفَّتْهُمُ[٥] ٱلْجَاهِلِيَّةُ ٱلْجَهْلاَءُ[٦]؛ حَيَارَىٰ[٧] فِي زَلْزَالٍ[٨] مِنَ ٱلأَمْرِ، وَبَلاَءٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ؛ فَبَالَغَ صلى الله عليه وآله فِي ٱلنَّصِيحَةِ، وَمَضَىٰ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى ٱلْحِكْمَةِ، وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ[٩].

---

(١) في أ: خاطبون، وفي ب: خاطئون، وفي هـ ب، وفي نسخة: خابطون، وفي هـ. د، وفي نسخة: خابطون ـ ض ل ك وهامش م، وفي هـ ص: يروىٰ حاطبون ـ بالحاء المهملة وبالباء الموحدة بعد الطاء ـ أي جامعون بين الحسن والقبيح، فقيل للجامع بين الغث والسمين: حاطب ليل، ويروىٰ خابطون ـ بالخاء المعجمة وبالياء قبل الطاء ـ من خبط المسير.

وفي هـ ب: الخاطيون: أي الجامعون القليل منه والكثير، وخاطئون أي يتقلبون [في] الخطيئة.

(٢) في هـ.ب: أي اسقطتهم.

(٣) في ب وهـ.ص، في نسخة: استزلهم، وفي هـ.ب، في نسخة: استزلتهم.

(٤) في ب وهـ.ص، وفي نسخة: الكبراء. وفي هـ.ب: أي ازلهم التكبر.

(٥) في هـ.ص: من الخفة والطيش، أي حملتهم عليها.

(٦) في هـ.ص: مبالغة في الوصف.

(٧) في هـ.ب: جمع حيران.

(٨) في هـ.ص: بالفتح اسم المصدر وبالكسر المصدر.

(٩) ليس في أ وب: الحسنة.

[٩٥]

ومن خطبة له عليه السلام[١]:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلْأَوَّلِ فَلاَ شَيْءَ قَبْلَهُ، وَاَلْآخِرِ فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ، وَاَلظَّاهِرِ فَلاَ شَيْءَ فَوْقَهُ، وَاَلْبَاطِنِ فَلاَشَيْءَ دُونَهُ.

منها: في ذكرِ النّبيّ صلى الله عليه وآله[٢]:

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ[٣]، فِي مَعَادِنِ اَلْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ[٤] اَلسَّلاَمَةِ، قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ[٥] أَفْئِدَةُ اَلْأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ[٦] اَلْأَبْصَارِ، دَفَنَ اَللّٰهُ[٧] بِهِ اَلضَّغَائِنَ[٨]، وَأَطْفَأَ بِهِ اَلنَوَائِرَ[٩]، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً[١٠]، أَعَزَّ بِهِ بَعْدَ اَلذِّلَّةَ[١١]، وَأَذَلَّ بِهِ بَعْدَ اَلْعِزَّةَ[١٢]، كَلاَمُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ[١٣].

---

(١) ورد العنوان في أ هكذا: ومن أخرىٰ. (٢) في أ وط ود: الرسول، وفي ب: رسول الله.

(٣) في ب: ومنصبه أشرف منصب، وفي هـ ب، وفي نسخة: «ومنْبِته أشرف منبت» وفي نسخة أُخرىٰ: «ومنبته خير منبت».

(٤) في هـ.ب: مفاعل من مهّدت الفراش، أي بسطته ووطّئته، وتمهيد الأُمور: اصلاحها.

(٥) في ب: عنده، وفي هـ ب: نحوه ـ صح.

(٦) الأزمّة: جمع زمام، وهنا كناية عن تحويل الابصار نحوه.

(٧) في أ وب: دفن به. (٨) الضغائن: الأحقاد.

(٩) جمع النائرة، وهي العداوة. (١٠) في هـ.ب: أي قرائن الكفار.

(١١) في أ وب وط ود: أعزّ به الذلّة، وفي هـ.ص ، وفي نسخة: أعزّ به الذلة.

(١٢) في أ وب وط ود: أذل به العزّة، وفي هـ.ص ، وفي نسخة: وأذل به العزة.

(١٣) في ب: ونطقه لسان، وفي هـ.ب، وفي نسخة: وصمته لسان.

ومن كلام له عليه السلام:

وَلَئِنْ أَمْهَلَ ٱللهُ ٱلظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ[1] طَرِيقِهِ، وَبِمَوْضِعِ ٱلشَّجَى[2] مِنْ مَسَاغِ[3] رِيقِهِ.

أَمَا وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَظْهَرَنَّ[4] هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمُ عَلَيْكُمْ؛ لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، وَلٰكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ[5]، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي، وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ ٱلْأُمَمُ تُخَافُ[6] ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي.

ٱسْتَنْفَرْتُكُمْ[7] لِلْجِهَادِ، فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا؛ وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا.

أَشُهُودٌ[8] كَغُيَّابٍ؟ وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ[9]؟ أَتْلُو عَلَيْكُمُ ٱلْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوَاعِظِ[10] ٱلْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَأَ[11] تَرْجِعُونَ إِلى مَجَالِسِكُمْ، وَتَخَادَعُونَ[12] عَنْ

---

(١) في هـ.ب: بضم الزاي، وفتحها جائز: المسلك.

(٢) في هـ.ب: العظمة.

(٣) في هـ.ب: المساغ مصدر ساغ الشراب يسوغ: أي سهل مدخله.

(٤) في هـ.ب: أي ليغلبن.

(٥) في هـ. د: إلىٰ باطلهم ـ م ح ف.

(٦) في هـ. د: تخاف ـ على ما لم يسمّ فاعله ـ أي صارت الأُمم تخاف ان يظلموا راعيها، وتخاف بفتح التاء أي كانت الأُمم خائفة من ان يظلمهم راعيهم، وصرت خائفاً من ظلم رعيتي.

(٧) في هـ.ب: أي استنهضتكم.

(٨) في أ وب وط : شهود.

(٩) في هـ.ب: أي عبيد كأحرار.

(١٠) في أ وب وط ود: بالموعظة.

(١١) في هامش ب: ذهبوا أيادي سبأ، أي مثل أيادي سبأ، يعني قوله تعالىٰ: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾. وفي هامش آخر: أيادي سبأ بن يشجب في تفرّقهم وتبدّدهم في البلاد حين أرسل عليهم سيل العرم، والأيادي كناية عن الأبناء والاسرة؛ لأنّهم في التقوّي والبطش بهم بمنزلة الأيدي.

(١٢) كذا في ص ، وفي أ وب وط ود: وتتخادعون. وفي هـ ص في نسخة: وتتخادعون. قال في ـ

مَوَاعِظُكُمْ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً، كَظَهْرِ ٱلْحَنِيَّةِ[١] عَجَزَ ٱلْمُقَوِّمُ، وَأَعْضَلَ[٢] ٱلْمُقَوَّمُ.

أَيُّهَا[٣] ٱلشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، ٱلْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، ٱلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، ٱلْمُبْتَلَىٰ بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ، صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ ٱللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ ٱلشَّامِ يَعْصِي ٱللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ، لَوَدِدْتُ وَٱللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ ٱلدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ[٤]، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ.

يَا أَهْلَ ٱلْكُوفَةِ مُنِيتُ[٥] مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَٱثْنَتَيْنِ[٦]، صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ، وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ، لَا أَحْرَارَ صِدْقٍ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ ٱلْبَلَاءِ.

تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ[٧]! يَا أَشْبَاهَ ٱلْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا، كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ.

وَٱللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ[٨] أَنْ لَوْ حَمِسَ[٩] ٱلْوَغَىٰ[١٠]، وَحَمِيَ ٱلضِّرَابُ[١١]، وَقَدِ ٱنْفَرَجْتُمْ عَنِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ٱنْفِرَاجَ ٱلْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا[١٢]، وَإِنِّي لَعَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ

← الشرح: تتخادعون: أي تمسكون، من قولهم: أعطىٰ فلان ثم خدع: أي امسك، ويجوز ان يريد: تتلونون وتختلفون، من قولهم: دلق خادع، أي متلوّن، ولا يجوز ان يراد به المعنىٰ المشهور؛ إذ لا معنىٰ له، انتهىٰ.

(١) في د: الحيّة، وفي هـ ب، وفي نسخة: الحيّة، وفي هـ ص وب: أي القوس.

(٢) في هامش ب: أشكل.

(٣) في ط: أيّها القوم، وفي هـ. د: أيّها القوم ـ ح.

(٤) في هـ. د: صرف الدنانير بالدراهم ـ م.

(٥) في هـ.ب: ابتليت.

(٦) في هـ ص: انما لم يقل بخمس، لأن ثلاثاً بلفظ الايجاب واثنتين بلفظ النفي، فأحب التفرقة بينهما.

(٧) في هـ.ص: كلمة تدعىٰ علىٰ المخاطي بها، أي لا أصبتم خيراً، وفي هـ ب: دعاء، أي لا أصبتم خيراً، وتحقيقه: لصقت بالتراب أيديكم.

(٨) في ط: إخالكم، وفي هـ. د: فيما اخالكم ـ ح. وفي هـ.ب: إخال: أظن، أخال بلغة بني أسد، إخال ـ بالكسر ـ.

(٩) في هـ.ص وب: أي اشتد.

(١٠) في هـ.ص: الحرب.

(١١) في هـ.ب: الضراب بمعنىٰ المضاربة كالحراب بمعنىٰ المحاربة.

(١٢) في هـ.ب: شبّههﷺ انكشافهم بانكشاف المرأة عن فرجها وقت الولادة، وتورد هذه العبارة للتقريع والتوبيخ.

مِنْ نَبِيّي. وَإِنّي لَعَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً[1].

ٱنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ[2]، وَٱتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا[3]، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا.

لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَما أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ[4]، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً، وَقَدْ[5] بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً، يُرَاوِحُونَ[6] بَيْنَ جِبَاهِهِمْ[7] وَخُدُودِهِمْ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ ٱلْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ ٱلْمَعْزَى[8] مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ، إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ هَمَلَتْ[9] أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ[10]، وَمَادُوا[11] كَما يَمِيدُ ٱلشَّجَرُ يَوْمَ ٱلرِّيحِ ٱلْعَاصِفِ؛ خَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ[12].

* * *

قوله ﷺ: «لقد أصبحت الأمم ... إلىٰ آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: ذكر ﷺ نكتة لطيفة في هذا المعنى، فقال: العادة أنّ الرعيّة تخاف ظلم الوالي، وأنا أخاف ظلم رعيتي؛ ومَنْ تأمّل أحواله ﷺ في خلافته، علم أنّه كالمحجور عليه؛ لا يتمكّن من بلوغ ما في نفسه؛ وذلك لأنّ العارفين بحقيقة حاله

---

(١) في هـ. د: الفطهُ لفظاً ـ م ف. وفي هـ ب: أي أسلكه على السداد والصراح، يقال: لفظ قدما، إذا مشىٰ مشياً سهلاً لاريب فيه، وروي: القط لقطاً: أرد من هذا الطريق كما يرد عليه؛ من المقاربة.

(٢) في هـ.ب: أي سمت آل محمد.

(٣) في هـ.ب: فإن لبدوا، أي وقفوا فقفوا، وان قعدوا فاقعدوا، لبد بالأرض: أي لصق به.

(٤) لم ترد «منكم» في أ وب، وفي ط: فما أرىٰ أحداً يشبههم منكم، وفي د: فما أرىٰ أحداً منكم يشبههم.

(٥) في ب: غبراً قد باتوا، وفي هـ. د: غبراً قد باتوا ـ ش.

(٦) في هـ.ب: المراوحة في العمل: ان يعمل هذا مرة وهذا مرة.

(٧) في هـ. د: وروي جبوبهم ـ ر.

(٨) في هـ.ب: ركب المعزى وثفنة البعير، يضرب بهما المثل في الشدة، والمعزىٰ ملحق بالرباعي.

(٩) في هـ.ب: سالت دموع عيونهم.

(١٠) في هـ. د: جباههم ـ م.

(١١) في هـ.ب: تحركوا واضطربوا.

(١٢) في هـ. د: رجاء من الثواب ـ ل.

كانوا قليلين؛ وكان السواد الأعظم، لا يعتقدون فيه الأمر الذي يجب اعتقادُه فيه، ويرون تفضيلَ مَنْ تقدّمه من الخلفاء عليه، ويظنّون أن الأفضليّة إنما هي بالخلافة، ويقلّد أخلافُهم أسلافَهم؛ ويقولون: لو لا أنّ الأوائل علموا فضل المتقدّمين عليه لما قدّموهم، ولا يروْنه إلا بعين التبعيّة لمن سبقه، وأنه كان رعيّة لهم، وأكثرهم إنما يحارب معه بالحميّة، وبنخوة العربية لا بالدين والعقيدة، وكان عليه السلام مدفوعاً إلىٰ مداراتهم ومقاربتهم؛ ولم يكن قادراً على إظهار ما عنده؛ ألا ترىٰ إلىٰ كتابه إلىٰ قضاته في الأمصار.

وقوله عليه السلام: «**فاقضوا كما كنتم تقضون، حتى تكون للناس جماعة، وأموت كما مات أصحابي**»:

وهذا الكلام لا يحتاج إلىٰ تفسيرن ومعناه واضح، وهو أنه قال لهم: اتَّبعوا عادتكم الآن في عاجل الحال في الأحكام والقضايا التي كنتم تقضُون بها إلىٰ أن يكون للناس جماعة؛ أي إلىٰ أن تُسْفِر هذه الأُمور والخطوب عن الاجتماع وزوال الفرقة، وسكون الفتنة، وحينئذ أعرّفكم ما عندي في هذه القضايا والأحكام التي قد استمررتم عليها.

ثم قال: «**أو أموت كما مات أصحابي**»:

فمن قائل يقول: عَنَى بأصحابه الخلفاء المتقدّمين، ومن قائل يقول: عَنَى بأصحابه شيعتَه كسلمان وأبي‌ذرّ والمقداد وعَمّار ونحوهم، ألا ترى إلىٰ قوله على المنبر في أمّهات الأولاد: «كان رأيي ورأي عمر ألاَّ يُبَعْن، وأنا أرى الآن بيعهنّ»؛ فقام عليه عبيدة السلمانيّ فقال له: رأيكُ مع الجماعة أحبّ إلينا من رايك وحدك؛ فما أعاد عليه حَرْفاً، فهل يدلّ هذا على القوة والقهر؛ أم على الضعف في السلطان والرخاوة! وهل كانت المصلحة والحكمة تقتضي في ذلك الوقت غير السكوت والإمساك! وأمثال ذلك كثيرة.

وبهذا ونحوه استدلّ أصحابنا المتكلّمونَ على حُسْن سياسته وصحة تدبيره؛ لأنّ مَنْ مُنَي بهذه الرعية المختلفة الأهواء، وهذا الجيش العاصي له، المتمرّد عليه، ثم كسر بهم الأعداء، وقَتَل بهم الرؤساء؛ فليس يبلغ أحد في حسن السياسة وصحة التدبير مبلغَه، ولا يقدر أحدٌ قدره.

وقد قال بعض المتكلّمين من أصحابنا: إنّ سياسة عليّ عليه السلام إذا تأملها المنصف متدبراً

لها بالإضافة إلىٰ أحواله التي دفع إليها مع أصحابه، جرت مَجْرَىٰ المعجزات؛ لصعوبة الأمر وتعذّره؛ فإنّ أصحابه كانوا فرْقتين: إحداهُما كانت تذهب إلىٰ أنّ عثمان قتل مظلوماً وتتولاه وتبرأ من أعدائه. والأُخرى ـ وهم جمهور أصحاب الحرب وأهل الغنىٰ والبأس ـ يعتقدون أنّ عثمان قُتِل لأحداث أوجبت عليه القتل؛ وقد كان منهم مَنْ يصرّح بتكفيره؛ وكلٌّ من هاتين الفرقتين يزعُم أن علياً عليه السلام موافق لها على رأيها، ومُطالبة له في كلّ وقت بأن يبدي مذهبه في عثمان؛ وتسأله أن يجيب بجواب واضح في أمره؛ وكان عليه السلام، يعلم أنّه متى وافق إحدى الطائفتين باينتْه الأخرى، وأسلمته وتولتْ عنه وخذلته. فأخذ عليه السلام يعتمد في جوابه ويستعمل في كلامه ما يظنّ به كلّ واحدة من الفرقتين أنه يوافق رأيها ويماثل اعتقادَها، فلم يزل على هذه الوتيرة حتى قُبِض عليه السلام، وكلٌ من الطائفتين موالية له معتقدة أنّ رأيه في عثمان كرأيها؛ فلو لم يكن له من السّياسة إلا هذا القَدْر ـ مع كثرة خوض النّاس حينئذ في أمر عثمان والحاجة إلىٰ ذكره في كلّ مقام ـ لكفاه في الدلالة على أنه أعرَفُ الناس بها، وأحذقهم فيها، وأعلمهم بوجوه مخارج الكلام، وتدبير أحوال الرجال[1]، انتهىٰ.

أقول: ومن هذا التقرير يعلم انه لا حجة في تقريراته عليه السلام لاحكام من تقدمه وأعمالهم في باب الولاية، لعدم استجماع شرائط حجية التقرير ـ وهو التمكن من الانكار ـ، كما احتج بعض متأخري أصحابنا علىٰ صحة حكم أبي‌بكر في فدك بعدم نقض عليّ عليه السلام له، وغير ذلك من غفلاتهم؛ والله أعلم.

ووجدت مكتوباً بخط الثقة المأمون من أصحابنا، نقلاً من خط الثقة المأمون منهم رضوان الله عليهم، ما يناسب هذا الكلام، ورسمه:

جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: خطب علي صلوات الله عليه الناس فقال في خطبته:

«كيف أنتم إذا ألبستكم فتنة يربو فيها الوليد، ويهرم فيها الكبير، ويسبح الناس عليها، تتخذونها سنة، فإذا غيّر منها شيء قيل: أتىٰ الناس منكر، أو غيرت سنّة، ثم تشتد البلية وتسبىٰ الذرية، وتقد فيهم الفتن كما تقد النار في الحطب، وتدقهم كما تدق الرحا ثفالها،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٧٢ ـ ٧٤.

ويتفقه الناس لغير الدين، ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدين [الدنيا ـ خ ل ـ] لغير الآخرة».

ثم أقبل وحوله اناس من أهل بيته وشيعته فقال: «والله لقد عملت الولاة قبلي بأُمور عظيمة خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمّدين، لو حملت الناس علىٰ تركها وأردتهم علىٰ نقلها عن مواضعها كما كانت علىٰ عهد رسول الله ﷺ لتفرق عنّي جندي، حتىٰ أبقىٰ وحدي إلّا قليلاً من شيعتي الذين عرفوا فضلي وإمامتي من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

أرأيتم لو امرت بمقام إبراهيم ﷺ فرددته إلىٰ المكان الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ.

ـ ورددت فدكاً علىٰ وُلد فاطمة.

ـ ورددت صاع النبيّ ﷺ كما كان.

ـ وامضيت قطائع كان رسول الله ﷺ اقطعها أناساً مسمّين.

ـ ورددت دار جعفر بن أبي طالب علىٰ ذريته وهدمتها من المسجد.

ـ ورددت قضايا من قضايا مَن قبلي بجور.

ـ وسبيت ذراري بني تغلب.

ـ ورددت ما قسم من أرض خيبر.

ـ ومحوت ديوان العطاء، واعطيت ما كان رسول الله ﷺ يعطي، فلم أجعلها دولة بين الأغنياء؟

والله لقد أمرت ان لا يجمّعوا في شهر رمضان إلّا في فريضة، فقام بعض أصحابي ـ في أصحابي، من في عسكري، ممن يقاتل معي بسيف ـ فنعىٰ الاسلام وأهله وقال: غيّرت سنة عمر.

ونهيت ان يصلىٰ في شهر رمضان جماعة حتىٰ خشيت ان يثور في ناحية العسكر ثائرة.

أُوه، ماذا لقيت هذه الامة بطاعة ائمة الضلال و الدعاة إلىٰ النار؟!

وأعظم ذلك سهم ذوي القربىٰ الذي قال الله. تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا

أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[1].

نحن والله عنىٰ بذي القربىٰ الذين قرنهم الله عزّ وجلّ بنفسه وبنبيّه عليه أطيب السلام: ﴿فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2] منا خاصة، ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً، أكرم الله عزّ وجلّ نبيّه ﷺ وأكرمنا ان يطعمنا أو ساخ أيدي الناس، فقام رجل فكلّمه ـ وذكر كلاماً كثيراً، ذكر فيه الناس الرواية عن النبيّ ﷺ ...» انتهىٰ ما وجدت، والحمد لله.

ولا شك ان معاني هذه الخطبة مذكورة في كلامه في كثير من مقاماته، وذلك أقوىٰ دليل علىٰ صحتها، لان له عليه السلام معانٍ يكثر من ذكرها تارة بالتصريح وتارة بالتلويح، والله أعلم.

(١) الأنفال ٨ : ٤١.
(٢) الأنفال ٨ : ٤١.

[٩٧]

ومن كلام له عليه السلام:

وَٱللهِ لاَ يَزَالُونَ[١] حَتَّى لايَدَعُوا لِلهِ مُحَرَّماً[٢] إِلاَّ ٱسْتَحَلُّوهُ وَلاَ عَقْداً[٣] إِلاَّ حَلُّوهُ، وَحَتَّى[٤] لَا يَبْقَىٰ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ[٥]، وَنَبَا[٦] بِهِ سُوءُ رِعَيِهِمْ[٧]، وَحَتَّى يَقُومَ ٱلْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّىٰ تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ[٨] مِنْ أَحَدِهِمْ[٩] كَنُصْرَةِ ٱلْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ ٱغْتَابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا غَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللهِ ظَنّاً، فَإِنْ أَتَاكُمُ ٱللهُ بِعَافِيَةٍ فاقْبَلُوا، وَإِنِ ٱبْتُلِيتُمْ فاصْبِرُوا، فَإِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

---

(١) في هـ.ب: أي هؤلاء الظلمة لا يزالون علىٰ ظلمهم، يعني بني أُمية وغيرهم.

(٢) في هـ.ب: أي حراماً.

(٣) في هـ.ب: أي عهداً.

(٤) في ب: حلّوه حتىٰ، وفي هـ. د: حلّوه حتىٰ ـ ش.

(٥) في د زيادة: ونزل به عيثهم، وفي هـ ب، وفي نسخة زيادة: ونزل به عيثهم، وفي هـ. ط، وفي نسخة زيادة: ونزل به غيّهم.

(٦) في هـ.ب: أي تنغص.

(٧) في ط: رعْتِهم، وفي هـ. د: سوء رعيتهم ـ ن، سوء رعتهم ـ ل، وفي هـ ص: أي سياستهم، ويروي: رعتهم، والرعة: الورع، وفي هـ ب: أي جعل سوء ولايتهم كل من لايستقر أهله، وروي: سوء رعتهم، أي: ورعهم وتقواهم.

(٨) في هـ.ب: «نصرة أحدكم» مصدر مضاف إلىٰ مفعول «من أحدهم» أي من جانب أحدهم، وكذا في «نصرة العبد».

(٩) في هـ. د: «من أحدهم» ساقطة من ن .

[٩٨]

ومن خطبة له عليه السلام:

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ المُعَافَاةَ فِي الأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ ٱلْمُعَافَاةَ فِي الأَبْدَانِ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ[1] بِالرَّفْضِ[2] لِهٰذِهِ ٱلدُّنْيَا، ٱلتَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، وَٱلْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ[3] سَلَكُوا سَبِيلاً، فَكَأَنَّهُمْ[4] قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُّوا عَلَماً[5] فَكَأَنَّهُمْ[6] قَدْ بَلَغُوهُ، وَكَمْ عَسَىٰ[7] ٱلْمجْرِي إِلَى ٱلْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّىٰ يَبْلُغَهَا، وَمَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ[8]، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ مِنَ ٱلْمَوْتِ[9] يَحْدُوهُ، وَمُزْعِجٌ فِي ٱلدُّنْيَا عَنِ ٱلدُّنْيَا حَتَّىٰ يُفَارِقَهَا رَغْماً[10].

فَلاَ تَنَافَسُوا[11] فِي عِزِّ ٱلدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى ٱنْقِطَاعٍ، وَزِينَتَهَا[12] وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ[13]، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى ٱنْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ، أَوَ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ ٱلْأَوَّلِينَ [مُزْدَجَرٌ][14]، وَفِي آبَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ؟!

---

(١) لم ترد «عباد الله» في أ و ط، وفي د: عباد الله أوصيكم.

(٢) في هـ.ب: أي بالترك.

(٣) في هـ.ب: جماعة مسافرين.

(٤) في ص وأ: وكأنهم، وفي هـ ص، وفي نسخة: فكأنهم.

(٥) في هـ.ب: أي قصدوا جبلاً.

(٦) في ص وأ: وكأنهم، وفي هـ ص، وفي نسخة: فكأنهم.

(٧) في هـ.ب: مفعوله محذوف، أي: كم عسىٰ المجري في سكة.

(٨) في هـ.ب: أي لا يجاوزه.

(٩) في هـ.ب: أي سريع.

(١٠) كذا في ص، والعبارة في أ وب وط: وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتىٰ يفارقها.

(١١) في هـ.ب: لا تحاسدوا.

(١٢) في هـ. د: وان زينتها ـ ض.

(١٣) في هـ.ب: أي انقطاع.

(١٤) من ط ود، ولم ترد «مزدجر» في أ وب وص.

أَوَ لَمْ تَرَوْا إِلَى ٱلْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ، وَإِلَى ٱلْخَلَفِ ٱلْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ؟

أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ ٱلدُّنْيَا يُمْسُونَ وَيُصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى: فَمَيْتٌ يُبْكَى، وَآخَرُ يُعَزَّى، وَصَرِيعٌ مُبْتَلى[١]، وَعَائِدٌ يَعُودُ وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وَعَلَى أَثَرِ ٱلْمَاضِي[٢] مَا يَمْضِي[٣] ٱلْبَاقِي.

أَلَا فَاذْكُرُوا هَادِمَ ٱللَّذَّاتِ، وَمُنَغِّصَ ٱلشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ ٱلْأُمْنِيَّاتِ[٤]، عِنْدَ ٱلْمُسَاوَرَةِ[٥] لِلْأَعْمَالِ ٱلْقَبِيحَةِ، وَٱسْتَعِينُوا بِاللهِ[٦] عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ.

---

(١) في ص : يُبْتَلىٰ.

(٢) في هـ. د: علىٰ اثر الماضين ـ هامش ن .

(٣) في هـ.ب: «ما» مصدرية .

(٤) في هـ.ب: هو المنيّة.

(٥) في هـ. د: وروي المساورة ـ ك، روي المسارة والمشاورة ـ ر، وفي هامش ب: أي المواثبة، من السوْر، وهو الوثب، وروي: المساررة، أي المسارّة، وروي: المشاورة، أي: اذكروا الموت عند عزمكم علىٰ العمل القبيح.

(٦) في ب و ط : واستعينوا الله.

ومن خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً[١] وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً[٢]، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ[٣] فِينَا رَايَةَ[٤] الْحَقِّ[٥]، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ[٦]، وَمَنْ تَخَلَّفَ[٧] عَنْهَا زَهَقَ[٨] وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ[٩]، دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ[١٠]، بَطِيءُ الْقِيَامِ[١١]، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ[١٢]، فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ[١٣] لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ

---

(١) في هـ.ب: أي مبيناً. (٢) في هـ ص وأ، وفي نسخة: قاطعاً.

(٣) في هـ.ب: أي ترك.

(٤) في هـ.ص : أي علامته ودليله، وهو إشارة إلىٰ قوله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ... الخ»، وقوله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ... الخ» ونحوهما مما تواتر معناه.

(٥) في هـ.ب: قيل المراد براية الحق: القرآن، وعترته: الحجج من أهل بيته.

(٦) في هـ.ب: مرق أي خرج، والمارقون: الخارجون.

(٧) في ب: تأخر عنها، وفي هـ. ب، وفي نسخة: من تخلف عنها.

(٨) في هـ.ب: زهق: هلك، وفي هـ ص : مرق وزهق، قال في الشرح: زهقت نفسه: خرجت، وزهق الباطل: اضمحل، يقول عليه السلام: من خالفها متقدماً لها أو متأخراً عنها فقد خرج عن الحق، ومن لازمها أصاب الحق (انتهىٰ) وهذا من أدلّة اجماع أهل البيت الصريحة.

(٩) في هـ.ب: واللازم اللاحق بالسابقين إلىٰ الجنة دليل تلك الراية، وأوّلهم، والهادي إلىٰ الكتاب والسنة.

(١٠) في هـ ص : أي لا يظهر ما عنده من سر العلم قبل أوانه، يعني نفسه عليه السلام (من الشرح) وفي هـ ب: رجل مكيث الكلام: أي رزين.

(١١) في هـ.ص : يعني انه انما يقوم بكشف الحق في آخر زمنه.

(١٢) في هـ.ص : أي يظهر الحق ويعلنه بجدّ وعزم.

(١٣) في هـ.ب، وفي نسخة: ثنيتم.

بِهِ[١]، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ ٱللهُ، حَتَّى يُطْلِعَ ٱللهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ[٢]، وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ[٣]، فَلاَ تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ[٤]، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ، فَإِنَّ ٱلْمُدْبِرَ عَسَىٰ أَنْ تَزِلَّ بِهِ[٥] إِحْدَىٰ قَائِمَتَيْهِ[٦] وَتَثْبُتَ ٱلْأُخْرَىٰ وَتَرْجِعَا حَتَّىٰ تَثْبُتَا جَمِيعاً.

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَثَلِ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ، إِذَا خَوَىٰ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ[٧]، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ ٱللهِ فِيكُمُ ٱلصَّنَائِعُ، وَأَرَاكُمْ[٨] مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ.

* * *

قال في الشرح: أعلم أن هذه الخطبة خطبَ بها أمير المؤمنين عليه السلام في الجمعة الثالثة من خلافته، وكَنى فيها عن حال نفسه، وأعلمهم فيها أنّهم سيفارقونه ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه، وطاعتهم له؛ وهكذا وقع الأمر، فإنه نقِل أنّ أهل العراق لم يكونوا أشدَّ اجتماعاً عليه من الشهر الذي قُتِل فيه عليه السلام.

ومعنى قوله عليه السلام: «ألنتم له رقابَكم» أطعتموه؛ ومعنى «أشرتم إليه بأصابعكم» أعظمتموه وأجللتموه، كالملك الذي يشار إليه بالإصبع، ولا يخاطب باللسان. ثم أخبرهم أنّهم يلبثون بعده ما شاء الله؛ ولم يحدّد ذلك بوقت معين.

ثم يطلع الله لهم مَنْ يجمعهم ويضمّهم، يعني من أهل البيت عليهم السلام؛ وهذا إشارة إلىٰ المهديّ الذي يظهر في آخر الوقت[٩]، انتهى.

فعلىٰ هذا الضمائر لمطلق الشيعة لا للموجودين في زمنه عليه السلام فقط ـ علىٰ نحو خطاب الشارع ـ.

وعلىٰ هذا لا بُعد في ان يقال: قد صدق بعض هذا الوعد الذي وعد به عليه السلام بقيام من قام

---

(١) في هـ.ب: أي إذا استقام أمر الاسلام توفىٰ عليه السلام.

(٢) في هـ.ب: أي صاحب الأمر، وفي هـ. ب ـ أيضاً ـ: يطلع الله ... على امام غائب وبدر غارب ... حب إلىٰ ان يطلع إليه.

(٣) في هـ.ب: فعل بمعنىٰ المفعول.

(٤) في ب ود: فلا تطعنوا في عين مقبل.

(٥) لم ترد «به» في أ و ب و ط و د.

(٦) أي رجليه.

(٧) في هـ.ب: أي امام.

(٨) في ب: وآتاكم، وفي هـ ب، وفي نسخة: وأراكم.

(٩) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٩٤.

من الأئمّة من أبنائه في اليمن وطبرستان[١]، فإنّ الله جمع بهم أمر الشيعة وتقررت به دعوتهم ومقالتهم ومذهبهم، وتمامه بقيام المهدي ان شاء الله.

قوله عليه السلام: «**راية الحق**»:

قال في الشرح: وراية الحقّ: الثّقَلان المخلّفان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وهما الكتاب والعِتْرة[٢]، انتهى.

قلت: وسمّاهما راية الحق لانهما دليله، فان الراية: العلم الأكبر من أعلام الجيش وهي تكون عند الرئيس الأعظم.

قوله عليه السلام: «**دليلها مكيث الكلام**»:.

قال في الشرح: يعني نفسه عليه السلام[٣].

قلت: وفيه إشارة إلىٰ قوله صلى الله عليه وآله: «عليّ مع الحق والحق مع علي»[٤] «عليّ مع القرآن والقرآن مع علي»[٥] ونحوهما، وإلىٰ قوله صلى الله عليه وآله: «لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتىٰ يسأله الله عن أربع؛ عن عمره فيم أفناه؟ وعن جسده فيم ابلاه؟ وعن ماله ممّ اكتسبه وفيم انفقه؟ وعن حبنا أهل البيت.

فقال ابو برزة: وما علامة حبكم يا رسول الله؟

قال: حب هذا ـ ووضع يده علىٰ رأس عليّ عليه السلام ـ»[٦].

قوله عليه السلام: «**ومن تخلف عنها زهق**»:

[قال في الشرح:] زهَقَت نفسه، [بالفتح، زُهوقا، أي] خرجت، وزهقَ الباطل: اضمحلّ، يقول عليه السلام: مَنْ خالفها متقدّما لها أو متأخراً عنها فقد خرج عن الحق، ومن لازمها فقد أصابَ الحق، تمت من الشرح[٧].

وهذا من أدلة اجماع أهل البيت الواضحة نحو قوله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي كَمَثلِ سفينة

---

(١) كالناصر والداعي وغيرهما.

(٢) و (٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٨٥.

(٤) مجمع الزوائد ٧: ٢٣٥.

(٥) مجمع الزوائد ٩: ١٣٤.

(٦) مجمع الزوائد ١٠: ٣٤٦.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٨٥.

نوح في قوم نوح من ركبها نجىٰ ومن تخلف عنها هلك»[١] و«مَثَلُ باب حطة في بني اسرائيل»[٢]، وسائر أدلة اجماعهم المصرّحة بنجاة متّبعهم وهلكة مخالفهم.

قوله عليه السلام: «فلا تطمعوا ... إلىٰ آخره»:

ذكر ابن أبي الحديد ان ظاهر هذا الكلام متناقض ثم ذكر له تأويلاً بنىٰ علىٰ تفسيره[٣].

ويظهر لي ـ والله أعلم ـ ان معناه: فلا تطمعوا في غير مقبل أي لا تعتقدوا انه يتأتىٰ لكم من هذا الامر شيء إلّا ما يسّره الله لكم، فإذا فاتكم شيء منه فلا تأسقوا عليه، وتعتقدوا ان فواته لامر يرجع إلىٰ الرئيس المدبر لكم، ما ذاك إلّا أنه لم يأت وقته وأوانه، وهذا مثل قوله عليه السلام: «ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم».

ثم قال: «ولا تيأسوا من مدبر»:

أي لا تقولوا هذا الأمر الذي فاتنا لا يمكن رجوعه إلينا، فلا نجيب من دعا إليه، بل اجيبوه وقدروا حصوله ومجيء زمانه في كلّ وقت، وأجيبوا كلّ من دعا إليه من أهل البيت لتحزوا فضل الجهاد، ولأن الدعاة إليه منهم بمنزله رجل واحد زلت به قدم في طلب أمر فثبتته الأُخرىٰ فاستقامتا جميعاً.

وهذه هي طريقة أئمّة الزيدية وشيعتهم عين اليقين والحمد لله، ويرشدك إلىٰ صحة هذا التأويل وانه المراد قوله عليه السلام: «الا ان مثل آل محمّد صلى الله عليه وآله ... إلىٰ آخره»:

وقد روىٰ هذا الحديث مرفوعاً عن نصر بن حماد، قال: سمعت شعبة يقول ـ حين ظهر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ـ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي في أُمّتي مثل النجوم كلّما أفل نجم طلع نجم»، وبمعناه أحاديث أُخر مشهورة[٤]، وفيه دليل واضح

---

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٦٨.
(٢) البحار ٢٣: ١٢٠.
(٣) أنظر شرح ابن أبي الحديد ٧: ٩٤.
(٤) في هـ. ص ما يلي: وفي شرح السيوطي علىٰ سنن أبي داود المسمىٰ بمرقاة الصعود إلىٰ سنن أبي داود في شرح أول حديث من كتاب الملاحم، ما لفظه: وأخرج أبو اسماعيل الهروي من طريق حميد بن رنجويه، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: يروىٰ في الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ان لله يمنّ علىٰ أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم
←

علىٰ مذهب الزيدية في الإمامة وأنه لا يزال يدعو منهم داع إلىٰ الحق إلىٰ أن يظهر المهدي ﷺ ويظهر الحق، والله أعلم.

← أمر دينهم».

وفي طبقات التاج للسبكي ما لفظه: وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال: «يبعث الله في هذه الامة علىٰ رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها» وفي لفظ آخر: «في رأس كل مئة سنة رجلاً من أهل بيتي يبين لهم أمر دينهم». ذكره الامام أحمد بن حنبل.

ومن خطبة له ﷺ، وهي من الخُطب التي تشتمل علىٰ ذكر الملاحم[١]:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ[٢] اَلْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ[٣]، وَبِأَوَّلِيَّتِهِ[٤] وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ[٥] أَنْ لَا آخِرَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلا اللّٰهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانَ وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ.

أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي[٦]، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي[٧]، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ[٨] عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ[٩] مِنِّي، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ[١٠] إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ[١١]، مَا كَذَبَ[١٢] الْمُبَلِّغُ[١٣]، وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ، لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ[١٤] قَدْ نَعَقَ[١٥] بِالشَّامِ، وَفَحَصَ[١٦] بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي

---

(١) في هـأ وب: الملحمة: الوقعة العظيمة ويكثر فيها قتل الناس.

(٢) لم ترد «الحمد لله» في أ وب ود.

(٣) في هـ.ب: يعني ان أوليته وآخريته لذاته لا لغيره، والموجودات كلّها أوليتها بغيرها.

(٤) في ط: وبأوليته. (٥) في هـ. د: وبآخريته ان لا آخر له.

(٦) في هـ.ص: أي لا يكسبنكم شقاقي تكذيبي، فحذف المعمول، وفي هـ ب: لا يكسبنكم خلافي الاثم.

(٧) في هـ.ص: أي لا يحملنّكم علىٰ الهوىٰ، وفي هـ ب: أي لا يستقوينّكم.

(٨) في هـ.ص: أي لا يلحظ بعضكم بعضاً فعل المنكِر المكذِّب.

(٩) في هـ. د: عند ما تسمعون مني ــ ع. (١٠) في هـ ب: أي خلق النفس.

(١١) ليس في أ وب وط: الأمي، وفي هـ ب: يروى عن النبيّ الأُمّي، منسوب إلىٰ أُمّ القرىٰ.

(١٢) في هـ. د: والله ما كذب ــ ح. (١٣) في هـ ب: أي النبيّ ﷺ.

(١٤) في هـ.ب: إلىٰ ضلّيل، أي إلىٰ رجل قد بلغ الضلال والاضلال قد قام بأهل الشام، فحذف المضاف، أي دعاهم إلىٰ نفسه فاجابوهُ كما ينعق الراعي بغنمه.

(١٥) في هـ.ب: أي صاح.

(١٦) في هـب: فحص: قلّب البلاد والعباد في نواحي الكوفة، يقال: فحص المطر الوادي قلبه، وفيكون مفعول «فحص» محذوفاً، ويكون معناه بحث عن أحوال الناس وآفاق الكوفة،

←

كُوفَانَ(١). فَإِذَا فَغَرَتْ (٢) فَاغِرَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ(٣)، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ، عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وَبَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُهَا(٤)، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا(٥)، فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ(٦)، وَهَدَرَتْ(٧) شَقَاشِقُهُ(٨)، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ، هٰذَا وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ(٩)، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ(١٠)، وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ(١١)، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ، وَيُحْطَمُ(١٢) الْمَحْصُودُ.

* * *

قوله ﷺ: «الأول قبل كل أوّل ... إلىٰ قوله: آخر»:

أي هو السابق وجوده لكل ما يسمىٰ اولاً بالنسبة إلىٰ ما تأخر عنه، فهو الأوّل المطلق، وذلك أن الضرورة دعت إلىٰ ثبوت(١٣) مؤثّر في الحادثات غير متأثر عن شيء، فهو قبل ما يقدر قبلاً؛ إذ هو المؤثر في الوجود كل موجود غيره، وهو الباقي بعد فناء كل شيء باق بعد فناء شيء فنىٰ قبله، فهو الباقي مطلقاً بعد فناء ما يقدّر باقياً بعد فناء شيء غيره.

ثم قال ﷺ: «باوليته وجب أن لا أول له»:

← والفحص: البحث عن الشيء، والضواحي في اللغة: السمت والنواحي؛ بسبب راياته الكثيرة، وقيل: ان هذا اشارة إلىٰ خروج السفياني، وقيل: المراد به معاوية ومن بعده.

(١) كوفان: أي الكوفة.

(٢) في هـ.ب: فغرت، أي فتحت فاها، فتنته الشديدة تأكل كل شيء، ونبّه بقوله: «فاغرة» علىٰ ان تلك الفتنة لا تُبقي ولا تذر ولا تزال مدة هياجها فاغرة.

(٣) الشكيمة: حديدة معترضة في فم الحيوان يشد بها اللجام، ويعبّر عنها بصعوبة الانقياد.

(٤) في هـ.ص وب: أي عبوسها: أي تنكرّها. (٥) في هـ.ص: أي تأثيرها وتغييرها.

(٦) في هـ.ب، وفي نسخة: وقام علىٰ ساقه ينعه، وفي هـ.آ : وفي نسخة: «وقام علىٰ ساقه» بدل «وقام علىٰ ينعه». (٧) في هـ.ب: أي صاح.

(٨) في هـ.ب: شقاشق يعني صياح البعير الهائج، وهذه استعارة.

(٩) في هـ.ب: كاسر شديد. (١٠) في هـ.ب: ريح شديدة.

(١١) كناية عن اشتباك قوىٰ الحق والباطل. (١٢) في هـب: أي يكسر.

(١٣) في ص: اثبات.

أي لما ثبت وصفه بالأوّلية المطلقة ثبت قطعاً انه لم يسبق وجوده عدم، والا لم يكن منتهىٰ الضرورة، بل منتهىٰ الضرورة ما أوجده من العدم، فلم يثبت اتصافه بالأوّلية المطلقة، وقد ثبت وصفه بها لانه غاية الضرورة وبآخريته وجب أن لا آخر له.

لمّا ثبت وصفه بالآخرية المطلقة ثبت قطعاً انه لا ينعدم؛ لأنه لو انعدم لزم ثبوت معدم له يبقىٰ في ثاني عدمه، وحينئذٍ لم يتصف بأنّه الآخر مطلقاً، وقد ثبت ذلك بالضرورة فثبت أنه لا نهاية لوجوده بالضرورة، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ضلّيل»:

هو كثير الضلال، لأنّه ضل وأضل، ونعق أي صوّت كما يصوت الراعي بغنمه.

ومعنىٰ «نعق بالشام»: دعىٰ إلىٰ الفتنة.

«وفحص براياته في ضواحي كوفان»: أي مكنها، كما تفحص القطاة في الأرض مجثماً[١] لها.

و «كوفان»: اسم الكوفة، والكوفة في الأصل: اسم الرملة الحمراء؛ وبها سمّيت الكوفة وضواحيها: نواحيها القريبة منها البارزة عنها؛ يريد رُسْتاقها.

«وفغرت فاغرته»: فتح فاه، وهذا من باب الاستعارة، أي إذا فتك فتح فاه وقتل؛ كما يفتح الأسد فاه عند الافتراش والتأنيف للفتنة.

والشكيمة في الأصل: حديدة معترِضة في اللجام في فم الدابة، ثم قالوا: فلان شديدٌ الشّكيمة، إذا كان شديدَ الراس شديد النفس عَسِر الانقياد.

و «ثقلت وطأته»: عظم جَوْره وظلمه[٢]، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «فإذا اينع زرعه وقام علىٰ ينعه»:

قال في الشرح: أي إذا هلك هذا الضلّيل قام بالأمر غيره من أهله[٣].

هذا معنىٰ قوله، وفيه بُعدٌ، ويظهر لي من معنىٰ كلامه عليه السلام انه شبّه هذا الضلّيل في دعائه[٤] وسعيه بحرّاث زرع جدّ[٥] بالقيام بزرعه ليبلغ غاية ما يؤمل من نماء زرعه حتىٰ

---

(١) المجثم: محل الجثم، والجثم.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠٠.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٩٩.
(٤) أي دعوته.

بلغها، كذلك هذا الضليل جد في تحصيل مطلوبه حتىٰ حصله وبلغ غايته من غير مميّل ولا ضارع[٦]: وهو معنىٰ قوله: «فإذا أينع زرعه وقام على ينعه» كناية عن تأتّي الأُمور له واستيساقها[٧] علىٰ ما أمّل. و«هدرت شقاشقه»: أي قال من الباطل ما أراد و«برقت بوارقه» أي فعل من المنكر ما أراد، فقرر الفتن، وأحدث البدع وجعلها ديناً، وخلطها بشوب من الحق، فالتبست علىٰ أكثر الناس، وعمّت جمهورهم، فمن ثَم أعضلت.

قوله ﷺ: «وعن قليل ... الىٰ: المحصود»:

قال في الشرح: ثم وعد ﷺ بظهور دولة أُخرى، فقال: «وعن قليل تلتفّ القرون بالقرون»؛ وهذا كناية عن الدولة العباسية التي ظهرت على دولة بني أمية. [والقُرون: الأجيال من الناس، واحدها قَرنٌ، بالفتح.

و«يحصَد القائم، ويَحْطِم المحصود»: كناية عن قتل الأمراء من بني أمية][٨] في الحرب، ثم قتل المأسورين منهم صَبْراً، فحصْد القائم قتل المحاربة، وحَطْم الحصِيد: القتل صبراً؛ وهكذا وقعت الحال مع عبدالله بن علي، وأبي العباس السفاح، انتهىٰ[٩].

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ ان الكلام من أوّله إلىٰ آخره كناية عن دولة بني أُمية من مبدئها، وهو دعاء معاوية بعد موت عليّ ﷺ إلىٰ حرب الحسن ﷺ، «وفحص براياته في ضواحي كوفان» هو تمكّن ولايته في النخيلة وعقد الأمر له.

ثم لم يزل أمره يتدرج في درج القوة حتىٰ لم يبق له منازع ولا مدافع، فحينئذٍ أظهر البدع الدينية وأظهر المقالات المضلّة، من الجبر والتشبيه، وسب عليّ ﷺ، ومنع الناس من تولّيه ورواية فضائله، وتفضيل غيره عليه، واختلاق فضائل لغيره يعارض بها فضائله، فكان البلاء والقتل بالكوفة لكثرة من بها من الشيعة وهو قوله: «وكم يحرق الكوفة ... إلىٰ آخره».

وجرت علىٰ ذلك دولة بني أُمية ـ كلها ـ وهو معنىٰ قوله: «قام علىٰ ينعه»، أي استمر

---

(٥) في ص: أجد.

(٦) الضارع: الضعيف النحيف.

(٧) من السوق

(٨) من ط .

(٩) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠١.

علىٰ تمامه.

ثم اتخذ الناس هذه الفتن ديناً، يجادلون عنه ويقاتلون، وسموا هذه الفتن سنة، والاجتماع عليها جماعة، وهو معنىٰ كونها فتناً معضلة؛ لأنّ البدعة إذا اعتقدت ديناً أعضل حلّها.

وشبهها بالليل في سواده، والبحر في غشيانه من قاربه وإهلاكه.

ثم قال عليه السلام: «وعن قليل تجتمع قرون هذه الدولة»:

أي يلتحق آخرها بأوّلها، أي تبلغ غايتها ومنتهىٰ مدتها، ويحصد القائم ـ أي الباقي منهم ـ بالقتل ويحطم المحصود، أي بالاستخراج من القبور والإحراق، وتعفية الأثر: ابطال الصيت والذكر.

وانما عبر عن إهلاكهم بالحصد والحطم؛ لأنّه شبه أمرهم بالزرع في ابتدائه وتمامه، فشبهه به في هلاكه، والله أعلم.

[١٠١]

ومن خطبة له عليه السلام تجرى هذا المجرى:

وَذَلِكَ يَوْمٌ[١] يَجْمَعُ ٱللهُ فِيهِ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ لِنِقَاشِ[٢] ٱلْحِسَابِ وَجَزَاءِ ٱلْأَعْمَالِ، خُضُوعاً[٣] قِيَاماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ ٱلْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ[٤] بِهِمُ ٱلْأَرْضُ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً.

ومنها:

فِتَنٌ كَقِطَعِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ[٥]، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً[٦] مَرْحُولَةً، يَحْفِزُهَا[٧] قَائِدُهَا، وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا؛ أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ[٨]، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ، يُجَاهِدُهُمْ فِي ٱللهِ[٩] قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ، فِي ٱلْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي ٱلسَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ[١٠]. فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ[١١] عِنْدَ ذٰلِكِ[١٢] مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ[١٣] ٱللهِ، لَا رَهَجَ[١٤] لَهُ وَلَا حِسّ[١٥]، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ ٱلْأَحْمَرِ وَٱلْجُوعِ ٱلْأَغْبَرِ.

* * *

---

(١) في هـ.ب: أي يوم القيامة، ويجوز يوم الحرب.

(٢) في هـ.ب، وفي نسخة: المناقشة. (٣) في هـ.ب: أي ذللاً.

(٤) في هـ.ب: اي حركت.

(٥) في هـ.ب: أي لا تقوم لتلك الفتن قائمة منهم، أي لا يقابل منها أهلها ولا يضيق لحيل أصحاب تلك الفتن، وقيل: لا يكون لها قلعة قائمة يعني لتهديهم كالابنية لها.

(٦) في هامش ب: أي لا تكون تامة الاسباب كاملة الالاف.

(٧) في هـ.ب: حفزه: أي دفعه من خلفه.

(٨) في هـ.ب: الكلب: الفتنة، أي يقتلون ولا يسلبون.

(٩) في ط: في سبيل الله.

(١٠) في هـ.ص: هذه الصفات قد ذكرها عليه السلام في ذكر الأئمة من ولده مراراً.

(١١) في هـ.ب، وفي نسخة: بصيرة. (١٢) في هـ.ص: الاشارة إلىٰ حملة الفتن.

(١٣) في هـ.ب: أي عقوباته. (١٤) في هـ.ب: أي لا غبار.

(١٥) في هـ.ص: يعني به بالزنج، وكانوا في دولة بني العباس.

قوله عليه السلام: «فتن ... إلىٰ آخره»:

أعلم ان هذا الكلام اشارة إلىٰ جملة الفتن التي تقع في الاسلام من زمنه عليه السلام إلىٰ زمن المهدي عليه السلام.

فقال عليه السلام: ان كل فتنة منها مظلمة لا يُهتدىٰ للحق فيها. أي يضل بها أكثر الناس، غالبة لمن غالبها: ماضية حيث توجهت، تأتيكم أوّل فأول، سريعة النفوذ والمضي.

أهلها شديد شرهم: لا يسلبون ما استولوا عليه من الأُمور وملكوه، يجاهد أهل هذه الفتن في كل زمانها لله ـ لا للدنيا ـ قوم لهم صفة واحدة وهي انهم مستذلّون عند أهل هذه الفتن؛ لما هم عليه من القلة وعدم المال والعُدّة ـ وهذه صفة الزيدية ـ وهم مجهولون في الأرض: أي لا يعرف قدرهم وما هم عليه من المنزلة أكثر أهل الأرض، ولكنهم في السماء ـ أي: عند الملائكة ـ معروفوا الطريقة مرضيون، وهذه صفة الزيدية؛ فان أهل المذاهب كلها لا يرفعون لطريقتهم رأساً، ولا يذكرون لهم قولاً، ولا يعدّون من رجالهم فاضلاً.

ثم أوعد أهل البصرة ـ في مجموع مدّتها ـ بان الله سينتقم منهم؛ لنصبهم له، بنقمتين:

أحدهما: الجيش الموصوف بهذه الصفة ـ وهذا الوصف ذكره عليه السلام عند ذكره جيش صاحب الزنج صريحاً ـ.

والنقمة الأُخرىٰ: أمران سماويان، وقعتا عند ذلك: عند وقوع الفتن في جملة الاسلام، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

ٱنْظُرُوا إِلَى ٱلدُّنْيَا نَظَرَ ٱلزَّاهِدِينَ فِيهَا؛ ٱلصَّادِفِينَ[١] عَنْهَا؛ فَإِنَّهَا وَٱللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُـزِيلُ ٱلثَّاوِيَ[٢] ٱلسَّاكِنَ، وَتَفْجَعُ ٱلْمُتْرَفَ[٣] ٱلآمِنَ؛ لَا يَرْجِعُ[٤] مَا[٥] تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلَا يُدْرَىٰ مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ.

سُرُورُهَا مَشُوبٌ[٦] بِالْحُزْنِ، وَجَلَدُ[٧] ٱلرِّجَالِ فِيهَا إِلَى ٱلضَّعْفِ وَٱلْوَهَنِ؛ فَلَا يَـغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَٱعْتَبَرَ[٨] فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ؛ وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ ٱلآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ.

ومنها: ٱلْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ[٩]، وَكَفَىٰ بِـالْمَرْءِ جَـهْلاً أَلَّا يَـعْرِفَ قَـدْرَهُ، وَإِنَّ مِـنْ أَبْغَضِ[١٠] ٱلرِّجَالِ لَعَبْداً[١١] وَكَلَهُ ٱللهُ إِلَى نَفْسِهِ، جَائِراً عَنْ قَصْدِ ٱلسَّبِيلِ، سَائِراً[١٢] بِغَيْرِ دَلِيلٍ، إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ ٱلدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ[١٣] ٱلآخِرَةِ كَسِلَ كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّ مَا وَنَىٰ فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ.

---

(١) في هـ.ب: أي المائلين.
(٢) في هـ.ب: المقيم.
(٣) في هـ.ب: أي المغتر.
(٤) في هـ.ب: أي لا يعود إلىٰ الناس الذي تولىٰ من أحوال الدنيا وولّىٰ الدبر، كالشباب وقوّته، ومثل الصحة والمرض والغنىٰ والفقر، وفي نتظر رجوع ذلك وإتيان هذا.
(٥) في هـ.ب: استفهامية، ويجوز ان تكون موصولة.
(٦) في هـ.ب: أي مخلوط.
(٧) في هـ.ب: الجلد: الصلابة والجلادة.
(٨) في ب: فاعتبر، فاعتبر.
(٩) في هـ. د: من عرف نفسه ـ م.
(١٠) في أ: وإن أبغض، وفي هـ. د: وان ابغض ـ ن ف.
(١١) في أوب: لعبدٌ، وفي هـ ب، في نسخة: لعبد.
(١٢) في هـ. د: وبسائر ـ ف ن.
(١٣) في ب: وإلىٰ حرث.

ومنها:

وذٰلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ[١]، إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ، وَإِنْ غَابَ لمْ يُفْتَقَدْ؛ أُولٰئِكَ مَصَابِيحُ ٱلْهُدَىٰ وَأَعْلَامُ ٱلسُّرَىٰ[٢]، لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ[٣] وَلَا ٱلْمَذَايِيعِ ٱلْبُذُرِ[٤]، أُولٰئِكَ يَفْتَحُ ٱللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ؛ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ[٥] يُكْفَأُ فِيهِ ٱلْإِسْلَامُ[٦]؛ كَمَا يُكْفَأُ ٱلْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ[٧].

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ؛ إِنَّ ٱللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ[٨]؛ وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: (إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ)[٩].

قال السيّد رحمه الله تعالى[١٠]:

أَمَّا قوله عليه السلام: «كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ» فإنما أرادَ به «الخامِلَ الذِّكْرِ القليل الشرِّ»، و«المَسايِيحُ»: جمعُ مِسْيَاحٍ؛ وهو الذي يَسِيحُ بينَ الناسِ بِالْفسادِ وَالنمَّائمِ، و«المَذَايِيعُ»:

---

(١) في هـ أ: نومة: لا يلتفت إليه، وفي الديوان والصحاح وغيرهما: «رجل نومة» ـ ساكنة الواو ـ: الذي لا يؤبه به و «رجل نُوَمة» مفتوحة الواو والنّوم: وهو كثير النوم، وفي الاصلاح لابن السكّيت: رجل نومه: كثير النوم، أي لا يؤبه به، وفي هـ ب: النوّمة بتشديد الواو: الرجل الضعيف، والنومة بفتح الواو: كثير النوم. (٢) في هـ ب: السرىٰ: سير الليل.

(٣) جمع مسياح، وهو من يسيح بين الناس بالفساد والنميمة.

(٤) جمع مذياع، وهو من يفشي السر ويلغو.

(٥) في هـ ص: ذكر عليه السلام انه سيأتي على الناس زمان تنقلب فيه الأُمور الدينية إلىٰ نقائضها وأضدادها، وقد شاهدنا ذلك عياناً، انتهى من الشرح.

(٦) في هـ ب: يكفأ الاسلام، أي يقلب كما يقلب الاناء، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿يا أَيُّها الذِينَ آمنوا إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ ... إلىٰ قوله ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، فاعتبر في الطلاق حضور شاهدي عدل، ولم يعتبرهما في النكاح فقال: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ ٱلنِّسَاءِ﴾ ولكن العامة جوزوه عقلاً ولم يجوزه شرعاً ... .

(٧) في هـ. ص: أي تعطل أحكام الدين وتضاع الشرائع. ذكر عليه السلام انه سيأتي علىٰ الناس زمان تنقلب فيه الأُمور الدينية إلىٰ نقائضها وأضدادها، وقد شاهدنا ذلك عياناً، انتهىٰ من الشرح.

(٨) في هـ.ب: أي انه تعالىٰ لا يظلم، ولكن ربما يظلم بعضكم بعضاً، فلا يدفعه الجاءَ، ثم ينتصف حتىٰ للشاة الجماء من القرناء، وهذا إملاءٌ.

(٩) المؤمنون: ٢٣ / ٣٠.

(١٠) لم ترد «قال السيد رحمه الله تعالىٰ» في ب ود.

جمعُ مِذْيَاعٍ، وهو الذي إذا سَمِعَ لغيرِهِ بِفاحِشَةٍ أذاعَها، وَنَوَّهَ[١] بها. وَ«ٱلْـبُذُرُ»: جمع بَذُورٍ[٢]، وهو ٱلَّذِي يَكثُر سَفَهُهُ وَيَلْغُو مَنْطِقُهُ.

* * *

قال في الشرح: قوله عليه السلام: **«العالم مَنْ عرف قدره»:**

من الأمثال المشهورة عنه عليه السلام، ثم عَبّر عن هذا المعنى بعبارة أُخرىٰ، فصارت مثلا أيضاً، وهي قوله عليه السلام: «كفى بالمرء جهلا ألّا يعرف قدره»، ومن الكلام المرويّ عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام مرفوعاً: «ما هلك امرؤ عرف قدره»؛ رواه أبوالعباس المبرد عنه في الكامل.

قال: ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: وما أخالُ رجلاً يرفع نفسه فوق قدرها إلّا من خلل في عقله، انتهىٰ[٣].

قوله عليه السلام: «وكَلَه الله إلىٰ نفسه»:

أي لم يمدّه بمعونته وألطافه، لعلمه أنّه لا ينجع ذلك فيه، وأنّه لا ينجذب إلىٰ الخير والطاعة، ولا يؤثر شيء ما في تحريك دواعيه إليها، فيكِلُه الله حينئذ إلىٰ نفسه.

والجائر: العادِل عن السَّمت، ولما كان هذا الشقيّ خابطاً فيما يعتقده ويذهب إليه مستنداً إلىٰ الجهل وفساد النَّظر جعله كالسائر بغير دليل، انتهىٰ من الشرح[٤].

أقول: هو يشير إلىٰ طريقة علماء العامة ـ أهل المذاهب الذين يتكلمون في المسائل ويناظرون مخالفيهم تنويهاً بمذاهبهم وتعصّباً لها، لا نصرةً للحق وتقريراً له ـ وتلك الطريقة معروفة منهم مشهورة، يعلمها من اطلع علىٰ اخبارهم.

«فحرث الدنيا» نصرة المذهب و«حرث الآخرة» نصرة الحق، والحرث: كل عمل يرجىٰ منه فائدة، وأصله حرث الأرض بتثويرها.

قوله عليه السلام: «كل نؤمة»:

---

(١) في هـ.ب: نوّه باسمه أي رفع ذكره، وناه: ارتفع.

(٢) في هـ.ب: مثل صبور وصُبر.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠٩.

قال ابن دريد: رجل نومة ـ بسكون الواو ـ: خامل الذكر، واستشهد عليه بهذا الكلام.

وقوله ؛: «ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد»:

يشير ؛ إلىٰ ان النجاة في زمان الفتن والتباس الحق بالخمول، وان يكون الشخص غير مقبول منه ولا مطلوب، وقد روي عن رسول الله ﷺ ما يشابه هذا الكلام، وهو: «رب أشعثَ أغبر ذي طِمْرين لا يُؤْبه له، لو أقسم على الله لأبرّ قسمه»... وقوله ؛: «إن يحبّ الأخفياء الأتقياء الأبرياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يعرَفوا، قلوبهم مصابيح الهدى؛ يخرجون من كلّ غبراء مُظلمة»، انتهىٰ من الشرح[1].

واعلم ان لباب هذا ونحوه مما هو كثير الورود عن رسول الله ﷺ وعن أهل بيته؛ ان المؤمن ان تعلّقت به مصالح الخلق من الإمامة، وتعليم الدين، ونحوهما، خالط الناس بقدر ذلك. وان سقط عنه ذلك لقيام غيره، أو لإعراض الناس عنه وعدم القبول منه، كانت العزلة ولزوم العبادة خيراً له، وعلىٰ هذه الطريقة كانت سيرة أمير المؤمنين ؛ والائمة من ولده. والله أعلم.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١١١ .

[١٠٣]

ومن خطبة له عليه السلام : وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية:[١]

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ؛ يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ[٢]، وَيُبَادِرُ بِهِمُ ٱلسَّاعَةَ[٣] أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ؛ يَحْسِرُ[٤] ٱلْحَسِيرُ، وَيَقِفُ ٱلْكَسِيرُ؛ فَيُقِيمُ[٥] عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ؛ إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّىٰ أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ[٦] مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، وَٱسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَٱيْمُ ٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا[٧] حَتَّىٰ تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، وَٱسْتَوْسَقَتْ[٨] فِي قِيَادِهَا؛ مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ، وَٱيْمُ ٱللهِ لَأَبْقُرَنَّ[٩] ٱلْبَاطِلَ حَتَّىٰ أُخْرِجَ ٱلْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ!

قال الرضيّ رحمه الله تعالى[١٠]:

وقد تقدَّم مختار هذه الخطبة؛ إلاَّ أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان؛ فأوجبت الحال إثباتها ثانية.

---

(١) في الخطبة ٣٣.

(٢) في هـ.ب: قال عليه السلام انه نبي الرحمة يقيم في هذا السفر علىٰ كل واحد من امته سواء ما كان معنى البدن أو مكسور الدابة حتىٰ يلحقه مقامه من الجنة الا هالكاً خارجاً عن الملة... وبلغ رسالته إلىٰ الكل ....

(٣) في هـ.ب: أي يسابق عليه السلام، يوعظ امته القيامة.وان ينزل بدل من الساعة،أي نزول الساعة.

(٤) في هـ.ب، وفي نسخة: فيحسر.

(٥) في ب: ويقيم.

(٦) في هـ.ب: حتىٰ بوّأهم.

(٧) في هـ.ص: جمع سائق كقادة جمع قائد. وفي هـ.ب: اي مؤخرها وحرمتها.

(٨) في هامش ب: أي اجتمعت.

(٩) في هـ.ب: أي لا شقن.

(١٠) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالى» العبارة إلىٰ آخرها لم ترد في أ في ب ص د.

ومن خطبة له عليه السلام:

حَتَّىٰ بَعَثَ ٱللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله شَهِيداً وَبَشِيراً وَنَذِيراً، خَيْرَ ٱلْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً، وَأَطْهَرَ المُطَهَّرِينَ شِيمَةً[١]، وَأَمْطَرَ ٱلْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً[٢].

فَمَا ٱحْلَوْلَتْ[٣] لَكُمُ ٱلدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ[٤] أَخْلَافِهَا[٥] إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا[٦]، جَائِلاً[٧] خِطَامُهَا[٨]، قَلِقاً[٩] وَضِينُهَا[١٠]، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ ٱلسِّدْرِ[١١] ٱلْمَخْضُودِ[١٢]، وَحَلَالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَصَادَفْتُمُوهَا ـ وَٱللهِ ـ ظِلاًّ مَمْدُوداً إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْدُودٍ، فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ[١٣]، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَأَيْدِي ٱلْقَادَةِ[١٤] عَنْكُمْ[١٥] مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ، وَسُيُوفُهُمْ عَنكُمْ مَقْبُوضَةٌ.

---

(١) في هـ.ب: أي خلقا.

(٢) الديمة: المطر يدوم، والمستمطر: من يطلب المطر.

(٣) في هـ.ص: أي ذقتموها حلوة، وفي هـ ب: أي ما صارت حلوة جداً هذه الدنيا يا بني آدم.

(٤) في هـ.ص: الرضاع ـ بفتح الراء ـ بمعنىٰ الارتضاع، مصدر رضع.

(٥) في هـ.ب: الخلف ـ بالكسر ـ: حلمة ضرع الناقة.

(٦) في هـ.ب، وفي نسخة: صادفتموها: أي وجدتموها.

(٧) في هـ.ب: من الجولان.

(٨) في هـ ب: اي زمامها.

(٩) في هـ.ب: أي مضطربة.

(١٠) في هـ ص: الوضين: حزام السرج والقتب، وفي هـ ب: وضينها: حزامها، وهو سيور منسوجة بعضها علىٰ بعض مضاعفة، وهو كالنسيج الا انه يتخذ للهودج.

(١١) في هـ.ب: شجر معروف.

(١٢) في هـ.ص: خضد السدر: اذهب شكوه، وفي هـ ب: المخضود: الذي خضد شوكه، أي قطع.

(١٣) في هـ.ص: أي خالية كأنه يريد خالية مما يمنع من القبيح، وفي هـ ب: أي خالية، من شغر البلد، أي خلا.

(١٤) في هـ.ص: يعني أهل البيت عليهم السلام (من الشرح).

(١٥) في هـ. د: منكم ـ ف .

أَلَا وَإِنَّ[١] لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً[٢]، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً، وَإِنَّ ٱلثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ[٣]، وَهُوَ ٱللهُ ٱلَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلَا يَفُوتُهُ مِنْ هَرَبَ. فَأُقْسِمُ بِاللهِ ـ يَا بَنِي أُمَيَّةَ ـ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ[٤]، وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ[٥].

أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ ٱلْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي ٱلْخَيْرِ طَرْفُهُ. أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ ٱلْأَسْمَاعِ مَا وَعَى ٱلتَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، ٱسْتَصْبِحُوا[٦] مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ[٧]، وَٱمْتَاحُوا[٨] مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ[٩] قَدْ رُوِّقَتْ[١٠] مِنَ ٱلْكَدَرِ[١١].

عِبَادَ ٱللهِ، لَا تَرْكَنُوا[١٢] إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ[١٣]؛ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا[١٤] المَنْزِلِ[١٥] نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ[١٦] هَارٍ[١٧]، يَنْقُلُ[١٨] الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ[١٩] لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بعدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ[٢٠] مَا لَا يَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ.

فَاللهَ ٱللهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي[٢١] شَجْوَكُمْ[٢٢]، وَلَا يَنْقُضُ[٢٣] بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ

---

(١) في د: الاوان.
(٢) ثأره: أي طلب بدمه وقتل قاتله.
(٣) أي ان الطالب بدمائنا لا يحكم عليه غيره.
(٤) في هـ.ب: ويعلم من فحوىٰ الكلام ان الامر لبني أمية لا يرجع إلىٰ آل محمد.
(٥) في هـ.ب: أي دار بني العباس وفي أيدي غيرهم.
(٦) في هـ.ص: أي أوقدوا مصابيحكم، يعني بصائركم من نور هادٍ مهتدٍ.
(٧) في هـ.ص: يعني نفسه (من الشرح).
(٨) في هـ.ص: أي اغترفوا، وفي هـ ب: أي استقوا.
(٩) في هـ.ص: يعني نفسه (من الشرح).
(١٠) في هـ.ص: أي صفيت.
(١١) في هـ.ص: أي فساد العلم.
(١٢) في هـ.ب: أي لا تميلوا.
(١٣) في هـ. د: إلىٰ أهوالكم ـ ض ح.
(١٤) في ب: هذا، وفي هـ ب، وفي نسخة: بهذا.
(١٥) في هـ.ص: اشارة إلىٰ محصول قوله: «لا تركنوا ... الخ». وفي هـ ب: أي الجهالة والهوىٰ.
(١٦) في هـ.ب: طرف موضع مخوفة السقوط، أي ما يُسقط من قام عليه.
(١٧) في هـ.ب: هار مقلوب من هاير، كقولهم: شاك السلاح وشائك السلاح، وفسّر هار بساقط.
(١٨) في هـ.ص: أي ما يملأ أوزار متّبعيه ويذيع البدعة.
(١٩) في هـ.ص: أي يرتّب رأيا فاسداً على رأي فاسد.
(٢٠) في هـ.ص: أي يحتجّ للباطل.
(٢١) في ب: لا يبكي، وفي هـ ب: في نسخة: لا يشكي، أي مَن لا يزيل الشكاية، أي خافوا الله ←

لَكُمْ، إِنَّه لَيْسَ عَلَى ٱلْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ ٱلْإِبْلَاغُ فِي المَوْعِظَةِ، وَالاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَٱلْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ وَإِقَامَةُ ٱلْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ[٢٤] عَلَى أَهْلِهَا، فَبَادِرُوا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ[٢٥] وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا[٢٦] بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ[٢٧] ٱلْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَٱنْهَوْا[٢٨] عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي.

قوله عليه السلام: «فما احلولت لكم ... إلىٰ آخر كلامه»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: يعني إنّ الله صان نبيه صلى الله عليه وآله في أيام حياته عن أن يفت عليه الدنيا، وأكره عن ذلك فلم تُفْتَح عليكم البلاد، ولا دَرّت عليكم الأموال، ولا أقبلت الدنيا نحوكم؛ وما دالت الدولة لكم إلا بعده، فتمكّنتم من أُكُلها والتمتع بها، كما يتمكّن الحالب من احتلاب الناقة فيحلبها، وحلت لذّاتها لكم، واستطبتم العيشة، ووجدتموها حُلْوة خضرة.

ثم ذكر أنّهم صادفوها ـ يعني الدنيا ـ وقد صَعُبت على مَنْ يليها ولاية حق، كما تستصعبُ الناقة على راكبها إذا كانت جائلة الخِطام؛ ليس زمامها بممكّن راكبها من نفسه، قلقَة الوضين، لا يثبت هودجُها تحت الراكب، حرامها سهل التناول على من يريده، كالسِّدْر الذي خُضِد عنه شوكه، فصار ناعما أملس، وحلالها غير موجود لغلبة الحرام عليه؛ وكونه صار مغلوباً[٢٩] مستهلكاً بالنسبة إليه.

وهذا إشارة إلىٰ ما كان يقوله دائماً من استبداد الخلفاء قبله دونه بالأمر، وأنّه كان

← أن ترفعوا شكايتكم من حالتكم المحزنة إلىٰ من لا [يهمّه أمركم]، وفي هـ.ص: اشكيته: ازلت شكواه. (٢٢) الشجو: الحاجة، وفي هـ.ب: مفعول تشكوا.

(٢٣) في ب: ومن ينقص، وفي هـ.ص، وفي نسخة: ومن ينقض.

(٢٤) السهمان: الحظ والنصيب، وإصدار السهمان: إعادتها إلىٰ أهلها.

(٢٥) في هـ ص: تصويح النبت: يبسه، وكنّىٰ به عن موته عليه السلام. وفي هـ.ب: أي بادروا العلم واطلبوه قبل ذهابه، وتصويح النبت: استعارة، ويقال: صوحت الريح النبت: أي أيبسته.

(٢٦) في هـ.ص: تشغلوا بما يثور من الفتن.

(٢٧) الاستثارة: كَلَبُ الثور، وهو السطوع والظهور، وفي هامش ب: أي موضع الاستيثار.

(٢٨) في د: وانهوا غيركم. (٢٩) في ط: مغموراً.

الأولى والأحقّ.

فإن قلت: إذا كانت الدنيا قَلِقة الوضين، جائلة الخِطام، فهي صَعْبة الركوب؛ وهذا ضدّ قوله: «حرامها بمنزلة السدر المخضود»، لأنه من الأمثال المضروبة للسهولة!

قلت: فحوى كلامه أنّ الدنيا جمحت به عليه السلام، فألقته عن ظهرها بعد أن كان راكباً أو كالراكب[١]؛ لاستحقاقه ركوبَها، وأنها صارت بعده كالناقة التي خَلَعَتْ زمامها، أو أجالته، فلا يتمكّن راكبُها من قبضه، واسترخى وَضِينُها لشدّة ما كان صدر عنها من النفار والتقحّم؛ حتى أذرَتْ راكبها، فصارت على حالٍ لا يركبها إلا من هو موصوف بركوب غير طبيعي، لأنّه ركب ما لا ينبغي أن يركب؛ فالذين وُلّوا أمرها وُلُّوه على غير الوجه، كما أن راكب هذه الناقة يركبها على غير الوجه؛ ولهذا لم يقل: «فصار حرامها بمنزلة السدر المخضود» بل قال: «عند أقوام»، فخصّص.

وهذا الكلام كلُّه محمول عند أصحابنا على التألّم من كون المتقدمين تركوا الأفضل، كما قدمناه في أول الكتاب، انتهى[٢].

ولا يخفىٰ ما في تفسيره من النبوّة، وما في الكلام معه من القلق والتدافع، والذي يظهر لي: أن مخرج الكلام مخرج التنبيه علىٰ ما كان وقع من الفساد في هذه الأُمّة، وما سيقع بعده وعلىٰ سببه. فقال عليه السلام: ان الناس لم يذوقوا حلاوة الدنيا في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّه كان مدبراً للأمر تدبيراً شرعياً، موقعاً للأموال مواقعها، لا ينال أحد إلاّ حقه، فلما مات صلى الله عليه وآله ولم بل الأمر من هو شبهه، مستحق له استحقاقه ـ أي: بجعل الرب العالم بالمصالح ـ صادف الناس الدنيا سدىٰ مهملة، فقوله: «جائلا خطامها، قلقا وضينها» كناية عن أنّه لا مدبر لها شرعي يثبتها ويهيّئها، كما قال عليه السلام: «انك لقلق الوضين ترسل في غير سدد»[٣] فهو يكنّي به عن عدم الثبات، وعدم إيقاع الأمور في مواقعها.

ثم ذكر ان الله جعلها لهم علىٰ هذه الصفة بلوىً واستدراجاً، بقوله: **«وصادفتموها والله ظلاً ممدوداً ... إلىٰ آخره»:**

---

(١) في ط: راكبالها أو كالراكب لها.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٢٠.

(٣) في الخطبة ١٦٢.

ثم انه عليه السلام بيّن ما أجمل فقال: «**الأرض لكم شاغرة ... إلىٰ آخره**»:

وكل هذا تبيين؛ لأنّ كل ما وقع من فساد في عصره وفي الأعصار بعده من التباس الحق بالباطل، وغلبة الحرام علىٰ الحلال، ومنع الهادين من هداية الضالين، وقتل الآمرين بالقسط من الناس سببه انه لم يلي الأمر من جعله الله له ولياً. وقد ذكر عليه السلام هذا المعنىٰ في كلامه كثيراً مصرحاً مكنيّاً، والله أعلم.

ثم انه عليه السلام لما ذكر ان الامة تقتل أهل البيت في الأعصار [القادمة][1] نبّههم علىٰ انهم وإن رأوا دمائهم مطلولة[2] في الدنيا لا ثائر لها، فإنّ لها طالباً يحتسبها حقاً من حقوقه يطلبها مع حقوقه، والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «**استصبحوا**»:

قال في الشرح: أي: أمرهم عليه السلام أن يستصبِحوا، أي يُسرجوا مصابيحَهم من شعلة سراج متّعظٍ في نفسه واعظ لغيره؛ وروي بالإضافة من «شعلة مصباحِ واعظ» بإضافة «مصباح» إلىٰ «واعظ»؛ [وإنما جعله متّعظاً واعظاً؛ لأن مَنْ لم يتّعظ في نفسه فبعيد أن يتّعظ به غيرُه؛ وذلك لأنّ القبول لا يحصل منه، والأنفس تكون نافرةً عنه، ويكون داخلاً في حَيِّز قوله تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[3] وفي قول الشاعر:

❊ لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ[4] ❊

وعَنَى بهذا المصباح نفسَه عليه السلام.][5]

ثم أمرهم أن يمتاحوا من عين صافيةٍ قد انتفَى عنها الكدر، كما يروّق الشراب بالراووق، فيزول عنه كدره؛ والامتياح: نزول البئر وملء الدّلاء منها، ويكني بهذا أيضاً عن نفسه عليه السلام.

---

(١) الزيادة اقتضاها السياق.

(٢) الدم الطليل: المهدور، الّذي لم يثأر له.

(٣) البقرة: ٢ / ٤٤.

(٤) لأبي الأسود الدؤلي، وتمامه:

❊ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ ❊

البيت من شواهد المغني، انظر شرح شواهد المغني ٢٦٤.

(٥) ما بين المعقوفتين من ط، انظر شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٦٨.

ثم نهاهم عن الانقياد لأهوائهم والميل إلىٰ جهالتهم، وقال: إنّ من يكون كذلك، فإنّه على جانب جُرُفٍ مستهدم؛ ولفظة «هارٍ» من الألفاظ القرآنية[١].

ثم قال: ومَنْ يكون كذلك، فهو أيضاً ينقل الهلاك على ظهره من موضع إلىٰ موضع؛ ليُحدِث رأياً فاسداً بعد رأي فاسد، أي هو ساعٍ في ضلال يروم أن يحتجّ لما لا سبيل إلىٰ إثباته، وينصر مذهباً لا انتصار له.

ثم نهاهم وحذّرهم أن يشكُوا إلىٰ مَنْ لا يزيل شِكايتهم ومَنْ لا رأي له في الدين ولا بصيرة؛ لينقض ما قد أبرمه الشيطان في صدورهم لإغوائهم. ويروى: «إلىٰ من لا يشكي شجوَكم، ومَنْ ينقَض برأيه ما قد أبرم لكم»؛ وهذه الرواية أليق، أي لا تشكُوا إلىٰ مَنْ لا يدفع عنكم ما تشكون منه؛ وإنما ينقض برأيه الفاسد ما قد أبرمه الحقّ والشرع لكم.

ثم ذكر أنّه ليس على الإمام إلا ما قد أوضحه من الأُمور الخمسة.

ثم أمرهم بمبادرة أخذ العلم من أهله ـ يعني نفسَه عليه السلام ـ قبل أن يموت، فيذهب العلم. وتصويح النَّبْت، كناية عن ذلك.

ثم قال: وقبل أن تشغَلُوا بالفتَن وما يحدث عليكم من خطوب الدنيا عن استثارة العلم من معدنه واستنباطه من قرارته.

ثم أمرهم بالنّهي عن المنكر، وأن يتناهوْا عنه، انتهىٰ من الشرح مع اختصار في اللفظ وإكمال المعنىٰ[٢].

أقول: ومضمونه، حتمه عليه السلام أخذ العلم عنه، والرجوع في حل المشكلات إليه، وحكم آله في ذلك حكمه ـ كما أشار إليه في مواضع ـ لأخذهم العلم عنه، وإجماعهم علىٰ وجوب اتباعه وحرمة مخالفته.

ومنعه عليه السلام أخذ علم التأويل وحل المشكلات عن غيره، وغير الآخذين عنه، وعلىٰ هذا إجماع المتقدمين من أئمة أهل البيت، لا يقبلون في موضع التشابه والإشكال إلّا ما

---

(١) من قوله تعالىٰ في سورة التوبة: ٩/١٠٩ ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٦٨ و١٦٩.

صحّ عن عليّ عليه السلام انه قاله أو عمل به أو رواه، ويطرحون ما عداه.

وهذا هو الذي امر به النبيّ صلى الله عليه وآله في احاديث كثيرة تواتر معناها واستفاض أكثرها، وفي علوم آل محمّد ـ أمالي أحمد بن عيسىٰ ـ: سمعت أبا الطاهر العلوي يذكر، قال: إذا سمعت حديثين وثبتا عندي، حديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وحديث عن علي، أخذت بالحديث الذي عن علي؛ لأنّه كان أعلم الناس بآخر ما كان عليه النبيّ صلى الله عليه وآله، انتهىٰ.

وفيه أيضاً: حدثني حمزة بن أحمد، عن عمه عيسىٰ بن عبدالله عن أبيه ـ عبدالله بن محمّد ـ، قال: خُلِطَ علىٰ قوم من أصحابنا في شيء من أمر الحج، قال: فاستأذنت علىٰ جعفر بن محمّد، فأُدخلت عليه، قال: قلت: ان قوماً من أصحابنا خَلَطوا علي في شيء من أمر الحج.

قال: فقال لي: أليس قد أدركت أباك وسمعت منه؟

قال: قلت: بلىٰ.

قال: ورأيت خالك محمّد بن علي وسمعت منه؟ ورأيت خالك زيد بن علي وسمعت منه؟ وعدد عليّ رجالاً من أهلنا ...

قال: كل ذلك أقول: بلىٰ.

قال: فقال لي: فانظر إلىٰ ما سمعت منهم فخد به، وما سمعت من غيرهم فارم به، تهتدي، انتهىٰ.

وقال زيد بن علي في جوابه لمن سأله ما لفظه: وكتبت اليّ تسألني عن أهل بيتي وعن اختلافهم، فاعلم رحمك الله ان أهل بيتي فيهم المصيب وفيهم المخطيء، غير أنّه لا يكون هداة الأُمّة إلّا منهم، فلا يصرفك عنهم الجاهلون، ولا يزهدك فيهم الذين لا يعلمون، وإذا رأيت الرجل منصرفاً عن هدينا زاهداً في علمنا راغباً عن مودّتنا، فقد ضل ـ لا شك ـ عن الحق، وهو من المبطلين الضالين، وإذا ضل الناس عن الحق لم يكن الهداة إلّا منا، انتهىٰ.

وقال الناصر للحق الحسن بن عليّ ـ فيما حكاه عنه صاحب «المسفر» ـ: ولله أدلة علىٰ الحوادث، علىٰ المكلّف اصابتها، التي الأُمّة فيها علىٰ سواء، فأمّا ما سوىٰ هذه الأُصول من الأحكام في الحوادث النازلة التي يسوغ فيها الاجتهاد؛ إذ لا نص عليها من

كتاب ولا سنّة ولا اجماع من الأمّة والائمة، فالاجتهاد فيها إلىٰ علماء آل الرسول دون غيرهم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ منهم﴾، انتهىٰ.

وقال محمّد بن القاسم ـ في «شرح دعائم الايمان» ـ: فاولئك هم الذين أمر بطاعتهم، وهم العترة الطاهرون من أهل بيته عليهم السلام، أقامهم ائمة يهدون بأمره، وأمر الخلق كلّهم أن يسألوهم إذا جهلوا، وان يردّوا إليهم ما اختلفوا فيه؛ لأنهم أهل الاستنباط والبحث والنظر الذين أمر الله بالرد إليهم، انتهىٰ.

وللهادي يحيىٰ بن الحسين عليه السلام كلام في هذا المعنىٰ في خطبة كتابه «الاحكام» أكيد شديد، وهو طويل، وشهرته يغني عن نقله، ويغني عن نقل كلام كل امام: ان أباطالب يحيىٰ بن الحسين الهاروني عليه السلام نقل اجماع أهل البيت رجلان، زيدي وامامي، فأمّا الامامية فمعلوم من مذهبهم انهم لا يسوّغون لأحد مخالفتهم في أقوالهم ويضلّلون مخالفيهم فيها.

واما علماء الزيدية وأئمتهم فقد نصّوا علىٰ تخطئة من يخالف جماعة أهل البيت وذمّهم، ووصفهم بأنهم عدلوا عن الطريق الذي قد امروا بسلوكه وخالفوا الحق الذي لزمهم الاقتداء به ـ من مذهب أهل البيت الذي قد أُمروا بسلوكه ـ وخالفوا الحق الذي لزمهم الاقتداء به من مذهب أهل بيت رسولهم صلى الله عليه وآله، ونقلوا هذاالقول خلفا عن سلف[1].

وممن اسمع هذا القول في هذا الباب وبسطهُ، الهادي إلىٰ الحق أبو الحسين يحيىٰ بن الحسين بن القاسم في خطبة كتاب «الأحكام» والقاسم بن إبراهيم، وقد ذكرا ـ أيضاً ـ ما يدلّ علىٰ هذا في غير موضع، وكذلك أحمد بن عيسىٰ بن زيد، وغيرهم من ائمة الزيدية، انتهىٰ كلامه.

وخلاصة ذلك ما حقّقه الامام المنصور بالله القاسم بن محمّد في «الاساس»، رواه عن جمهور ائمتنا عليهم السلام قال فيه: من خالف مجتهدي العترة عمداً، وهو عالم بمخالفته لهم، أو

---

(١) أي متواتراً عن هـ النسخة.

أخذ عن غيرهم، أوشك في الاصول ـ أي: اصول الدين أو اصول الفقه، غير طريقهم عمداً أيضاً لتفرّع كثير من الخلافات عليه ـ أي: علىٰ ذلك الاصل ـ، فهو آثم واجتهاده حضرٌ ـ أي محرّم عليه ـ، لآية التطهير وخبري: «السفينة» و«اني تارك فيكم ... ولا تخالفوهم فتضلوا» ونحو ذلك.

ومن أخطأ أو سها بعد التحري ـ أي: لا لأمر يخالف أقوال العترة كلها ـ، فمعذور؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾[1]، وقوله ﷺ: «رفع عن امتي الخطأ والنسيان»، انتهىٰ من الأساس وشرحه.

أقول: ومبنىٰ هذا الأصل علىٰ تحقيق أدلّة اجماع أهل البيت وحجية مذهب الوصيّ، فمن تحققها حقق هذا الأصل، ومن عشي عنها عمي عن هذا الأصل، لكن كثيراً من متأخري أصحابنا عشقوا مذاهب المخالفين، «وحبّك للشيء يعمي ويصم»، والله المستعان.

وقال السيد هادي بن إبراهيم بن الوزير ـ فيما رواه عنه حفيده السيد إبراهيم بن محمّد ﷺ ـ:

وأُوصي كل زيديّ بتركٍ	لعلمهم وإن عذب الورود
إذا ولغت كلاب السوء ماءً	تحامته علىٰ العطش الاسود

---

(١) الأحزاب: ٥/٣٣.

[١٠٥]

ومن خطبة له عليه السلام:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِي شَرَعَ اَلْإِسْلاَمَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ[١] لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ[٢] عَلَى مَنْ غَالَبَهُ؛ فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِه[٣]، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ.

فَهُوَ[٤] أَبْلَجُ المَنَاهِجِ[٥]، وَأَوْضَحُ اَلْوَلاَئِجِ؛ مُشْرِفُ المَنَارِ، مُشْرِقُ اَلْجَوَادِّ، مُضِيءُ المَصَابِيحِ، كَرِيمُ المِضْمَارِ[٦]، رَفِيعُ اَلْغَايَةِ، جَامِعُ اَلْحَلْبَةِ[٧]، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ، شَرِيفُ اَلْفُرْسَانِ.

التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالمَوْتُ غَايَتُهُ، وَاَلدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، وَاَلْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، وَاَلْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ.

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله:

---

(١) في هـ.ب: سهل مشرعة للواردين.

(٢) في هـ.ب: عزيز: شديد ركنه للغالبين، ثم قال: انه تعالىٰ جعل الاسلام سبباً لأربعة عشر شيئاً من الرغائب، ثم قال: فهو أبلج المناهج.

(٣) في ط:خاصم عنه، وفي هـ. د: لمن خاصم عنه ـ ح.

(٤) في هـ.ب: «هو» ضمير الاسلام، ووصفة عشرة أشياء من الممادح، ثم عدّ من خصائص الاسلام ستة اشياء.

(٥) في هـ.ب: أي معروف الطرق.

(٦) في هـ.ب: المضمار: الموضع الذي يضمر فيه الخيل.

(٧) في هـ.ب: الحلبه ـ بالتسكين ـ: حبل يجمع للسبا [كذا] لا تخرج من اصطبل واحد.

أخذ عن غيرهم، أوشك في الاصول ـ أي: اصول الدين أو اصول الفقه، غير طريقهم عمداً أيضاً لتفرّع كثير من الخلافات عليه ـ أي: علىٰ ذلك الاصل ـ، فهو آثم واجتهاده حضرٌ ـ أي محرّم عليه ـ، لآية التطهير وخبري: «السفينة» و«اني تارك فيكم ... ولا تخالفوهم فتضلوا» ونحو ذلك.

ومن أخطأ أو سها بعد التحري ـ أي: لا لأمر يخالف أقوال العترة كلها ـ، فمعذور؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾[1]، وقوله ﷺ: «رفع عن امتي الخطأ والنسيان»، انتهىٰ من الأساس وشرحه.

أقول: ومبنىٰ هذا الأصل علىٰ تحقيق أدلّة اجماع أهل البيت وحجية مذهب الوصيّ، فمن تحققها حقق هذا الأصل، ومن عشي عنها عمي عن هذا الأصل، لكن كثيراً من متأخري أصحابنا عشقوا مذاهب المخالفين، «وحبّك للشيء يعمي ويصم»، والله المستعان.

وقال السيد هادي بن إبراهيم بن الوزير ـ فيما رواه عنه حفيده السيد إبراهيم بن محمّد ﷺ ـ:

واُوصي كل زيديّ بتركٍ	لعلمهم وإن عذب الورود
إذا ولغت كلاب السوء ماءً	تحامته علىٰ العطش الاسود

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٥.

[١٠٥]

ومن خطبة له عليه السلام:

اَلْحَمْدُ لِلّهِ اَلَّذِي شَرَعَ اَلْإِسْلاَمَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ[١] لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ[٢] عَلَى مَنْ غَالَبَهُ؛ فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِه[٣]، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ.

فَهُوَ[٤] أَبْلَجُ المَنَاهِجِ[٥]، وَأَوْضَحُ اَلْوَلاَئِجِ؛ مُشْرِفُ المَنَارِ، مُشْرِقُ اَلْجَوَادِّ، مُضِيءُ المَصَابِيحِ، كَرِيمُ المِضْمَارِ[٦]، رَفِيعُ اَلْغَايَةِ، جَامِعُ اَلْحَلْبَةِ[٧]، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ، شَرِيفُ اَلْفُرْسَانِ.

التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالمَوْتُ غَايَتُهُ، وَاَلدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، وَاَلْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، وَاَلْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ.

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله:

---

(١) في هـ.ب: سهل مشرعة للواردين.

(٢) في هـ.ب: عزيز: شديد ركنه للغالبين، ثم قال: انه تعالىٰ جعل الاسلام سبباً لأربعة عشر شيئاً من الرغائب، ثم قال: فهو أبلج المناهج.

(٣) في ط:خاصم عنه، وفي هـ. د: لمن خاصم عنه ـ ح .

(٤) في هـ.ب: «هو» ضمير الاسلام، ووصفة عشرة أشياء من الممادح، ثم عدّ من خصائص الاسلام ستة اشياء.

(٥) في هـ.ب: أي معروف الطرق.

(٦) في هـ.ب: المضمار: الموضع الذي يضمر فيه الخيل.

(٧) في هـ.ب: الحلبه ـ بالتسكين ـ: حبل يجمع للسبا [كذا] لا تخرج من اصطبل واحد.

حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ[١]، وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ[٢]، فَهُوَ أَمِينُكَ[٣] المَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ ٱلدِّينِ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالحقِّ رَحْمَةً[٤].

ٱللَّهُمَّ ٱقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ، وَٱجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ[٥] ٱلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، ٱللَّهُمَّ وَأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ ٱلْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ ٱلْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَٱلْفَضِيلَةَ، وَٱحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، غَيْرَ خَزَايَا[٦] وَلاَ نَادِمِينَ، وَلاَ نَاكِبِين وَلاَ نَاكِثِينَ، وَلاَ ضَالِّينَ وَلاَ مُضِلِّينَ[٧]، وَلاَ مَفْتُونِينَ!

قال الرضيّ رحمه الله تعالى[٨]:

وَقَدْ مَضَى هَذَا ٱلْكَلاَمُ فِيما تَقدَّمَ[٩]، إِلَّا أَنَّنَا كَرَّرْنَاهُ هاهنا لِمَا فِي الرِّوَايَتَيْنِ مِنَ الاخْتِلاَفِ.

ومنها[١٠] في خطاب أصحابه[١١]:

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ ٱللهِ تَعالَى لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إماؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِها جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلاَ يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لاَ يَخاف لَكُمْ سَطْوَةً، وَلاَ لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ.

---

(١) في هـ.ب: قبسا لقابس، ورىٰ: أي استخرج النار من الزند، والقبس: شعلة من نار، والقابس: طالب النار من الغير، ان ياخذها.

(٢) في هـ.ب، وفي نسخة: لحافظ، ويحتمل ان تكون هذه الكلمة تفسيراً «لحابس»، وفي هـ.ب: والحابس: من يحبس فرسه في سبيل الله.

(٣) في هـ.ب: اميناً للعلم الذي يحبس نفسه على الله، فأشار أولاً إلىٰ العلم، ثم أومأ إلىٰ الجهاد بالقرينة الثانية.

(٤) في هـ.ب، وفي نسخة: رحمة للعالمين.

(٥) في د: مضاعفات، وفي هـ ب: أي مضاعفات.

(٦) في هـ.ب: خزايا فعالهم، ويجمع «فعلان» مكسور ... نحو سكران وسكارىٰ، وجبران وجبارى، فجعلها المذكر ... خزيان ونحو مشبّها بصحراء وصحارىٰ.

(٧) لم ترد «ولا مضلين» في ب.

(٨) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالى» في ب ود، والعبارة إلىٰ آخرها لم ترد في أ وب ود.

(٩) في الخطبة: ٧٢.

(١٠) في د: منها.

(١١) في هـ.ب: فخاطب عليه السلام أصحابه فقال: ان الله اعطاكم خير منزلة من الاكرام يعزون يعظم جاركم ومملوككم، لا لفضل فيكم، أو تفضّل منكم، أو هيبة.

وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ ٱللهِ مَنْقُوضَةً فَلاَ تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ دِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ[١]، وَكَانَتْ أُمُورُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ ٱللهِ فِى أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ[٢] بِالشُّبُهاتِ، وَيَسِيرُونَ[٣] فِى ٱلشَّهَوَاتِ. وَٱيْمُ ٱللهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ[٤]، لَجَمَعَكُمُ ٱللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ[٥]!

* * *

قوله عليه السلام: «قد بلغتم من كرامة الله لكم... إلىٰ قوله: أمره»:

يريد عليه السلام أنّ هذه المنزلة كانوا يستحقونها وثبتت لهم لو واضبوا علىٰ تثبيتها، وهو نصرة أهل بيت نبيّهم والجهاد معهم.

وقوله عليه السلام: «وكانت امور الله ... إلىٰ قوله: فمكنتم الظلمة»:

يحتمل انه عنىٰ به حالهم في اول خلافته، وتمكينهم الظلمة من منزلتهم بتخاذلهم الذي هو سبب ذلك، فكأن المسبّب قد وقع.

ويحتمل انهم كانوا يستحقون هذه المنزلة لو نصروه بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله، ويكون توجيه الخطاب إلىٰ من كان معه من الصحابه والتابعين لهم الذين قد عرفوا استحقاقه الامر، وان رسول الله صلى الله عليه وآله جعله له، وقد قال هذا مراراً.

وقوله عليه السلام: «لجمعكم»:

الضمير لمطلق شيعته والذين تولّوا قتل بني أُمية مع بني العباس كانوا يعزون إلىٰ الشيعة، والله أعلم.

---

(١) في هـ.ب: أي هذه عهود الله نقضها طلحة والزبير ومعاوية واتباعهم، وأنتم لا تغضبون، وإن نقض أحد ذمة ابائكم اخذتكم الأنَفَة والحمية، وها انا فيما بينكم اعرض امور الله عليكم ليلاً ونهاراً، فلم تنفع فيكم وصرتم منقادين لمعاوية.

(٢) في ب: تعملون.　　(٣) في ب: تشيرون.

(٤) في هـ.ب: شبه بالكوكب لتفرق الكواكب فكذلك تفرّقهم.

(٥) في هـ.ب: أي ليوم القيامة.

قلت: ولعل هذا اشارة إلىٰ تهجير أصحاب أهل البيت عليهم السلام واتباعهم في الأرض، كما حصل للكثير من الشيعة في العراق. ولعل اليوم الذي وعده عليه السلام هو يوم الوقت المعلوم المنتظر لفرج الشيعة، عجل الله لهم الفرج.

[١٠٦]

ومن خطبة[١] له عليه السلام في بعض أيام صفين[٢]:

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُم وَٱنْحِيَازَكُمْ[٣] عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ ٱلْجُفَاةُ[٤] ٱلطَّغَامُ[٥]، وَأَعْرَابُ أَهْلِ ٱلشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ[٦] ٱلْعَرَبِ، وَيَآفِيخُ[٧] ٱلشَّرَفِ، وَٱلْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ، وَٱلسَّنَامُ ٱلْأَعْظَمُ. (وعُبَّادُ اللَّيلِ فِي تَلاَوَةِ القُرْآنِ[٨] وَأَهْلَ دَعْوَةِ الْحَقِّ إِذْ ضَلَّ عَنْهَا الخَاطِئُونَ، فَلَوْلاَ إِقْبَالَكُمْ بَعْدَ إِدْبَارِكُمْ، وَمَكْرَكُمْ بَعْدَ ٱنْحِيَارِكُمْ لَوَجَبَ عَلَيْكُمْ مَا وَجَبَ عَلَىٰ ٱلْمُولي يَومَ الزَّحْفِ دُبُرَهُ[٩]، وَلَكُنْتُمْ مِنَ ٱلهَالِكِينَ)[١٠]، وَلَقَدْ شَفَى[١١] وَحَاوِحَ[١٢] صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ[١٣]

---

(١) في د: كلام.

(٢) في هـ.ب: خاطب أصحابه بصفين، فقال: كيف لا تغضبون وأنتم سادة العرب وجمعتكم لإذلال أهل الشام، إلّا أنّ قلبي طاب مرّة حين ضيّقتم الأمر عليهم.

(٣) في هـ.ب: انحاز عنه العدل: انساق وذهب، يقال: انحاز القوم، إذا تركوا مراكزهم، والحوز والحيز: السَّوْق اللّين، يقال: قد حاز الابل حوزا وتحييزا.

(٤) في هـ.ص: جمع جاف: وهو الذي لا يتأدب بآداب الشريعة .

(٥) في هـ.ب: في نسخة الطغاة، وفي هـ. د: الطغاة ـ ف ع. وروي الطفاة ـك . وفي هـ ص: جمع طغم الذي لا فقه له، وفي هـ ب: الذين لا عقول لهم.

(٦) في هـ.ص: اللهموم: الجواد من الناس والخيل، وفي هـ ب: اللهاميم: جمع اللهموم: الجواد الشريف، ويقال للسحاب: اللهاميم ... ويكنىٰ بـ«أبي لهميم» عن الشريف.

(٧) في هـ.ص: جمع يأفوخ، اما بمعنىٰ معظم الشيء أو مقدمه.

(٨) في هـ. ص: في نسخة ابن أبي الحديد: عمّار الليل بتلاوة القرآن قلت لعل نسخة ابن أبي الحديد كاتب محتوية علىٰ ذلك، ولم ترد العبارة في ط.

(٩) اشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللهِ ...﴾.

(١٠) ما بين القوسين من ص، وهو غير موجود في أوب وط ود.

(١١) في ب: وقد شفىٰ. وفي هـ ب، وفي نسخة: ولقد شفىٰ.

(١٢) الوحاوح: هي الحرق والحرارات التي يقال معها: «أُح»، وب: الوحوحة: صوت معه تنحنح.

(١٣) في هامش الأصل: بزنة ثمرة: آخر الامر، وفي هامش ب: بآخره .

تَحُوزُونَهَمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ، حَسّاً[١] بِالنِّصَالِ[٢]، وَشَجْراً[٣] بِالرِّمَاحِ، تَرْكَبُ أُولاَهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ ٱلْهِيمِ ٱلْمَطْرُودَةِ تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا، وَتُذَادُ[٤] عَنْ مَوَارِدِهَا.

---

(١) في هـ.ص وب: أي قتلاً.

(٢) في ط: بالنضال، وفي ظاهر ب: بالنضال، وفي هـ . د: روي حشّاً بالنضال ـ ر، وفي هـ ط: النضال: المباراة في الرمي، وفي رواية النصال ـ بالصاد ـ، وفي هـ.ب: النصل واحدة النصال، ويقال للسهم والسيف والرمح والسنان....

(٣) في هـ.ص وب: أي طعناً.

(٤) في هـ.ب: أي ترجع وتطرد.

[١٠٧]

ومن خطبة له عليه السلام، وهي من خطب الملاحم[1]:

ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلْمُتَجَلِّي[2] لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَٱلظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ، خَلَقَ ٱلْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ[3]؛ إِذْ كَانَتِ ٱلرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي ٱلضَّمَائِرِ، وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ، خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ ٱلسُّتُرَاتِ[4]، وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ[5] عَقَائِدِ ٱلسَّرِيرَاتِ.

منها في ذِكْرِ ٱلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله:

إِخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ ٱلْأَنْبِيَاءِ[6]، وَمِشْكَاةِ ٱلضِّيَاءِ[7]، وَذُؤَابَةِ ٱلْعَلْيَاءِ[8]، وَسُرَّةِ[9] ٱلْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ ٱلظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ ٱلْحِكْمَةِ.

ومنها:

طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ[10]، يَضَعُ مِنْ[11] ذٰلِكَ حَيْثُ ٱلْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وَآذَانٍ صُمٍّ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ ٱلْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ ٱلْحَيْرَةِ.

لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ ٱلْحِكْمَةِ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ ٱلْعُلُومِ ٱلثَّاقِبَةِ، فَهُمْ فِي ذٰلِكَ كَالْأَنْعَامِ ٱلسَّائِمَةِ، وَٱلصُّخُورِ ٱلْقَاسِيَةِ.

---

(١) في هـ.ص: الملاحم جمع ملحمة، وهي الواقعة العظيمة.

(٢) في هـ.ب: أي الظاهر.

(٣) في هـ.ص: هي الفكرة، وهي ترديد الخاطر بين امرين للترجيح بينهما فمن ثَمّ اختصت بذي الضمير.

(٤) في هـ.ب: أي المشكلات.

(٥) في هـ.ب: أي مستور.

(٦) في هـ. ص: أي اولاد إبراهيم عليه السلام.

(٧) في هـ.ص: مشكاة الضياء: التي يخرج منها النور، أي: معدن النور.

(٨) في هـ.ص: ذؤابة العلياء، أي أعلاها كالذؤابة من وسط الرأس.

(٩) في هـ.ب: أي خيارها.

(١٠) في ب: وامضئ مواسمه، وفي هـ ب، وفي نسخة: أحمئ مواسمه. والمواسم: جمع ميسم، وهو المكواة.

(١١) لم ترد «من» في أ وط.

قَدِ ٱنْجَابَتِ[١] ٱلسَّرَائِرُ لِأَهْلِ ٱلْبَصَائِرِ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ ٱلْحَقِّ لِخَابِطِهَا[٢]، وَأَسْفَرَتِ ٱلسَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ ٱلْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا[٣].

مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً[٤] بِلاَ أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاحٍ[٥]، وَنُسَّاكاً بِلاَ صَلاَحٍ[٦]، وَتُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاحٍ[٧]، وَأَيْقَاظاً نُوَّماً، وَشُهُوداً غُيَّباً، وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ.

رَايَةُ[٨] ضَلاَلَةٍ قَدْ قَامَتْ[٩] عَلَى قُطْبِهَا[١٠]، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا[١١]، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا[١٢]، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا[١٣]، قَائِدُهَا[١٤] خَارِجٌ مِنَ ٱلْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى ٱلضِّلَّةِ[١٥]، فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ[١٦]

---

(١) في ب: وانجابت، وفي هـ ب: أي ذهبت، وفي هـ. ب، وفي نسخة قد انجابت: انكشفت.

(٢) في ب: فحجة الحق لأهلها، وفي هـ.ب، وفي نسخة: لخابطها، قلت: الخابط السائر علىٰ الطريق.

(٣) في هـ.ب: لصاحب الوسم. قلت والمتوسم: المتفرس.

(٤) في هـ.ص: أي اشخاصاً، كأنهم موتىٰ لعدم قبولهم الحق ونهيهم المنكر، كما ورد في كلامه: «ميت الأحياء».

(٥) في هـ.ص: بلا اشباح، كأنّه كنىٰ بهم عن الطيش والخفة، أو كالفانين الذين بقيت أرواحهم وفنيت أجسادهم.

(٦) في هـ.ص: نسبهم إلىٰ [عدم] العفاف، وفي هـ.ب: عباداً بلا صلاح.

(٧) في ب: وتجاراً. وفي هـ ب، وفي نسخة: وتجاراً. وفي هـ ص: نسبهم إلىٰ الرياء وإيقاع الاعمال علىٰ غير وجهها (كذا في الشرح) ويحتمل انه أشار إلىٰ ان اعمالهم منحبطة؛ بخذلانهم له، ووصفهم بأمور متضادة ظاهراً وهي مجتمعة في الحقيقة؛ لانها باعتبارين.

(٨) في هـ.ب: أي هذه راية ضلالة. وأشار بها إلىٰ رايات معاوية وبني امية.

(٩) في هـ.ص: أي تمكنت وتبثت.

(١٠) قامت علىٰ قطبها تمثيل لانتظام أمرها واستحكام قوتها.

(١١) في هـ.ص: أي انتشرت في الأرض.

(١٢) في هـ.ص: أي تتقدمكم في الأحوال وتقلقلكم كما يقلقل الكائل المكيل.

(١٣) في هـ.ص: أي تهضمكم وتؤثر فيكم وتقهركم.

(١٤) في ب: قائمها، وفي هـ.ب، وفي نسخة: قائدها، وفي هـ.ص: قائدها، أي الداعي اليها والحامل لها.

(١٥) في هـ.ب، وفي نسخة: المضلة.

(١٦) في هامش ب: الثفالة: الثفل.

كَثُفَالَةِ ٱلْقِدْرِ، أَوْ نُفَاضَةٌ[١] كَنُفَاضَةِ ٱلْعِكْمِ[٢]، تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ ٱلْأَدِيمِ[٣]، وَتَـدُوسُكُمْ دَوْسَ ٱلْحَصِيدِ[٤]، وَتَسْتَخْلِصُ[٥] ٱلْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ ٱسْتِخْلَاصَ ٱلطَّيْرِ ٱلْـحَبَّةَ ٱلْـبَطِينَةَ[٦] مِـنْ بَيْنِ هَزِيلِ ٱلْحَبِّ.

أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ ٱلْمَذَاهِبُ؛ وَتَتِيهُ[٧] بِكُمُ ٱلْغَيَاهِبُ[٨]، وَتَخْدَعُكُمُ ٱلْكَوَاذِبُ[٩]، وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ. فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ.

فَاسْمَعُوا[١٠] مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ[١١]، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ[١٢]، وَٱسْتَيْقِظُوا إِنْ هَـتَفَ[١٣] بِكُـمْ، وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ[١٤] أَهْلَهُ. وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ، فَلَقَدْ فَلَقَ[١٥] لَكُـمُ ٱلْأَمْـرَ فَـلْقَ ٱلْخَرَزَةِ[١٦]، وَقَرَفَهُ قَرْفَ ٱلصَّمْغَةِ[١٧].

فَعِنْدَ ذَلِكَ[١٨] أَخَذَ ٱلْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ ٱلْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظَمَتِ الطَّاغِيَةُ[١٩]، وَقَلَّتِ

---

(١) النفاضة: ما يسقط عن شيء تنفضهُ، أي حركته لينتفض.

(٢) العكم: نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها، وفي هـ.ب: المتاع، العدل.

(٣) العرك: الدلك الشديد، والاديم: الجلد. (٤) الحصيد: المحصود.

(٥) في ب: ويستخلص، وفي هـ ب، وفي نسخة: ونستخلص.

(٦) الحبة البطينة: السمينة. (٧) في هـ.ب: أي تحيربكم.

(٨) في هـ.ب: جمع غيهبة وهي الظلمة. (٩) في هـ.ب: جمع كاذبة.

(١٠) كذا في ص، وفي أوب وط ود: فاستمعوا.

(١١) الربانيّ: المتألّه العارف بالله، وفي هـ ب: الربانيّ: الذي يربو في العلم، وأراد عليه السلام نفسه.

(١٢) في هـ.ب: أي احضروا كلامه في قلوبكم.

(١٣) في هـ.ب: أي صاح.

(١٤) في هـ.ص: هو السابق للمنتجعين، يتخير لهم الماء والكلأ، وهو لا يكذب أهله.

(١٥) في هـ.ب: أي بيّن هذا الرباني ـ الذي هو علي عليه السلام ـ أمر الدين لأجلكم، وشق ما كان ملتبساً كما تفلق الخرزة فيعرف باطنها، وفسر علم الدين وأخرجه من بين الجهل كما يخرج الصمغ من الشجرة. (١٦) في هـ.ب: ثقب الخرزة المثقوبة.

(١٧) في هـ.ص: أي قشره.

(١٨) في هـ.ص: اشارة إلىٰ جملة الفتن التي أخبر عن وقوع أوّلها.

(١٩) في هـ.ص: أي الفرقة الطاغية، أي أهل الباطل، أي كثروا، وفي هـ.ب: الطغاة.

ٱلرَّاعِيَةُ[(١)]، وَصَالَ[(٢)] الدَّهْرُ صِيَالَ ٱلسَّبُعِ ٱلْعَقُورِ، وَهَدَرَ[(٣)] فَنِيقُ[(٤)] ٱلْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ[(٥)]، وَتَوَاخَى[(٦)] النَّاسُ عَلَى ٱلْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى ٱلدِّينِ، وَتَحابُّوا[(٧)] عَلَى ٱلْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ ٱلْوَلَدُ غَيْظاً[(٨)]، وَالمَطَرُ قَيْظاً[(٩)]، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ ٱلْكِرَامُ غَيْضاً[(١٠)]، وَكَانَ[(١١)] أَهْلُ ذَلِكَ ٱلزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلاَطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً[(١٢)]، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً، وَغَارَ[(١٣)] ٱلصِّدْقُ، وَفَاضَ[(١٤)] ٱلْكَذِبُ، وَٱسْتُعْمِلَتِ ٱلمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ[(١٥)] ٱلنَّاسُ بِٱلْقُلُوبِ، وَصَارَ ٱلْفُسُوقُ نَسَباً، وَٱلْعَفَافُ عَجَباً، وَلُبِسَ الإِسْلاَمُ لُبْسَ ٱلْفَرْوِ مَقْلُوباً.

* * *

قوله ﷺ: «المتجلي لخلقه بخلقه»:

قال الحسين بن القاسم: سألت أبي رحمه الله عما يقال للزنادقة والملحدين فيما يسألون عنه من الدليل على رب العالمين تقدست اسماؤه وثناؤه وجل.

فقال: سألت يا بني عن أكرم مسائل السائلين، وعما يجهله هلك أكثر قدماء الأولين،

---

(١) في هـ.ص: أي الفرقة الراعية للدين، وفي د: الداعية، وفي هـ. د: الراعية ـ ك ل، وفي هـ ب: الرعاة.

(٢) في هـ.ب: الصيال: حملة الاسد الذي يعقر.

(٣) في هـأ: أي صاح، وفي هـ ب: أي صوّت.

(٤) في هـأ: فنيق الباطل: وهو الفحل.

(٥) في هـ.ص: أي سكوت: أي اسكته قيام النبيّ ﷺ وانطقه قيام الفتنة، وفي هـ ب: أي سكوت.

(٦) في هـ.ب: من المؤاخاة.

(٧) في ب: وتحاببوا، وفي هـ ب، وفي نسخة: وتحابوا.

(٨) في هـ.ص: لتغيّر الاخلاق فيكثر العقوق.

(٩) في هـ.ص: لانتزاع البركة، وفيكون نزول المطر كعدمه في عدم النفع، وفي هـأ: حمّارة الصيف.

(١٠) من غاض الماء: إذا غار في الأرض.

(١١) في ب: وعاد، وفي هـ ب، وفي نسخة: وكان.

(١٢) في هـ.ص: قال في الصحاح: والاكال: سادة الاحياء الذين يأخذون المرباع ونحوه، وفي هـ ب: جمع الآكل.

(١٣) في ب: وغاض، وفي هـ. ب، وفي نسخة: وغار.

(١٤) في هـ.ب: أي سال، أي سفل.

(١٥) في هـ.ب، وفي نسخة: وتناجز، هـ. د: وتشاحن ـ ك ر.

فتخبط فيه منهم عماية من تخبط، وأفرط بجهله فيه منهم من أفرط، بغير ما حجة ولا برهان لمنكرهم في انكاره، ولا عدم دليل مبيّن فيما هلك فيه من اختياره، الا ما ما ابتغوه من مضل هوىٰ الأنفس، وضلوا به لتقليد أسلافهم من غواة الجن والانس، وحجج الله عليهم تبارك وتعالىٰ في العلم به قائمة ظاهرة، وشواهد معرفته سبحانه لكل من خالفها بانكار واختيار غالبة قاهرة.

فالحمد لله ذي الغلبة والسلطان القاهر، ولمعرفته والعلم به الحجة والبرهان الزاهر.

فدليل العلم بالله ـ يا بني ـ وعصم أسبابه، وأقرب ما جعل للعلم به من مداخل ابوابه، ما أظهر في الاشياء سبحانه من آثار الحكمة المتقنة التي لا تكون الا من مؤثر متقن، وأبان في الأشياء من شواهد التدبير الحسنة المحكمة، التي لا تكون الا من حكيم محسن، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ عَالِمُ الغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٱلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدأَ خَلْقَ الإنْسَانِ مِنْ طِين ثُمَّ جَعَلَ نَسبه مِنْ سُلَالَةٍ مِن مَّاءٍ مَهينٍ * ثُمّ سَوّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مّا تَشْكُرُونِ﴾[1].

فكل ما ذكر سبحانه فجعائل، لابد لها من جاعل، وفعائل لا تقوم أبداً إلّا بفاعل، ولن يوجد جاعلها وفاعلها الا الله ذو الاسماء الحسنىٰ، البريء من مشابهة الجعائل والفعائل في كل معنىٰ.

ومن اسباب العلم به ودلائله بعد الذي أبان من أثر التدبير في جعائله: أوثق وثائق الأسباب مما فطر عليه بنية الالباب من العلم البت واليقين المثبت الذي لا يعتري فيه بحقيقة شك ولا مرية، ولا يعترض فيما جعل من بصائره شبهة معشية، من ان لكل ما أحس أو عقل مما أثر سبحانه وجعل خلافاً متيقناً، معلوم لا تدركه الحواس والوهوم بعقل، ويعرف بخلاف ما عقلت الأشياء وعرفت، فيخالفه ويخالفها بغير ما به في أنفسهما اختلفت.

فهذان أصلان مجملان.

ثم انه قسم الاستدلال وبيّن ان وجوهه المقدرة سبعة، ثم قال: وهذا الباب من خلافه

---

(١) السجدة ٣٢: ٧ ـ ٩.

سبحانه لاجزاء الاشياء كلها فيما يدرك من فروع الاشياء جميعاً وأصلها، فما لا يوجد أبداً الا بين الاشياء وبينه، ولا يوصف بها أبداً غيره سبحانه، وهي الصفة التي لا يشاركه عزّ وجلّ فيها مشارك، ولا يملكها عليه تعالىٰ مالك، ولا يعم جميع الاشياء اختلاف عمومه، ولا تصحح الالباب الا لله معلومه، لانّه وان وقع بين الاشياء ما يقع من الاختلاف، فلن يوجد واقعاً إلا بين ذوات الاوصاف.

وكل واحد منها وان خالف غيرهُ في صفة فقد يوافقه في صفة اخرىٰ كان مما يعقل، أو كان مما يلمس ويرىٰ، فان اختلف محسوسان في لون أو طعم اتفقاً فيما لهما من حدود الجسم، وان اختلف معقولان في فعال أو همّة اتفقا فيما يعقل من أصولهما المتوهمة كالملائكة والانس والشياطين، التي اصولها في النفسانية واحدة متفقه، وهممها وافعالها مختلفة متفرقة، فهمّ الملائكة الاحسان والتسبيح، وهمم الشياطين العصيان والقبيح، وهمم الانس فمختلفة كاختلافها في قصدها واسرافها، فتحسن مرّة وتبرّ، وتسيء مرّة وتشر، وكل خلق من الملائكة والانس والشياطين فقد جعل الله له صفة متمّمة ذاتية بها، بان بعضهم من بعض، وكانت لكل من جعلها الله له خاصة صنفية، فهي لهم وبينهم، ولكلهم اختلاف، وكلّهم بها وبما جعل الله منها أصناف، بعضُهم غير بعض، كالسماء غير الأرض، وليس من وراء ما قلنا في الدرك لمعرفة الله، والوصول إلىٰ العلم بالله قول، ولا بعد الذي جددنا وحددنا في اصول المعارف بالله اصل معقول، انتهىٰ[1].

ثم انه، فصّل الوجوه السبعة وبيّن ما يصح الاستدلال علىٰ معرفة الله به منها، وما يبطل ـ في كلام طويل ـ، ثم قال: والباب الثامن من معرفته سبحانه بخلاف الاشياء كلها، فلباب كل لباب واصح ما يدرك به سبحانه من خلقه اُولوا الالباب؛ لانه إذا صح انه غير مدرك سبحانه بدرك هذه الاشياء وأوصافها وكان لابد لمن أدرك هذه الاشياء دركاً صحيحاً من ان يكون مدركاً بصحة لخلافها، بيقين من دركه لها مبتوت، كدرك الحياة وخلافها من الموت، ودرك الصحة وخلافها من السقم، ودرك الشباب وخلافه من الهرم، وغير ذلك من اختلاف الاشياء كلها، وما يوجد من الاختلاف لها في فرعها وأصلها.

---

(١) وسيأتي استشهاد بكلام القاسم هذا في شرح الخطبة ١٨٤ أيضاً.

وإذا كان ذلك كذلك وصح ما ذكرنا في النفوس من ذلك، كان واجباً وجوب اضطرار، وثابتاً في النفوس في اثبت قرار دركه سبحانه ووجوده عند دركها ووجودها، إذ هو خلافٌ سبحانهُ لكل ما يوجد من موجودها. (انتهىٰ ما أردنا نقله من الدليل الطويل، وهو طويل كثير).

ومثل ما ذكره في مناظراته للذي كان ملحداً فاسلم علىٰ يده، وحاصل ما ذكره، في الكتابين: ان النظر في العالم الذي هو الاجسام والاعراض يضطر العقول إلىٰ حدوثه وأنّه مصنوع؛ من حيث ان فروعه كلها مشاهدة الحدوث ومترتبة فيه، وبالضرورة ان حكم الأُصول حكم الفروع، ومن حيث ان الاشياء مختلفة في أشياء ومتفقه في اشياء من أنفسها وصفاتها وحكمها، فلابد من موافق مخالف بينها مرتّب مفصل لها فتثبت بالضرورة أنّها كلّها مؤثرة وانه لابد لكل أثر من مؤثر بالضرورة وقضت الضرورة بان المؤثر يكون بخلاف المؤثر، وإلّا كان مثله محتاجاً إلىٰ المؤثر، فأثبتت الضرورة مؤثراً خلاقاً لكل العالم المؤثر من كل وجه.

وكلامه يقضي بمثل ما ينسب إلىٰ الجاحظ وأهل المعارف من ان النظر إلىٰ أي أقسام العالم يفضي بالناظر إلىٰ اليقين الضروري بأنّ العالم مؤثر، وأنّه لابد له من مؤثر متخيّر.

وإلىٰ هذا يشير كلام امير المؤمنين عليه السلام في مواضع كثيرة، وجعل القاسم الامر بالنظر في أفراد العالم المذكور في آيات القرآن تنبيها علىٰ الفطرة الضرورية، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «طبيب دوّار بطبّه»:

يحتمل انه يعني به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويحتمل ان يعني به الهادي من أهل بيته، واماهم هو عليه السلام.

قال في الشرح: إنّما قال: «دَوّار بطبّه»، لأنّ الطبيب الدّوار أكثر تجربة، أو يكون عَنَى به أنّه يدور عَلَى مَنْ يعالجه؛ لأنّ الصالحين يدورون على مرضى القلوب، فيعالجونهم. ويقال: إن المسيح رُئي خارجاً من بيت مومسة، فقيل له: يا سيدنا، أمثلك يكون ها هنا! فقال: إنما يأتي الطبيبُ المرضى.

والمراهم: الأدوية المركّبة للجراحات والقروح. و«المواسم»: حدائِدُ يُوسَم بها الخيل

وغيرها.

ثم ذكر أنّه إنما يعالج بذلك مَنْ يحتاج إليه؛ وهم أُولوا القلوب العُمْي، والآذان الصمّ، والألسنة البكم، أي الخرس. وهذا تقسيم صحيح حاصر، لأن الضلال ومخالفة الحقّ يكون بثلاثة أُمور: إما بجهْل القلب، وبعدم سماع المواعظ والحجج، أو بالإمساك عن شهادة التوحيد وتلاوة الذكر، فهذه أصول الضلال؛ وأما أفعال المعاصي ففروع عليها[1].

والاقرب انه عليه السلام يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ﴾[2].

لان من لا ينتفع بالآية الصحيحة في نجاته من النار كمثل عادم تلك الآلات، ولم يقصد التقسيم، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «راية ضلال ... إلىٰ آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: انه عليه السلام يذكر ها هنا الحدث في آخر الزمان كظهور السفياني وغيره[3].

قلت: لعمري لقد عدل عن الظاهر بغير دليل، والظاهر انه عليه السلام عنىٰ راية دعوة بني أُمية التي اصلها معاوية، وهو المعنيّ بقوله عليه السلام: **«قائدها خارج عن الملّة، قائم علىٰ الضلّة»**، ثم عبّر عن حال هذه الدعوة المسترسلة في جميع زمن بني امية وزمن بني العباس ومن اتبعهم من دعاة الأعاجم.

فانهم أهل دعوة واحدة وطريقة في الضلال مشبهة، وكلهم مجتمعون علىٰ عداوة أهل البيت وشيعتهم، وقتلهم، وتشريدهم، وتكذيبهم، وتضليلهم، وهذا بيّن، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ولبس الاسلام لُبس الفرو مقلوباً»:

عادة العرب أن تجعل الخمل إلىٰ داخل والجلد إلىٰ خارج، والمراد: انعكاس الأحكام، واتخاذ الباطل حقاً والحق باطلاً، ومن نظر في التواريخ إلىٰ أخبار الدولتين، وإلىٰ أحوال

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٨٤.

(٢) الأعراف: ٧/١٧٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٨٨.

الناس وطرائقهم في زمنهما، وما تضمنته أقوالهم نظماً ونثراً، وما وضع علماؤهم من مؤلفاتهم، علم حقيّة قوله ﷺ، وأنّه إخبار عن غيب مفصّل، وعلم من عندالله، وعلم ان الحق الذي سمي باطلاً، والصدق الذي سمي كذباً، طريقة أهل البيت عليهم السلام، وهي الدين الذي تهاجروا عليه، وان الباطل والكذب والفجور طريقة غيرهم التي تؤاخوا عليها، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ[١]، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ، غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ[٢].

مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ.

لَمْ تَرَكَ ٱلْعُيونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ ٱلْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ.

لَمْ تَخْلُقِ ٱلْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ[٣]، وَلَا ٱسْتَعْمَلْتَهُمْ[٤] لِمَنْفَعَةٍ، وَلَا يَسْبِقُكَ[٥] مَنْ طَلَبْتَ، وَلَا يُفْلِتُكَ[٦] مَنْ أَخَذْتَ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ.

كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ.

أَنْتَ ٱلْأَبَدُ لَا أَمَدَ لَكَ[٧]، وَأَنْتَ المُنْتَهَى لَا مَحِيصَ[٨] عَنْكَ، وَأَنْتَ المَوْعِدُ فَلَا مَنْجَى مِنْكَ [إِلَّا إِلَيْكَ][٩].

بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ.

سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ[١٠] مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَمَا أَصْغَرَ عَظِيمَةٍ[١١] فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ؛ وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ، وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي

---

(١) في هـ. د: خاضع له ـ ض.
(٢) في هـ.ب: من اللهفة، وهو التحسر.
(٣) في هـ.ب: الوحشة: الخوف.
(٤) في هـ.ب: أي امرتهم بالطاعة.
(٥) في ب ود: لا يسبقك.
(٦) أي لا ينفلت منك.
(٧) في أو د: الآبد فلا أمدلك، وفي ب: الآمد فلا أمدلك: أي الغاية. وفي ط: الابد فلا أمد لك.
(٨) في أوب ود وط: فلا محيص، وفي هـ.ب: أي لا معدل.
(٩) من ط ود: فقط.
(١٠) في هـ. د: سبحانك ما اعظم شأنك، سبحانك ما أعظم ما نرى ـ ح.
(١١) كذا في ص، وفي أوب ود: عظيمة، وفي هـ. د: عظيمة ـ ح.

ٱلدُّنْيَا، وَمَا أَصْغَرَها فِي نِعَمِ[1] ٱلآخِرَةِ.

منها:

مِنْ مَلاَئِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ، هُمْ أَعْلَمُ[2] خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ، لَمْ يَسْكُنُوا ٱلأَصْلاَبَ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا ٱلأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ[3]، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمُ[4] رَيْبُ المَنُونِ[5]، وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَٱسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ[6] مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ؛ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرَوْا[7] عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً! بِحُسْنِ بَلاَئِكَ[8] عِنْدَ خَلْقِكَ، خَلَقْتَ دَاراً، وَجَعَلْتَ فِيهَا مأْدَبَةً[9]، مَشْرَباً وَمَطْعَماً، وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً، وقُصُوراً وَأَنْهَاراً، وَزُرُوعاً وَثِمَاراً، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْها، فَلاَ الدَّاعِيَ أَجَابُوا وَلاَ فِيما رَغَّبْتَ إِلَيْهِ رَغِبُوا، وَلاَ إِلَى مَا شَوَّقْتَ[10] إِلَيْهِ ٱشْتَاقُوا، أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدِ ٱفْتَضَحُوا بِأَكْلِها، وَٱصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّها، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ[11]، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتْ ٱلشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتْ ٱلدُّنْيا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ عَلَيْها نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَها وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ[12] شَيْءٌ مِنْها، حَيْثُما زَالَتْ زَالَ إِلَيْها، وَحَيْثُما أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ إِلَيْها[13]، لاَ يَنْزَجِرُ مِنَ ٱللهِ بِزَاجِرٍ[14] وَلاَ يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَهُوَ يَرَى ٱلْمَأْخُوذِينَ عَلَى ٱلْغِرَّةِ[15]، حَيْثُ لاَ إِقَالَةَ لَهُمْ وَلاَ

---

(١) في أوب وط: نعيم.

(٢) في هـ.ب: من العلم.

(٣) يريد عليه السلام: النطفة.

(٤) في أوب: يشعبهم. وفي هـ ب، وفي نسخة: لم يشتعبهم.

(٥) المنون: الدهر. والريب: تصريف الزمان، أي لم يفرقهم صروف الزمان.

(٦) في هـ.ب: كنه الشيء: غايته وحقيقته.

(٧) في ب: ولا زروا، وفي الف: ولزروا، وفي هـ ب، وفي نسخة: ولزروا، أي لعابوا.

(٨) في هـ.ب: أي نعمك.

(٩) في هـ.ب: المأدبة: الطعام.

(١٠) في هـ.ب: من الاشتياق.

(١١) اعشىٰ بصره: أعماه.

(١٢) في هـ. د: يده ـ ض.

(١٣) أوب ود وط: عليها، وفي هـ. د: إليها ـ م.

(١٤) في هـ. د: بزواجر ـ م.

(١٥) في هـ.ب: أي الغفلة.

رَجْعَةَ(١)، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ ٱلدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ.

فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ وَحَسْرَةُ ٱلْفَوْتِ، وَفَتَرَتْ(٢) لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ٱزْدَادَ المَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً(٣)، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ؛ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ، يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ(٤) مِنْ لُبِّهِ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمَرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا(٥)، أَغْمَضَ(٦) فِي مَطَالِبِهَا، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا(٧) وَمُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ(٨) جَمْعِهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يُنَعَّمُونَ(٩) فِيهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ المَهْنَأُ(١٠) لِغَيْرِهِ، وَٱلْعِبْءُ(١١) عَلَى ظَهْرِهِ، وَالمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ(١٢) رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ(١٣) لَهُ عِنْدَ المَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيما كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ ٱلَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ.

فَلَمْ يَزَلِ المَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ سَمْعَهُ(١٤)، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ؛ يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا يَسْمَعُ(١٥)

---

(١) في هـ. د: لا اقالة لهم ولا رجعة ـ ض و ح.

(٢) في هامش ب: أي سكنت.

(٣) في هـ.ب: أي دخولاً في اعضائها، ففترتها بذهاب الحياة والمقدرة للشهوة.

(٤) في هـ.ب، وفي نسخة: ونقاء.

(٥) في هـ. د: اموالاً اغمض ـ ع.

(٦) في ب: أغمص،. وفي هـ.ب: أي اشتغل، وفي هـ.ب أيضاً: يذكر مالاً أغمص في طلبه وتشاغل بالاكتساب.

(٧) في هـ.ب، في نسخة: من حرامها.

(٨) التبعات: ما يطالب به من الحقوق وما يحاسب عليه، وفي هـ.ب: ذنوب.

(٩) في هـ.ب: أي يتنعمون.

(١٠) في هـ.ب: المهنا: الهنيء من الطعام.

(١١) في هـ.ب: أي الثقل.

(١٢) في هـ.ب: انغلقت وهلكت نفسه بها، أي جمع اموالاً.

(١٣) في هـ.ب: أي أظهر.

(١٤) في هـ.ص، وفي نسخة: حتىٰ خالط سمعه كما خالط لسانه. وفي ط ود: حتىٰ خالط لسانه سمعه.

(١٥) في هامش ب: ولا يستطيع رجع كلامهم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: ولا يسمع.

رَجْعَ كَلاَمِهِمْ.

ثُمَّ ٱزْدَادَ[(١)] المَوْتُ ٱلْتِيَاطاً بِهِ[(٢)]، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وَخَرَجَتِ ٱلرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أُوحِشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا يُسْعِدُ بَاكِياً، وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً، ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ[(٣)] فِي ٱلْأَرْضِ[(٤)]، وَأَسْلَمُوهُ[(٥)] فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ[(٦)]، وَٱنْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ[(٧)].

حَتَّى إِذَا بَلَغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَٱلْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ، وَأُلْحِقَ آخِرُ ٱلْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمَادَ[(٨)] السَّمَاءَ وَفَطَرَهَا[(٩)]، وَأَرَجَّ[(١٠)] ٱلْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا، وَدَكَّ[(١١)] بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ، وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ[(١٢)]، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفْرِيقِهِمْ[(١٣)]، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ[(١٤)] مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ[(١٥)] عَنْ خَفَايَا[(١٦)] ٱلْأَعْمَالِ، وَخَبَايَا[(١٧)] ٱلْأَفْعَالِ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هٰؤُلَاءِ، وَٱنْتَقَمَ[(١٨)] مِنْ هٰؤُلَاءِ.

فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النُّزَّالُ وَلَا تَتَغَيَّرُ لَهُمُ[(١٩)] ٱلْحَالُ، وَلَا تَنُوبُهُمُ[(٢٠)] ٱلْأَفْزَاعُ[(٢١)]، وَلَا تَنَالُهُمُ ٱلْأَسْقَامُ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ ٱلْأَخْطَارُ[(٢٢)]،

---

(١) في هـ.ب، وفي نسخة ثم زاد الموت، وفي وفي هـ. د: ثم زاد الموت ـ ر.

(٢) في هـ.ب: أي التزاقاً.

(٣) في ط ود: محطٍ.

(٤) في أوط: في الأرض، وفي هـ ب: أي قبره.

(٥) في ط: فأسلموه.

(٦) في هـ. ب في نسخة: وعمله.

(٧) في هـ.ب: أي عن زيارته.

(٨) في هـ.ب: أي حرّكها، وفي هـ ب في نسخة: أمار، وفي هـ. د: أمار ـ.

(٩) في هـ.ب: أي شقها.

(١٠) في هـ ب: أي زلزل.

(١١) في هـ.ب: أي صك.

(١٢) في هـ.ب: من الخلق (خلق الثوب: إذا بلي).

(١٣) في ط: تفرّقهم.

(١٤) في ب وط: يريده.

(١٥) في أوب ود: مسائلتهم.

(١٦) لم ترد «خفايا» في أ وب.

(١٧) في هـ.ب: خبايا جمع خبيئة، وهي الشيء المستور.

(١٨) في هـ.ب: أي اقتص.

(١٩) في ط: بهم.

(٢٠) في هـ.ب: أي لا تعاورهم.

وَلَا تُشْخِصُهُمُ[٢٣] ٱلْأَسْفَارُ.

وَأَمَّا أَهْلُ المَعْصِيَةِ، فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ ٱلْأَيْدِيَ إِلَى ٱلْأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ ٱلْقَطِرَانِ[٢٤]، وَمُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ[٢٥] فِي عَذَابٍ قَدِ ٱشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ[٢٦] وَلَجَبٌ[٢٧]، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ[٢٨]، وَقَصِيفٌ[٢٩] هَائِلٌ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا[٣٠]. لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى.

منها في ذكر النبيّ ﷺ:

قَدْ حَقَّرَ[٣١] ٱلدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِهَا[٣٢] وَهَوَّنَهَا[٣٣]، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللهَ زَوَاهَا[٣٤] عَنْهُ ٱخْتِيَاراً، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ ٱحْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنِ ٱلدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ[٣٥]، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[٣٦]، أَوْ يَرْجُوَ[٣٧] فِيهَا مَقَاماً. بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً[٣٨]، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً، وَدَعَا إِلَى ٱلْجَنَّةِ مُبَشِّراً[٣٩].

---

(٢١) في هـ.ب: جمع فزع، وفي هـ.ب؛ وفي نسخة: الاقراع.
(٢٢) في هـ.ب: جمع خطر.
(٢٣) في هـ.ب: أي تيهتهم. وفي هـ آخر: اشخص: حيّر، واشخص: أخرج.
(٢٤) السرابيل والقطران: ثياب أهل النار، وذكرها الله تعالىٰ في سورة ابراهيم: ١٤/ ٥.
(٢٥) المقطّعات: الثوب المقطوع. كالجبة والقميص، وهو في قبال ما لا يقطع كالازار والرداء، والمقطّعات: اشمل للبدن وأشدّ استحكاماً في احتوائه.
(٢٦) في هـ.ب: أي شدة.
(٢٧) في هـ.ب: أي صوت، وفي هـ. د: وروي جلب ـ ك.
(٢٨) في هـ.ب ـ ظاهراً ـ: أي عال.
(٢٩) في هـ.ب: أي صوت.
(٣٠) في هـ.ب: أي قيدها.
(٣١) في هـ.ب: حقر الدنيا ـ بالتخفيف ـ أي استصغرها، وبالتشديد: أي صغّرها.
(٣٢) في هـ. د: أهونها ـ ض. أهون: أي لم يعتد بها، ولم تكن عزيزة عنده، أهونها: ذللها.
(٣٣) في هـ.ب: هون واهان بمعنىً واحد.
(٣٤) في هـ.ب: أي قبضها.
(٣٥) في أوط: عن نفسه.
(٣٦) في هـ.ب: الرياش: اللباس والزينة.
(٣٧) في أو هـ. د: ويرجو ـ م ل.
(٣٨) معذراً: مبيّنا لله حجة تقوم مقام العذر في العقاب عند المخالفة، وتقطع اعذار المخطيء يوم القيامة.

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ المَلاَئِكَةِ[١]، وَمَعَادِنُ ٱلْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ ٱلْحُكْمِ[٢]، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

* * *

هذه الخطبة تعرف بالزهراء. ذكر ذلك الامام المنصور بالله أحمد بن الحسين بن هارون في كتاب «سياسة المريدين»، وقد أشار إليها ابو جعفر الاسكافي في كتاب «المعيار والموازنة»[٣].

قوله ﷺ: «وعزّ كل ذليل»:

جاء في الأثر: من اعتزّ بغير الله ذَلّ، ومن تكثَّر بغير الله قَلّ؛ وكان يقال: ليس فقيراً من استغنى بالله.

واستدلّ العلماء على ثبوت الصانع سبحانه بما دلّ عليه فحوى قوله ﷺ: **«ومفزع كلّ ملهوف»**، وذلك أنّ النفوس ببدائهها تفزع عند الشدائد والخطوب الطارقة إلىٰ الالتجاء إلىٰ خالقها وبارئها، ألا ترىٰ إلىٰ راكبي السفينة عند تلاطم الأمواج، كيف يجأرون إليه سبحانه اضطراراً لا اختياراً، فدلّ ذلك على أنّ العلم به مركوز في النفس؛ قال سبحانه: **﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾**[٤]، انتهىٰ من شرح ابن أبي الحديد[٥].

قوله ﷺ: «لم ترك العيون فتخبر عنك»:

كما يخبر الإنسان عما شاهده؛ بل أنت أزليّ قديم موجود قبل الواصفين لك.

فإن قلت: فأيّ منافاة بين هذين الأمرين، أليس من الممكن أن يكون سبحانه قَبْل الواصفين له، ومع ذلك يدرك بالأبصار إذا خلق خلقه، ثم يصفونه رأي عين!

---

(٣٩) في هـ.ص وط زيادة: وخوّف من النار محذراً، وفي هـ. د زيادة: وخوف من النار محذراً ـ ح م.

(١) أي محل هبوطهم وصعودهم، مأخوذ من خلف فلان فلاناً في المكان.

(٢) في أ وهـ.ب، وفي نسخة: الحِكَمْ، وفي هـ. ب: أي الحكمة، وفي هـ. د: ينابيع الحكم بكسر الحاء وفتح الكاف ـ ض.

(٣) المعيار والموازنة: ٢٥٤.

(٤) الإسراء: ١٧/٦٧.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٩٦.

قلت: بل ها هنا منافاة ظاهرة، وذلك لأنه إذا كان قديماً لم يكن جِسْماً ولا عَرَضاً، وما ليس بجسم ولا عَرَض تستحيل رؤيته، فيستحيل أن يخبرَ عنه على سبيل المشاهدة، انتهىٰ من شرح ابن أبي الحديد(١).

قلت: ويحتمل ـ بل هو الاقرب عندي ـ ان معنىٰ كلامه ﷺ ليس الطريق إلىٰ العلم بك مشاهدتك فيخبر من شاهدك من لم يشاهدك كسائر المشاهدات، بل أنت ثابت عند العقول، وفي افهام بريتك قبل ان يُوجد الزاعمون انك موصوف وانك محدود.

وفيه اشارة إلىٰ ان مقالة هؤلاء الجهلة حادثة مضت الدهور وهي غير معروفة ولا مقولة، فمعنىٰ «بل كنت» ـ علىٰ هذا ـ: بل ثبت في العقول واقرت بك الخلائق قبل ان يُوجد من يجوّز عليك انك بحيث ترىٰ وتبصر ويخبر عنك، والله أعلم.

قوله ﷺ: «ولا يردّ أمرَك مَنْ سَخِطَ قضاءك، ولا يستغني عنك مَنْ تولّى عن أمرك»:

أي ان المتقرر في العقول ان العاصي انما يعصي من يتصور انه مستغنٍ عنه، والله عزّ وجلّ يعصىٰ مع قيام دليل احتياج العاصين إليه والتجاءهم اضطراراً بحيث لا يقع فيه امتراء، والله أعلم.

وقال في شرح ابن أبي الحديد: تحته سر عظيم، وهو قول أصحابنا في جواب قول المجْبِرة: «لو وقع منّا ما لا يريده لا قتضى ذلك نقصه»: إنه لا نقص في ذلك، لأنه لا يريد الطاعات منّا إرادة قَهْر وإلجاء، ولو أرادَها إرادة قهر لوقعتْ وغلبت إرادته إرادتنا، ولكنّه تعالىٰ أراد منّا أن نفعل نحن الطاعة اختياراً، فلا يدلّ عدم وقوعها منّا على نقصه وضعفه، كما لا يدلّ بالاتفاق بيننا وبينكم عدمُ وقوع ما أمر به على ضعفه ونقصه، انتهىٰ(٢).

قوله ﷺ: «انت الأبد لا أمد لك»:

الذي يظهر لي من معنىٰ كلامه ﷺ ـ هذا ـ: انه إذا كان المفهوم عند الناس من لفظ الأبد هو الزمن الذي لا ينقضي، كان حاصله: الموجود الذي لا ينعدم، ومحال صدق هذا الوصف في غير حق الله؛ إذ كان الزمن مركب من آنات تنقضي بالضرورة، وما كانت

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٩٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٩٨.

اجزاءهُ منقضية فجملته منقضية، فلم يصدق هذا المفهوم في غير حق الله تعالىٰ، فكان أحق باللفظ الدال عليه ـ أعني لفظ الأبد ـ، لأنّه ـ أي مفهوم الموجود الذي لا ينقضي ـ في حق الزمن عرفي، وفي حق الله حقيقي، وقد أوضحه عليه السلام بقوله: «لا أمد لك».

قوله عليه السلام: «أغمض في مطالبها»:

أي تساهل في دينه في اكتسابه إياها، أي كان يفتي نفسَه بتأويلات ضعيفة في استحلال تلك المطالب والمكاسب، فذاك هو الإغماض، قال تعالىٰ: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾[1]، انتهىٰ من الشرح[2].

قوله عليه السلام: «علقت رهونة بها»:

علق الرهن: استحقة المرتهن، وذلك إذا لم يفتكّ في الوقت المشروط. والاقرب عندي في تبيين غلاق رهونه بها: انه لما كانت هذه الاموال بهذه الصفة كانت متعلقة بها حقوق الله وللآدميين، ونفسه بمنزلة الوثيقة عند الباري سبحانه، إن ادىٰ تلك الحقوق من المال وإلّا استوفيت من نفسه في القيامة، كما ان الرهن وثيقة في الدين إن اُوفي من غيره انفك وإلّا استوفي منه.

ولما كان وقت الموت من دون وصية هو وقت تعذّر الإيفاء منها، جعله وقت الاستيفاء من النفس الذي عَبّر عنه بالغلاق، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «سرابيل القطران»:

جمع سربال، وهو اللباس، والقطران ـ في الأصل ـ الهناء الذي يقطر به البعير، أي يطلىٰ، المراد به هنا الصديد، يغشاهم كما يغشىٰ السربال البدن ويلتف عليه، أو هو من جنس الهناء يغشون به؛ لان العذاب يشتد حرّه معه، والمقطّعات: ما قطع وفصّل من الثياب: أي ليس لهم ما يجري مجرىٰ الثياب في تغطية البدن غير القطران والنار، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ولا اجل للقوم فيقضىٰ»:

قال ابن أبي الحديد حين أورد هذا الفصل من قوله عليه السلام: «من ملائكة» إلىٰ هنا: هذا موضع المثل: «في كل سجرنار، واستمجد المَرْخُ والعفار» الخطب الوعظية الحسان كثيرة،

---

(١) البقرة: ٢/ ٢٦٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٠٨.

ولكن هذا حديث يأكل الأحاديث.

من أراد ان يتعلم الفصاحة والبلاغة، ويعرف فضل الكلام بعضه علىٰ بعض؛ فليتأمل هذه الخطبة، فإن نسبتها إلىٰ كل فصيح من الكلام ـ ما عدا كلام الله ورسوله ـ نسبة الكواكب النيّرة الفلكية إلىٰ الاحجار المظلمة الأرضية.

ثم لينظر الناظر إلىٰ ما عليها من البهاء، والجلالة والرواء، والديباجة، وما تحدثه من الروعة والرهبة، والمخافة والخشية، حتىٰ لو تليت علىٰ زنديق ملحد مصمم علىٰ اعتقاد نفي البعث والنشور لهدت قواه، وأرعبت قلبه، واضعفت نفسه، وزلزلت اعتقاده.

فجزىٰ الله قائلها عن الاسلام افضل ما جزىٰ به ولياً من اوليائه، فما ابلغ نصرته له، تارة بيده وسيفه، وتارة بلسانه ونطقه، وتارة بقلبه وفكره.

ان قيل جهاد وحرب فهو سيد المجاهدين والمحاربين، وان قيل وعظ وتذكير فهو أبلغ الواعظين والمذكرين، وان قيل فقه وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين، وان قيل عدل وتوحيد فهو امام أهل العدل والموحدين: وليس علىٰ الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد، انتهىٰ[١].

قوله عليه السلام: «نحن شجرة النبوّة»:

أي شجرة لها نسبة إلىٰ النبوّة، ويكون اشارة إلىٰ الحديث الذي رواه ائمة أهل البيت عن النبيّ صلى الله عليه وآله انه قال: «يا علي نحن شجرة أنا أصلها وفاطمة فرعها وأنت لقاحها والحسن والحسين ثمارها.

وأراد فروع الشجرة التي ميزت بالاصطفاء من لدن آدم ونوح وإبراهيم، ثم خلص ذلك الاصطفاء إلىٰ محمّد وأهل بيته، فجملة المصطفين شجرة وأفرادهم فروعها[٢] والله أعلم.

قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: كيف قال: «عدونا ومبغضنا ينتظر السطوة»، ونحن نشاهد أعداءه ومبغضيه، لا ينتظرونها!

قلت: لما كانت منتظرةً لهم ومعلوماً بيقين حلولها بهم، صاروا كالمنتظرين لها. وأيضاً

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٠٢ ـ ٢٠٣. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٢٠.

فإنهم ينتظرون الموت لا محالة الذي كلّ إنسان ينتظره؛ ولما كان الموت مقدّمة العقاب وطريقاً إليه جعل انتظاره انتظار ما يكون بعده(١).

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٢٠ .

[١٠٩]

ومن خطبة له عليه السلام:

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ[١] بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ٱلْإِيمَانُ[٢] بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ[٣] ٱلْإِسْلاَمِ، وَكَلِمَةُ ٱلْإِخْلاَصِ[٤] فَإِنَّهَا ٱلْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ فَإِنَّهَا ٱلْمِلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ ٱلْعِقَابِ، وَحَجُّ ٱلْبَيْتِ وَٱعْتِمَارُهُ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ ٱلْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ[٥] الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ[٦] فِي ٱلْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ[٧] فِي ٱلْأَجَلِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ ٱلْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ ٱلْعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ المَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ ٱلْهَوَانِ.

أَفِيضُوا[٨] فِي ذِكْرِ ٱللهِ؛ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَٱرْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ؛ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ ٱلْوَعْدِ؛ وَٱقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ ٱلْهَدْيِ، وَٱسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ؛ فَإِنَّهَا أَهْدَىٰ ٱلسُّنَنِ، وَتَعَلَّمُوا ٱلْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ ٱلْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهُ رَبِيعُ ٱلْقُلُوبِ؛ وَٱسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ ٱلصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ؛ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ ٱلْقَصَصِ، وَإِنَّ ٱلْعَالِمَ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَٱلْجَاهِلِ ٱلْحَائِرِ[٩] ٱلَّذِي لاَ يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ؛ بَلِ ٱلْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَٱلْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ؛ وَهُوَ عِنْدَ ٱللهِ أَلْوَمُ.

* * *

(١) في هـ.ب: توسّل العبد إلىٰ ربه، أي تقرب إليه بعمل، والوسيلة: ما يتقرّب به إلىٰ الغير.

(٢) في هـ.ب: الايمان ص، والعشرة الاشياء التي عطفها علىٰ الايمان [فروع].

(٣) في هـ.ب: ذروة الشيء: اعلاه، والذروة: أعلىٰ السنام.

(٤) في هـ.ب: أي الشهادة.

(٥) في ب: ويُدحضان، وفي هـ.ب، وفي نسخة: ويرحضان، أي يغسلان.

(٦) في هامش ب: مثراة: أي مدعاة إلىٰ الثروة، أي إلىٰ الغنىٰ.

(٧) في هـ.ب: أي مؤخرة، منسأة، من نسأ في أجله، أي أخره.

(٨) في هـ.ب: اي ادفعوا فيه مرة بعد أخرىٰ.

(٩) في هـ.ب: أي المتحيّر، وفي هـ. د: كالجاهل الجائر ـ ك.

قوله عليه السلام: «ومنسأة في الأجل»:

في هذا الكلام دليل علىٰ ان الآجال تزيد وتنقص بالاسباب والشروط جعلها الله كذلك لحكمة يعلمها.

قال في «الاساس»: والأجل وقت ذهاب الحياة، وهو أجل واحد، ان كان ذهابها بالموت اتفاقاً [عند] بعض ائمتنا والبغدادية، وأجلان ان كان ذهابها بالقتل؛ جزم وهو الذي يقتل فيه، ومسمىٰ وهو الذي لو سلم من القتل لعاش قطعاً حتىٰ يبلغه ويموت فيه.

ثم قال في الاحتجاج لهذا القول: لنا قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[1]. وهو نص صريح يفيد القطع بان القتل جزم.

قال في شرحه: قال الهادي في معنىٰ هذه الآية: والحياة التي في القصاص فهي ما يداخل الظالمين من الخوف من القصاص في قتل المظلومين، فيرتدعون عن ذلك إذا علموا أنهم ممن يقتلون مقتولين، فيطول حياتهم إذا ارتدعوا عن فسادهم، وينكلون عن قتل من به يقتلون، وبابادته بحكم الله يبادون، انتهىٰ.

ويدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ في قصة نوح عليه السلام وقومه: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾[2].

المعنىٰ: انهم إذا اطاعوه أخرهم إلىٰ أجل مسمىٰ، وهو أجل الموت، وهو الذي لا يؤخر[3]، وان عصوه أخذهم الله قبل ذلك كما أهلكهم بالإغراق[4]، وهذا الاجل الذي يؤخر لانهم لو آمنوا لما اغرقوا، انتهىٰ كلام شرح الاساس.

قال في «الاساس»: وقصة قتل الخضر الغلام؛ لانه لو لم يقتله لعاش قطعاً حتىٰ يرهق ابويه طغياناً وكفراً كما أخبر الله تعالىٰ[5].

قال في شرحه: وممّا يؤيّد ما ذهب إليه ائمة أهل البيت عليهم السلام ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله انه

---

(١) البقرة: ٢/ ١٧٩.	(٢) نوح: ٧١/ ٤.

(٣) اقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ نوح: ٧١/ ٤.

(٤) اشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ نوح: ٧١/ ٢٥.

(٥) اشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ الكهف: ١٨/ ٨٠.

قال: «الدعاء يرد القضاء»[١]، «وان البر يزيد في العمر»[٢]، «وان صلة الرحم يزيد في العمر»[٣].

وعن عليّ ﷺ انه قال: «وصلة الرحم فانها مثراة في المال ومنسأة في الاجل ومثراة في العدد»[٤].

قال المنصور بالله: فاما ما روي ان صلة الرحم يزيد في العمر، فهو جائز غير ممتنع ان يعمر ثلاثين، وأنه ان وصل الرحم كان الصلاح ان يعمر اربعين، وان قطع رحمه كان الصلاح ان يعمر عشرين سنة، وهذا معنىٰ الخبر، انتهىٰ.

وعن محمّد بن علي الباقر ﷺ قال: حدّثني أبي، عن جدي، عن عليّ ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَابِ﴾[٥].

فقال: «لأسرّنك بها يا علي فسُرَّ بها امتي، الصدقة علىٰ وجهها، واصطناع المعروف، وصلة الرحم، وبر الوالدين، يحوّل الشقاء سعادة، ويزيد في العمر، ويقي مصارع السوء».

ويدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَابٍ ...﴾ الآية[٦] علىٰ أحد التفسيرين.

وعنه ﷺ انه قال: بر الوالدين يزيد في العمر، والكذب ينقص الرزق، والدعاء يرد القضاء، ولله في خلقه قضاء ان؛ قضاء نافذ، وقضاء محدّث، يحدّث فيه ما يشاء.

رواه في «شمس الاخبار» عن «امالي المرشد بالله ﷺ»، انتهىٰ.

وأقول: الذي يقضي به الادلة القطع بان المقتول من لو لم يقتل لعاش جملة، واما القطع بذلك في حق كل واحد بعينه، فلا طريق إليه؛ لجواز ان يصادق قتله الاجل المبتوت في حقه.

وربما يتأول عليه قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[٧]، والله أعلم.

---

(١) الكافي ٢: ٤٦٩.
(٢) البحار ٧٧: ١٦٦.
(٣) البحار ٧٤: ٩٣.
(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١١٠.
(٥) الرعد: ٣٩/١٣.
(٦) فاطر: ١١/٣٥.
(٧) آل عمران: ١٥٤/٣.

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ[١]، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ[٢] بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ[٣] بِالْآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ[٤] بِالْغُرُورِ، لاَ تَدُومُ حَبْرَتُهَا[٥]، وَلَا تُؤْمَنُ[٦] فَجْعَتُهَا، غَرَّارَةٌ[٧] ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ[٨] زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ[٩] بَائِدَةٌ[١٠]، أَكَّالَةٌ[١١] غَوَّالَةٌ[١٢]، لَا تَعْدُو ـ إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ ٱلرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا ـ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ وَكَانَ ٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾[١٣].

لَمْ يَكُنْ ٱمْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ[١٤] إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا[١٥] عَبْرَةً[١٦]، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَّائِهَا بَطْناً[١٧]

---

(١) في هـ.ص: أي مشتهاة رائقة، فلا تطمعو فيها، ولا تمدوا البصر إليها، وفي هـ أ: خضرة: تأنيث خضر، وهو الاخضر.

(٢) في هـ.ص وب: أي أعجبت.

(٣) في هـ. ص: من الحلية، وفي هـ ب: تحلّت من الحلية، أي تزينت.

(٤) في هـ.ص: من الزينة.

(٥) في هـ.ص والف: أي سرورها كالحبور، وفي هـ.ب: نضرتها.

(٦) في ب: يؤمن، وفي هـ ب، وفي نسخة: تؤمن.

(٧) في هـ.ب، وفي نسخة: غدّارة.

(٨) في هـ.ب: أي متغيّرة.

(٩) في هـ.ص: أي فانية منغصة.

(١٠) في هـ أ وب: أي هالكة.

(١١) في هامش ب: فعالة، من الأكل.

(١٢) في هـ.ص: أي مهلكة، والعول: ما عال، أي أهلك، ومنه المثل: الغضب عول الحلم (من الشرح). وفي هـ ب: أي مهلكة.

(١٣) الكهف: ١٨/٤٥.

(١٤) في هـ.ص وب: أي سرور.

(١٥) في ب: اعقبتها، وفي هـ.ب، وفي نسخة: اعقبته بعدها.

(١٦) في هـ.ص وب: أي حزن.

(١٧) في هامش ب: أي لم يلق بطنا من سرور الدنيا وفرحها، إلّا منحته وأعطته ظهراً من ←

إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً، وَلَمْ تُطلَّهُ[١] فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ[٢] إِلاَّ هَتَنَتْ[٣] عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلاَءٍ.

وَحَرِيٌّ[٤] إِذَا أَصْبَحَتْ لَـهُ مُـنْتَصِرَةً[٥]، أَنْ تُـمْسِيَ لَـهُ مُـتَنَكِّرَةً، وَإِنْ جَـانِبٌ مِـنْهَا اَعْذَوْذَبَ[٦] وَاَحْلَوْلَى، أَمَرَّ[٧] مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى[٨].

لاَ يَنَالُ اَمْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا[٩] رَغَباً[١٠]، إِلاَّ أَرْهَقَتْهُ[١١] مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً، وَلاَ يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إِلاَّ أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ[١٢] خَوْفٍ.

غَرَّارَةٌ؛ غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ؛ فَانٍ مَنَ عَلَيْهَا، لاَ خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا[١٣] إِلاَّ اَلتَّقْوَى. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا[١٤] اَسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤَمِّنُهُ، وَمَنِ اَسْتَكْثَرَ مِنْهَا اَسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ[١٥]، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ.

كَمْ مِنْ وَاثِقٍ[١٦] بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ[١٧]، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ[١٨]، وَذِي أُبَّهَةٍ[١٩] قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وَذِي نَخْوَةٍ[٢٠] قَدْ رَدَّتْهُ[٢١] ذَلِيلاً.

← ضرائها، وانما خص الظهر بالشدة والبطن بالدعة، لأنّ ظهر الأرض إلىٰ الاعداء وبطنها للأولياء، والمشي في نفق الأرض سهل، وعلىٰ ظهرها صعب.

(١) في هـ. ص: طلّه السحاب: إذا امطره مطراً قليلاً، والديمة: مطرليّن.

(٢) في هـ.ب: ديمة رخاء: مطرب يمطر قليلاً وخفيفاً.

(٣) في هـ.ص وب: أي مطرت كثيراً، وفي هـ ب: أي صبّت وسالت وكلّفته مزنة بلاء.

(٤) في هـ.ص: أي خليق.

(٥) في أ وب ود: متنصرة. وفي هـ ص: أي متحسنة.

(٦) في هـ.ب، في نسخة: اعذب أي عذب، وفي هـ ص: أي صار عذباً.

(٧) في هـ.ص: أي صار حلواً.

(٨) في هـ.ص: أي امرض، وفي هـ ب: من الوباء.

(٩) في هـ.ص: أي النعمة واللذة.

(١٠) الرغَب: الرغبة والمرغوب.

(١١) في هـ.ص وب: أي اغشته.

(١٢) في هـ. ص: هي مقاديم جناح الطائر.

(١٣) في هـ.ب: جمع زاد.

(١٤) في هـ.ص: أي الدنيا.

(١٥) في هـ.ب: أي يهلكه.

(١٦) في هـ. د: كم واثق ـ ن ف ل .

(١٧) أي أوجعته بفقد ما يعز عليه.

(١٨) في ب: وقد صرعته.

(١٩) في هـ.ص: أي العظمة والنخوة.

(٢٠) في هـ.ص: الإباء والتمنع، وفي هـ ب: الكبر.

(٢١) في هـ.ب، وفي نسخة: رددته.

سُلْطَانُهَا دِوَلٌ[١]، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ[٢]، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ[٣]، وَحُلْوُهَا صَبِرٌ[٤]، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ[٥]، وَأَسْبَابُهَا[٦] رِمَامٌ[٧]، حَيُّهَا بِعَرَضِ[٨] مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ، مُلْكُهَا[٩] مَسْلُوبٌ[١٠]، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ[١١]، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ[١٢].

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالاً، وَأَعَدَّ عَدِيداً[١٣]، وَأَكْثَفَ[١٤] جُنُوداً، تَعَبَّدُوا[١٥] لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا[١٦] عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ، وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ[١٧]. فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ ٱلدُّنْيَا سَخَتْ[١٨] لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً، بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ[١٩]، وَأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ[٢٠]، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ[٢١]، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ[٢٢]، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ[٢٣]، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ

---

(١) في هـ.ص: أي منتقل، وفي هـ ب: جمع دولة.

(٢) في هـ.ص: الرنق: الكدر، يقال: رنق يرنق.

(٣) في هـ ب: أي مصلح.

(٤) في هـ.ب: أي مرّ.

(٥) في هـ.ص وب: جمع سم: القاتل.

(٦) في هـ.ص وب: جمع سبب: الحبل.

(٧) في هـ.ص: جمع رمة: أي بالٍ، وفي هـ ب: أي بالية.

(٨) في هـ. ص: أي معرض له.

(٩) في هامش ب، وفي نسخة: مَلِكُهَا.

(١٠) في هـ ب: من السلب.

(١١) في ب: متكود. أي ممتحن. والنكبة: المصيبة، أي معرض للنكبة.

(١٢) في هـ.ب: من الحَرَب. ـ بالتحريك ـ: وهو من سُلب ماله.

(١٣) في هـ.ب: أي عدداً.

(١٤) في هـ.ب: يعني أكثر.

(١٥) في هـأ: تعبد له. مثل تزهد وتعبد: أي استعبدهُ، وفي هـ.ب: أي تذللوا.

(١٦) في هامش ب: أي ارتحلوا.

(١٧) في هـ.ب: أي مركوب.

(١٨) في هـ.ب: من السخاء.

(١٩) في هـ.ص: بالفاء: المثقلات، فدحه الحمل: اثقله، ويروىٰ بالقاف، وهي آفة تظهر بالشجر، وصدوع تظهر في الاسنان، وفي هـ ب: الفوادح: المصيبات والأمر العظيم.

(٢٠) في هـ.ب: القوارع جمع قارعة، وهي المحن التي تقرع.

(٢١) في هـ.ب: أي تركتهم بالنوائب.

(٢٢) في هـ.ب: الصقت مناخرهم بالعفر، وهو التراب، وفي هـ.ب: عفّرتهم من التعفير. والمناخر: جمع منخر.

(٢٣) في هـ.ص وب: جمع منسم، وهو خف البعير.

رَيْبَ ٱلْمَنُونِ[١]، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا[٢] لِمَنْ دَانَ لَهَا[٣]، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا[٤]، حِينَ[٥] ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ ٱلْأَبَدِ.

وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلاَّ ٱلسَّغَبَ[٦]، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ[٧] إِلاَّ ٱلضَّنْكَ[٨]، أَوْ نَوَّرَتْ[٩] لَهُمْ إِلاَّ ٱلظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلاَّ ٱلنَّدَامَةَ.

أَفَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟!

فَبِئْسَتِ ٱلدَّارُ لِمَنْ لَا يَتَّهِمْهَا[١٠]، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا.

فاعْلَمُوا ـ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ بِأَنَّكُمْ تارِكُوهَا، وَظَاعِنُونَ عَنْهَا، وَٱتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قالُوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[١١] حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وَأُنْزِلُوا[١٢] فَلَا يُدْعَوْنَ[١٣] ضِيفاناً[١٤]، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ ٱلصَّفِيحِ[١٥] أَجْنَانٌ[١٦]، وَمِنَ ٱلتُّرَابِ أَكْنَانٌ[١٧]، وَمِنَ ٱلرُّفَاتِ[١٨] جِيرَانٌ[١٩]، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً[٢٠]، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً[٢١]، إِنْ جِيدُوا[٢٢] لَم يَفْرَحُوا، وَإِنْ قُحِطُوا[٢٣] لَمْ يَقْنَطُوا، جَمِيعٌ وَهُمْ آحادٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ، مُتَدَانُونَ[٢٤] لَا يَتَزَاوَرُونَ[٢٥]، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ.

---

(١) أي الموت.
(٢) في هـ.ب: أي تغيّرها.
(٣) في هـ.ص: أي لمن اطاعها وانقاد لها.
(٤) في هـ.ب: أي استند إليها.
(٥) في ا حتىٰ، وفي هامش الأصل، وفي نسخة: حتىٰ.
(٦) في هـ.ب: أي الجوع.
(٧) في هـ.ب: أي جعلتهم، من الحلول.
(٨) في هـ.ب: أي الضيق.
(٩) في هـ.ب، وفي نسخة: ثوّرت، نوّرت، من النور.
(١٠) في أ وب وط ود: لم يتهمها.
(١١) فصّلت: ٤١/١٥.
(١٢) في ط ود: انزلوا الأجداث.
(١٣) في ب: ولا يدعون.
(١٤) في هـ.ب: أي أضياقاً.
(١٥) في هـ.ب: أي القبر.
(١٦) في هـ.ص: جمع جنن: ما يقي، وفي هـ ب: الاجنان: القبر، واحدها جنن.
(١٧) في أ وب وط: اكفان، وفي هـ أ: الكن: ما يكن.
(١٨) في هامش الأصل وب: أي العظام البالية.
(١٩) في هـ.ب: جمع جار.
(٢٠) في هـ.ب: أي ظلماً.
(٢١) في هـ أ، وفي نسخة: مندبة، وفي هـ.ب: أي نوحة.
(٢٢) جيدوا: أي امطروا.
(٢٣) في هـ.ب: قحطو واقحطو: صابهم السنة والقحط، ودخلوا فيها، وقحط المطر يقحط قحوطاً: قلّ، وقال الفراء: اقحط ....
(٢٤) في هـ.ب: من الدنو.

حُكَماءُ[٢٦] قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغانُهُمْ، وَجُهَلَاءُ قَدْ ماتَتْ أَحْقادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ[٢٧] وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ، اسْتَبْدَلُوا[٢٨] بِظَهْرِ الأَرْضِ بَطْناً، وَبِالسَّعَةِ ضِيْقاً، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاؤها كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً[٢٩] عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْها بِأَعْمالِهِمْ إِلَى ٱلْحَياةِ الدَّائِمَة، والدَّارِ ٱلْباقِيَةِ، كما قالَ سُبْحانَهُ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[٣٠].

---

(٢٥) في هـ.ب: من الزيارة.

(٢٦) في أ وب وط: حلماء، وفي هـ.ص؛ وفي نسخة: حلماء.

(٢٧) الفجع: التفجيع بالضرر.

(٢٨) في هـ.ب: من البدل.

(٢٩) في هـ.ب: جمع حافي.

(٣٠) الأنبياء: ١٢/١٠٤.

[١١١]

ومن خطبة له عليه السلام:

ذكر فيها ملك الموت وتوفّيه الأنفس:

هَلْ تُحِسُّ بِهِ[١] إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحداً، بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ! أَيَلِجُ[٢] عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا، أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا، أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا. كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ؟

---

(١) في ط: يحس به.

(٢) يلج: يدخل.

[١١٢]

ومن خطبة له عليه السلام:

وَأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ[١]، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[٢]، قَدْ[٣] تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلاَلَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا، لَمْ يُصْفِهَا[٤] ٱللهُ تَعَالَىٰ لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عن أَعْدَائِهِ[٥]، خَيْرُهَا زَهِيدٌ[٦]، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ[٧]، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا[٨] يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ[٩]، فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ ٱلْبِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَىٰ فَنَاءَ[١٠] ٱلزَّادِ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ ٱنْقِطَاعَ ٱلسَّيْرِ!

ٱجْعَلُوا مَا ٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلِبَتِكُم، وَٱسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ[١١]، وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ ٱلْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعىٰ بِكُمْ.

إِنَّ ٱلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ[١٢] أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ ٱغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا.

قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ ٱلْآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ[١٣] ٱلْآمَالِ، فَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ، وَٱلْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ ٱللهِ، مَا فَرَّقَ

---

(١) في هـ.ب: أي ليست مستوطن، كانه يقلع ساكنه.

(٢) في هـ.ب: النجعة والانتجاع: طلب الماء والكلأ ـ في اللغة ـ، وفي العرف: طلب كل خير.

(٣) في د: وقد.

(٤) في هـ.ب: أي لم يبخل بالدنيا عليهم، أي لم يجعلها صافية.

(٥) في ب: عن اعدائه.

(٦) في هـ.ب: أي قليل.

(٧) في هـ.ص: أي حاضر.

(٨) في ب: ونعيمها، وفي هـ ب، وفي نسخة: وملكها.

(٩) في أ بتخرب، وفي هـ. د: بتخرب ـ م ف، وفي هـأ، وفي نسخة: يخرب.

(١٠) في هـ. د: يعني فيها فناء الزاد ـ ض ح .

(١١) في هـ.ب: أي سلوا الله التوفيق والمعونة لما سألكم الله من أداء حقه.

(١٢) في هـ.ب: المقت: البغض.

(١٣) في هـ.ب: جمع كاذبة.

بَيْنَكُمْ إلاَّ خُبْثُ ٱلسَّرائِرِ، وَسُوءُ ٱلضَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازَرُونَ[١] وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ.

مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ ٱلدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلَا يَحْزُنُكُمْ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ! وَيُقْلِقُكُمْ[٢] الْيَسيرُ من الدُّنيا يَفُوتكُمْ؛ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ[٣] مِنْهَا عَنْكُمْ[٤]، كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ.

وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ؛ إِلاَّ مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ.

قَدْ تَصَافَيْتُمْ[٥] عَلَى رَفْضِ ٱلْآجِلِ، وَحُبِّ ٱلْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً[٦] عَلَى لِسَانِهِ، صَنِيعُ مَنْ فَرَغَ[٧] مِنْ عَمَلِهِ، وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ.

❊ ❊ ❊

قوله ﷺ: «وما يمنع أحدكم ... إلىٰ آخره»:

يحتمل انهم لا يعفون عن العيب لغيرةٍ لله، بل يمتنعون عنه لئلا يجازوا بمثل ما قالوا.

ويحتمل ان يكون تعريضاً بهم أنهم غير متنزهين في الأفعال حتىٰ تسمع منهم الأقوال، وانهم غير متناهين حتىٰ يقبل منهم النهي، وانهم كما قال الشاعر:

لا تنه عن خُلُق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وما أحسن قول بعض الشعراء:

ذهب الرجال المقتدىٰ بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر

وبقيت في خلف يزيّن بعضهم ... بعضاً ليستر معور عن معور

---

(١) في هـ.ب: فلا توازرون، أي لا يحمل بعضكم الثقل عن بعض، ويجوز ان يكون من الوَزَر، وهو الملجأ، ويروىٰ «تأزّرون» من الأزر، وهو القوّة.

(٢) في هـ.ب: أي يحزنكم، بأن يظهر الغم والقلق لفوت اليسير من اليسير من الدنيا في بشرة وجوهكم.

(٣) في هـ.ب: وفي قلّة صبركم عمّا زوي ـ أي قبض ـ منها، اي من الدنيا.

(٤) في هـ.ب، وفي نسخة: منكم. (٥) في هـ.ب: من الصفاء.

(٦) في هـ.ب: ما يلعقه علىٰ اللسان ولا يمكن اكله، وانما هو يمسه بلسانه، واللعقة اسم.

(٧) في هـ. د: صنع من فرغ ـ ح.

وقوله ﷺ: «لعقة علىٰ لسانه»:

هي الشيء القليل يلعق، وكأنه شبهه في خفة جريه علىٰ اللسان وعدم جدواه بالشيء الذي يلعق، فيكون نهاية وجدانه جريانه علىٰ اللسان، ليس وراء ذلك شيء من النفع، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلْوَاصِلِ اَلْحَمْدَ بِالنِّعَمِ، وَاَلنِّعَمَ بِالشُّكْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى آلاَئِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلاَئِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هٰذِهِ اَلنُّفُوسِ اَلْبِطَاءِ[١] عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، اَلسِّرَاعِ[٢] إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ، عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ اَلْغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى اَلْمَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلاَصُهُ اَلشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ اَلشَّكَّ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اَللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ[٣] اَلْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ اَلْعَمَلَ، لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلاَ يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ مِنْهُ[٤].

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اَللهِ بِتَقْوَى اَللهِ اَلَّتِي هِيَ اَلزَّادُ، وَبِهَا اَلْمَعَاذُ، زَادٌ مُبْلِغٌ، وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ[٥]، فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا، وَفَازَ وَاعِيهَا.

عِبَادَ اَللهِ؛ إِنَّ تَقْوَى اَللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اَللهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ[٦]، فَأَخَذُوا اَلرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ[٧]، وَالرِّيَّ بِالظَّمَأِ، وَاسْتَقْرَبُوا اَلْأَجَلَ فَبَادَرُوا اَلْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا اَلْأَمَلَ فَلاَحَظُوا[٨] اَلْأَجَلَ.

ثُمَّ إِنَّ اَلدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ، وَغِيَرٍ[٩] وَعِبَرٍ.

---

(١) في هـ.ب: جمع بطيء. (٢) السراع: جمع سريع.

(٣) في هـ. د: تسعدان ــ ك م، وروي بالصاد ــ ر.

(٤) في هـ. د: عنه ــ ن.

(٥) في هـ ب: أي حفظها خير حافظ، وهذا اشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ والتي اتفق المفسرون علىٰ انها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام.

(٦) في هـ.ب: يقول نهارهم صائمين، وليلهم قائمين مخافة الله وشفاههم ضماء.

(٧) في هـ.ب: أي بالتعب. (٨) في هـ.ب: أي في نظرهم.

(٩) في هـ.ب، وفي نسخة: توتّر، أي يجعل الوتر فيها ويتهيأ للرمي.

فَمِنَ ٱلْفَنَاءِ: أَنَّ ٱلدَّهْرَ مُوتِرٌ[١] قَوْسَهُ، لَا تُخْطِىءُ سِهَامُهُ، وَلَا تُؤْسَى[٢] جِرَاحُهُ، يَرْمِي ٱلْحَيَّ بِالْمَوْتِ، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ[٣]، آكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ[٤].

وَمِنَ ٱلْعَنَاءِ: أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ[٥] مَالَا يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَالَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى ٱللهِ، لَا مَالاً حَمَلَ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ.

وَمِنْ غِيَرِهَا: أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً، وَالمغْبُوط مَرْحُوماً[٦]، لَيْسَ ذَلِكَ إلاَّ نَعِيماً زَلَّ[٧]، وَبُؤْساً نَزَلَ.

وَمِنْ عِبَرِهَا: أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلاَ أَمَلٌ يُدْرَكُ، وَلاَ مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ، فَسُبْحَانَ ٱللهِ[٨] مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا، وَأَظْمَأَ رِيَّهَا، وَأَضْحَى[٩] فَيْئَهَا.

لاَ جَاءٍ[١٠] يُرَدُّ، وَلاَ مَاضٍ يَرْتَدُّ، فَسُبْحَانَ ٱللهِ مَا أَقْرَبَ ٱلْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ.

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيرٍ مِنَ ٱلْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِن ٱلآخِرَةِ عِيَانُه أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنْ ٱلْعِيَانِ ٱلسَّمَاعُ[١١] وَمِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلْخَبَرُ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَزَادَ فِي ٱلْآخِرَةِ، خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنْ ٱلآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا، فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ، وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ.

إِنَّ ٱلَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ ٱلَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ. فَذَرُوا

---

(١) الغِيَر: تقلّب الأحوال.
(٢) في هـ.ب: أي لا تعالج وتندمل.
(٣) في هـ.ب: أي بالهلاك.
(٤) في هـ.ب: أي لا يرویٰ، يقال: نقعت، أي ارويت.
(٥) في هـ.ص، وفي نسخة: ان المرء بجمع.
(٦) في أ وهـ. د: ترىٰ المغبوط مرحوماً والمرحوم مغبوطاً ـ ف ن، وفي هـ ب: أي انك ترىٰ من كان يعيش العيش الخشن [مغبوط علىٰ ما عنده من النعم المحدودة].
(٧) زِل: أي زليل، والزلول: الذي يمرّ سريعاً، ويحتمل أن يراد به نعمة اسداها. من أزل إليه النعمة: إذا أسداها.
(٨) في هـ.ب: تعجب منه عليه السلام.
(٩) في هـ.ب: أبرز للشمس.
(١٠) في هـ.ب: من المحيي.
(١١) في هـ.ب: أي حسبكم بالسماع، لا أن تدخلوا في النار.

مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَمَا ضَاقَ لِمَا ٱتَّسَعَ، قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلاَ يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ[١] أَوْلَى بِكُمْ مِنَ المَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ ـ وَٱللَّهِ ـ لَقَدِ ٱعْتَرَضَ الشَّكُّ، وَدَخَلَ[٢] ٱلْيَقِينُ، حَتَّى كَأَنَّ ٱلَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ ٱلَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ، فَبَادِرُوا ٱلْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ ٱلأَجَلِ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ ٱلْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ، مَا فَاتَ ٱلْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ ٱلْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ ٱلْيَوْمَ رَجْعَتُهُ، الرَّجَاءُ مع ٱلْجَائِي. وَٱلْيَأْسُ مَعَ المَاضِي، ﴿فَٱتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾[٣].

* * *

قوله ﷺ: «الواصل الحمد بالنعم ... إلىٰ آخره»:

الظاهر من معنىٰ هذا الكلام ان الله وصل حمد العباد له بانعامه عليهم كما يتصل السبب بالمسبب؛ لأنّ الحمد سبب النعم، ووصل انعامه بالشكر ـ أي جعل النعم سبباً موجباً للشكر ـ كما تتصل العلة بالمعلول.

وفيه دليل علىٰ أنّ الشكر بالفعل والقول معلّل بالنعم.

وقوله ﷺ: «نحمده على آلائه»:

أي هو في حالتي الانعام والابتلاء محمود، وذلك لأنّه فيهما محسن، لأنّ فعله في العبد مصلحة للعبد تعود عليه بخير عاجل أو آجل.

وقوله ﷺ: «ان الذي أُمرتم به ... إلىٰ آخره»:

أي بتناوله، وهو المباح، والاقرب ان يقال: انه سماه مأموراً به باعتبار وقوع صيغة الأمر عليه كقوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ﴾[٤] ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾[٥]، ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾[٦]، ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾[٧] وغير ذلك، والله أعلم.

---

(١) في هـ. د: المضمون طلبه ـ ع.
(٢) في هـ.ب: أي اختلط.
(٣) اقتباس من سورة البقرة: ١٠٢/٢.
(٤) المؤمنون: ٥١/٢٣.
(٥) الأنعام: ١١٨/٦.
(٦) الأعراف: ٣١/٧.
(٧) البقرة: ١٨٧/٢.

قوله ﷺ: «ما فات اليوم من الرزق... إلىٰ قوله: رجعته»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: هذا الكلام يقتضي أنّ العمرَ مقدّر[1]، وأن المكـاسب والأرزاق إنما هي بالاجتهاد، وليست محصورة مقدّرة، وهذا يناقض في الظاهر ما تقدَّم من قوله: «إنّ الرزق مضمون فلا تحرصوا عليه»، فاحتاج الكلام إلىٰ تأويل، وهو أنّ العمر هو الظرف الذي يوقع المكلّف فيه الأعمال الموجبة له السعادة العظمى، والمخلّصة له من الشقاوة العظمى؛ وليس له ظرف يوقعها فيه إلا هو خاصّة، فكلّ جزء منه إذا فات من غير عمل لما بعد الموت، فقد فات على الإنسان بفواتِهِ ما لا سبيل له إلىٰ استدراكه بعينه، ولا اغترام مثله؛ لأن المثل الذي له إنما هو زمان آخر، وليس ذلك في مقدور الإنسان، والزمان المستقبل الذي يعيش فيه الإنسان لم يكتسبه هو لينسب إليه، فيقال: إنّه حصله عوَضاً مما انقضي وذهب من عمره؛ وإنما هو فعل غيره؛ ومع ذلك فهو معدّ ومهيّأ لأفعال من العبادة توقع فيه، كما كان الجزء الماضي معدّاً لأفعال توقع فيه، فليس أحدُهما عوضاً عن الآخر ولا قائماً مقامه.

وأمّا المنافع الدنيويّة كالمآكل والمشارب والأموال، فإن الإنسان إذا فاته شيء منها قَدَر على ارتجاعه بعينه، إن كانت عينه باقية، وما لا تبقى عينه يقدر على اكتساب مثله، والرزق وإن كان مضموناً من الله إلّا إنّ للحركة فيه نصيباً، أمّا أن يكون شَرْطاً أو أن يكون هو بذاته من أثر قدرة الإنسان، كحركته واعتماده وسائر أفعاله، ويكون الأمر بـالتوكّل والنهي عن الاجتهاد في طلب الرزق ـ على هذا القول ـ إنما هو نهي عن الحرص والجشع والتهالك في الطلب؛ فإنّ ذلك قبيح يدلّ على دناءة الهمّة وسقوطها.

ثم هذه الأغراض الدنيوية إذا حصلت أمثالها بعد ذهابها، قـامت مـقام الذاهب؛ لأنّ الأمر الذي يراد الذاهب له يمكن حصولُه بهذا المكتسب، وليس كذلك الزمان الذاهب من العمر؛ لأنّ العبادات والأعمال التي كان أمسِ متعيناً لها، لا يمكن حصولُها اليوم، على حدّ حصولها أمس، فافترق البابان: باب الأعمال، وباب الأرزاق، انتهىٰ[2].

---

(١) في ط: مقدور.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٦١.

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء:

اَللَّهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ[١] جِبَالُنَا، وَاغْبَرَّتْ[٢] أَرْضُنَا، وَهَامَتْ[٣] دَوَابُّنَا، وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا[٤]، وَعَجَّتْ[٥] عَجِيجَ الثَّكَالَى[٦] عَلَى أَوْلاَدِهَا، وَمَلَّتِ[٧] التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا[٨]، وَالْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا[٩]!

اَللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الْآنَّةِ، وَحَنِينَ الْحَانَّةِ!

اَللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا!

اَللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ[١٠] عَلَيْنَا حَدَابِيرُ[١١] السِّنِينَ، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ الْجَوْدِ[١٢]؛ فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ[١٣]، وَالْبَلاَغَ لِلْمُلْتَمِسِ.

نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ، وَمُنِعَ[١٤] الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ[١٥]؛ أَلَّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا؛ وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا؛ وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ[١٦]، وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ[١٧]، وَالنَّبَاتِ

---

(١) في هـ.ب: أي تشققت وجفّت.
(٢) في هـ.ب: أي صارت ذات غبر.
(٣) في هـ.ب: أي عطشت.
(٤) في هـ.ب: من فقد الماء.
(٥) في هـ.ب: تعج: تصيح من الجوع والعطش، كما تصيح النساء اللواتي مات أولادهن.
(٦) في هـ. د: الثكلىٰ ـ ع.
(٧) في هـ.ب: من الملال.
(٨) في هـ.ب: أي مرعاها.
(٩) في هـ.ب: جمع مورد الماء.
(١٠) في هـ ص: هو اما بمعنىٰ تتابعت وترادفت، واما بمعنىٰ الشدة، كأن مغص شديد أصابه، كما يقال: اعتكر الظلام، وفي هـ ب: اقبلت.
(١١) في هـ أ: الحدابير: جمع حدبار وحدبير، وهي ـ من النوق ـ الظاهر التي قد يبس لحمها من الهزال وبدت خوافقها.
(١٢) في هـ.ب: المخايل: جمع مخيلة، وهي الظن. والجود: المطر.
(١٣) في هـ.ب، وفي نسخة: للمبيس وللملتمس، والمبتئس: الحزين والمشتكي، وقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَبْتَئِسْ﴾ أي لا تحزن ولا تشتكي. وفي هـ ب: أي يئس.
(١٤) في هـ.ب؛ وفي نسخة: ومَنَعَ.
(١٥) في هـ.ب: أي الأنعام.
(١٦) في هـ أ: انبعق السحاب بالمطر: انبعج، وتعبق مثله، وهو استقامته بالمطر، وفي هـ.ب: انبعق المزن: أي تصبّب بشدة.
(١٧) في هـ أ: المغدق: الكثير.

المُونِقِ[١]، سَحًّا[٢] وَابِلاً، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ.

اَللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ[٣] مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً[٤]، تَامَّةً عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيئَةً مَرِيعَةً[٥]، زَاكِياً[٦] نَبْتُهَا، ثَامِراً[٧] فَرْعُهَا، نَاضِراً وَرَقُهَا، تُنْعِشُ[٨] بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتحْيِي بِهَا المَيِّتَ مِن بِلاَدِكَ!

اَللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا[٩]، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا[١٠]، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا[١١]، وَتُقْبِلُ بِها ثِمَارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدَي[١٢] بِهَا أَقَاصِينا[١٣]، وَتَسْتَعِينُ[١٤] بِها ضَوَاحِينا[١٥]، مِنْ بَرَكَاتِكَ ٱلْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ ٱلْجزِيلَةِ، عَلَى بَرِيَّتِكَ المُرْمِلَةِ[١٦]، وَوَحْشِكَ المُهْمَلَةِ.

وَأَنْزِلْ عَلَيْنا سَمَاءً[١٧] مُخْضِلَةً[١٨]، مِدْرَاراً[١٩] هَاطِلَةً[٢٠]، يُدَافِعُ ٱلْوَدْقُ مِنْها ٱلْوَدْقَ، وَيَحْفِزُ[٢١] ٱلْقَطْرُ مِنْهَا ٱلْقَطْرَ، غَيْرَ خُلَّبٍ[٢٢] بَرْقُها، وَلاَ جَهَامٍ[٢٣] عَارِضُهَا، وَلاَ قَزَعٍ[٢٤] رَبَابُها،

---

(١) المونق: المعجب.
(٢) في هـ.ب: أي صباً.
(٣) في هـ.ب: أي نسألك سقيا منك.
(٤) في هـ.ب: أي ساقية.
(٥) في هـ.ب: أي مخضية.
(٦) في هـ.ب: زكىٰ الشيء إذا نما.
(٧) أي مثمراً.
(٨) في هـ.ب: من أنعش.
(٩) في هـ.ص والف: أي ما ارتفع من الأرض، وفي هـ.ب: جمع نجد.
(١٠) في هـ.ص والف: أي ما انحفض من الأرض، وفي هـ.ب: جمع وهدة، وهي الحفرة.
(١١) في هـ.ب: بمعنىٰ جانب.
(١٢) في هـ.ب: أي تبلّ.
(١٣) في هـ.ب: جمع اقصىٰ.
(١٤) في هـ.ب، وفي نسخة: وتستغني، وفي هـ. د: ويستغني ـ ن ك.
(١٥) في هـ.ص: هي البراري، كانها تقوىٰ بها علىٰ الانبات، وفي هـ.أ: النواحي البارزة، وضاحية كل شيء: ناحيته، وفي هـ.ب: حوالي البلد.
(١٦) في هـ.ص: المفتقرة، وفي هـ ب: فقيرة الزّاد.
(١٧) في هـ.ب: أي غيما.
(١٨) في هـ.ص: كثيرة النداوة، وفي هـ ب: منبتة، مبلّة.
(١٩) في هـ.ب: متتابعاً.
(٢٠) في هـ.ب: سائلة.
(٢١) في هـ.ص: أي يعجّل، وفي هـ ب: يحفز: يدفع.
(٢٢) في هـ.ص: هو الذي لا يكون معه رواء.
(٢٣) في هـ.ص: السحاب لا ماء فيه، وفي هـ.ب: السجل الذي لا ماء فيه.
(٢٤) في هـ ب: القزع: المنقطع، والرباب: السحاب.

وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُها، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا[١] ٱلْمجْدِبُونَ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ[٢]؛ فَإِنَّكَ تُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ[٣].

تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب[٤]:

قوله ﷺ: «ٱنْصَاحَتْ جِبَالُنَا»، أَيْ تَشَقَّقَتْ مِنَ ٱلْمحولِ[٥]، يُقَالُ: ٱنصَاحَ الثَّوْبُ، إِذَا ٱنْشَقَّ. وَيقالُ أَيْضاً: ٱنْصَاحَ النَّبْتُ، وَصَاحَ وَصَوَّحَ؛ إِذَا جَفَّ وَيَبِسَ[٦].

وَقَوْلُه ﷺ: «هَامَتْ دَوَابُّنَا» أَيْ عَطِشتْ، وَٱلْهِيَامُ: الْعَطَشُ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «حَدَابِيرُ السِّنِينَ»، جَمْعُ حِدْبَارٍ؛ وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي أَنْضَاهَا السَّيْرُ؛ فَشَبَّهَ بِهَا السَّنَةَ الَّتِي فَشَا فِيهَا ٱلْجَدْبُ، قَالَ ذُوالرُّمَّةِ:

حَدَابِيرُ مَا تَنْفَكُّ إِلَّا مُنَاخَةً ... عَلَى ٱلْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَداً قَفْرَا[٧]

وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا قَزَعٌ رَبَابُهَا»، ٱلْقَزَعُ: ٱلْقِطَعُ الصِّغَارُ الْمُتَفَرِّقَةُ مِنَ السَّحَابِ. (والرباب: السحاب دون السحاب، قال الشاعر:

كأن الرباب دوين السحاب ... نعام تعلّق بالأرجل

والمسبتون: المقحطون[٨].

وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا» فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ: «وَلَا ذَاتُ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا»، وَالشَّفَّانُ: الرِّيحُ ٱلْبَارِدَةُ، وَالذِّهَابُ: ٱلْأَمْطَارُ اللَّيِّنَةُ. فَحَذَفَ «ذَاتُ» لِعِلْمِ السَّامِعِ بِهِ.

والجهام: السحاب الذي لا ماء فيه، هرق ماؤه فخفّ[٩].

(١) في هـ.ب، وفي نسخة: لمرعاها، والإمراع: الإخضاب.

(٢) في هـ.ب: أي المقحطون.

(٣) اقتباس من سورة الشورى: ٤٢/٢٨.

(٤) في أ: قال السيد، وفي ط: قال الشريف رحمه الله تعالى.

(٥) في هـ.ب: أي القحوط.

(٦) في ط زيادة: كلّة بمعنى.

(٧) في هـ.ب: أي الفقر ـ ظاهراً ـ.

(٨) ما بين القوسين لم يَرِد في ط.

(٩) ما بين القوسين لم يرد في ط.

و من خطبة له عليه السلام:

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى ٱلْحَقِّ، وَشَاهِداً عَلَى ٱلْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ، غَيْرَ وَانٍ[١] وَلاَ مُقَصِّرٍ، وَجَاهَدَ فِي ٱللهِ[٢] أَعْدَاءَهُ، غَيْرَ وَاهِنٍ[٣] وَلاَ مُعَذِّرٍ[٤]، إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى، وَبَصَرُ[٥] مَنِ ٱهْتَدَى.

منها:

لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ؛ إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ[٦]، تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ[٧] عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لاَ حَارِسَ لَهَا، وَلاَ خَالِفَ[٨] عَلَيْهَا، وَلَهَمَّتْ[٩] كُلَّ ٱمْرِىءٍ نَفْسُهُ، لاَ يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا، وَلٰكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ[١٠] عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ.

وَلَوَدِدْتُ أَنَّ ٱللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ، قَوْمٌ وَٱللهِ مَيَامِينُ[١١] الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ ٱلْحِلْمِ، مَقَاوِيلُ[١٢] بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ[١٣] لِلْبَغْيِ[١٤]، مَضَوْا قُدُماً[١٥]

---

(١) في هـ.ص: الواني: الكالّ، وفي هـ ب: أي غير ضعيف.

(٢) في هـ. د: وجاهد في سبيل الله ـ م. (٣) في هـ.ص وب: أي ضعيف.

(٤) في هـ.ص: ألذي يعتذر ولا عذر له، وفي هـ.ب: مصرّ.

(٥) في ب: وبصير، وفي هـ ب، وفي نسخة: وبصر، وفي هـ. د: بصر ـ ض ح ف.

(٦) في هـ.ص: جمع صعيد، وهو وجه الأرض، وفي هـ.ب: الصُعدات: جمع صعيد، والصُعد: جمع صعيد كما يجمع طريق علىٰ طرق وطرقات ويريد بها: الفلوات.

(٧) في هـ.ص: الالتدام: ضرب النساء صدورهن في النياحة، وفي هـ ب: تلتدمون، أي تضربون وجوهكم وخدودكم. (٨) في هـ.ب: أي لا خليفة.

(٩) في هـ.ص وب، وفي نسخة: ولأهمت كل امريء مسلم نفسه، وفي هـ. ص: همّته أذابته وأنحلته. هممت الشحم: اذبته، ويروىٰ: لأهمت، وهو أصح من الرواية الأُولىٰ، اهمني الامر: أي ضرّني (من الشرح). (١٠) في هـ.ص: أي بعد أو تحيّر.

(١١) في هـ.ب: أي حسنة، جمع ميمون. (١٢) المقاويل: جمع مقوال، وهو من يحسن القول.

(١٣) في هـ.ب: جمع متراك، وهو مبالغة في الترك.

(١٤) في هـ.ص، وفي نسخة: للغيّ.

(١٥) في هامش الأصل: أي متقدمين غير معرجين.

عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَأَوْجَفُوا[١] عَلَى ٱلْمَحَجَّةِ[٢]، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ، وَٱلْكَرَامَةِ ٱلْبَارِدَةِ.

أَمَا وَٱللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ[٣] الْمَيَّالُ[٤]، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِيْهٍ[٥] أَبَا وَذَحَةَ[٦].

قال الرضي رحمه الله تعالى[٧]:

وٱلْوَذَحَةُ ٱلْخُنْفَسَاءُ وَهذَا الْقَوْلُ يُومِيءُ بِهِ إلى الحَجَّاجِ، وَلَهُ مَعَ ٱلْوَذَحَةِ حَدِيثٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ.

---

(١) في هـ.ب: أي اسرعوا. (٢) في هـ.ب: الطريق الواضح.

(٣) في هـ.ب: المتبختر، من ذيلّت المرأة تذييلاً، أي جرت الذيل.

(٤) في هـ.ص: أي المتباهي المتكبر. (٥) في هـ.ص: إيه: كلمه استتزاده، أي: وهات.

(٦) في هـ.ب: روي ان الحجاج كان يوماً علىٰ المصلىٰ فاقبلت إليه خنفسة تدب إلىٰ سجادته، فقال: نحوّا هذه؛ فانها وذحة من وذح الشيطان. تشبيها لها بالبعرة، قالوا: الوذح ما تعلق باذناب الشاة المضاف من أبوالها وأبعارها، والواحدة: وذحة، وقال بعض الناس: ان الحجاج كان مخنثاً، ونقل انه كان يأخذ الخنفساء ويجعلها علىٰ مقعدته لتعض ذلك الموضع، كما كان أبو جهل.

وفي هـ.ص: الوذح ـ في الاصل ـ: ما يتعلق بأذناب الشياه وادفاعها من أبعارها، وفي جف ويكون شبيها بالخنافس، ووقع في كلام الحجاج تسمية الخنافس به تشبيها، يروىٰ انه قال لما ترون ان اليه خلق هذه الاذواح؟ فقيل انه عضّته واحده منها وتعلّقت به، فعلم ان من حكمة خلقها به اهانة المتكبر، ومراد الرضي: الوذحة: الخنفساء في كلام علي ﷺ مطلقا، والله أعلم.

(٧) كذا في ط، وفي الف: قال السيد، الوذحة، وفي د: أقول الوذحة.

[١١٦]

ومن كلام له عليه السلام:

فَلاَ أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا[1] لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلَا أَنْفُسَ[2] خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، تَكْـرُمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا تُكْرِمُونَ اللهَ فِي عِبَادِهِ!

فَاعْتَبِرُوا[3] بِنُزُولِكُمْ[4] مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ[5] إِخْوَانِكُمْ.

---

(١) في هـ.ص: أي تقولون نحن اولياء الله وأُلوا طاعته فنكرم بكرامة الله، ولا تكرمون الله، أي لا تطيعونه وتعظمونه بامتثال أوامره، حتىٰ يعظم شأنه في النفوس، ويهاب أمره ونهيه الناس، من قوله تعالىٰ: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.

(٢) في هـ.ص، وفي نسخة: ولا انفساً.

(٣) في هـ.ص: أي انتم خلفاء لقوم كانوا قبلكم، فلا تخلدون بعدهم.

(٤) في هـ. د: بنزول منازل ـ م.

(٥) في ب: عن أصل اخوانكم، وفي هـ ص: أي مات اخوانكم فستلحقون بهم.

[١١٧]

ومن كلام له عليه السلام:

أَنْتُمُ ٱلْأَنْصَارُ عَلَى ٱلْحَقِّ، وَٱلْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَٱلْجُنَنُ[١] يَوْمَ ٱلْبَأْسِ، وَٱلْبِطَانَةُ[٢] دُونَ النَّاسِ، بِكُمْ أَضْرِبُ المُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ المُقْبِلِ؛ فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ[٣] مِنَ ٱلْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ، فَوَٱللهِ إِنِّي لأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ.

---

(١) في هـ.ص: جمع جنة: ما يتقىٰ به.

(٢) في هـ.ص: خواص الرجل وخاصته: الذين لا يطوي عنهم سره (من الشرح) وفي هـ.ب: بطانه الرجل: وليجته وخواصه.

(٣) في ب وهـ. د: خلية ـ ك ر ل، وفي هـ ب: ويروىٰ خلية، أي خالية من الغش والخيانة، وجلية: ظاهرة.

ومن كلام له عليه السلام: وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليّا[١].

فقال عليه السلام:

ما بالكم! أمخرَسون أنتم، فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ إنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ.

فقالَ عليه السلام:

مَا بَالُكُمْ[٢]، لَاسُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ[٣]، ولَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ، أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ؟ وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شجعانِكم[٤]، وَذَوِي بَأْسِكُمْ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ المِصْرَ وَٱلْجُنْدَ، وَبَيْتَ المَالِ، وَجِبَايَةَ ٱلْأَرْضِ[٥]، وَٱلْقَضَاءَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ المُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى، أَتَقَلْقَلُ[٦] تَقَلْقُلَ ٱلْقِدْحِ فِي ٱلْجَفِيرِ[٧] ٱلْفَارِغِ.

وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى، تَدُورُ[٨] عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكانِي، فَإِذَا فَارَقْتُها ٱسْتَحَارَ[٩] مَدَارُهَا[١٠]، وَٱضْطَرَبَ ثُفَالُهَا[١١]. هَذَا لَعَمْرُ ٱللهِ الرَّأْيُ السُّوءُ، وَٱللهِ لَوْلَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ[١٢] عِنْدَ لِقَاءِ[١٣]

---

(١) في هـ.ص: أي ساعة طويلة، ويقال: ملاوة، بالحركات الثلاث أيضاً.

(٢) في ب: مالكم.

(٣) في هـ.ب: هذا دعاء.

(٤) في ب: شجعانكم، وفي هـ ب، وفي نسخة: من شجعانكم.

(٥) في هـ.ب: جبايه الأرض، أي أخذ ارتفاعها وخراجها.

(٦) في هـ.ص: القلقلة: الحركة في اضطراب، وفي هـ ب: أي اتحرك مع اضطراب، والجفير: وعاء الكنانة.

(٧) في هـ.ص: هو الكنانة، أو وعاء للسهام أوسع من الكنانة.

(٨) في ب: يدور.

(٩) في هـ.ص: أي اضطرب، أي تحيّر ووقف، وفي هـأ وب: استحار: تردّد، والمستحير: سحاب ثقيل متردد ليس له ريح تسوقه.

(١٠) في هـ.ص: مصدر بمعنىٰ الدوران.

(١١) في هـ. د، وفي نسخة: ثقالها، وفي هـ ص: هو جلد يوضع تحت الرحىٰ للدقيق، وفي هـ.ب: الثفال الجلد الذي يبسط فيوضع فوقه الرحىٰ فتطحن باليد ليسقط عليه الدقيق، فإذا كان هذا الجلد مضطرباً شدد به الدقيق من الانحناء.

(١٢) في هـ. د: رجائي للشهادة ـ م.

(١٣) في ط ود وظاهر الف: لقائي.

ٱلْعَدُوَّ، وَلَوْ قَدْ حُمَّ[١] لِي لِقَاؤُهُ، لَقَرَّبْتُ رِكَابِي[٢]، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلاَ أَطْلُبُكُمْ، مَا ٱخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ[٣] (طَعَّانِينَ[٤] عَيَّابِينَ، حَيَّادِينَ رَوَّاغِينَ، إِنَّهُ لَا غَنَاءَ[٥] فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ ٱجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ، لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ[٦] ٱلْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ، مَنِ ٱسْتَقَامَ[٧] فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ[٨] فَإِلَى النَّارِ)[٩].

(١) في هـ. د: العدو ولو قد حم ـ ح، وفي هـ ص وب: أي قدّر.

(٢) في هـ.ص وب: أي قطعت.

(٣) في هـ.ص وب: أي بالدوام.

(٤) في هـ.ص: منصوباً بفعل مقدر مناسب.

(٥) في هـ.ص: أي لا نفع.

(٦) في هـ.ص: يذكر ويؤنث.

(٧) في هـ.ص: أي عليه.

(٨) في هـ.ص: أي عنه.

(٩) ما بين القوسين لم يرد في أ وب.

ومن كلام له عليه السلام:

تَاللهِ[1] لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ ٱلرِّسَالاَتِ، وَإِتْمَامَ ٱلْعِدَاتِ[2]، وَتَمَامَ ٱلْكَلِمَاتِ[3]، وَعِنْدَنَا ـ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ـ أَبْوَابُ ٱلْحُكْمِ، وَضِيَاءُ ٱلْأَمْرِ.

أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ ٱلدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ[4]، مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ.

أَعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ ٱلذَّخَائِرُ، وَتُبْلَىٰ[5] فِيهِ ٱلسَّرَائِرُ، وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ[6] عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ[7].

وَٱتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ[8].

أَلَا وَإِنَّ ٱللِّسَانَ ٱلصَّالِحَ يَجْعَلُهُ ٱللهُ لِلْمَرْءِ فِي ٱلنَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ[9].

* * *

قوله عليه السلام: «لقد عُلِّمت ...»:

رواها قوم «لقد عَلِمْتُ» بالتخفيف وفتح العين، والرواية الأولى أحسن، فتبليغ الرسالات تبليغ الشرائع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله إلىٰ المكلّفين، وفيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ ٱللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَايَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا ٱللهَ﴾[10]، وإلىٰ قول النبيّ صلى الله عليه وآله في قصة براءة: «لا يؤدّي عنّي إلا أنا ورجل منّي».

---

(١) في هـ.ب: حلف أنه يكره المقام فيما بين أهل الكوفة.

(٢) في هـ.ب: جمع عدة، وهي الوعد.

(٣) في هـ.ب: يعني تأويل كلمات الله.

(٤) في هـ.ب: أي مستوية.

(٥) في هـ.ب: أي تظهر وتدرك وتختبر.

(٦) في هامش ب: أي بعيده.

(٧) في هـ.ب: أي افقر.

(٨) ليس في ب: وشرابها صديد، الصديد: ما يسيل من القروح والجروح.

(٩) اللسان الصالح: الذكر الحسن.

(١٠) الاحزاب: ٣٩/٣٣.

و«إتمام العدات»: إنجازها، وفيه إشارة إلىٰ قوله تعالي: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَاهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1]، وإلىٰ قول النبيّ ﷺ في حقه عليه السلام: «قاضي ديني ومنجز موعدي».

وتمام الكلمات تأويل القرآن، وفيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[2]، وإلىٰ قول النبيّ ﷺ في حقه عليه السلام: «اللهمّ اهد قلبه، وثبّت لسانه»، انتهىٰ من الشرح مع اختصار[3].

وقوله عليه السلام: «وعندنا أهل البيت ... إلىٰ آخره»:

فيه إشارة إلىٰ معنىٰ قوله ﷺ: من سره ان يحيىٰ حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فانهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من امتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنا لهم الله شفاعتي...» ونحوه.

وقوله عليه السلام: «الا ان شرائع الدين واحدة ... إلىٰ آخره»:

فيه إشارة إلىٰ معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[4].

سواء جعلت «ان» مصدرية، عند من اجاز ان يكون صلتها أمراً، او مفسّرة، عند من منع.

فان المأمور به في الوجهين: إقامة الدين من غير اختلاف فيه، وإلىٰ معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[5].

---

(١) الاحزاب: ٣٣/٢٣.

(٢) الأنعام: ٦/١١٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٨٩.

(٤) الشورىٰ: ٤٢/١٣.

(٥) الشورىٰ: ٤٢/١٥.

ومن كلام له عليه السلام وقد قامَ إليه رَجلٌ مِن أصحابه، فقال: نَهَيْتَنَا عن الحُكُومةِ ثمَّ أمرتَنا بها، فلم نَدْرِ أَيّ ٱلْأَمْرَيْنِ أَرْشَدُ؟ فَصَفَّقَ عليه السلام إِحْدَى يَدَيْهِ على الأُخرى، ثم قال:

هَذا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ ٱلْعُقْدَةَ(١)! أَمَا وَٱللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى المَكْرُوهِ(٢) ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱللهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنْ ٱسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنِ ٱعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ ٱلْوُثْقَى، وَلَكِنْ بِمَنْ، وَإِلَى مَنْ! أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا(٣)!

اَللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ(٤)، وَكَلَّتِ(٥) النَّزَعَةُ(٦) بِأَشْطَانِ(٧) الرَّكِيِّ(٨)!

أَيْنَ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ دُعُوا إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَءُوا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا(٩) إِلَى ٱلْجِهَادِ فَوَلِهُوا(١٠) [وَلَهَ](١١) اللِّقَاحِ(١٢) إِلَى أَوْلَادِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً؛ وَصَفّاً صَفّاً، بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجَا، لَا يُبَشَّرُونَ بالأَحْيَاءِ، وَلَا

---

(١) في هـ أ: قيل هي الشيء النفيس، وفي هـ ب: العقدة، أي ترك الذي كان عقده.

(٢) في هامش الأصل: أي المكروه لهم وهو القتال وردّ دعوة التحكيم والموادعة، وهو من قوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ ... الآية.

(٣) الضَلْع: الميل. والنقش: اخراج الشوكة من الجسم، وهذا مثل، وأصله: «لا تنقش الشوكة بالشوكة، فان ضلعها معها» وفي هـ ب: يعني مثلها معها، والشوكة تكون مع جنسها.

(٤) في هـ.ب: المرض والوجع الشديد. (٥) في هـ.ب: أي عمت.

(٦) في هـ.ب: هو جمع نازع، وهو الآخذ للماء السير القريب باليد.

(٧) في هـ.ص وب: جمع شطن، وهو الحبل. (٨) في هـ.ص وب: الركية: البئر، والجمع: ركي.

(٩) في هـ.ب: من هاج يهيج.

(١٠) من الوله، وهو شدة الشوق، وفي هـأ: التولية: ان يفرق بين المرأة وولدها، وفي هـ ب: أي تحيزوا مثل تحيز الابل الحلوبة الولهة التي يفرق بينها وبين ولدها، وولهها الىٰ اولادها: فزعها إليها إذا فارقتها. (١١) لم ترد: وله في ا وب وص.

(١٢) في هـأ: اللقاح: جمع اللقوح، وهي الناقة الحلوب، كقلوص وقلاص، وفي هـ ب: وهي اللقاح الواحدة: لحوق.

يُعَزَّوْنَ عَنِ المَوْتَى، مُرْهُ[١] ٱلْعُيُونِ مِنَ ٱلْبُكَاءِ، خُمْصُ[٢] ٱلْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ ٱلْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ[٣] الخَاشِعِينَ، أُولٰئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ، فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ[٤] إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ.

إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي[٥] لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً[٦]، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ٱلْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ ٱلْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا[٧] عَنْ نَزَغَاتِهِ[٨] وَنَفَثَاتِهِ[٩]، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ ممَّنْ أَهْدَاهَا[١٠] إِلَيْكُمْ، وَٱعْقِلُوهَا[١١] عَلَى أَنْفُسِكُمْ.

* * *

قوله عليه السلام: «هذا جزاء من ترك العقدة ...»:

الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ ان الإشارة إلىٰ اللوم واعتقاد السوء به، وانه لا يدري ما الصواب فيأمر به، وما الخطأ فينهىٰ عنه، ثم فسر العقدة بقوله: اما والله ... إلىٰ آخره.

أي العقدة والحزم والرشد، هو الرأي الأوّل، وهو الامتناع من الإجابة إلىٰ التحكيم: لم يلتبس عليّ.

ولكنه لا يتمّ المضي عليه إلّا بأن تسعدوني، ولم يحصل ذلك منكم؛ لأنكم خالفتموني وأبيتم عليَّ.

أو بأن احملكم وأقرّكم عليه، وحينئذٍ فإمّا ان أغلبكم فأقوّمكم، وإما أن تغلبوني فأتداركم، ولكن هذه الوثقىٰ تحتاج إلىٰ أعوان وأنصار صادقي النية مطيعين، ولستم

---

(١) في هـ.ب: الأمره: البصر، من مرهت عينه مرها: إذا فسدت ... .
(٢) في هـ.ب: أي ضمرها، يقال: خمص الحشا، أي ضامر البطن، والمخمصة: المجاعة.
(٣) في ب: عبرة، وفي هـ ب، وفي نسخة: غبرة.
(٤) في هـ.ب: نحن ـ ظاهراً ـ.
(٥) في هـ.ب: أي يسهل، يقال: سنىٰ الله الامر: أي فتحه وسهّله.
(٦) في هـ.ب: أي يريد ان يدخلكم فيه. (٧) في هـ.ب: أي انصرفوا عن افساده.
(٨) النزغ: الوساوس.
(٩) في هـ.ب: النفث شبيه النفخ، كما ينفخ الساحر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾. (١٠) في هـ.ب: من الهدية .
(١١) في هـ.ب: اعقلوها، أي احبسوا نصيحتي على انفسكم.

كذلك؛ لأني أُريد ان اداوي بكم داء الناس الخارجين من طاعتي، وأنتم في الحقيقة دائي؛ لانكم تخالفونني وتعصونني، ثم تسومونني موافقتكم علىٰ رأيكم الفاسد، وتضطرونني إليه، ثم تحمّلونني نقصه وعيبه، فهذا داء لا دواء له.

فليس في هذا الكلام اعتراف بأنّه أتىٰ خطأ ولا قبيحاً؛ لأنه المُلجأ إلىٰ الأمر والداخل فيه، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «اين القوم ... إلىٰ آخره»:

قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: مَنْ هؤلاء الذين يشير عليه السلام إليهم؟ قلت: هم قوم كانوا في نَأْنأة الإسلام، وفي زمان ضعفه وخموله، أربابَ زهد وعبادة، وجهاد شديد في سبيل الله، كمصعب بن عمير من بني عبد الدّار، وكسعد بن معاذ من الأوس، وكجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة، وغيرهم؛ ممن استشهد من الصالحين، أرباب الدين والعبادة والشجاعة في يوم أحُد، وفي غيره من الأيام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكعمّار، وأبي ذَرّ، والمقداد، وسلمان، وخَبّاب، وجماعة من أصحاب الصُّفّة وفقراء المسلمين أرباب العبادة، الذين قد جمعوا بين الزهد والشجاعة. وقد جاء في الأخبار الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن الجنة لتشتاقُ إلىٰ أربعة: عليّ، وعمار، وأبي ذَرّ، والمقداد»، انتهىٰ[1].

قلت: هو لأسلاف الشيعة من الصحابة، ومنهم: سلمان، ومنهم: أبي بن كعب، ومنهم: حذيفة، ومنهم: ذو الشهادتين، ومنهم: ابن التيهان، ومنهم: النعمان بن العجلان، ومنهم: قيس بن سعد، ومنهم: رفاعة بن رافع، ومنهم: أبو أيوب، ومنهم: عبادة بن الصامت، ومنهم: البراء بن عازب وغيرهم، وهم معروفون معدودون رضي الله عنهم، وطبقة من التابعين وهم مشهورون رضي الله عنهم.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٩٦.

ومنْ كلام له عليه السلام قالَهُ لِلْخَوارِج وقدْ خَرجَ إلى مَعَسْكَرِهِمْ وهُمْ مُقِيمُونَ على إنْكارِ الحُكُومَةِ، فقال عليه السلام:

«أكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ؟» فَقَالُوا: مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ. قَالَ: فَامْتَازُوا[١] فِرْقَتَيْنِ؛ فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْها فِرْقَةً؛ حَتَّى أُكَلِّمَ كُلًّا[٢] بِكَلامِهِ، وَنَادَى النَّاسَ، فَقَالَ:

أَمْسِكُوا عَنِ ٱلْكَلَامِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ[٣] شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا.

ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عليه السلام بِكَلَامٍ طَوِيلٍ، مِنْ جُمْلَتِهِ[٤] أَنْ قَالَ عليه السلام:

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ المَصَاحِفَ ـ حِيلَةً وَغِيلَةً، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً ـ: إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا، ٱسْتَقَالُونَا، وَٱسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ ٱلْقَبُولُ مِنْهُمْ، وَالتَّنْفِيسُ[٥] عَنْهُمْ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ: هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ، فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَٱلْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى ٱلْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ؛ إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ.

وقدْ كانَتْ هذِهِ الْفَعلةُ، وقدْ رأيْتُكُمْ أعْطَيْتُمُوها[٦]. وَٱللهِ لئِنْ أبَيْتُها ما وَجَبَتْ عليَّ فَرِيضَتُها، ولا حَمَّلَنِي اللهُ ذَنْبَها، ووَٱللهِ إنْ جِئْتُها إنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ، وإنَّ الْكِتابَ لَمَعِيَ، مَا فارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ)[٧] وَلَقَدْ[٨] كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وآله وَإِنَّ ٱلْقَتْلَ لَيَدُورُ بَيْنَ ٱلآبَاءِ[٩]

---

(١) في هامش ب: أي انفردوا، من الامتياز. (٢) في د: كلاًّ منكم.

(٣) في هـ.ب: أي طلبناه. (٤) في أو ط: منه، ولم ترد «ان قال» فيهما.

(٥) في هامش ب: أي التفريج. (٦) يريد عليه السلام انكم انتم الذين اعطيتم ذلك.

(٧) ما بين القوسين من ط ود ولم يَرد في ص وأوب.

(٨) في أ ود وط: فلقد.

(٩) في ط: على الآباء، وفي هـ. د: على الآباء ـ ض ح.

وَٱلْأَبْنَاءِ وَٱلإِخْوَانِ وَٱلْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً وَمُضِيًّا عَلَى ٱلْحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلْأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ[1] ٱلْجِرَاحِ[2].

وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي ٱلْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ[3] وَالِاعْوِجَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ، فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ[4] يَلُمُّ ٱللهُ شَعَثَنَا، وَنَتَدَانَى بِهَا[5] إِلَى ٱلْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

---

(١) في هـ.ب: المضض: شدة الألم. (٢) في ص: الجرح.

(٣) في هامش ب: أي الميل.

(٤) الخصلة: الوسيلة، وفي هـ.ب: إشارة إلىٰ مرادهم في التحكيم ان يحكموا علىٰ كتاب الله وسنة رسوله.

(٥) في هامش ب، وفي نسخة: وتتادي إلىٰ البقية.

[١٢٢]

ومن كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في ساعة[1] الحرب:

وأيُّ امْرِيءٍ أحَسَّ[2] منْ نَفْسِهِ رِبَاطَةَ جَأْشٍ[3] عِنْدَ اللقاء ورَأى منْ أحَدٍ منْ إخْوَانِـهِ فَشَلاً[4] فَلْيَذُبَّ[5] عَنْ أخيهِ بِفضْلِ نَجْدَتِهِ[6] الَّتي فُضِّلَ بها عَلَيْه، كما يَذُبُّ عنْ نَفْسِهِ، فلوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ.

إنَّ[7] الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ[8] لايَفُوتُه المقيمُ، ولايُعْجِزُهُ الْهَارِبُ.

إنَّ أَكْرَمَ الْموت الْقَتْلُ؛ والَّذِي نَفْس ابْنِ أبي طَالِبٍ بيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بالسَّيفِ أهْوَنُ[9] مِنْ مَيْتَةٍ[10] على الْفِرَاشِ في غَير طاعة الله[11].

---

(١) في آ: وقت.

(٢) في هـ. ب: أي وجد.

(٣) في هـ. أ: يقال فلان رابط الجأش، وربيط الجأش: أي شديد القلب، كأنّه يربط نفسه عن الفرار، وفي هـ. ب: أي صلب القلب.

(٤) في هـ. ص: أي جبناً وخوراً، وفي هـ. ب: جبناً وضعفاً.

(٥) في أ: فليذبب، وفي هـ. ص، وفي نسخة: فليذبب، وفي ب: فليذبّب، وفي هـ ب: فليذبَّ أي ليدفع، وفي نسخة: فليذبب، وفي هـ. د: وري فليرُب ــ ر.

(٦) في هـ. ب: شجاعته.

(٧) في ب: فإن، وفي هـ.د: فان ــ ش.

(٨) في هـ. ب: سريع بالسير.

(٩) في ط زيادة: عليٌّ، وفي هـ. د: زيادة: عليٌّ ــ ص ح ب.

(١٠) هـ. ص: بكسر الميم فيصير الواو ياءً، ويروى: موتة بفتح الميم.

(١١) في هـ. د: «في غير طاعة الله» لم يرد في م ف ن ل ش.

[١٢٣]

وَمِن كلامٍ لهُ عليه السلام[1]:

وكأنّي أنظُرُ إليكُمْ تَكَشُّون[2] كَشِيشَ الضِّبابِ[3]، لاتأخُذُونَ حَقّاً، ولاتَمْنَعُونَ ضَيْماً، قَدْ خُلِّيتُمْ[4] والطَّرِيقَ[5]، فالنَّجاةُ لِلْمُقْتَحِمِ، والْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّم[6].

---

(١) في أ بدل «ومن كلام له عليه السلام»: «ومنه». (٢) في هـ. ب: تصوّتون.

(٣) الضباب جمع ضب، وكشيش الضباب: صوت احتكاك جلودها عند ازدحامها، وفي هـ. ص: يشبه الخوار، مثل الخشخشة. (٤) في هـ. ب: «مع» أي تركتم مع الطريق.

(٥) في هـ. ص: أي طريق الجنّة، وهي الأعمال الصالحة، أعلاها الجهاد.

(٦) في هـ. ب: التلوّم: التمكّث.

وَمِن كلامٍ لهُ عليه السلام[١] في حثّ[٢] أصحابه على القتال:

فَقَدِّمُوا الدّارِعَ[٣] وأخِّرُوا الْحَاسِرَ[٤]، وَعَضُّوا على الأضْرَاسِ؛ فإنَّهُ أَنْبا[٥] لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهامِ[٦]، والْتَوُوا[٧] في أطْرَافِ الرِّمَاحِ؛ فإنّهُ أمْوَرُ[٨] لِلأسِنَّةِ، وَغُضُّوا الأبْصَارَ؛ فإنَّهُ أرْبَطُ لِلْجأْشِ[٩] وأسكَنُ لِلقُلُوبِ، وأمِيتُوا[١٠] الأصْوَاتَ؛ فإنّهُ أطْرَدُ لِلْفَشَلِ، ورايَتَكُمْ فلا تُمِيلُوها، ولاتُخلوها[١١]، ولاتَجْعَلُوها إلّا بأيْدِي شُجْعانِكُمْ، والمَانِعينَ الذِّمَارَ[١٢] مِنْكُمْ؛ فإنَّ الصَّابِرِينَ علىٰ[١٣] نُزُولِ الحقَائِقِ[١٤]، هُمُ الّذِينَ يَحُفُّونَ[١٥] بِرَايَاتِهم[١٦] وَيَكْتَنِفُونَها[١٧] حِفافَيْها[١٨] وَوَرَاءَها وأمامَها[١٩]، ولاَيَتأخَّرُون عنها فَيُسْلِمُوها، ولا يَتَقدَّمُونَ عَلَيْها فَيُفْرِدُوها.

---

(١) في أ بدل «ومن كلام له عليه السلام» في حض أصحابه على القتال: ومنه.

(٢) في ص: حظّ.

(٣) في هـ. ص و ب: ذا الدرع.

(٤) في هـ. ب: الحاسر: الذي لا درع له ولا مغفر، وفي هـ. ص: من ليس له درع؛ لئلّا تصيبه السهام.

(٥) في أ و ط: انبئ.

(٦) الهام: جمع الهامة، وهو الرأس.

(٧) في هـ. ب: التوىٰ وتلوّى بمعنىً، وكلاهما مطاوع أعناق الرجال في الخصومة.

(٨) المور: الاضطراب الموجب للانزلاق، وأمور: أشد فعلاً للمور، والمراد: إذا وصلت إليكم أطراف الرماح فأميلوا جانبكم فتزلق ولاتنفذ فيكم أسنتها، وفي هـ. ب: من مار يمور.

(٩) في هـ. ب: أثبت للقلب.

(١٠) في هـ. ب: من الإماتة.

(١١) في آ: تخلّوها، وفي هـ. ب، وفي نسخة: تخلّوها.

(١٢) في هـ. ص: هو ما وراء الرجل مما يحقّ عليه أن يحميه، ويسمى ذماراً؛ لأنّه يجب على أهله التذمّر له، أي الغضب، في هـ. ب: الذمار: ما وراء الرجل مما يحقّ أن يحميه، تمت من الشرح.

(١٣) في ص: عند.

(١٤) في هـ. ص: الحقائق: جمع حاقّة، وهي الأمر الصعب الشديد، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ الحاقة: ٦٩ / ١، وفي هـ. ب: جمع حقيقة، وهي مايلزم الدفع عنها.

(١٥) في هـ. ب: يطوفون.

(١٦) في آ: راياتهم، وفي هـ. د: راياتهم ـ ف ن.

(١٧) في هـ. ب: يحيطون بها.

(١٨) في هـ. ب: جانبيها.

(١٩) لم ترد «و» في آ و د.

أجْزَأَ[١] آمْرُؤٌ قِرنَه، واسى[٢] أخاهُ بِنَفْسِهِ، ولمْ يَكِلْ[٣] قِرْنهُ إلى أخيهِ فَيَجْتَمعَ عليْهِ قِرْنهُ وقِرْنُ أخيهِ.

وَايْمُ اللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْف الْعاجِلةِ لاَتَسْلَمُوا منْ سَيْفِ الآخِرَةِ[٤]. أنْتُمْ[٥] لَهامِيمُ الْعَرَب[٦]، والسَّنام الأعْظَمُ[٧] إنَّ في الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ[٨] اللهِ، والذُّلَّ اللاَّزِمَ[٩] والْعارَ الْباقيَ، وإنَّ الْفارَّ غيرُ[١٠] مَزِيْدٍ في عُمُرِهِ، ولا مَحْجُوزٍ بيْنَهُ وبينَ يَوْمِهِ، من رائحٍ[١١] إلى اللهِ كالظَّمْآن يَرِدُ المَاءَ، الجنَّةُ تحْتَ أطْرَافِ الْعَوالي[١٢]، الْيَوْمَ تُبْلَى[١٣] الأخْبارُ، واللهِ لأنَا أشْوَقُ إلى لقائِهِمْ منهمْ إلى دِيارِهِم[١٤].

اللَّهُمَّ[١٥] فإنْ رَدُّوا الحَقَّ فافضُضْ جَماعَتَهُمْ، وشَتِّتْ كلِمَتَهُمْ، وأبْسِلْهُمْ[١٦]

---

(١) في هـ. ص: قوله ﷺ: «اجزأ»، أي كفى، وهو خبر في معنى الأمر، نحو: اتقى الله امرؤ فعل خيراً فيثاب عليه، أي ليجزي امرىء قرنه، ومثله «واسىٰ أخاه». والقِرن: ما يقابلك في القتال. ثمّ عطف على ظاهر لفظ الماضي فقال: «ولم يكل قرنه الى أخيه» اي ليترك مقاومة قرنه حتى يعتضد مع قرن أخيه على أخيه فيقتلاه، وفي تسبب من ذلك مضرّة عليه عاجلة لايستطيع دفعها، وهي اجتماع قرنه وقرن أخيه بعد قتل أخيه على قتاله، وكان من قبل لو قاتل انما يقاتل قرنه فقط فيمكنه دفعه عن نفسه، والله أعلم. وفي هـ. ب: يقال: أجزأني الشيء، أي: كفاني.

(٢) في آ: آسى، وفي ب: واسا.

(٣) في هـ. د: يتكل ـ ع، وفي هـ. ب: من وكلته الى نفسي.

(٤) في ص: الآجلة، وفي هـ. ص: الاخرة ـ صح.

(٥) في ط: وأنتم، وفي هـ د: وأنتم ـ ض ح ب.

(٦) هـ. آ: اللهاميم جمع اللهموم، وهو الجواد من الناس. وفي هـ. ص: أهم السادات من الناس، والجياد من الخيل،، الواحد: الهموم.

(٧) يريد شرفهم وعلوّ أنسابهم، لانّ السنام أعلى أعضاء البعير.

(٨) في هـ. ب: السّخط والغضب.

(٩) في هـ. د: وروي «الذل» بالذال والزاي ـ ر. قلت: ولعل الكلمة هي «اللاذم» لا «الذل»؛ فإن اللاذم بمعنى اللازم.

(١٠) في ط: لغير. وفي هـ. ص، وفي نسخة: لغير.

(١١) لم ترد «الرائح» في ط، وفي هـ. د: الرائح ـ ض ب، وفي هـ. ب: من الروح، وهو الذهاب الى الحرب.

(١٢) في هـ. ب: القنا.

(١٣) أي تمتحن أخبار كل امرىء عمّا في قلبه من دعوى الشجاعة والصدق في الايمان.

(١٤) لم ترد «والله لأنا أشوق الى لقائهم عنهم الى ديارهم» في آ و ب.

(١٥) هذا دعاء على أهل الشام.

(١٦) في هـ. ب: أي اسلمهم إلى الهلكة.

بخَطايَاهُمْ[١].

إنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ[٢] يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسيمُ[٣]، وضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ، ويُطِيحُ[٤] الْعِظَامَ، ويُنْدِرُ[٥] السَّواعِدَ والأَقْدَامَ، وحتى يُرْمَوْا بالمَنَاسِرِ[٦] تَتْبَعُها المَناسِرُ، ويُرْجَمُوا بالْكَتَائِبِ[٧] تَقْفُوها الجَلاَئِبُ[٨]، وحتى يَجُرَّ بِبلادِهِمُ الخَمِيْسُ[٩] يَتْلُوهُ الخَمِيْسُ، وحتى تَدْعَقَ[١٠] الخُيُولُ في نَوَاحِرِ[١١] أرْضِهِمْ، وبأعْنَانِ[١٢] مَسَارِبِهِمْ[١٣] وَمَسَارِحِهِم[١٤].

قال الشريف (رضي الله عنه): الدَّعْقُ: الدَّقُّ أيْ تَدُقُّ الْخُيُولُ بِحَوَافِرِها أرْضَهُمْ، وَنَوَاحِرُ أرْضِهِمْ: مُتقابِلاَتُهُمْ، يُقالُ: مَنازِلُ بني فُلاَن تَتَناحَرُ: أيْ تَتَقابَل).

---

(١) و في هـ. ص: أي اسلمهم لأجل خطاياهم التي اقترفوها ولا تنصرهم، يقال: أبسلت فلاناً: إذا أسلمته للهلكة، تمت من الشرح. (٢) أي: متتابع، وفي هـ. ب: متتابعة.

(٣) أي ضرب متوال يفتح في أبدانهم أبواباً يمرّ منها النسيم، وفي هـ. آ: جمع نسيمة، وهي النفس. (٤) في هـ. ب: يرمي.

(٥) في هـ. ب: يسقط.

(٦) في هـ. ص: المناسر: جمع منسر ـ بفتح الميم وكسر السين ، ويقال: بكسر الميم وفتح السين ـ، وقيل: هي الفصحاء: طائفة من الخيل يقدم امامه، وفي هـ. ب: جمع منسر، وهي قطيع من الجيش.

(٧) في هـ. ب: جمع كتيبة، وفي هـ. ص: جمع كتيبة، وهي طائفة من الجيش.

(٨) في هـ. ب: الجلائب: الجيوش، و هـ. ص: والجلائب جمع جليبة وهي من يجلب للنصر (تمت من الشرح).

(٩) في هـ. ص: هو الجيش، وفي هـ. ب: جمع كتيبة.

(١٠) دعق الطريق: وطئه وطئاً شديداً، ودعق الغارة: بثها، وفي هـ. ب: الدعق: الدق، أي: تدق الخيول بحوافرها أرضهم.

(١١) في هـ. ب: نواحر أرضهم: متقبلاتها. ومتقابلاتها، بني فلان تتناحر، أي: تتقابل.

(١٢) في هـ. ص: جمع عنن أي الجوانب، وفي هـ. ب: الجوانب.

(١٣) المسارب: المذاهب للرعي، وفي هـ. ب: يقال: سرب العجل سروبا، إذا توجّه به الى المرعى. (١٤) في هـ. ب: مرتعهم.

وَمِن كلامٍ لهُ عليه السلام في معنى[١] الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال، ويذمّ فيه أصحابه[٢]:

إنّا لمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وإنما حَكَّمْنا الْقُرْآنَ. وهذَا[٣] الْقُرْآنُ إنّما هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بينَ الدَّفَّتيْنِ[٤]، لايَنْطِقُ بِلِسَانٍ، ولابُدَّ لهُ منْ تَرْجُمانٍ[٥]، وإنَّما يَنْطِقُ عنْهُ الرِّجَالُ ولمَّا دَعانَا الْقَوْمُ إلى أنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنا القُرْآنَ لمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ المُتَوَلِّيَ[٦] عن كتابِ اللهِ تعالىٰ[٧]. وقدْ قالَ اللهُ سُبْحانَهُ ﴿فإنْ تَنازَعْتُمْ في شيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسُولِ﴾[٨] فَرَدُّهُ إلى اللهِ أنْ نَحْكُمَ بكِتابِهِ، ورَدُّه إلى الرَّسُولِ أنْ نأخُذَ[٩] بِسُنَّتِهِ، فإذَا حُكِمَ بالصِّدْقِ في كتَابِ اللهِ فَنحْنُ أحَقُّ النَّاسِ بهِ، وإنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليْهِ وآلِهِ[١٠] فَنحْنُ أوْلاَهُمْ بِهِ[١١].

وأمَّا قَوْلُكُمْ: «لِمَ جَعَلْت بينكُمْ وَبيْنَهُمْ أجَلاً في التحكِيم» فإنَّما فَعلْت ذلكَ لِيتَبيَّنَ الجاهِلُ، ويَتَثَبَّتَ[١٢] الْعالِمُ ولَعلَّ اللهَ أنْ يُصْلِحَ في هذِهِ الْهُدْنَةِ[١٣] أمْرَ هذِهِ الأُمَّةِ، ولاتؤْخَذَ

---

(١) لم ترد «معنى» في ط.

(٢) العنوان في أ هكذا: ومن كلامه في التحكيم. وفي ط: ومن كلام له في التحكيم.

(٣) في ط: هذا، ولم ترد «و» في ط.

(٤) في هـ. ب : الدفتان: الخشبتين العريضيتين مثل اللوح المشدود ونحوه، الموصل بعضها ببعض من الرّق المسطور عليه، ويجعلون عليهما الجلود. وفي هـ. ص: الدفتان: هما جانبا المصحف اللذان يكتنفانه، وكان الناس يعملونهما قديماً من خشب، ويعملونهما الآن من جلد.

(٥) في هـ. ص: هو المعبّر، بضم التاء وفتح الجيم.

(٦) في هـ. ب : أي المدبر.

(٧) في ط: سبحانه وتعالىٰ.

(٨) النساء: ٤ / ٥٩.

(٩) في ب: أن يؤخذ.

(١٠) من قوله: «ولمّا دعانا» الى هنا، جعل في ط بين قوسين.

(١١) في هـ. ص، وفي نسخة: بها، و وفي هـ. د : «فنحن أحقّ الناس وأولاهم به» ساقطة من ل و ح.

(١٢) في هـ. ب : معناه وفائدته معاً: التأني حتى يعلم يقيناً.

(١٣) في هـ. ب : الصلح.

بأكْظَامِهَا[١] فَتعْجَلَ عَنْ تَبيُّنِ ٱلحقِّ وتَنْقادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ.

إنَّ أفضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ[٢] مَنْ كانَ الْعَمَلُ بالْحَقِّ أَحَبَّ إليْهِ وإنْ نَقَصَهُ وكَرَثَهُ[٣] مِنَ الْباطلِ وإنْ جَرَّ إليْهِ فائِدَةً وزادَهُ. فأيْنَ[٤] يُتَاهُ بكُمْ[٥]، ومنْ أيْنَ أُوتيتمْ اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِير إلى قوم حَيارَىٰ[٦] عنِ الحَقِّ لايُبْصِرُونَهُ، ومُوزَعِيْنَ[٧] بالجَوْرِ لايَعْدِلُونَ بِهِ، جُفَاةٍ[٨] عَنِ الكِتَاب، نُكَّبٍ[٩] عن الطريق، ما أنْتمْ بوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بها، وَلا زَوَافِر[١٠] عِزٍ[١١] يُعْتَصَمُ إلَيْها، لَبِئْسَ حُشَّاش[١٢] نارِ الحَرَبِ أَنْتُم.

أُفٍّ لَكُمْ! لقَدْ لَقِيتُ مِنكُمْ بَرْحاً[١٣]، يَوْماً أُنادِيكُم ويَوْماً أُناجِيكُمْ، فلاَ أحرَارُ[١٤] صِدْقٍ عِنْدَ ٱلنِّدَاءِ، ولا إخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ[١٥].

---

(١) في هـ. أ يقال: أخذت بكظمه: أي بمخرج نفسه، والجمع: الأكظام.

(٢) في ب: إلى الله، وفي هـ. ب: في نسخة: عند الله، وفي هـ. د: أفضل الناس إلى الله ـ ش.

(٣) في هـ. ب: كرثه: اشتدّ به وبلغ منه المشقة.

(٤) في ط: أين، وفي هـ. ب في نسخة: فأنىٰ يتاه، وفي هـ. د: أين يُتاه بكم من أين أتيتم ـ ب. فأين يُتاه بكم ـ ر.

(٥) في هـ. ب: يحيّر بكم.

(٦) في هـ. د: في قوم حيارىٰ. ب، وفي هـ. ب: حيارى: محيّرون.

(٧) في هـ. آ: أي مولعين، وفي هـ. ب: يقال: أوزعته بكذا، أي أغريته به، وفي هـ. ص الموزع: المعزى بالشيء الملهم له قال الله تعالى: ﴿ربِّ اوزعني﴾، وفي هـ. ب: لايعدلون: أي لايرضون إلّا بقول الظلم أو بفعل الظلم.

(٨) في د جفاة وهو جمع جاف.

(٩) في هـ. ب: نكب جمع نكوب أي: عدول عن الطريق.

(١٠) في هـ. أ: زوافر الرجل: أنصاره وعشيرته، وفي هـ. ب: أعوان.

(١١) لم ترد «عز» في آ و ب.

(١٢) في هـ. د وروي خشاش ـ ز، الحشاش: ما يحش به كالضرام، الحشاش: جمع حاش وهو من حششت النار: إذا أرقدتها، وفي هـ. ص بالكسر: ما يحش به النار أي يقوى، ويروى بالفتح كساع وهو الحطب الدّق يلقى في النار قبل الحطب الجزل؛ ويروى حُشاش بالضم، وتشديد الشين جمع حاش وهو الموقد للنار. تمت من الشرح.

(١٣) د: برحاً، وفي هـ. ب: برحاً: شدة، وترحاً: حزناً، وفي هـ. د: قرحاً ـ ك، وروي: ترحاً ـ ر، وفي هـ. ص: بالباء الموحدة: الشدّة، ويروى: ترحا، بالتاء المثناة من فوق، أي حزنا، تمت من الشرح.

(١٤) جمع حرّ.

(١٥) في هـ. ب: بمعنى المناجاة.

[١٢٦]

ومن كلام له عليه السلام لما عوتب على تصيير[1] الناس أُسوة[2] في العطاء من غير تفضيل أُولي السابقات والشرف[3]:

أَتأْمُرُونِّي[4] أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بالجوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عليْهِ؟! واللهِ لا أَطُورُ[5] بِهِ[6] مَا سَمَرَ[7] سَمِيرٌ وما أَمَّ[8] نَجْمٌ في السَّماءِ نَجْماً، ولوْ كانَ المَالُ لِي لَسَوَّيْت بينَهُمْ، فكَيْفَ وإِنَّما المَالُ مَالُ اللهِ[9].

ثمَّ قال عليه السلام[10]: أَلاَ وإِنَّ إِعْطَاءَ المالِ في غيرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ في الدُّنْيا، ويَضَعَهُ في الآخِرةِ، ويُكْرِمُهُ في النَّاسِ، ويُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ، ولمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مالَهُ في غيرِ حَقِّهِ وعِنْدَ غيرِ أَهْلِهِ[11] إِلاّ حَرَمَهُ[12] اللهُ شُكْرَهُمْ، وكانَ لِغيرِهِ وِدُّهُمْ، فإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فاحْتاجَ إِلى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِين[13].

وقوله عليه السلام: «ما سمر سمير»:

أي ما أقام الدهر وما بقي، والأشهر في المثل: «ما سمر ابنا سمير»، قالوا: السمير الدهر،

---

(١) في ب: تصيره.

(٢) في ط و د: على التسوية في العطاء، وفي هـ. ب : من المساواة.

(٣) لم ترد «من غير تفضيل أولي السابقات والشرف» في أ و د.

(٤) في هـ. د: أتأمرونني ـ حاشية م. وفي هـ. ب : أصله «أتأمرونني» سكن الأُولى وادغم في الثاني.

(٥) في هـ د: ما أطور به ـ ب.

(٦) في هـ. ب و ص: أي لا أقربه.

(٧) في هـ. أ: سمير اسم للدهر، تقول العرب: لا أفعل ذلك ما سمر سمير وما سمر أيضاً سميرا أي لا أفعله أبدا.

(٨) في هـ. ب : أي دام.

(٩) في أ: وانما المال مال الله لهم، وفي ب: وانما المال لهم.

(١٠) لم ترد «ثم قال عليه السلام» في ط.

(١١) في هـ د : ولا عند غير أهله ـ ب.

(١٢) في هـ. ب : من الحرمان.

(١٣) وردت العبارة في أ و د هكذا: «فشر خدين وألأم خليل». وفي هـ. د: فشر خليل والأم خدين ـ ح ل ش. وفي هـ. ب : الخدين والخليل كالخل والخليل، وألأم: من اللّوم.

وابناه الليل والنهار. وقيل: ابنا سمير الليل والنهار، لأنَّهُ يسمَر فيهما، ويقولون: لأفعله السَّمَر والقمر، أي مادام الناس يسمرون في ليلة قمْراء، ولا أفعله سميرَ الليالي، أي أبداً، انتهى من الشرح[١].

وقوله عليه السلام: «**أطلب النصر بالجور**» أي: بأن أجور على قوم ولّيت عليهم! يعني الذين لا سوابق لهم ولا شرف؛ وكان عُمَر ينقصهم في العطاء عن غيرهم[٢].

واعلم أن هذه مسألة فقهية، ورأيُ علي عليه السلام وأبي بكر فيها واحد، وهو التسوية بين المسلمين في قسمة الفيء والصدقات، وإلى هذا ذهب الشافعيّ، وأمّا عمر؛ فإنّه لمّا ولي الخلافة فضّل بعض الناس على بعض، ففضّل السابقين على غيرهم[٣]، وفضّل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضّل المهاجرين كافّة على الأنصار كافّة، وفضّل العرب على العجم، وفضّل الصريح على المولى، وقد كان أشار على أبي بكر أيام خلافته بذلك، فلم يقبل، وقال: إنّ الله لم يفضّل أحداً على أحد، ولكنّه قال: ﴿إِنَّما الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَراء والْمَساكينِ﴾[٤]، ولم يخصّ قوماً دون قوم، فلما أفضت إليه الخلافة عمل بما كان أشار به أوّلاً، وقد ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى قوله، والمسألة محلّ اجتهاد، وللإمام أن يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده، وإن كان اتباع عليّ عليه السلام عندنا أوْلى، لاسيّما إذا عضّده موافقة أبي بكر على المسألة، وإن صح الخبر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سوّى فقد صارت المسألة منصوصاً عليها، لأن فعله عليه السلام كقوله. انتهى نقلاً من شرح ابن أبي الحديد[٥].

قلت: وعمدة قوله في اعتذاره لعمر، هو: أنّ كل مجتهد مصيب[٦]، ودون صحّة هذا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ١١٠.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ١١٠.
(٣) في هـ.ص : ومما يعجب له من فعل عمر انّه قسّم لأهل بدر ـ ومن جملتهم علي ـ خمسة آلاف، وفرض للعباس ـ قيل: ـ خمسة وعشرين ألفاً، وقيل: اثنى عشر ألفاً، وأعجب من ذلك انّه فرض لنساء النبي صلى الله عليه وآله عشرة آلاف لكل واحدةٍ منهنّ، ففضلهنّ على الرجال. وعلي عليه السلام اسبق الموجودين في زمن عمر بالاجماع، وأعظمهم أثراً في الجهاد.
(٤) التوبة : ٩ / ٦٠.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ١١١.
(٦) راجع شرح الخطبة: ١٧٦.

الأصل خرط القتاد.

ولكن أعجب لمتأخري أصحابنا الذاهبين الى جواز التفضيل مع امتناع علي عليه السلام منه وتسميته له جوراً. وروايته عن رسول الله صلى الله عليه وآله خلافه يلحق بالضروري لاشتهاره وظهوره.

فلو كان له مساغ لصار إليه؛ لحاجته إليه، ولا ستصلح به رعيته؛ فان الناس إنّما تفرّقوا عنه لأجل أنّه سوّى في العطاء بعد ما ألِفوا التفضيل من عمر وعثمان.

ولذلك ورد في صفته عليه السلام أنّه يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجّار[1].

فالذي يقول من أصحابنا بأن الحق في الاجتهاد يأتي مع واحد، ومن يقول منهم بأنّ كل مجتهد مصيب، ويقول بأنّ قول علي وفعله حجّة يجب اتّباعها؛ لأنّ الحق معه والقرآن ينص: ﴿وماذا بعد الحق إلّا الضلال﴾[2]، كيف يسوغ لهم المصير الى خلاف ماذهب إليه وهو صريح لا يحتمل التأويل.

وأمّا ما تمسكوا به لجواز التفضيل من الروايات عن فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وفعل علي عليه السلام وفعل الأئمة من ولده؛ فإنّه لا يدلّ على هذا التفضيل، وإنّما يدلّ على التخصيص[3].

وذلك أنّ الشافعي يزعم أنّه يجب أن تقسّم صدقة كل شخص علىٰ ثمانية أجزاء، وخمس كلّ غانم علىٰ خمسة أسهم، فردّوا عليه قوله هذا، وقالوا: يجوز صرف الصدقة الواحدة أو الصدقات في مصرف واحد من المصارف الثمانية أو في فرد واحد من أفراد ذلك المصرف، وكذلك الخمس. بشرط أن يصير إلى سائر المصارف من مال آخر ما يسوى بينهم وبين ذلك المصروف إليه، وهذا الشرط هو المعنيّ بقولهم: تفضيل غير مجحف.

قالوا: وهذا التخصيص مثل ما قسّم رسول الله صلى الله عليه وآله غنائم خيبر على أهل الحديبية

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة: ٣٦١ (٢) يونس: ١٠ / ٣٢.

(٣) في هـ. ص مايلي: يدل على المراد من ذلك عبارات المتقدّمين، قال في التقرير: وأمّا الموضع الثالث، وهو أنّه هل يجوز صرف الخمس كلّه في صنف واحد من هذه الأصناف الستّة أم لا؟ ... إلى آخر كلامه، ثم أورد في الاحتجاج ما نقلناه في المتن.

خاصّة، وكما قسّم غنائم هوازن في التأليف خاصة، وكما صرف صدقة بني زريق في سلمة بن صخر، وكما قسّم مال البحرين علىٰ من حضر مجلسه، وغير ذلك من فعله ﷺ.

وكما صرف عليّ عليه السلام خمس من وجد الكنز فيه وفي أهله، ومثله ما روي عن الأئمة من ولده.

وهذا الذي أنكره عليه السلام هو أن يستوي شخصان في سبب، فيعطىٰ أحدهما أكثر ممّا يعطى الآخر ؛ لكونه ذا فضيلة في الدين أو ذا شرف ليسا سبباً لاستحقاق سهم مسمّىٰ، لا كذوي القربىٰ وكفاية عول المجاهد ذي العول الكثير بما يزيد على كفاية عول المجاهد ذي العول القليل.

فإن قيل: فهل يدل قوله وفعله علىٰ منع التأليف؟

قلت: لا؛ لأنّ التأليف الشرعي أن يصرف الامام سهماً واحداً من سهام الصدقات أو من الفيء في المؤلّفة قلوبهم، لا أن يجعل سهمهم من السهام الأُخر زائداً علىٰ سهم من ساواهم في ذلك السبب المأخوذ به، بحيث يفرض لهم ذلك الفرض في كل عطاء مستمراً كما فعل عمر، فتبصّرَ، والله أعلم.

ووجدت في بعض الكتب المؤلّفة في أخبار أمير المؤمنين عليه السلام ما رسمه:

قال: وحدّثني أبو خبّاب، عن عمارة بن ربيعة الجرمي، ان جماعة من أصحاب علي، قالوا: يا أمير المؤمنين إعط هذه الأموال وفضّل علينا هذه الأشراف ومن نخاف فراقهُ وخلافه حتى إذا استتبت لك الأُمور عدت إلى أحسن ما كنت عليه من العدل في الرعية والقسم بالسويّة.

قال علي: تأمرونني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُلّيت عليه من أهل الإسلام؟! والله لا أُطور به ما سمر سمير وما خوى في السماء نجم، ولو كان مالهم لي لسوّيت بينهم، فكيف وإنّما هي أموالهم.

ثم أرم طويلاً ساكتاً، ثمّ قال: من كان منكم له مال فإيّاه والفساد؛ فإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو يرفع ذكر صاحبه في الناس ويضعه عند الله، وما وضع امرىء ماله في غير حقّه وعند غير أهله إلّا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم، فإن بقي

معه منهم من يريه الود ويظهر له الشكر فإنّما هو ملق وكذب، فإن زلّت بصاحبه النعل واحتاج إلى معاونته ومكافأته فشرّ خليل، وآثم حري، وليس لواضع ماله في غير حقّه وعند غير أهله من الحظّ فيما يأتي إلّا محمدة الناس والأشرار مادام عليهم منعماً ومقالة الجهّال ما أجوده، وهو عن ذات الله بخيل.

فأيّ حظٍّ أبور وأشرّ من هذا الحظّ؟ وأيّ معروف أقل عائدة من هذا المعروف؟ فمن آتاه الله مالاً فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة، وليعن به العاني ويفكّ به الأسير،وليعن به الغارم وابن السبيل والفقراء والمجاهدين، وليصبر نفسه على الحقوق، فأيّ فوز من مكارم الدّنيا ودرك ثواب الآخرة أسنىٰ من هذا، انتهى[١].

وفي هذا الكتاب، قال: وحدّثنا عن الجهني عن زيد بن وهب: أنّ عليّاً لما سار من ساباط جعل يعرض أصحابه في كل منزل، فلا يعرضهم عرضة إلّا فقد منهم ناساً. فشكا ذلك إلى الأشتر، وقال له: إنّ الناس يلحقون بمعاوية.

فقال له الأشتر: قاتلنا أهل البصرة بالبصرة ورأي الناس واحد، فقد اختلفوا وتفرّقوا وتعادوا وضعفت النيّة وقلّ العدد، فهذا شأنهم وأنت تسير فيهم بالعدل، وتسوّي بين الفقير والغني، وتنصف الضعيف من القوي، فليس للشريف فضل منزلة على الوضيع، فضجّ أُناس[٢] ممّن معك من النصف إذ عمّوا به، واغتموا من الحقّ حين صاروا فيه سواء ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف فتاقت أنفس الناس الى الدنيا وأقبل الناس من ليس للدنيا بصاحب فلا يزال شقيّ محروم الخيرات لاحقاً بأهل العدوان والظلم، وقد سئم الحق وباعه الطمع اليسير، وأكثر الناس من يحتوي الحق ويستهوي الباطل ويؤثر الدّنيا، فإن تبذل المال تميل إليك أعناق الرجال ويصفو لك نصيحتهم، وتستنزل به ودّهم، صنع الله لك وكبت عدوّك وأوهن كيدهم وشتّت أمرهم، إنّه على كل شيء قدير.

قال: فلمّا قضى الأشتر كلامه، حمد الله عليّ وأثنىٰ عليه وصلّىٰ على النبيّ ﷺ،ثم قال:

فإنّا إن يكن من عملنا ما ذكرت من الحقّ وسيرتنا بالحق فيمن وليّنا عليه، فإنّ الله

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١١١.

(٢) في ص: ناس.

يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ﴾[١]. وأنا من أن أكون مقصّراً أخوَف.

وأمّا ما ذكرت من أنّ الحق ثقل عليهم ففارقوا؛ فقد ـ والله ـ علموا أنّهم لم يفرّوا من جور ولم يُلجِئوا إلى عدل ولم يلتمسوا إلّا طمع دنيا زائلة، كأنّهم قد فارقوها وسيعلمون يوم القيامة؛ أ الدنيا أرادوا بما صنعوا أم الله؟!

وأمّا ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال؛ فإنّه لا يسعنا أن نؤتي أحداً من الفيء أكثر من حقّه وقد قال الله في كتابه وقوله الحق: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللهِ وَٱللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٢]، وقد بعث الله محمّداً ﷺ وحده، فكثّره الله بعد القلّة وأعزّه بعد الذلّة، وأظهره على الناس، فإن يرد الله أن يؤتينا هذا الأمر نستأهل آخرهُ، وإن يصرفه عنّا فبالخيرة لنا منه في ذلك.

وأنا قابل من رأيك ما كان لله رضىً وللمسلمين صلاحاً، فإنّك من أنصح أصحابي ومن آمن أُمنائي وأوثقهم في نفسي وأرضاهم عندي، انتهى[٣].

---

(١) فصّلت: ٤١ / ٤٦.
(٢) البقرة: ٢ / ٢٤٩.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١١١.

[١٢٧]

ومن كلام لهعليه السلام للخوارج أيضاً[١]:

فإنْ أبيْتُم إلّا أنْ تزْعُمُوا أنّي أخْطأتُ وضَلَلْت، فَلِمَ تُضَلِّلونَ عامّةَ أُمّةِ محمّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ بِضَلَالي وتأخُذُونَهُمْ بِخَطئِي وتُكفِّرُونَهُم بِذُنُوبي، سيُوفُكُمْ على عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَها مَوَاضِعَ الْبُرء[٢] والسقْمِ، وتَخْلِطُونَ مَنْ أذْنَبَ بِمَنْ لمْ يُذْنِبْ؛ وقدْ عَلِمْتُمْ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليْهِ وآلِهِ رَجَمَ الزّاني المحصن[٣]، ثمّ صلّى عَلَيْهِ، ثمَّ وَرَّثه أهْلَهُ، وقتَلَ الْقاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أهْلَهُ، وقَطَعَ السَّارِقَ[٤]، وَجَلَدَ الزَّانِيَ غيْرَ الْمُحْصَنِ، ثمَّ قَسَّمَ علَيْهِما منَ الْفَيْءِ، ونَكَحَا المُسْلِمَاتِ، فأخَذَهُمْ رسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ علَيْهِ وآلِهِ بِذُنُوبِهِمْ، وأقامَ حَقَّ اللهِ فيهِمْ ولمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ منَ الإسلَامِ ولمْ يُخْرِجْ أسْماءَهُمْ مِنْ بيْنِ أهْلِه.

ثمَّ أنتمْ شِرَارُ النَّاسِ، ومَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطانُ مَرَامِيَهُ[٥] وَضَرَبَ بِهِ تِيْهَهُ[٦]، وسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَان: مُحِبٌّ مُفْرِط[٧] يَذْهَبُ بِهِ الحُبُّ إلى غيْرِ الْحَقِّ، ومُبْغِضٌ مُفْرِطٌ[٨] يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إلى غيرِ الْحَقِّ، وخيْرُ النّاسِ فِيَّ حالاً[٩] النَّمطُ الأوْسَطُ. فالْزَمُوهُ والْزَمُوا السَّوَادَ الأعْظَمَ فإنَّ يَدَ اللهِ على الجَماعَةِ، وإيّاكُمْ والْفُرْقَةَ؛ فإنَّ الشَّاذَّ[١٠] مِنَ النّاس لِلشَّيْطانِ كما أنَّ الشَّاذَّةَ[١١] منَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ.

---

(١) لم ترد «للخوارج أيضا» في ط .

(٢) في أ و ب : البراة. وفي ص: البراءة .

(٣) لم ترد «المحصن» في أ و ب .

(٤) لم ترد «السارق» في ط، وفي هـ د: قطع يد السارق ـ ح .

(٥) في هـ ب: من الرمي .

(٦) التيه: المفازة يتاه فيها. وتله في الارض: ذهب متحيّرا.

(٧) (٨) في هـ ب: المفرط: المتجاوز الحدّ، والمحب المفرط هو الغالى، والمبغض هو القالي.

(٩) في هـ ب: تمييز.

(١٠) أي المنفرد.

(١١) في هـ ب: في نسخة : كما أنّ النّادة.

أَلَا مَنْ دَعَا إلى هذا الشِّعار[١] فاقتُلُوهُ ولوْ كانَ تحْتَ عِمَامَتي هذِهِ. وإنَّما حُكِّمَ الحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا ما أحْيَى القُرْآن ويُمِيتَا مَا أمَاتَ القُرآنُ، وإحْياؤُهُ الإجْتماعُ عليْهِ، وإمَاتَتهُ الافتِرَاقُ عنْهُ، فإنْ جَرَّنا الْقُرْآنُ إليْهِمْ اتَّبَعْناهُمْ وإنْ جَرَّهُمْ إليْنا اتَّبَعُونا، فلَمْ آتِ ـ لا أباً لَكُمْ ـ بُجْراً[٢]، ولا خَتَلْتُكُمْ[٣] عَنْ أمْرِكُمْ، ولا لَبَسْتُهُ[٤] عليكُمْ، إنَّما اجْتَمَعَ رَأيُ مَلَائِكُم[٥] على اخْتِيارِ رَجُلَيْنِ، أخَذْنا عليهما أنْ لا يَتَعَدَّيا[٦] القُرآنَ، فتاها[٧] عنْهُ وَتَرَكا الْحَقَّ وهُما يُبْصِرَانِه، وكانَ الجَوْرُ هَوَاهُما فَمَضيا عليهِ، وقدْ سَبَقَ[٨] اسْتِثْناؤُنا عليهِما في الْحُكومَةِ بالْعَدْلِ والصَّمْدِ[٩] لِلْحَقِّ سُوءَ[١٠] رَأيِهمَا، وجَوْرَ حُكْمِهِما.

* * *

قوله عليه السلام: «وسيهلك فيّ صنفان»::

أحدهما: مَنْ أفرط حبّه له واعتقاده فيه حتى ادّعى له الحلول كما ادّعت النصارى ذلك في المسيح عليه السلام، والثاني: مَنْ أفرطَ بغضه له، حتى حارَبَه، أو لعنه، أو برئ منه، أو أبغضه؛ هذه المراتب الأربع؛ والبغض أدناها، وهو مُوبِقٌ مهلك؛ وفي الخبر الصحيح المتّفق عليه: أنّه لا يحبّه إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا منافق؛ وحسبك بهذا الخبر، ففيه وحده كفاية.

[فصل في ذكر الغلاة من الشيعة والنصيرية وغيرهم]:

فأما الغُلاة فيه فهالكون كما هلك الغلاة في عيسى عليه السلام. وقد روى المحدّثون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له عليه السلام: «فيك مُثُلٌ من عيسى بن مريم، أبغضته اليهود فبهتت امّه، وأحبّته النصارى فرفعته فوق قدره».

---

(١) قيل: كان شعار الخوارج: «لا حكم الاّ للّه»، وفي هـ ص: يعني شعار الخوارج، وكان شعارهم أنهم يحلقون وسط رؤوسهم ويبقى الشعر مستديرا كالاكليل، انتهى.

(٢) في هـ. أ: البجر: الشر والأمر العظيم، وفي هـ. ب: شراً وأمراً عظيماً وعجباً.

(٣) في هـ. ب: خدعتكم.

(٤) التلبيس خلط الأمر وتشبيهه حتى لا يعرف وجه الحق فيه.

(٥) في هـ. ب: ملأئكم: جماعة من أشراف الناس.

(٦) في هـ. ب: يجاوزا.

(٧) في هـ. ب: تحيرا.

(٨) في هـ. ص: أي غلب.

(٩) في هـ. ب: القصد.

(١٠) «سوء» مفعول لاستثناء.

وقد كان أمير المؤمنين عثر علىٰ قوم من أصحابه خرجوا من حدّ محبته بـاستحواذ الشيطان عليهم! أن كفروا بربّهم، وجحدوا ماجاء به نبيُّهم، فاتخذوه ربّاً وادّعوه إلٰهاً، وقالوا له: أنت خالقنا ورازقنا؛ فاستتابهم، واستأنى بهم وتوعّدهم؛ فأقاموا علىٰ قولهم، فحفر لهم حفَراً دخّن عليهم فيها، طمعاً في رجوعهم، فأبوا فحرقهم[1]، وقال:

إنّي إذا رأيتُ أمـراً مـنكَرَاً ... ألا تَرَوني قَدْ حَفَرْتُ حَفَرَاً

أوقدتُ ناري ودَعوتُ قَنْبَرَا

ثم ظهرت بعده مقالات لكثير من الغلاة، انتهى من شرح ابن أبي الحديد[2].

ووجدت في مناقب أحمد بن حنبل بعد أن ذكر السند ـ ماصورته ـ: عن علي بن أبي طالب، قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إنّ فيك من عيسىٰ مثلاً، أبغضته اليهود حتى بهتت أُمَّه، وأحبّته النصارى حتى أنزلته بالمنزل الذي ليس له».

ألا وأنّه يهلك فيّ إثنان محبّ مفرط يقرضني بما ليس فيّ، ومبغض يحمله شناني علىٰ أن يبهتني.

ألا إني لست بنبيّ ولا يوحىٰ إليّ، ولكنّي أعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم ، انتهى .

---

(١) انّ الامام عليه السلام انما دخّن عليهم ولم يحرقهم كما يدعيه ابن أبي الحديد.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١١٩.

ومن كلام له عليه السلام[1] وهو مما كان[2] يخبر به عن الملاحم بالبصرة:

يا أَحْنَفُ[3]، كأنّي بِهِ[4] وَقَدْ سارَ بِالجَيْشِ الَّذِي لَايَكُونُ لَهُ غُبارٌ وَلَا لَجَبٌ[5]، ولا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ[6] ولا حَمْحَمَةُ[7] خَيْلٍ يُثِيرُونَ الأَرْضَ بأَقْدامِهِمْ كأنها أَقْدامُ النَّعامِ[8].

يُوْمِيء[9] بذلك عليه السلام[10] إلى صَاحِبِ الزَّنْجِ، ثمَّ قالَ عليه السلام[11]:

وَيْلٌ لِسِكَكِكُم[12] الْعامِرَةِ، والدُّورِ[13] المُزَخْرَفَةِ الَّتي لَها أَجْنِحَة كأَجْنِحَةِ النُّسُورِ[14]، وخَراطِيمُ[15] كَخَراطِيمِ الْفِيَلَةِ مَنْ أُولئكَ الَّذِينَ لايُنْدَبُ قَتِيلُهُم، ولا يُفْتَقَدُ[16] غائِبُهُمْ. أنا كابُّ[17] الدُّنْيا لِوَجْهِها، وقادِرُها[18] بِقَدْرِها، ونَاظِرُها بِعَيْنِها.

مِنْها[19] ـ ويُومِيء بِه[20] إلى وَصْفِ آلاتراك[21] ـ:

---

(١) في آ: ومن كلامه.
(٢) في آ و ط بدل «وهو مما كان»: فيما.
(٣) في هـ. ب: أحنف بن قيس من صحابته عليه السلام.
(٤) في هـ. د: كأني أنظر به ـ م. وفي هـ. ب: أي بهذا البلد يعني البصرة رجل خدع عبيد أهل البصرة وصيّر جيشاً له واسمه علي بن الحسين البرقعي.
(٥) في هـ. ب: صوت وصياح.
(٦) هـ. ب: جمع لجام.
(٧) في هـ. ب: صوت نَفَسِهِ.
(٨) في هـ. ب: أقدام النعام سود.
(٩) في ط زيادة: قال الشريف الرضي أبو الحسن رحمه الله.
(١٠) لم ترد «عليه السلام» في ط و د.
(١١) في هـ. أ: في نسخة: يوميء بذلك الى صاحب الزنج، ثم قال صلوات الله عليه.
(١٢) في هـ. ب: جمع سكة.
(١٣) في ب: ودوركم. وفي هـ. د: ودوركم ـ ش.
(١٤) في هـ. ب: جمع نسر، شبّه كل واحد من الدور التي زخرفها أهل البصرة وعن قريب تهلك بالغرق بجناح النسر؛ لكثرة نقوشها، وبخرطوم الفيل لطولها.
(١٥) أي: الميازيب.
(١٦) في هـ د: ولا يفتقد ـ ب.
(١٧) في هـ. ص: هذا مثل الكلمات المحكية عن عيسى عليه السلام: «أنا الذي كببت الدنيا»، وفي هـ. ب: يقال: كبّه الله لوجهه. وقد يقال: أكبّه الله كابّها، وهو كابٌ يقال: أكبّه فكبّ، وأكبّ لازم.
(١٨) في هـ. ب: أي مقدرها.
(١٩) في د: منه، وفي هـ ص :في نسخة: منه.
(٢٠) في ص و ط: بذلك. وفي هـ. ص في نسخة به.
(٢١) في هـ. د: التتار ـ ب.

كأَنّي أراهُمْ[١] قَوْماً كأَنَّ وُجُوهَهُمْ المجانُّ المُطَرَّقَةُ[٢]، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ[٣] والدِّيبَاجَ[٤]، ويَعْتَقِبُونَ[٥] الخَيْلَ الْعِتَاقَ[٦] ويَكُونُ هُناكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ[٧] حتَّى يَمشِيَ المجْروحُ على المَقْتُولِ ويكُونَ المُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ المأْسُورِ.

فَقَالَ لهُ بَعْضُ أصْحابِهِ: لَقدْ أُعْطِيتَ يَا أَميرَ المُؤْمِنينَ عِلْمَ الْغَيْبِ، فَضَحِكَ عليه السلام وقالَ لِلرَّجُلِ وكانَ كلْبياً[٨]:

يا أَخَا كلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وإنَّما هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وإنّما عِلْمُ الْغَيْب علمُ السَّاعَةِ وما عدَّد الله بِقَوْلِه: ﴿إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ السّاعَةِ﴾[٩] الآية، فَيَعْلمُ سُبحانَهُ ما فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثى وقَبيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخيلٍ، وشَقِيٍّ أَوْ سَعيدٍ، ومَنْ يكُونُ في النّارِ[١٠] حطَباً أوْ فِي الجِنانِ[١١] لِلنَّبِيِّينَ مُرافِقاً، فهذَا عِلمُ الغَيْبِ الَّذِي لا يَعْلَمُهُ أحدٌ إلّا الله، وما سِوَى ذلِكَ فَعلَّمَ علَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ. ودَعا لِي بأَنْ يَعِيَهُ[١٢] صَدْري وتَضْطَمَّ[١٣] عَلَيهِ جَوَانِحِي[١٤].

* * *

(١) في ب: انظر إليهم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: أراهم.

(٢) في هـ. ب: جمع المجن، والمطرّقة من الطرق أي التي يظهر عليها الطرق.

(٣) في هـ. ا و ب: أي الحرير.

(٤) الديباج.

(٥) في ها و ب: أي يحبسون، وفي هـ. ب: يركبون واحدة عقيب الأُخرىٰ، وفي هـ. ص: أي يجعلونها بمنزلة الرواحل يركبونها عقبة في الاسفار، وكانت عادة العرب ألّا يركبون الخيل إلّا وقت الحرب تكرمة لها وصيانة، فلما تمكنت العرب منها أهانتها.

(٦) في هـ. ب: العتاق: كرائم الخيل.

(٧) في هـ. ا: استحر القتال: أي اشتد، وفي هـ. ب: استحر من الحرّ.

(٨) في هـ. ب: أي من بني كلب.

(٩) في ط زيادة: ﴿ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرضٍ تموت﴾ سورة لقمان: ٣١ / ٣٤.

(١٠) في ب و ص: للنار.

(١١) في ب: الجنات، وفي هـ. ب :في نسخة: الجنان.

(١٢) في هـ. ب: يعيه: أي يحفظه. أي يصير قلبي كالوعاء المعدّ له.

(١٣) في هـ. ب: يضطم من الضم.

(١٤) في ب: جوارحي.

[أخبار صاحب الزنج وفتنته وما انتحله من عقائد]:

قول الرضيّ ﷺ: «إلى صاحب الزّنج»[١] هو رجل ظهر في خراب[٢] البصرة في سنة خمس وخمسين ومائتين زعم أنّه عليّ بن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ﷺ، فتبِعه الزّنج الذين كانوا يكسَحون[٣] السّباخ في البصرة.

وأكثرُ الناس يقدحون في نسبه وخصوصاً الطالبيين. وجمهور النسّابين اتفقوا على أنّه من عبد القيس، وأنّه عليّ بن محمد بن عبد الرحيم، وأُمّه أسديّة من أسد بن خزيمة، جدّها محمّد بن حكيم الأسدي، من أهل الكوفة الخارجين[٤] مع زيد بن علي بن الحسين ﷺ عَلى هشام بن عبد الملك، فلما قتِل زيد، هرب فلحق بالرَّيّ وجاء إلى القرية التي يقال لها: وَرْزَنين، فأقام بها مدّة[٥]، وبهذه القرية ولد عليّ بن محمد صاحب الزّنج، وبها منشؤه، وكان أبو أبيه المسمّى عبد الرحيم رجلاً من عبد القيس، كان مولده بالطالِقان، فقدِم العراق، واشترى جارية سِنْديّة، فأولدها محمّداً أباه.

وكان عليّ هذا [متّصلاً بجماعة من حاشية السلطان وخَوَل بني العباس، منهم غانم الشّطرنجي، وسعيد الصغير، وبشير، خادم المنتصر؛ وكان منهم معاشُه ومن قومٍ من كتّاب الدولة يمدحهم ويستمنحهم بشعره، ويعلّم الصبيان الخطّ والنّحو والنجوم، وكان][٦]

---

(١) ذكره صاحب الأعلام فقال: «علي بن محمد الورزنيني العلوي، الملقب بصاحب الزنج؛ من كبار أصحاب الفتن في العهد العباسي، وفتنته معروفة بفتنة الزنج؛ لأن أكثر أنصاره منهم. ولد ونشأ في ورزنين، إحدى قرى الري، وظهر في أيام المهتدي بالله العباسي، سنة ٢٥٥ هـ وكان يرى رأي الأزارقة، والتفّ حوله سودان أهل البصرة ورعاعها، فامتلكها واستولى على الأبلة، وتتابعت لقتاله الجيوش؛ فكان يظهر عليها ويشتّتها، ونزل البطائح، وامتلك الأهواز، وأغار على واسط، وبلغ عدد جيشه ثمانمائة ألف مقاتل، وجعل مقامه في قصر اتخذه بالمختارة، وعجز عن قتاله الخلفاء؛ حتى ظفر به الموفق بالله، فقتله، وبعث برأسه إلى بغداد. قال المرزباني: تروى له أشعار كثيرة في البسالة والفتك كان يقولها وينحلها غيره، وفي نسبه العلوي طعن وخلاف.

(٢) في ط: فرات.

(٣) كسح البيت: كنسه؛ ثم استعير لتنقية البئر والنهر وغيره.

(٤) في ط: أحد الخارجين.

(٥) لم ترد «مدة» في ص.

(٦) مابين المعقوفتين من ط.

كأنّي أراهُمْ[١] قَوْماً كأنَّ وُجوهَهُمْ المجانُّ المُطَرَّقةُ[٢]، يَلْبَسُونَ ٱلسَّرَقَ[٣] والدِّيبَاجَ[٤]، ويَعْتَقِبُونَ[٥] الخَيْلَ الْعِتَاق[٦] ويَكُونُ هُناكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ[٧] حتّى يَمشِيَ المَجْروحُ على المَقْتُولِ ويكُونَ المُفْلِتُ أقَلَّ مِنَ المأسُورِ.

فَقالَ لهُ بَعْضُ أصْحابِهِ: لَقدْ أُعْطِيتَ يَا أَميرَ المُؤْمِنينَ عِلْمَ الْغَيْبِ، فَضَحِكَ عليه السلام وقالَ لِلرَّجُلِ وكانَ كلْبياً[٨]:

يا أخَا كلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وإنَّما هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وإنّما عِلْمُ الْغَيْب علمُ السَّاعَةِ وما عدَّد الله بِقَوْلِه: ﴿إنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ السّاعَةِ﴾[٩] الآية، فَيَعْلَمُ سُبحانَهُ ما فِي الأرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثى وقَبيحٍ أوْ جَميلٍ، وَسَخِيٍّ أوْ بَخيلٍ، وشَقِيٍّ أوْ سَعيدٍ، ومَنْ يكُونُ في النّارِ[١٠] حَطَباً أوْ فِي الجِنانِ[١١] لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً، فهذَا عِلمُ الغَيْبِ الَّذِي لا يَعْلَمُهُ أحدٌ إلّا اللهُ، وما سِوَى ذلِكَ فَعلَّمَ علْمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ. ودَعا لِي بأنْ يَعِيَهُ[١٢] صَدْرِي وتَضْطَّمَ[١٣] عَليهِ جَوَانِحِي[١٤].

* * *

(١) في ب: انظر إليهم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: أراهم.
(٢) في هـ. ب: جمع المجن، والمطرّقة من الطرق أي التي يظهر عليها الطرق.
(٣) في هـ. ا و ب: أي الحرير. (٤) الديباج.
(٥) في ها و ب: أي يحبسون، وفي هـ. ب: يركبون واحدة عقيب الأخرىٰ، وفي هـ. ص: أي يجعلونها بمنزلة الرواحل يركبونها عقبة في الاسفار، وكانت عادة العرب ألّا يركبون الخيل إلّا وقت الحرب تكرمة لها وصيانة، فلما تمكنت العرب منها أهانتها.
(٦) في هـ. ب: العتاق: كرائم الخيل.
(٧) في هـ. ا: استحر القتال: أي اشتد، وفي هـ. ب: استحر من الحرّ.
(٨) في هـ. ب: أي من بني كلب.
(٩) في ط زيادة: ﴿ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرضٍ تموت﴾ سورة لقمان: ٣١ / ٣٤.
(١٠) في ب و ص: للنار.
(١١) في ب: الجنات، وفي هـ. ب :في نسخة: الجنان.
(١٢) في هـ. ب: يعيه: أي يحفظه. أي يصير قلبي كالوعاء المعدّ له.
(١٣) في هـ. ب: يضطم من الضم. (١٤) في ب: جوارحي.

[أخبار صاحب الزنج وفتنته وما انتحله من عقائد]:

قول الرضي ﷺ: «إلى صاحب الزّنج»[١] هو رجل ظهر في خراب[٢] البصرة في سنة خمس وخمسين ومائتين زعم أنّه عليّ بن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ﷺ، فتبعه الزّنج الذين كانوا يكسَحون[٣] السّباخ في البصرة.

وأكثرُ الناس يقدحون في نسبه وخصوصاً الطالبيين. وجمهور النسّابين اتفقوا على أنّه من عبد القيس، وأنّه عليّ بن محمد بن عبد الرحيم، وأُمّه أسديّة من أسد بن خزيمة، جدّها محمّد بن حكيم الأسدي، من أهل الكوفة الخارجين[٤] مع زيد بن علي بن الحسين ﷺ عَلى هشام بن عبد الملك، فلما قتِل زيد، هرب فلحق بالرّيّ وجاء إلى القرية التي يقال لها: وَرْزَنين، فأقام بها مدّة[٥]، وبهذه القرية ولد عليّ بن محمد صاحب الزّنج، وبها منشؤه، وكان أبو أبيه المسمّى عبد الرحيم رجلاً من عبد القيس، كان مولده بالطالِقان، فقدِم العراق، واشترى جارية سِنْديّة، فأولدها محمّداً أباه.

وكان عليّ هذا [متّصلاً بجماعة من حاشية السلطان وخَوَل بني العباس، منهم غانم الشّطرنجي، وسعيد الصغير، وبشير، خادم المنتصر؛ وكان منهم معاشُه ومن قومٍ من كتّاب الدولة يمدحهم ويستمنحهم بشعره، ويعلّم الصبيان الخطّ والنّحو والنجوم، وكان][٦]

---

(١) ذكره صاحب الأعلام فقال: «علي بن محمد الورزنيني العلوي، الملقب بصاحب الزنج؛ من كبار أصحاب الفتن في العهد العباسي، وفتنته معروفة بفتنة الزنج؛ لأن أكثر أنصاره منهم. ولد ونشأ في ورزنين، إحدى قرى الري، وظهر في أيام المهتدي بالله العباسي، سنة ٢٥٥ هـ وكان يرى رأي الأزارقة، والتفّ حوله سودان أهل البصرة ورعاعها، فامتلكها واستولى على الأبلة، وتتابعت لقتاله الجيوش؛ فكان يظهر عليها ويشتّتها، ونزل البطائح، وامتلك الأهواز، وأغار على واسط، وبلغ عدد جيشه ثمانمائة ألف مقاتل، وجعل مقامه في قصر اتخذه بالمختارة، وعجز عن قتاله الخلفاء؛ حتى ظفر به الموفق بالله، فقتله، وبعث برأسه إلى بغداد. قال المرزباني: تروى له أشعار كثيرة في البسالة والفتك كان يقولها وينحلها غيره، وفي نسبه العلوي طعن وخلاف.

(٢) في ط: فرات.

(٣) كسح البيت: كنسه؛ ثم استعير لتنقية البئر والنهر وغيره.

(٤) في ط: أحد الخارجين.

(٥) لم ترد «مدة» في ص.

(٦) مابين المعقوفتين من ط.

حسن الشعر[١] مطبوعاً عليه؛ فصيحَ اللهجة؛ بعيد الهمّة، تسمو نفسه إلى معالي الأُمور، ولا يجد إليها سبيلاً؛ ومن شعره القصيدة المشهورة التي أوّلها:

رأيتُ المقامَ على الاقتصادِ ... قُنوعاً بـهِ ذلّةٌ في العِبادِ

ومن جملتها:

إذا النار ضاقَ بها زَندُها ... ففسحتُها في فِراق الزنّاد

إذا صارمٌ قرّ في غِمْدِهِ ... حَوَى غيرُهُ السَّبْقَ يوم الجِلادِ

ومن الشعر المنسوب إليه:

وإنّا لتصبحُ أسيافُنا ... إذا ما انتضين ليومٍ سَفُوكِ

منابرهنّ بطونُ الأكُفِّ ... وأغمادهُنّ رؤوسُ الملوكِ

ومن شعره أيضاً:

وإذا تُنازعني أقولُ لها قري ... موتُ يريحُكِ أو صعود المنبرِ

ماقد قُضِي سيكونُ فاصطبري له ... ولك الأمان مِنَ الَّذي لم يقدر

وقد ذكر المسعودي في كتابه المسمّى «مروج الذهب»، أنّ أفعال عليّ بن محمّد صاحب الزّنج، تدلّ على أنّه لم يكن طالبيّاً، وتصدّق ما رُمي به من دعوته في النسب (انتهى من شرح ابن أبي الحديد)[٢].

---

(١) وذكره المرزباني في معجم الشعراء: ٢٩، وقال: تروى له أشعار كثيرة في البسالة والفتك؛ سمعت ابن دريد يذكر أنها ـ أو أكثرها ـ له؛ لأنه كان يقولها وينحلها لغيره، وقرئت عليه بحضرتي فاعترف بها. قال: وفيما يروى لعليّ لما هرب من الدار التي كان فيها في اليوم الذي قتل فيه:

عليك سلام الله يا خيرَ منزلٍ ... خَرَجنا وخلفناه غير ذَميم

فإنْ تكُن الأيّام أحدثنَ فرقةً ... فمن ذا الّذي من ريبهنَّ سليم

وله:

لهف نفسي على قصورٍ ببغدا ... د، وما قد حوته كلُّ عاصِ

وخمورٍ هناك تُشرب جهراً ... ورجال على المعاصي حراصِ

لستُ بابن الفواطِم الغُرّ إنْ لم ... أجلِ الخيلَ حولَ تلكَ العراصِ

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٢٨.

[فصل في ذكر جنكيزخان وفتنة التتر]:

وقوله: «يومىء إلى وصف الأتراك».

قال ابن أبي الحديد: واعلم أنّ هذا الغيب الذي أخبر ﷺ عنه قد رأيناه نحن عِياناً، ووقع في زماننا وكان الناس ينتظرونه من أوّل الإسلام؛ حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا؛ وهم التتار الذين خرجُوا من أقاصي المشرق؛ حتى وردت خيلُهم العراق والشام، وفعلوا بملوك الخطا وقفجاق، وببلاد ما وراء النهر وبخراسان وما والاها من بلاد العجم، مالم تحتو التواريخ منذ خلق الله تعالى آدم إلى عصرنا هذا على مثله؛ فإنّ بابك الخُرّميّ لم تكن نكايتُه وإن طالتْ مدّته نحو عشرين سنة إلّا في إقليم واحد وهو اذربيجان؛ وهؤلاء دَوَّخُوا المشرق كلّه، وتعدّت نِكايتهم إلى بلاد أرمينية وإلى الشام، ووردت خيلهم إلى العراق، وبُخْتَ نصّر الذي قتل اليهود إنّما أخرب بيتَ المقدس وقتل من كان بالشام من بني إسرائيل، وأيّ نسبة بين مَنْ كان بالبيت المقدس من بني إسرائيل إلى البلاد وأمصار التي أخربها هؤلاء، وإلى الناس الذين قتلوهم من المسلمين وغيرهم[1]، انتهى[2].

أقول ـ والله أعلم ـ: أنّ السبب في ظهورهم في الأرض وتسلطيهم شبيه بالسبب الذي سلّط الله بخت نصر على بني اسرائيل وهو إفسادهم في الأرض واستعلائهم فسلّط الله عليهم العدوّ من غيرهم، فإنّ المسلمين ارتكبوا من الفساد كلّ أنواعه ولو لم يكن إلّا إطباقهم علىٰ عداوة الذين يأمرون بالقسط من أهل بيت رسول الله ﷺ فسلّط الله عليهم هذا العدوّ الذين جاسوا خلال الديار، ولم يسلم من معرّتهم إلّا بلاد الزيدية في طبرستان واليمن فإنّ الله صرفهم عنهم ببركة أئمتهم[3]، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) ذكر ابن الأثير هذه الحادثة في تاريخه (حوادث سنة ٦١٧ وما بعدها)، وقال في أوّلها: «لقد بقيت عدّة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أُخرىٰ؛ فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين! ومن ذا الذي يهون عليه ذكر ذلك! فياليت أُمي لم تلدني، ويا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً! إلا أنّي حثّني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها؛ وأنا متوقّف؛ ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً».

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢١٧.

(٣) قلت: إنّ الله صرف كيد هؤلاء الكفّار عن كثير من المسلمين ببركة وجود الفيلسوف

←

[١٢٩]

ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكاييل والموازين[١]:

عِبادَ اللهِ إنَّكُمْ قَوْماً وَمَا تأمُلُونَ مِنْ هـذِهِ الدُّنْـيا أثْـوِياءُ[٢] مُـؤَجَّلُونَ، ومَـدِينُونَ[٣] مُقْتَضُونَ[٤]، أَجَلٌ[٥] مَنْقُوصٌ[٦]، وَعَمَلٌ[٧] محْفُوظٌ. فَرُبَّ دَائِبٍ[٨] مُضِيعٌ، ورُبَّ كادِحٍ[٩] خاسِرٌ، قدْ[١٠] أصْبَحْتُمْ في زَمَنٍ لايَزْدَادُ الخَيرُ فيهِ إلّا إدْبَاراً، والشَّرُّ فيهِ إلّا إقْبالاً، والشَّيْطانُ في هَلَاكِ النّاسِ إلّا طَمَعاً. فـهذَا أوَانٌ قَـوِيَتْ عُـدَّتُهُ[١١]، وَعَـمَّتْ مكـيدَتُهُ، وأمكَـنَتْ فَرِيسَتُهُ[١٢].

اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ[١٣] إلَّا فَقيراً يُكابِدُ[١٤] فَقْراً، أوْ غَنِيّاً

← الإمامي الشيعي نصير الدين الطوسي رحمه الله الذي تمكّن بفضل ما وهبه الله من علـم النـجوم وغيره حيث استوزره هولاكو لينظر له في هذا العلم، وبذلك تمكّن من انقاذ بلاد طبرستان والكثير من بقاع العراق الذين كانوا متمسكين بحبّ النبي صلى الله عليه وآله وصادقين في ودّ أهل بيته الكرام. من القتل والسلب والغارة، والحمد لله ربّ العالمين.

(١) لم ترد:« والموازين» في أ و ط.

(٢) في ب: اتوياء، وفي هـ. ب: في نسخة: أثوياء، وفي هـأ: منعّمون، وفي هـ. ب: أثوياء مقيمون، وأثوياء يعني مالكون، و في هـ. ص: جمع ثوى، أي أقام، أي نازلون إلى أجل كـما يـنزل الضيف. قلت: وتوى تأتي بمعنى هلك، وأتوياء: هالكون.

(٣) في هـ. ب: أي مجزيّون، وفي هـ. ص: أي معاملون بدين لأنّ الجزاء مؤخّر.

(٤) في هـ. ب: من التقاضي. (٥) في هـ. ص: تفسير أثوياء مؤجلون.

(٦) في هـ. ب: أي لكم أجل منقوص. (٧) في هـ. ص: تفسير مدينون.

(٨) في هـ. ب: أي: لازم للعمل، دأب فلان في العمل، أي: جدّ وتعب فهو دائب، وفي هـ. ص: هو الجادّ في عمله وكأنّه يشير الى قوله تعالىٰ: ﴿وجوهٌ يومئذٍ خاشِعَةٌ﴾ الغاشية: ٨٨ / ٢.

(٩) في هـ. ب: العامل بالجد، والداعي والكاسب بالمشقة، وفي هـ. ص: الكادح الكاسب.

(١٠) في ط و د: وقد، وفي هـ. د: قد ـ ش. (١١) هذا أوان.

(١٢) في هـ. ص: أي أمكنت من نفسها أي أمكنه أن تفرس لغلبة الهوى وقوّة حبّ الدّنيا.

(١٣) في ب: تنظر، وفي هـ. د: تنظر ـ ش. (١٤) في هـ. ب: أي يقاسي.

بَدَّلَ نِعْمةَ اللهِ كُفْراً، أوْ بَخِيلاً اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللهِ وَفْراً[١]، أو مُتَمَرِّداً[٢] كأَنَّ بأُذُنِهِ[٣] عَنْ سَمْعِ المَوَاعِظِ وقْراً، أيْنَ خِيارُكم[٤] وصُلَحاؤُكُم، وأين أحْرارُكُمْ[٥] وَسُمَحَاؤُكُمْ، وأيْنَ المُتَوَرِّعُونَ[٦] في مَكاسِبِهِمْ والمُتَنَزِّهُونَ في مَذَاهِبِهِمْ، أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَميعاً عنْ هذِهِ الدُّنْيا الدَّنِيَّةِ والْعاجِلة المَنغِّصَةِ؟.

وهل خُلِقْتُمْ[٧] إلَّا في حثَالَةٍ[٨] لاتَلْتَقي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتان[٩]؛ اسْتِصغْاراً لِقَدرِهِمْ، وذَهاباً[١٠] عنْ[١١] ذِكرِهِمْ؟ فإنَّا لِلّهِ وإنَّا إلَيهِ رَاجِعُونَ، ظَهَرَ الْفَسَادُ فلاَمُنْكَرٌ مُغَيِّرٌ[١٢]، ولاَ زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ[١٣].

أَفَبِهذَا تُرِيدُونَ أنْ تُجَاوِرُوا اللهَ في دَارِ قُدْسِهِ، وتَكوُنُوا أعَزَّ أولِيائِهِ عِنْدَهُ؟! هَيْهاتَ، لايُخْدَعُ اللهُ عَنْ جَنَّتِهِ، ولاَ تُنالُ مَرْضَاتُهُ إلَّا بِطاعَتِهِ. لَعَنَ اللهُ الآمِرينَ بالمَعْرُوفِ التَّارِكينَ لهُ والنَّاهِينَ عَنِ المُنْكَرِ الْعامِلينَ بهِ.

---

(١) في هـ. ب : المال الكثير.
(٢) المتمرّد: الطاغي.
(٣) في ب: بأذنيه ، وفي هـ. ب: في نسخة :اذنه ، وفي هـ. د: باذنيه ـ ش.
(٤) في ط: أخياركم .
(٥) في ط و د : وأخراركم ، وفي هـ. د: وأين احراركم ـ ش.
(٦) في هـ. ب: من الورع .
(٧) في هـ. د: .خلّفتم ـ ب.
(٨) في هـ. أ: الحثالة: الرديء من كل شيء ، وفي هـ. ب: الحثالة: الثفل والرديء من كل شيء ، وفي هـ. ص: ما يتبقى من رذل المتاع وردعة الماء .
(٩)هـ ص: أي يأنف المتكلم من أن يذمّهم ترفّعا.
(١٠)هـ ص: أي ترفّعا.
(١١) في ب: على ، وفي هـ. ب: في نسخة: عن .
(١٢) في ط: متغيّر .
(١٣) في هـ. ب: الزجر: المنع والنهر .

[١٣٠]

ومن كلام له عليه السلام لأبي ذر، لما أُخرج[1] إلى الرَّبذة:

يَا أبَا ذَرٍّ، إنَّكَ غَضِبْتَ لِلّهِ فارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إنَّ القَوْمَ خافُوكَ على دُنياهُمْ وخِفْتَهُمْ على دِينِكَ، فاتْرُكْ في أيْدِيهمْ مَا خافُوكَ عليهِ، واهْرُب منهم بِما خِفْتَهُمْ عليهِ، فَما أحْوَجهُمْ إلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وما أغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ، وسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابحُ غَداً، والأكْثَرُ حُسَّداً[3].

ولوْ أنّ السَّماواتِ والأرضين[4] كانَتا علىٰ عَبْدٍ رَتْقاً ثمّ اتَّقَى اللهَ لَجَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْهُما مَخْرَجاً.

لايُؤْنِسَنَّكَ[5] إلَّا الحَقُّ ولا يُوحِشَنَّكَ[6] إلَّا البَاطِلُ، فَلو قَبِلْتَ دُنْـياهُمْ لأحَـبُّوكَ ولو قَرَضْتَ[7] مِنها لأمِنُوكَ.

[أخبار أبي ذرّ الغفاري حين خروجه إلى الرّبذة]:

قال في شرح ابن أبي الحديد: وقد رَوَى هذا الكلامَ أبو بكر أحمد بـن عـبد العـزيز الجوهري في «السقيفة» عن عبد الرزّاق، عن أبيه، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، قال:

لمّا أُخْرِجَ أبو ذرّ إلى الرَّبَذة، أمر عثمان، فنودي في الناس ألّا يُكلّم أبا ذَرّ أحـد ولا يشيّعه. وأمر مَرْوان بن الحَكم أن يخرُج به. فخرج به، وتحاماه النّاس إلّا عليّ بن أبـي طالب عليه السلام وَعَقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً عليهما السلام وعمّاراً، فإنّهم خرجوا معه يشيّعونه، فجعل الحسن عليه السلام يكلّم أبا ذَرّ، فقال له مروان: إيهاً يا حسن! ألا تَعلم أنّ أميرَ المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل! فإن كنتَ لا تعلم[8] فاعلم ذلك؛ فحمل عليّ عليه السلام عَلى مرْوان فضرب

---

(١) في هـ. ب: فينسخة: اخرج من المدينة الى الربذة.

(٣) في هـ. ب: فينسخة: خسرا.

(٤) في ص و د: الارضين، وفي هـ. ب: في نسخة: والارض، وفي هـ. د: والارض ـ ب.

(٥) في هـ. ص: لايؤنسك.

(٦) في ص: ولا يوحشك.

(٧) في هـ. د: ولا قرضت ـ ن، وان قرضت ـ م، وفي هـ. ب: أي قطعت وأخذت قرضا.

(٨) في ص: لم تعلم.

بالسوط بين أذَنيْ راحلته، وقال: تنحَّ نحّاك الله إلى النار!

فرجع مَرْوان مغضَباً إلى عثمان؛ فأخبره الخَبر، فتلظّى على عليّ عليه السلام، ووقف أبـو ذَرّ فودّعه القوم، ومعه ذكوان مولى أُمّ هانئ بنت أبي طالب.

قال ذَكْوان: فحفظت كلام القوم ـ وكان حافظاً ـ فقال عليّ عليه السلام: يا أبا ذرّ، إنّك غضبتَ لله، إنّ القوم خافوك على دنياهم؛ وخفتَهم على دينك. فامتحنوك بالقِلى، ونفوْك إلى الفلا؛ والله لو كانت السماوات والأرض على عبدٍ رَتْقاً، ثمّ اتقى الله لجعل له منها مخرجاً. يا أبا ذرّ، لا يؤنسك[1] إلّا الحقّ، ولا يوحشك[2] إلّا الباطل. ثم قال لأصحابه: ودّعوا عمّكم.

وقال لعقيل: ودّع أخاك. فتكلّم عقيل، فقال: ما عسى أن نقول يا أبا ذرّ، وأنت تعلم أنّا نحبّك، وأنت تحبّنا، فاتّق الله؛ فإنّ التقوى نجَاة، واصبر فإنّ الصبر كرَم. واعلم أنّ استثقالك الصّبر من الجزع، واستبطاءك العافيةَ من اليأس؛ فدع اليأس والجزع.

ثم تكلّم الحسن، فقال: يا عمّاه؛ لولا أنّه لا ينبغي للمودّع أن يسكت، ولا للمشيّع أن ينصرف، لقصر الكلام وإن طال الأسف؛ وقد أتى القوم إليك ماترى؛ فضع عنك الدنيا بذكر فراقها[3]، وشدّة ما اشتدّ منها برجاء مابعدها، واصبرْ حتى تلْقى نبيّك صلّى الله عليه وآله وهو عنك راضٍ.

ثمّ تكلّم الحُسين عليه السلام، فقال: يا عمّاه، إنّ الله تعالى قادر أن يغيّر ما قَدْ ترى؛ والله كلَّ يوم هو في شأن؛ وقد منعك القوم دنياهم، ومنعتَهم دينك؛ فما أغناك عمّا منعوك، وأحوجَهم إلى ما منعتَهم! فاسأل الله الصبر والنصر؛ واستعِذْ به من الجشع والجزَع؛ فإنّ الصبر من الدين والكرم؛ وإنّ الجَشع لا يقدّم رزقاً، والجزع لا يؤخّر أجلاً.

ثم تكلّم عمّار رحمه الله مغضباً، فقال: لا آنسَ الله مَنْ أوحَشَكَ، ولا آمن مَنْ أخافكَ؛ أما والله لو أردتَ دنياهم لأمّنوك؛ ولو رضيت أعمالَهم لأحبُّوك؛ وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلّا الرضا بالدنيا، والجزع من الموت، ومالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه؛ والمـلك لمـنْ غَلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم؛ فخسرُوا الدّنـيا والآخـرة، ألا ذلك هـو

---

(١) في ط: يؤنسنّك. (٢) في ط: يوحشنك.

(٣) في ط: بتذكر فراغها.

الخسران المبين!

فبكى أبو ذرّ رحمه الله، وكان شيخاً كبيراً؛ وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة! إذا رأيتُكم ذكرتُ بكم رسول الله صلّى الله عليه وآله؛ مالي بالمدينة سَكَنٌ ولا شَجَنٌ غيركم؛ إنّي ثَقُلت على عثمان بالحجاز، كما ثُقلت على معاوية بالشام، وكره أن أُجاور أخاه وابنَ خاله بالمصرْين، فأُفسِد الناس عليهما؛ فسيّرني إلى بلدٍ ليس لي به ناصر ولا دافع إلّا الله، والله ما أُريد إلّا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة. انتهى[١].

ثم ذكر ابن أبي الحديد بعد ذلك ما جرى بين عليّ عليه السلام وعثمان من العتاب والمقاولة الشديدة[٢]، والله المستعان.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٣ ـ ٢٥٤. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ٢٥٤ و ٢٥٥.

ومن كلام له عليه السلام:

أَيَّتُها[١] النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ والْقُلوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ. الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُم والْغائِبَةُ عنْهُمْ عُقُولهُمْ، أَظْأَرُكُمْ[٢] على الحَقِّ وأَنْتُمْ تَنْفِرُون عَنْهُ نُفوُرَ الْمِعْزَى منْ وَعْوَعَةِ[٣] الأَسَدِ، هَيْهاتَ أَنْ أَطْلَعَ بكُمْ سِرَار[٤] الْعَدْلِ[٥]، أَوْ أُقِيمَ اَعْوِجاجَ الحَقِّ[٦].

اَللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لمْ يكُنِ الذِي كانَ مِنَّا مُنافَسَةً[٧] في سُلْطَانٍ ولا اَلتماسَ شَيْءٍ منْ فُضُولِ الحُطَامِ. ولكِنْ لِنَرِد[٨] المَعالِمَ منْ دِيْنِكَ، ونُظْهِرَ الإِصْلاَحَ فـي بِـلاَدِكَ، فَـيأْمَنَ المَظْلُومُونَ منْ عبادِكَ، وتُقامَ المُعَطَّلَةُ منْ حُدُودِكَ.

اَللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أنابَ، وسَمِعَ وَأجابَ، لمْ يَسْبِقْني إِلَّا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهِ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ بالصَّلاَةِ.

وقدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لا يَنْبغي أنْ يكُونَ الْوَالِيَ[٩] على الْفُرُوجِ والدِّمَاءِ، والمَغانِمِ والأحكامِ، وإمامَةِ المُسْلِمينَ الْبَخيلُ، فتكُونَ في أمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ[١٠]، ولا الجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِه، ولا

---

(١) في آ: أيّها.

(٢) هـ . ب: أعطفكم، هـ . ص: بالظاء المعجمة: أعطفكم، وفي المثل (الطعن يظأر) أي يعطفه على الصلح، انتهى من الشرح.

(٣) في هـ . ب: أي صوت.

(٤) في هـ . ب: السرار: آخر ليلة من الشهر، والتقدير في سرار فحذف حرف الجر ووصل الفعل.

(٥) أي أطلع بكم شارقاً يكشف عمّا عرض على العدل من الظلمة ويدل على هذا قوله: «أو أُقيم اعوجاج الحق»، فإنّ الحق لا اعوجاج فيه وإنّما خلطه قوم بالباطل فظهر معوجاً.

(٦) في هـ . ب في نسخة: الذنب.

(٧) في هـ . ب: محاسدة.

(٨) في د: لِنَرُدّ.

(٩) لم ترد «الوالي» في ب، وفي هـ . د: ان يكون على الفروج ـ ش ح م.

(١٠) النهمة :افراط الشهوة والمبالغة في الحرص.

الجَافي فَيقْطَعَهُمْ بِجَفائِهِ، ولا الحَائِف[1] لِلدِّوَلِ[2] فَيَتَّخِذَ قوْماً دُونَ قَوْمٍ، ولا المُرْتَشي في الْحُكْمِ فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنّة فيهلك الأُمّة.

* * *

النهمة هي الهمّة الشديدة بالأمر، قد نهم بكذا بالضم. بغير الصيغة ينهم فهو منهوم، أي مولع حريص عليه.

ومن رواها نَهَمَتَهُ ـ بالتحريك ـ فهي افراط الشهوة في الطعام، والماضي: نِهم ـ بالكسر ـ ينهم، انتهى من الشرح.

قوله عليه السلام: «ولا الخائف للدول» أي: من يخاف دول الأيام وتقلّبات الدهر، ويروىٰ: الجانف ـ بالجيم والنون ـ، أي المائل الى الأموال وجمعها، جمع دولة وهو المال المتداول، والمقاطع: جمع مقطع، وهو ما ينتهي الحق إليه، أي لا يوصل الحقوق إلى أربابها.

---

(١) الحائف: من الحيف أي الجور والظلم، والمراد من يحيف في قسم الأموال ويفضّل في العطاء بلا موجب للتفضيل، وفي ص و د : الخائف ، وفي هـ. د: ولا الحائف ـ ح ب .

(٢) في هـ. ب: الدول جمع دولة، وهي الدولة في المال خاصّة.

ومن خطبة له عليه السلام:

نَحْمَدُهُ على مَا أَخَذَ وأَعْطَى، وعلى مَا أَبْلَي وٱبْتَلَى[١]. الْبَاطِنُ لِكلِّ خَفِيَّةٍ، الحاضِرُ[٢] لِكلِّ سَرِيرَةٍ، الْعالِمُ بما تُكِنُّ الصُّدُورُ، وما تَخُونُ الْعُيون[٣]، ونَشْهَدُ أنْ لا إلَه غيرُهُ، وأَنَّ محمّداً نَجِيبُهُ وبَعِيثُهُ[٤]، شَهادَةً يُوافِقُ فيها السِّرُّ الإعْلاَنَ والْقَلْبُ ٱللِّسَانُ.

منها:

فإنّهُ[٥] وٱللهِ الْجِدُّ لاَ ٱللَّعِبُ، والحَقُّ لا الْكَذِبُ، وماهوَ إلاَّ الموْتُ، قدْ أَسْمَعَ دَاعِيهِ[٦]، وأعْجَلَ حادِيهِ، فلاَ يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ ٱلناسِ[٧] مِنْ نَفْسِكَ، فقدْ[٨] رَأَيْتَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ ممَّنْ جَمَعَ المالَ، وحَذِرَ الإقْلاَلَ[٩]، وأَمِنَ الْعَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ[١٠] وٱستِبْعادَ أَجَلٍ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ المَوْتُ فأزْعَجَهُ عَنْ وطَنِهِ وأَخَذَهُ مِنْ مَأمَنِهِ، مَحْمُولاً على أَعْوَادِ[١١] المَنايا،

---

(١) في هـ. ب: أي نحمده على ما أبلى من النعم بكثرة المال والصحة، وعلى ما ابتلى من النقم من المرض والفقر، وفي هـ. ص: أبلى أي: أحسن، وابتلى: أي: أصاب بالبلاء.

(٢) في ط و د: والحاضر. وفي هـ. د: الحاضر ـ ش.

(٣) في هـ. ص: أي تسترق منه اللحظات على غير الوجه الشرعي.

(٤) أي مصطفاه ومبعوثه.

(٥) في هـ. ب: إنّ الأمر والشأن ماذاك الأمر أنتم عنه غافلون إلّا الموت، وفي هـ. ص: أي الشأن والأمر المومى بذكره.

(٦) في هـ. ب: أي دواعي الموت اسمع الموت: أي حان، وأعجل حاديه وسائقه.

(٧) في هـ. ب: أي لا تنظر إلى عامّة الناس، وفي هـ. ص: أي ما عليه عامّتهم وكثرتهم، أي لا تغتر بكثرة المخالفين للحق فما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين، ولكن أكثرهم للحق كارهون.

(٨) في أ: وَقد، وفي هـ. د: وقد ـ م ت ح.

(٩) في هـ. ب: أي الفقر.

(١٠) «طول» مفعول لأجله، أي كان منه ذلك لطول أمله.

(١١) في هـ. ب: جمع عود، وهو كناية عن الجنازة.

يَتَعَاطَى[(١)] بِهِ ٱلرِّجالُ الرِّجالَ حَمْلاً على المَناكِبِ، وإمْسَاكاً بالأَنَامِلِ.

أما رَأيْتُم الَّذِينَ يُؤَمِّلُونَ بَعِيداً ويَبْنُونَ مَشِيداً[(٢)] وَيَجْمَعُونَ كَثيراً كَيْفَ[(٣)] أَصْبَحَتْ بُيوتُهمْ قُبُوراً، ومَا جَمَعُوا بُوْراً[(٤)]، وصَارَت[(٥)] أَمْوَالُهمْ لِلْوَارِثين، وأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لاَ فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُون، ولا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبون[(٦)].

فَمنْ أشْعَرَ[(٧)] التَّقوى رَبَّهُ، بَرَّزَ[(٨)] مَهَلُهُ[(٩)]، وفازَ عَمَلُهُ.

فاهْتَبِلوا هَبَلَها[(١٠)]، واعملُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَها[(١١)]؛ فإنَّ الدُّنْيا لم تُخْلَقْ لَكُمْ دَار مُقامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجازاً؛ لِتَزَوَّدُوا منها الأعمالَ إلى دَارِ القَرارِ، فكُونُوا منها على أوْفَازٍ[(١٢)]، وقَرِّبُوا الظُّهُورَ[(١٣)] لِلزِّيَالِ[(١٤)].

---

(١) في هـ . ص: أي يتناولونه ويتعاقبون حمله.

(٢) في هـ . ص: أصله المبنيّ بالشّيد، وهو الجص ، والمراد: المقوّى.

(٣) لم ترد «كيف» في ب، وفي هـ . د: «كيف» ساقطة من ن ش.

(٤) في هـ . ب: البور: الفاسد الهالك، وفي هـ . ص: أي هالكاً.

(٥) في ب: فصارت، وفي هـ د: وصارت ـ ش.

(٦) في هـ . ب: يستعتب وأعتب بمعنى واحد، والاعتاب: الرضا، وفي هـ . ص: «يستعتبون»، من رواه مبنيّاً للفاعل فالمعنى: لا يسترضون ربهم من عصيانهم؛ لأنه قد انقطع زمن التكليف، من استعتب فلان فلاناً طلب عتباه ورضاه. ومن رواه بغير الصيغة، فمعناه: لا يطلب منهم بيان عتباهم ووعد ربهم، والله أعلم.

(٧) في هـ . ب: الإشعار: الإخبار.

(٨) في هـ . ب: مراده.

(٩) في هـ . ص: يروى بالرفع والنصب، فمن رفعه جعله فاعل برَّز، أي: فات شوطه، والمهل: شوط الفرس، ومن نصب جعل برز بمعنى أبرز، أي أظهر وأبان، فينصب حينئذٍ على المفعولية، انتهى من الشرح.

(١٠) في هـ . ب: أي اغتنموا قلّة أموالها، والاهتبال: الاغتنام، والهبل: الثكل، وفي هـ .ص: أي اغتنموا وانتهزوا الفرصة،، والاهتبال: الذي يصلح لهذه الحال، أي ليكن الاهتبال بجدّ وهمّة عظيمة، يقال: اهتبلت غرّة فلان: أي اغتنمتها، وهبلها منصوب على المصدرية كأنّه من هبل كغضب غضباً، انتهى من الشرح.

(١١) في هـ . ص: أي العمل الذي يليق بها، وهو الموافق للشريعة، الخالص من الرياء والسمعة.

(١٢) في هـ . ب: على عجلة، وفي هـ . ص: جمع وفز ـ بسكون الفاء ـ العجلة.

(١٣) في هـ . ب: أي المراكب، وفي هـ . ص: ما يحتمل ويركب، أي استعدوا للسفر.

(١٤) في هـ . ب: الفراق، وفي هـ . ص: المفارقة.

ومن خطبة له عليه السلام[١]:

وانْقادتْ لهُ الدُّنْيا والآخرةُ بأزِمَّتِها وقَذَفَتْ إليْهِ السَّماواتُ والأرَضِين[٢] مَقالِيدَها[٣] وَسَجَدَتْ[٤] لهُ بِالغُدُوِّ والآصالِ الأشْجارُ النَّاضِرَةُ، وقَدَحَتْ لهُ منْ قُضْبانِها[٥] النِّيرَان المضِيئة، وأتَتْ أُكلَها بكلِمَاتِهِ[٦] الثمَار اليانِعة[٧].

منها:

وكِتابُ اللهِ بيْنَ أظْهُرِكُم: ناطِقٌ لايَعْيَى[٨] لِسانُهُ، وبَيْتٌ لا تُهْدَمُ أرْكانُهُ، وعِزٌّ لا تُهْزَمُ[٩] أعْوَانُهُ.

منها:

أرْسَلَهُ على حِينِ فَتْرَةٍ منَ الرُّسُلِ، وتَنازُعٍ منَ الألْسُنِ[١٠]، فَقَفَّى بهِ[١١] الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فجاهَدَ في اللهِ المُدْبِرِينَ عنْهُ، والْعادِلينَ بِهِ.

منها:

وإنَّما الدُّنْيا مُنْتَهَى بَصَرِ الأعمَى[١٢]، لا يُبْصِرُ ممَّا ورَاءَها شَيْئاً، والْبَصيرُ يُنْفِذُها بَصَرُهُ

---

(١) في هـ. ب: المذكورات في هذه الخطبة، انقادت لله مافي السماوات والأرضين.

(٢) في ص: الأرض، وفي هـ. ص في نسخة: الأرضون.

(٣) في هـ. ص: أي مفاتيحها.

(٤) هـ. ص: أي انقادت، وذلك لأنّ السجود غاية الخضوع من المكلفين وأدلّ أفعالهم على الإذعان فاستعير لمطلق الإنفعال عن الإرادة. هـ. ص أي قول «كن» إمّا على حقيقته وإمّا على أنّ المراد به تمثيل سرعة الإنفعال عن الإرادة.

(٥) قضبانها: أي أغصانها.

(٦) في هـ. د: واتت بكلماته ـ ف.

(٧) في هـ. ص: أي المدركة.

(٨) في هـ. ب: أي لا يعجز.

(٩) في ب: لا يهدم، وفي هـ. د: لا تهدم ـ ب.

(١٠) في هـ. ص: كناية عن المجادلة، فقد كان أهل الأرض ملأ يجادل بعضها بعضاً.

(١١) في هـ. ص: أي جاء بعدهم مصدّقاً لهم.

(١٢) في هـ. ص في نسخة: المبصر.

ويَعْلمُ أَنَّ الدَّارَ وراءَها، فالْبَصيرُ مِنْها شَاخِصٌ، والأَعْمَى إِلَيْها شَاخِصٌ[١]، والْبَصيرُ مِنْها مُتَزَوِّدٌ، والأَعْمَى لَها مُتَزَوِّدٌ[٢].

منها:

واعلَمُوا أَنْ لَيْسَ منْ شَيْءٍ إِلَّا ويَكادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعَ[٣] مِنْهُ ويَملُّهُ إِلَّا الحَيَاةَ؛ فإنّهُ لاَ يَجِدُ لهُ في المَوْتِ رَاحَةً[٤]، وإنَّما ذلِكَ بِمَنْزِلةِ الحِكْمَةِ[٥] التي هِيَ حَياةٌ لِلْقَلْبِ المَيِّتِ، وَبَصرٌ لِلْعينِ الْعَمْياءِ، وسَمْعٌ للأُذُنِ الصَّمَّاءِ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ، وفيها الْغِنى كلُّهُ والسَّلاَمَةُ، كِتابُ اللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وتَنْطِقُونَ بِهِ، وتَسْمَعُونَ بِهِ، ويَنطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، ويَشْهَدُ بعضُهُ على بَعْضٍ، ولَا يَخْتَلِفُ في اللهِ[٦]، ولاَ يُخالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللهِ.

قدِ اصْطَلَحْتُمْ[٧] على الْغِلِّ فيما بينكُمْ، ونَبت المَرْعَى على دِمَنِكُمْ[٨]، وتَصافَيْتُمْ على حُبِّ الآمالِ، وتَعَادَيْتُمْ في كَسْبِ الأمْوَالِ، لَقدِ اسْتِهام[٩] بكُمُ الْخَبِيثُ[١٠]، وتَاهَ بكُمُ الْغرُورُ[١١]، واللهُ المُسْتَعانُ على نَفْسِي وأَنْفُسِكُمْ.

* * *

---

(١) في هـ. ب: فاتح عينيه.

(٢) في هـ. ب: في نسخة: متردّد.

(٣) في هـ. د: أن يشبع ـ ب.

(٤) في هـ طبعة محمد عبده: لا يجد في الموت راحة حيث لم يهيئ من العمل الصالح الباقي ما يكسبه السعادة بعد الموت، قال: وإنّما ذلك ـ أي شعور الإنسان بخيفة مابعد الموت ـ بمنزلة حكمة واعظة تنبهه من غفلة الغرور، وتبعثه إلى خير العمل، ثم بعد بيانه لما يجده الإنسان في نفسه من خيفة ماوراء الموت ولما يرشد إليه ذلك أخذ يبيّن الوسيلة الموصلة إلى منجاه مما يخشاه القلب وتتوجس منه النفس، وأنها التمسّك بكتاب الله الذي بين أوصافه. وبهذا التفسير التأم الكلام واندفعت حيرة الشارحين في هذا المقام. وقوله :كتاب الله، جملة مستأنفة ،أي هذا كتاب الله فيه ما تحتاجون إليه ممّا هدتكم الفطرة إلى طلبه.

(٥) في هـ. ب: إشارة إلى القرآن.

(٦) في هـ. ص: أي في صفته، وما يجوز عليه ومالايجوز. وفي هـ. ص: أي المعتمد عليه المتخذ له مع بيانه دليلاً لا يعدل عن الله أي عن طريقه وجهته التي أُمر بالتوجّه إليها وسلوكها.

(٧) في هـ. ب: كناية عن ثباتهم على الحق.

(٨) في هـ. ب: جمع دمنة، وهي ـ بالكسر ـ: الحقد.

(٩) في هـ. ب: حيّر.

(١٠) في هـ. ب: أي الشيطان.

(١١) في هـ. ب: أي الشيطان.

قوله عليه السلام: «وإنّما الدّنيا منتهى بصر الأعمىٰ».

أي أنّ من انتهى بصره إلى الدّنيا فوقف عليها ولم ينظر ما المراد منها، فهو وإن كان ذا بصر يدرك به شيئاً مّا، فهو بالحقيقة أعمى؛ لأنّه لم يدرك المدرك المقصود إدراكه، بل يعمى عنه.

والبصير: هو الذي أدرك ماهو المقصود فلم يعم عنه، وذلك إنّما هو من نفذ بصره الدنيا إلى الآخرة فأدركها؛ لأنّ الدنيا بمنزلة الغشاء[١] من زجاج أو نحوه ممّا تشف وتخرقه البصر؛ لأنّها مشتهيات من جنس مشتهيات الآخرة تدلّ عليها ومقدّمة أمامها لتعريفها.

فمن اشتغل بالنظر في ظاهر الغشاء وتأمّل صفاءه ورونقه لم ينظر المرئي المقصود رؤيته فعمي عنه ومن نظر إلى ماهو باطن الغشاء فقد رأى المنظرين جميعاً.

والكلام مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا﴾[٢] وقوله: ﴿ويتفكّرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً﴾[٣] ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً﴾[٤].

فالمستبصر يعلم أن الدنيا لا تصلح أن تكون غاية مراد الحكيم، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «واعْلموا أنّه ليس من شيء... إلىٰ آخره».

الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ إن هذا فصل واحد مرتبط بعضه ببعض، لا كما زعم ابن أبي الحديد أنّ بعضه غير مرتبط ببعض[٥]، وبيان ارتباطه: هو أنّه عليه السلام أراد أن يحثّهم علىٰ طلب الحكمة ويرغّبهم فيها فضرب لهم مثلاً محسوساً عند أنفسهم فقال لهم: إنّ الحياة فارقت سائر الأشياء من حيث إنّها لا تملّ بالطبع، ماذاك إلّا لأنّها ضدّ الموت الذي هو مكروه طبعاً، كذلك الحكمة هي حياة القلب، فيجب أن تحب طبعاً، كيف؟ وهي مع ذلك جامعة لكل أمر مرغوب فيه وهي أنّها بصر للعين العمياء وسمع للأُذُن الصمّاء ـ أي: التي عمت وصمّت عمّا يتعلّق بالحياة الآخرة ـ وفيها شفاء غلّة الظمآن، والغنى عن كل شيء

---

(١) في هـ. ص: في نسخة: كالغشاء.

(٢) الروم: ٣٠ / ٧.

(٣) ال عمران: ٣ / ١٩١.

(٤) المؤمنون: ٢٣ / ١١٥.

(٥) انظر شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٨٨.

دنيوي، والسلامة من كلّ مخوف.

ثمّ فسّر تلك الحكمة بقوله ﷺ: «كتاب الله...»، لأنّ السنّة بيان لكتاب الله لقوله تعالى: ﴿لتُبيِّن لِلناسِ ما نزِّلَ إليْهِمْ﴾[1]، وكلام الأئمة بيان لكتاب الله وسنّة رسوله لقوله ﷺ: «اني قد خلّفت فيكم كتاب الله وسنّتي[2] وعترتي أهل بيتي، فالمضيّع لكتاب الله كالمضيّع لسنّتي والمضيّع لسنّتي كالمضيّع لعترتي، اما ان ذلك لن يفترق حتى اللقاء على الحوض».

فأصل الحكمة: كتاب الله، فهو مأمور به مع بيانه.

ثم أراد ﷺ - أن ينبههم على انّهم قد تركوا هذا الذي ينبغي أن يؤثروه ولا يعدلوا عنه بقوله: قد اصطلحتم على الغل... الى آخره.

لأن هذه الأخلاق ضد الحكمة، والله أعلم.

---

(١) النحل :١٦ / ٤٤.

(٢) لم ترد «وسنتي» في أحاديث الرسول (ص) من طرقنا، وانما ورد: « كتاب الله وعترتي أهل بيتي » ، وهو المتواتر المعروف بحديث الثقلين، ثمّ لاحاجة الى هذه الزيادة مع وجود العترة الذين يجسّدون السنّة النبويّة بكلّ وجودهم .

[١٣٤]

ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو[١] الروم[٢]:

وَقَدْ تَوَكَّلَ ٱللهُ[٣] لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ ٱلحَوْزَةِ[٤]، وَسَتْرِ ٱلْعَوْرَةِ[٥]، وَٱلَّذِي نَصَرَهُمْ ـ وَهُمْ قَلِيلٌ لَايَنْتَصِرُونَ ـ، وَمَنَعَهُمْ ـ وَهُمْ قَلِيلٌ[٦] لَايَمْتَنِعُونَ ـ حَيٌّ لَايَمُوتُ.

إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا ٱلعَدُوِّ بِنَفْسِكَ[٧]، فَتَلْقَهُمْ[٨] فَتُنْكَبْ[٩] لَايَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كانفة[١٠] دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ. لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ[١١] رَجُلاً مِحْرَباً، وَٱحْفِزْ[١٢] مَعَهُ أَهْلَ ٱلْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ ٱللهُ[١٣] فَذَاكَ مَاتُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَىٰ، كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً[١٤] لِلْمُسْلِمِينَ.

---

(١) لم ترد «غزو» في أ. (٢) في د زيادة : بنفسه.

(٣) في هـ. ص: أي صار وكيلاً، ويروىٰ: «كفل»، أي صار كفيلاً أي ضامناً.

(٤) في هـ. ب: أي تكفّل الله للمسلمين أن يعزّ حوزة الدين وبيضته، وأن يعزّ حوزتهم أي ساحتهم، وفي هـ. ص: أي الناحية وما يحوزه المرء ويمنعه.

(٥) في هـ. ص: ما يخاف الغائلة من حميته.

(٦) في ص: وهم ذليلون، وفي هـ. ص: في نسخة: قليلون.

(٧) في هـ. ب : بشخصك، وفي هـ. د : بشخصك ـ حاشية م.

(٨) في هـ. ب: بشخصك، وفي هـ. ص زيادة: بشخصك.

(٩) في هـ. ب: أي تصير منكوباً، فتنكب عطف على «متى تسر»، وجواب الشرط «تكن كانفة» أي ساحة حافظة للمسلمين، كنفت الرجل: حفظته وصنته، وفي هـ. ص: أي تصيبك نكبة.

(١٠) في ط: كهف، وفي هـ أ: في نسخة: كهفة، وفي هـ. ب: كانفة: أي حافظة، وفي هـ. د: كهف ـ ح ف.

(١١) في ب: عليهم، وفي هـ. د: عليهم ـ ش. (١٢) في هـ. ص : أي سقهم معجّلا.

(١٣) في هـ. ب: أظفر الله. (١٤) في هـ. ب: موضع الرجوع.

[١٣٥]

ومن كلام له عليه السلام:

وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا اكفيكه، فقال علي عليه السلام للمغيرة:

يابن اللعين الابتر والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفيني؟، فوالله ما أعزّ الله من أنت ناصره، ولا قام من أنت منهضه، اخرج عنا، أبعد الله نواك ثمّ أبلغ جهدك، فلا أبقى الله عليك ان بقيت .

* * *

قال ابن أبي الحديد: ان الرواية «أنت تكفني»، كان الأخنس بن شريق من أكابر المنافقين، وسمّاه أبتر؛ لأنّ من كان عقبه ضالاً خبيثاً فهو كمن لا عقب له، انتهى من الشرح[١].

وقيل: إنّه المعني بقوله تعالى: **﴿ومِنَ النّاسِ مَنْ يُعجبُكَ قولُهُ في الحياةِ الدُّنيا...﴾**[٢] ذكره في الكشاف.

وقوله عليه السلام: **«الشجرة التي لا أصل لها ولا فرع»**:

قال ذلك لأنّ ثقيفاً في نسبها طعن، روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن ثقيفاً، وروي انّه عليه السلام قال: «لولا عروة بن مسعود للعنت ثقيفاً».

وروى الحسن البصري: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن ثلاثة بيوت: بيتان من مكة وهم بنو أُميّة وبنو المغيرة، وبيت من الطائف وهم ثقيف.

وفي الخبر المشهور المرفوع ـ وقد ذكر ثقيفاً ـ: بئست القبيلة، يخرج منها كذاب ومبير، فكان كما قال صلى الله عليه وآله، الكذّاب: المختار، والمبير: الحجّاج، انتهى من الشرح[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠٣.
(٢) البقرة: ٢ / ٢٠٢.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠٢.

[١٣٦]

ومن كلام له عليه السلام:

لمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُم إيَّايَ فَلْتَةً[١] وليْسَ أمْري وأمْرُكُمْ واحِداً، إني[٢] أُريدُكُمْ للهِ وأنْتُمْ تُرِيدُونَني[٣] لِأنْفُسِكُم[٤].

أيُّها النَّاسُ أعِينُوني على أنْفُسِكُمْ، وايْمُ اللهِ لأنْصفَنَّ المَظْلُومَ[٥]، ولأقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ[٦]، حتى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الحَقِّ وإنْ كانَ كارهاً.

---

(١) في هـ. ب: فلته: أي فجأة، وفي هـ. ص: أي بغتة، وهو الأمر يقع على غير تدبّر ولا روية، وفي الكلام تعريض ببيعة أبي بكر، انتهى من الشرح.

(٢) في هـ. د: أنا ـ ك.

(٣) في ط د: تريدونني، هـ. ب: ص «تريدونني» فحذف النون.

(٤) في هـ. ص: وذلك لأنّه لا يريد من طاعتهم له إلّا نصر دين الله، والقيام بحدوده وحقوقه، ولا يريدهم لحظّ نفسه، وأمّا هم فهم يريدونه لحظوظ أنفسهم من العطاء والتقريب والأسباب الموصلة إلى منافع الدنيا.
وهذا الخطاب منه عليه السلام لجمهور أصحابه، فأمّا الخواص منهم فإنّهم كانوا يريدونه للأمر الذي يريدهم له، وهو إقامة شعار الدين وإحياء معالمه، انتهى من الشرح.

(٥) في ط زيادة: من ظالمه، وفي هـ. د: لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ـ ض ب.

(٦) في هـ. ب: الخزامة: حلقة شعر يجعل في أنف البعير، وفي هـ. ص: هي حلقة من سيور تجعل في أنف البعير ويجعل الزمام إليها.

ومن كلام له ﷺ في معنى طلحة والزبير:

واللهِ ما أنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، ولا جَعَلُوا بَيْني وبينَهُمْ نَصفاً[١]، وإنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً[٢] تَرَكُوهُ[٣]، وَدَماً هُمْ[٤] سَفَكُوهُ، فإنْ كُنْت شَرِيكَهُمْ فيهِ فإنَّ لهم نَصِيبَهُمْ[٥] مِنْهُ، وإنْ كانُوا وَلُوُهُ دوني فَما الطَّلْبَةُ إلَّا قبلهُمْ[٦]، وإنَّ أوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ على أنْفُسِهِمْ، وإنَّ مَعي لَبَصيرَتي ما لَبَّسْتُ ولا لُبِّسَ عليَّ، وإنَّها لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فيها[٧] الحَمَا والْحُمَةُ[٨]، والشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ[٩] وَإنَّ الأمْرَ لَوَاضِحٌ[١٠]، وقدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عنْ نِصَابِهِ[١١] وانْقَطَعَ لِسانُهُ عنْ شَغْبِهِ[١٢]، وايْمُ اللهِ لأُفْرِطَنَّ[١٣] لَهُمْ حَوْضاً أنَا مَاتِحُهُ[١٤]، لَا يَصْدِرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ، ولَا يَعُبُّونَ[١٥] بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ[١٦].

---

(١) في هـ. ص: النصف بالإسكان: الإنصاف، وهو على حذف مضاف أي: ذا نصف، انتهى من الشرح.

(٢) في هـ. ص: أي ما يزعمونه حقّاً، وهو الولاية.

(٣) في ط: هم تركوه، وفي هـ. د: هم تركوه ـ ح ص ب ل.

(٤) لم ترد «هم» في ص.

(٥) في هـ. د: لنصيبهم ـ ف.

(٦) في ص: عندهم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: قبلهم. وفي هـ. د: إلّا قبلهم ولا التبعة إلّا لهم ـ م.

(٧) في هـ. ب: أي في هذه الكتيبة الباغية.

(٨) المراد بالحما مطلق القريب والنسيب، وهو كناية عن الزبير فهو ابن عمة النبيّ ﷺ. والحمة، أصلها الحمية أو إبرة اللّسع، وكنى بها عن عائشة. وفي هـ. أ: السم. وفي هـ. ب: يشير بهذا الى صاحبة الجمل، وكلّ شيء من قبل الزوجة فهو حميً، مثل: قفا وحموء مهموزاً، والحمة: العقرب، وسمّها، وأصلها حموءاً وحمو.

(٩) في ص زيادة: المظلمة، وفي هـ. أ: المستورة، وفي هـ. ب: المظلمة.

(١٠) لم ترد «و» في ب.

(١١) في هـ. ب: أصله.

(١٢) الشغب: تهييج الشرّ.

(١٣) في هـ. أ: أي لأملأنّ.

(١٤) أي تارع مائه لأسقيهم.

(١٥) العب: الشرب بلا تنفّس. وفي هـ. ب: لا يشربون، ويقال: العب من الشرب، ضدّ المصّ.

(١٦) في هـ. أ هو ما يسقى منه باليد، وفي هـ. ب: ما يشرب من غير مصّ.

منها: فأقْبَلْتُمْ إليَّ إقْبَالَ الْعُوذِ[١] اَلمطافِيلَ[٢] على أوْلادِها، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ، قَبَضْتُ يَدِي[٣] فَبَسَطْتُمُوها، ونَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَذَبْتُمُوها[٤].

اللَّهُمَّ إنَّهُما[٥] قَطعانِي وظَلَمانِي، ونَكثَا بَيْعَتي، وألّبا[٦] النَّاسَ عَلَيَّ، فاحْلُلْ مَا عَقَدَا، ولاَ تُحْكِمْ لَهُما ما أبْرَمَا[٧]، وأرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيما أمَّلَا وعَمِلَا، ولقدْ آسْتَثَبْتُهُما[٨] قَبْلَ الْقِتالِ، وَآستأْنَيْتُ[٩] بِهِما أمَامَ الوقاعِ[١٠]، فغمطا[١١] النّعمة وردّا العافية.

* * *

قوله عليه السلام: «الحما والحمة»:

يروى الحمأ ـ بالهمز ـ وبدونه، فهو بالهمز: الطين الأسود، قال تعالى: ﴿من صلصالٍ من حمأ مسنون﴾[١٢] أي في هذه الفئة الباغية الضلال والفساد والضرر، وإذا أرادت العرب [أن] تعبّر عن الضلال والفساد قالت: الحمأ.

ومثلها: الحمأة ـ بالتاء ـ، ومن أمثالهم: «ثَأْطَةٌ مُدَّتْ بِمَاءٍ»[١٣] يضرب للرجل يشتدّ موقه وجهله، والثأطة: الحمأة، وإذا أصابها الماء زادت فساداً ورطوبة.

وبغير همز كناية عن الزبير لأنّه حِما رسول الله صلى الله عليه وآله من حيث انه ابن عمّته.

وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله أعلم علياً عليه السلام بأن فئة من المسلمين تبغي عليه أيّام خلافته فيها بعض زوجاته وبعض أحمائه. فكنى علي عليه السلام عن الزوجة بالحمة، وهي سمّ العقرب، هكذا

---

(١) جمع عائذة، وهي الحديثة النتاج من الابل، أو كل أُنثىٰ. وفي هـ. ب: العوذ: جمع عائذة، وهي الناقة.

(٢) في هـ. ب: المطافيل، أي ذات الطفل، أي أقبلتم عليّ كإقبالها على أولادها.

(٣) في ص: كفي.

(٤) في ا و ص: فجاذبتموها، وفي هـ. ب: «جاذبه البيعة» في الحال، و «جاذب البيعة» للاستقبال.

(٥) في هـ. ب: أي طلحة والزبير.

(٦) في هـ أ و ب و ص: جمعا.

(٧) في هـ. ب: ما أحكما.

(٨) أي استرجعتهما، من ثاب: إذا رجع، أي طلبت منهما التثبّت على ما أظهرا. وفي هـ. ب: في نسخة: استتبتهما، أي طلبت منهما التوبة.

(٩) هـ. ب: أي طلبت تأنّياً.

(١٠) في هـ. ب: قبل المحاربة.

(١١) في هـ. د: وغمط ـ ع، وفي هـ. ب: كفرا.

(١٢) الحجر: ١٥ / ٢٦.

(١٣) مجمع الأمثال للميداني ١: ١٥٣.

ذكر ابن أبي الحديد[١]. وعندي في تفسيره للحما من غير همزٍ نظر، والظاهر انّه مخفف المهموز، والمعنى فيها الفساد والسم. والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «الشبهة المغدَفَة»:

رواه ابن أبي الحديد بالفاء مع فتح الدال وكسرها، فالفتح، أي أغدفت أي غطيت، وبالكسر من أغدف الليل: أظلم، والمعنى ان الشبهة بها على الناس تقوى فتخفي الحق لأنّ قوادها من الصحابة.

وقوله عليه السلام: «عن شغبه» بسكون العين المعجمة: تهييج الشر والفتنة والخصام، والعامة تفتحها تقول: شغبتهم وبهم وفيهم وعليهم. ذكر ذلك في نهاية ابن الاثير[٢].

ولا يخفىٰ ما في هذا الكلام من الإشارة اخلى أنّ ما كان فيه من تولّي الأُمور من قبله كان باطلاً، وكان قولهم في ذلك وجدالهم في استحقاقهم تولّي الأمر دونه شغباً؛ لأنّ فتنة الزبير وطلحة كانت أوّل فتنة في إمارته عليه السلام، فلابدّ أن يكون الباطل الذي يعدّ من نصابه وخرس لسانه بإمارته واقعاً قبل إمارته عليه السلام وانقطع بها، فتأمل ،والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «لأفرطنَّ» أي لأملأن، والعرب تشبّه الموت بالمشروب، فتستعير له ألفاظه كما في هذا الكلام.

والماتح ـ بنقطتين من أعلىٰ ـ: المستقي من فوق البئر، وبالياء مهموزة: مالئ الدلاء من تحته.

قوله عليه السلام: «استثبتهما»:

واستثبتُهما، بالثاء المعجمة بثلاث: طلبت منهما أن يَثُوبا أي يرجعا، وسمّي المنزل مَثَابة؛ لأنّ أهله ينصرفون في أمورهم ثم يتوبون إليه، ويروى: «ولقد اسْتَتَبْتُهما»، أي: طلبت منهما أن يتوبا إلى الله من ذنبهما في نقض البيعة.

واستأنيت بهما، من الأناءة والانتظار، انتهى من الشرح [٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٤.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٩.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٩.

وقوله عليه السلام: «**فغمطا النعمة**»:

وغَمط فلان النعمة، إذا حقَرها وأزدرى بها غمْطاً، ويجوز «غِمط» النّعمة بالكسر والمصدر غيرُ محرّك ويقال: إن الكسر أفصح من الفتح[1].

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٩.

[١٣٨]

ومن خطبة له عليه السلام يومىء فيها إلى ذكر الملاحم[(١)]:

يَعْطِفُ الْهَوَى على الْهُدَى إذا عَطَفُوا الْهُدَى على الْهَوَى، ويَعْطِفُ الرَّأيَ على الْقُرْآن، إذا عَطَفُوا القُرْآنَ على الرَّأيِ.

منها:

حتّى تَقُومَ الحَرْبُ بكُمْ على سَاقٍ بادِياً نَوَاجِذُها[(٢)]، ممْلُوءَةً أخْلاَفُها[(٣)]، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُها، ألاَ وَفي غَدٍ ـ وسَيأتي غدٌ بما لا تَعْرِفُونَ ـ يأخُذُ الوَالي[(٤)] مِنْ غيرِها عُمَّالَها[(٥)] على مَسَاوِي أعمالِها، وتُخْرِجُ لهُ الأرْضُ أفاليذَ[(٦)] كَبِدِها، وتُلْقِي إليْهِ سِلْماً[(٧)] مَقالِيدَها[(٨)]، فَيُريكُمْ كَيْفَ[(٩)] عَدْلُ السِّيرَةِ، ويُحْيِي مَيِّتَ الْكِتابِ والسُّنَّةِ.

منها:

كأنِّي به[(١٠)] قدْ نَعَقَ[(١١)] بالشَّامِ، وفَحَصَ[(١٢)] بِرَايَاتِهِ في ضَوَاحِي[(١٣)] كُوفَانَ، فَعَطَفَ

---

(١) العنوان في أ و ط: ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الملاحم.

(٢) النواجذ: أقصى الأضراس.

(٣) الاخلاف للناقة: حلمات الضرع، واحدها: خلف، وفي هـ. ب: جمع خلف.

(٤) في هـ. ب: الوالي هو المهدي عليه السلام.

(٥) في هـ. ب: يعني جميع العمّال الذين كانوا قبل... على مساوئ من المعاصي ويحاربهم.

(٦) في هـ. د: من أفاليذ ـ ب، وفي هـ. ب: أفاليذ جمع الأفلاذ، والأفلاذ جمع فلذة، وهو: القطعة من الكبد، وهذه إشارة الى الكنوز.

(٧) في هـ. أ: سِلماً وسَلماً معاً. وفي هـ. ب: أي صلحاً.

(٨) في هـ. ب: أي مفاتيحها. (٩) في هـ. ب زيادة: يكون.

(١٠) في هـ. ب: أشار عليه السلام إلى بعض من يخرج كالسفياني وغيره، وفي هـ. ص: قال في الشرح: هذا إخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق، وما قتل من العرب في أيام عبد الرحمن بن الأشعث، وقتله أيام مصعب بن الزبير.

(١١) في هـ. ب: نعر بها.

(١٢) في هـ. ب: فحَص أي أقلبها، فحص المطر النبات، أي أقلبه.

(١٣) في هـ. أ: ما يبرز للشمس من الأرض، وفي هـ. ب: نواحيها.

عليْها[١] عَطْفَ الضَّرُوسِ[٢]، وفَرَشَ الأرْضَ بالرُّؤُسِ[٣]، قدْ فَغَرَتْ فاغِرَتهُ[٤]، وثَقُلَتْ في الأرْضِ وطْأتُهُ[٥]، بَعِيدُ الجَوْلَةِ[٦]، عَظِيمُ الصَّوْلَةِ.

وألله لَيُشَرِّدَنَّكُمْ في أطْرَافِ الأرْضِ، حتّى لا يَبْقَى مِنْكُمْ إلاّ قَلِيلٌ كالْكُحْلِ في الْعَيْنِ، فَلَا تَزَالُونَ كذَلِكَ حتَّى تَؤُوبَ[٧] إلى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أحْلامِها[٨].

فالْزَمُوا السُّنَنَ القائِمَةَ، والآثارَ الْبَيِّنَةَ، والْعَهْدَ الْقرِيبَ الَّذِي عليْهِ باقي النُّبُوَّةِ، واعلَمُوا أنَّ الشَّيْطانَ إنَّما يُسَنِّي[٩] لَكمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ[١٠].

* * *

قولهعليه السلام: «يعطف الهوى على الهدى...»:

يفهم من كلام شرح ابن أبي الحديد ان الرواية في «يعطف» في الموضعين بالياء باثنتين من تحت، وذلك أنّه قال: هذه إشارة إلى إمامٍ يخلقه الله تعالى في آخر الزمان، وهو الموعود به في الأخبار والآثار، ومعنى «يعطف الهوى» يقهره ويثنيه عن جانب الإيثار والإرادة، عاملاً عَمَل الهدى، فيجعل الهدى قاهراً له، وظاهراً عليه.

وكذلك قولهعليه السلام: «ويعطف الرأي على القرآن» أي يقهر حكم الرأي والقياس والعمل بغَلَبة الظن عاملاً على القرآن.

وقولهعليه السلام: «إذا عطفوا الهدى» و«إذا عطفوا القرآن»:

إشارة إلى الفِرَق المخالفين لهذا الإمام، المشاقّين له، الذين لا يعملون بالهدى بل

---

(١) في ط: إليها.

(٢) في هـ. أ و ب: ناقة ضَروس: سيّئة الخلق تعضّ حالبها، وفي هـ. ص: هي الناقة سيّئة الخلق تعذلم وتخبط وتزبن.

(٣) في هـ. ب: من القتل.

(٤) في هـ ب: فتحت فمها، وفي هـ. ص: كأنّه شبّهه بأسد فتح فاه للضغم.

(٥) في هـ. ب: خطوته.

(٦) في هـ. ص: منصوب على الحال، أي لاتنهزم.

(٧) في هـ. ب: ترجع.

(٨) في هـ. ب: بواعد عقلها، وفي هـ. ص: جمع عازبة، أي مابعد عنها من عقولها، عزب عنه الرأي: أي بعد.

(٩) في هـ. ب: يسني: يرفع، وفي هـ. ص: أي يحسّن.

(١٠) في هـ. ص: مؤخّر القدم، مؤنثة، أي: لتتبعوه.

بالهوى، ولا يحكمون بالقرآن بل بالرأي، انتهى[١].

فان بينت الرواية «نعطف» بالنون، فهو إشارة إلى طريقة أئمة أهل البيت عليهم السلام جملة.

وفي كلام له عليه السلام: فقلت: يا رسول اللّه فأرشدني الى الفلج عند الخصومة يوم القيامة، فقال: نعم، اذا كان ذلك فاقتصر على الهدى اذا قومك عطفوا الهدى على الهوى، وعطفوا القرآن على الرأي، فتأوّلوا برأيهم ببيع الحجج من القرآن بمشبّهات الاشياء الكاذبة عند الطمأنينة إلى الدنيا والتهالك والتكاثر، فاعطف أنت الرأي على القرآن اذا قومك حرّفوا الكلم عن مواضعه عند الاهواء الساهية والامر الطامح والهرج المردي والهوى المطغي والشبهة الحالقة؛ فلاتنكلنّ عن فضل العاقبة؛ فإنّ العاقبة للمتقين؛انتهى

والظاهر ان «على» متعلقة بـ« تعطف»، لا بـ« عامد» المقدر كما يفهم من كلام الشارح، و معنى عطف القرآن على الرأي تأويله بما يوافق الرأي، وكذلك عطف الهدى على الهوى، أي جعله بتأويل حججه مطابقا للهوى، واللّه أعلم.

وقوله عليه السلام: «ألا في غد...الى اخر كلامه»:

قال في الشرح: هذا كلام منقطع عمّا قبله، وكان قد تقدم ذكر طائفة من الناس ذات ملك وامرة، فذكر ان الوالي ـ يعني الامام الذي يجعله[٢] اللّه تعالى في آخر الزمان ـ يأخذ عمال هذه الطائفة، أي يأخذهم بسوء أعمالهم[٣]، انتهى[٤].

أقول: الذي يقوى على الظن في ترتيب هذا الكلام :انّ قوله: «يعطف» متّصل بهذا الكلام، وموضعه آخر الكلام.

وقوله عليه السلام: «حتى تقوم الحرب بكم على ساق» وقوله: «كأني قد نعق بالشام» كلام متصل، موضعه مقدّم عليه.

والإشارة به إلى الطوائف المتغلّبة في الإسلام، وآخره تحذير من الدخول في شيء من أمرها.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٤٧. (٢) في ط: يخلقه.
(٣) في الشرح: لأخذ عمّال هذه الطائفة على سوء أعمالهم .
(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٤٦.

وأراد بـ«الغد» الزمن الآتي بعد زمانها الطويل.

وقوله عليه السلام: «من غيرها»، أي من غير هذه الفرق والطوائف الضالة، وذلك الغير: الفرقة الناجية من فرق الإسلام المذكورة في الحديث المشهور[١]، والأحاديث الكثيرة.

ويحتمل ـ مع عدم تحقق اتصال هذا الكلام بعضه ببعض ـ أن يكون قوله عليه السلام: «وتخرج له الأرض أفاليذ كبدها» متصل بقوله: «يعطف الهوى على الهدى» ويكون ذلك ذكر حال الإمام، ويكون قوله عليه السلام: «يأخذ الوالي ... الى قوله: أعمالها» من تتمة «حتى تقوم الحرب بكم على ساق» إشارة الى تغليب بني العباس على بني أُميّة وتسليطهم عليهم عقوبة لهم كما قد أشار إليه عليه السلام في مواضع من كلامه ،والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «فالزموا السنن القائمة... إلى آخر كلامه»:

أمرهم عليه السلام بأن يلزموا بعد زوال تلك الدولة الكتابَ والسنّة، والعهد القريب الذي عليه باقي النبوّة ـ يعني عهده وأيّامه عليه السلام ـ وكأنّه خاف من أن يكون بإخباره لهم بأنّ دولة هذا الجبّار ستنقضي إذا آبت إلى العرب عوازب أحلامها، كالأمر لهم باتباع ولاة الدولة الجديدة في كلّ ما تفعله، فاستظهرَ عليهم بهذه الوصيّة، وقال لهم: إذا ابتذلت الدولة، فالزموا الكتاب والسنّة، والعهد الذي فارقتُكم عليه؛ انتهى من شرح ابن أبي الحديد[٢].

---

(١) وهو قوله صلى الله عليه وآله: «افترقت أُمّة موسى إحدى وسبعين فرقة، واحدة ناجية والباقون في النار، وافترقت أُمّة عيسى اثنان وسبعون فرقة، واحدة ناجية والباقون في النار، وستفترق أُمّتي ثلاث وسبعون فرقة واحدة ناجية والباقون في النار؛ قيل: يارسول الله ومَن هم؟ قال صلى الله عليه وآله: هم من كانوا على ما أنا عليه وأصحابي».

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٤٨.

[١٣٩]

ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورىٰ:

لن[1] يُسْرِعْ أحَدٌ قَبْلي إلى دَعْوَةِ حَقٍّ وَصِلَةِ رَحِمٍ وعائِدَةِ كَرَمٍ. فاسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوا[2] منْطقي. عَسَىٰ أن تَرَوا هذا الأمْرَ منْ بَعدِ هذا الْيَوْمِ تُنْتضَى[3] فيهِ السُّيوفُ، وتُخانُ فيهِ الْعُهُودُ، حتَّى يكونَ بَعضُكُمْ أئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وشيعَةً لِأَهْلِ الجَهالةِ.

* * *

أورد ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام ما رسمه: عن عوانة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي.

قال الشعبي: واجتمع أهلُ الشورى على أن تكونَ كلمتُهم واحدة على مَنْ لم يبايع، فقاموا إلى عليّ، فقالوا: قم فبايع عثمان، قال: فإنْ لم أفعل، قالوا: نجاهدُك، قال: فمشى إلى عثمان حتى بايعَه[4]، وهو يقول: صدق الله ورسوله. فلما بايع أتاه عبدُ الرحمن بن عوف، فاعتذَر إليه؛ وقال: إن عثمان أعطانا يَده ويمينه، ولم تفعل أنت، فأحببتُ أن أتوثّق للمسلمين، فجعلتُها فيه، فقال: إيهاً عنك! إنّما آثرتَه بها لتنالها بعده، دقّ الله بينكما عطرَ مَنْشِم[5].

[قال الشعبيّ: وقدم طلحة من الشام بعدما بويع عثمان، فقيل له: رد هذا الأمر حتى ترى فيه رأيك؛ فقال: والله لو بايعتم شرّكم لرضيتُ، فكيف وقد بايعتم خيرَكم! قال: ثم عَدَا عليه بعد ذلك وصاحبه حتى قتلاه، ثم زعما أنهما يطلبان بدمه][6].

---

(١) في هـ. د: لم يسرع ـ ض ب.   (٢) في هـ. ب: احفظوا.

(٣) في هـ. ب: تسل.

(٤) راجع تفصيل ذلك في ما تقدّم من شرح الخطبة الشقشقية.

(٥) منشم: امرأة عطارة من خزاعة؛ فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا؛ فضرب ذلك مثلاً لشدّة الأمر.

(٦) من ط.

قال الشعبيّ: فأمّا ما يذكُره الناس من المناشدة، وقول عليّ عليه السلام لأهل الشورىٰ: أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله كذا؛ فإنّه لم يكن يوم البيعة، وإنما كان بعد ذلك بقليل؛ دخل عليٌّ عليه السلام على عثمان وعنده جماعة من الناس، منهم أهلُ الشورى، وقد كان بلغه عنهم هناتٌ وقوارضُ، فقال لهم: أفيكم...أفيكم؟! كلّ ذلك يقولون: لا، قال: لكنّي أخبركم عن أنفسكم؛ أمّا أنت يا عثمان ففررتَ يوم حُنَين، وتولّيت يوم التقى الجمعان، وأمّا أنت يا طلحة فقلت: إنْ مات محمد لنركضنّ بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا، وأمّا أنتَ يا عبد الرحمن، فصاحب قراريط، وأما أنت يا سعد فتدقّ عن أن تذكر.

قال: ثم خرج فقال عثمان: أما كان فيكم أحدٌ يردّ عليه! قالوا: وما منعك من ذلك وأنت أمير المؤمنين! وتفرّقوا.

قال عوانة: وحدثني يزيد بن جرير عن الشعبي، عن سفيان بن سلمة: أنّ علي بن أبي طالب لما انصرف إلى رحله بعد البيعة قال لبني أبيه: يابني عبد المطلب إنّ قومكم عادوكم بعد وفاة نبيّكم كعداوتهم في حياته، وإن يطع قومكم لا تؤمّروا أبداً والله لا ينيب هؤلاء إلى الحق إلّا بالسيف.

قال: وعبدالله بن عمر بن الخطاب داخل إليهم قد جمع الكلام كلّه فقال: يا أبا الحسن أتريد أن تضرب بعضهم ببعض؟

فقال: اسكت ويحك، فوالله لولا أبوك وما ركب منّي قديماً وحديثاً مانازعني ابن عفان ولا ابن عوف، فقام عبد الله فخرج.

قال الشعبي: وخرج المقداد من الغد فلقى عبد الرحمن بن عوف، فأخذ بيده وقال: إن كنت أردت بما صنعت وجه الله فأثابك الله ـ كما قال ـ ثواب الدّنيا والآخرة، وإن كنت أردت الدّنيا فأكثر الله مالك.

فقال عبد الرحمن: اسمع رحمك الله اسمع، فقال: لا أسمع والله، وجذب يده من يده ومضى حتى دخل على عليّ بن أبي طالب، فقال: قم فقاتل حتى نقاتل معك. فقال علي: فمن أُقاتل رحمك الله.

وأقبل عمّار بن ياسر ينادي:

ياناعي الإسلام قم فانعه قد مات عرف وبدا منكر

اما والله لو ان لي أعواناً لقاتلتهم، والله إن قاتلهم واحدٌ لأكوننّ له ثانياً.

فقال علي: يا أبا اليقظان، والله لا أجد عليهم أعواناً ولا أُحب أن أُعرضكم لما لاتطيقون.

وبقي عليّ في داره وعنده نفر من أهل بيته، وليس يدخل عليه أحد، فخافه عثمان[1].

قال عوانة: قال إسماعيل: قال الشعبيّ: فحدّثني عبد الرحمن بن جندَب، عن أبيه جندب بن عبد الله الأزديّ، قال: كنت جالساً بالمدينة حيث بويع عثمان، فجئت فجلست إلى المقداد بن عمرو؛ فسمعته يقول: والله ما رأيت مثلَ ما أتى إلى أهل هذا البيت! وكان عبد الرحمن بن عوف جالساً، فقال: وما أنت وذاك يا مقداد! قال المقداد: إنّي والله أحبّهم لحبّ رسول الله ﷺ، وإنّي لأعجب من قريش وتطاوُلهم على النّاس بفضل رسول الله، ثمّ انتزاعهم سلطانه من أهله. قال عبد الرحمن: أمّا والله لقد أجهدتُ نفسي لكم. قال المقْداد: أما والله لقد تركتَ رجلاً من الذين يقضون[2] بالحقّ وبه يعدلون! أما والله لو أنّ لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إيّاهم ببدر وأحُد. فقال عبد الرحمن: ثكلتْك أمّك؛ لا يسمعنّ هذا الكلامَ الناس، فإنّي أخاف أن تكون صاحب فتنة وفُرقة.

قال المقداد يا أبا عبد الرحمن[3]: إنَّ مَنْ دعا إلى الحقّ وأهله وولاة الأمر لايكون صاحب فتنة؛ ولكنْ مَنْ أقحم الناس في الباطل، وآثر الهوى على الحق، فذلك صاحب الفتنة والفُرْقة.

قال: فتربّد وجهُ عبد الرحمن [ثم قال: لو أعلم أنّك إيّايَ تعني لكان لي ولك شأن.

قال المقداد: إيّاي تهدّد يابنَ أمّ عبد الرحمن!][4] ثم قام عن عبد الرحمن، فانصرف.

قال جندب بن عبدالله: فاتّبعتُه، وقلت له: يا عبدَالله، أنا مِنْ أعوانِك، فقال: رحمك الله! إنّ هذا الأمر لا يغني فيه الرجلان ولا الثلاثة. قال: فدخلت من فوري ذلك عَلَى عليّ عليه السلام،

---

(١) من قوله: «قال عوانة..» الى هنا، لم يرد في ط.

(٢) في ط: يأمرون.

(٣) لم ترد «يا أبا عبد الرحمن» في ط.

(٤) من ط.

فلما جلست إليه، قلت: يا أبا الحسن، والله ما أصاب قومُك بصرف هذا الأمر عنك، فقال: صَبْرٌ جميل والله المستعان.

فقلت: والله إنّك لصبور! قال: فإنْ لم أصبِرْ فماذا أصنع؟ قلت: إني جلست إلى المقداد بن عمرو آنفاً وعبد الرحمن بن عوف، فقالا كذا وكذا، ثم قام المقداد فاتّبعته، فقلت له كذا، فقال لي كذا. فقال عليّ عليه السلام: لقد صدَق المقداد، فما أصنع؟ فقلت: تقومُ في الناس فتدعوهم إلى نفسك، وتخبرهم أنّك أولى بالنبي، وتسألهم النّصر على هؤلاء المتظاهرين[1] عليك، فإنْ أجابك عشرة من مائة شَدَدْتَ بهم على الناس[2]، فإن دانوا لك فذاك، وإلّا قاتلتَهم وكنت أوْلَى بالعذر؛ قُتِلتَ أو بقيت، وكنت أعْلَى عند الله حجّة.

فقال: أترجو يا جندب أن يبايعَني من كلّ عشرة واحد؟ قلت: أرجو ذلك، قال: لكنّي لا أرجو ذلك، لا والله ولا من المائة واحد، وسأخبرك؛ إنّ الناس إنّما ينظرون إلى قريش فيقولون: هم قوم محمّد وقبيلُه. وأما قريش بينها فتقول: إنّ آل محمّد يروْن لهم على الناس بنبوّته فضلاً، ويروْن أنّهم أولياءُ هذا الأمر دون قريش، ودون غيرهم من الناس، وهم إن وَلُوه لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبداً؛ ومتى كان في غيرهم تداولتْه قريش بينها؛ لا والله لا يدفَعُ الناسُ إلينا هذا الأمر طائعين أبداً!

فقلت: جعلت فداك يابن عمّ رسول الله! لقد صدعْتَ قلبي بهذا القول، أفلا أَرْجع إلى المصر، فأوذِنُ الناس بمقالتك، وأدعو النّاس إليك؟ فقال: يا جندب ليس هذا زمان ذاك.

قال: فانصرفتُ إلى العراق، فكنت أذكر فضل عليّ على الناس فلا أعدم رجلاً يقول لي ما أكره، وأحسن ما أسمعه قول مَنْ يقول: دع عنك هذا وخذ فيما ينفعك؛ فأقول: إنّ هذا مما ينفعني وينفعك، فيقوم عنّي ويدَعني.

وزاد أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري: حتى رُفِعَ ذلك من قولي الى الوليد ابن عُقْبة، لما ولينا، فبعث إليّ فحبسني حتى كُلِّم فيّ، فخلّى سبيلي، انتهى من شرح ابن أبي الحديد باختصار[3].

---

(١) في ط: المظاهرين.

(٢) في ط: على الباقين.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٥٥ ـ ٥٨.

[١٤٠]

ومن كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة الناس:

وإنَّما[١] يَنْبغي لأهْلِ الْعِصْمَةِ والمَصْنوعِ إليهِمْ في السَّلَامَةِ[٢] أنْ يَرْحَمُوا[٣] أهْلَ الذُّنُوب والمَعْصِيةِ، ويكُونَ الشكْرُ[٤] هُوَ الْغَالِبَ عليهِمْ، والحاجِزَ[٥] لهُمْ عنهُمْ، فكَيْفَ بالْغائِبِ الَّذِي عَاب أخاً وعَيَّرَهُ بِبَلْواهُ، أمَا ذَكَر مَوْضِعَ سَتْرِ ٱللهِ عليهِ منْ ذُنُوبِهِ ممَّا هُوَ أعْظَمُ منَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ[٦]!، وكَيْفَ[٧] يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قدْ رَكِبَ مِثْلَهُ، فانْ لمْ يكُنْ رَكِبَ ذلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِه فَقَدْ عَصَى اللهَ فيما سِوَاهُ ممَّا هُوَ أعْظَمُ مِنْهُ.

وَأيْمُ اللهِ لئِنْ لَمْ يكُنْ عَصَاهُ في الْكَبيرِ وَعَصَاهُ في الصَّغيرِ، لَجرأَتُهُ عَلى عَيْبِ الناسِ أكْبَرُ.

يا عَبْدَ اللهِ لاتَعْجَلْ في عَيْبِ أحَدٍ[٨] بِذَنْبِهِ فلَعلَّهُ مَغْفُورٌ[٩] لَهُ، ولا تَأمَنْ عَلى نَفْسِكَ صَغيرَ مَعْصِيَةٍ، فلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عليْه. فلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُم عَيْبَ غيرِهِ؛ لِمَا يَعْلَمُ منْ عَيْبِ نَفْسِهِ ولْيَكُنِ الشُّكْرُ شاغِلاً لهُ على مُعافاتِهِ ممَّا ٱبْتُلَى بِهِ غيْرُهُ.

* * *

اعلم ان الناس اختلفوا في انّه هل تجوز غيبة الفاسق مطلقاً، أو لا تجوز إلّا على وجه الشكاية منه والنصيحة لمن استشار فيه ونحوهما مما هو مذكور في الكتب الفقهية، وظاهر كلام أمير المؤمنين عليه السلام كما تراه، والذي يقرب الى فهمي ويتحصّل عندي من معنى كلامه عليه السلام ومغزاه هو نهي من يذكر العصاة على وجه التنقيص لهم والترفّع عليهم، كما هي

---

(١) في أ: فإنما، وفي هـ. د: فإنما ـ ن م ف.

(٢) في هـ. ص: أي المنعم عليهم بتسليمهم من ارتكاب المعاصي.

(٣) في هـ. د: وان يرحموا ـ ف ن.

(٤) في هـ. ص: أي على النعمة والعصمة.

(٥) في هـ. ب: المانع.

(٦) في هـ. د: الذي عابه به ـ ض ب.

(٧) في ص: فكيف.

(٨) في ب: عبد، وفي هـ. د: عبد ـ ش.

(٩) في هـ. ب، وفي نسخة: معفوّ.

طريقة المتناقصين والمتسابّين، قصداً لبخس حظّهم الدنيوي، ولا يقصِد بكـلامه فـيهم الانتصار لمحارم الله والعقوبة لهم على انتهاكهم وتعدّيهم حدود الله.

فأما ايقاعه على ذلك الوجه فذلك جائز بل قد يكون واجباً ومندوباً وقد فعله رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام وكبار الأئمة عليهم السلام، وقد سبقت منّا الإشارة إلى هذا المعنى وألفاظ الفصل يشير إليه، والله أعلم.

[١٤١]

ومن كلام له عليه السلام:

أيُّها النَّاسُ مَنْ عَرَفَ[١] منْ أخيهِ وثيقَةَ دِينٍ وسَدَادَ طَرِيقٍ، فلَا يَسْمَعَنَّ فـيهِ أقـاوِيلَ الرِّجَالِ[٢]. أمَا إنَّهُ قَدْ يَرْمِي ٱلرَّامِي، وتُخْطِئُ السِّهامُ، ويَحِيكُ[٣] ٱلْكَلَامُ، وَباطِلُ ذلِكَ يَبُورُ، وٱللهُ سَميعٌ وشَهيدٌ.

أمَا إنَّهُ ليسَ بيْنَ الْباطِلِ والحَقِّ إلَّا أرْبَعُ أصَابِعَ.

فَسُئِلَ عليه السلام عنْ مَعْنى قوْلِهِ هذا، فَجَمَعَ أصَابِعَهُ ووَضَعَها[٤] بينَ أُذُنِهِ وعَيْنِه، ثمَّ قالَ: الْباطِلُ أنْ تقُولَ: سَمِعْتُ، والحَقُّ أنْ تقُولَ: رَأيْتُ.

---

(١) في هـ. د: من علم ـ م.

(٢) في أ و ص: الناس، وفي هـ. ص، وفي نسخة: الرجال، وفي هـ. د: الناس ـ ن ف.

(٣) في ط: يحيل، وفي هـ. ص: يحيك، أي: يؤثر، يقال: ما حاك فيه السيف، أي ما أثّر، ويجوز: ما أحاك، وروي: ويحيل الكلام ـ باللام ـ أي يكون باطلاً، أحال الرجل في منطقه: إذا تكلّم بالمحال الذي لا حقيقة له، وروايته باللام أشهر، انتهى من شرح ابن أبي الحديد. وأقول: انّ روايته بالكاف أنسب ؛ لقوله: أما أنه قد يرمي الرامي...الخ، فهو كالمقدمة له ؛ لانّ السهم قد يخطىء والكلام قد يؤثّر، والله أعلم.

(٤) في ص: وجعلها.

ومن كلام له عليه السلام:

وليْسَ لِوَاضِعِ المَعْرُوفِ في غيرِ حقِّهِ وعِنْدَ غيرِ أهْلِهِ منَ الحَظِّ فيما أتىٰ إلَّا مَحْمَدَةُ ٱللِّئامِ[١]، وَثَناءُ الأشْرَارِ، ومَقالةُ الجُهَّالِ مادَامَ مُنْعِماً عليهم؛ ما أجْوَدَ يَدَهُ، وهُوَ عنْ ذَاتِ ٱللهِ[٢] بَخِيلٌ.

فَمَنْ آتاهُ اللهُ مالاً فَلْيَصِلْ بِهِ القَرَابَةَ، ولْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيافَةَ، ولْيَفُكَّ بِهِ الأَسِيرَ والْعانيَ[٣]، ولْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ والْغارِمَ[٤]، ولْيَصْبِرْ[٥] نَفْسَهُ[٦] على الحُقُوقِ والنَّوائِبِ ابْتِغاءَ ٱلثَّوابِ؛ فإنَّ فَوْزاً بِهذِهِ الخِصَالِ شَرَفُ مَكارِمِ الدُّنْيا، ودَرْكُ فَضَائِلِ الآخِرَةِ؛ إنْ شَاءَ اللهُ[٧].

* * *

هذا الكلام يتضمّن ذمّ من يُخرِج ماله إلى الفتيان والأقران والشعراء ونحوهم، ويبتغي به المدحَ والسمعة، ويعدل عن إخراجه في وجوه البرّ وابتغاء الثواب، قال عليه السلام: «ليس له من الحظّ إلّا محمَدة اللئام وثناء الأشرار، وقولهم: ما أجود يده»! أي ما أسمحه! وهو بخيل بما يرجع إلى ذات الله، يعني الصدقات وما يجري مجراها من صلة الرَّحم والضيافة وفكّ الأسير والعاني؛ وهو الأسير بعينه؛ وإنّما اختلف اللفظ. والغارم: من عليه الديون. ومراده: تقرير فضيلة هذه الخصال في النفوس، أي متى حصل للإنسان فوزٌ مّا بها؛ فقد حصل له الشرف، وهذا المعنى وإن اعطاه لفظة «الفوز» بالألف واللام إذا قصد بها الجنسية إلّا أنه قد

(١) في هـ. د: من الحظ الاّ محمدة اللئام ـ ب.

(٢) في هـ. ب: أي طاعة الله.

(٣) في هـ. ب: الأسير.

(٤) في هـ. ص: ذي الغرم.

(٥) في هـ أ: ليصبّر وليصبِّر ـ معاً ـ.

(٦) في هـ. ب: ليحبس، وفي هـ. ص: يقال صبّر نفسه على كذا: حبسها، انتهى من الشرح. أي ليحبس نفسه وإرادته على تأدية ما يحق عليه أداؤه والقيام بما ينوبه ولا ينفق في الأباطيل التي لا يندبه الشرع للإنفاق فيها.

(٧) لم ترد «إن شاء الله» في أ، وفي هـ. د: «ان شاء الله» ساقطة من م ف ن.

يسبق إلى الذهن منها الاستغراق لا الجنسية، فأتى بلفظةٍ لا توهِم الاستغراق؛ وهي اللفظة المنكرة؛ وهذا دقيق، وهو من لباب علم البيان، انتهى من شرح ابن أبي الحديد[1].

قلت: ومغزى كلامه عليه السلام ومراده الأهمّ، هو الحث على إنفاق المال لوجه الله، وقد يكون منه انفاقه في صنائع المعروف مع قصد صيانة العرض وقطع أذى اللسان، لا للسمعة والذكر. كما أشار إليه الحسن بن علي عليهما السلام في بعض قوله.

ومع الرغبة في مكارم الأخلاق وحبّها لذاتها ولما هي عليه من السراوة كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله في قصة إبنة حاتم الطائي.

وتوجّه ذمّه عليه السلام في هذا الفصل إلى من يقصر نفسه على الإعطاء في المصانعة أو يؤثره لينال مدح الناس ويتقي ذمّهم، فقال: إنّ ذلك يحصل مطلوبه هذا مادام منعماً عليهم، فإذا انقطع انقطع المدح بانقطاعه، بل ربما عاد مادحه منهم ذامّاً كما قد عرفته الخبرة، بخلاف من أعطى لله فإنّه يمدحه غير المنتفع بعطيته وإمارة كون الإعطاء لله عمومه لوجوه الإنفاق وكون الغالب وقوعه في المواضع الخالصة لله، وهي التي ذكرها عليه السلام صريحاً وأشار إلى غيرها بقوله: «وليصبّر نفسه على الحقوق والنوائب» وإلى الوجه المعتبر في الجميع أشار عليه السلام بقوله: «ابتغاء الثواب» وهذا الكلام مأخوذ من قوله تعالىٰ: **﴿وما تنفقوا من خيرٍ فلأنفسكم وما تُنفقون إلّا ٱبتغاء وجه ٱلله﴾**[2]، ومن قوله تعالىٰ: **﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خيرٍ فللوالدين والأقربين...﴾**[3].

قالوا: عدل عن بيان القدر المنفق المسؤول عنه وأشار إليه بقوله: «من خير» أي قليل الخير وكثيره سواء في القبول، الى بيان من يوضع فيه الخير؛ لبيان ان الاعتبار في القبول والإبانة بالمصرف لا بقدور المصروف وأنشدوا على ذلك قول الشاعر:

ان الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتى تصيب بها طريق المصنع

والله أعلم.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٧٥. (٢) البقرة: ٢ / ٢٧٢.
(٣) البقرة: ٢ / ٢١٥.

[١٤٣]

ومن خطبة له ﷺ في الاستسقاء:

أَلَا وإنَّ الأَرْضَ التي تَحْمِلكُمْ، والسَّماءَ التي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتانِ لِرَبِّكُمْ، وما أصْبَحَتا تَجُودَانِ لكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لكُمْ، ولا زُلْفَةً إلَيْكُمْ، ولا لِخيرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنكُمْ، ولكِنْ أُمِرَتَا بِمَنافِعِكُمْ فأَطَاعَتا وأُقِيمتا على حُدُودِ مَصالِحكُمْ فقامتا[١].

إنَّ اللهَ يَبْتَلي عِبَادَهُ عنْدَ الأَعمالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وحَبْسِ البَرَكاتِ، وإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الخيْرَاتِ لِيَتُوبَ تائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ[٢] مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ.

وَقدْ جَعلَ اللهُ سبحانه[٣] الاسْتِغْفارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ، ورَحمَةِ الخَلْقِ[٤]. فقال[٥]: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إنَّهُ كانَ غَفاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عليكُم مِدراراً ويُمْدِدكم بأموالٍ وَبنينَ)[٦] فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، واسْتَقالَ خَطِيئَته، وَبادَرَ مَنِيَّتَهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنا إليْكَ منْ تحْتِ الأَسْتارِ والأَكْنانِ، وبَعْدَ عَجِيجِ[٧] الْبَهائِمِ والْوِلْدَانِ، رَاغِبينَ في رَحْمَتِك، ورَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخائِفِينَ منْ عَذَابِكَ ونِقْمَتِك.

اللَّهُمَّ فاسْقِنا غَيْثَكَ، ولا تجْعَلْنا منَ الْقانِطِينَ، ولا تُهْلِكْنا بالسِّنين[٨]، ولا تُؤَاخِذْنا بِمَا فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنا إليْكَ نَشْكُو إلَيْكَ ما لَا يَخْفَى عليْكَ حِينَ أَلْجَأَتْنا المَضايِقُ الْوَعْرَةُ[٩]، وأجَاءَتْنا[١٠] المَقاحِطُ[١١] المُجْدِبَةُ، وأَعْيَتْنا[١٢] المَطالِبُ المُتَعسِّرَةُ، وتَلاَحَمتْ[١٣] عَلَيْنا الْفِتَنُ المُسْتَصْعِبَةُ.

---

(١) في د: فأقامتا، وفي هـ. د: فقامتا ـ ش.
(٢) في هـ. ب: يتّعظ.
(٣) في هـ. د: جعل الله الاستغفار ـ ض ب.
(٤) في أ: للخلق.
(٥) في هـ. د: فقال سبحانه ـ ض ح.
(٦) سورة نوح: ٧١ / ١٠.
(٧) في هـ. ب: صوت.
(٨) في هـ. ص جمع سنة، بمعنى الجدب.
(٩) في هـ. ب: الشديدة، وفي هـ. ص: الوعرة بالتسكين، وقد شبّه مطالب المعاصي في تصعّبها بمسالك صعبة في جبل وعر.
(١٠) في هـ. ب: أخرجتنا، وفي هـ. ص: جعلتنا جائين إليك.
(١١) في هـ. ص: جمع مقطحة، أي جدب.
(١٢) في هـ. ب: أعجزتنا.
(١٣) في هـ. ب: اتصلت، وفي هـ. ص: أي اتصل بعضها ببعض.

اللّهُمَّ إنَّا نَسأَلُكَ أنْ لا تَرُدَّنا خائِبينَ، ولا تَقْلِبْنا وَاجِمِينَ[١]، ولا تُخاطِبْنا[٢] بِذُنُوبِنا[٣]، ولا تُقايِسْنا بأعمالِنا[٤].

اللّهُمَّ انْشُرْ علينا غَيْثَكَ وَبَرَكَتكَ ورِزْقَكَ ورَحمَتَكَ، واسْقِنا سُقْيا نافِعةً[٥] مُرْوِيةً مُعْشِبةً تُنْبِتُ بها ما قَدْ فاتَ، وتُحيي بها ما قدْ مَاتَ[٦]، نافِعةَ الحَيا[٧]، كَثِيرةَ الْمجْتَنَى[٨]، تُرْوِي بها القيعَانَ، وتُسِيلُ الْبُطْنانَ[٩]، وتَسْتَوْرِقُ[١٠] الْأشْجارَ، وتُرْخِصُ الأسْعارَ، إنَّكَ على مَا تَشَاء[١١] قدِيرٌ.

---

(١) في هـ. ب: الواجم الذي اشتدّ حزنه حتى أمسك عن الكلام.

(٢) في هـ. د: ولا تعاقبنا ـ هـ م.

(٣) أي: لا تدعنا باسم المذنبين.

(٤) أي لا تجعل فعلك بنا مناسباً لأعمالنا.

(٥) في هـ. د: ناقعة ـ ح ر.

(٦) في أ: ما مات، وفي هـ. أ في نسخة: ما قد مات.

(٧) في هـ. ب: أي مجتمعة المطر.

(٨) في هـ. ب: الثمرة المجتناة.

(٩) جمع بطن وهو ما انخفض من الأرض، وفي هـ. ب: جمع البطن وهو الغامض من الأرض، وفي هـ. ص: جمع بطن: ما اطمأن من الأرض.

(١٠) في هـ. ب زيادة: بها وفي هـ. ص، وفي نسخة: زيادة بها.

(١١) في ص: على كل شيء، وفي هـ. ص في نسخة: على ما تشاء.

[١٤٤]

ومن كلام له عليه السلام:

بَعَثَ رُسُلَهُ[١] بما خَصَّهُمْ بهِ منْ وَحْيِهِ، وجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ على خَلْقِهِ، لِئَلَّا تجِبَ الحُجَّةُ لهمْ بِتَرْكِ الإعْذارِ[٢] إليهمْ، فدَعاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إلى سَبِيلِ الحَقِّ، ألا إنَّ اللهَ قدْ كَشَفَ الخَلْقَ كَشْفَةً[٣]، لا أنَّهُ جَهِلَ ما أخْفُوهُ منْ مَصُونِ[٤] أسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمائِرِهِمْ، ولكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أيُّهُمْ أحْسَن عَمَلاً، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، والْعِقابُ بَوَاءً[٥].

أيْنَ الذِينَ زَعَمُوا أنَّهُم الرَّاسِخُونَ[٦] في الْعِلْمِ دُونَنا، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنا: أنْ رَفَعَنا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وأعْطَانا وحَرَمَهُمْ، وأدْخَلَنا وأخْرَجَهُمْ، بِنا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، ويُسْتَجْلَى[٧] الْعَمَى.

إنَّ الأئِمَّةَ مِنْ قُرَيْش، غُرِسُوا في هٰذَا الْبَطْنِ مِنْ هاشِمٍ، لا تَصْلُحُ عَلى سِوَاهُمْ، وَلا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

منها:

آثَرُوا عاجِلاً وأخَّرُوا آجِلاً، وتَرَكُوا صَافياً، وَشَرِبُوا آجِناً[٨]، كأنِّي أنْظُرُ إلى فاسِقِهِمْ وَقدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فألِفَهُ[٩]، وَبَسِئَ[١٠] بِهِ وَوَافَقَهُ، حَتّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وصُبِغَتْ بِهِ

---

(١) في هـ. د: بعث الله رسله ـ ح ب.

(٢) في هـ. ب: الأعذار: نصب العذر وإقامته وتمهيله.

(٣) أي علم حالهم.

(٤) في ص: مصونات وفي هـ. ص في نسخة: مصون.

(٥) في هـ. أ: جزاء، وفي هـ. ب: سواءً للأعمال، وفي هـ. ص: أي كفاءً لعملهم ومماثلاً له.

(٦) في هـ. ب: أي الذين يدعون أنّهم راسخون كذباً.

(٧) في ب و ص: وبنا يستجلي.

(٨) الآجن: الماء المتغيّر اللون والطعم، الكدر.

(٩) في هـ. ب: أي ألف المنكر فاسقهم.

(١٠) في هـ. أ: بسي مقصور، يسيء بالامداد: استأنس به، وبسا لغة فيه، وفي هـ. ب: بسيء وبساء: إذا استأنس به.

خَلاَئِقُهُ[١]، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً[٢] كالتيّارِ[٣] لايُبَالي ما غَرَّقَ، أَوْ كَوَقْعِ النّارِ في الْهَشِيمِ لايَحْفِلُ[٤] ما حَرَّقَ[٥]، أَيْنَ ٱلْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ[٦] بِمَصَابِيحِ الْهُدَى، والْأَبْصَارُ اللاَّمِحَةُ[٧] إلى مَنَارِ[٨] التقْوَى، أَيْنَ ٱلْقُلُوبُ الَّتي وُهِبَتْ للّهِ وعُوقِدَت عَلى طَاعَةِ ٱللهِ، ازْدَحَمُوا[٩] عَلى الحُطَامِ[١٠]، وتَشاحُّوا عَلى الحَرَامِ، وَرُفِعَ[١١] لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ والنَّارِ، فَصَرَفُوا عَنِ ٱلْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ، وأَقْبَلُوا إلى[١٢] النَّارِ بأَعْمالِهِمْ، دَعاهُمْ[١٣] رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا[١٤] وَ وَلَّوْا، وَدَعاهُمُ ٱلشَّيْطانُ فاسْتَجابُوا وأَقْبَلُوا.

* * *

قوله ﷺ: «**بعث رسله... إلى آخره**»:

هذا الكلام مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿رسلاً مبشِّرين ومنذرين لئلَّا يكونَ لِلنّاس على الله حُجّة بعد الرّسُل﴾[١٥].

* * *

قوله ﷺ: «**قد كشفت الخلق كشفة**»:

أي: بما تعبّدهم به من الشرعيات على ألسنة الأنبياء، ولم يكن أمرهم خافياً عنه فيحتاج إلى أن يكشفهم، بل هو عالم بمن يطيع ومن يعصي، ولكن ليظهر الأفعال التي هي مناط الثواب والعقاب، فجعل ذلك ابتلاءً واختباراً؛ لأنّه يشبه فعل المختبر. وعلىٰ نحوه

(١) في هـ . ب: أي صارت طباعاً، من قوله تعالىٰ: ﴿صبغةَ ٱلله﴾.
(٢) في هـ . ب: أي ذو زبد.
(٣) في هـ . ب: يموج.
(٤) في هـ . ب: أي لا يبالي.
(٥) في ص: بما حرّق.
(٦) في هـ . ب: المتخذة لنفسها مصباحاً وسراجاً.
(٧) في هـ . ب: الناضرة.
(٨) في هـ . ب: علم، وفي هـ . د: منازل التقوى ـ ح وهـ ن، منابر التقوىٰ ـ م.
(٩) في هـ . ب: اجتمعوا.
(١٠) في هـ . ب: ما تكسر من اليبس [فترك] استحقاراً له.
(١١) في هـ . ب: كلام مستأنف؛ لأنّه ﷺ عاد إلى ذمّ الناس.
(١٢) في هـ . ص في نسخة: على.
(١٣) في هـ . أ: ودعاهم ـ ض ح ب.
(١٤) في ب: فتفرقوا، وفي هـ . ب، وفي نسخة: فنفروا.
(١٥) سورة النساء: ٤ / ١٦٥.

يحمل كل ابتلاء واختبار اسند إلى الله تعالىٰ.

وقد جعل عليه السلام ذلك مقدّمة لبيان أنّ الله أوجب حقّ أهل البيت على الناس وعلّة له كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ مَثَلُ أهل بيتي فيكم كَمَثَلِ باب حطَّةٍ في بني إسرائيل مَنْ دخله غُفر لَهُ»، والله أعلم.

قال في شرح ابن أبي الحديد: هذا الكلام كناية وإشارة إلى قوم من الصحابة كانوا ينازعونه الفضل؛ فمنهم مَنْ كان يدّعى له أنّه أفرَض، ومنهم من كان يدّعى له إنّه أقرأ، ومنهم كان يدّعى له أنّه أعلم بالحلال والحرام. هذا مع تسليم هؤلاء له أنّه عليه السلام أقضى الأُمّة، وأنّ القضاء يحتاج إلى كلّ هذه الفضائل، وكلّ واحدةٍ منها لا تحتاج إلى غيرها، فهو إذنْ أجمع للفقه وأكثرهم احتواء عليه، إلّا أنّه عليه السلام لم يرض بذلك ولم يصدق الخبر الذي قيل: «أفرَضكم فلان» إلى آخره فقال: إنّه كذب وافتراء حمل قوماً على وضعه الحسدُ والبغي والمنافسة لهذا الحيّ من بني هاشم، أن رفعهم الله على غيرهم، واختصّهم دونَ مَنْ سواهم.
«وأنْ» هاهنا للتعليل، أي «لأنْ». انتهىٰ[1].

وما ذكره محتمل، والأظهر أنّه عليه السلام يشير بذلك إلى قول من كان يقول: ان غيره عليه السلام أحق بأمر الإمامة منه، وانّه لا يصلح لها؛ إمّا لأنّ فيه دعابة، وإمّا لأنّه حدث، وإمّا لأنّه مزهو، وإمّا لغير ذلك من الأُمور كما هو مرويّ عن عمر وغيره.

وأتى في العبارة عن استحقاق الامامة بـ«الرسوخ»؛ تنبيهاً منه عليه السلام على ان عماد الإمامة وملاكها هو الرسوخ في العلم، امّا كون الامام أرسخ أهل زمانه على الصحيح، أو من راسخيهم؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿أفمن يهدي الى الحقّ أحقُّ أن يُتَّبع أمّ مَنْ لا يَهِدّي إلّا أنْ يُهدَىٰ﴾[2]، وغير ذلك من الأدلّة من الكتاب والسنّة الدالة على أعلمية الإمام، فقال عليه السلام: من ادّعى أنّه أحقّ بالإمامة منّا فقد ادّعى أنّه أرسخ منّا وقد دلّت الأدلة: إنّا نحن الراسخون والمرجع والمفزع والأمن من الضلال فما سبب تلك المقالة إلّا الكذب والبغي علينا حسداً لنا على فضلنا.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٨٦.
(٢) سورة يونس: ١٠ / ٣٥.

والدليل على أنّ هذا مراده: قولهعليه السلام بعده: «إنّ الأئمة من قريش غرسوا... إلى آخره» فهذا الكلام كلّه في شأن الإمامة وبيان مستحقّها، وتبيين لأن من حكم له بالامامة محكوم له بالرسوخ في العلم، والدلالة على الهدى وكشف العمى، كما إنّ من حكم له بالرسوخ في العلم وإنّ الحق معه والهدى محكوم له بالامامة؛ لأنّهما متلازمان، فما دلّ على أحدهما دلّ على الآخر.

وفيه ردّ على من يزعم أنّ غير أئمة أهل البيت أعلم منهم بالشرعيّات والإلٰهيّات، وهذه فتنة وقع فيها كثير ممّن يدّعي التتبع، والله المستعان.

قولهعليه السلام: **«إنّ الأئِمّة من قريش... إلى آخره»**:

«من» في قوله:«من هاشم» للتبعيض، ولا تصلح أن تكون للبيان لأنّه لم يقل بمقتضاه ـ وهو أنّ الإمامة مقصورة على بني هاشم عموماً ـ أحدٌ، يتحرّج هذا القول علىٰ مذهبه؛ لأنّ الشيعة تقول هي في ولد البطنين عموماً أوخصوصاً أو في ولد علي عموماً أو خصوصاً، والعباسية تقول هي في ولد العباس خصوصاً، فاعرف ذلك.

[اختلاف الفرق الإسلامية في كون الأئمة من قريش]:

قال ابن أبي الحديد: اختلف الناس في اشتراط النسب في الإمامة، فقال قوم من قدماء أصحابنا: إنّ النسب ليس بشرط فيها أصلاً [وانّها تصلح في القرشيّ وغير القرشيّ إذا كان فاضلاً مستجمعاً للشرائط المعتبرة، واجتمعت الكلمة عليه][1] وهو قول الخوارج.

وقال أكثرُ أصحابنا: وأكثرُ النّاس أنّ النسب شرط فيها، وأنّها لا تصلح إلّا في العرب خاصّة؛ ومن العرب في قريش[2] خاصّة [وقال أكثرُ أصحابنا: معنى قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «الأئمة من قريش» إنّ القرشيّة شرط إذا وُجِد في قريش من يصلح للإمامة؛ فإن لم يكن فيها مَنْ يصلح، فليست القرشية شرطاً فيها.

وقال بعضُ أصحابنا: معنى الخَبر أنّه لا تخلُو قريش أبداً ممّن يصلح للإمامة، فأوجبوا بهذا الخبر وجود مَنْ يصلُح من قريش لها في كلّ عصر وزمان][3].

---

(١) من ط.

(٢) في ط: فقريش.

(٣) من ط .

وقال معظم الزّيدية: إنّها في الفاطميّين خاصّة من الطالبيّين، لا تصلُح في غير البطنيْن، ولا تَصحّ إلّا بشرط أن يقومَ بها ويدعو إليها فاضل زاهد عالم عادل شجاع سائس. وبعض الزيدّية يجيز الإمامة في غير الفاطميّين من ولد عليّ؛ وهو من أقوالهم الشاذّة.

وأما الراونديّة فإنّهم خَصُّوها بالعبّاس ﷺ وولده من بين بطون قريش كلّها؛ وهذا القول الّذي ظهر في أيّام المنصور والمهديّ.

وأمّا الإماميّة فإنّهم جعلوها ساريةً في ولد الحسين في أشخاصٍ مخصوصين، ولا تصلح عندهم لغيرهم. وجعلها الكيْسانية في محمّد بن الحنفيّة وولده، ومنهم مَنْ نقلها منه إلى ولد غيره.

فإن قلت: إنك شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزلة وأصولهم، فما قولك في هذا الكلام وهو تصريح بأنّ الإمامة لا تصلح من قريش إلّا في بني هاشم خاصّة، وليس ذلك بمذهب للمعتزلة؛ لا متقدّميهم ولا متأخّريهم!

قلت: هذا الموضع مشكل، ولي فيه نظر؛ وإن صحّ أنّ عليّاً، قاله، قلت كما قال، لأنّه ثبت عندي أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّه مع الحق، وإنّ الحق يدور معه حيثما دار»، ويمكن أن يتأوّل ويطبّق على مذهب المعتزلة فيحمل على أن المراد به كمالُ الإمامة كما حمل قوله ﷺ: «لا صلاة لجارِ المسجد إلّا في المسجد»، على نفي الكمال، لا على نفي الصحّة، انتهى[١].

أقول: يقال له: إنّك قد أقررت بأنّه نصّ صريح فلا يحتمل التأويل.

ثم إنّه يدفع هذا التأويل قوله: «لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم» على أنّ ما نصّه قد تواتر معناه عن رسول الله ﷺ وأجمع عليه أهل البيت، وكيف يعدل عن الصريح المطابق للدليل القطعي إلى ما لا دليل عليه لولا الهوى والعصبيّة لمذهب الأسلاف.

قوله: «آثروا عاجلاً... إلى آخره».

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٨٥.

الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنّ هذا الكلام من هنا إلى آخر الخطبة يعني به مخالفيه منذ قبض رسول الله ﷺ إلى آخر مدّته ثم من اتّبعهم على طريقتهم جعلهم جملة واحدة وفصّل أحوالهم باعتبار التهتّك والتستّر، وكلهم مشتركون في إيثار الدنيا على الآخرة ومخالفة الهدى الذي أُمروا بلزومه، والله أعلم.

[١٤٥]

ومن خطبة له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ[١] تَنْتَضِلُ[٢] فِيهِ[٣] الْمَنَايَا؛ مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ؛ لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ؛ وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ[٤] لَهُ أَثَرٌ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ[٥] جَدِيدٌ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ. وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ!

منها:

وَمَا أُحْدِثَتْ بدعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ. فَاتَّقُوا الْبِدَعَ، وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ[٦]. إِنَّ عَوَازِمَ[٧] الأُمورِ أَفْضَلُها، وَإِنَّ مُحْدَثَاتِها شِرَارُها.

* * *

قوله عليه السلام: «لا تَنالون منها نعمة إلّا بفراق أُخرىٰ»:

هذا معنى لطيف، وذلك أنّ الإنسان لا يتهيّأ له أن يجمع بين الملاذّ الجسمانية كلّها في وقت، فحال ما يكون آكلاً لا يكون مجامعاً، وحال ما يشرب لا يأكُل، وحال ما يركب للقَنَص والرّياضة، لا يكون جالساً على فراش وثير ممهّد؛ وعلى هذا القياس لا يأخذ في

---

(١) في هـ. ب: هدف، وفي هـ. ص: الغرض: ما ينصب ليرمى، وهو الهدف.
(٢) في هـ. ب: يرمى، وفي هـ ب: تترامى فيه للسبق، انتهى من الشرح.
(٣) في ب: فيكم وفي هـ. ب، وفي نسخة: فيه، وفي هـ. د: فيكم ـ ش، وفي الهامش ـ فيه.
(٤) في هـ. ب: فات.
(٥) لم ترد «له» في أ.
(٦) في هـ. ب: المنهج أي الزموا الطريق، وفي هـ ص: الطريق الواضح، والميم مفتوحة.
(٧) في هـ. ب: أي أنّ واجبات الأمور من أمر الله، وفي هـ. ص: ما تقادم منها، من قولك عجوز عوزم، أي مسنّة، انتهى من الشرح.

ضَرْب من ضُروب الملاذّ إلّا وهو تارك لغيره منها، انتهى من الشرح[1].

قوله عليه السلام: «وما أحدثت بدعة...»:

البِدْعة: كل ما أحدث مما لم يكنْ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فمنها الحَسن كصلاة التراويح، ومنها القبيح كالمنكرات التي ظهرت في أواخر الخلافة العثمانية؛ وإن كانت قد تُكُلّفت الأعذار عنها.

ومعنى قوله عليه السلام: «ما أحدِثتْ بدعة إلّا تُرِكَ بها سنّة»؛ أنّ من السنّة ألّا تحدث البدعة، فوجود البدعة عدمٌ للسنّة لا محالة، انتهى من الشرح[2].

قلت: ومعنى اللفظ العموم، لأنّ بدعة نكرة في سياق النفي فيعمّ ما زعموه حسناً كصلاة التراويح فقد ترك بإحداثها سنّة متّفق عليها وهي إخفاء النوافل، وكالتفضيل في العطاء الذي كان سبب الفرقة وكم بدعة أحدثها عمر جعلها العامّة سنّة، وسمّوا مجموعها أُصول السنّة وعادوا عليها من أوجب الله عليهم مودّته من أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسمّوهم بسبب مخالفتها: مبتدعة؟! والله المستعان.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٩٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٩٤.

[١٤٦]

ومن كلام له عليه السلام لعمر بن الخطّاب[١] وقد استشاره في الشخوص لقتال الفرس[٢] بنفسه[٣]:

إنَّ هذا الأمْرَ لمْ يكُنْ نَصْرُهُ ولا خِذْلانُهُ بكَثْرَةٍ ولا قِلَّةٍ[٤]، وهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أظْهَرَهُ، وجُنْدُهُ الَّذِي أعَدَّهُ وأمَدَّهُ[٥]، حتى بَلَغَ ما بَلَغ، وطَلَعَ حَيْثُ[٦] طَلَعَ، ونحْنُ على مَوْعُودٍ مِنَ اللهِ، واللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وناصِرٌ جُنْدَهُ، ومكانُ الْقَيِّمِ[٧] بالأمْرِ مكان النِّظامِ[٨] مِنَ الخَرَزِ، يَجْمَعُهُ ويَضُمُّهُ. فإنْ[٩] انْقطَعَ النِّظامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ[١٠]، ثمَّ لمْ يَجْتَمِعْ بِحَذافِيرِهِ[١١] أبداً.

والْعَرَبُ الْيَوْمَ وإنْ كانُوا قَلِيلاً فهُمْ كَثِيرُونَ بالإسْلاَمِ، عَزِيزُونَ[١٢] بالإجتماعِ، فكُنْ قُطْباً واسْتَدِرِ الرَّحى بالْعَرَبِ، وأصْلِهِمْ[١٣] دونَكَ نارَ الحَرْبِ؛ فإنَّكَ إنْ شَخَصْتَ[١٤] منْ هذِهِ الأرْضِ انْتَقَضَتْ عليْكَ الْعَرَبُ منْ أطْرَافِها وأقْطَارِها، حتى يكُونَ ما تَدَعُ وراءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ[١٥] أهَمَّ إليْكَ ممَّا بينَ يَدَيْكَ.

---

(١) لم ترد «ابن الخطاب» في أ و ص. (٢) في أ و ط: في غزو الفرس.

(٣) في هـ. ص: قيل في غزاة القادسية. وقيل في غزاة نهاوند، وعلى كلا القولين فإنّ عمر عمل على رأيه عليه السلام، تمت من الشرح.

(٤) في أ و ب ط: ولا بقلة، وفي هـ. د، ولا قلة ـ ن ب.

(٥) في هـ. د: أعزّه وأيّده ـ حاشية م. (٦) في ط و د: حيثما، وفي هـ. د: حيث ـ ش.

(٧) في هـ. ب: هو قائم بإصلاح أمر على الاستمرار.

(٨) في هـ. ص: هو الخيط، ويقال له: السلك. (٩) في ط و د: فإذا.

(١٠) في ط: تفرق الخرز وذهب، وفي هـ. د: تفرق الخرز وذهب ـ ض ب.

(١١) في هـ. ب: حذافير الشيء: أعاليه، يقال: أعطاه الدنيا بحذافيرها: أي بأسرها، الواحدة: حذفار، وفي هـ. ص: هي أعالي الشيء ونواحيه واحدها: حذفار. من الشرح.

(١٢) في ب و ص: وعزيزون.

(١٣) في هـ. ب: أي اجعلهم يصلون نار الحرب ويحترقون بها، وفي هـ. ص: أي إجعلهم صالين لها مقاسين لحرّها وشدّتها. (١٤) أي خرجت.

(١٥) في هـ. ص: هي الأحوال التي يخاف انتقاضها في ثغر أو حرب، من الشرح.

إنَّ الأعاجِمَ إنْ يَنْظُرُوا إليْكَ غَداً يَقُولُونَ هذا أَصْلُ الْعَرَبِ فإذا اقتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ[1]، فيكُونُ ذلِكَ أَشَدَّ لِكلَبِهِمْ[2] عَلَيْكَ وطَمَعِهِمْ فِيكَ.

فأمَّا ما ذَكَرْتَ منْ مَسيرِ الْقَوْمِ إلى قِتالِ المُسْلِمينَ؛ فإِنَّ اللهَ سُبْحانهُ هُوَ أكْرَهُ لِمَسيرِهِمْ مِنْكَ، وهوَ أَقْدَرُ على تَغْيِيرِ مَا يكْرَهُ.

وأمَّا ما ذَكَرْتَ منْ عَدَدِهِمْ، فإِنَّا لمْ نَكُنْ نُقاتِلُ فِيما مَضَى بالْكَثْرَةِ، وإِنَّما كُنَّا نُقاتِلُ بالنَّصْرِ والمَعُونَةِ.

(١) في هـ. د: استرحتم منه ــ م.
(٢) في هـ. ب: أي شدّتهم، وفي هـ. ص: هو الشرّ والأذى، من الشرح.

[١٤٧]

ومن خطبة له عليه السلام:

فَبَعَثَ مُحَمَّداً[(١)] صلّى اللهُ عليْهِ وآلِهِ بالْحقِّ لِيُخْرِجَ عِبادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأوْثـانِ[(٢)] إلى عِبَادَتِه، ومِنْ طَاعَةِ الشَّيْطانِ إلى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ[(٣)]، قدْ بَيّنَهُ وأحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ[(٤)] الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إذْ جَهِلُوهُ، ولِيُقِرُّوا بِهِ بعد إذ[(٥)] جَحَدُوهُ، ولِيُثْبِتُوه بعْدَ إذْ[(٦)] أنْكَرُوهُ، فَتَجلَّى[(٧)] لَهُمْ سبْحانَهُ[(٨)] في كِتابِهِ منْ غيرِ أنْ يكُونُوا[(٩)] رَأوْهُ بما أراهُمْ منْ قُدْرَتِهِ، وخَوَّفَهُمْ منْ سَطْوَتِه، وكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بالمَثُلَاتِ[(١٠)]، واحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بالنَّقَماتِ، وإنّهُ سَيأتي عَلَيْكُمْ منْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فيهِ شيءٌ أخْفَى مِنَ الْحَقِّ، ولا أظْهَرَ منَ الْباطِلِ. ولا أكْثَرَ مِـنَ الْكَـذِبِ عـلى اللهِ ورَسُولِهِ، وليْسَ عِنْدَ أهْلِ ذلِكَ الزَّمانِ سِلْعَةٌ أبْوَرُ[(١١)] منَ الْكِتابِ إذا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، ولا أنْفَقُ[(١٢)] منْهُ إذا حُرِّفَ[(١٣)] عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ فِي الْبِلاَدِ شَيْءٌ أنْكَرَ مِنَ المَعْرُوفِ، وَلاَ أعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَناسَاهُ حَفَظَتُهُ، فالكِتابُ يَوْمَئِذٍ وأهْلُهُ[(١٤)] مَنْفِيَّان[(١٥)]

---

(١) في ب: فبعث الله محمّداً، وفي هـ. د: فبعث الله محمّداً ـ ص ح ش.

(٢) في هـ. ص: جمع وثن، وهو الصنم، ويجمع ـ أيضاً ـ على وثن وسمّي به لانتصابه وثباته على حالة واحدة، انتهى من الشرح. (٣) في هـ. ب: أي ليخرج بقرآن.

(٤) في هـ. ب: قد بيّنهُ ليعلم، اللام متعلق ببينه.

(٥) في ص: «أن» وفي هـ. ص، في نسخة: إذ. (٦) في ص: ان.

(٧) في هـ. ب: أي ظهر بدلائل القرآن، وتقديره، فتجلّى بما أراهم.

(٨) في هـ. ب: فتجلى سبحانه لهم، وفي هـ. د: فتجلى سبحانه لهم ـ ش.

(٩) في هـ. د: لم ترد «يكونوا» في ف.

(١٠) في هـ. ب: محق: هلك من هلك بالعقوبات: بالنقمات أو البلايا والشدائد.

(١١) في هـ. أ: أكسد، وفي هـ. ب: أكسد، أفعل، من بار المتاع: إذا كسد.

(١٢) أي أكثر رواجاً. (١٣) في هـ. ب: غيّر.

(١٤) في هـ. ب: إشارة الى قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي».

(١٥) في ط: طريدان منفيّان، وفي هـ. د: طريدان منفيان ـ ض ح ب.

طَرِيدَانِ، وصاحِبانِ مُصْطَحِبانِ في طَرِيقٍ واحِدٍ لايُؤْوِيهِما[١] مُؤْوٍ، فالكِتابُ وأهْلُهُ فـي ذَلِكَ ٱلزَّمانِ في النَّاسِ ولَيْسَا فِيهِمْ ومَعَهُمْ وليسامعهم؛ لأنَّ ٱلضَّلالَةَ لا تُوَافِقُ الْهُدَى وإِنِ ٱجْتَمَعا. فاجْتَمَعَ[٢] الْقَوْمُ عَلى الْفُرْقَةِ، وافْتَرَقُوا عن الْجَماعَةِ، كأنَّهُمْ أئمَّةُ الكِتابِ ولَيْسَ الكِتابُ إمامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ[٣] إلّا اسمهُ، ولا يَعْرِفُونَ إلّا خَطَّهُ وزَبْرَهَ[٤]، ومِنْ قَبْلُ ما مَثَّلُوا[٥] بالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ[٦]، وسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلى اللهِ فِرْيَةً[٧]، وجَعَلُوا في الحَسَنَةِ عُقُوبَةَ[٨] السَّيِّئَةِ.

وإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمالِهِمْ، وتَغَيُّبِ آجالِهِمْ، حَتى نَزَلَ بِهِمُ المَـوْعُودُ[٩] الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ المَعْذِرَةُ، وتُرْفَعُ عَنْهُ التوْبَةُ، وتَحُلُّ مَعَهُ الْقارِعَةُ[١٠] والنِّقْمَةُ.

أيُّهَا النَّاسُ إنّه مَنِ ٱسْتَنْصَحَ ٱللهَ[١١] وُفِّقَ، ومَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتي هِيَ أقْوَمُ، فإنَّ جارَ ٱللهِ آمِنٌ[١٢]، وعَدُوَّه[١٣] خائِفٌ[١٤]، وإنَّهُ لا يَنْبَغي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ أنْ يَتَعَظَّمَ، فإنَّ[١٥] رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلمُونَ ما عَظَمَتُهُ أنْ يَتَواضَعُوا لهُ، وسَلامَةَ الَّذِينَ يَـعْلَمُونَ مـا[١٦]

---

(١) في هـ . ب: من آويت الغريب: إذا ضممته إليّ مكرّماً فأنا مـؤوٍ. لايـؤويهما: أي لا يشـفق عليهما مشفق.

(٢) في هـ . د: واجتمع ـ ف ن.

(٣) لم ترد «منه» في أ و ص.

(٤) الزبر: مصدر كتب، وفي هـ . ب: الزبر: الكتب، وفي هـ . ص: هو مصدر زبرت أزبر ـ بالضم ـ أي كتبت، وجاء «إزبر» بالكسر، من الشرح.

(٥) في هـ . ب: من المثلة، و «ما» يجوز أن تكون مصدرية، ويجوز أن تكون موصولة، والأوّل أحسن، وفي هـ . ص: بالتخفيف: نكلوا بهم، ومن روى: «مثّلوا» بالتشديد أراد جَدعوهم بعد قتلهم. من الشرح.

(٦) في هـ . ب: عقوبة.

(٧) بالكسر، أي: كذباً، وفي هـ . ب: كذبا.

(٨) في ب و د: العقوبة، وفي هـ ب : عقوبة السيئة، على الاضافة أحسن، وفي هـ د: عقوبة السيئة ـ ف ن ض خ.

(٩) في هـ . ب: الموت.

(١٠) أي: الداهية المهلكة.

(١١) في هـ . ص: أي من أطاعه علما منه إنّه لم يأمره إلّا بما هو أصلح له، ولم ينهه إلّا عمّا لا خير له فيه.

(١٢) في هـ . ص: أي هو مستحق للأمن وإن خاف.

(١٣) في هـ . د: وعدوّ الله ـ ب.

(١٤) في هـ . ص: أي هو يعرض الهلكة وإن أمِنَ.

(١٥) في هـ . د: وان ـ ف.

(١٦) «ما» مشطوب عليها في أ.

قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لهُ، فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ الحَقِّ نِفارَ الصَّحِيحِ منَ الْأَجْرَبِ، والْبَارِي[١] منْ ذِي السُّقْمِ، واعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ[٢]، ولَنْ تأخُذُوا بِميثاقِ[٣] الكِتابِ حتَّى تَعْرِفُوا الذِي نَقَضَهُ، ولَنْ تَمسَّكُوا[٤] بِهِ حتّى تَعْرِفُوا الذِي نَبَذَهُ، فالْتَمِسُوا ذَلِكَ منْ عِنْدِ أَهْلِهِ[٥]، فإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ومَوْتُ الجَهْلِ، هُمْ الذِينَ يُخبِرُكُم حُكمُهُمْ[٦] عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ[٧]، وَظاهِرُهُمْ عَنْ باطِنِهِمْ، لا يُخالِفُونَ الدِّينَ ولايَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شاهِدٌ صادِقٌ، وَصامِتٌ ناطِقٌ.

* * *

قوله عليه السلام: «ليعلم العباد ربهم...»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: فإن قلت: ظاهر الكلام أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام بُعث إلى الناس ليقرُّوا بالصانع ويثبتوه؛ وهذا خلاف قول المعتزلة، لأنّ فائدة الرسالة عندهم هي إلطاف[٨] المكلّفين بالأحكام الشرعيّة المقرّبة إلى الواجبات العقلية، والمبعّدة من المقبّحات العقلية، ولا مدخلَ للرسول في معرفة الباريْ سبحانه، لأنّ العقل يُوجبها، وإن لم يبعث الرسل!

قلت: إنّ كثيراً من شيوخنا أوجبوا بعثة الرسل؛ إذا كان في حقّهم المكلّفين على ما في العقول فائدة؛ وهو مذهب شيخنا أبي عليّ رحمه الله، فلا يمتنع أن يكون إرسال محمّد صلى الله عليه وآله إلى العرب وغيرهم؛ لأنّ الله تعالى علم أنّهم مع تنبيهه إيّاهم ـ على ما هو واجب في عقولهم من المعرفة ـ أقربُ إلى حصول المعرفة؛ فحينئذ يكون بعثه لطفاً[٩]، ويستقيم كلام أمير

---

(١) أي المعافى من المرض.

(٢) في هـ. ب: إشارة الى أنّ التولّي لأولياء الله لا يتم إلّا بالتبرئة من أعداء الله.

(٣) في هـ. ب الميثاق: هو ان لا يقولوا على الله إلّا الحقّ.

(٤) في هـ. ب: لن تعتصموا بالقرآن حتى تعرفوا من نبذه أي رمى بأحكامه.

(٥) في هـ. ب: أُطلبوا من عند أهل القرآن معرفة النابذين للقرآن والناقضين لميثاقه والتاركين للرشاد، وذلك إشارة الى هلاكهم.

(٦) في أ: حلمهم، وفي هـ. ص: وذلك لأنّ الإمتحان يظهر خبيئة الإنسان، من الشرح.

(٧) في هـ. ص: لا يخفى فضل الفاضل وإن كان صامتاً، انتهى من الشرح.

(٨) في ص: التطاف.

(٩) في هـ. ص زيادة: فيها.

المؤمنين انتهى[١].

قلت: ومعنى كلامه عليه السلام على مقتضى ما تقرّر من مذهبه عليه السلام ومذهب عيون أهله عليهم السلام أنّ معرفة الباري سبحانه جملةً ضرورية وهو الذي نصره الشارح فيما سبق. ورواه عن القاضي عبد الجبار وشرح به مواضع من كلام أمير المؤمنين نشير إليه وعلى ما نصّه عليه السلام في غير موضع ـ وهو مذهب جميع المتقدّمين من أئمة أولاده وهو مذهب البغداديين ـ من أنّ إيجاب الواجبات العقلية والشرعية لكونها شكراً علىٰ نعمة الإيجاد والتمكين وما لا يحصىٰ من النعم.

فمعنىٰ كلامه عليه السلام على هذا: ليعلم العباد ربّهم أي ما يجوز عليه من الأوصاف والأسماء وما ينسب إليه من الأفعال والأحكام وما يعامل به من الأفعال والأقوال.

«إذ جهلوه» أي: نسبوا إليه من ذلك كلّه ما لا يجوز عليه.

«وليقرّوا به» أي: ليذعِنوا لما في عقولهم وما فطروا عليه من وجوده بعد إذ جحدوه مكابرة للعقول وتغطية للفطرة كما قال الله تعالىٰ: ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾[٢].

«وليثبتوه» أي: يصرحوا بثبوته بعد إذ أنكروه مجادلة ومماحكة، كما حكى الله عزّوجلّ: ﴿وإنّا لفي شكٍّ ممّا تدعوننا إليه مُريبٍ، قالت رسلهم أفي اللهِ شَك فاطِر السماواتِ والأرْضِ﴾[٣].

والمعنى إن إرسال الرسول عليه الصلاة والسلام بالحجج القولية يكون أقطع لشغب المشاغب وأبين لجحد الجاحد وأكشف لخطل الجاهل، وإن كانت العقول تدلّ على ما أثبتته البعثة، فانضمامها إليها آكد للحجّة وأقطع للمعذرة.

ولنحو ذلك وجب تقرير أدلّة مسائل أصول الدين لدفع الجحد وإزالة تمويه المعاندين ولحلّ شبه يتعلق بها مردة المجادلين، ولذلك لم يتكلّم فيها الصدر الأوّل من الصحابة والتابعين حتى ظهرت الشبه وكثر المجادلة بالباطل، والله أعلم.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠٣ ـ ١٠٤. (٢) سورة الانعام: ٦ / ٣٣.
(٣) سورة ابراهيم: ١٤ / ٩.

قوله عليه السلام: «وإنّه سيأتي عليكم من بعدي زمان...»:

أخبر عليه السلام أنّه سيأتي على الناس زمان من صفته كذا وكذا؛ وقد رأيناه ورآه مَنْ كـان قبلنا أيضاً؛ قال شُعبة إمام المحدّثين: تسعة أعشار الحديث كذب. وقال الدارقطني: مـا الحديث الصحيح في الحديث إلّا كالشعرة البيضاء في الثّور الأسود. وأمّا غلَبة البـاطل على الحقّ حتى يخفى الحق عنده فظاهرة. انتهى من شرح ابن أبي الحديد[1].

قلت: ولا يخفى أنّ الإشارة بهذا إلى ما وقع من أعداء الشيعة من الرؤوساء والأتباع ومن علماء السوء، فإنّهم جعلوا التشيّع وما يدعو إليه وما يدلّ عليه، من أعظم المنكرات المحلِّلة للدم والمال، وكذّبوا كل ما روي مما يدلّ عليه أو يرغّب فيه، وسمّوها مناكير، وعاقبوا على اعتقاده والدعاء إليه، وجعلوا ضدّه سنّة وجماعة، واختلقوا له إفكاً باطلاً يدلّ عليه ورغّبوا بكل مرغب فيه كما تضمنته كتب التواريخ والأخبار. ثم نسلت علىٰ ذلك الدهور وتناقلته القرون.

قوله عليه السلام: «ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف»: يعني به التشيّع.

«ولا أعرف من المنكر»: يعني به ضد التشيّع.

وقوله عليه السلام: «فقد نبذ الكتاب حفظته وتناساه حملته»:

يعني بهم من ينسب إلى أنّه حفظ الكتاب وحمله من الذين أشار اليهم آنـفاً؛ بأنّـهم يحرّفون الكلم عن مواضعه.

وقوله: «فالكتاب وأهله منفيّان...»:

يعني بهم أهله الذين جعلهم الله أهلاً له، وهم الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي... إلى آخر الحديث».

ولاشك في انطباق الحكمين المذكورين وهما الطرد والخروج من الناس عليهم دون غيرهم من سائر فرق الأُمّة، فاجتمع الناس على الفرقة ــ وهي ضدّ التشيّع ــ، وافترقوا عن الجماعة ــ وهي التشيّع ــ، كما فسّر عليه السلام الجماعة والفرقة بذلك في كلامه الذي رواه الاسيوطي.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠٥.

وقوله: «**ومن قبل ما مثّلوا بالصالحين...**»:

أي من قبل استقرار ما ذكر من طريقة أهل الضلال، مثّلوا بالصالحين وذلك في مبادئ دعوتهم كزمان معاوية وبني مروان، نحو ما فعله زياد وعبيد الله ـ آبنه ـ، والحجاج ويوسف بن عمر، حتى استقرّ لهم ما أرادوه من طريقتهم وألفه الناس وصدّقهم المسمّىٰ «فرية» هو دعوة التشيّع، وكذلك «الحسنة المعاقب عليها عقوبة السيّئة» ولا يعلم شيئاً من خصال الدين عوقب عليه وعدَّ منكراً إلّا التشيّع. فتأمل ما قلته بعين الإنصاف، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «**وانّه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظّم... إلى آخره**»:

اعلم أنّ التواضع لله: الانقياد لأحكامه والرضىٰ بقضائه، والتعظيم عليه سبحانه عدم ذلك، واعتقاد أنّهم أعلم بوجوه المصالح منه سبحانه كما حكى سبحانه من قول بني اسرائيل: ﴿**أنّى يكون له المُلك علينا ونحنُ أحقُّ بالمُلك منه ولم يؤْتَ سعةً من المال**﴾[1].

فالتواضع لله كما كان من الملائكة عليهم السلام مِنْ تعظيم مَنْ أمرهم الله بتعظيمه وتكريم من أمرهم الله بتكريمه، والتعظّم على الله كما كان من إبليس لعنه الله...

وهو عليه السلام يشير إلى من زعم أن صرف الأمر عنه كان أصلح وأرشد مع أنّه قد ثبت بالأدلّة القاطعة أنّ الله جعله له ومع أنّ هذا القائل بهذه المقالة موافق إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أراد مصير الأمر إليه وأحبّه وهمّ أن يكتب بذلك كتاباً فمنع منه من حضر، وهو صلى الله عليه وآله ﴿**ومايَنطق عن الهوى**﴾[2] ولا يهمّ إلّا بالحقّ، فالدافع لقوله دافع لقول الله ورادّ لحكمه، وهو المشار إليه بقوله: «واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرشد... الى قوله: نبذه».

وحسبك مُهَجِّناً لهذه الطريقة وحاكماً على صاحب هذه العضيهة قول الله تعالىٰ ﴿**وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنَةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً**﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: ٢ / ٢٤٧.
(٢) سورة النجم: ٥٣ / ٣.
(٣) سورة الاحزاب: ٣٣ / ٣٦.

قال ابن أبي الحديد: ثم قال عليه السلام: «فالتمسوا ذلك عند أهله»:

هذا كناية عنه عليه السلام، وكثيراً ما يسلك هذا المسلك ويعرّض هذا التعريض، وهو الصادق الأمين العارف بالأسرار الإلهية.

قلت: وهذا من الشارح على قاعدته وطريقته من تخصيصه كلّ كلام يدلّ على وجوب اتباع أهل البيت عليهم السلام كلّهم، والرجوع إليهم فيما يشكل، وحمله على أنّ المراد بالمأمور باتباعه أمير المؤمنين عليه السلام خاصّة، وقد تتبعته في شرحه من أوّله إلى آخره فوجدته ملازماً هذه الطريقة، وهو بذلك «يُسِرُّ حسواً في ارتغاءٍ»[1] وذلك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان ممنوعاً من التصريح، مدفوعاً عن بلوغ ما يريده فكان يشير إلى مراده إشارة، ويعرّض تعريضاً، فزعم الشارح أنّه قد ردّ كل ما ورد عنه من ذلك بالتأويل إلى موافقة مذهب المعتزلة. فأمّا العترة من بعده عليهم السلام فإنّهم صرّحوا بالمراد وفسّروا ما يشير إليه عليه السلام، فلا يمكن تأويل كلامهم، فأراد أن يخرجهم عن كونهم ممّن يجب اتباعه.

ونحن نقول أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وإن كان إمام الأئمة والحجة على الأُمّة، ونسبة أولاده إليه نسبة الفُروع إلى الأصل، والتلميذ إلى الأُستاذ، وكنسبته عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أنّ الأدلّة قد دلّت على أنّ قولهم مع قوله حجّة، ومصرحة بوجوب اتباعهم وحرمة مخالفتهم وكلامه عليه السلام في كلّ موضع من المواضيع التي أشار إليها الشارح صريحة في أنّه يعنيهم ويحث على اتباعهم مع اتباعه.

وهذا الموضع الذي نحن في شرحه صريح في أنّه أراد جماعة لا واحداً وفرقة لا فرداً وإن كانت الأدلّة قد دلّت على وجوب اتباعه وحده لكن لا تنفي دلالة أدلّة أُخر على وجوب اتباع أولاده معه، كما أنّ ما دلّ على وجوب اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمنع قيام أدلّة أُخر تدلّ على وجوب اتباع أمير المؤمنين عليه السلام والله أعلم.

قوله عليه السلام: «فلا تنفروا... إلى قوله: ذي السّقم»:

هذا منه عليه السلام تعريض بما كان يعلمه من جمهور أهل عصره ومن أكثر من يأتي من

---

(١) مجمع الامثال ٢: ٣٨٢.

بعدهم؛ من أنّهم يمتعضون من القول بأنّه أفضل الأُمّة، وأنّه منصوص عليه بالإمامة، وأنّ أهله من بعده محلّ الحق ونصابه وأنّ الإمامة مقصورة عليهم، وكثيراً ما يعرّض بهذا المعنى ويشير إليه ،والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «فالتمسوا ذلك من عند أهله»:

أي أهل الكتاب الذين جعلهم الله أهله، وقد ذكر عليه السلام هذه الصفات مراراً وهو يعني أهل البيت نصّاً، والله أعلم.

[١٤٨]

ومن خطبة[١] له عليه السلام في ذكر أهل البصرة:

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُما[٢] يَرْجُو الأمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لَايَمتَّانِ[٣] إلَى اَللهِ بِحَبْلٍ، وَلَا يَمُدَّانِ[٤] إلَيْهِ بِسَبَبٍ.

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُما حامِلُ ضَبٍّ[٥] لِصاحِبِهِ؛ وَعَمَّا قَليلٍ يُكْشَفُ[٦] قِناعُهُ بِهِ[٧].

وَاَللهِ لَئِنْ أَصابُوا الَّذِي يُرِيدونَ لَيَنْتَزِعَنَّ[٨] هَذَا نَفْسَ هَذَا؛ وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا.

قَدْ قامَتْ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ فَأَيْنَ الْمُحتَسِبُونَ[٩]! قَدْ سُنَّتْ لَهُمْ السُّنَنُ؛ وَقُدِّمَ لَهُمُ الخَبَرُ؛ وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ ناكِثٍ شُبْهَةٌ.

وَاَللهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ[١٠]، يَسْمَعُ[١١] النّاعِيَ[١٢]؛ وَيَحْضُرُ الْباكِيَ، ثُمَّ لَايَعْتَبِرُ[١٣].

* * *

قوله عليه السلام: «والله لئن أصابوا...»:

قال ابن أبي الحديد: هذا قول صحيح لا ريب فيه، ثم ذكر انها وقعت مباديه ودلائله، ذكره أرباب السير.

وقوله عليه السلام: «لا أكون كمستمع اللّدم»، ومستمع اللّدْم هي الضبع؛ تسمع وقع الحجر

---

(١) في ط: كلام.
(٢) في هـ. ب: يعني طلحة والزبير.
(٣) في هـ. ب: لا يتوصلان بقرابة، وفي هـ. ص: أي لا يتوسلان.
(٤) في هـ. ب: المت والمد: توسّل بقرابة.
(٥) في هـ. ب و ص: أي حقد.
(٦) في هـ. ص: أي يظهره ويبديه.
(٧) في ص: له، وفي هـ. ص في نسخة: به.
(٨) في هـ. ب: أي ليستلبن.
(٩) في هـ. ب: هم الذين يفعلون ما يفعلون حسبة لله في هـ. ص المحتسب: العامل للأجر.
(١٠) في هـ. ب: اللّدِم: المخدوع المغرور.
(١١) في هـ. ص: الضمير راجع الى المشبه.
(١٢) هـ. ب: من النعي، وهو الإخبار بموت أحد.
(١٣) لم ترد «ثم لا يعتبر» في ب، وفي هـ. د: لم ترد «ثم لا يعتبر» في ص م ل ش ن.

بباب جُحرها من يد الصائد فتنخذِل وتكفّ جوارحَها إليها حتى يدخل عليها فيربطها؛ يقول: لا أكون مقرّاً بالضيم راغناً[1]؛ أسمع النّاعي المخبِر عن قتل عسكر الجمل لحكيم بن جبلة وأتباعه، فلا يكون عندي من التغيير والإنكار لذلك؛ إلّا أن أسمعه وأحضر الباكين على قتلاهم، انتهى من الشرح [2].

واعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان قد أُشير عليه كثيراً بأنْ لا يتتبّع طلحة ولا الزبير ولا يحاربهما ويقيم بالمدينة، فقال عليه السلام: ان خروجهم في البلاد وقتلهم شيعتي لنقض بيعتي ودفع ولايتي، أفلا أعتبر بذلك واتحقّق أنّهم يقصدونني إلىٰ محلي ولا ناصر لي، والله أعلم.

---

(١) يقال: رغن إليه: إذا أصغى إليه.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١١٠.

[١٤٩]

ومن كلام لهعليه السلام قبل موته:

أَيُّها النَّاسُ[١] كلُّ آمْرىءٍ لَاقٍ مَا[٢] يَفِرُّ مِنْهُ في فِرَارِهِ، والأَجَلُ[٣] مَسَاقُ[٤] النَّفْس[٥]، والْهَرَبُ منْهُ مُوَافاتُهُ[٦].

كَمْ أَطْرَدْتُ[٧] الأَيَّامَ أَبْحَثُها عَنْ مَكْنُونِ هذَا الأَمْرِ، فَأَبَى اللهُ إِلَّا إِخْفاءَهُ، هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ.

أَمَّا وَصِيَّتي[٨]، فاللهُ[٩] لاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، ومُحَمَّدٌ[١٠] صلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلهِ فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ[١١]، أقِيمُوا هٰذَيْنِ العَمُودَيْنِ[١٢] وأَوْقِدُوا هذيْنِ المِصْباحيْنِ، وخَلاَكُمْ[١٣] ذَمٌّ مَـالَمْ تَشْرُدُوا[١٤]، حَمَّلَ[١٥] كلُّ آمْرِيءٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وخَفَّفَ عنِ الجَهَلَةِ، رَبٌّ رَحِيمٌ، ودِيـنٌ

(١) لم ترد «أيّها الناس» في أ. (٢) في ب: بما.
(٣) في ط: الاجل. (٤) في هـ. ص: أي الأمر الذي تساق إليه النفس.
(٥) في هـ. ص: أي إذا كان مقدوراً له وإن لم يكن مقدوراً له لم يلاقه وإن وقف ولم يضرّ، فحينئذٍ الفرار لا ينجي من مقدور ولا من غيره وهذا نحو قولهعليه السلام:

مـــــن أي يــــوميّ أفــر أيوم لم يقدر أمْ يـوم قُـدر
فــيَوم لم يـقدر لا أرهــبه ويوم قد قدر لا يغني الحذر

(٦) في هـ. ص: هذا مبالغة في عدم النجاة حتى كأنّ الهرب وصول إليه، انتهى من الشرح.
(٧) في هـ. ب: «اطّردت» أبلغ من «طردت». (٨) في هـ. ب: هذه وصّيتي، أو اسمعوا وصيتي.
(٩) في هـ. أ: فاللهَ فاللهُ ـ معاً ـ، وفي هـ. ب: بالرفع أحسن.
(١٠) في أ و ص: ومحمّداً وفي هـ. ب: بالرفع أحسن.
(١١) في هـ. ص: أي ما سنّه وشرّعه من الدين.
(١٢) في هـ. ب: الشهادتين، تؤمنوا بالله ورسوله وتطيعوا أمرهما.
(١٣) في هـ. ب: أي لا لوم عليكم مالم تتفرّقوا عن الأوامر والنواهي التابعة لذلك، وفي هـ. ص: الأقرب أنّ مرادهعليه السلام مالم ترتكبوا محيطاً مُفَسّقاً.
(١٤) هذا وما بعده ماضٍ ومعناه الأمر.
(١٥) في هـ. ب: حمّل رب رحيم، وإذا كان «ربّ رحيم» مستأنف أي ذاك ربٌّ رحـيم وهـذا أحسن وروايته أصح.

قَوِيمٌ[١]، وإِمَامٌ عَليمٌ.

أنا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وأنا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وغَداً مُفارِقُكُمْ، غَفَرَ اللهُ لِي ولَكُمْ!

إِنْ ثَبَتَتِ[٢] الْوَطأَةُ في هذهِ المَزَلَّة[٣] فَذَاكَ، وإِنْ تَدْحَضِ[٤] القَدمُ، فإِنَّا كُنَّا في أَفْيَاءِ[٥] أغْصَانٍ، ومَهَبِّ[٦] رِيَاحٍ، وَتحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ إِضْمَحَلَّ[٧] في الجَوِّ مُتَلَفَّقُها[٨]، وعَفَا[٩] في الْأَرْضِ مَخَطُّها[١٠]، وإِنَّما كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ[١١] بَدَنِي أيَّاماً، وسَتَعْقِبُونَ[١٢] مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً[١٣]، ساكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وصامِتَةً بَعْدَ نُطُوقٍ[١٤]، لِيعظْكُمْ هُدُوِّي[١٥] وخُفُوت[١٦] إِطْرَاقِي[١٧]، وسُكُون أَطْرَافِي[١٨]، فإِنَّهُ أوْعَظُ لِلمُعْتَبِرِينَ مِنَ المَنْطِقِ الْبَليغِ والْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ، ودَاعِيكُمْ[١٩] وَدَاعُ امْرِىءٍ مُرْصِدٍ لِلتلاقِي[٢٠]! غَداً تَرَوْنَ أيَّامِي، ويُكْشَفُ لَكُمْ

---

(١) في هـ. ب: أي قيّم.

(٢) في أ و ب، ص و د: تثبت، وفي هـ. د: تثبت ـ ض ب ح.

(٣) في هـ. د: المنزلة ـ ن ل وفي هـ. ب: أي المزلقة.

(٤) في هـ. ب: تزل، وفي هـ. ص: أي تزلّ وتزلق.

(٥) هـ. ب: ظلال.

(٦) في أ و ب و د: مهاب، وفي هـ. د: مهب ـ ض ح ب. وفي هـ. ب: جمع مهب، وهو موضع هبوب الريح.

(٧) في هـ. ب: زال، وفي هـ. ص: ذهب وتفرّق.

(٨) في هـ. ب: أي مجتمع مهاب تلك الرياح والغمام.

(٩) في هـ. ب: أي اندرس.

(١٠) في هـ. ص: أثرها ورسمها.

(١١) في هـ. ص: أي أنّ بقاء الإنسان مع الناس في الدنيا مجاورة عارضة زائلة.

(١٢) في هـ. ب: من التعقيب.

(١٣) في هـ. ب: خالية.

(١٤) في هـ. د: بعد نطق ـ م ن ف.

(١٥) في هـ. د: هدئي ـ ح، وفي هـ. ب: أي سكوتي.

(١٦) الخفوت: السكون والإطراق. وفي هـ. ب: خفت الصوت: سكن.

(١٧) في ط: أطرافي، وفي هـ. ب: أطرق برأسه: إذا نكس.

(١٨) في هـ. ب: أعضائي.

(١٩) في ص: ودعتكم وفي ط: وداعي لكم، وفي هـ ب: وداعيكم أي: وداعي اياكم وداع رجل على انتظار الملاقاة، وفي هـ.د: وداعي لكم ـ ض ح.

(٢٠) في هـ. ب: أرصد له: أي أعدّ له، وفي هـ. ص: أي معدّ للتلاقي بيني وبينكم بين يدي الله فاسأل عنكم وتسألون عنّي.

عَنْ سَرَائِرِي، وتَعْرِفُونَني بَعْدَ خُلُوِّ مَكانِي وقِيَامِ غيرِي مَقَامِي.

* * *

قوله عليه السلام: «اطردت الأيّام»:

أطردتُ الرجل، إذا أمرتَ بإخراجه وطردِه، وطردتُهُ إذا نفيتَه وأخرجْتَهُ[1]، وكأنّه عليه السلام جعل الأيّام أشخاصاً يأمر بإخراجهم وإبعادهم عنه؛ أي ما زِلْتُ أبحث عن كيفيّة قتلي، وأيّ وقت يكون بعينه، وفي أيّ أرضٍ يكون، يوماً يوماً، فإذا لم أجده في اليوم أطردته واستقبلت غده؛ فأبحث فيه أيضاً فلا أعلم، فأبعده وأطرده، وأستأنف يوماً آخر، هكذا حتى وقع المقدور، انتهى من الشرح[2].

قوله عليه السلام: «ربّ رحيم»:

هو فاعل «حمل» و «خفف» على رواية البناء للفاعل، ومبتدأ محذوف الخبر أي لكم، أو خبر مبتدأ محذوف، أي هو. على رواية البناء للمفعول وما بعده معطوف عليه في وجوه إعرابه، والله أعلم.

قال في شرح ابن أبي الحديد مالفظه: إن التكاليف على قَدْرِ المكلّفين، فالعلماء تكليفهم غير تكليف العامة، وأرباب الجهل والمبادئ كالنساء وأهل البادية وطوائف من الناس، الغالبُ عليهم البلادة وقلّة الفهم، كأقاصي الحبشة والترّك ونحوهم؛ وهؤلاء عند المكلّفين غيرُ مكلّفين، إلّا بجمل التوحيد والعدل؛ بخلاف العلماء الذين تكليفهم الأُمور المفصّلة وحلّ المشكلات الغامضة؛ انتهى[3].

قلت: وفي هذا دليل على ان علم أدلّة مسائل أُصول الدين على ما هي عليه من التفصيل والترتيب من فروض الكفاية؛ لأنّ موضوعها الردّ على المعاندين وهذا شيء قد نصرناه ووضحناه.

وقرّرنا ــ أيضاً ــ أنّ جمل التوحيد والعدل ضرورية؛ ونبّهنا على ما يدلّ عليه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ونقلنا من كلام الشارح ماينا سبهُ، والله أعلم.

---

(١) من ط.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٢٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٢٤.

قوله عليه السلام: «فانّما كنّا في أفياء أغصان... الخ»:

أي ان أُمور الدنيا كلّها إلى زوال، ثمّ مثل ذلك بما هو أسرع الأشياء زوالاً وأبينها انقضاءً، أي أنّ الدنيا ملفّقة من هذه الزائلات وأشباهها، فلا بقاء لشيء كان منها، وإنّما المقرّ الحقيقي ما نصير إليه بعد الدّنيا.

قوله عليه السلام: «غداً ترون أيّامي»:

لأنّهم بعد فقده وموته يظهر لهم ويثبت عندهم إذا رأوا وشاهدوا إمرة مَنْ بعده، أنّه إنّما كان يريد بتلك الحروب العظيمة وجه الله تعالىٰ، وألّا يظهر المنكر في الأرض، وإن ظنّ قوم في حياته أنّه كان يريد الملك والدنيا، انتهى من الشرح[1].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٢٥.

ومن خطبة له عليه السلام يومىء[1] فيها إلى الملاحم[2]:

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً ظَعْناً[3] فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ؛ فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا[4] هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ[5]، وَلَا[6] تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ؛ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ[7] بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ[8] أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ. وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ[9] غَدٍ!

يَاقَوْمِ هٰذَا إِبَّانُ[10] وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ[11]، وَدُنُوٌّ[12] مِنْ طَلْعَةِ مَالَا تَعْرِفُونَ[13]. أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا[14] يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذُو[15] فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً[16]، وَيُعْتِقَ فِيهَا رِقّاً[17]، وَيَصْدَعَ شَعْباً[18]، وَيَشْعَبَ صَدْعاً[19]؛ فِي سُتْرَةٍ عَنِ

---

(١) في ط: ويومي.

(٢) العنوان في ا هكذا: ومن خطبة له في الملاحم.

(٣) في أ و ب: طعناً. وفي هـ. ب في نسخة: ظعناً، أي ذاهبين في الجهل وطعناً: من الطعن بالرمح.

(٤) في ص: بما هو. (٥) في هـ. ب: نزول العذاب.

(٦) فلاتستبطئوا ـ ل، ولم ترد «ولا» في ب.

(٧) في هـ. ب: من مستعجل مثل قوله تعالىٰ: ﴿لا تسألوا عن أشياء إنْ تُبدَ لَكُمْ تسؤكُمْ﴾ المائدة:٥ / ١٠١، وفي هـ. د: فكم مستعجل ـ م.

(٨) في هـ. ب: أحب.

(٩) في هـ. ب: علامات، وفي هـ. ص: تباشير كل شيء: أوّل ما يبدو منه، وتباشير الصبح: أوّل ما يبدو من ضوئه. (١٠) ابّان: وقت.

(١١) في هـ. د: كل موعد ـ ب. (١٢) أي: قرب.

(١٣) في هـ. ب: إشارة إلى عهد المهدي عليه السلام. (١٤) في هـ. ب: منّا عهد الإمام، أيّ إمام كان.

(١٥) في هـ. ب: يذهب.

(١٦) الربق ـ بالكسر ـ فالسكون ـ في الأصل حبل فيه عدّة عرى تربط به البُهم. ويستعار للرابطة الجامعة للأمّة. وفي هـ. د: ليحل ربقا ـ ع.

(١٧) في ب و د: ويعتق رقا، وفي هـ. د: ويعتق فيها رقا ـ ض ح.

(١٨) في هـ. ب: جمعاً.

(١٩) أي يفرّق جمع الضلال ويجمع متفرّق الحق، وفي هـ. ب: الصدع والشعب والشمل يقع على المجموع المتفرّق.

النَّاسِ؛ لَا يُبْصِرُ ٱلْقَائِفُ[١] أَثَرَهُ، وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ؛ ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ[٢] فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ ٱلْقَيْنِ[٣] النَّصْلَ، تُجْلَى[٤] بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتفسيرِ في مَسَامِعِهِمْ[٥]، وَيُغْبَقُونَ[٦] كَأْسَ ٱلْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ[٧].

منها[٨]:

وَطالَ الأمد بِهم[٩] لِيَستكْمِلوا الْخِزي[١٠] وَيَسْتَوجِبوا[١١] الْغِيَرَ[١٢] حتَّى[١٣] إذا اخْلَوْلَقَ[١٤] الأَجَلُ، وٱسْتَرَاحَ[١٥] قَوْمٌ إلى الْفِتَنِ، واشتالوا[١٦] عَنْ لِقَاحِ حرْبِهِمْ، لَمْ يَمُنُّوا على اللهِ بالصَّبرِ[١٧] ولمْ يَسْتَعْظِمُوا بذْلَ أَنْفُسِهِمْ في الْحَقِّ[١٨]، حتَّى إذا وَافَقَ وارِدُ القَضَاءِ ٱنْقِطاعَ مُدَّةِ البَلَاءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ على أسْيافِهِمْ[١٩] وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بأَمْرِ واعِظِهِمْ.

---

(١) القائف: الذي يعرف الآثار فيتبعها، وفي هـ. ب: هو للإنسان جمع قاف، وقفت أثره فأنا قائف...، وقفوت أثره: تبعت، وهما لغتان.

(٢) في هـ. ب: «ليشحذن» إشارة إلى من يتعاطى في الغيبة علوم آل محمّد، وشحذ السيف: حدّده. والمشحّذ: المسنّن.

(٣) القين: الحدّاد.

(٤) في ب: يجلى وتجلى ـ معاً ـ.

(٥) في هـ. د: لم ترد «ويرمى بالتفسير في مسامعهم» في ب.

(٦) «يغبقون» مبني للمجهول أي: يسقون كأس الحكمة بالمساء بعدما شربوه بالصباح.

(٧) في هـ. ب: شرب الصباح.

(٨) في ص: ومنها.

(٩) في هـ. ص أي: بأهل هذه الفتن، وصدق عليه السلام؛ فإنَّ أمد فتنة أعداء أهل البيت طال وأمرهم أعضل.

(١٠) في هـ. ب: اعتراض من ذكر أمر المهدي وأصحابه.

(١١) في هـ. ب: يستحقوا.

(١٢) في هـ. ص: أي تغيير ماهم فيه من النعمة.

(١٣) في هـ. ص: هي الابتداء به، التي قد أبعدها الكلام ويستأنف.

(١٤) هـ. ب: أي تقادم العهد، يقال: اخلولق الثوب: إذا بلغ الغاية في الخلاقة، يقال: اخلولق.

(١٥) في هـ. ب: أسرعوا ووقعوا فيها.

(١٦) أي رفعوا أيديهم بسيوفهم ليفحلوا حروبهم على غيرهم، أي: يسعّروها عليهم، وفي هـ. ب: أي إذا التحمت حرب هؤلاء القوم اشتالوا وهلكوا، اشتالت الناقة ذنبها مثل شالت وأشالت، وفي هـ. د: وأشالوا ـ ب.

(١٧) الضمير فيه للمؤمنين، والجملة جواب «إذا».

(١٨) في د: في حق. وفي هـ. د: في الحق ـ ض ح ب ل.

(١٩) أي أشهروا عقيدتهم داعين إليها غيرهم، وهذا من أروع التمثيل، وفي هـ. ب: البصائر لها ←

حتّى إذا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ[١] صلّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ رَجَعَ قَوْمٌ على الأعْقابِ[٢]، وغَالَتْهُمُ[٣] السُّبُلُ[٤]، واتَّكلُوا على الْوَلائجِ[٥]، ووَصَلُوا غيرَ الرَّحِمِ، وهَجَرُوا السَّبَبَ الذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ في غيرِ مَوْضِعِهِ، مَعادِنُ كلِّ خَطِيئَةٍ، وأبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ في غَمْرَةٍ[٦]، قَدْ مَارُوا[٧] في الحَيْرَةِ[٨]، وذَهِلُوا في السَّكْرَةِ، على سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، منْ مُنْقَطِعٍ إلى الدُّنْيا رَاكِنٍ[٩]، أوْ مُفارِقٍ للدين مبائنٍ[١٠].

* * *

قوله عليه السلام: **«واخذوا يميناً وشمالاً... إلى قوله: الرشد»:**

يذكر عليه السلام قوماً من فرق الضلال أخذوا يميناً وشمالاً، أي ضلّوا عن الطريق الوسطى التي هي منهج الكتاب والسنّة؛ وذلك لأنّ كلّ فضيلة وحقّ فهو محبوس بطرَفَين خارجين عن العدالة، وهما جانبا الإفراط والتفريط؛ كالفطانة التي هي محبوسة بالجربزة والغباوة، والشجاعة التي هي محتوشة بالتهوّر والجبن، والجود المحبوس بالتبذير والشحّ؛ فمن لم

← ثلاثة معان: أوّلها: البصيرة والجملة عطف على حملوا بصائرهم واعتقاداتهم على أسيافهم، ويكون البصائر بمعنى جمع البصر. والبصائر: بقايا الدّبا.

(١) في ص: رسول الله.

(٢) في هـ. ب: قوله تعالىٰ: ﴿انقلبتم على أعقابكم﴾ ال عمران :٣ / ١٤٤، وفي هـ. ص: أي تركوا ما كانوا عليه.

(٣) هـ. ب: أهلكتهم، وفي هـ. ص: أي أهلكهم اختلاف الآراء والأهواء، من الشرح.

(٤) في هـ. ب: سبل الغيّ والجهل.

(٥) أي: دخائل المكر والخديعة، وفي هـ. ص: جمع وليجة: وهي البطانة يتّخذها الإنسان لنفسه، انتهى من الشرح.

قلت: كأنّ أصل معناها يدخلها في أمره وشأنه، والله أعلم.

(٦) الغمرة: الشدّة، أي: مزدحم الفتن.

(٧) في هـ. ب: جاءوا وذهبوا.

(٨) في هـ. ص: أي الضاربون في غمرة الضلال.

(٩) في هـ. ب: ساكن، وفي هـ. ص: هم الأُمراء والرؤوساء ولاة الأمر في هذه الفتن، الذين قصدهم نيل الدّنيا بما فعلوا.

(١٠) في هـ. ص: هم علماء السوء وأهل الضلال والجهل والبدع وهم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً وهذا تقسيم للضاربين في الغمرات الذين يستندون إلى من رجع على الأعقاب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

يقعْ على الطريق الوسطى وأخذ يميناً وشمالاً فقد ضلّ.

ثم فسّر قوله: «أخذوا يميناً وشمالاً»، فقال: ظعنوا ظعناً في مسالك الغيّ، وتركوا مذاهب الرشد تركاً، انتهى من الشرح[1].

وأقول والله أعلم ـ: ان الكلام مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتّبعوا السُّبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾[2] وثنيات الطريق تكون عن يمين الجادة وشمالها.

قوله عليه السلام: «ياقوم هذا إبّان ورود كل موعود»:

إبان الشيء ـ بالكسر والتشديد ـ: وقته وزمانه، يشير عليه السلام إلى الفتن التي تظهر من بعده، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد وعده ظهورها، وأشار إلى أصحابه بكونها، وأمير المؤمنين كان قد وعد أصحابه بها، ذكر معناه في الشرح[3].

قوله عليه السلام: «ألا وأنّ من أدركها منّا... إلى قوله: ولو تابع نظره»:

ذكر عليه السلام إنّ القدوة من أهله، وإن أدركوها كل واحد في زمنه الذي يوجده الله فيه؛ فإنّهم لا يلتبس عليهم الحق ولا يدخلون في شيء من أمر هذه الفتن؛ لأنّ الآخر يسلك مسالك الأوّلين ويقتدي بهدى أسلافه الماضين من إيضاح الحق والدعاء إلى الدين والردّ على المبطلين ويعتق من اسرة الضلال والجهل فاسترقاه، وهو معنى قوله: «ليحل فيها رتقاً» أي عقد شبه الضلال.

«ويعتق رقّاً» أي من استرقه الجهل والهوى.

«ويصدع شعباً» أي: جماعة ضلال، بإخراج بعضهم إلى الحق.

«ويشعب صدعاً» أي: قوماً كانوا متفرّقين بالأهواء فيجمع بينهم بالحق حتى يصيروا جملة واحدة، وهو مع ذلك مستور من الناس، أي من جمهورهم؛ لأنّه خائف غير آمن لا يمكن طالبه الوقوف عليه.

وقد وقع كما وصفه عليه السلام فإنّ هذه طريقة أئمة أهل البيت من بعده عليه السلام إلى وقتنا، ولابدّ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩ : ١٢٧.

(٢) سورة الانعام :٦ / ١٥٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩:١٢٨.

لهم من التستّر إمّا إلى الموت أو إلى أن يجدوا أعواناً ويدعوا إلى قتال الظالمين.

وليس الأمر كما زعم ابن أبي الحديد من أنّ الإشارة الى الفتن التي تقع قبل القيامة كخروج الدابة والدجّال، وأنّ الإشارة بقوله: «ألا وإن من أدركها منّا... إلى آخره» إلى المهدي خاصّة.

فإن السّوق واللّفظ يدل على خلافه، ولكنه يصدّه عمّا قلناه أمرٌ يضمره[١]، والله المستعان.

قوله عليه السلام: «ثم ليشحذن...»:

أي: ليمتحننّ في هذه الفتن أقوام فيزيدهم الامتحان نفاذاً ومضيّاً على الحق، ثم وصف طريقتهم التي يكونون عليها بقوله: «يجلي...» وهؤلاء بلا شك أئمة أهل البيت وأتباعهم.

قوله عليه السلام: «حتى إذا اخلولق»:

قال في الشرح: حتى إذا اخلولَق الأجَل، أي: قارب أمرهم [الانقضاء، من قولك: اخلولق السّحاب، أي استوى، وصار خليقاً بأن يمطر، واخلولق الرسمُ: استوى مع الأرض][٢].

«واستراح قوم إلى الفتن»: أي: صبا قومٌ من شيعتنا وأوليائنا إلى هذه الفتن[٣]، واستراحوا إلى ضلالها وفتنتها، واتّبعوها.

«واشتالوا عن لَقاح حَرْبِهم» أي: رفعوا أيديَهم وسيوفهم عن أن يشبّوا الحرب بينهم وبين هذه الفئة، مهادَنَةً لها وسلماً وكراهية للقتال؛ يقال: شال فلان كذا، أي: رفعه، واشتال «افتعل» هو في نفسه، كقولك: حَجَم زيد عمرا، واحتجم هو نفسُه. و«لَقاح حربهم»: هو بفتح اللام، مصدر من لَقحت الناقة، انتهى ما ذكره ابن أبي الحديد[٤].

---

(١) ان كلام الشارح في تفسير هذه العبارة على مذهب الزيدية هو على أساس أمر يضمره هو أيضاً، وإلّا فإنّ ما قاله ابن أبي الحديد في تفسيره بالفتن التي تقع قبل القيامة بعيد، ولكن تفسيره الآخر بأنّ المشار إليه بقوله عليه السلام «منّا» هو المهدي خاصّة، هو أقرب ممّا يقول الشارح، وسيعترف به بعد صفحات، فإنّ أئمة الزيدية كلّهم لم يتّصفوا بما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا واضح لمن راجع تأريخهم وحياتهم.

(٢) من ط.

(٣) في ط: الفئة.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٣٠.

وهو محتمل، ويحتمل أن يكون معنى «اخلولق الأجل» أي: صار خليقاً بأن يقع.

«واستراح قوم الى الفتن». أي: غلبت الفتن على كثيرين لفرط الفهم لها وانسهم بها.

«واشتالوا عن لقاح حربهم». أي: صار هؤلاء المشحوذين حرباً لهؤلاء الطوائف الداخلين في الفتن، فضمير «اشتالوا» عائد إلى المشحوذين، ومعنى «اشتالوا»: استبانوا، يقال: اشتالت الناقة عن لقاح، أي: رفعت ذنبها بسبب لقاحها وذلك أمارة لكونها حاملاً.

قال طرفة:

وسفي بذي خصل   روعات أكلف ملبد

يريد: أنّ الناقة ترفع ذنبها فيعرف الفحل أنّها حامل فلا يدنو منها، ومن ذلك سمّيت الحوامل شولاً، جمع شائل. قال: من لد شولاً فالى اتلائها.

ومعنى كلامه عليه السلام: ان هؤلاء الصالحين صبروا على مباينة الطوائف الكثيرة من المخالفين لهم.

وكأنّه عليه السلام أشار بقوله: «حتى إذا اخلولق الأجل...» إلى انقضاء دولة بني اُمّية ومجيء فتنة بني العباس وافتراق الشيعة حينئذٍ إلى داخل معهم في فتنتهم وماضٍ على الطريقة الأُولى من مباينة الظالمين، وبذلك امتازت الزيدية من الامامية[1] فالمشحوذون هم الزيدية؛ والله أعلم.

قوله عليه السلام: «لم يمنُّوا...»:

هذا جواب قوله: «حتى إذا»، والضمير في «يمنُّوا» راجع إلى العارفين الذين تقدّم ذكرهم في الفصل السابق قبله، انتهى من الشرح[2].

قلت: ومعناه: إنّهم صبروا على معاداة أهل هذه الفتن محتسبين وإن كانوا قليلين بالنظر إلى أعدائهم، ولم يعدوا عظيماً تعريض أنفسهم للقتل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل طابت بذلك أنفسهم وشروها من خالقهم، وهذه بلا شك صفة أئمة الزيدية وأتباعهم.

---

(١) المراد بعض الامامية، وإلّا فالاثنى عشرية منهم لازالوا ماضين على طريقهم من مباينة الظالمين. ولعل الشارح لم يقف على الفرق بين الفِّرق.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٣١.

قوله عليه السلام: «حتى إذا وافق وارد القضاء... إلى قوله: واعظهم»:

قال: حتّى إذا وافق قضاء الله تعالى وقَدَره في أن ينهض[1] هؤلاء قضاء الله وقدره في انقضاء مدّة تلك الفئة، وارتفاع ما كان شَمِل الناس من البلاء بملكها وإمْرتها، حَمل هؤلاء العارفون بصائرَهم على أسيافهم؛ وهذا معنى لطيف؛ يعني أنّهم أظهروا بصائرهم وعقائد قلوبهم[2] للناس، وكشفوها وجرّدوها من أجفانها، مع تجريد السيوف من أجفانها؛ فكأنّها شيء محمول على السيوف يبصره مَنْ يبصرِ السيوف؛ ولا ريبَ أنّ السّيوف المجرّدة من أجلى الأجسام للأبصار، فكذلك ما يكون محمولاً عليها؛ انتهى من شرح ابن أبي الحديد[3].

ويقرب عندي أنّ معنى «حملوا بصائرهم على أسيافهم» أي: أظهروا عقائدهم ودعوا إليها فمنَ أجاب قبلوه ومن أبى قتلوه، فكأن السيوف مركب للبصائر ينقلها من بلد إلى بلد، وهذا الفصل هو الذي يناسب أن يكون إشارة إلى أمر المهدي عليه السلام بخصوصه حيث أُريد انقضاء مدّة كلّ البلاء وكشف كلّ الفتن، ولا بعد أن يريد به أمر من ظهرت دعوته من الأئمة واستقرّت دولته ولو اختصت بقطر، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «حتى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله...» فقوله: «ووصلوا غير الرَّحِم» أي غير رحِم النبيّ صلى الله عليه وآله فذكرها عليه السلام ذِكْراً مطلقاً غير مضاف للعلْم بها، كما يقول القائل: «أهل البيت»، فيعلم السامع أنّه أراد أهلَ بيت الرسول عليه السلام

«وهَجَرُوا السبب» يعني أهلَ البيت أيضاً؛ وهذه إشارة إلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «خَلَّفْتُ فيكم الثَّقَلَيْن: كتاب الله وعِترتي أهل بيتي؛ حبْلان ممدودان من السماء إلى الأرض، لا يفترقان حتى يرِدَا عليّ الحوض»، فعبّر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ «السبب» لمّا كان النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «حَبْلان»، والسبب في اللغة: الحبل.

[عَنَى بقوله: «امِرُوا بمودّته»، قولَ الله تعالىٰ: ﴿قُل لا أسألُكُم عليه أجراً إلّا المودَّةَ في القُربىٰ﴾[4]].

---

(١) في ط: كي ينهض.

(٢) في ط: وعقائدهم وقلوبهم.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٣١.

(٤) الشورىٰ: ٢٣.

قوله عليه السلام: «**ونقلوا البناء عن رصّ أساسه**»:

الرّصّ: مصدر رَصَصْتُ الشيء أرصّه، أي ألصقت بعضه ببعض؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كأنَّهم بنيانٌ مرصوصٌ﴾[١]، وتَراصّ القوم في الصّف، أي: تلاصقوا. فبنوْه في غير موضعه! ونقلوا[٢] الأمر عن أهله إلى غير أهله.

ثم ذمّهم عليه السلام، وقال: «**إنّهم معادن كلّ خطيئة، وأبواب كل ضاربٍ في غَمْرة**»، الغمرة: الضّلال والجهل. والضّارب فيها: الداخل المعتقد لها.

قد ماروا في الحيرة، مارَ يمُور إذا ذهب وجاء، فكأنّهم يسبحون في الحيرة كما يَسْبَح الإنسان في الماء.

وذهَل فلان، بالفتح، يذْهَل. على سنّة من آل فرعون، أي: على طريقة، وآل فرعون: أتباعه، قال تعالىٰ: ﴿**أدخلوا آل فرعونَ أشدَّ العذابِ**﴾[٣].

من منقطِع إلى الدنيا: لا همّ له غيرها. راكن: مخلِد إليها، قال الله تعالىٰ: ﴿**وَلا تركَنوا إلى الّذين ظلموا**﴾[٤] أو مفارق للدين مباين[٥]: مزايل.

فإن قلت: أيّ فَرْق بين الرَّجُلين؟ وهل يكون المنقطِع إلى الدنيا إلّا مفارقاً للدين؟

قلت: قد يكون في أهل الضلال مَنْ هو مفارق للدين مباين؛ وليس براكنٍ إلى الدنيا ولا منقطِع إليها؛ كما نرى كثيراً من أحْبار النصارى ورهبانهم.

فإن قلت: أليس هذا[٦] الفصل صريحاً في تحقيق مذهب الإمامية؟

قلت: لا، بل نحمله على أنّه عَنَى عليه السلام أعداءه الذين حاربوه من قريش وغيرهم من أفناء العرب، في أيّام صِفّين، وهم الذين نقلوا البناء، وهجروا السبب، ووصلُوا غَير الرَّحِم، واتّكلوا على الولائج، وغالتهم السبُل، ورجعوا على الأعقاب؛ كعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومَرْوان بن الحكم، والوليد بن عُقْبة، وحبيب بن مسلَمة، وبُسْر بن أرطاة، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وحوشب، وذِي الكلاع، وشُرَحْبيل ابن

---

(١) الصف: ٥.
(٢) ب: «ونقلوا»، وما أثبته من د.
(٣) غافر: ٤٦.
(٤) هود: ١١٣.
(٥) كذا في د، وفي أ، ب: «ومباين»
(٦) ساقطة من د.

السّمط[١]، وأبي الأعور السلميّ؛ وغيرهم ممّن تقدّم ذكرُنا له في الفصول المتعلّقة بصِفّين وأخبارها، فإنّ هؤلاء نقلوا الإمامة عنهﷺ إلى معاوية، فنقلوا البناء عن رصّ أصله إلى غير موضعه.

فإن قلت: لفظ الفصل يشهدُ بخلاف ما تأوّلتَه، لأنّه قالﷺ: حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب، فجعل رجوعَهم على الأعقاب عَقِيب قَبْض الرسول ﷺ، وما ذكرتَه أنتَ كان بعد قَبْض الرّسول بنيف وعشرين سنة!

قلت: ليس يمتنع أن يكونَ هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب، لمّا مات رسول الله ﷺ، وأضْمَرُوا في أنفسهم مشاقّة أمير المؤمنين وأذاه، وقد كان فيهم مَنْ يتحكّك به في أيّام أبي بكر وعمر وعثمان، ويتعرّض له؛ ولم يكن أحدٌ منهم ولا من غيرهم يُقدِم على ذلك في حياة رسول الله. ولا يمتنع أيضاً أن يريد برجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الإسلام بالكلّيّة، فإنّ كثيراً من أصحابنا يطعنون في إيمان بعض مَنْ ذكرناه ويعدّونهم من المنافقين، وقد كان سيفُ رسول الله ﷺ يقمَعُهم ويردَعُهم عن اظهار ما في أنفسهم من النّفاق، فأظهر قومٌ منهم بعده ما كانوا يضْمِرُونه من ذلك؛ خصوصاً فيما يتعلّق بأمير المؤمنين[٢]، الذي وَرَد في حقّه: «ماكنّا نعرِفُ المنافِقين على عَهْدِ رسول الله إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب»، وهو خَبَرٌ محقّق مذكور في الصّحاح.

فإن قلت: يمنعك من هذا التأويل قوله: «ونقلوا البناء عن رصّ أساسه، فجعلوه في غير موضعه»، وذلك لأنّ «إذا» ظرف؛ والعامل فيها قوله: «رجع قومٌ على الأعقاب» وقد عطف عليه قوله: «ونقلوا البناء»؛ فإذا كان الرّجوع على الأعقاب واقعاً في الظرف المذكور، وهو وقت قبض الرسول، وجَب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في ذلك الوقت أيضاً، لأنّ أحد الفعلين معطوف على الآخر، ولم ينقل أحدٌ وقتَ قبض الرسول ﷺ البناء إلى معاوية عن أمير المؤمنين ﷺ،وإنّما نُقِل عنه إلى شخص آخر، وفي إعطاء العطف حقّه إثبات مذهب الإماميّة صريحاً!

---

(١) ب: «الصمت».

(٢) في ص: بأموره ﷺ.

قلت: إذا كان الرجوعُ على الأعقاب واقعاً وقت قبْض النبيّ ﷺ فقد قمنا بما يجبُ من وجود عامل في الظرف، ولا يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في تلك الحال أيضاً، بل يجوز أن يكون واقعاً في زمان آخر؛ إمّا بأن تكون الواو للاستئناف لا للعطف، أو بأن تكون للعطف في مطلق الحدث لا في وقوع الحدَث في عين ذلك الزمان المخصوص، كقوله تعالىٰ: ﴿حتّى إذا أتيا أهل قريَةٍ استطعما أهلها فأَبَوا أنْ يُضيِّفوهما فوجدا فيها جداراً يريدُ أنْ ينقَضَّ فأقامَهُ﴾[1]؛ فالعامل في الظرف «استطعما»، ويجب أن يكون استطعامهما وقت إتيانهما أهلَها لا محالة. ولا يجب أن تكون جميع الأفعال المذكورة المعطوفة واقعة حال الإتيان أيضاً؛ ألا ترى أنّ من جملتها «فأقامه» ولم يكن إقامة الجدار حال إتيانهما القرية بل متراخياً عنه بزمان ما؛ اللّهم إلّا أن يقول قائل: أشار بيده إلى الجدار فقام، أو قال له: قم، فقام، لأنّه لا يمكن أن يجعل إقامة الجدار مقارناً للإتيان إلّا على هذا الوجه؛ وهذا لم يكن، ولا قاله مفسّر. ولو كان قد وقع على هذا الوجه لما قال له: ﴿لَوْ شئتَ لاتَّخذتَ عليه أجراً﴾؛ لأنّ الأجر إنّما يكون على اعتمال عمل فيه مشقّة؛ وإنّما يكون فيه مشقّة إذا بناه بيده، وباشره بجوارحه وأعضائه.

واعلم أنّا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يقتضيه سؤدُده الجليل، ومنصبه العظيم، ودينه القويم، من الإغضاء عمّا سلف ممّن سلف؛ فقد كان صاحَبهم بالمعروف بُرْهَةً من الدهر، فأمّا أنْ يكون ما كانوا فيه حقّهم أو حقّه، فتركه لهم رفعاً لنفسه عن المنازعة، أو لما رآه من المصلحة؛ وعلى كلا التقديرين فالواجب علينا أن نطبّق بين آخر أفعاله وأقواله بالنسبة إليهم وبين أوّلها؛ فإنّ بُعْد تأويل ما يتأوّله من كلامه، ليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد والعدل الآيات المتشابهة في القرآن، ولم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظةً على الأصول المقررة؛ فكذلك هاهنا، انتهى من شرح ابن أبي الحديد[2].

نقلنا كلامه في شرح هذا الفصل بطوله ليعلم ذو البصيرة النافذة والفطنة الناقدة إنّه معترف بأنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام صريح في خلاف ما تأوّله، أو ظاهر. ومعترف بأنّ في تأويله بعداً. ثمّ إنّه عدل عن الصريح أو الظاهر لغير دليل قاهر، ولا مستمسك ظاهر إلّا أنّه

---

(١) الكهف: ٧٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٣٣ ـ ١٣٦.

يخالف معتقده ومذهب أصحابه، ولو ساغ له ذلك لما صحّ التمسك بدليل أصلاً، لأنّه يمكن لكلّ مخالف لكل دليل أنْ يتأوّله بما يوافق معتقده ومذهبه ـ وإن بَعُدَ التأويل ـ وذلك باطل، لأنّه يؤدّي إلى أن لا يوثق بخطاب أصلاً.

وقوله ـ في آخر كلامه: «إنّه وإن بعد التأويل، فليس بأبعد من تأويل المتشابهات» ـ لا يصح، لأنّ تأويل المتشابه إنّما قُبل لقيام دليل العقل والنقل القطعي على خلاف ظاهره وهو لم يتمسك فيما تأوّل الكلام لأجله بحجّة ظاهرة، فضلاً عن قطعيته، وإنّما هو ليطبّق معتقده.

وقوله: «واعلم أنّا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام...» إنّما يصح لو قد ثبت بالدليل القطعي أنّ موالاة القوم هي الدين القويم والشرف العظيم، وأنّ معاداتهم خروج عن قواعد الشريعة وعدول عن الطريق السويّ، وهذا لم يثبت ولا دَلّ عليه دليل، بل هو محلّ النزاع بينه وبين خصمه، فإنّ خصمه يدّعي عكس ما يدّعيه ويحتج له، ولو لم يكن له من الحجّة إلّا موافقته للظاهر لكان كافياً في صحّته.

وقوله: إنّه يريد أن يطبق بين أوّل أقوال وأفعال أمير المؤمنين عليه السلام وآخرها، فنحن نقول له: ومتى ثبت التنافي بينها حتى يلجأ إلى التلفيق؟، فإنّه عليه السلام لم يزل على طريقة واحدة وفعل واحد منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن قبضه الله تعالى إليه.

قولةٌ واحدٍ، وهو أنّه مدفوع عن حقّه مظلوم مغلوب لايجد ناصراً ولا يساعده على مطلوبه أحد، وفعله واحد، وهو أنّه كان يمتنع من البيعة لمن بايعوه، ويصرّح بأنّه لا يستحقها ولا تَثبُت له بالمبايعة ولا يلزم حكمها حتى يضطرّ إلى البيعة فيبايع مُلجأً إليها.

ومن أراد أن يحقّق ما قلناه فليتأمّل ما نقله هذا الشارح، حيث سلك طريق النقل والرواية دون التعصّب لمذهبه.

ومن عجيب ما وقع لهذا الشارح إذ سلك طريق العصبية والتأويل أنّه تارة إذا ظهر له من أقوال أمير المؤمنين وأفعاله الصادرة عنه في أوّل المدّة الطعن والتظلّم ولم يمكنه تأويله قال: كان ذلك من أمير المؤمنين في أوّل الأمر لما وقع في ظنّه أنّ القوم إنّما أرادوا بصرف الأمر عنه الدّنيا، ولما تبيّن له أنّهم إنّما أرادوا الآخرة ومصلحة الدين والمسلمين

سمح ورضي وعذّرهم.

فإن انعكس الأمر، وكان كلام أمير المؤمنين المنقول عنه في آخر مدّته ظاهراً في خلاف مذهبه، قال: نحن نتأوّله ونطبّق به ما تقدّم من قوله وفعله، فإنّه كان مسامحاً للقوم راضياً بفعلهم معتقداً لصحّة إمامتهم.

وكلّ هذا يدلّل على أنّ مصدر كلامه وتأويلاته مصدر التعسّف والتعصّب لمذهبه، لا إتّباع الدليل.

وإن عنى بمسامحة أمير المؤمنين ورضاه بما فعلوه: سكوته وسكونه وخوضه معهم فيما يرجع إلى الدين كالرأي في تدبير حرب الكافرين والخوض في مسألة يشكل على السائلين ـ وهذا هو الظاهر من قصده ـ، فليس ذلك ممّا يدلّ على رضاً، ولا يدل على موافقة الساكت الساكن حتى يعلم أنّه لا عذر له، كيف؟ وعذره معلومٌ، وقد وقع مثل ذلك من الحسنين في زمن معاوية وكانا يحضران عند والي المدينة ويشيران بما يرجع إلى أمر الدين وإلى جماعة المسلمين، وكذلك وقع من أولادهما كعليّ بن الحسين من إشارته على عبد الملك بن مروان، والباقر والصادق والحسن بن الحسن، وعبدالله بن الحسن، وكذلك وقع من غيرهم، كمحمّد بن الحنفية، وقيس بن سعد بن عبادة من حضورهما مجلس معاوية لمغالبة العلجين لمّا كان ذلك يرجع الى جملة المسلمين.

أفيجوز لمسلم أن يدّعي أنّ هؤلاء الأئمة وفضلاء المسلمين ومن جاء بعدهم من فضلاء المؤمنين قد أثبتوا إمامة معاوية ومن بعده من أئمة الجور الظالمين بهذا القدر من المعاملة؟!

وكذلك النداء بلفظ: «يا أمير المؤمنين» الذي يتشبّث به الشارح كثيراً فإنّه لا يثبت مطلوبه؛ لأنّه لفظ صادق بالنظر الى الوضع اللغوي، لأنّ المتأمّر على الناس سواء كان باستحقاق أو بغير استحقاق يُسمّى أميراً، كما قال عليّ عليه السلام: «إنّه لابدّ للناس من أمير برّ أو فاجر... إلى آخر كلامه».

وقد وقع النداء بذلك من فضلاء الصحابة والتابعين لمعاوية ومن تغلّب من بعده، أفيدل ذلك على صحّة إمامتهم؟! بلى قد صار حقيقة شرعية في شخص واحد يتبادر عند

الاطلاق إليه ولا يقع على غيره إلّا مع القرينة وهو عليّ عليه السلام.

وأمّا قول الشارح: إنّ أمير المؤمنين يعني في هذا الفصل من حاربه من الجماعة الذين عددهم، فهو مع كونه عذراً بارداً يدفعه سوق الكلام ونسقه، معلوم البطلان، لأنّ القوم الذين عدّدهم يعلم ضرورة عدم حصول ذلك منهم في وقت قبض الرسول صلى الله عليه وآله، لأنّ بعضهم لم يكن دخل في الإسلام بعد كذي كلاع وحوشب وأضرابهما وبعضهم لم يكن له نظر في هذا الأمر ويعلم قصور نفسه عن النظر فيه وبعضهم يعلم من حاله أنّه كان يحبّ مصير الأمر إلى عليّ عليه السلام لا ديناً بل أنفةً من أن يتأمّر عليهم غيره، كما وقع من أبي سفيان في بيعة أبي بكر، وما كان رأي ابنه وعشيرته وأشباههم إلّا كرأيه، وإنّما كرهوا ولاية عليّ عليه السلام من بعد لأنّهم تطمّعوا الدنيا وعلموا أنّهم لاينالونها معه عليه السلام، فأحبوها وآثروها واغتفروا لأجلها كلّ نقص.

وأمّا ما ذكره في شأن الجمل المتعاطفة وزعمه أنّها لم تشارك في الظرف وحمله لـ «الواو» على الاستئناف أو العطف من غير تشارك، فهو مع كونه عدولاً عن الظاهر وخروجاً عمّا يقتضيه السوق ومغزى الفصل، غير مقبول؛ لأنّه يكسب الكلام الفصيح ركاكة وضعفاً من حيث التبتّر والانقطاع والاخلال بالمهفوم، والأصل في الجمل المتتالية التشارك في القيد السابق لها أو اللاحق لها إلّا لدليل.

وما أوردهُ من المثال لمدّعاه من الآية الكريمة، فغير صحيح؛ لأنّ الفاء يقتضي الترتيب والتعقيب ويكفي في تحقق معنى الجميع فيها أن يقع أوّل المعطوف بها في آخر زمان المعطوف عليه ويصيران بذلك كالفعل الواحد، بخلاف الواو فإنّها لا تفيد تعقيباً وترتيباً فيتشارك المتعاطفان بها فيما هو المقصود بالتعاطف دفعه.

والمقصود بالتعاطف ـ ها هنا ـ هو تشارك المتعاطفات في وقوعها في وقت قبض الرسول صلى الله عليه وآله؛ لأنّ السوق يدل على ذلك، والله أعلم.

وإنّما وسّعت القول في ردّ تأويل الشارح ـ وإن كان سقوطه ظاهراً؛ لعدم الدليل الملجيء إليه ـ لأنّ جماعة من المتأخّرين المنتسبين إلى الزيدية ترى صحّته وتعتقده ديناً، فأردت تنبيه المخلصين للتشيّع على ضعف ما اعتمدوه وجعلوه سنداً لما صاروا إليه واعتقدوه، وبالله أثق.

ومن خطبة له عليه السلام:

وأحمد الله وأسْتَعِينُهُ على مَدَاحِرِ[١] الشَّيْطانِ وَمَزاجِرِهِ[٢]، والاعْتِصَام منْ حَبائِلِه[٣] وَمَخاتِله[٤].

وأشْهَدُ أنَّ محمّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، ونَجِيبُهُ وصَفْوَتُهُ، لا يُوَازَى[٥] فَضْلُهُ، ولا يُجْبَرُ فَقْدُه[٦]، أضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بعْدَ الضَّلَالَةِ المُظْلِمَةِ، والجَهَالَةِ الْغالِبَةِ، والْجَفْوَةِ[٧] الجَافِيَةِ، والنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الحَرِيمَ[٨]، ويَسْتَذِلّونَ الحكيم[٩]، يُحْيَوْنَ على فَتْرَةٍ[١٠]، وَيَمُوتُونَ علىٰ كَفْرَةٍ.

ثمَّ إنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أغْرَاضُ[١١] بَلَايَا قَدْ اقْتَرَبَتْ، فاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ[١٢]، واْحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ[١٣]، وتَثَبَّتُوا في قَتَامِ[١٤] الْعِشْوَةِ[١٥]، واْعْوِجاجِ الْفِتْنَةِ[١٦]، عِنْدَ

---

(١) في هـ. ب: مداحر الشيطان، المصدر مضاف إلى الفاعل... والدحور: الطرد والإبعاد، وفي هـ. ص: جمع مدحرة، وهي ما يدحر به أي يطرح.

(٢) مزاجر الشيطان: هي الأعمال الحسنة. (٣) هـ. ص: حبائله، جمع حبالة: يصيد به.

(٤) في هـ. ب: الختل: الخدع، وفي هـ. ص: مخايله، جمع مخيلة: وهي ما يختل به، أي: يخدع.

(٥) في أ و ب: «يوازي» بدون همزة، وفي ص: مهموزة، وفي هـ. ب: لا يقابل، وفي هـ. ص: أي لا يساوي واللفظة مهموزة.

(٦) في هـ. ب: إنّ فقده كسر لا يجبر، وفي هـ. ص: أي لا يسدّ أحد مسدّه.

(٧) في هـ. ب: الجفوة ـ بالكسر ـ: إسم للجفاء، وبالفتح: الفعلة الواحدة منه، وفي هـ. ص: هي غلظ الطبع وقسوة القلب.

(٨) في هـ. د: الجريم ـ ب وهذه غلطة مطبعية لم ترد في نسخ ب.

(٩) في هـ. ب، وفي نسخة: الحليم.

(١٠) في هـ. ص: أي انقطاع من الوحي وآثار النبوّة.

(١١) في هـ. ب: أهداف.

(١٢) في هـ. ص: هي ما تحدثه النعمة عند أهلها من الغفلة الشبيهة بالسكر.

(١٣) في هـ. ب: دواهي العقوبة، وفي هـ. ص: البوائق، جمع بائقة: الداهية.

(١٤) في هـ. ب: الغبار، وفي هـ. ص: القتام: الغبار.

(١٥) في هـ. ب: العشوة: أن تركب أمراً على غير بيان، وفي هـ. ص: العشوة ـ بكسر العين ـ ركوب الأمر على غير بيان ووضوح.

(١٦) في هـ. ص: إعوجاج الفتنة: أخذها في غير القصد وعدولها عن النهج، انتهى من الشرح.

طُلوعِ جَنِينِها[١]، وَظُهُورِ كَمِينِها[٢]، وانْتِصابِ قُطْبِها[٣]، ومَدَارِ رَحَاها، تَبْدأُ[٤] في مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ[٥]، وَتَؤُولُ إلى فَظَاعَةٍ[٦] جَلِيَّةٍ، شَبابُها[٧] كشَبابِ الْغُلاَمِ[٨]، وآثارُها كآثارِ السِّلاَمِ[٩]، تَتَوارَثُها[١٠] الظَّلَمَةُ بالْعُهُودِ، أوَّلُهُمْ قائِدٌ لآخِرِهِمْ، وآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بأوَّلِهِمْ، يَتَنافَسُونَ[١١] في دُنْيا دَنِيَّةٍ، ويَتَكالَبُونَ[١٢] على جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ[١٣]، وعنْ قَلِيلٍ يَتَبرَّأُ التابعُ عَنِ المَتْبُوعِ[١٤]، والْقائِدُ منَ المَقُودِ، فَيتَزَايَلُونَ[١٥] بالْبَغْضاءِ، وَيَتَلاَعَنُونَ عِنْدَ اللِّقاءِ[١٦].

ثمَّ يأتي بَعْدَ ذلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ[١٧]، والْقاصِمَةِ[١٨] الزَّحُوفِ[١٩]، فَتَزِيغُ[٢٠] قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقامَةٍ، وتَضِلُّ رِجالٌ بَعْدَ سَلاَمَةٍ، وتخْتَلِفُ الأَهْوَاءُ عنْدَ هُجُومِها[٢١]، وتَلْتَبِسُ الآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِها[٢٢]، مَنْ أشْرَفَ لها قَصَمَتْهُ[٢٣]، وَمَنْ سَعَى فيها

---

(١) في هـ. ب: أي مستورها، وفي هـ. ص: أي ما خفي منها أو بدء أوّلها كخروج الولد.

(٢) في هـ. ص: أي ما كان مكتمناً.

(٣) في هـ. ص: عبارة عن تمامها وانتشارها.

(٤) في أ ب ص: يبدأ.

(٥) في هـ. ب: أي تبدأ الفتنة في مسالك غير ظاهرة.

(٦) في هـ. ب: أي أمر شنيع وفضيع مشكل.

(٧) هـ. ب: الشباب: نشاط الفرس.

(٨) أي شدتها كشدّة الغلام وفتوّته.

(٩) في هـ. ب: الحجر، وفي هـ. ص: هي الحجارة، واحدها: سلمة.

(١٠) في ط: يتوارثها.

(١١) في هـ. ب: يرغبون.

(١٢) في هـ. ب، وفي رواية: ويكالبون.

(١٣) في هـ. أ: مريحة: متغيّرة منتنة، وفي هـ. ب: منتنة، وفي هـ. ص: أي ذات ريح، أي يتنازعون الدنيا تنازع الكلاب الجيف.

(١٤) في هـ. ص: يعني يوم القيامة، وذكر في الفقرة الثانية تبرّؤ المتبوع من التابع، انتهى من الشرح.

(١٥) أي يتفارقون.

(١٦) في ب: البقاء.

(١٧) في هـ. ب: الفتنة التي يضطرب فيها، وفي هـ. ص: أي التي ترجف بالناس وتزلزلهم.

(١٨) في هـ. ب و ص: الكاسرة، وفي هـ. د: القاصمة بدون واو ــ ب.

(١٩) في هـ. ب: الساري في هلاك كل شيء، وفي هـ. ص: التي تسير في الأرض وتنتشر.

(٢٠) في هـ. ب: فتعوج.

(٢١) في هـ. ب: سقوطها.

(٢٢) في هـ. ب: ظهورها.

(٢٣) في أ، وفي نسخة: فضحته، وفي هـ. ص: أي كسرته.

حَطَمَتْهُ[١]، يَتَكادَمُونَ[٢] فيها تَكادُمَ الحُمُرِ في الْعانَةِ[٣]. قَد اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الحَبْلِ، وعَمِيَ وجْهُ الأَمْرِ، تَغِيضُ[٤] فيها الحِكْمَةُ، وتَنْطِقُ فيها الظَّلَمَةُ، وتَدُقُّ أهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِها[٥]، وتَرُضُّهُم[٦] بِكَلْكَلِهَا[٧]، يضيعُ في غُبارِها الْوُحْدَانُ[٨]، ويَهْلِكُ في طَرِيقِها الرُّكْبانُ، تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ[٩]، وتَثْلِمُ[١٠] مَنَارَ الدِّينِ، وتَنْقُضُ عَقْدَ[١١] الْيَقينِ، يَهْرُبُ[١٢] مِنها الأكْياسُ[١٣]، ويُدَبِّرُها[١٤] الأرْجاسُ[١٥]، مِرْعادٌ مِبرَاقٌ، كاشِفَةٌ عَنْ ساقٍ[١٦]، تَقْطَعُ فِيها الأرْحامُ[١٧]، ويفارَقُ عليها الإسْلامُ[١٨]، بَرِيُّها سَقِيمٌ، وظَاعِنُها مُقِيمٌ.

منها: بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ[١٩]، وَخائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يَخْتِلُونَ[٢٠] بِعَقْدِ الأيْمانِ، وبِغُرُور[٢١] الإيمانِ، فَلاَ تَكُونُوا أنْصابَ[٢٢] الْفِتَنِ، وأعْلاَمَ الْبِدَعِ، والْزَمُوا ما عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ

---

(١) في هـ. ص: أي من انتصب برفعها وسعى في تغييرها هلك؛ لأنّ لها أمداً، وكذلك وقع الأمر.

(٢) في هـ. ب: يتعاضّون.

(٣) هـ. ب: العانة: قطيعة من حمر الوحش، والجمع: عون، وفي هـ. ص: أي يعضّ بعضهم بعضاً على الدنيا والتغلّب فيها، والعانة: قطيع من حمر الوحش، هكذا كان حال بني العباس وأهل دولتهم ومن يعزى إليهم.

(٤) أي تغور، وفي هـ. ب: تنقص.

(٥) في هـ. ب: المسحل: حديدة عريضة يجبّ فم الفرس إذا أُلجم، وفي هـ. ص: هو المبرد.

(٦) في هـ. ب: تدقّهم.

(٧) في هـ. ب: أي صدرها، وفي هـ. ص: هو الصدر، وهذا إشارة إلى شمولها الحضر والبادية.

(٨) في هـ. ب: جمع وحيد، أي: واحداً واحداً.

(٩) في هـ. ب: طريّ الدماء.

(١٠) في هـ. ب: تلمت الإناء أثلمه: إذا كسرتَ منه شيئاً فانثلم، وفي السيف ثلم: اذا كُسرت حافتُه.

(١١) في ب: عُقَدَ وعَقْدُ ـ معاً.

(١٢) في ب: تهرب.

(١٣) في هـ. ص: العقلاء، فلا يدخل في أمرها تقيّ.

(١٤) في ب: من التدبير.

(١٥) في هـ. ب: جمع رجس، وفي هـ. ص: الخبثاء.

(١٦) في هـ. ب: شدّة، وفي هـ. ص: كلّ هذا كناية عن شدّتها وكلبها.

(١٧) في هـ. ص: لا شك أنّ بني العباس قطعوا رحم آل رسول الله ﷺ وقطع بعضهم رحم بعض على الملك.

(١٨) وذلك لأنّهم استحلّوا الغدر واتخذوه سنّة وطريقة.

(١٩) في هـ. ب: الطل: إطالل الدم وهدره.

(٢٠) في هـ. ب: يخدعون.

(٢١) في ص: وغرور.

(٢٢) في أ، أنصار، وفي هـ. ب: جمع نصب.

الجَمَاعَةِ[١]، وبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكانُ الطاعَة، واقْدَمُوا على اللهِ مَظْلُومِينَ، ولا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ[٢] ظالِمِينَ، واتَّقُوا مَدارِجَ الشَّيْطان[٣]، ومَهابِطَ[٤] الْعُدْوانِ، ولا تـدْخِلُوا بُـطُونَكُمْ لُـعَقَ[٥] الحَرامِ، فإنَّكُمْ[٦] بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَعْصِيَةَ، وسَهَّل لكُم سَبيل الطاعَةَ[٧].

***

قوله عليه السلام: «فتبينوا في قتام العشوة»:

قال في الشرح: والقَتَام، بفتح القاف: الغبار [والأقتم: الذي يعلوه قَتَمة؛ وهو لونٌ فيه غبرة وحُمْرة][٨].

والعِشْوة، بكسر العين: ركوب الأمر على غير بيان ووضوح. ويروى: «فتثبتوا[٩] في قَتَام العِشْوة» كما قرئ: ﴿إن جاءكُمْ فاسقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[١٠] و (فتثبتوا)، انتهى [١١].

دلّ قوله على ان الرواية عنده بالياء باثنتين من تحت.

قوله عليه السلام: «شبابها شباب الغلام...»:

شِباب بكسر الشين، مصدر شبّ الفرس والغلام يشِبّ ويشَبّ شباباً وشبيباً، إذا قـمص ولعب، [وأشببتُه أنا، أي هَيّجْتُه. والسِّلام: الحجارة جمع، واحده سَلِمة بكسر اللام؛ يذكر الفتنة، و] يقول: إنّها تبدو في أوّل الأمر وأربابها يمرحـون ويشِـبّون كـما يشِبّ الغـلام ويمرح، ثم تئول إلى أن تعقب فيهم آثاراً، كآثار الحجارة في الأبدان، انتهى من الشرح[١٢].

---

(١) من ولاية أهل البيت عليهم السلام
(٢) في أ: على الله. وفي هـ . أ، وفي نسخة: عليه، وفـي هـ . د: ولا تـقدموا عـلى الله ـ ف، ولا تقدمون عليه ـ م.
(٣) في هـ . ص: جمع مدرجة: وهي السبيل.
(٤) في هـ . ص: جمع مهبط، محالّها حيث تهبط.
(٥) في هـ . ب: اللعقة: ما تأخذه الملعقة. وفي هـ . ص: جمع لعقة، ما يلعق، أي قليل الحرام فضلاً عن كثيره.
(٦) في هـ . ص: أي فإنّ أعمالكم لا تخفى على الله.
(٧) لم ترد «وسهّل لكم سبيل الطاعة» في أ و ط وفي هـ . د: لم ترد «وسهل لكم سبيل الطاعة» في ف ن ب ل، سبل الطاعة ـ ل.
(٨) من ط.
(٩) في ط: وتبينوا.
(١٠) الحجرات: ٦.
(١١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٩.
(١٢) شرح نهج البلاغة ٩: ١٤٠ـ١٤١.

ويحتمل أن يريد أنّها في أوّل أمرها يستخف بها ظنّاً بأنها لا تعقب ضرراً ثم تعقب ضرراً كبيراً، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «**ثم يأتي بعد ذلك ...**»:

أي: يأتي بعد تقضّي مدّة أهل هذه الفتنة الأُولى وكمال أيّامها.

وإلى تقضّيها الإشارة بقوله: «أوّلهم قائد لآخرهم وآخرهم مقتد بأوّلهم» فأثبت لأهل هذه الفتنة أوّلاً وآخراً وذكر من أحكامهم حكماً دنيوياً ـ وهو حرصهم على الدنيا ـ، وحكماً أُخروياً ـ وهو تبرؤ بعضهم من بعض ـ.

ولاشكّ أنّ هذه الفتنة الأُولى هي فتنة بني أُميّة، عين اليقين.

وقال: إنّها إذا تكمّلت أيّامها وتقضّت جاء بعدها فتنة أُخرىٰ أعظم منها. ولا شكّ أنّ تلك الفتنة هي فتنة بني العباس ومن يتّصل بهم من الأعاجم، فقد كان من في زمنهم يعترى إليهم، ومن جاء بعدهم فروعٌ عنهم، وقد ضلّ بسبب فتنة بني العباس قوم كثيرون كانوا قبل على طريقة الشيعة ومن أولياء أهل البيت فصاروا لهم أعداء، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «**وتختلف الأهواء...**»:

لا شكّ أنّ تفرّق المذاهب والخوض في العقائد كان مقروناً بدعوة بني العباس وفي زمنها حصل، وذلك فتنة أُخرىٰ.

قوله عليه السلام: «**قد اضطرب معقود الحبل**»:

أي: حبل الحقّ وجماعته، وذلك افتراق الشيعة إلى زيدية ورافضة؛ فإنّ بني العباس والوا الرافضة وقرروا مذهب الإمامية، وعادوا الزيدية ، كما هو معروف من فعل المأمون والمعتصم ومن بعدهما[1].

---

(١) هذا قول من لم يعرف حقيقة العباسيين، الذين لم يوالوا أي مذهب من مذاهب أهل البيت عليهم السلام ، وما تظاهر به المأمون لم يكن الاّ سياسة مقطعيّة لامتصاص نقمة الشيعة الذين ثاروا بوجه طغاة بني العباس في الشرق، وهذا كان مكشوفا لدى القيادة الشيعيّة منذ البداية بكل وضوح، ولمّا أجبر المأمون الامام الرضا عليه السلام على قبول ولاية العهد، اشترط عليه الامام عليه السلام أن لا يتدخّل في أي شأن من شؤون الدولة، وكان ذلك منه اعلانا لكافة المسلمين بأنّ ولاية العهد ليست واقعية، بل هي صوريّة محضة .

قوله عليه السلام: «تغيض فيها الحكمة...»:

يريد: أنّ التخاطب فيها يكون بما يوافق أهواء الظلمة المدبرين لها، وحينئذٍ تغيض الحكمة وتخفى؛ لانّ الحق لا يوافق الهوى، ولا شكّ أنّ مذهب أهل البيت خفي، وخاف المتمسك به وتوقى واستتر في جميع أزمان هذه الفتن وعدّهُ المفترون بدعة.

وقوله عليه السلام: «تضيع في غبارها...»:

الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ من معنى هاتين الفقرتين: إنّ الواحد ممّن ينكر أمر هذه الفتنة ويدعو إلى تغييرها يضيع فلا يجاب ولا يؤبه له ولا يستمع إلى قوله، فإن اجتمع جماعة ودعوا إلى تغييرها وقاموا في طريقها أي في وسط أمدها ومدّتها ليردّوها ويبطلوها، هلكوا، أي أهلكهم أهلها وكذلك وقع الأمر، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «وتنثلم منار الدين...»:

يريد عليه السلام: أنّه يصيب أهل البيت وينالهم من شرّها ما يؤثّر في حالهم ويصغّر من منزلتهم ويصدّ عن اتباعهم.

قوله عليه السلام: «بريّها سقيم...»:

أي: من قيل فيه ـ من أهل هذه الفتنة ـ أنّه بريء فهو سقيم؛ لأنّه وإن اجتنب بعض منكراتها مرتبك في بعضها، وهذا كما كان يقال في السفّاح والمأمون وغيرهما منهم ومن أتباعهم كابن أبي داود وأبي يوسف ويحيى بن أكثم وأضرابهم. وكذلك معنى: «وَظاعنها مقيم».

أي: من قيل فيه أنّه فارقها وانفصل عن منكراتها فإنّه باقٍ فيها لأنّ الرضى باليسير منها كالكثير، كيف وهم مطبقون على عداوة أهل البيت الداعين إلى سبيل الله.

قوله عليه السلام: «بين قتيل مطلول وخائف مستجير»:

الأظهر أنّه يشير بذلك إلى تقسيم حال أولاده في مدّة هذه الفتنة، فقال: منهم المقتول الذي لا يطلب بدمه ومنهم الخائف المستجير، ولعلّه متصل بما يناسبه من نحو «يثلم منار الدين».

وقوله: «يختلون بعقد الأيمان»:

يرجع إلى أهل هذه الفتنة، وهذه طريقة بني العباس، فإنّهم غدروا بابن هبيرة وأبي مسلم وعبدالله بن علي وغيرهم بعد تأكيد العقود، وغدر الرشيد بيحيى بن عبدالله وأظهر النسك في مدّة ظهوره بالجبل والديلم وهو الذي عناه عليه السلام بقوله: «وغرور الايمان»، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «**والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة**» يعني ولاية أهل البيت عليهم السلام والاعتصام بهم، فهم حبل جماعة الحق كما تواترت به الأخبار، وهم أُولوا الأمر المأمور بطاعتهم في قوله تعالىٰ: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا ٱلرّسول وأُولي الأمر منكم**﴾[1] لأنّ الإمامة حقٌّ لهم مقصور عليهم كما قضى به فحوى الأحاديث المتواترة معنى، والله أعلم.

---

(١) النساء ٤: ٩٥.

ومن خطبة له عليه السلام:

الحَمْدُ لِلّٰهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ على أَزَلِيَّتِهِ، وَباشْتِباهِهِمْ[1] على أَنْ لَا شَبهَ لَهُ[2]؛ لَا تَسْتَلِمُهُ[3] المَشاعِرُ[4]، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ؛ لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالمَصْنُوعِ، وَالحَادِّ والمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالمَرْبُوبِ، الأَحَدِ لابتَأْوِيلِ[5] عَدَدٍ، وَالخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ، وَالسَّمِيعِ لَا بِأَداةٍ، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ[6]، وَالشَّاهِدِ لَا بِمُماسَّةٍ، وَالْبائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسافَةٍ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ، وَالْباطِنِ لَا بِلَطافَةٍ.

بانَ مِنَ ٱلأَشْياءِ بِالْقَهْرِ لَهَا، وَالْقُدْرَةِ عَلَيْها، وَبانَتِ الأَشْياءُ مِنْهُ بالخُضُوعِ لَهُ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ. مَنْ وَصَفَهُ[7] فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قالَ: «كيْفَ» فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قالَ: «أَيْنَ»، فَقَدْ حَيَّزَهُ، عالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ، وَقادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ.

ومنها:

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لَامِعٌ؛ وَلَاحَ لَائِحٌ، وَٱعْتَدَلَ مَائِلٌ، وَٱسْتَبْدَلَ ٱللهُ بِقَوْمٍ قَوْماً، وَبِيَوْمٍ يَوْماً؛ وَٱنْتَظَرْنَا ٱلْغِيَرَ ٱنْتِظَارَ الْمجْدِبِ ٱلْمَطَرَ.

وَإِنَّمَا ٱلْأَئِمَّةُ قُوَّامُ ٱللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبادِهِ، وَلَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ.

إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَٱسْتَخْلَصَكُمْ[8] لَهُ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ ٱسْمُ سَلَامَةٍ، وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ، ٱصْطَفَى ٱللهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ[9] عِلْمٍ[10]، وَبَاطِنِ حِكَمٍ؛ لَا تَفْنَى

---

(١) في ب: وبأشباههم، وفي هـ. ب في نسخة: وباشتباههم.

(٢) في هـ. د: لا شبيه له ـ م.

(٣) في هـ. ب: لا تشتمله، بمعنى المسّ.

(٤) في هـ. ب: الحواس، ويكون في اللغة مواضع المناسك.

(٥) في ط: بلا تأويل.

(٦) في هـ د: بلا تفريق آلة ـ ب.

(٧) في هـ. ص في نسخة زيادة: سبحانه.

(٨) في هـ. د: واستخصكم ـ ب.

(٩) في هـ. د: وظاهر حلم ـ حاشية م.

(١٠) في هـ. ب: هو القرآن.

غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ.

فِيهِ مَرَابِيعُ[١] النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ، لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ[٢]، وَلاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ[٣]، قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ[٤]، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ[٥]، فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفِي، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي.

* * *

قوله ﷺ: «**الحمد لله الدال على وجوده بخلقه**»:

اعلم انه يستدلّ على ان للعالم صانعاً بطريقين:

إحداهما: الطريقة المذكورة في هذا الفصل، وهي طريقة المتكلّمين، وهي إثبات أنّ الأجسام محدَثة، ولابدّ للمحدَث من محدِث.

والثانية: إثبات وجوده تعالى من النّظر في نفس الوجود.

وذلك لأنّ الوجود ينقسم بالاعتبار الأوّل إلى قسمين: واجب وممكن، وكلّ ممكن لابدّ أن ينتهي إلى الواجب، لأنّ طبيعة الممكن يمتنع من أن يستقلّ بنفسه في قوامه؛ فلابدّ من واجب يستند إليه؛ وذلك الواجب الوجود الضروريّ الذي لابدّ منه، هو الله تعالىٰ. انتهى من شرح ابن أبي الحديد[٦].

ويمكن أن يقال في تقرير هذين الطّريقين وبيانهما: الحادثات المشاهدة حدوثها أجسام وأعراض حصلت بعد أن لم تكن، فثبت لها حكم الخروج من العدم إلى الوجود وحصلت مترتبة ومختلفة في الأجناس والأقدار والهيئات، وفي النموّ وعدمه والحيوانية والجمادية، والطبائع والألوان، والبقاء ومدّته، والفناء وأوقاته وأسبابه، وفيها من غرائب الحكمة وبدائع الصنعة ما يحيّر مقل العقول ويبلّد الفكر، فلابدّ من مؤثّر أخرجها من العدم إلى الوجود، ورتّبها، وخالف بينها وأقامها وأفناها.

---

(١) في هـ . ب: الأمطار التي تجيىء في أول الربيع.
(٢) في أ و ب و ص و د: بمفاتحه، وفي هـ . د: بمفاتيحه ـ ض ح م.
(٣) في أ و ب و د: بمصابحه، وفي هـ . د: بمصابيحه ـ ن ض ح.
(٤) في هـ . ب: أي منع المحرّمات. (٥) في هـ . ب: أي أحل الطيّبات.
(٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٤٨.

لا يجوز أن يكون المؤثر موجباً من علّة أو طبع أو دهر ـ كما يزعمه المثبتون لهذه المؤثّرات ـ، لما علم من اختلافها في جميع أُمورها وترتّب حصولها وأحوالها واختلاف وجوه حكمها، فلو كان المؤثّر موجباً لما وقع بينها اختلاف ولا ترتّب، لأنّ تأثير الإيجاب بخلاف ذلك؛ لوجوب وقوعه دفعةً علىٰ وجه واحد ـ كما يزعمون ـ.

ولا يجوز أن يكون كلّ واحد منها فاعلاً لنفسه متحيّزاً في ذلك؛ لوجوب تقدّم المؤثر المتخيّر على أثره ضرورة؛ لأنّ من تلك الآثار الفناء والنقوص المنفور عنها، فلا يوقعها المختار في نفسه.

ولا يجوز أنّ شيئاً منها أوجد شيئاً غيره؛ للقطع ضرورة بعجز كل جسم عن إيداع جسم آخر، ألا ترى أنّ الحيوان ذا العقل والأدوات لا يستطيع ذلك ـ كما يعلمه كلّ أحد ضرورة من حال نفسه ونظيره؛ فبالأولى غير الحيوان الناطق.

فألجأتنا الضرورة إلى إثبات موجد لها مخالف بينها مرتب لها مقيم لها ومفنٍ لها مضمّنٍ لها ضرورياً من الحكمة الباهرة فأذعنّا به وأثبتنا منه قدر الضرورة فقط؛ لئلّا نثبت ما لا دليل عليه.

ثم أنّا وجدنا جملة العالم المشتملة علىٰ هذه الجزئيات الحادثات المشاهدة الحدوث من السماء والأرض والنيّرات، مساوية لهذه الأشياء في الجسمية وصفاتها قطعاً، وحكم المتماثلين في مقتضى الحكم واحد، فنقطع بحدوثها واحتياجها إلى محدثها ضرورة.

على أنّ هذه الأُصول في نفسها دليل حدوثها؛ لأنّ منها: المرتفع، ومنها: المنخفض، ومنها: المنير، ومنها: المظلم، ومنها: السائر، ومنها: المقيم، ويعتريها النقص والزيادة، والتساقط، والتخسف والانفراج، والإلتيام، والاشراق، والاظلام، وطمس نور المنير، وأُفول المظاهر المرتفع في أوقات تتفق وتختلف، فهذا دليل حدوثها؛ إذ القديم لا يتأثّر ولا يتغيّر.

فلابدّ لهذه الحادثات من محدث مختار؛ لوضوح التخيّر في هذا التأثير، قادر؛ لاستمرار تأثيره واطراده، عالم لوضوح الحكمة في آثاره واطرادها، حي؛ لضرورة كون المختار القادر العالم حيّاً.

فهذا دليل كاف في إثبات المؤثّر وفي وصفه بأنّه مختار قادر عالم حي.

ويقال في تقرير الطريق الآخر: الوجود إمّا أن يكون كلّه واجباً، أو كلّه جائزاً، أو بعضه واجباً وبعضه جائزاً.

لا يجوز أن يكون كلّه واجباً؛ لضرورة العلم بتجدّد أكثر الموجودات، ولا أن يكون كلّه جائزاً؛ لوجوب افتقار الموجود الجائز إلى موجد، فلزمنا ـ بالضرورة ـ إثبات موجود واجب لا يجوز عليه العدم، فثبت القسم الثالث، وهو أنّ بعض الوجود جائز وبعضه واجب. وأثبتنا من الواجب الذي دعت إليه الضرورة بقدرها، وهو موجود واجب لئلا نثبت ما لا دليل عليه.

ثم إنّا نقول: لما كانت الضرورة ـ التي ألجأتنا إلى إثبات مؤثر قديم ـ وجدان أثر خارج عن قدر الأجسام، ووجدنا ظاهر القرآن من ذلك الأثر؛ بدليل عجز أفصح متكلّمي أُمّة هي أفصح أُمّة أُخرجت للناس عن معارضته، مع التحدّي لهم به ووفور رغباتهم في إبطال دعوى من جاء به، كما يعلمه ضرورة من نظر في أحوالهم التي تناهت إلى تلفهم، نسبنا القرآن إليه، واستدللنا به على ما يصح إطلاقه على ذلك المؤثر من الأوصاف ومالا، وما ينسب إليه من الأفعال وما لا، وصحّ الاستدلال على ذلك بما صحّ عن رسول الله ﷺ وبما صحّ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وبما أجمعت عليه الأئمة؛ إذ في القرآن حقيّة هذه الأدلّة.

وهذا الدليل هو الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله في خطبة الأشباح: «فانظر أيّها السائل... إلى آخر كلامه والله أعلم وبه استعصم.

قوله عليه السلام: «وبمحدث خلقه على أزليّته»:

أشار عليه السلام إلى بيان أزليته ـ تعالى ـ بما معناه: أنّ العالم مخلوق له سبحانه، حادث من جهته والمحدَث لابدّ له من محدِث فإن كان ذلك المحدِث محدَثاً عاد القول فيه كالقول في الأوّل ويتسلسل فلابدّ من محدِث قديم، وذلك هو الله تعالىٰ، انتهى من الشرح[1].

قوله عليه السلام: «وباشتباههم على أن لا شِبه له»:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٤٨.

أشار عليه السلام إلى بيان انّ الله لا يشبهه شيء، أن قال: إنّ مخلوقاته متشابهة، يعني بذلك ما يريده المتكلّمون من قولهم: الأجسام متماثلةٌ في الجسمية، وإنّ نوع الجسمية واحد، أي لا يخالف جسم جسماً بذاته، وإذا كانت متماثلة صحّ للآخر، فلو كان الله سبحانه سببه منها ـ أي لو كان جسماً مثلها ـ لوجب أن يكون محدّثاً مثلها أو تكون قديمة مثله، وكلا الأمرين محال، انتهى من الشرح[١].

وقد سبق نقل كلام القاسم: من أنّ الضرورة قاضية باختلاف حقيقة المؤثر والمؤثر، وبأنّه لابدّ للمؤثر من خلاف في حقيقته هو المؤثر[٢].

قوله عليه السلام: «لا تستلمه المشاعر»، وروي «لا تلمسه»:

وبيان ما أراده: أنّه اذا كان يقال: ليس بجسم، استحال أن تكون المشاعر لامسةً له؛ لأنّ إدراك المشاعر مدركاته مقصور على الأجسام وهيئاتها. والاستلام في اللغة: لمس الحجر باليد وتقبيله؛ ولا يهمز، لأنّ أصله من السّلام، وهي: الحجارة، انتهى من الشرح[٣].

قوله عليه السلام: «ولا تحجبه السواتر»:

بيانه أنّ السواتر والحُجب؛ إنّما تحجب ما كان في جهة؛ وذلك لأنّها ذوات الأين والوضع.

ثم قال عليه السلام: «لافتراق الصانع والمصنوع»:

إشارة إلى أنّ المصنوع من ذوات الجهة والصانع منزّه عن ذلك؛ بريء عن الموادّ، فلا يلزم فيه ما يلزم في ذوات المادة والجهة؛ انتهى من شرح ابن أبي الحديد[٤].

ويظهر لي أنّه عليه السلام أشار بقوله: «لافتراق الصانع والمصنوع... إلى آخره» إلى برهان الأحكام الثلاثة، وهي كونه لا يشبهه شيء، ولا يدرك بالحواس، وأنّه لم يحتجب عن رؤية خلقه له بشيء، والحكمان الآخران داخلان في الحكم الأوّل لكنّه خصّهما لقوّة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٤٨.

(٢) في هـ. ص: وقد سبق كلام القاسم من ان الضرورة قاضية باختلاف حقيقة المؤثر، وبأنّه لابد للمؤثر من خلاف.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٤٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٤٩.

التوهّم فيهما، ومن ثم قال بهما من لم يقل بمطلق التشبيه.

وبيان هذا البرهان: أنّ الضرورة قاضية باختلاف ذات المؤثِر وذات المؤَثّر، وهذا البرهان قد أوضحه القاسم بن إبراهيم وجعله أقوى دليل علىٰ وجود الصانع، وقد نقلت شطراً من كلامه فيما سبق، ومنه قوله: «وإذا كان ذلك كذلك وصحّ ما ذكرنا في النفوس من ذلك كان واجباً وجوب اضطرار وثابتاً في النفوس في أبيت قرار، دركه سبحانه ووجوده عند دركها ووجودها؛ إذ هو سبحانه خلاف لكل ما يوجده من موجودها، انتهى. وكلامه بسّط في الدليل الكبير، وفي مناظراته للملحد، فخذه من هنالك إن أحببت، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «**الأحد لا بتأويل عدد... إلى قوله: والرجوع إليه**»:

اعلم انّه عليه السلام لما قرّر أنّ التوحيد: نفي التوهم، نبّه علىٰ دفع الوهم العارض عند إطلاق الأوصاف عليه سبحانه لما كانت قد تطلق على غيره بمعانٍ لا تصحّ في حقّه، والوهم يذهب إلى ما تألفه النفوس، وإنما معنى كونه سبحانه احداً أنّه لا ثاني له في الربوبية، ومعنى كونه خالقاً ما عناه سبحانه بقوله: ﴿**إنّما أمْرهُ إذا أراد شيئاً أنْ يقول له كُن فيكون**﴾[1]، وذلك لكونه قادراً بذاته لا لمعنى يَحُلّ الةّ يعملها، فيَلحقه لازم الأعمال وهو الحركة والنصب.

ومعنى كونه سميعاً؛ هو أنّه عالم بالمسموعات، ومعنى كونه بصيراً هو أنه عالم بالمبصرات، وعلمه بالمعلومات هو بذاته لا بمعنىٰ، ولا بأمر زائد علىٰ ذاته، فهو مستغنٍ عن الأداة والآلة وهما مستحيلان في حقّه؛ لأنّهما من لواحق الأجسام.

وأراد عليه السلام بالآلة التي أشار إلى أنّ الواحد منّا يفرقها على المبصرات: البصر، الذي هو معنى في الحقيقة يفرقه المبصر على المرئيات بواسطة الهواء يوصله له إلى كل مرئي، لا أنّه أراد به الشعاع الذي هو ـ عند زاعميه ـ جسم، فإنّ اثباته بعيد أو محال، والله أعلم.

والمراد بالشاهد غير الغائب، ولما كان يلزم الحاضر بجسمه مماسة المحضور عنده، نفى اللازم لينتفي ملزومه ويخلص المعنى في الحاضر بعلمه، ولما كان المتبادر من وصف الجسمين بالبينونة بعد ما بينهما، نفاه؛ دفعاً لتوهمه في حقّه تعالىٰ.

---

(١) يس ٣٦: ٨٢.

ثم لما كان معنى الوصف بالبينونة محتاجاً الى البيان في حقّه تعالى بيّنه عليه السلام بقوله: «بان من الأشياء بالقهر لها، والقدرة عليها، وبانت الأشياء منه بالخضوع له، والرجوع إليه».

قال في الشرح : «هذا هو معنى قول المتكلّمين والحكماء، والفرق بينه وبين الموجودات كلّها أنه واجب الوجود لذاته، والأشياء كلّها ممكنة الوجود بذواتها؛ فكلّها محتاجة إليه، لأنّها لا وجود لها إلّا به؛ وهذا هو معنى خضوعها له، ورجوعها إليه. وهو سبحانه غنيّ عن كلّ شيء؛ ومؤثّر في كلّ شيء؛ إمّا بنفسه، أو بأن يكون مؤثّراً فيما هو مؤثر في ذلك الشيء، كأفعالنا، فإنّه يؤثر فينا؛ ونحن نؤثر فيها، فإذاً هو قاهر لكلّ شيء؛ وقادر على كلّ شيء. فهذه هي البينونة بينه وبين الأشياء كلّها. انتهى»[1].

قلت: وذلك نفس ماقاله القاسم: إنّ الضرورة أثبتت مؤثّراً مخالفاً للمؤثّر كما سبق تقريره، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «من وصفه... إلى قوله: أزله»:

يريد إنّ من أثبت لله صفة زائدة على ذاته فقد استلزم قوله هذا أنّ الباري سبحانه محدود الذات؛ وذلك لأنّ إثبات صفة زائدة على الذات يقتضي أنها متميّزة عن الذات في المفهوم، ولا يتميّز مفهومها عن الذات إلّا إذا كان كلّ واحد متناهياً في العقل، ولا يتناهى في العقل إلّا ما كان له حدود تحصره، وكل ما شملته الحدود فإنّه ملزوم لكونه معدوداً، والعدد لازم للأجسام والأعراض من حيث أنّه لا يمكن إلّا في حق متناهي الأقطار، وليس ذو الأقطار المتناهي إلّا الجسم والعرض. فبيّن عليه السلام أنّ إثبات الصفة الزائدة وجعل ذات الباري تعالى محدوداً وكونه معدوداً متلازمة، من أثبت واحداً منها لزمه الآخران، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه» أي: سأل مخاطبه وصف الله بما لا يجوز عليه من الكيفيّات، فكان جاهلاً به؛ لأنّه جوّز عليه مالا يجوز كواصفه بها. والكيفيّات هي الألوان والطعوم ونحوها، والأشكال، والمعاني، وما يجري مجرى ذلك من حلى الأجسام.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٤٨.

فضمير المفعول في «استوصفه» واقع موقع المفعول الثاني في قولك: استوصفت زيداً الشيء الفلاني، أي: سألته أن يصفه لي.

قوله عليه السلام: «ومن قال: أين؟ فقد حيّزه»:

وذلك لأن «أين» سؤال عن المكان وليس الله في مكان، وقد بيّن عليه السلام في هاتين الفقرتين ما لا يجوز إطلاقه في حقّه تعالىٰ. وإذا قيل الله في كل مكان فبمعنى محيط علمه.

قوله عليه السلام: «عالم إذ لا معلوم، وربّ إذ لامربوب، وقادر إذ لا مقدور» أي: ليس اتصافه بهذه الأوصاف وهي أنّه عالم، وأنّه ربّ، وأنّه قادر، بمترتب علىٰ وجود المعلومات والمربوبات والمقدورات، بل هو مستأهل في الأزل للوصف بها؛ وذلك لأنّ ذاته لمّا كانت ذاتاً مخصوصة مخالفة لكلّ الذوات لا مشاركة بينها وبين الذوات في أمر ولا مفهوم، كان بخصوصيتها عالماً لكل معلوم؛ وقادراً على كلّ مقدور، ومالكاً لكل مملوك، قبل وجدان المعلومات والمقدورات والمملوكات، فلا جرم كان الباري في الأزل مستأهلاً للوصف بهذه الأوصاف.

وفي قوله عليه السلام هذا دليل على بطلان قول من يُثبت الذوات في الأزل؛ لأنّها إن كان لها مفهوم حقيقيّ يمكن تعقّله فهي معلوم ومربوب ومقدور، وقد نفاها عليه السلام.

وإن لم يكن لها مفهوم حقيقي يعقل، فهو إثبات ما لا يعلم، وقد قال تعالىٰ: ﴿وأن تقولوا على الله مالاتعلمون﴾[1].

واعلم: أنّه إذا تحقّق لك أنّ اتصاف الباري سبحانه في الأزل بأنّه عالم وبأنّه ربّ وبأنّه قادر، هو بمعنى أنّه أهل لأن يوصف بهذه الصفات يصف هو بها نفسه ويصفه بها خلقه عند وجوده.

والصفات هي الإضافات مثل هو عالم، هو قادر، هو ربّ أي مالك، صحّ أن يقال: إنّه سبحانه في الأزل مستأهل لأن يوصف بأنّه خالق وكريم ومحسن من صفات الأفعال؛ لأنّ الفاعل يوصف بفعله الذي يوقعه قبل إيقاعه اتفاقاً، وإنّما الخلاف في أن وصفه به علىٰ وجه الحقيقة أو المجاز، فقد اتفقت الأوصاف في أنّ الباري سبحانه مستأهل في الأزل

---

(١) البقرة: ٢/ ١٦٩.

لأن يوصف بها فيما لا يزال وأن يصف بها نفسه قبل خلقه، وإنّما افترقت من حيث أنّ إضافات الصفات الذاتية تُفهم تحقّق الاتصاف بمفهومها في الأزل.

فالله يعلم في الأزل جميع معلوماته، ويقدر في الأزل على جميع مقدوراته، وإنّ إضافات الصفات الفعلية تفهم أنّ الاتصاف بمفهومها حقيقة إنّما هو فيما لا يزال.

وإلى هذا الذي حقّقناه من اعتبار تساوي الوصفين في مصحّح الإطلاق وافتراقهما في الأفهام أشار كلام الأئمة عليهم السلام:

قال زين العابدين عليه السلام: «ليس منذ خلق استحق اسم الخالق، بل هو مستأهل لأن يسمّى باسم الخالق قبل أن يخلق».

ومن ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ربّ إذ لا مربوب» على القول الراجح ـ وهو أنّ ربّاً ومالكاً من صفات الأفعال، كما هو قول المرتضى وأبي القاسم البلخي وغيرهما.

وقال القاسم: إن صفات الأفعال ما ثبتت بعد أن لم تكن أي ما ثبت مفهومها بعد أن لم يكن لا استيهال الله للوصف بها فهو أزلي، فلا تنافي بين كلاميهما ـ كما توهمه بعضهم ـ، لاختلاف الاعتبارين.

وفي كلام الهادي ماهو كالتفصيل والتوضيح لمراديهما؛ لأنّه قال في الصمد والكريم والمحسن: لا يقال: إنّه لم يزل متفضّلاً مصموداً؛ لأنّه يلزم قِدَم المتفضل عليه والقاصد، ولا يقال :إنّه كان غير متفضّل ولا مقصود؛ لما فيه من توهّم الذم في اللفظ.

بل يقال: لم يزل المتفضّل المصمود... إلى آخر الكلام.

فهذه الصفات أفاعيل من الواحد الجليل، فقد كان ولمّا يفعل، انتهى.

أراد: أنّه مع اللام أدلّ على المعنى المقصود من أنّه تعالى أهل لأن يوصف بهذه المحامد، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «قد طلع طالع... إلى قوله: المطر»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: هذه خطبة خطب بها بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه.

[قد طلع طالع، يعني عَوْد الخلافة إليه، وكذلك قوله: «ولمع لامع، ولاح لائح»؛ كلّ هذا

يراد به معنىً واحد.

«واعتدل مائل» إشارة إلى ماكانت الأُمور عليه من الاعوجاج في أواخر أيّام عثمان، واستبدل الله بعثمان وشيعته عليّاً وشيعتَه، وبأيّام ذاك أيّام هذا.

ثم قال: **«وانتظرنا الغِيَر انتظار المجدب المطر»**][١].

وهذا الكلام يدلّ على أنّه قد كان يتربّص بعثمان الدوائر، ويرتقب حلول الخطوب بساحتِه، لِيَليَ الخلافة.

فإن قلت: أليس هو الذي طلّق الدنيا، فأين هذا القول من طلاقها؟

قلت: إنّه طلّق الدنيا أن يقبل منها حظّاً دنيوياً، ولم يطلقها؛ أن ينهى فيها عن المنكرات التي أمره الله تعالى بالنهي عنها، ويقيم فيها الدين الذي أمره الله بإقامته، ولا سبيل له إلى النّهي عن المنكر والأمر بالمعروف إلّا بولاية الخلافة.

[عقيدة عليّ عليه السلام في عثمان ورأي المعتزلة في ذلك]:

فإن قلت: أيجوز على مذهب المعتزلة أن يقال: إنّه عليه السلام كان ينتظر قتلَ عثمان، انتظار المجدِب المطر؛ وهل هذا إلّا محض مذهب الشيعة!

قلت: إنّه عليه السلام لم يقل: «وانتظرنا قتله» وإنّما انتظر الغيَر، فيجوز أن يكون أراد انتظار خلعه وعزله عن الخلافة، فإنّ عليّاً عليه السلام عند أصحابنا كان يذهب إلى أنّ عثمان استحقّ الخلع بإحداثه، ولم يستحقّ القتل؛ وهذا الكلام إذا حمِل على انتظار الخلع كان موافقاً لمذهب أصحابنا، انتهى[٢].

قلت: لعمري لقد لزمه مذهب الشيعة من حيث لا يدري، فإنّ المرتضىٰ عند ما قرّر في مقاولته مع قاضي القضاة أنّ قتل عثمان كان حقّاً وصواباً، مازاد على أنّه استحق الخلع والعزل، فطالبوه به فامتنع ومانع حتى تدرّج الأمر إلى قتله، كسائر من لم يندفع عن المنكر بالتي هي أحسن؛ وذلك لأنّ توليّه عليهم مع استحقاقه الخلع منكر يجب دفعه بحسب الإمكان، هذا حاصل تقرير المرتضىٰ رحمه الله، فهو على ما ذكره الشارح لازم له ولأصحابه.

هذا، وأمّا تفسير الشيعة لهذا الكلام فإنّهم يقولون: معنى «انتظار الغِيَر» انتظار تغيّر

---

(١) من شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٠. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٣.

الأُمور برجوع الولاية إلى من جعلها الله فيه فيسلك بـالأُمّة طـريق الكـتاب والسـنّة، ويخالف طريق العادلين عنها، وهذا المعنى في كلامه كثير.

ويدلّك على أن هذا مراده: أنّ الجمل الأُولى من قوله عليه السلام «قد طلع طالع... إلى قـوله: يوماً» مضمونها واقع بعد قتل عثمان، فكذلك هذه المعطوفة عليها، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «**وإنّما الأئمّة قُوّام الله**»:

أي: يقومون بمصالح الخلق، والعرفاء: جمع عرِيف؛ وهو النقيب والرئيس؛ يقال: عَرُف فلان بالضم عرافة بالفتح، مثل خَطَب خطابة أي: صار عريفاً، وإذا أردت أنّه عـمِلَ ذلك قلت: عَرَف فلان علينا سنين، يعرُف عِرافة بالكسر، مثل كَتَبَ يكتبُ كِتابة، انـتهى مـن الشرح[١].

وقوله عليه السلام: «**أنكرهم وأنكروه**» أي: أنكر طريقهم، وأنكروا طريقه، أي: خالفهم وخالفوه كما قال صلى الله عليه وآله: «وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف فإذا خالفتهم قبيلة اختلفوا فصاروا حزب الشيطان».

قوله عليه السلام: «**من ظاهر علم**» بيان حججه التي مجموعها القرآن وتمام الكلام في وصف القرآن،، والله أعلم.

قوله عليه السلام «**قد أحمى حماه...**» أي: عرضه لأن يحمىٰ، أي: قد عرض الله القرآن ومحارمه لأن يجتنب ومكّن منها.

«**وأرعى مرعاه**» لأن يرعى أي: مكّن من الانتفاع بما فيه من الزواجر والمـواعـظ، انتهى من الشرح[٢].

وأقول: ان في تفسيره هذا قلقاً، والأظهر أن مراده عليه السلام: قد أحمى حمى القرآن أي: منع من تفسير متشابهه بالرأي، بل يجب الإمساك عن خصوصيات تأويله والإقرار بحملته.

«**وأرعى مرعاه**» أي: محكمه، فهو الذي ينظر في معانيه وهذا كما قد قررنا سابقاً من كلامه عليه السلام إن المتشابه لا يعلم تأويله إلّا الله، وإنما لزم تفسير الشارح القلق لأنّـه أعـاد الفقرة الأُولى الى أحكام القرآن والآخرة الى نفس القرآن فتأمل، والله أعلم.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٤. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٦.

[١٥٣]

ومن خطبة له عليه السلام:

وهو[١] في مُهْلَةٍ منَ ٱللهِ يهْوِي[٢] مَعَ الْغافِلينَ، وَيَغْدُو[٣] مَعَ المُـذْنِبينَ، بِـلَا سَـبِيلٍ قاصِدٍ[٤]، ولا إِمامٍ قائِدٍ[٥].

مِنْها:

حَتى إذا كَشَفَ[٦] لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، واسْتَخْرجَـهُمْ مِـنْ جَـلَابِيبِ غَـفْلَتِهِمْ[٧]، إسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً[٨]، واسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً، فَلَم يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طُلْبَتِهِمْ، ولا بِمَا قَضُوا مِنْ وَطَرِهِمْ[٩]. وإِنِّي[١٠] أُحَذِّرُكُمْ[١١] وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ[١٢]، فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ[١٣] فإِنَّما البَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فأبْصَرَ، وٱنْتَفَعَ بالعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً[١٤] واضِحاً، يَتَجَنَّبُ فيهِ الصَّرْعَةَ في الْمَهاوِي[١٥]، والضَّلَالَ في الْمَغاوِي[١٦]، ولا يُعِينُ[١٧] على نَـفْسِهِ الْـغُوَاةَ

---

(١) في هـ. ب: أي المكلف.
(٢) في هـ. ص، وفي نسخة زيادة: بها.
(٣) في ص: ويعدو.
(٤) في هـ. ص: القاصد: الموصل إلى المطلوب.
(٥) في هـ. ص: أي ليس له بصيرة ولا هادي.
(٦) في هـ. ص: الكاشف هو الله تعالىٰ، وكأن قد سبق ذكره إما لفظاً أو معنى.
(٧) في هـ. ص: كأن الغفلة كانت لباساً عليهم.
(٨) في هـ. ب: أحوال يوم القيامة.
(٩) في هـ. ب: حاجتهم.
(١٠) في ب و ص: فإني.
(١١) في هـ. د: احذرهم ـ ش، فاني أُحذركم ـ ش.
(١٢) في هـ. ص: وروي: «هذه المزلة» مفعلة من الزلل.
(١٣) في هـ. ص: أي لا يعتمد على التقليد وعنده آلة الاستبصار، فإن لم يكن بصيراً في المسائل استبصر في المسؤول، فاعتمد على من هدى الله ومن قام الدليل على أنّ الحق معه، والله أعلم.
(١٤) في هـ. ب: طرقاً واضحة، وفي هـ. ص: أي طريقاً ومذهباً يشهد بصحته العقل والنقل.
(١٥) في هـ. ب: المساقط، وفي هـ. ص: جمع مهواة، وهي الهوة، وهي هنا: قضايا الهوى.
(١٦) في هـ. ص: جمع مغواة: ما يغوى فيه، وهي هنا: الشبهة.
(١٧) في ص: ولا يعن.

بِتَعَسُّفٍ[١] في حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ في نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ[٢] مِنْ صِدْقٍ.

فأَفِقْ[٣] أَيُّها السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، واسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، واخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ وأَنْعِمِ[٤] الْفِكْرَ فِيما جاءَكَ على لِسانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ مِمَّا لابُدَّ مِنْهُ، ولا مَحِيصَ[٥] عَنْهُ، وخالِفْ مَنْ خالَفَ ذَلِكَ إلى غيْرِهِ، ودَعْهُ، وما رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَضَعْ فَخْرَكَ، واحْطُطْ كِبْرَكَ، واذْكُرْ قَبْرَكَ، فإنَّ عليْهِ مَمَرَّكَ[٦]، وكما تَدِينُ تُدانُ[٧]، وكما تَزْرَعُ تحْصُدُ، وما قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَليهِ غَداً، فامْهَدْ لِقَدَمِكَ، وقدِّمْ لِيَوْمِكَ. فالْحَذَرَ الْحَذَرَ[٨] أَيُّها الْمُسْتَمِعُ، والجِدَّ الجِدَّ أَيُّها الْغافِلُ (ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)[٩].

إنَّ مِنْ عزَائِمِ[١٠] اللهِ فِي الذِّكْرِ الحَكِيمِ، الَّتي عَليها يُثِيبُ ويُعاقِبُ، ولها يَرْضَى ويَسْخَطُ، أَنَّهُ لا يَنْفَعُ عَبْداً ـ وإنْ أجهَدَ نَفْسَهُ[١١]، وأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيا لاقِياً رَبَّهُ بِخِصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لم يَتُبْ منها، أَنْ يُشْرِكَ باللهِ فيما افْتَرَضَ عليْهِ مِنْ عبادَتِهِ أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلاكِ نَفْسٍ[١٢]؛ أَوْ يَعُرَّ[١٣] بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ؛ أَوْ يَسْتَنْجِحَ حاجَةً إلَى النَّاسِ بِإظْهارِ بِدْعَةٍ في دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِي فِيهِمْ بِلِسانَيْنِ.

---

(١) في هـ. ب: الأخذ على غير الطريق، وفي هـ. ص: أي بأن يتكلّف في تقرير الحق بما ينبو عن أذهان الخصوم ولو كان المحتج له حقّاً أو تحريف في نطق بأن يغيّر ألفاظ الأدلّة فيجد خصمه عليه بذلك مطعناً أو تخوّف من صدق، بل يؤثر الصدق حيث يضرّه على الكذب حيث ينفعه.

(٢) في ب: أو تخويف، وفي هـ. د: أو تخويف ـ ش، وفي هـ. ب: أي تنقص.

(٣) في هـ. ب: أفاق: صحّ من مرضه وغشيانه.

(٤) في هـ. ب: بالغ.

(٥) في هـ. ب: لا معدل.

(٦) في هـ. ص: أي أذكر أنّك ستموت فتذلّ ولا ينفعك الكبر، بل يضرّك.

(٧) في هـ. ب: أي كما تفعله تجازى، وفي هـ. ص: أي إنك تجزى بعملك فأصلحه.

(٨) في هـ. ب: «الحذر الحذر» للماضي، و«الجد الجد» للمستقبل.

(٩) فاطر: ١٤.

(١٠) في ب: كرائم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: عزائم، وفي هـ. د: كرائم ـ ش، وفي الهامش: عزائم. وفي هـ. ص: عزائم الله قضاياه المبتوتة التي يجزي العباد على وفقها.

(١١) في هـ. ص: أي في العبادة من الصلاة والصيام والصدقة.

(١٢) في ب: نفسه، وفي هـ. ص: أي يقتل نفساً لتشفّي غيظه، انتهى من الشرح.

(١٣) في أ و ب: يقر، وفي هـ. ص: أي ينسب فعله الصحيح إلى غيره.

اعْقِلْ ذَلِكَ[١]؛ فإنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ على شِبْهِهِ. إنَّ الْبهَائِمَ هَمُّها بُطُونُها، وَإنَّ السِّباعَ هَمُّها الْعُدْوَانَ[٢] عَلى غَيْرِها، وَإنَّ النِّساءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الحَياةِ الدُّنْيا وَالْفَسادُ فِيها.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ[٣]، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ[٤]، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خائِفُونَ[٥].

* * *

قولهعليه‌السلام: «وهو في مهلة...» يصف إنساناً من أهل الضلال غير معيّن، بل من انطبقت عليه الصفات، واعلم أنّهعليه‌السلام يشير في هذا الكلام إلى المذاهب المخالفة للحقّ ويخبر عن أهلها، وهو من جملة الغيوب التي أسرّها إليه رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله.

قولهعليه‌السلام: «استقبلوا مدبراً...»:

قال في الشرح: في قوّة هذا الكلام أن تقول: عرفوا ما أنكروا وأنكروا ما عرفوا، انتهىٰ[٦].

قلت: فالمراد بالمدبر: ماكانوا يجهلونه من الحق ومعرفة الصواب وإرادة الاصلاح إذا ارجعوا إلى دار التكليف.

«واستدبروا مقبلاً» أي: فاتهم الاصلاح في وقته وتبيّن الحق والصواب في وقت الانتفاع به، وهو وقت التكليف، والله أعلم.

وقولهعليه‌السلام: «فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم»:

يريد أنّهم طلبوا الحق فأدركوا الباطل فلم ينتفعوا به كما قال تعالىٰ: ﴿قُل هل نُنبّئكُم بالأَخسرين أعمالاً...﴾ الآيات[٧] وكما قال: ﴿وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون﴾[٨]، ونحو ذلك ممّا يدل على هذا المعنىٰ.

«ولا بما قضوا من وطرهم»: يعني مانالوه بسبب تلك المذاهب من الرئاسة والرفعة والنعمة.

قولهعليه‌السلام: «فإنّي أُحذّركم ونفسي هذه المنزلة»:

---

(١) لم ترد «ذلك» في ص، وفي هـ. ب: أي إجعل هذا معقولاً لك.

(٢) هـ. ب: أي التعدّي.

(٣) في هـ. ص: نفى عنهم التكبّر والاعتداء.

(٤) في هـ. ص: نفى عنهم الركون الى الدنيا واستلذاذها.

(٥) في هـ. ص: نفى عنهم نسيان الآخرة.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٨.

(٧) الكهف: ١٨ / ١٠٣.

(٨) الزمر: ٣٩ / ٤٧.

يريد عليه السلام طريقة من ليس له بصر يهديه ولا إمام يُهَدّيه فيجب على طالب الدين أن يتبصّر فيه ويعرف أهله ومعدنه ويتطلّبه هنالك، فإن عرف خصوصية المسائل فذاك، وإلّا وثق بالقائد واتبعه، والله أعلم.

قوله عليه السلام: **«فأفق أيها السامع...»**:

يريد عليه السلام تنبيه السامعين على ألّا يركنوا الى المذاهب التي نشأوا عليها وألفوها، بل يتأمّل ما جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله ممّا يدل على صحيح المذاهب وفاسدها.

واعلم أنّه عليه السلام عمّم العبارة، والأهم عنده ما يرجع الى أمره وما يجب ان يعتقد فيه ويعامل به، فإنّ الكلام تعريض بالمخالفين له، والله أعلم.

وقوله عليه السلام: **«وخالف من خالف ذلك إلى غيره»**:

حذّره من الاغترار بالأسلاف ومن يحسن الظن به من السادات والكبراء، وقال له: تمسّك بالحق الذي دلّك عليه الدليل الصحيح ولا تغتر بالرجال. فتقول: لو كان هذا حقّاً لما خالفه فلان وفلان، ولا يحملك التعصّب للمذهب والأسلاف والتكبّر من أن تقرّ بخطأ أَلِفْتَه على ردّ الحقّ والاستمرار على الباطل.

وهذا من الإخبار عن أحوال المذاهب عن غيب علمه من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقوله عليه السلام: **«فالحذر الحذر...»**:

أعاد عليه السلام عليه التنبيه على النظر، وحذّره من التمادي في الغفلة. وحثّه على القبول منه ـ لأنّه عالم بما الناس عليه ـ، بقوله: «ولا ينبئك مثل خبير» أي لا يخبرك بالأمور أحد على حقائقها كالعارف بها العالم بكنهها، ذكره في الشرح[1].

قوله عليه السلام: **«أو يعر بأمر فعله غيره»**:

أي: يقذف غيره بأمر قد فعله هو [يقال:] عرّه بكذا، يُعرُّه عَرّاً: أي عابه ولطخه، انتهى من الشرح[2].

قلت: هو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثمَّ يرمِ به بريئاً فقد آحتمل بهتاناً وإثماً مُبيناً﴾[3].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦١.

(٣) النساء: ٤ / ١١٢.

قال في صحاح الجوهري ـ في فصل العين المهملة، في باب الراء المهملة: ـ ويقال: فلان عُرّة وعارورٌ وعارورةٌ، أي: قذر، وهو يعرّ قومه: أي يدخل عليهم مكروهاً يلطخهم به[١].

واعلم أنّه عليه السلام يعرّض في هذا الفصل برؤساء أهل الجمل ويشير إلى الخطايا التي ركبوها في حقّه.

وقوله عليه السلام: «ويستنجح حاجة ...»:

أي: يروم بلوغ حاجة من أحد بإظهار بدعة في الدين كما يفعله أكثر الناس في زماننا، انتهى من الشرح[٢].

قوله عليه السلام: «اعقل ... إلى آخره»:

ثم أمرَ عليه السلام بأن يعقَل ما قاله، ويعلَم باطن خطابه؛ وإنّما رَمَزَ بباطن هذا الكلام إلى الرؤساء يوم الجمل؛ لأنّهم حاولوا أن يشفوا غيظهم بإهلاكه وإهلاك غيره من المسلمين عَرُّوه[٣] عليه السلام بأمرٍ هم فعلوه، وهو التأليب على عثمان وحصْرُه، واستنجحوا حاجتهم إلى أهلِ البصرة بإظهار البدعة والفتنة، ولُقوا الناس بوجهين ولسانين؛ لأنّهم بايعوه وأظهروا الرضا به، ثم دَبّوا له الخَمَر، فجعل ذنوبهم هذه مماثلة للشّرك بالله سبحانه؛ في أنها لا تُغفَر إلّا بالتوبة؛ وهذا هو معنى قوله: «اعقل ذلك»؛ فإنّ المِثْل دليل على شبهه. وَرُوي «فإنّ المَثَل» واحد الأمثال، أي: هذا الحكْم بعدم المغفرة لمن أتى شيئاً من هذه الأشياء عامٌ؛ والواحد منها دليل على ما يماثله ويشابهه، انتهى من شرح ابن أبي الحديد[٤].

قوله عليه السلام: «ان البهائم... إلى قوله: الفساد فيها»:

ثم أراد عليه السلام أن يومئ إلى ذكر النساء للحال التي كان وقع إليها من استنجاد أعدائه بامرأة؛ فذكر قبل ذكر النساء أنواعاً من الحيوان، تمهيداً لقاعدة ذِكْر النساء، فقال: إنّ البهائم همّها بطونها، كالحُمر والبقر والإبل والغَنم، وإنّ السّباع همّها العدوان عَلَى غيرها؛ كالأسود الضارية والنمور والفهود والبُزاة والصّقور. ثم قال: وإن النساء همّهنّ زينة الحياة الدنيا والفساد فيها، انتهى من شرح ابن أبي الحديد[٥].

---

(١) الصحاح :للجوهري ٢: ٧٤٢.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٢.
(٣) أي :نسبوه.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٢.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٢.

[١٥٤]

ومن خطبة له عليه السلام:

وناظِرُ قلْبِ[1] اللَّبِيبِ[2] بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، ويَعْرِفُ غَوْرَهُ ونَجْدَهُ[3]، دَاعٍ دَعا، وَرَاعٍ رَعَى[4]، فاسْتَجِيبوُا لِلدَّاعِي، واتَّبِعُوا الرَّاعِي[5].

---

(١) «ناظر القلب» استعارة من ناظر العين، والمراد: البصيرة التي يدرك بها اللبيب غايته ومنتهاه، وفي هـ. ب: قيل هي صفة أهل الله، وهو مبتدأ، وخبره: به يبصر، وقيل: جرى ذكر حب آل محمّد عليهم السلام فقال حبّهم كذا وكذا فهو عطف وقال: ناظر.

(٢) في هـ. ب: أي كل عاقل مكلّف.

(٣) الغور: ماآنخفض من الأرض، والنجد: ما ارتفع منها، أي: يدرك الباطن والظاهر، وفي هـ. ب: يعرف الإنسان بفكر القلب الغور أي منزله السهل.

(٤) في ب: راع رعا وداع دعا، وفي هـ. ب: الداعي: الرسول، والراعي: الامام.

(٥) في هـ. د: للراعي ـ ب.

[١٥٥]

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع[١] خلقة الخفّاش[٢]:

الحَمدُ للهِ الَّذِي انْحَسَرَتْ[٣] الأوْصَافُ عنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ ورَدَعَتْ عظَمَتُهُ الْعُقُولَ فلمْ تَجِدْ مَسَاغاً[٤] إلى بُلوغِ غايَةِ مَلَكُوتِهِ.

هُوَ اللهُ[٥] الْحَقُّ المُبينُ أَحَقُّ وأبْيَنُ مِمَّا تَرى الْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونُ مُشَبَّهاً، ولَمْ تَقَعْ عليهِ الأوْهامُ بِتَقْدِيرٍ فيكُونَ مُمَثَّلاً، خَلَقَ الخَلْقَ على غيرِ تَمْثِيلٍ، ولاَ مَشُورَةِ مُشِيرٍ، ولا مَعُونَةِ مُعينٍ؛ فَتَمَّ خَلْقُهُ بأمْرِهِ، وأذْعَنَ لِطاعَتِهِ، فأجابَ ولمْ يَدافِعْ[٦]، وانْقادَ ولَمْ يُنازِعْ.

ومنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وعَجائِبِ خلقَتِهِ[٧]، مَا أرَانا منْ غَوَامِضِ الحِكْمَةِ في هذهِ الخَفافِيشِ التي يَقْبِضُها الضِّياءُ الْباسِطُ لِكلِّ شَيْءٍ، ويَبْسُطُها الظَّلامُ الْقابِضُ لِكلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ أعْيُنُها[٨] عنْ أنْ تَسْتَمِدَّ منَ الشَّمْسِ المُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ في مَذاهِبِها، وتَصِلَ[٩] بِعَلَانِيَةِ بُرْهانِ الشَّمْسِ إلى مَعارِفِها، ورَدَعَها بتَلألُؤ[١٠] ضِيائِها عَنِ المُضِيِّ في

---

(١) في أ: عجيب وفي هـ. أ: بديع.

(٢) في هـ. ب: ذكر عجيب خلقة الخفافيش، وأشار الى شيء من غامض حكمته فيها، انّها تعشى بالنهار المضيء وتبصر في الليالي المظلمة على خلاف الحيوانات الأُخر، وأنّها تطير بلا أجنحة مثل سائر الطيور وإنّ ولدها يلصق بها حال طيرانها، وفي هـ. ص: الخفاش: هو واحد الخفافيش، وهو هذا الطائر الذي يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار.

(٣) في هـ. ب: انكشفت الأوصاف عن كنه المعرفة وغاية العلم بذاته، والانحسار: الانكشاف.

(٤) هـ. ب: طريقاً، هـ. ص: أي مسلكاً.

(٥) في ط زيادة: الملك، وفي هـ. د: زيادة الملك ـ ض ب.

(٦) في هـ. د: يدفع ـ ب.

(٧) في ط: حكمته، وفي هـ. د: حكمته ـ ض ب.

(٨) العشا مقصوراً: سوء البصر وضعفه.

(٩) ب و ط و د: وتتصل.

(١٠) في ب: بتلالي، وفي هـ. ب: لمعانها.

سُبُحاتِ[١] إشْرَاقِها، وأكَنَّها في مَكامِنِها عنِ الذَّهابِ في بَلَجِ ٱئْتِلاَقِها[٢]، فَهِيَ مُسْدِلَةُ[٣] الجُفُونِ[٤] بالنَّهارِ على حدَاقِها[٥]، وجاعِلَةُ[٦] اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بهِ في الْتِماسِ أرْزَاقِها، فلا يَرُدُّ أبْصَارَها إسْدَافُ ظُلْمَتِه[٧]، ولايَمْتَنِعُ منَ المضِيِّ فيهِ لِغَسَقِ دُجْنَتِهِ، فـإذا ألْـقَتِ الشَّمْسُ قِناعَها، وبَدَتْ أوْضَاحُ[٨] نَهارِها، ودَخَلَ منْ إشْرَاقِ[٩] نُورِها على ٱلضِّبابِ[١٠] في وِجَارِها[١١]، أطْبَقَتِ الأجْفانَ على مَآقِيها[١٢]، وتَبَلَّغَت[١٣] بما اكْتَسَبَتْهُ من المعاش في ظُلَمِ[١٤] لَيالِيها، فَسُبْحانَ مَنْ جَعلَ ٱللَّيْلَ لها نَهاراً وَمعاشاً، والنَّهارَ[١٥] سَكَناً وقَرَاراً، وجعَلَ لها أجْنِحَةً منْ لَحْمِها[١٦] تَعْرُجُ[١٧] بها عِنْدَ الحَاجَةِ إلى الطَّيَرَانِ كأنَّها شَظَايا الآذَانِ[١٨]، غيْرُ ذَوَاتِ رِيش ولا قَصَبٍ[١٩]، إلَّا أنَّكَ تَرَى مَوْضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أعْلَاماً[٢٠]، لها جَناحَانِ

---

(١) «سبحات النور»: درجاته، وفي هـ. ب: السبحات: النور والسبجات ـ بالجيم ـ: أي القمصان، وهو استعارة هاهنا عن الوجهين، وأشرقت الشمس: أضاءت، وأشرق فلان: دخل في الشروق.

(٢) البلج: الضوء ووضوحه، والائتلاق: اللمعان، وفي هـ. ب: بلج الصبح بلوجاً: أي: طلع، وائتلاقها: لمعانها. وفي هـ. ص: جمع بُلجة وهي أوّل الصبح، وجاء «بلجة» بالفتح ـ تمت من الشرح.

(٣) في ط: مسدّلة.

(٤) في هـ. ب: أي مغمضة على نواظرها.

(٥) في د: أحداقها.

(٦) في هـ. د: وعاجلة ـ م، وفي الهامش: جاعلة.

(٧) «أسدف الليل»: أظلم، والدجنة: الظلمة، وغسق الدجنة: شدّة الظلمة، وفي هـ. ب: أضاف الأسداف الى الظلمة للتخصيص.

(٨) في هـ. ب: جمع وضح: بياض الصبح، وفي هـ. ص: جمع وضح، وهو ما يتضح ويلمع من النور والبياض.

(٩) في هـ. د: ودخل اشراق ـ م ف ن.

(١٠) في هـ. د: الضباع ـ حاشية ن.

(١١) الضباب: جمع ضب، وهو حيوان معروف والوجار: الحجر.

(١٢) جمع مآق، وهو طرف العين ممّا يلي الأنف.

(١٣) من البلاغ: وهو الكفاء والقوت، فالمعنى: اكتفت واقتاتت.

(١٤) في هـ. د: اكتسبت من فيء ظلم.

(١٥) في ب: وجعل النهار لها، وفي هـ. د: وجعل النهار لها ـ ش.

(١٦) هـ. د: وروي أجنحة من لحم ـ ر.

(١٧) في هـ. ب: تصعد.

(١٨) في هـ. ب: زوائد، والشظية: الفلقة من العصا ونحوها، والجمع شظايا.

(١٩) في هـ. ب: القصب: كل عظم مستدير أجوف، واحده: قصبة. والقصب: عروق الرئة، وهي مخارج التنفس ومجاريه، أي لا ريش للخفاش ولا عظم ولا عرق كما يكون لسائر ما يطير.

(٢٠) في هـ. ب: جمع علم، ويريد ﷺ: رسوماً ظاهرة.

لَمّا[١] يَرِقّا فَيَنْشَقّا، ولمْ يَغْلُظا فَيَثْقُلا، تَطِيرُ وولَدُها لاصِقٌ بها، لاجيءٌ إليْها، يَقَعُ إذا وَقَعَتْ، ويَرْتَفِعُ إِذا ارْتَفَعَتْ، لا يُفارِقُها حَتّى تَشْتَدَّ أَرْكانُهُ، ويَحْمِلُهُ لِلنُّهُوضِ جَناحُهُ، ويَعْرِفَ مَذاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصالِحَ نَفْسِهِ، فَسُبْحانَ الْبارِي لِكُلِّ شَيْءٍ على غَيرِ مِثالٍ خَلَا مِنْ غَيرِه[٢].

* * *

قوله عليه السلام: «**ومن لطائف صنعته...**»:

واعلم أنّ مغزى كلامهُ عليه السلام في هذا الفصل التنبيه على إفساد مقالة تأثير الإيجاب، وقول من يجعل الصانع علّة أو طبعاً، وبيانه:

إنّ الخفّاش خالف جميع أجناس الحيوان في أشياء وجميع أنواع الطير في أشياء، فلابُدّ من إثبات مخالفٍ خالف به متخيّر في فعله، وكثيراً ما يشير عليه السلام إلى إفساد هذه المقالة، وقد أشار الكتاب العزيز إلى هذا الطريق في إثبات الصانع في آيات كثيرة.

وتحقيق ذلك: إنّ حدوث العالم أمر متّفِق عليه العُقلاء، ضروريّ لم يخالف فيه من يؤبه له، وإنّما وقع الخلاف في كيفيّة تأثير المؤثّر فيه. واختلاف الموجودات وترتّبها وتنقّلها في أطوارها وأحوالها دليل أنّه صانع مختار، والله أعلم.

---

(١) عبّر بـ«لمّا» إشارة إلى أنّهما ما رقيا في الماضي ولا هما رقيقان، فهو نفي مستمر.
(٢) في هـ. ب: الأيّام الخالية: أي: الماضية.

[١٥٦]

ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص[١] الملاحم:

فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ[٢] أَنْ يَعْتَقِلَ[٣] نَفْسَهُ عَلَى اللهِ فَلْيَفْعَلْ؛ فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي؛ فَإِنِّي حَامِلُكُمْ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ؛ وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ.

وأَمَّا فُلَانَةُ فأَدْرَكَها رَأْيُ[٤] النِّساءِ، وضِغْنٌ[٥] غَلَا في صَدْرِها كَمِرْجَلِ القَيْنِ[٦]، ولوْ دُعِيَتْ لِتَنالَ منْ غَيْرِي ما أَتَتْ إليَّ لمْ تَفْعَلْ، ولها بَعْدُ حُرْمَتُها الْأُولى، والحِسابُ على اللهِ.

مِنْهُ[٧]:

سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهاجِ، أَنْوَرُ السِّراجِ، فَبِالْإِيمانِ يُسْتَدَلُّ على الصَّالِحاتِ، وبالصَّالِحاتِ يُسْتَدَلُّ على الْايمانِ، وبالْإِيمَانِ يُعْمَرُ[٨] الْعِلْمُ، وبالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ، وبالمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيا، وبالدُّنْيا تُحْرَزُ الآخِرَةُ[٩]، وإِنَّ الْخَلْقَ لا مَقْصَرَ[١٠] لهُمْ عَنِ الْقِيامَةِ، مُرْقِلِينَ[١١] في مِضْمارِها[١٢] إلى الْغايَةِ الْقُصْوَى.

مِنْهُ[١٣]:

قدْ شَخَصُوا[١٤] منْ مُسْتَقَرِّ الْاجْداثِ، وصَارُوا إلى مَصائِرِ الْغاياتِ، لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُها،

---

(١) في هـ. ب: جمع «قص» به.

(٢) في هـ. ص: الإشارة الى غلبة أهل الفتن وضعف جانب الحق.

(٣) في هـ. ب: يحبس، وفي هـ. ص: أي يحبسها على طاعته، من الشرح.

(٤) في هـ. د: ضعف رأي ـ ر، وهامش م.

(٥) في هـ. ب: حقد.

(٦) في هـ. ب: القين ـ عند العرب ـ: كل من يعمل بالنار. المرجل: القدر، وإنّما مثل بمرجل القين لأنّه يغلي مادام يصنع، إشارة الى أنّ حقدها دائم الغليان.

(٧) في ص: ومنه.

(٨) في هـ. ب: من العمارة.

(٩) في ط و د زيادة: وبالقيامة تزلف الجنّة للمتّقين، وتبرز الجحيم للغاوين؛ في هـ. د: هذه العبارة ساقطة من ف ع ن ل ش.

(١٠) في هـ. ب: لا معدل.

(١١) في هـ. ب: مسرعين.

(١٢) المضمار: ميدان السباق.

(١٣) في ب: منها.

(١٤) في هـ. ب: ذهبوا.

لايَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، ولا يُنْقَلُونَ عَنْها.

وإِنَّ الأَمْرَ بالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ، لَخُلُقانِ منْ خُلُقِ اللهِ[1] سُبْحانَهُ، وإِنَّهُما لا يُقرِّبانِ منْ أجَلٍ، ولا يَنْقُصان منْ رِزْقٍ.

وعليكُمْ بِكِتابِ اللهِ؛ فإِنَّهُ الحَبْلُ المَتينُ، والنورُ المُبينُ، والشِّفاءُ النَّافِعُ[2]، والرِّيُّ النَّاقِعُ[3]، والْعِصْمَةُ لِلمُتَمَسِّكِ[4]، والنجاةُ لِلْمُتَعلِّقِ، لا يَعْوَجُّ فَيقامَ، ولايَزيغُ فَيَسْتَعْتِبُ[5]، ولا تُخْلِقُهُ كثرَةُ الرَّدِّ، وَوُلُوجُ ٱلسَّمْعِ[6]، مَنْ قالَ بِهِ صَدَقَ، ومَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

وَقامَ إِليهِ رَجُلٌ فَقالَ: أخبِرْنا عَنِ الْفِتْنَةِ[7]، وهَلْ سَأَلْتَ عَنْها رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ؟ فَقالَ عليه السلام:

لَمّا أنْزَلَ اللهُ سُبْحانَهُ قَوْلَهُ: ﴿الٓم أحَسِبَ النَّاس أن يُتركوا أن يقولوا آمنَّا وهُم لا يُفتنون﴾[8] عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لا تَنْزِلُ بِنا ورَسُولُ ٱللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ بيْنَ أَظْهُرِنا.

فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ ما هَذِهِ ٱلْفِتْنَةُ الَّتي أخبَرَكَ اللهُ بهَا؟.

فَقالَ: ياعَليُّ إنَّ أُمَّتي سَيُفْتَنُونَ منْ بَعْدِي.

فقُلْتُ: يارَسُولَ اللهِ أوَلَيْسَ قُلْتَ لِي يوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ منَ المُسْلمينَ وحِيزَتْ عَنِّي الشَّهادَةُ[9] فَشَقَّ ذلِكَ عليَّ فَقُلْتَ لِي: أَبْشِرْ فإِنَّ الشَّهادَةَ منْ وَرائِكَ؟.

فَقالَ لِي: إنَّ ذَلِكَ لكَذلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إذاً؟.

فَقُلْتُ: يارَسُولَ ٱللهِ لَيْسَ هٰذَا منْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، ولكِنْ منْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى والشُّكْرِ.

---

(١) في ب: من خلق الله، وفي هـ. ب: في رواية: خُلُق الله.

(٢) في هـ. ص قال عزّوجلّ: ﴿وشفاء لما في الصدور﴾ يونس: ١٠ / ٥٧.

(٣) في هـ. ب: وصف الريّ بالناقع توكيد، وفي هـ. ص: أي: ينقع الغلّة ويقطعها.

(٤) في أ: للمستمسك. وفي هـ. أ، وفي نسخة: للمتمسك.

(٥) في هـ. ص: أي يطلب عتباه، أي: رضاه وعذره، والمراد من عمل به.

(٦) في هـ. ص: قوله: ولا يخلقه كثرة الرد... الخ هذا من خصائص القرآن المجيد شرّفه الله أنّه لا يُمَلّ ولا يُسْمَج وإن كثرت تلاوته واستماعه بخلاف كلام غيره.

(٧) في هـ. ب: الفتنة: الهلكة المحرقة، فتن الرجل وافتتن: إذا أصابته فتنة.

(٨) الدخان: ١.

(٩) حازها الله عنّي فلم أنلها، وفي هـ. ب: جمعت، ويحتمل صرفت.

وقالَ: ياعَلِيُّ إنّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بأمْوَالِهِمْ، ويَمُنُّونَ بدِينِهِمْ على رَبِّهِمْ، ويَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، ويأمَنُونَ سَطْوَتَهُ، ويَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بالشُّبُهاتِ الْكـاذِبَةِ، والأَهْـوَاءِ السَّـاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الخَمْرَ بالنَّبِيذِ، والسُّحْتَ بالْهَدِيَّةِ، والرِّباءَ بالْبَيْعِ.

فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ، فَبِأَيِّ المَنَازِلِ[1] أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ[2]، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ.

* * *

هذا من كلام كثير قالهعليه السلام بعد حرب الجمل، وقد رواه السيوطي في جامعه الكبير في مسند أمير المؤمنينعليه السلام، وقال: رواه وكيع عن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو جواب سؤالات سئل عنها.

قولهعليه السلام: «وأمّا فُلانة» يعني عائشة، وهو مصرّح بإسمها في الرواية، وإنّما ذكرها لأنّهم طالبوا بقسمة النساء والذريّة ولجّوا في ذلك، فقال: مهلاً مهلاً رحمكم الله، فـإنْ أنـتم لم تصدّقُوا لي وأكثرتم عليَّ ـ وذلك أنّه تكلّم في هذا غير واحد ـ فأيّكم يأخذ أُمّكُمْ عائِشة بسهمه؟!

قالوا: لا.. أينا يا أمير المؤمنين؟! بل أصبت وأخطأنا وعلمت وجهلنا، فنحن نستغفر الله.

ثم قال لهم ـ بعد كلام ـ: وأمّا عائشة... إلى آخر كلامه.

قولهعليه السلام: «ومنه سبيل أبلج المنهاج... إلى آخره»:

في الرواية أنّه قام إليه عبّاد بن قيس، وقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الايمان؟ فقال: نعم، فأجابه بكلام ذكر الرضيّرحمه الله أكثره في باب الحكم والمواعظ.

وقولهعليه السلام: «فبالايمان يستدلّ على الصالحات... إلى آخره»:

الذي يقرب عندي من معنى كلامهعليه السلام هو الاخـبار عـن تـلازم الإيـمان الذي هـو التصديق الحقيقي، وعمل الصالحات وهي المطابقة لمراد الشارع.

---

(١) في هـ. د: فبأيّة المنازل ـ هامش ن.

(٢) في هـ. ب: من الإرتداد، أي: هم المفتونون أم المرتّدون.

فمعنى قوله: «**فبالايمان يستدل على الصالحات**»:

أي: لا يحكم بكون أعمال المكلّف صالحة وإن أوقعها على الوجه الشرعي، إلّا إذا ثبت إيمان موقعها، وهو حقيقة: تصديقه.

ومعنى «**بالصالحات يستدل على الايمان**»:

أي: من صدق وعضد تصديقه بالأعمال الصالحة حكمنا بصحّة تصديقه وأنّه تصديق حقيقي ظاهراً وباطناً.

ومن أظهر التصديق ولم يعضده بالأعمال الصالحة لم نحكم بصحّة تصديقه.

ومعنى قوله عليه السلام: «**وبالايمان يعمر العلم**»:

أي: أنّ من صدق تصديقاً حقيقيّاً جعل علمه معموراً مطابقاً للكتاب والسنّة، وبالعلم المطابق للكتاب والسنّة يرهب الموت؛ لأنّهما يثبتان الآخرة والجزاء ويحقّقان الوعيد والوعد، والله أعلم.

والمراد بالتصديق الحقيقي ما عَناه الله بقوله: ﴿**إنّما المُؤمِنون الّذين آمنوا بالله ورسولِهِ ثمَّ لم يرتابوا**﴾[1] فهو الايقان بكلّ ما أُمر المكلَّف باعتقاده، ومنه تفضيل من حكم الله بفضله.

قوله عليه السلام: «**وان الأمر بالمعروف... إلى آخره**»:

في الرواية أنّه قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أواجبٌ هو؟

فأجابه بكلام كثير ومنه: «وإنّ الأمر بالمعروف... إلى آخره»، وإنّما كانا من خُلُق الله؛ لأنّ الله سبحانه لم يأمر إلّا بمعروف، ولم ينه إلّا عن منكر، وانما قال: «وإنّهما لا يقرّبان من أجل... إلى آخره» تشجيعاً عليهما، لأنّ أكثر الناس يمسك عنهما تصَوّراً لحصول الضرر والنقص في الحال بسببهما.

قوله عليه السلام: «**وعليكم بكتاب الله... إلى آخره**»:

---

(١) الحجرات: ٤٩ / ١٥.

في الرواية: فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أحاديث البدع قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ أحاديث ستظهر من بعدي حتى يقول قائلهم: قال رسول الله ﷺ، وسمعت رسول الله ﷺ، كلّ ذلك إفتراءٌ عليَّ، والّذي بعثني بالحق لتفترقنّ أُمّتي على أصل دينها وجماعتها إلى ثنتين وسبعين فرقة كلّها ضالّة مضلّة تدعو إلى النار، فإذا كان كذلك فعليكم بكتاب الله.. الى آخره» فيحتمل أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام رواه من رسول الله ﷺ من جملة ما روي، ويحتمل أن يكون قاله هو.

وقول رسول الله ﷺ: **«على أصل دينها وجماعتها»**:

أي: مع اتفاقهم على ماهو ملّة الإسلام وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والله أعلم.

قوله: **«وقام إليه ـ عليه السلام ـ رجل فقال: أخبرنا عن الفتنة... إلى آخره»**:

قال في الشرح: قد كان عليه السلام يتكلّم في الفتنة؛ ولذلك ذكر الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر؛ ولذلك قال: «فعليكم بكتاب الله»، أي إذا وقع الأمر واختلط الناس، فعليكم بكتاب الله؛ فلذلك قام إليه مَنْ سأله عن الفتنة. وهذا الخبر مرويّ عن رسول الله ﷺ، قد رواه كثير من المحدّثين عن عليّ عليه السلام، أنّ رسول الله ﷺ قال له: «إنّ الله قد كتب عليك جهاد المفتونين، كما كتب عليَّ جهاد المشركين».

قال: فقلت: يارسول الله، ماهذه الفتنة التي كتب عليَّ فيها الجهاد؟

قال: قوم يشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، وهم مخالفون للسنّة.

فقلت: يا رسول الله، فعلام أُقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟ قال: على الإحداث في الدّين، ومخالفة الأمر.

فقلت: يا رسول الله، إنّك كنتَ وعدتَني الشهادة، فاسأل الله أن يعجّلها لي بين يديك.

قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟! أما إنّي وعدتك الشهادة وستستشهد؛ تضرب على هذه فتخضب هذه، فكيف صبرك إذاً؟!

قلت: يارسول الله، ليس ذا بموطن صبر، هذا موطن شكر، قال: أجلْ، أصبت، فأعدّ للخصومة فإنّك مخاصَم.

فقلت: يارسول الله، لو بيّنت لي قليلاً

فقال: إنّ أُمّتي ستُفتَن من بعدي؛ فتتأوّل القرآن وتعمل بالرأي. وتستحلّ الخمر بالنبيذ، والسحت بالهديّة، والربا بالبيع، وتحرّف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال، فكن حلس[١] بيتك حتى تقلَّدَها، فإذا قُلِّدتها جاشت عليك الصدور، وقلّبت لك الأُمور؛ تقاتل حينئذٍ عَلَى تأويل القرآن، كما قاتلتَ علَى تنزيله؛ فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأُولى.

فقلت: يارسولَ الله، فبأيّ المنازل أنزِل هؤلاء المفتونين من بعدك؟ أبمنزلة فتنة أم بمنزلة رِدّة؟

قال: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل.

قلت: يارسول الله أيدركهم العدل منّا أم من غيرنا؟

قال: بل منّا، بنا فتح الله وبنا يختم، وبنا ألّف الله بين القلوب بعد الشرك، وبنا يؤلّف بين القلوب بعد الفتنة. فقلت: الحمد لله عَلَى ما وَهب لنا من فضله، انتهى نقلاً من شرح ابن أبي الحديد[٢].

قلت: قوله ﷺ بعد بيان الفتنة: «فكن حلس بيتك حتى تقلّدها» دليل على ان الفتنة كانت واقعة قبل أن يتولّى أمير المؤمنين، بل في الوقت الذي كان مأموراً فيه بلزوم البيت والقعود عن القتال، فتبين واعتبر، فإنّ في ذلك عبرة لأُولي الأبصار، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ولكن من مواطن البشرى والشكر»:

قال في الشرح: هذا كلام عال جدّاً يدلّ على يقين عظيم وعرفان تامّ، ونحوه قوله وقد ضربه ابن ملجم ـ: «فزت وربّ الكعبة»، انتهى[٣].

قوله عليه السلام: «ستفتنون بأموالكم»: أي: ترغبون في تكثيرها وتثميرها وتركبون لذلك العظائم، ولم يزل حبّ المال وحبّ الرئاسة فتنة مهلكة، وحبّ الرئاسة هي الشهوة الباطنة التي ذكرها النبيّ ﷺ.

---

(١) في ط: جليس.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٠٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٠٧.

وقوله عليه السلام: «يمنون بدينهم على ربّهم»:

من قوله تعالى: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾[١] أي: يدلون بما سلف لهم من الأعمال الصالحة على ارتكاب السيئة.

وقوله عليه السلام: «ويتمنون رحمته»:

من قوله عليه السلام: «أحمق الحمقى من اتبع نفسه هواها وتمنّى على الله».

وقوله عليه السلام: «بالشبهات الكاذبة»:

أي: بأقوال تشبه الحق وهي كاذبة باطلة.

«والأهواء الساهية»: أي الغافلة.

«فيستحلون الخمر بالنبيذ»: أي يسمون الخمر نبيذاً.

«والسحت ـ أي الرشوة ـ بالهدية»: فيقولون: أهدي إلينا، وهدايا الأُمراء غلول.

«والربا بالبيع» أي: يسمون أبواباً من الربا بيعاً ويدخلونها تحت قوله تعالى: ﴿وأَحَلَّ ٱللهُ البَيْعَ﴾ وهي داخلة تحت قوله: ﴿وحَرَّمَ الرِّبا﴾[٣]، والله أعلم.

---

(١) الحجرات: ٤٩ / ١٧.

(٣) البقرة: ٢ / ٢٧٥.

ومن خطبة له عليه السلام

الحَمْدُ للهِ الذِي جَعَلَ الحَمدَ مِفْتاحاً لِذِكْرِهِ[١]، وسَبَباً لِلْمَزِيدِ منْ فَضْلِهِ، ودَلِيلاً على آلائِهِ وعَظَمَتِهِ.

عِبادَ اللهِ إنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بالْباقينَ كَجَرْيِهِ بالمَاضِينَ[٢]، لا يَعُودُ ماقدْ وَلَّى مِنْهُ، ولا يَبْقَى سَرْمَداً مافيهِ، آخِرُ فِعالِه[٣] كأوَّلِهِ، مُتَشابِهَةٌ[٤] أُمورُه[٥]، مُتَظاهِرَةٌ أعْلَامُهُ[٦]، فَكأنَّكُمْ بالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ[٧] حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ[٨]، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ[٩] بِغيرِ نَفْسِهِ[١٠] تَحيَّرَ في الظُلُمَاتِ، وارْتَبَكَ[١١] في الهَلكاتِ، ومَدَّت[١٢] بِهِ شَياطِينُهُ في طُغْيانِهِ، وزَيَّنَتْ لهُ سَيِّيءَ

---

(١) في هـ. ب: ابتدأ فَحَمَدَ الله الذي جَعَل الحمد في أوّل القرآن: ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾، وفي هـ. ص: قوله:« مفتاحاً لذكره»؛ وذلك لأنّ الله سبحانه شرّع لعباده ـ إذا ذكروه ـ: أن يفتتحوا ذكره بحمده، وافتتح به كتابه الذي هو ذكره العظيم. وقال صلى الله عليه وآله: «كلّ كلام لايُبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم».

وقوله: «سبباً للمزيد من فضله» قال الله تعالىٰ: ﴿لئِنْ شَكَرْتُم لأَزِيدنّكُم﴾ابراهيم:١٤ / ٧، والحمد أحد أطراف الشكر. وقوله: «ودليلاً على آلائه وعظمته» وذلك لأنّ الله جَعلَ الحمد للعباد ليدلّوا به على عظمته في قلوبهم واعترافهم بنعمته عندهم.

(٢) في هـ. ب: أي أحوال الدهر متسارعة يتسابق خيرها وشرّها لا يبقى منه شيء.

(٣) في ص: أفعاله.

(٤) في أ و ب و ط و د: متسابقة، وفي هـ. ب، وفي نسخة: متشابهة، وفي هـ. د: متشابهة ـ ح.

(٥) أمور الدهر: مصائبه.

(٦) في هـ. ب: متناصرة راياته.

(٧) في هـ. ص: تسوقكم.

(٨) في هـ. ب: أي بإبله الشايلة أذنابُها، وفي هـ. ص: قوله «بشوله» الشوّل: النوق التي جفّ لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية ـ من الشرح.

(٩) في هـ. ص: أي لم يسسها ويتفقّد أحوالها فيصلح فاسدها ويزكّيها.

(١٠) في هـ. ص: ذلك الغير: الدنيا وزينتها.

(١١) في هـ. ب: نشب فيها: أخلط، وفي ص: أي نشب ولم يخلص .

(١٢) في ص: وأمدت.

أعمالِه، فالجَنَّةُ غايَةُ السَّابِقينَ، والنَّارُ غايةُ المُفَرِّطينَ.

إعْلَمُوا عِبادَ اللهِ؛ أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، والْفُجُورُ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لايَمْنَعُ أَهْلَهُ، ولَا يُحْرِزُ[١] مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ، أَلَا وبالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ[٢] الخَطَايا، وبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغايةُ الْقُصْوَى[٣].

عِبادَ آللهِ، اللهَ اللهَ في أَعَزِّ الأَنْفُسِ عليكُم، وأَحَبِّها إلَيْكُم؛ فإنَّ اللهَ قدْ أَوْضَحَ[٤] سَبيلَ الحَقِّ، وأنارَ طُرُقَهُ، فَشِقْوَةٌ[٥] لازِمَةٌ، أَوْ سَعادَةٌ دَائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا في أَيَّامِ الْفَناءِ لِأَيَّامِ الْبَقاءِ، فقَدْ[٦] دُلِلْتُمْ على الزَّادِ، وأُمِرْتُمْ بالظَّعْنِ، وحُثِثْتُمْ على المَسيرِ، فإنَّما أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٌ لاتَدْرُونَ مَتى تُؤْمَرُونَ بالمسيرِ[٧].

أَلَا، فَما يَصْنَعُ بالدُّنْيا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ، وما يَصْنَعُ بالمالِ مَنْ عمَّا قليلٍ يُسْلَبُهُ، وتَبْقَى عليْهِ تَبِعَتُهُ[٨] وحِسابُه.

عِبادَ اللهِ! إِنَّهُ ليْسَ لِما وَعَدَ آللهُ منَ الخيرِ مَتْرَكٌ[٩]، ولا فِيما نَهَى عنْهُ منَ الشَّرِّ مرغَبٌ[١٠].

عِبَادَ آللهِ آحْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فيهِ الأعمالُ، وَيكْثُرُ فيهِ الزلْزالُ، وتَشيبُ فيهِ الأطْفالُ.

آعْلَمُوا عِبادَ آللهِ أَنَّ علَيْكُمْ رَصَداً[١١] مِنْ أَنْفُسكُمْ، وعُيُوناً منْ جَوَارِحكُمْ، وحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمالَكُمْ، وعَدَدَ أَنْفاسِكُمْ، لايستركم[١٢] مِنْهُمْ ظُلْمَةُ ليل دَاجٍ[١٣]، ولا يُكِنُّكُمْ[١٤]

---

(١) أي لا يحفظ.

(٢) الحمة في الأصل: إبرة العقرب ونحوها؛ والمراد سطوة الذنوب.

(٣) في هـ. ب: أي الخلود في الجنة.

(٤) في هـ. د: أوضح لكم ـ ض ح ب.

(٥) في هـ. ب: من الشقاوة.

(٦) في أ و ط و د: قد، وفي هـ. د: فقد ـ ش.

(٧) في أ و ص و ط و د: بالسير، وفي هـ. د: بالمسير ـ م ب، وفي هـ. ب: أي تؤمرون بالظّعن من الدار.

(٨) في هـ. ب: التبعة: ما يتبع شيئاً، واختصت بالذنوب لأنّها تابعة للفعل القبيح.

(٩) في ب: متروك. وفي هـ. ب، وفي نسخة: مترك.

(١٠) في ب: مرغّب. وفي هـ. ب، وفي نسخة: مرغب.

(١١) في هـ. ب: الرصد: القوم يرصدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنّث والمذكّر، وهي العيون: الجواسيس.

(١٢) في هـ. ب: لا تستركم.

(١٣) في هـ. د: ظلمة داج ـ ب.

(١٤) في هـ. ب: لا يستركم.

مِنْهُمْ بابٌ ذُو رِتاجٍ[١]، وإِنَّ غَداً منَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، ويَجيءُ الْغَدُ لاحِقاً بِهِ، فَكأَنَّ كلَّ امْرِيءٍ مِنْكُمْ قد بَلَغَ منَ الأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ[٢]، وَمَخَطَّ[٣] حُفْرَتِهِ، فَيالَهُ منْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، ومُفْرَدِ غُرْبَةٍ[٤]، وكأَنَّ الصَّيْحةَ قدْ أَتَتْكُمْ، والسَّاعةُ قد غَشِيَتْكُمْ، وبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقضَاءِ، قد زَاحَتْ[٥] عَنْكُمُ الأَباطِيلُ، واضْمَحَلَّتْ[٦] عَنْكُمُ الْعِلَلُ[٧]، واسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الحقَائِقُ، وصَدَرَتْ بكُمُ الأُمُورُ مَصادِرَها، فاتَّعِظُوا بالعِبَرِ واعْتَبِرُوا بالْغِيَرِ، وانْتَفِعُوا بالنذُرِ.

---

(١) في هـ. ب: إغلاق.
(٢) هو القبر.
(٣) في هـ. ب، وفي نسخة: ومحطّ، والمخط: موضع الخطّ.
(٤) في هـ. ب، وفي نسخة: ومقر غربة.
(٥) في هـ. ب: زالت: قطعت.
(٦) هـ. ب: زالت.
(٧) في هـ. ص في نسخة زيادة: والأضاليل.

ومن خطبة له ﷺ

أَرْسَلَهُ على حِين فَتْرَةٍ منَ الرُّسُلِ، وطُولِ هَجْعَةٍ[(١)] منَ الْأُمَمِ، وانْتِقاض[(٢)] منَ الْمُبْرَمِ، فَجاءهُمْ بِتَصْدِيقِ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ[(٣)] والنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ[(٤)]؛ ذَلِكَ الْقُرْآنُ فاسْتَنْطِقُوهُ، ولَنْ يَنْطِقَ ولكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ، ألا إنَّ فيهِ عِلْمَ ما يأتِي، والحَدِيثَ عنِ المَاضِي، ودَوَاءَ دَائِكُمْ، ونَظْمَ ما بَيْنَكُمْ.

مِنْها:

فَعِنْدَ ذَلِكَ لا يَبْقى بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا وأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً[(٥)]، وأَوْلَجُوا[(٦)] فيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذٍ لايَبْقى لكُمْ في السَّماء عاذر[(٧)]، ولا في الْأَرْضِ ناصِرٌ، أَصْفَيْتُمْ[(٨)] بالْأَمْرِ غيرَ أَهْلِهِ، وأَوْرَدْتُمُوهُ غيرِ وِرْدِهِ[(٩)]، وسَيَنْتَقِمُ ٱللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مأكَلاً بمأكَلٍ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ، منْ مَطاعِمِ الْـعَلْقَمِ[(١٠)]،

---

(١) في هـ . ب: النوم والغفلة، وفي هـ . ص: الهجعة والهجاع: الغفلة، وقد يستعمل في النوم المستغرق «وانتقاضٍ من المبرم» كأنّه ﷺ عنى به مواثيق الله التي أخذها من الأنبياء على طاعة أئمتهم.

(٢) في هـ . ب: من النقض في الحكم.

(٣) في هـ . ص: قوله «بتصديق الذي بين يديه» العرب تستعمل بين يدي الشيء عبارة عن السابق عليه، أي: الذي قبله من الكتب والرسالات، كما قال تعالىٰ: ﴿وصَدَّق المُرسلين﴾.

(٤) في هـ . ب: للمقتدي به ـ صح.

(٥) في هـ . ب: حزناً، وفي هـ . ص: هي الحزن.

(٦) في هـ . ص: ادخلوا.

(٧) لم ترد «عاذر» في طبعة عبده.

(٨) في هـ . ب: اخترتم، وفي هـ . ص: خصصتم، كأنّ سائلاً سأله عن سبب هذه الفتن وتسليط هؤلاء الظلمة، فقال: سببه إخراج الأمر من أهله وتصييره في غير منصبه ومستحقه، وهو يشير بذلك إلى أمر السّقيفة وما بعده، وهذا المعنى قد ذكره ﷺ كثيراً وورد معناه في أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ وفي آثارٍ عن الصحابة، والله أعلم.

(٩) في ص و ط: مورده. وفي هـ . ب، وفي نسخة: مورده.

(١٠) في هـ . ب: هو ثمر الحنظل، وهو مرّ، وفي هـ . ص: هو الحنظل، وعبّر به هنا عن المأكل البشيع من الزقّوم والضّريع.

وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ والمقِرِ[١]، ولباسِ شِعارِ الخَوْفِ، ودِثارِ السَّيْفِ[٢]، وإنَّمَا هُمْ مَطَايا الخَطيئاتِ، وزَوامِلُ[٣] اثامِ، فأُقْسِم ثُمَّ أُقْسِمُ، لتَنْخَمَنَّها[٤] أُمَيَّةٌ مِنْ بَعْدِي كَما تَلْفِظُ النُّخامَةَ[٥]، ثُمَّ لاتَذُوقُها[٦] ولا تَطْعَمُ بِطَعْمِها أبَداً ما كَرَّ الجَدِيدَانِ.

---

(١) هو السم، وفي هـ . ب: شيء مرّ، وفي هـ . ص: هو ما مرّ من المشرب وكُره.

(٢) الدثار من اللّباس: أعلاه، وشبّه السيف بالدثار بما إذا عمّت إباحة الدم بالأهواء فلا يفلت منه بدن ولا عضو.

(٣) في هـ . ب: حوامل، وفي هـ . ص: جمع زاملة وهو البعير يحمل عليه المسافر متاعه.

(٤) في هـ . ب: يعني: لترمينّها، يقال؛ تنخّم: أي تنخّع.

(٥) في هـ . ص: أي مرّة واحدة، ولا استرجاع للملفوظ.

(٦) في هـ . ص: قال في الشرح فإن قلت: كيف قال: «لا تذوقها أبداً» وقد ملكوا بالمغرب بعد قيام الدولة الهاشمية مدّة طويلة؟، قلت: الاعتبار بملك العراق والحجاز، وما عداها من الأقاليم النائية لا اعتداد به، والله أعلم.

[١٥٩]

ومن خطبة له عليه السلام:

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ[١]، وَأعْتَقْتُكم مِنْ رِبَقِ[٢] الذُّلِّ وحَلَقِ الضَّيْمِ[٣]، شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ، وَإِطْرَاقاً[٤] عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ، وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ[٥].

* * *

قال في الشرح: فإن قلت: كيف يجوز له أن يطرق ويغضي عن المنكر؟

قلت: يجوز له ذلك إذا علم أو غلب على ظنّه أنّه إن نهاهم عنه لم يرتدعوا، وأضافوا إليه منكراً آخر، فحينئذ يخرج الإطراق والإغضاء عن حدّ الجواز إلى حدّ الوجوب، لأنّ النهي عن المنكر يكون والحالة هذه مفسدة، انتهى[٦].

قلت: الظاهر من كلامه عليه السلام وسوقه: أنّه يريد خلاف ما ذكره الشارح؛ فإنّ مخرج كلامه مخرج تعريفه لهم حسن معاملته إيّاهم وإحسانه إليهم مع قبح معاملتهم له وعدم توفّيهم حقوقه.

فالحق في الجواب أن يقال: إنّه عليه السلام أراد بالمنكر الذي أغضى عنه: ما يتعلّق بشأنه من عدم اعتقادهم فيه ما يجب أن يُعتقد فيه من كونه أفضل الأُمّة وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل والمأخوذ عنه أحكام الدين، ومن عدم تلقّيهم أوامره بالامتثال. وقوله بالتصديق،

---

(١) في هـ. ص: أحطت بجُهدي من ورائكم: حميتُكم وحضَنْتُكم.

(٢) في هـ. ب: الرِّبَق: جمع رِبقْة، وهي الحبل يُرْبَق به البهم.

(٣) جمع حلقة، وفي هـ س: حلق الضيم: جمع حَلْقة، بالتسكين، ويجوز: «حلق» بكسر الحاء وحلاق، انتهى من الشرح.

(٤) في هـ. ب: شكراً واطراقاً، كلاهما مصدران في موضع الحال، ويجوز أن يكونا مفعولاً، يقال: أطرق الرجل: إذا سكت.

(٥) في هـ. د: الكبير ـ هامش م.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٢١.

وما صدر عنه بالقبول، فكلّ هذا منكر، ولكنّه لمّا تعلّق بحقّه كان له الاغضاء عنه والصبر عليه.

وقد أمر الله رسولهﷺ بمثله وكان معلوماً من حالهﷺ مع المنافقين، وما قيل له في شأن ابن أُبيّ وما أجاب به منقول معلوم.

فأمّا ما لا يتعلّق بشأنه، وهو حق لله محض أو ولغيره، فلم يكن يغضي عنه ولو كرثه، وتسبب منه منكر آخر كما وقع في قصّة النجاشي وذلك معلوم من طريقته وسيرته، والله أعلم.

ومن خطبة له ﷺ:

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ؛ يَقْضِي بِعِلْمٍ[١]، وَيَعْفُو[٢] بِحِلْمٍ.

اللّهُمَّ لَكَ ٱلْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي؛ وَعَلَى مَا تُعَافِي[٣] وَتَبْتَلِي؛ حَمْداً يَكُونَ أَرْضَى ٱلْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ ٱلْحَمْدِ إِلَيْكَ؛ وَأَفْضَلَ ٱلْحَمْدِ عِنْدَكَ؛ حَمْداً يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغ مَا أَرَدْتَ[٤]؛ حَمْداً لَا يُحْجَبُ عَنْكَ، وَلاَ يُقْصَرُ[٥] دُونَكَ؛ حَمْداً لاَ يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ؛ إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ؛ لاَ تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ؛ لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ ٱلْابْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ ٱلْأَعْمَالَ[٦]، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ.

وَمَا ٱلَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ[٧]؛ وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَٱنْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سواتر[٨] ٱلْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، أَعْظَمُ.

فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ[٩] خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي ٱلْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى[١٠] مَوْرِ[١١] ٱلْمَاءِ أَرْضَكَ؛ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَبْهوراً[١٢]، وَسَمْعُهُ وَالِهاً[١٣]، وَفِكْرُهُ حَائِراً.

---

(١) في هـ. ب: أي عالم بمصلحة المأمور به. (٢) في أ و ص: ويغفر، وفي هـ. د: ويغفر ـ ن ف.

(٣) في هـ. ب: ما تعافي من الجرم والذمّ، وتبتلي بالتكليف.

(٤) في هـ. ب: لأنّ مراد الله من المكلّف أن يعبده بما يستحق.

(٥) في هـ. ب: أي: لا يحبس، والتقصير في الأمر: التواني.

(٦) في أ: الاعمار.

(٧) في ب: شأنك.

(٨) في ط و د: ستور.

(٩) في هـ. د: وذرأت ـ ب.

(١٠) في ب: في.

(١١) المور: الموج.

(١٢) في هـ. ب: مغلوباً.

(١٣) في هـ. ب: متحيّراً، وبالجيم ـ الجائر ـ: العادل.

منها[١]:

يَدَّعِي[٢] بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجو ٱللهَ، كَذَبَ والعَظِيم! ما بالُهُ لا يَتَبَيَّنُ رَجاؤُهُ في عَمَلِهِ، فَكُلٌّ[٣] مَنْ رَجا عُرِفَ رَجاؤُهُ في عَمَلِهِ، وكل[٤] رجاء[٥] إلّا رَجاءَ اللهِ فإنَّهُ مَدْخُولٌ[٦]، وكلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إلَّا خَوْفَ اللهِ فإِنَّهُ مَعْلُولٌ[٧].

يَرْجُو اللهَ في الكَبيرِ[٨]، ويَرْجُو الْعِبادَ في الصَّغيرِ[٩]، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَالاَ يُعْطِي الرَّبَّ، فما بَالُ اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عمَّا يُصْنَعُ لِعبادِهِ[١٠]؟

أَتخافُ أَنْ تكُونَ في رَجائِكَ لهُ كاذِباً، أَوْ تَكُونَ لا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً، وكذلِكَ إنْ هُوَ خافَ عَبْداً منْ عَبِيدِهِ أَعْطاهُ منْ خَوْفِهِ مَالاَ يُعْطي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ منَ الْعِبَادِ نَقْداً، وَخَوْفَهُ منْ خالِقِهِم[١١] ضِمَاراً[١٢] وَوَعْداً.

وَكذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيا في عَيْنِهِ، وكَبُرَ مَوْقِعُها من قَلْبِهِ[١٣]، اثَرَها على اللهِ فانْقَطَعَ إلَيْها، وَصارَ عَبْداً لها.

---

(١) في ص: ومنها.
(٢) في هـ. ب: يجوز أن يكون إنساناً معيّناً، ويجوز أن يكون على الإطلاق أي إنّ الإنسان يزعم أنّه راجٍ لله وخائفٍ من الله، ولا تظهر علامات ذلك من حاله.
(٣) في ب و ص : وكل.
(٤) في ط و د: فكل، وفي هـ. د: وكل ـ حاشية ش.
(٥) «وكل رجاء» من ص و في هـ. ب، وفي نسخة، ولم ترد في أ و ط.
(٦) المدخول: المغشوش غير الخالص، أو المعيب الناقص لا يترتّب عليه عمل، وفي هـ. ب: يقال: دخل فلان فهو مدخول، أي في عقله دخل عيب وريبة، والنخل المدخول: ما يكون ثمره ناقصاً.
(٧) في ص: مغلول، وفي هـ. ب: الخوف المعلول نقيض المحقّق وأصل العلّة: المرض.
(٨) في هـ. ب: يعني به عرض الدنيا وما لابدّ منه.
(٩) في هـ. ب: هو الثواب.
(١٠) في أ و ب: بعباده، وفي هـ. د: يصنع لعباده ـ ض ب، يصنع به لعباده ـ ح.
(١١) في ص: خالقه وفي هـ. ص، وفي نسخة: خالقهم.
(١٢) هـ. ب: ما لا يرجى أداؤه من المال، وما لا يرجى أداؤه من الدَّين.
(١٣) في هـ. د: في قلبه ـ ض ب، من قلبه ـ حاشية ن.

ولقدْ[١] كانَ في رَسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآله[٢] كاف لَكَ في الأُسْوَةِ[٣]، ودَلِيل لكَ[٤] على ذَمِّ الدُّنْيا وعَيْبِهَا، وكثرَةِ مَخازِيهَا[٥] وَمَسَاوِيها، إذْ قُبِضَتْ عنْهُ أطْرَافُها، وَوُطِّئتْ لِغَيْرِهِ أكْنافُها[٦]، وفُطِمَ مِنْ رَضَاعِها[٧]، وزُوِيَ عنْ زَخارِفِها[٨].

وإنْ شِئْتُ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كليمِ الله صلّى اللهُ عليهِ وسلّم[٩] إذْ يَقُولُ[١٠]: ﴿رَبِّ[١١] إنِّي لِمَا أنْزَلْتَ إليَّ مِنْ خَيرٍ فَقيرٌ﴾[١٢] واللهِ ما سَألَهُ إلَّا خُبْزاً يَأكلُهُ؛ لأنَّهُ كانَ يأكلُ بَقْلَةَ الأرْضِ. ولَقدْ كانتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى منْ شَفيفِ[١٣] صِفاق[١٤] بَطْنِهِ لِهُزَالِهِ وتَشَذُّب[١٥] لحمِهِ.

وإنْ شِئْتُ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، صاحِبِ المَزَامِيرِ[١٦]، وقارِئ أهْلِ الجَنَّةِ، فَلَقَدْ كانَ يَعْمَل سَفائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ[١٧] ويَقُولُ لجُلَسائِهِ: أيّكُمْ يَكْفِيني بَيْعَها ويأْكلُ قُرْصَ الشَّعيرِ منْ ثَمنِها.

وإنْ شِئْتُ قُلْتُ في عِيسى بْنِ مَرْيَمَ عليهِ السلامُ، فَلَقَدْ كانَ يَتَوَسَّدُ الحَجَرَ، ويَلْبَسُ الخَشِنَ، ويأكُل الجشب[١٨]، وكانَ إدَامُهُ الجُوع، وسِرَاجُهُ باللَّيْلِ الْقَمَرَ،

---

(١) في هـ. د: وقد كان ـ ب. (٢) في ص: عليه السلام.
(٣) في هـ. ب: الأُسوة: أي القدوة، وتأسّي: أي اقتدِ، من الإقتداء.
(٤) لم ترد «لك» في أ. (٥) في هـ. ب: من الخزي.
(٦) الأكناف: جمع أكنف، أي: الجانب. (٧) في هـ. د: عن رضاعها ـ ض ح ب.
(٨) في هـ. ب: زينتها.
(٩) لم ترد «وسلم» في ص، وفي ب: صلّى الله عليه وآله.
(١٠) في هـ. د: حيث يقول ـ ض ح. (١١) لم ترد «رب» في ب.
(١٢) القصص: ٢٨ / ٢٤.
(١٣) لرقته يشفّ ما وراءه، والصفاق الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن، انتهى من الشرح.
(١٤) في هـ. ب: صفاق الجلد: أسفل الجلد الذي يلي الجلد الذي عليه الشعر.
(١٥) تفرّق لحمه، وفي هـ. ب: شذّب الشجرة: أي قطع ما تفرّق من أغصانها.
(١٦) في هـ. ب: واحدها مزمار، تقول منه زمر يزمر فهو زمّار، ويقال: ذا زمر: صوت حزين.
(١٧) في هـ. ب: سفيفة من خوصٍ: نسيجة منه، يقال: اسففته إذا نسجته، والخوص: ورق النخل، الواحدة: خوصة.
(١٨) لم ترد «ويأكل الجشب» في أ و ب وفي هـ. د: ساقطة من م ن ب ل ش.

وظِلاَلُهُ[١] في الشِّتاءِ مَشَارِقُ الأرْض وَمَغارِبُها، وفاكِهَتُهُ ورَيْحانُهُ ما تُنْبِتُ الأرْضُ لِلْبَهائِم، ولمْ تكنْ لهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ[٢]، ولا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، ولا مَالٌ يَلْفِتُهُ[٣]، ولا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ، وخادِمُهُ يَدَاهُ.

فَتَأَسَّ[٤] بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأطْهَرِ[٥] صَلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ، فإن فيهِ أُسْوَةً[٦] لِـمَنْ تَأَسَّى[٧]، وَعَزَاءً[٨] لِمَنْ تَعَزَّى، وأحَبُّ الْعِبَادِ إلى اللهِ المُتأَسِّي[٩] بِنَبِيِّهِ، والمُقْتَصُّ[١٠] لأثرِهِ، قَضَمَ[١١] الدُّنْيا[١٢] قَضْماً، ولمْ يَعُرْها[١٣] طَرْفاً[١٤]، أَهْضَمُ[١٥] أهْلِ الدُّنْيا كَشْحاً[١٦]، وأخْمَصُهُمْ[١٧] منَ الدُّنْيا بَطْناً، عُرِضَتْ عليهِ الدُّنْيا[١٨] فأبَى أنْ يَقْبَلَها، وعَلِمَ أنَّ اللهَ سُبْحانهُ أبْغَضَ شَيْئاً فأبْغَضَهُ، وحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَرَهُ[١٩]، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ، ولوْ لمْ يَكُنْ فينا إلاّ حُبُّنا ما أبْغَضَ اللهُ ورَسُولُه[٢٠]،

---

(١) الظلال: جمع الظل، وهو الكِنّ والمأوى وما يستظلّ به ومن كان ظلاله المشرق والمغرب فلا ظلال له.
(٢) في هـ. ب: من الفتن.
(٣) في هـ. ب: لفته عن رأيه، أي: صرفه بلفتة، وفي هـ. ص: أي يلفته عن الآخرة وطلبها.
(٤) أي: اقتد.
(٥) في ب: الأطهر الأطيب، وفي هـ. د: الأطهر الأطيب ـ ش.
(٦) في هـ. ب: اثرة.
(٧) في هـ. ب: لمن اقتدى.
(٨) في هـ. ب: صبر.
(٩) في هـ. ب: المقتدي.
(١٠) في هـ. ب: التابع.
(١١) في هـ. د: قضم ـ م ك، وفي هـ. ص: ويروى «قضم» بالضاد المهملة والقضم الأكل بأطراف الأسنان، والأغلب أن يكون للشيء اليابس (انتهى من الشرح) وكنى بهﷺ عن أكل غير رغيب، بل للضرورة.
(١٢) هـ. ب: كسرها، قضم الدنيا: اكتفى منها بالقليل.
(١٣) في هـ. ب: من العارية.
(١٤) في هـ. ب: نظراً.
(١٥) في هـ. ب: رجل أهضم وبيّن الهضم وهو الهضام: إذا كان خميصاً لقلّة الأكل.
(١٦) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع في الخلف، وفي هـ. ص: الكشح: الخاصرة والمعني من الفقرتين واحد.
(١٧) الخمص: خلوّ البطن وانطباقها من الجوع.
(١٨) في ص: الدنيا عليه.
(١٩) في ب و ص: حقّر بالتشديد، وفي هـ. ص: وروي: حقر شيئاً فحقرهُ بالتخفيف، انتهى من الشرح.
(٢٠) لم ترد «ورسوله» في أ و ب و د.

وتَعْظيمنا ما صَغَّرَ اللهُ ورَسُولُهُ[١]، لَكَفَى بهِ شِقاقاً[٢] لِلّٰهِ، ومُحادَّةً[٣] عَنْ أمْرِ اللهِ.

ولقَدْ كانَ صَلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلّم يَأْكُلُ على الأرْضِ، ويَجْلِس جِلْسَةَ الْعَبْدِ، ويَخْصِفُ بيَدِهِ نَعْلَهُ، ويَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَه، ويَرْكَبُ الحِمارَ الْعارِيَ ويُرْدِفُ خَلْفَهُ، ويَكُونُ السِّتْرُ على بابِ بَيْتِهِ فتكُونُ فيهِ التَّصاوِيرُ، فَيقُولُ: يا فُلاَنَةُ ـ لإحْدَى أزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي؛ فإنِّي إذا نَظَرْتُ إلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيا وزَخارِفَها»، فأعْرَض عَنِ الدُّنْيا بِقَلْبِهِ، وأماتَ ذِكْرَها عنْ نَفْسِهِ، وأحَبَّ أنْ تَغيبَ زِينَتها عَن[٤] عَيْنِه لِكَيْلاَ يَتَخِذَ منها رِياشاً[٥]، ولا يَعْتَقِدَها قَرَاراً، ولا يَرْجُو فيها مُقاماً، فأخْرَجَها منَ النَّفْسِ، وأشْخَصَها عَنِ الْقَلْبِ[٦]، وغَيَّبَها عَنِ الْبَصَرِ، وكَذَلِكَ[٧] مَنْ أبْغَضَ شَيْئاً أبْغضَ أنْ[٨] يَنْظُرَ إليهِ، وأنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

ولقَدْ كانَ في رَسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ ما يَدُلُّكَ على مَساوِي الدُّنْيا وعُيُوبِها؛ إذْ جاعَ فيها مَعَ خاصتِهِ[٩]، وزُوِيَتْ[١٠] عَنهُ زَخارِفُها مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ. فَلْيَنْظُرْ ناظِرٌ بِعَقْلِهِ، أأكْرَمَ[١١] اللهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أمْ أهانَهُ؟ فإنْ قال: «أهانَهُ» فقدْ كَذَبَ واللهِ العَظِيم[١٢]، وإنْ قالَ: «أكْرَمَهُ» فَلْيَعْلَمْ أنَّ اللهَ قد أهانَ[١٣] غيرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيا لَهُ وزَواها[١٤] عنْ أقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأسَّى[١٥] مُتَأسٍّ بِنَبِيِّهِ، واقْتَصَّ أَثَرهُ، ووَلَجَ مَوْلِجَهُ، وإلَّا فَلاَ يأمَنِ الهَلَكَةَ، فإنَّ اللهَ

---

(١) لم ترد «ورسوله» في أ و ب و د، وفي هـ. د: ما أبغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغّر الله ورسوله ـ ض ح ب.
(٢) الشقاق: الفساد والمخالفة، وفي ب: شفاقاً، وفي هـ. ب: خوفا.
(٣) المحادّة: المخالفة في عناد، وفي هـ. ب: معاداة.
(٤) في ب: من، وفي هـ. د: من ـ ش.
(٥) الرياش: اللّباس الفاخر.
(٦) أي: أبعدها.
(٧) في هـ. د: وكذا ـ ب، ولذلك ـ ل.
(٨) في هـ. د: من أن ـ ب.
(٩) أي: خصوصيته وفضيلته.
(١٠) أي: قبضت عنه الدنيا وأبعدت، وفي هـ. ب: «زويت لي الأرض» أي: طويت.
(١١) في ب ط د: أكرم، وفي هـ. د: أكرم ـ ض ح ب ش.
(١٢) في أ و ص: كذب والعظيم وفي ط: كذب والله العظيم بالافك العظيم وفي د: كذب والعظيم وأتى بالافك العظيم، وفي هـ. د: لم ترد «وأتى بالافك العظيم» في س ل ف ن م وفي ح: فقد كذب والله العظيم بالافك العظيم. وفي ب: فقد كذب وأتى بالافك العظيم.
(١٣) في هـ. د: ان الله أهان ـ ب.
(١٤) في هـ. ب: قبضها.
(١٥) في هـ. د: فليتأس ـ هامش م، و «فتأسىٰ» خبر يراد به الطلب.

جَعَلَ مُحَمَّداً صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ عَلَماً لِلسَّاعَةِ[١]، ومُبَشِّراً بالجَنَّةِ، ومُنْذِراً بالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيا خَميصاً[٢]، ووَرَدَ الآخرة سَليماً، لمْ يَضَعْ حَجَراً على حَجَرٍ حتّى مَضى لِسبيلهِ[٣]، وأجابَ دَاعِيَ رَبِّه، فَما أعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنا حينَ أَنْعَمَ علَيْنا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ وقائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ[٤] واللهِ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعتِي هذهِ حتّى اَسْتَحْيَيْتُ منْ رَاقِعِها[٥] ولقدْ قالَ لي قائِلٌ: ألَا تَنْبِذُها[٦] عَنْكَ فَقُلْتُ اغْرُبْ[٧] عَنِّي فَعِنْدَ الصَّباحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرى[٨].

---

(١) العلم: العلامة، أي: بعثه دليل على قرب القيامة.

(٢) أي: خالي البطن، وفي هـ. ب: أخمص. (٣) في هـ. د: حتى مضى وأجاب ــ ف ن.

(٤) العقب: مؤخّر القدم، ووطء العقب مبالغة في الاتباع، هـ. ب: يخطو.

(٥) المدرعة: ثوب من صوف، وفي هـ. ب: المدرعة والرداء والقميص ممّا يلبس.

(٦) في هـ. ب: ألا ترميها لخلاقتها؟

(٧) في هـ. د: اعزب ــ ح م ب ل، وفي هـ. د: أي أبعد.

(٨) في هـ. ب: سير الليل، والمسافرون السائرون بالليل إذا أصبحوا ويريد به: القيامة.

[١٦١]

ومن خطبة له عليه السلام:

ابتَعَثَهُ[١] بالنُّورِ المُضيء، والبُرْهانِ الجَليِّ، والمِنْهاجِ الْبادِي[٢]، والكِتابِ الْهادي.

أُسْرَتُهُ[٣] خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ[٤] خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصانُها مُعْتَدِلة[٥]، وثمارُها مُتَهَدِّلَةٌ[٦]، مَوْلِدُهُ بمَكَةَ، وهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ[٧]، عَلَا بها ذِكْرُهُ، وامْتَدَّ منها صَوْتُهُ، أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كـافِيَةٍ، ومَوْعِظَةٍ شافِيَةٍ، ودَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ[٨]، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرائعَ الـمجْهُولةَ، وقَـمَعَ[٩] بـهِ الْـبِدَعَ المَدْخُولةَ[١٠]، وَبيَّنَ بهِ الأَحكامَ المَفْصُولَةَ[١١]، فَمَنْ يَبتغ[١٢] غَيرَ الإِسْلَامِ دِيناً يَتَحقَّقْ[١٣] شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمُ[١٤] عُرْوَتُهُ، وتَعْظُمُ كَبْوَتُهُ[١٥]، ويكُن[١٦] مَآبُهُ[١٧] إلى الحُزْنِ الطَّـوِيلِ، والْعذَابِ الوَبِيلِ.

وأَتَوَكَّلُ على اللهِ تَوَكلَ الإِنابَةِ إِلَيْهِ، وأَسْتَرْشِدُهُ السبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إلى جَنَّتِهِ، الْقاصِدةِ إلى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ.

---

(١) في أ: بعثه، وفي هـ. د: بعثه ـ ب ن. (٢) في هـ. ب: الطريق الظاهر.

(٣) في هـ. ب: اسرة الرجل: رهطه؛ لأنّه يتقوّى بهم، ورهطه بنو هاشم.

(٤) في هـ. ب: قريش. (٥) في هـ. ب: مستقيمة.

(٦) في هـ. د: متبدلة ـ م، وفي الهامش: مهدلة، وفي هـ. ب: أي متدلّية، يعني دانية للاقتطاف.

(٧) في هـ. ب: المدينة.

(٨) التلافي: تدارك الشيء بالإصلاح قبل أن يهلكه الفساد.

(٩) في هـ. ب: أذلّ.

(١٠) في هـ. ص: أي المعيبة، والدخل: العيب والفساد.

(١١) المفصولة: أي التي فصلها الله أي قضى بها.

(١٢) في هـ. د: يتبع. (١٣) في أ: تتحقق.

(١٤) في هـ. ب: ينكسر.

(١٥) في هـ. ب: يقال: كبا الرجل لوجهه: أي سقط لوجهه.

(١٦) هـ. د: يكون ـ ب. (١٧) في هـ. ب: مرجعه.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى الله وطَاعَتِهِ، فإِنَّها النَّجاةُ غَداً، والمنْجاةُ[١] أبَداً.

رَهَّبَ[٢] فأبْلَغَ، ورَغَّبَ فأسْبَغَ[٣]، ووَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيا وانْقِطَاعَها، وزَوَالَها وانْتِقالَها، فأَعْرِضُوا[٤] عمَّا يُعْجِبُكُم فِيها[٥]؛ لِقلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْها، أقْرَبُ دَارٍ مِنْ سُخْطِ الله، وأبْعَدُها منْ رِضْوَانِ اللهِ[٦].

فَغُضُّوا[٧] عَنْكُمْ عِبَادَ اللهِ غُمُومَها، وأَشْغالَها لِمَا قد[٨] أيْقَنْتُمْ بِهِ منْ فِرَاقِها، وتَصَرُّفِ حالاتِها، فاحْذَرُوها حَذَرَ الشَّفِيقِ[٩] النَّاصِحِ[١٠]، والمُجِدِّ الْكادِحِ[١١]، واَعْتَبِرُوا بِما قَدْ رَأيتُمْ منْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ، قَدْ تَزَايَلَتْ[١٢] أوْصالُهُمْ[١٣]، وزَالَت أسْماعُهُمْ وأبْصارُهُمْ[١٤]، وذَهَبَ شَرَفُهُمْ وعِزُّهُمْ، وانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ ونَعِيمُهُمْ، فَبُدِّلُوا[١٥] بِقُرْبِ الأوْلَادِ فَقْدَها، وبِصُحْبَةِ الأزْوَاجِ مُفارَقَتَها، لا يَتَفاخَرُونَ، ولا يَتَناسَلُونَ[١٦]، ولا يَتَزَاوَرُونَ[١٧]، ولا يَتَجَاوَرُونَ[١٨].

فاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ حَذَرَ الْغالبِ لِنَفْسِهِ[١٩]، المَانع لِشَهْوَتِه، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ[٢٠]؛ فإِنَّ الأمْرَ

---

(١) في هـ. ب: النجاة والمنجاة كلاهما جملة مجاز.
(٢) في هـ. ب: رهّب أي خوّف بالله فبالغ في التخويف.
(٣) في هـ. ب: ورغّبَ في الجنّة فأكمل الترغيب.
(٤) في هـ. ب: أعرض عن الشي: تركه.
(٥) في هـ. أ في نسخة: منها، وفي هـ. د: منها ـ م وحاشية ف.
(٦) في هـ. د: لم ترد لفظة الجلالة في م.
(٧) في ص: ففضوا، وفي هـ. ب: أي كفّوا عنها، والغض: غضّ البصر.
(٨) لم ترد «قد» في ص و ط، وفي هـ. د: لم ترد «قد» في ض ح ب.
(٩) في هـ. ب: المشفق.
(١٠) الناصح: الخالص والمجدّ والمجتهد.
(١١) الكادح: المبالغ في سعيه، وفي هـ. ب: الساعي.
(١٢) في هـ. ص: تفارقت.
(١٣) في هـ. ب: أعضاؤهم، وفي هـ. ص: الأعضاء المتواصلة.
(١٤) في ط و د: أبصارهم وأسماعهم، وفي هـ. د: أسماعهم وأبصارهم ـ م ف ن ل.
(١٥) في هـ. د: فتبدلوا ـ م.
(١٦) في هـ. ب: من النسل، أي لا يتوالدون.
(١٧) في هـ. ب: من الزيارة.
(١٨) في هـ. ب: من المجاورة.
(١٩) في أ شطب على لنفسه وكتب فوقه: نفسه.
(٢٠) في ب: الناطق بعقله، وفي هـ. ب، وفي نسخة: الناظر بعقله ـ معاً ـ في هـ. د: الناطق ـ ش.

واضِحٌ، والْعَلَمَ قائِمٌ، والطَّرِيقَ جَدَدٌ[1]، والسَّبِيلَ قَصْدٌ[2].

(١) الجدد: الطريق المستوي المسلوك. (٢) القصد: القويم.

ومن كلام له عليه السلام(١):

لِبَعْضِ أَصْحابِهِ وقدْ سَألَهُ: كَيْفَ دَفَعَكُمْ قَوْمُكُمْ عنْ هذا المَقامِ وأَنْتُمْ أَحَقُّ به؟ فقالَ:

يَا أَخَا(٢) **بَنِي أَسَدٍ إنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ**(٣) **تُرْسِلُ في غيرِ سَددٍ**(٤)**، وَلَكَ**(٥) **بعْدُ ذِمامَةُ**(٦) **الصِّهْرِ**(٧) **وحَقُّ المَسألةِ**(٨)**، وقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فاعْلَم:**

أَمَّا الإسْتِبْدادُ(٩) **عَلَيْنا بهذَا المَقامِ ـ وَنَحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً، والأَشَدُّونَ**(١٠) **بالرَّسُولِ**(١١) **نَوْطاً**(١٢) **ـ فإنَّها**(١٣) **كانَتْ أَثَرَة**(١٤)**، شَحَّتْ**(١٥) **عليها نُفُوسُ قَوْمٍ، وسَخَتْ**(١٦) **عَنْها نُفُوسُ آخَرِينَ**(١٧)**، والحَكَمُ اللهُ**(١٨)**، والمَعْوَدُ**(١٩) **إلَيْهِ يَوْمَ**(٢٠) **الْقِيامَةِ.**

---

(١) في أ: ومن كلامه.

(٢) في ب، كتب فوق «يا أخا»: يا أبا.

(٣) في هـ. ب: الوضين: للهودج بمنزلة البطان للقتَب، وكلاهما حبل يشدّ كلّ واحد منهما به، وإذا اضطرب (قيل:) فيها قلق.

(٤) في هـ. ب: ترسل السؤال والكلام في غير صواب، وفي هـ. ص: أي في غير قصد وسداد.

(٥) في هـ. د: وروي ولكن ـ ر.

(٦) هـ. ب: الذمام: الحرمة، هـ. ص: أي: حرمته.

(٧) في هـ. ب: أصهار أهل البيت، وفي هـ. ص: قال في الشرح: لأنّ زينب بنت جحش أسديّة وأُمّها «أُميمة بنت عبد المطلب».

(٨) في هـ. ب: أي حقّ السؤال، وفي هـ. ص: لأنّ للسّائل على المسؤول حقّاً.

(٩) في هـ. ب: يعني الانفراد.

(١٠) في ب: والأشد.

(١١) في ص: بالنبي، وفي ط: برسول الله صلّى الله عليه وآله.

(١٢) في هـ. ب: علقة، وفي هـ. ص: أي اتصالاً وتعلّقاً.

(١٣) في هـ. ص: يحتمل أن يكون الضمير للخلافة.

(١٤) في هـ. ص: أي استبداد بالأمر.

(١٥) في هـ. ب: بخلت يعني هؤلاء.

(١٦) في هـ. ب: من السخاء.

(١٧) في هـ. ص: أي اولاده المعصومين.

(١٨) في هـ. ص: هذا كلام شاك متظلّم، مترصّد للاستعلاء، فهو يدلّ على أنّ ما ارتكبه القوم عظيم.

(١٩) المعود: مفعل، من عاد يعود مستعمل على الاصل.

(٢٠) لم ترد «يوم» في ص. د.

ودَعْ عَنْكَ نَهْباً[١] صِيحَ[٢] في حَجَرَاتِهِ

وهَلُمَّ[٣] الخَطْبَ فِي ٱبْنِ أَبي سُفْيانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَني الدَّهْرُ بعْدَ إِبْكائِهِ، ولا غَرْوَ[٤] ـ واللهِ ـ فَيالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ[٥] الْعَجَبَ، ويُكْثِرُ الْأَوَدَ[٦]، حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفاءَ نُورِ ٱللهِ مِنْ مِصْباحِهِ، وسَدَّ فَوَّارِهِ منْ يَنْبُوعِهِ[٧]، وَجَدَحُوا[٨] بيْني وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وبِيئاً[٩]، فإِنْ تَرْتَفِعْ[١٠] عَنَّا وعنهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى أحملهم من الحق على محضه[١١]، وإِن تَكُن الأُخْرىٰ، ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرات، إِنّ الله عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُون﴾[١٢].

قوله عليه السلام: «إنّك لَقلق الوضين»:

قال في الشرح: يقال للرجل المضطرب في أمره: إنّه لقلق الوضين، وذلك أنّ الوضين إذا قلق اضطرب القتب أو الهودج أو السرج، ومَن عليه، والوضين: هو بطان القتب، وحزام السرج، انتهى[١٣].

أقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام يحجم عمّا في نفسه من أمر عاقدي بيعة السقيفة، فإن باح بشيء منه وغلبه فتنفس به، جاء بكلام محتمل كناية وتعريضاً؛ كلّ ذلك لما يعلمه من ضمائر أهل زمانه ونفرتهم عمّا لا يألفونه فيخشى تفرّق جنده وهو مُلْجأ إلى استصلاحهم.

ولعل السائل سأله في محفل جامع، والسؤال يقتضي جواباً مفصّلاً، فلذلك أجابه بقول: «ترسل في غير سدد» ثم قاطعه وأجمل له الجواب وأتى به على وجه لا تنفر منه نفوس السامعين، على أنّه عند المتأملين بالغ غاية الكشف لحال العاقدين، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه»:

---

(١) في هـ. ب : أي غنيمة .
(٢) من الصياح .
(٣) أي هلمّ أذكر، والخطب: الأمر العظيم، وفي هـ. ب: أمراً عظيماً، وفي هـ. ب: هلُمّ كذا، أي: هات، وإذا قيل لك: هَلُمّ كذلك قلت.
(٤) في هـ. ص: أي لا عجب.
(٥) في هـ. ب: من الإفراغ.
(٦) في هـ. ب: العوج.
(٧) الينبوع: الثقب الذي يفور منه الماء بشدّة.
(٨) في هـ. ب: خلطوا، جدحوا: مزجوا.
(٩) في هـ. ب: من الوباء.
(١٠) في أ: يرتفع.
(١١) في هـ. ب: خالصه.
(١٢) فاطر: ٣٥ / ٨.
(١٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٤٢.

قال في الشرح: يشير إلى ما كان عنده من الكآبة لتقدّم مَنْ سلف عليه؛ فلم يقنع الدّهر له بذلك، حتى جعل معاوية نظيراً له. فضحك عليه السلام ممّا تحكّم به الأوقات، ويقتضيه تصرّف الدهر وتقلّبه؛ وذلك ضَحِك تعجُّب واعتبار، انتهى[1].

قوله عليه السلام: «فياله خطباً»:

قال في الشرح: يقول قد صار العجب لأعجب، لأنّ هذا الخطب استغرق العجب فلم يبق ما يطلق عليه لفظ العجب، وهذا من باب الإغراق والمبالغة.

ثم ذكر عليه السلام تمالؤ قريش عليه ـ يعني ما تقدّم من منابذة طلحة والزبير وأصحابهما وما شفع ذلك من معاوية وعمر وشيعتهما، انتهى من الشرح[2].

قلت: وما قبل ذلك من فعل أهل السقيفة وفعل أهل الشورى فهو أصل ذلك وأساسه، فبيّن أنّ قصدهم فيما فعلوه واحد وأنّ الحامل عليه الحسد، والله أعلم.

قال في شرح ابن أبي الحديد: وسألت أبا جعفر يحيى بن محمّد العلويّ نقيب البصرة، وقت قراءتي عليه، عن هذا الكلام، وكان رحمه الله على ما يذهب إليه من مذهب العَلَويّة منصِفاً وافر العقل، فقلت له: مَنْ يعني عليه السلام بقوله: «كانتْ أثرة شحَّت عليها نفوس قوم، وسَخَت عنها نفوس آخرين؟» ومَن القومُ الّذين عناهم الأسديّ بقوله: «كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به»؟ هل المرادُ يوم السقيفة أو يوم الشورى؟ فقال: يوم السقيفة؛ فقلت: إنّ نفسي لا تسامحني أن أنسُب إلى الصحابة عصيان رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع النص. فقال: وأنا فلا تسامحني أيضاً نفسي أن أنسب الرسول صلى الله عليه وآله إلى إهمال أمر الإمامة، وأنْ يُترك النّاس فوضى سُدىً مهمَلين؛ وقد كان لا يغيبُ عن المدينة إلّا ويؤمِّر عليها أميراً وهو حيّ ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمِّر وهو ميّت لا يقدر على استدراك ما يحدُث!

ثم قال: ليس يشكّ أحدٌ من الناس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان عاقلاً كامل العقل، أمّا المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم؛ وأمّا اليهود والنصارى والفلاسفة فيزعمون أنّه حكيم تامّ الحكمة، سديد الرأي، أقام ملّة، وشرَع شريعة، واستجدّ ملكاً عظيماً بعقله وتدبيره؛ وهذا الرّجل العاقل الكامل يعرفُ طباع العرب وغرائزهم وطلَبهم بالثّارات والذُّحول؛ ولو بعد

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٤٦.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٤٦.

الأزمان المتطاولة. ويقتُل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر، فلا يزال أهلُ ذلك المقتول وأقاربه يتطلّبون القاتل ليقتلوه؛ حتى يدركوا ثأرهم منه؛ فإن لم يظفروا به قتَلُوا بعضَ أقاربه وأهله، فإنْ لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة به وإن لم يكونوا رهطه الأدنْين. والإسلام لم يُحِلْ طبائعهم، ولا غيّر هذه السجيّة المركوزة في أخلاقهم، والغرائز بحالها، فكيف يتوهّم لبيب أنّ هذا العاقل الكامل وَتَر العرب، وعلى الخصوص قريشاً، وساعدَهُ على سَفْك الدماء وإزهاق الأنفس وتقلّد الضغائن ابنُ عمِّه الأدنى وصهرُه، وهو يعلم أنّه سيموت كما يموت الناس، ويتركه بعدَه وعنده ابنته، وله منها ابنان يجريان عندَه مَجْرَى ابنيْن من ظَهْره حُنوّاً عليهما، ومحبّة لهما، ويعدل عنه في الأمر بعده، ولا ينصّ عليه ولا يستخلفه، فيحقِنُ دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه! ألا يعلمُ هذا العاقل الكامل؛ أنّه إذا تركه وترك بنيه وأهلَه سُوقَةً ورعيّة؛ فقد عرَّض دماءهم للإراقة بعده؛ بل يكونُ هوﷺ هو الذي قتلهم، وأشاط بدمائهم[1]، لأنّهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم؛ وإنّما يكونون مضغةً للآكل، وفريسةً للمفترِس، يتخطّفهم الناس، وتبلُغ فيهم الأغراض! فأمّا إذا جَعَل السلطان فيهم، والأمر إليهم؛ فإنّه يكون قد عَصَمهم وحَقَن دماءهم بالرّياسة التي يَصُولون بها، ويرتدع النّاس عنهم لأجلها. ومثل هذا معلوم بالتجرِبة. ألا ترى أنّ ملِك بغداد أو غيرها من البلاد لو قَتَل النّاس ووتَرَهم، وأبقى في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه، ثم أهمل أمر ولده وذرّيته من بعده، وفَسَح للنّاس أن يقيموا مَلِكاً من عُرْضِهم، وواحداً منهم، وجعل بنيه سوقَةً كبعض العامّة، لكان بنوه بعده قليلاً بقاؤهم، سريعاً هلاكهم، ولَوثَب عليهم الناس ذوو الأحقاد والتِّرات من كلّ جهة، يقتلونهم ويشرّدونهم كلّ مشرَّد. ولو أنّه عَيّن ولداً من أولاده للْملك، وقام خواصّه وخدمه وخَوَلُه بأمره بعده، لحقنت دماء أهل بَيْته، ولم تطلْ يد أحد من الناس إليهم لناموس الملك، وأبّهة السلطنة، وقوّة الرياسة، وحرمة الإمارة!

أفترى ذهب عَنْ رسول اللهﷺ هذا المعنى؛ أم أحبّ أن يُستأصل أهله وذرّيته من بعده! وأين موضعُ الشَّفَقة علَى فاطمة العزيزة عنده، الحبيبة إلى قلبه!

---

(١) أشاط بدمائهم: أهدرها أو عمل على هلاكها.

أتقول: إنّه أحبَّ أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة، تتكفّفُ الناس، وأن يجعل عليّاً، المكرَّم المعظَّم عنده، الذي كانت حاله معه معلومةً، كأبي هريرة الدَّوْسِيّ وأنس بن مالك الأنصاريّ، يحكَّم الأمراء في دمه وعرْضِه ونفسه وولده، ولا يستطيع الامتناع، وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول؛ تتلظّى أكباد أصحابها عليه، ويودُّون أن يشربُوا دمه بأفواههم، ويأكلوا لحمه بأسنانهم؛ قد قتل أبناءَهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامَهم، والعهدُ لم يَطُلْ، والقروح لم تَتقرّف[1]، والجروح لم تندمل!

فقلت له: لقد أحسنتَ فيما قلت، إلّا أن لفظه‌ﷺ يدلّ على أنّه لم يكن نصّ عليه، ألا تراه يقول: «ونحنُ الأَعلَون نسباً، والأشَدُّون بالرسول نَوْطاً»، فجعل الاحتجاج بالنَّسَب وشدّة القرْب؛ فلو كان عليه نصّ، لقال عِوَض ذلك: «وأنا المنصوص عليّ، المخطوب باسمي».

فقال‌ﷺ: إنّما أتاه من حيثُ يعلم، لا من حيث يجهل؛ ألَا ترى أنّه سأله، فقال: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحقّ به؟ فهو إنّما سأل عن دفعهم عنه؛ وهم أحقّ به من جهة اللّحمة والعِتْرة؛ ولم يكن الأسديُّ يتصوّر النّصّ ولا يعتقده، ولا يخطر بباله، لأنّه لو كان هذا في نفسه، لقال له: لِمَ دَفَعك النّاس عن هذا المقام، وقد نصّ عليك رسول الله‌ﷺ؟ ولم يقُل له هذا، وإنّما قال كلاماً عامّاً لبني هاشم كافّة: كيف دفعكم قومُكم عن هذا وأنتم أحقّ به! أي باعتبار الهاشميّة والقربَى. فأجابه بجوابٍ أعاد قبله المعنى الذي تعلّق به الأسديّ بعينه؛ تمهيداً للجواب، فقال: إنّما فعلوا ذلك مع أنّا أقربُ إلى رسول الله‌ﷺ من غيرنا لأنّهم استأثروا علينا، ولو قال له: أنا المنصوص عليّ، والمخطوب باسمي في حياة رسول الله‌ﷺ، لما كان قد أجابه، لأنّه ما سأله: هل أنت منصوص عليك أم لا؟ ولا هل نصّ رسول الله‌ﷺ بالخلافة على أحد أم لا؟ وإنّما قال: لِمَ دَفَعكم قومُكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم؟ فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه أيضاً، فلو أخذ يصرّح له بالنصّ، ويعرّفه تفاصيل باطن الأمر لنَفَر عنه، واتّهمه ولم يقبل قوله، ولم ينجذب إلى تصديقه؛ فكان أولى الأمور في حكم السياسة وتدبير الناس؛ أن يجيب بما لا

---

(١) تقرّف الجرح: طلعت فوقه قشرة، أي شارف البرء.

نُفْرة منه، ولا مطعن عليه فيه، انتهى ما أورده في الشرح من كلام النقيب رحمه الله[1].

قلت: ويدلّ على صحّة ما ذكره النقيب رحمه الله في الجواب وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام عرف من قصد الأسدي أنّ مراده: ما بال قومكم دفعوكم؟ وهنا دليل ظاهر قوي على أنّكم أحق، وهو قربكم من الرسول؟ قد كان بلغه احتجاج قريش على الأنصار بالقربى، فقال: كيف دفعوكم وحجّتهم كاملة فيكم عليهم؟

فيدلّ على ذلك قوله عليه السلام: «انها ـ أي القصة ـ كانت أثرة» ـ أي استبداد بالعقد ـ، من غير نظر إلى دليل ولا مراعاة لاحتجاج محتجّ ولكنها مغالبة ومصالتة ومناهبة، وكان الحاضرون للعقد بين شحيح عليه فابتزّه، وسخيّ عنه فتركه لذلك. لا لظهور دليل مع من صار إليه حتى يقال: هذا الدليل في غيره أظهر فيتبع النصفة.

و هذا الكلام أظهر دلالة على أنّه لم يكن ثَمّ اختيار عن دليل ولا تراود وترجيح بين المستأهلين على ما تدّعيه المعتزلة، وإنّما كانت البيعة فلتة كما اعترف به عمر، والله أعلم.

واعلم أنّ غرض النقيب رحمه الله من هذا الكلام استدراج ابن أبي الحديد وأشباهه من منكري النص إلى الاقرار به؛ فإنّهم أنكروه استبعاداً منهم لثبوته مع مخالفة الصحابة له فأراد أن يقرّب إلى أذهانهم ما استبعدوه.

وقد أورد عنه ابن أبي الحديد كلاماً في هذا الباب عند ذكره أحوال عمر وذكر أخباراً كثيرة تدلّ على النص على أمير المؤمنين اعترف عمر بها وبدلالتها، فقال ابن أبي الحديد: سألتُ النقيب أبا جعفر يحيى بن محمّد بن أبي زيد ـ، وقد قرأت عليه هذه الأخبار ـ فقلت له: ما أراها إلّا تكاد تكون دالّةً على النصّ، ولكنّي أستبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله على شخص بعينه، كما استبعدنا من الصحابة على ردّ نصّه على الكعبة وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدّين، فقال لي رحمه الله: أبيتَ إلّا ميلاً إلى المعتزلة! ثم قال: إنّ القوم لم يكونوا يذهبون في الخلافة إلى أنّها من معالم الدين، وأنّها جارية مجرى العبادات الشرعية، كالصلاة والصوم، ولكنّهم كانوا يُجرونها مجرى الأُمور الدنيويّة، ويذهبون بها مذهب تأمير[2] الأمراء وتدبير الحروب وسياسة الرعيّة، وماكانوا يبالون في

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ٢٤٨ ـ ٢٥١. (٢) في ط: ويذهبون لهذا مثل تأمير.

أمثال هذا من مخالفة نصوصه ﷺ إذا رأوا المصلحة في غيرها؛ ألا تراه كيف نصّ على إخراج أبي بكر وعمر في جيش أُسامة، ولم يخرُجا لمّا رأيا أنّ في مقامهما مصلحةً للدولة وللملّة، وحفظاً للبيضة، ودفعاً للفتنة، وقد كانَ رسولُ الله ﷺ يخالَف وهو حيّ في أمثال ذلك فلا ينكره، ولا يرى به بأساً. ألستَ تعلم أنّه نزَل في غزاة بدرٍ منزَلًا على أن يحارب قريشاً فيه، فخالفته الأنصار وقالت له: ليس الرّأيُ في نزولك هذا المنزَل فاتركه، وانزل في منزَل كذا، فرجع إلى آرائهم! وهو الذي قال للأنصار عام قَدِم إلى المدينة: «لا تُؤَبِّروا النخل»، فعملوا على قوله، فحالت نخلهم في تلك السنة ولم تُثْمِر حتى قال لهم: «أنتم أعرف بأمر دنياكم وأنا أعرف بأمر دينِكم»، وهو الّذي أخذ الفِدَاء من أسارى بدْر، فخالفه عمر، فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر وخلَص الأسرى ورجعوا إلى مكّة، وهو الذي أراد أن يصالح الأحزاب على ثلُث تَمْر المدينة ليرجعوا عنه، فأتى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فخالفاه، فرجع إلى قولهما، وقد كان قال لأبي هريرة: اخرُج فناد في الناس: «من قال لا إلٰه إلّا الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنّة»، فخرج أبو هريرة فأخبر عمر بذلك فدفعه في صدره، حتى وقع على الأرض، فقال: لا تقلْها، فإنّك إنْ تقلْها يتّكلوا عليها، ويدَعُوا العمل، فأخبر أبو هريرة رسول الله ﷺ بذلك، فقال: «لا تقلها وخلّهم يعملون»، فرجع إلى قول عمر!

وقد أطبقت الصحابة إطباقاً واحداً على ترك كثير من النّصوص لمّا رأوا المصلحة في ذلك، كإسقاطهم سهم ذوي القربى وإسقاط سهم المؤلّفة قلوبهم، وهذان الأمران أدخلُ في باب الدّين منهما في باب الدنيا، وقد عملوا بآرائهم أموراً لم يكن لها ذكرٌ في الكتاب والسنّة، كحدّ الخمر فإنّهم عملوه اجتهاداً، ولم يحدّ رسول الله ﷺ شارِبي الخمر، وقد شربها الجمّ الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم، ولقد كان أوصاهم في مرضه أن أخرِجوا نصارى نجْران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم، حتى مضى صدرٌ من خلافة عمر، وعملوا في أيام أبي بكر برأيهم في ذلك باستنصلاحهم، وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة، وحوّلوا المقام بمكّة، وعمِلوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة، ولم يقِفُوا مع موارد النصوص، حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعدُ، فرجّح كثير منهم القياس على

النّصّ، حتى استحالت الشريعة، وصار أصحاب القياس أصحابَ شريعة جديدة.

قال النقيب ﷺ: وأكثر ما يعملون بآرائهم، فيما يجري مَجْرى الولاياتِ والتّأمير والتّدبير وتقرير قواعد الدولة، وما كانوا يقفون مع نصوص الرسول ﷺ وتدبيراته اذا رأوا المصلحة في خلافها، كأنّهم كانوا يقيّدون نصوصه المطلقة بقيْد غير مذكور لفظاً، وكأنّهم كانوا يفهمونه من قرائن أحواله، وتقدير ذلك القيد: «افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحة».

قال: وأمّا مخالفتهم له فيما هو محض الشّرع والدّين، وليس بمتعلّق بأُمور الدنيا وتدبيراتها، فإنّه يقلُّ جدّاً، نحو أن يقول: «الوضوء شرط في الصلاة»، فيجمعوا على ردّ ذلك ويجيزوا الصلاة من غير وضوء، أو يقول: «صوم شهر رمضان واجب»، فيطِبقوا على مخالفة ذلك ويجعلوا شوّالاً عَوضاً عنه، فإنّه بعيد، إذ لا غرض لهم فيه، ولا يقدِرون على إظهار مصلحة عثروا عليها خَفِيَتْ عنه ﷺ. والقوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم أنّ العرب لا تطيع عليّاً ﷺ، فبعضها للحسَد، وبعضها للوِتْر والثأر، وبعضها لاستحداثهم سنَّه، وبعضها لاستطالته عليهم ورفعه عنهم، وبعضها كراهة اجتماع النبوّة والخلافة في بيت واحدٍ، وبعضها للخوف من شدّة وطأته وشدّته في دين الله، وبعضها خوفاً لرجاء تداوُلِ قبائل العرب الخلافة إذا لم يقتصَر بها على بيت مخصوص عليه، فيكون رجاء كلّ حيّ لوصولهم إليها ثابتاً مستمرّاً، وبعضها ببغضه، لبغضهم لرسول الله ﷺ ـ وهم المنافقون من النّاس، ومَنْ في قلبه زيغ وشك[1] من أمر النبوّة ـ فأصفَق الكلّ إصفاقاً واحداً على صرْفِ الأمر عنه، واحتج رؤساؤهم: بأنّا[2] خفنا الفتنة، وعلمنا أنّ العربَ لا تطيعه ولا تتركه، وتأوّلوا عند أنفسهم النصّ، ولا ينكر النصّ، وقالوا: إنّه لنص[3]، ولكنّ الحاضر يرَى ما لا يرى الغائب، والنصوص[4] قد تُترك لأجل المصلحة الكليّة، وأعانهم عَلَى ذلك مسارعةُ الأنصار إلى ادّعائهم الأمرَ، وإخراجهم سعد بن عُبادة من بيته وهو مريض، لينصّبوه خليفة ـ فيما زعموا ـ واختلط الناس، وكثر الخبْط، وكادت الفتنة أن تشتعِل[5] نارُها، فوثب

(١) لم ترد «وشك» في ط.

(٢) في ط: عنه لغيره وقال رؤساؤهم انّا.

(٣) في ط: انّه النص.

(٤) في ط : والغائب.

(٥) في ص: تضطرم.

رؤساء المهاجرين، فبايعوا أبا بكر، وكانت فَلْتة ـ كما قال قائلهم ـ وزعموا أنّهم أطفئوا بها نائرة الأنصار، فمن سكت من المسلمين، وأغضى ولم يتعرّضهم، فقد كفاهم أمرَ نفسه، ومن قال سرّاً أو جهراً: إنّ فلاناً قد كان رسول الله ﷺ ذكَره، أو نصّ عليه أو أشار إليه، أسكتوه في الجواب؛ بأنّا بادرنا إلى عَقْد البيعة مخافة الفتنة، واعتذروا إليه[1] ببعض ما تقدّم، أمّا أنّه حدث السنّ أو تبغضه العرب، لأنّه وترها وسفك دماءها، أو لأنّه صاحب زَهْوٍ وتيهٍ، أو كيف تجتمع النبوّة والخلافة في مغرِس واحد! بل قد قالوا في العذر ماهو أقوى من هذا وأوكد، قالوا: أبو بكر أقوَى على هذا الأمر منه، لاسيما وعمر يعضُده ويساعده، والعرب تحبّ أبا بكر ويعجبها لينُه ورفقه، وهو شيخ مجرِّب للأُمور لا يحسده أحدٌ، ولا يحقد عليه أحد، ولا يبغِضه أحد، وليس بذي شرف في النّسب فيشمَخ على النّاس بشرفه، ولا بذي قُربى من الرّسول ﷺ فيدِلّ بقربه، ودعْ ذا كلّه، فإنّه فضل مستغنىً عنه. قالوا: لو نصبنا عليّاً عليه السلام، ارتد النّاس عن الإسلام وعادت الجاهليّة كما كانت، فأيّما أصلح في الدين؟ الوقوف مع النصّ المفضِي إلى ارتداد الخلق ورجوعهم إلى الأصنام والجاهليّة أم العمل بمقتضى الأصلح واستبقاء الإسلام واستدامة العمل بالدّين، وإن كان فيه مخالفة النصّ!

قال عليه السلام: وسكت الناس عن الإنكار، فإنّهم كانوا متفرّقين.

فمنهم: من هو مبغض شانئ لعليّ عليه السلام، فالذي تمّ من صرف الأمر عنه هو قرّة عينه، وبَرْد فؤاده.

ومنهم: ذو الدّين وصحّة اليقين، إلّا أنّه لمّا رأى كُبَراء الصحابة قد اتّفقوا على صرف الأمر عنه، ظنّ أنّهم إنّما فعلوا ذلك لنصٍّ سمعوه من رسول الله ﷺ ينسخ ما قد كان سمِعه من النصّ عَلى أمير المؤمنين عليه السلام، لا سيّما ما رواه أبو بكر من قول النبيّ ﷺ: «الأئمة من قريش»، فإنّ كثيراً من الناس توهّموا أنّه ناسخٌ للنصّ الخاصّ، وأنّ معنى الخبر أنّكم مباحون في نصْب إمامٍ من قريش، من أيّ بطون قريش كان، فإنّه يكون إماماً.

(١) في ط: واعتذروا عنده.

وأكّد أيضاً في نفوسهم رفضَ النصّ الخاصّ ما سمعوه من قول رسول الله ﷺ: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»، وقوله ﷺ: «سألت الله ألّا يجمع أُمّتي على خطأ[1]، فأعطانيها».

فأحسَنوا الظنّ بعاقدي البيعة. وقال: هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله ﷺ من كلّ أحدٍ، فأمسكوا وكفُّوا عن الإنكار.

ومنهم: فرقة أُخرىٰ ـ وهم الأكثرون ـ أعراب وجُفاة، وطَغام أتباعُ كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، فهؤلاء يقلّدون ولا يسألون ولا ينكرون، ولا يبحثون، وهم مع أمرائهم وولاتهم، لو أسقطوا عنهم الصلاة الواجبة لتركوها، فلذلك أمحِق النصّ، وخفي ودَرَس، وقويَت كلمة العاقدين لبيعة أبي بكر، وقوّاها زيادة على ذلك اشتغالُ عليّ وبني هاشم برسول الله ﷺ، وإغلاقُ بابهم عليهم، وتخليتهم الناسَ يعملون ما شاءوا وأحبّوا، من غير مشاركة لهم فيما هم فيه، لكنّهم أرادوا استدراكَ ذلك بعدما فات، وهيهات الفائت لا رجعة له!

وأراد عليّ عليه السلام بعد ذلك نقْضَ البيعة، فلم يتمّ له ذلك، وكانت العرب لا ترى الغَدْر، ولا تنقض البيعة صواباً كانت أو خطأ، وقد قالت له الأنصار وغيرها: أيّها الرجل، لو دعوتَنا إلى نفسك قبل البَيْعة لما عدَلنا بك أحداً، ولكنّا قد بايعنا، فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها!

قال النقيب رحمه الله: وممّا جرّأ عمر على بيعة أبي بكر والعدول عن عليّ ـ مع ما كان سمعه[2] من الرسول ﷺ في أمره ـ أنّه أنكر مراراً عَلَى الرسول ﷺ أموراً اعتمدها فلم ينكِر عليه رسول الله ﷺ إنكارَه، بل رجع في كثير منها إليه، وأشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته، فأطمعه ذلك في الإقدام عَلَى اعتماد كثير من الأُمور التي كان يرى فيها المصلحة، ممّا هي خلاف النصّ، وذلك نحو إنكاره عليه في الصّلاة على عبدالله بن أُبيّ المنافق، وإنكاره فداء أسارى بدْر، وإنكاره عليه تبرّجَ نسائه للناس، وإنكاره قضيّة الحديبيَة، وإنكاره أمانَ العبّاس لأبي سفيان ابن حرب، وإنكاره واقعة أبي حُذَيفة بن عتبة،

---

(١) في ط: على ضلال.

(٢) في ط: يسمعه.

وإنكاره أمره بالنداء: «من قال لا إله إلّا الله دخل الجنّة»، وإنكاره أمرَه بذبح النّواضح، وإنكاره عَلى النساء بحضرة رسول الله ﷺ هيبتهنّ له دون رسول الله ﷺ... إلى غير ذلك من أُمور كثيرة تشتمِلُ عليها كتبُ الحديث، ولو لم يكن إلّا إنكاره قول رسول الله ﷺ في مرضه: «ائتوني بدَواة وكتِفٍ أكتبْ لكم ما لا تضلّون بعدي»، وقوله ما قال، وسكوت رسول الله ﷺ عنه، وأعجب الأشياء أنّه قال ذلك اليوم: حسبنا كتاب الله، فافترق الحاضرون من المسلمين في الدّار، فبعضهم يقول: القول ما قال رسول الله ﷺ، وبعضهم يقول: القول ما قال عمر، فقال رسول الله وقد كثر اللّغط، وعلت الأصوات: «قوموا عنّي فما ينبغي لنبيٍّ أن يكون عنده هذا التنازع»! فهل بقيَ للنبوّة مزيّة أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القولَيْن، وميّل المسلمون بينهما، فرجّح قوم هذا، وقوم هذا، فليس ذلك دالّاً على أن القوم سوّوا بينه وبين عمر، وجعلوا القولين مسألة خلاف، ذهب كلّ فريق إلى نصرة واحد منهما، كما يختلف اثنان من عُرْض المسلمين في بعض الأحكام، فينصر قوم هذا وينصر ذاك آخرون، فمن بلغت قوّته وهمّته إلى هذا، كيف ينكر منه أنّه يبايع أبا بكر لمصلحة رآها، ويعدل عن النصّ! ومَن الذي كان ينكر عليه ذلك، وهو في القول الذي قاله للرسول ﷺ في وجهه غير خائف من الأنصار، ولا ينكِر عليه أحدٌ، لا رسول الله ﷺ ولا غيره، وهو أشدّ من مخالفة النصّ في الخلافة وأفظع وأشنع.

قال النقيب ﵀: على أنّ الرجل ما أهمل أمر نفسه، بل أعدّ أعذاراً وأجوبة، وذلك لأنّه قال لقومٍ عرّضوا له بحديث النصّ: إنّ رسول الله ﷺ رجع عن ذلك بإقامته أبا بكر في الصلاة مقامه، وأوهمهم أنّ ذلك جارٍ مجرى النصّ عليه بالخلافة، وقال يوم السقيفة: أيّكم يطيب نفساً أن يتقدّم قدَمَيْن قدّمهما رسول الله في الصلاة! ثم أكّد ذلك بأن قال لأبي بكر، وقد عرض عليه البيعة: أنت صاحب رسول الله في المواطن كلّها، شدّتها ورخائها، رضيَك لديننا، أفلا نرضاك لدنيانا!

ثم عاب عليّاً بخِطبته بنت أبي جهل، فأوهم أنّ رسول الله ﷺ كرهه لذلك ووجَد عليه، وأرضاه عمرو بن العاص، فروى حديثاً افتعله واختلقه على رسول الله، قال: سمعته يقول: إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنّما وليِيَ الله وصالح المؤمنين، فجعلوا ذلك كالناسخ

لقوله ﷺ: «من كنت مولاه فهذا مولاه».

وقلت للنقيب ﷺ: أيصح النّسخ في مثل هذا؟ أليس هذا نسخاً للشيء قبل تقضّي وقت فعله؟ فقال: سبحان الله! مِن أينَ تعرف العرب هذا؟ وأنّى لها أن تتصوّره فضلاً عن أن تحكم بعدم جوازه! فهل يفهم حُذّاق الأصوليين هذه المسألة، فضلاً عن حَمْقى العرب! هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة، ويُستمالون بأضعف[1] سبب، وتُبنَى الأمور معهم على ظواهر النصوص وأوائل الأدلّة، وهم أهل جهل[2] وتقليد، لا أصحاب تفصِيل ونظر!

قال ﷺ: ثم أكّد حسنَ ظنّ الناس بهم أن ظلفوا[3] أنفسهم عن الأموال، وزهِدوا في متاع الدنيا وزخرفها، وسلكوا مسلك الرّفض لزينتها، والرغبة عنها والقناعة بالطّفيف النّزْر منها، وأكلوا الخشِن، ولبسوا الكَرابيس، ولمّا ألقت إليهم الدنيا أفلاذ كبدها، وفّروا الأموال على الناس، وقسّموها بينهم، ولم يتدنّسوا منها بقليل ولا كثير، فمالت إليهم القلوب، وأحبّتهم النفوس، وحسُنت فيهم الظنون، وقال من كان في نفسه شبهة منهم، أو وقفه في أمرهم: لو كان هؤلاء قد خالفوا النصّ لهوى أنفسهم لكانوا أهلَ الدّنيا، ولظهر عليهم الميل إليها، والرغبة فيها، والاستئثار بها، وكيف يَجمعون على أنفسهم بين مخالفة[4] النصّ، وتركَ لذّات الدنيا ومآربها، فيخسروا الدنيا والآخرة! وهذا لا يفعله عاقل، والقوم عقلاء ذوو ألباب وآراء صحيحة؛ فلم يبق عند أحدٍ شكٌّ في أمرهم ولا ارتياب لفعلهم، وثبتت العقائد على ولايتهم، وتصويب آرائهم[5]، ونسوا لذّة الرياسة، وانّ أصحاب الهِمم العالية لا يلتفون إلى المأكل والمشرب والمنكَح، وإنّما يريدون الرياسة ونفوذ الأمر، كما قال الشاعر:

وقد رغَبتْ عن لَذّة المال أنفسٌ ... وما رغبت عن لذّة النّهي والأمرِ

قال ﷺ: والفرق بين الرجلين وبين الثالث، ما أصِيب به الثالث، وقُتل تلك القِتْلة، وخلَعه النّاس وحَصَروه، وضيّقوا عليه بعد أن توالَى إنكارهم أفعَاله، وجبّهوه في وجهه

---

(١) في ص: «بأدنى».
(٢) في ط: وهم أصحاب جهل.
(٣) في ط: أطلقوا.
(٤) لم ترد: «بين» في ط.
(٥) في ط: أفعالهم.

وفسّقوه، وذلك لأنّه استأثر هو وأهله بالأموال، وانغمسوا فيها واستبدُّوا بها، فكانت طريقته وطريقتهم مخالفةً لطريقة[1] الأوّلين، فلم تصبر العرب على ذلك، ولو كان عثمان سلك طريق عمر في الزهد، وجمع الناس، وردَع الأمراء والولاة عن الأموال، وتجنّب استعمال أهل بيته، ووفّر أعراض الدّنيا وملاذّها وشهواتها على الناس، زاهداً فيها، تاركاً لها، معرِضاً عنها، لما ضرّه شيء قطّ، ولا أنكر عليه أحد قطّ، ولو حوّل الصلاة من الكعبة إلى[2] بيت المقدس، بل لو أسقط عن الناس إحدى الصلوات الخمس، واقتنع منهم بأربع، وذلك لأنّ همم الناس مصروفة إلى الدنيا والأموال، فإذا وجدوها سكتوا، وإذا فقدوها هاجوا واضطربوا، ألست ترى رسول الله ﷺ كيفَ قسّم غنائم هوازن على المنافقين، وعلى أعدائه الذين يتمنّوْن قتله وموتَه، وزوال دولته، فلمّا أعطاهم أحبُّوه، إمّا كلّهم أو أكثرهم، ومَنْ لم يحبّه منهم بقلبه جامله وداراه، وكفّ عن إظهار عداوته، والإجلاب عليه ولو أنّ عليّاً صانع أصحابه بالمال، وأعطاهَ الوجوه والرؤساء، لكان أمره إلى الانتظام والاطّراد أقربَ، ولكنّه رفض جانبَ التدبير الدنيوي، وآثر لزومَ الدّين، والتمسّك بأحكام الشريعة، والمُلْك أمر آخر غير الدين، فاضطرب عليه أصحابه، وهرب كثير منهم إلى عداوته.

وقد ذكرت في هذا الفصل خلاصة ما حفظته عن النقيب أبي جعفر، ولم يكن إماميَّ المذهب، ولا كان يبرأ من السلَف، ولا يرتضي قول المسرِفين من الشيعة، ولكنّه كلام أجراه على لسانه البحثُ والجدل بيني وبينه، على أن العلويّ لو كان كرّاميّاً، لابدّ أن يكون عنده نوعٌ من تعصّب وميل على الصحابة وإن قلَّ، انتهى[3].

---

(١) في ط: لطريق. (٢) في ص: ولو حوّل القبلة إلى.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٨٢ ـ ٩٠.

ومن خطبة له عليه السلام:

الحَمْدُ لِلّهِ خالِقِ الْعِبادِ، وَساطِحِ المِهادِ[١]، ومُسِيلِ[٢] الْوِهادِ[٣]، ومُخْصِبِ[٤] النِّجادِ[٥]، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ[٦]، ولا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضاءٌ، هُوَ الأَوَّلُ لم[٧] يَزَلْ، والْباقِي بِلاَ أَجَلٍ، خَرَّتْ[٨] لَهُ الجِباهُ[٩]، وَوحَّدَتْهُ الشِّفاهُ[١٠]، حَدَّ[١١] الأشْياءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لها إبانَةً لهُ[١٢] مِنْ شَبَهِها، لا تَقْدِرُهُ الأوْهامُ بالحُدُودِ والحَرَكاتِ، ولا بالجَوَارِحِ والأَدَواتِ، لا يُقالُ لهُ: «متى» ولا يُضْرَبُ لهُ أَمَدٌ بـ«حتّى»[١٣]، الظاهِرُ لا يُقالُ: «ممّا»[١٤]؟، والْباطِنُ لا يُقالُ: «فِيما»[١٥]؟ لا شَبَحٌ[١٦] فَيَتَقَضَّى[١٧] ولا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى[١٨]، لمْ يَقْرُبْ مِنَ الأشْياء بالْتِصاقٍ، ولمْ

---

(١) في هـ. ب: الأرض، وفي هـ. ص: هو هنا الأرض، وأصله الفراش، وقد سمّى الله تعالى الأرض مهاداً وفراشاً وبساطاً، والسطح: البسيط.

(٢) في هـ. ب، وفي نسخة: ومسبل.

(٣) في هـ. ب و ص: جمع وهدة، وهو المكان المطمئن.

(٤) في هـ. ب: أخضب: أعشب.

(٥) في هـ. ب: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٦) في هـ. ص: أي أنّه واجب الوجود لذاته، ويتفرّع عليه ما بعده.

(٧) في ط: ولم. (٨) في هـ. ب: سقطت.

(٩) في هـ. ب: جمع جبهة.

(١٠) في هـ. ب: أضاف الخرور إلى الجباه والتوحيد إلى الشفاه.

(١١) في هـ. ص: أي جعل لها حُدوداً وغايات.

(١٢) لم ترد «له» في أ وفي هـ. أ: لها له، وفي هـ. د: لها ـ ف ر.

(١٣) في هـ. ص: لأنّ «حتى» للزمان ويتضمن السؤال عن الابتداء.

(١٤) في ط: ممّ.

(١٥) في ط: «فيم»، وفي هـ. ص: أي لا يقال «مِمَّ ظهر؟» كما هو شأن كلّ ظاهر غيره، ولا يقال «فيمَ بطن؟» كما هو شأن بطون الأجسام. (١٦) في هـ. ب: لا شخص.

(١٧) في هـ. ب، وفي نسخة: فيتقضى ـ بالصاد وبالضاد ـ، وفي هـ. ص: من شأن الجسم أن ينقضي.

(١٨) في هـ. ص: من شأن المحجوب بغيره أن يحويه حاجبه.

يَبْعُدْ عنها بافْتِرَاقٍ[١]، لا يَخْفَى عليهِ منْ عِبادِهِ شَخُوصُ[٢] لَحظةٍ[٣]، ولا كُرُورُ[٤] لَفْظَةٍ، ولا آزْدِلافُ[٥] رَبْوَةٍ[٦]، ولا انْبساطُ خُطْوَةٍ في لَيْلٍ دَاجٍ[٧]، ولا غَسَقٍ ساجٍ، يَتَفَيَّأُ[٨] عـليهِ[٩] الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وتَعْقبُهُ[١٠] الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ، في الكُرُورِ والأُفُولِ[١١]، وتَقَلبِ[١٢] الأَزْمِنَةِ والدُّهورِ منْ إقْبالِ لَيل مُقْبِلٍ، وإدْبارَ نَهارٍ مُدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ غايةٍ ومُدَّةٍ[١٣]، وكُلِّ إحْصاءٍ وعِدَّةٍ.

تَعالى عَمَّا يَنْحَلُهُ[١٤] الْمحَدِّدُونَ[١٥] منْ صِفاتِ الأَقْدَارِ[١٦]، ونِـهاياتِ الأَقْـطارِ[١٧]، وتَأثُّلِ[١٨] الْمَساكِنِ، وتَمكنِ الأماكِنِ، فالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وإلى غيْرِهِ مَنْسُوبٌ.

لمْ يَخْلُقِ الأشْياءَ منْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ ولا من[١٩] أَوَائل[٢٠] أبَدِيَّة، بَلْ خَلَقَ ما خَلَقَ فأَقامَ حَدَّهُ، وصَوَّرَ ماصَوَّرَ فأَحْسَنَ صُورَتَهُ[٢١].

لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ آمْتِناعٌ[٢٢]، ولا لَهُ بِطاعَةِ شَيْءٍ آنْتِفاعٌ، عِلْمُهُ بالأَمْوَاتِ المَاضِينَ كَعِلْمِهِ

---

(١) في ب ـ ظاهراً ـ: بافراق.

(٢) في هـ. ب: نهايتها.

(٣) أي امتداد بصرٍ.

(٤) في ص: وكرور.

(٥) تقربها من النظر. هـ. ب: قرب.

(٦) في هـ. د: ورتوه ـ ك. ر.

(٧) الداجي: المظلم.

(٨) في هـ. ب: يتقلّب، وفي ص: يتقلّب فيفيء.

(٩) في هـ. ص: أي على الغسق.

(١٠) هـ. ص: أي تتعقّبه، فحذف حرف المضارعة.

(١١) في ط د: الأُفول والكرور، وفي هـ. د: الكرور والأُفول وتقليب ـ ف م ن ل ش.

(١٢) في أ و ب و ط: وتقليب.

(١٣) «قبل كل غاية» متعلق بـ«يخفى» أي لا يخفى عليه شيء من ذلك قبل كل غاية أي يعلمه قبل.

(١٤) في هـ. ب: أي يدعونه من النحلة.

(١٥) في ص زيادة : له.

(١٦) في هـ. ص: جمع قدر، أي تعالى أن يوصف بقدر.

(١٧) في هـ. ب: الجوانب، جمع قطر، وفي هـ. ص: جمع قطر، وهو الجانب.

(١٨) التأثّل: التأصل، وفي هـ. ب: تحكم، هـ. ب: تأثل المال: إذا عقده للانتفاع، وفي هـ.ص: أي اتخاذ، من الشرح.

(١٩) في هـ. د: لم ترد «من» في ب.

(٢٠) في هـ. ب: أوائل، إشارة الى أصحاب الهيولى.

(٢١) لم تكن موادّ متساوية في القدم والأزلية، فجعلها لتصاوير مختلفة، بل خلق المادة وأقام لها حدوداً وصوّر منها المخلوقات.

(٢٢) أي لا يمتنع عليه شيء فهي كلّاً تحت قدرته.

بالأَحْياء الْباقِينَ، وعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّماوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الأَرْضين[١] السُّفْلَى.

مِنْها:

أيُّها اَلمَخْلُوقُ اَلسَّوِيُّ[٢]، واَلْمُنْشأُ[٣] اَلمَرْعيُّ[٤] في ظُلُماتِ الأَرْحامِ، ومُضاعَفاتِ الأَسْتارِ، بُدِئْتَ منْ سُلاَلَةٍ[٥] مِنْ طِين، وَوُضِعْتَ في قَرَارٍ مَكِينٍ[٦] إلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ[٧] فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً[٨]، لا تُحِيرُ[٩] دُعاءً، ولا تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ منْ مَقَرِّكَ إلى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْها[١٠]، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِها، فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ[١١] الغَذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ، وَعَرَّفَكَ[١٢] عِنْدَ الحَاجَةِ مَوَاضِعَ[١٣] طَلَبِكَ وإرَادَتِكَ، هَيْهَاتَ إنَّ مَنْ يَعْجِزُ عنْ صِفاتِ ذِي الهَيْئَةِ والأَدَوَاتِ فَهُوَ عنْ صِفاتِ خالِقِهِ أعْجَزُ، ومِنْ تَناوُلِهِ بِحُدُودِ اَلمَخْلُوقِينَ أبْعَدُ.

مباحث كلاميّة:

قال في شرح ابن أبي الحديد: واعلم أنّه عليه السلام أورَدَ في هذه الخطبة ضروباً من علم التوحيد، وكلُّها مبنيّة على ثلاثة أصول:

الأصل الأوّل: أنّه تعالى واجب الوجود لذاته، ويتفرّع على هذا الأصل فروع: هي المذكورة بينه وبين الأصل الثاني.

الأصل الثاني: إنّه تعالى عالم لذاته، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «لا يخفى عليه من عباده».

---

(١) في هـ. د: الأرض ـ ب.

(٢) في هـ. ص: المستوي الخلقة غير ناقصها.

(٣) في هـ. ب: المخلوق.

(٤) في هـ. ص: المحفوظ الملحوظ.

(٥) في هـ. ب: أي من خلاصة، لأنّها سلّت من بين الكدر، ويحتمل أن يريد أصل الإنسان وهو آدم عليه السلام، وأن يريد كل واحدٍ من نسله؛ لأنّ النطفة سلّت من الغذاء والغذاء من الطين والماء، والله أعلم.

(٦) في هـ. ص: هو الرحم.

(٧) في هـ. ص: تتحرّك.

(٨) في ص: حنيناً.

(٩) في هـ. ب: يقال: كلّمته فما أحار إليَّ جواباً، أي: ما رجع إليَّ جواباً، وفي هـ. ص: أي: لا ترجع، أحار يحير: أي أجاب.

(١٠) في هـ. ب: تحضرها.

(١١) في هـ. ب: من الجرّ، وهو مصّ الطفل ثدي أمّه.

(١٢) في ب: وحرّك، وفي هـ. ب: عرّفك.

(١٣) في ط: مراضع.

الأصل الثالث: أنّه تعالى قادر لذاته، فكان قادراً على كلّ الممكنات، وإليه الإشارة بقوله: «لم يخلق الأشياء من أُصول أزليّة، ولا من أوائل أبديّة، بل خلق ما خلق فأقام حَدّه، وصوّر ما صوّر فأحسن صورته»، والردّ في هذا على أصحاب الهيولَى والطينة التي يزعمون قِدَمها، انتهى[1].

قلت: ولعمري إنّ هذا الكلام كما هو ردّ على أهل الهيولى والطينة لهو ردّ على المعتزلة الذاهبين إلى أنّ ذوات العالم ثابتة في الأزل وأنّ تأثير الباري سبحانه إنّما هو في إيجادها لا في تذويتها؛ فإنّه لا فرق بين قولهم وقول أهل الهيولى والطينة إلّا في العبارة كتعبيرهم «بالذات» و «الثبوت» و «الأزل»، بدل «الطينة» و «الوجود» و «العدم» ومجرّد الاصطلاح لا يقتضي اختلاف المفهومات الوضعية.

على أنّ إبن أبي الحديد قد ذكر فيما نقلناه عنه أنّ امتناع أصحاب أبي هاشم من وصفها بالقدم إنّما هو امتناع في اللفظ لا في المعنى، فانتبه لفساد هذا القول، والله أعلم.

ثم قال ابن أبي الحديد: واعلم أنّ هذا الفنّ هو الذي بانَ به أمير المؤمنين عليه السلام عن العرب في زمانه قاطبة واستحقّ به التقدّم والفَضْل عليهم أجمعين؛ وذلك لأنّ الخاصّة التي يتميّز بها الإنسان عن البهائم هي العقل والعلم، ألَا ترى أنّه يشاركه غيرُه من الحيوانات في اللّحْميّة والدمويّة والقوّة والقدرة، والحركة الكائنة على سبيل الإرادة والاختيار، فليس الامتياز إلّا بالقوّة الناطقة، أي العاقلة العالمة؛ فكلّما كان الإنسانُ أكثَر حظّاً منها، كانت إنسانيّتهُ أتمّ؛ ومعلوم أنّ هذا الرّجل انفرد بهذا الفنّ، وهو أشرف العلوم، لأنّ معلومَه أشرف المعلومات، ولم يُنْقَل عن أحدٍ من العرب غيره في هذا الفنّ حرف واحد، ولا كانت أذهانهم تَصِلُ إلى هذا، ولا يفهمونه فهو بهذا الفنّ منْفرد[2]، وبغيره من الفنون ـ وهي العلوم الشرعية ـ مشارك لهم، وراجحٌ عليهم؛ فكان أكملَ منهم، لأنّا قد بيّنا أنّ الأعلم أدخلُ في صورة الإنسانية؛ وهذا هو معنى الأفضلية، انتهى من الشرح[3].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٥٣ ـ ٢٥٦. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٥٧.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٥٧.

قوله عليه السلام: «لم يخلق الأشياء من أُصول أزليّة.. الى آخره»:

اعلم أنّ القاسم بن إبراهيم قد جوّد في مناظرته للملحد الكلام في إفساد قول من يجعل الأُصول أزليّة والفروع حادثة ووضّح أنّ حكم الأصول يجب أن يكون حكم الفروع، فكما قامت الدلالة على حدوث الفروع كانت تلك الدلالة قائمة على حدوث الأُصول.

قال الملحد في أثناء المناظرة: إن صححت أنّ حكم الأُصول حكم الفروع تركت مذهبي؛ فإنّه قد عظمت عليّ الشبهة في هذا الموضع. فبيّن له القاسم ذلك بتقسيم وتمثيل وإفساد للفاسد وتصحيح للصحيح.

فلما بيّن له ذلك قال الملحد حينئذٍ: بارك الله فيك وفيمن ولدك، فقد أوضحت ما كان ملتبساً عليّ ، انتهى .

فلا ينبغي الاعراض عنه ممّن ينظر في هذا الفن فإنّه أقرب مسلكاً وأوضح طريقاً في إثبات حدوث العالم، قال فيه: والدليل على أنّ الله عزّوجلّ ليس بعلّة ذلك، أنّ فعاله تعالى مختلفة الأحوال متنقلة الصفات، ولو كان هو العلّة لما زال شيء عن صفته، لأنّه ـ عزّ ذكره ـ قديم، والقديم لو كان علّة شيء لم يزل معلوله كما لم يزل في نفسه. وزوال الأشياء عن صفاتها تدلّ على أنّ البارئ ـ عزّوجلّ ـ ليس بعلّة ولا معلول، انتهى .

قوله عليه السلام: «هيهات أن من يعجز... إلى آخره»:

أي: بَعُد أن يحيط علماً بالخالق مَنْ عجز عن معرفة المخلوق! قال الشاعر:

رأيتُ الورى يدَّعون الهُدى ... وكم يدَّعي الحقَّ خلقٌ كثيرُ
وما في البرايا امرؤٌ عندَهُ ... من العلم بالحقّ إلّا اليسيرُ
خفيٌّ فما ناله ناظرٌ ... وما إن أشار إليه مشيرُ
ولا شيء أظهر من ذاته ... وكيف يرى الشّمس أعمى ضريرُ!

انتهى من الشرح[1].

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٠.

ومن كلام لهعليه السلام[١] لما اجتمع الناس إليه[٢]، وشكوا[٣] ما نقموه[٤] على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه[٥] لهم، فدخلعليه السلام على عثمان، فقال:

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدِ آسْتَسْفَرُونِي[٦] بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ؛ وَوَآللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ[٧]! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ[٨]، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ[٩] لَا تَعْرِفُهُ!

إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ؛ مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا[١٠] بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ؛ وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ آللهِ صَلَّى آللهُ عَلَيْهِ وَسلّم كَمَا صَحِبْنَا. وَمَا آبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا آبْنُ آلْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الحقِ[١١] مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ آللهِ صَلَّى آللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشِيجَةَ[١٢] رَحِمٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ[١٣] مَا لَمْ

---

(١) في ط زيادة: لعثمان بن عفّان، قالوا. (٢) في ط: إلى أمير المؤمنينعليه السلام.

(٣) في ط: وشكوا إليه.

(٤) في هـ. ص: نقمت على زيد، أنقم وأنا ناقِمٌ: إذا عبت عليه، وهذه اللفظة تجيء لازمة ومتعدّية ـ من الشرح.

(٥) في هـ. ب: الاستعتاب: طلب الرضا، وفي هـ. ص: أي: طلبوا منه ما يرضيهم، من الشرح.

(٦) في هـ. ب: أي جعلوني سفيراً، وفي هـ. ص: أي جعلوني سفيراً ووسيطاً بينك وبينهم، من الشرح.

(٧) في هـ. ب: ما أعلم ما أقول لك وأنت لا تعلم ذلك، وفي هـ. ب أيضاً: ليس هذا أقوال على أنّه يعلم من العلوم الدينية، بل يقول له قولاً ليّناً ويراقب جانبه.

(٨) في هـ. ص: تجهله، أي: من هذه الأحداث خاصّة، وهذا حقّ؛ لأنّ عليّاًعليه السلام لم يكن يعلم منها ما يجهله عثمان، بل كلّ أحد من الصبيان، فضلاً عن العلماء المتميّزين يعلمون وجهي الصواب والخطأ فيها، انتهى من الشرح. (٩) في هـ. د: شيء ـ ب.

(١٠) في هـ. ب: خلونا مع النبي بالمدينة. (١١) في ط: الخير، وفي هـ. د: الخير ـ ح ل.

(١٢) هـ. ب: وشيجة: قرابة، هـ. د: وشيجة قرابة منهما ـ هامش ش.

(١٣) في هـ. ب: أي زوّجه رسول اللهصلى الله عليه وآله بنت خديجة، وفي هـ. ص: قال ابن أبي الحديد: هذا

←

يَنَالَا[١]؛ فَاللهَ ٱللهَ فِي نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ وَٱللهِ مَا تُبَصَّرُ[٢] مِنْ عَمىً، وَلَا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ؛ وَإِنَّ الطُّرُقَ[٣] لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ.

فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ ٱللهِ عِنْدَ ٱللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ؛ هُدِيَ وَهَدَى[٤]، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً؛ وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ[٥] لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ ٱلْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ؛ وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ ٱللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ؛ فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً! وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ، وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ[٦] وَلَا عَاذِرٌ[٧]، فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ[٨]، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى؛ ثُمَّ يَرْتَبِطُ[٩] فِي قَعْرِهَا».

وَإِنِّي أَنْشُدُكَ ٱللهَ[١٠] أَنْ تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ المَقْتُولَ! فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا ٱلْقَتْلَ وَٱلْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ ٱلْفِتَنَ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ ٱلْحَقَّ مِنَ ٱلْبَاطِلِ؛ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ[١١] فِيهَا مَرْجاً. فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ[١٢] سَيِّقَةً[١٣] يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ[١٤] السِّنِّ، وَتَقَضِّي ٱلْعُمْرِ.

فقال له عثمان:

← موضع المثل: «نسرّ حسواً في ارتغاء» ومراده تفضيل نفسه عليهما؛ لأنّ العلّة التي فضّل عثمان باعتبارها محققة فيه وزيادة؛ لأنّ له مع المنافيّة الهاشميّة، فهو أقرب. والوشيجة: عروق الشجرة، انتهى.

(١) في ب: من لم ينالا، وفي هـ. ب: مالم ينالا ـ صح. من قرابة الرسول ﷺ.

(٢) في هـ. ب: ما تبصر من عمى، أي: أنت بصير به وأنت عليم لا حاجة لك إلى غيرك.

(٣) في ص: الطريق. (٤) في ب و ص: فهدى.

(٥) في هـ. د: لكثيرة ـ م، وفي الهامش لنيّرة. (٦) في هـ. ب، وفي نسخة: زيادة: تصير.

(٧) في هـ. ب: معذر.

(٨) في هـ. ب في رواية: في نار جهنّم. وفي ط: في نار جهنّم.

(٩) في ص: يرتبك، وفي هـ. ب: يرتبط يرتبك معاً، ويرتبك: أي ينشب.

(١٠) في هـ. ب: أي أقسمنك بالله. (١١) في هـ. ب: يخلطون.

(١٢) في هـ. ب: مروان بن الحكم.

(١٣) في هـ. ب: سائقاً، وفي هـ. ب: ما يساق من الدواب.

(١٤) في هـ. ص: بالضمّ الجليل.

كَلِّم النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ.

فقال عليه السلام:

مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ؛ وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ[١].

* * *

قال ابن أبي الحديد: وقد ذكر أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ في «التاريخ الكبير»[٢] هذا الكلام، فقال: إنّ نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تكاتبوا، فكتب بعضهم إلى بعض: أن اقدموا، فإنّ الجهاد بالمدينة لا بالروم؛ واستطال الناس على عثمان، ونالوا منه؛ وذلك في سنة أربع وثلاثين؛ ولم يكن أحدٌ من الصحابة يذبّ عنه ولا ينهى؛ إلّا نفرٌ، منهم زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعديّ، وكعب بن مالك، وحسّان بن ثابت؛ فاجتمع النّاس، فكلّموا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وسألوه أن يكلّم عثمان، فدخل عليه، وقال له: إنّ الناس ورائي[٣] الكلام إلى آخره بألفاظه، فقال عثمان: وقد علمت أنّك لتقولنّ[٤] ما قلت! أما والله لو كنتَ مكاني ما عنفّتُك، ولأعتبتُ عليك[٥]. ولم آت منكراً، إنّما وصلتُ رَحِماً، وسددتُ خَلّة، وآويت ضائعاً، وولّيت شبيهاً بمن كان عمر يولّيه؛ أُنشدك الله يا عليّ، ألَا تعلم[٦] أنّ المغيرة بن شعبة ليس هناك! قال: بلى، قال: أفلا تعلم أنّ عمر ولّاه! قال: بلى، قال: فلِمَ تلومني أنْ ولّيت ابنَ عامر في رحِمه وقرابته! فقال عليّ عليه السلام: إنّ عمرَ كان يطأ على صماخ مَنْ يولّيه، ثم يبلغ منه إن أنكر منه أمراً أفضى إلى العقوبة[٧]، وأنت فلا تفعل؛ ضعفت ورققت على أقربائك.

قال عثمان: هم أقرباؤك أيضاً، فقال عليّ: لعمري إن رحِمهم منّي لقريبة؛ ولكنّ الفضل في غيرهم[٨].

فقال عثمان: أفلا تعلم أنّ عمر ولّى معاوية! فقد ولّيته. قال عليّ: أنشُدك الله ألَا تعلم أنّ

---

(١) لم ترد «إليه» في ب.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٩٦، ٩٧، ط الحسينية.

(٣) في ط: ان الناس... وروى.

(٤) الطبري: «قد والله علمت ليقولن الذي قلت».

(٥) الطبري: «ما عنفّتك ولا أسلمتك».

(٦) الطبري: «هل تعلم».

(٧) في ط: أقصى العقوبة.

(٨) من الطبري.

معاوية كان أخوفَ لعمر من يَرْفأ غلامه له؟ قال: بلى، قال: فإنّ معاوية يقطع الأُمور دونك ويقول للناس: هذا بأمر عثمان، وأنت تعلم ذلك فلا تغيّر عليه!

ثم قام عليّ، فخرج عثمان على أثره، فجلس على المنبر، فخطب الناس، وقال: أما بعد؛ فإنّ لكلّ شيء آفة، ولكلّ أمرٍ عاهة، وإن آفة هذه الأُمّة، وعاهة هذه النّعمة قوم عيّابون طعّانون يُرُونكم ما تحبُّون، ويُسِرُّونَ عنكم ما تكرهون، يقولون لكم وتَقولون؛ أمثال النّعام يتبَعُ أوّلَ ناعق، أحبّ مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلّا نغصاً ولا يردُون إلّا عِكَراً. أما والله لقد عبْتم عليّ ما أقررتُم لابن الخطاب بمثله؛ ولكنّه وطَئكم برجله، وضربكم بيده، وقَمَعكم بلسانه؛ فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم، ولِنْت لكم، وأوطأتكم كَتِفي، وكففت يدِي ولساني عنكم، فاجترأتم عليّ. أما والله لأنا أقربُ ناصراً، وأعزّ نفراً؛ وأكثر عدداً؛ وأحرى إن قلت: هلّم أن يُجاب صوتي. ولقد أعددت لكم أقراناً؛ وكشّرت لكم عن نابي؛ وأخرجتم منّي خُلقاً لم أكنْ أُحسنه؛ ومنطقاً لم أكن أنطق به. فكفّوا عنّي ألسنتكم وطعنكم وعَيْبكم عَلى ولاتكم، فما الذي تفقدون من حقّكم! والله ما قصّرت عن بلوغ شأو مَنْ كان قبلي[1]؛ وما وجدتكم تختلفون عليه؛ فما بالكم!

فقام مروان بن الحكم، فقال: وإن شئتم حكّمنا بيننا وبينكم السيف.

فقال عثمان: اسكت لا سكتّ! دعني وأصحابي، فما منطقك في هذا! ألم أتقدّم[2] إليك ألّا تنطق!

فسكت مروان، ونزل عثمان، انتهى[3].

---

(١) في ط: عن بلوغ من كان قبلي يبلغ. (٢) تقدم إليه: أمره.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٥.

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس:

ابْتَدَعَهُمْ[١] خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ[٢]، وساكِنٍ وَذِي حَرَكاتٍ[٣]. وأقامَ مِنْ شَواهِدِ الْبَيِّناتِ على لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، ما انْقادَتْ لَهُ الْعُقولُ[٤] مُعْتَرِفَةً بِهِ[٥] وَمُسَلِّمَةً[٦] لَهُ، وَنَعَقَتْ[٧] في أَسْماعِنا دَلَائِلُهُ على وَحْدَانِيَّتِهِ، وَما ذَرأَ مِنْ مُخْتَلِف صُوَرِ الأَطْيارِ الَّتِي أَسْكَنَها أَخادِيدَ[٨] الأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجاجِها[٩]، وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِها[١٠]؛ مِنْ ذوّاتِ[١١] أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ وَهَيْئاتٍ مُتَبايِنَةٍ؛ مصرَّفةٍ في زِمامِ التَّسْخِيرِ[١٢]، ومُرَفْرِفَةٍ[١٣] بِأَجْنِحَتِها في مَخارِقِ الجَوِّ المُنْفَسِح[١٤]، والْفَضاءِ المُنْفَرِج.

كَوَّنَها بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ، فِي عَجائِبِ صُوَرٍ ظاهِرَةٍ، وَرَكَّبَها في حِقاقِ[١٥] مَفاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ[١٦]، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعبالَةِ خَلْقِهِ[١٧] أَنْ يَسْمُوَ في الهَوَاءِ[١٨] خُفُوفاً؛ وَجَعَلَهُ يَدِفُّ[١٩]

---

(١) في هـ. ب: اخترعهم.
(٢) في هـ. ب: الجماد.
(٣) في هـ. ب: الرياح والماء.
(٤) في هـ. ب: انقاد العقلاء.
(٥) في هـ. ب: مُقرّة.
(٦) في هـ. ب: منقادة.
(٧) هـ. ب و ص: صاحت.
(٨) في هـ. ب: جمع اخدود: الواسعة بين الجبلين، وفي هـ. ب: جمع اخدود، وهو الشقّ في الأرض.
(٩) في هـ. ب: جمع خرق، وهو الأُخدود، وفي هـ. ص: جمع فجّ، وهو الفضاء بين الجبلين.
(١٠) في هـ ب و ص: الجبال.
(١١) في ط: ذات، وفي هـ. د: ذات ـ ض ح ب.
(١٢) في هـ. ب: التذليل.
(١٣) في هـ. ب: رفرف الطائر: إذا حرّك جناحيه.
(١٤) في هـ. ب: الواسع.
(١٥) في هـ. ب: جمع حقّة، من العظم والعصب واللّحم حول المفصل، وفي هـ. ص: جمع حق، ويعني به مجمع المفصلين من الأعضاء، من الشرح.
(١٦) في هـ. ب: من الاحتجاب.
(١٧) في هـ. ص: أي كثافة جسمه.
(١٨) في أ: في السماء، وفي هـ. د: السماء ـ ف ن م.
(١٩) في هـ. ب: دفف الطائر: مرّ فوق الأرض، وفي هـ. ص: أي قرب من الأرض.

دَفِيفاً، وَنَسَقَها[١] على اخْتِلاَفِها في الأصابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ؛ فَمِنْها مَغْمُوسٌ[٢] في قالَبِ لَوْنٍ لا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ ما غُمِسَ فِيهِ، ومِنْها مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ[٣] بِخِلَافِ ما صُبِغَ بِهِ.

وَمِنْ أَعْجَبِها خَلْقاً الطَّاوُسُ، الَّذِي أَقامَهُ فِي أَحْكَمِ[٤] تَعْدِيلٍ[٥]، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ[٦] قَصَبَهُ[٧]، وَذَنَبٍ أطالَ مَسْحَبَهُ؛ إِذَا دَرَجَ إِلَى الأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وسمَا[٨] بِهِ مُطِلّاً[٩] عَلَى رَأْسِهِ؛ كأَنَّهُ قَلْعُ[١٠] دَارِيٍّ[١١] عَنَجَهُ[١٢] نُوتِيُّهُ[١٣]. يَخْتالُ[١٤] بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ[١٥] بِزَيفَانِهِ. يُفْضِي[١٦] كإِفْضاءِ الدِّيكَةِ[١٧]، وَيَؤُرُّ[١٨] بِمَلَاقِحِه[١٩]

---

(١) في هـ. ب: أي جعلها مسوقاً.

(٢) في هـ. ب: المغموس هو الشيء المستور تحت الماء أو تحت الطين.

(٣) في أ: قد طرّق.

(٤) في ط: أحسن.

(٥) في هـ. ب: استقامة: مستقيم.

(٦) في أ: أسرج، وفي هـ. أ: في التكملة عن الجاردعي: المسرج: اللّسان؛ لأنّه يؤلّف الكلام، يقال: سرجت الصوم. سردت أي تابعت.

(٧) في هـ. ب: سرجت العيبة إذا أحلت من اشراجها، وفي هـ. ص: أشرج قصبه، أي: ركّب بعضها فوق بعض كما ان شرج العيبة: أي يداخل بين أشراجها، وهي عراها واحدها شرج، والقصب ـ هاهنا ـ عروق الجناح وغضاريفه وعظامه الصغار، تمت من الشرح.

(٨) في هـ. ب: علا.

(٩) في ص: مظلاً، وفي هـ. ب: مرتفعاً.

(١٠) في هـ. أ: شراع، وفي هـ. ب: الشراع، وفي هـ. ص: عن الصحاح: بكسر القاف، والقلع: شراع السفينة، والداري: جالب العطر من البحر من دارين، وهي فرضة في البحرين فيها سوق يحمل إليها المسك من الهند، والنوتي: الملّاح والجمع: نواتي، انتهى من الشرح.

(١١) في هـ. ب: إسم بلد.

(١٢) في هـ. ب: عطفه، وفي هـ. ص عطفه ولوّاه، والنّوتي بالنون والواو والتاء: الملاح.

(١٣) في هـ. ب: مَلّاحُه.

(١٤) في هـ. ص: يتبختر.

(١٥) في هـ. ب: أي يتكبر ويتبختر، وفي هـ. ص: يتمايل كثيراً، والزيفان: الخفّة والغرة.

(١٦) هـ. ب: يصل، هـ. ص: أي يصل إلى أنثاه ويلقي إليها لقاحه.

(١٧) في هـ. ب: إفضاء الديكة للدجاج وصوله إليها عند الجماع.

(١٨) في ب: ويأر، وفي ص: ويورُّ، وفي هـ. ب: يلقي النكاح، وفي هـ. ص: ينكح.

(١٩) في هـ. ب: من ألقح الفحل الناقة، وفي هـ. ص: جمع ملقح آلة النكاح.

أَرَّ الْفُحُولِ المغْتَلِمَةِ للضِّرَابِ[١]. أُحِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ على مُعايَنَةٍ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ على ضَعِيف إِسْنادُهُ. وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُها[٢] مَدامِعُهُ، فَتَقِفُ في[٣] ضَفَّتَيْ[٤] جُفُونِهِ، وَأَنَّ أُنْثاهُ تَطْعَمُ[٥] ذَلِكَ، ثُمَّ تَبيضُ[٦] لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِس[٧]؛ لَمَا كانَ ذلكَ بأعْجَب مِنْ مُطاعَمَة الغراب[٨] تَخالُ[٩] قَصَبهُ مَدارِيَ[١٠] مِنْ فِضَّةٍ، وما أَنْبَتَ عليْها مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِه[١١] وشُمُوسِهِ[١٢] خالِصَ الْعِقْيان[١٣] وَفِلَذَ[١٤] الزَّبَرْجَدِ[١٥]، فإِنْ شَبَّهْتَهُ بمَا أَنْبَتَتِ الأَرْضُ قُلْتَ: جَنِيٌّ جُنِيَ[١٦] منْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ[١٧]، وإنْ ضاهَيْتَهُ[١٨] بالْمَلاَبِسِ[١٩]

---

(١) لم ترد «أرّ الفحول المغتلمة للضراب» في أ و ب وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ق ن ش ب، وللضراب ساقطة من م ل.

(٢) في د: تنسجها، وفي هـ. د: تسفحها ـ ض م ح، وبخط الرضيّ تنسجها، تنشحها ـ ل، وفي هـ. أ: تسحها، وفي هـ. ص: تسفحها، ويروى: تسحها، من السح: صبّ الماء. (من الشرح).

(٣) لم ترد «في» في ب.

(٤) في هـ. ب: جانبي، وفي هـ. ص: والضفة بفتح الضاد المعجمة: الجانب، وهما ضفتا النهر، وقد جاء ذلك بالكسر أيضاً (من الشرح). (٥) في ص: تطعَّم، وفي هـ. أ: التطاعم بالفم.

(٦) في هـ. ب: من باض يبيض.

(٧) في هـ. ب: الدمع المنبجس: الذي يجيء قليلاً قليلاً.

(٨) في هـ. ص: تزعم العرب ان الغراب لا يسفد، وانما سفاده مطاعمته، ويقال: أخفى من سفاد الغراب، ويقال: في النعام: انها تلقح بالريح تمر على الظليم فتستنشقها الأُنثى فتبيض، وكل ذلك ـ إذا ثبت ـ غير بعيد في قدرة الله وحكمته.

(٩) في هـ. ب: تظن.

(١٠) في هـ. ب: مداراة، جمع مدارةٍ: وهي الهالة، وهي ـ هاهنا ـ مجاز واستعارة، وفي هـ. ص: جمع مدري، وهو شيء كالمسكة تصلح به الماشطة شعور النساء.

(١١) في هـ. ص: جمع دار، وهي: ما تدور في ريشه.

(١٢) في هـ. ص: شبيهة الشمس.

(١٣) في هـ. ب: الذهب، وفي هـ. ص: هو الذهب.

(١٤) في هـ. ص: جمع فلذة: قطعة.

(١٥) في هـ. ص: حجر من الجواهر، أخضر.

(١٦) لم ترد «جني» في أ و ب.

(١٧) في هـ. ص: لاختلاف ألوانه وأصباغه.

(١٨) في هـ. ب: شابهته، وفي هـ. ص: شاكلته وماثلته.

(١٩) في ب: باللّباس، وفي هـ. ب: بالملابس ـ صح.

فَهُوَ كَمَوشِيِّ[١] الْحُلَلِ، أوْ مُونِقِ[٢] عَصْبِ[٣] الْيَمَنِ[٤]، وإنْ شَاكَلْتَهُ بالحُليِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قدْ نَطَقَت[٥] باللجيْنِ[٦] الْمُكَلَّلِ[٧].

يَمْشِي مَشْيَ المَرِحِ[٨] الْمُخْتالِ[٩]، وَيَتَصَفَّحُ[١٠] ذَنَبَهُ وجَناحَيْهِ[١١]، فـيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمالِ سِرْبالِهِ[١٢] وأصَابِيغِ وَشاحِهِ[١٣]. فإذا رَمىٰ بِبَصَرِهِ إلى قـوائِـمِهِ زَقَـا[١٤] مُـعْوِلاً بصوت[١٥] يكادُ يُبِينُ عنِ اسْتِغاثَتِه، ويَشْهَدُ بِصادِقِ تَوَجُّعِهِ، لأَنّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ[١٦] كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الخَلاَسِيَّةِ[١٧]،[١٨] وقَدْ نَجَمَتْ[١٩] منْ ظُنْبُوبِ[٢٠] ساقِهِ صِيصِيَّةٌ[٢١] خفِيَّةٌ.

ولَهُ في مَوْضِعِ الْعُرْفِ قنزعة[٢٢] خَضْرَاءُ مُوَشّاةٌ[٢٣]، ومَخْرَجُ عُنُقِهِ كالإبْرِيقِ، ومَغْرَزُها إلى حيثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الوَسِمَةِ اليمانِيَّةِ[٢٤]، أوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرآة ذَاتَ صِقالٍ[٢٥]، وكأنَّهُ مَتَلَفِّعٌ[٢٦]

---

(١) هـ. ب: مزيّن، هـ. ص: هو ما دبّج بالوشي، وهو الإبريسم الملوّن.
(٢) في هـ. د: أو كمونق ـ ض ح، وفي هـ. ب: مونق، أي: معجب.
(٣) في هـ. ب: العصب، أي: البُرد من اليمن. (٤) في هـ. ص: ضرب من الثياب تصنع باليمن.
(٥) هـ. ب: نطّقت أي تجعل منطقة. (٦) في ب: في اللجين.
(٧) اللجين: الفضة، والمكلل: المزين بالجواهر.
(٨) المرح: المعجب. (٩) المختال: الزاهي بحسنه.
(١٠) في هـ. د: يتصفّح ـ م، وفي هـ. ب: ينظر إلى ذنبه.
(١١) في ب: وجناحه. (١٢) في هـ. ب: ثوبه.
(١٣) الوشاح: أديم عريض مرصّع بالجواهر يلبس ما بين العاتق والكشح.
(١٤) في هـ. ب: زقا: أي صاح. (١٥) في هـ. د: لم ترد «بصوت» في ب.
(١٦) في هـ. ب: دقاق. (١٧) في هـ. أ: الديك الخلاسي، أي ذو لونين.
(١٨) في هـ. ب: الخلاسي: الذي من الأهلي والهندي، والخلاس موضع، وفي هـ. ص: هي المتولدة بين الدجاج الهندي والفارسي، انتهى من الشرح.
(١٩) في هـ. ب: طلعت، وفي هـ. ص: أي خرجت.
(٢٠) في هـ. ب: عظم الساق، وفي هـ. ص: هو حرفه وجانبه.
(٢١) شوكة مرتفعة تكون في رجل الديك، وفي هـص :شوك مرتفع.
(٢٢) القنزعة: خصيلة شعر تترك على رأس الصبي، وفي هـ. ب: شعر حوالي الرأس، وفي هـ. ص: شعر مرتفع. (٢٣) في هـ. ب: منقّش، وفي هـ. ص: منقوشة.
(٢٤) في هـ. ص: صبغ أسود، وهو النيل. (٢٥) الصقال: الجلاء.
(٢٦) في أ و ص :متقنّع، وفي هـ. د: مقنع، ف م، وروي متقنع ـ ك، وفي هـ. ب: متلفّع بمعجر: ←

بِمعجَرٍ أسْحَمَ[١]، إلّا أنّهُ يُخَيَّلُ لِكثرَةِ مَـائِه[٢]، وشِـدَّةِ بَـرِيقه[٣]، أنّ الخـضْرَةَ النَّـاضِرَةَ مُمتَزِجَةٌ[٤] بِهِ، ومَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطّ كَمُسْتدِقِّ الْقَلَمِ[٥] في لَوْن الأُقْحُوَانِ[٦]، أَبْيَضُ يَقِقٌ[٧]، فَهُوَ بِبَياضِهِ في سَوَادِ ما هُنالِكَ يَأْتَلِقُ[٨]، وقَلَّ صبْغٌ إلَّا وقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِـقِسْطٍ[٩]، وعَـلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقالِه، وبَصِيص[١٠] دِيبَاجِهِ ورَوْنَقِه[١١]، فَهُوَ كالأَزَاهِيرِ المَبْثُوثَة[١٢]، لم تُرَبِّهَا[١٣] أَمْطَارُ رَبِيعٍ، ولا شُمُوسُ[١٤] قَيْظٍ.

وقدْ يَتَحَسَّرُ[١٥] من رِيشِهِ ويَعْرَى منْ لبَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَـتْرَى[١٦]، ويَـنْبُتُ تِـبَاعاً[١٧]، فَيَنْحَتُّ[١٨] منْ قَصَبِه انْحِتات أوْرَاقِ الأَغْصَانِ، ثمّ يَتَلَاحَقُ نامِياً حتّى يَعُودَ كَهيئَتِه قـبْلَ سُقُوطِه، لا يُخالِفُ سالِفَ أَلْوَانِه، ولا يَقعُ لَوْنٌ في غَيرِ مكانِه، وإذا تَصفَّحْتَ[١٩] شَعْرَة منْ شَعَرَاتِ قَصَبِه أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً[٢٠]، وتارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً[٢١]، وأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسجَدِيَّةً[٢٢]،

← متقطّع بمقنعة، وفي هـ. ص: لابس قناع، ويروى: «متلفّع» أي ملتحف، والمعجر: ما يعتجر به نحو ما تشدّه المرأة على رأسها، كالرداء. (١) الأسحم: الأسود، وفي هـ. ب: أسود.

(٢) في هـ. د: لكثرة ـ ما به ـ ف، وفي هـ. ب: أي: بالرونق.

(٣) في هـ. ب: لمعانه.

(٤) في هـ. ب: مختلط.

(٥) في هـ. ب: كمستَدقّ القلم: القلم الدقيق.

(٦) في هـ. ب: البابونج، وهو نوع من النبات، وفي هـ. ص: هو البابونج الأبيض، وجمعها: قاح.

(٧) في هـ. ص: أي خالص البياض، وجاء: «يقِق» بالكسر، انتهى من الشرح.

(٨) في هـ. ب و ص: يلمع.

(٩) أي: بنصيب.

(١٠) في هـ. ب: بص، وفي هـ. ص: هو البريق، وبصّ الشيء: لمع، انتهى من الشرح.

(١١) الرونق: الحسن.

(١٢) أي: الأزهار المنتشرة.

(١٣) في هـ. ص، وفي نسخة: تربها، وفي هـ. ب: لم يجمعها.

(١٤) في هـ. ب: جمع شمس.

(١٥) في أو ب وص: ينحسر، وفي هـ. ص: وروي «يتحسر» من الشرح، وفي هـ. د: ينحسر ـ م ك ح.

(١٦) في هـ. ص: أي شيئاً بعد شيء مع تراخٍ وفترات.

(١٧) في هـ. ص: أي متتابعاً بلا فترات.

(١٨) من النحت: السقوط والتقشّر.

(١٩) في هـ. ب، وفي نسخة: تأملت.

(٢٠) في هـ. ص: منسوبة إلى الورد.

(٢١) في هـ. ص: نسبة الى الزبرجد.

(٢٢) في هـ. ب: ذهبية، وفي هـ ص: نسبة إلى العسجد، وهو الذهب.

فَكَيْفَ[١] تَصِلُ إلى صِفَةِ هذا عَمائِقُ[٢] الْفِطَنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرائِحُ[٣] الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ[٤] وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ، وأَقَلُّ أجْزَائِه قدْ أعجزَ الأوْهامَ أنْ تُدْرِكَهُ[٥]، والأَلْسِنَةَ أنْ تَصِفَهُ[٦]، فسُبْحانَ الذِي بَهَرَ[٧] الْعُقُول عنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلاهُ[٨] لِلْعُيُونِ، فأدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، ومُؤَلَّفاً مُلَوَّناً، وأعجزَ الأَلْسُنَ عنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بها عنْ تأدِيَةِ نَعْتِه، وسُبْحانَ[٩] مَنْ أدْمَجَ[١٠] قَوَائِمَ الذَّرَّةِ[١١]، والهَمَجَةِ[١٢] إلى ما فَوْقَها مِنْ خَلْقِ الحِيتَانِ والأَفْيِلَةِ[١٣]، وَوَأى[١٤] على نَفْسِهِ أنْ لا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ[١٥] مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إلَّا وجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ، والفَناءَ غايَتَهُ.

مِنها: في صِفَةِ الجنَّةِ:

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ ما يُوصَفُ لكَ مِنْها، لَعَزَفَتْ[١٦] نَفْسُكَ[١٧] عَنْ[١٨] بَدَائِعِ ما أُخْرِجَ إلى الدُّنْيا منْ شَهَوَاتِها، ولَذَّاتِها، وَزَخارِفِ مَناظِرِها، ولَذَهِلَتْ[١٩] بالْفِكْرِ في اصْطِفاقِ[٢٠] أشجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُها في كُثْبانِ الْمِسْكِ على سَوَاحِلِ أنهارِها، وفي تَعْلِيقِ

---

(١) في أ و د: وكيف، وفي هـ. د: فكيف ـ ض ب ح ل ش.
(٢) في هـ. ب: العمائق: الأشياء البعيدة، وفي هـ. ص: بعيدة العمق.
(٣) في هـ. ب: القريحة الخاطر والذهن، وفي هـ. ص: قوّة العقل المدركة.
(٤) في هـ. ب: من الانتظام. (٥) في ب: يدركه.
(٦) في ب: يصفه.
(٧) في هـ. ب: غلب، وفي هـ. ص: أي غلب وحيّر.
(٨) في هـ. ب: جلاه من جلوت العروس إلى زوجها.
(٩) في ب و ص: فسبحان.
(١٠) في هـ. ب: أدمج القوائم: أحكمها، وفي هـ. أ: أحكم.
(١١) في هـ. ب: النمل
(١٢) الهمجة ـ محرّكة ـ: واحدة الهمج: ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم، وفي ط و د: والفيلة.
(١٣) في هـ. ب، وفي نسخة: والفيلة، وفي هـ. د: والافيلة ـ ش وفي الهامش: الفيلة.
(١٤) في هـ. ب و ص: وعد وقضى. (١٥) في هـ. ب: شخص.
(١٦) في هـ. د: لغرقت ـ ض ب. (١٧) في هـ. ب: زهدت فيها وكرهت، لانصرفت.
(١٨) في هـ. ب: من ـ ب. (١٩) في هـ. ب: غفلت.
(٢٠) في هـ. ب: إضطراب، وفي هـ. ب: والرواية الصحيحة: لذهلت الفكر في اصطفاق الأشجار،
←

كَبائِس[١] اللُّؤلُؤ الرَّطْبِ في عَسَالِيجِها وأَفْنائِها[٢]، وطُلُوعِ[٣] تِلْكَ الثّمارِ مُـخْتَلِفَةً فـي غُلُفِ[٤] أكمامِها[٥]، تُجنَى[٦] منْ غيرِ تَكَلُّفٍ، فَتأتِي على مُنْيَةِ[٧] مُجْتَنِيهَا، ويُطافُ على نُزّالِها[٨] في أَفْنِيَةِ قُصُورِها بالأَعْسالِ[٩] اَلْمُصَفَّقَةِ[١٠]، والْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ[١١]، قَوْمٌ لمْ تَزَلِ اَلْكَرَامَةُ تَتَمادَى[١٢] بِهِمْ حَتى حَلُّوا دَارَ اَلْقَرَارِ[١٣]، وأمِنُوا نُقْلَةَ اَلأَسْفارِ، فَلوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّها المُسْتَمِعُ بالوُصُولِ إلى ما يَهْجُمُ[١٤] عَلَيْكَ[١٥] منْ تلْكَ اَلْمَناظِرِ[١٦] اَلْمُونِقَةِ[١٧]، لَزهَقَتْ[١٨] نَفْسُكَ شَوْقاً إليها، وَلَتَحَمَّلْتَ منْ مَجْلِسِي هٰذَا إلىٰ مُجَاوَرَةِ أَهْلِ اَلْقُبُورِ اسْتِعْجالاً بها، جَعَلَنا اَللهُ وإيَّاكُمْ مِمَّنْ يسعَى[١٩] بقلبه إلى مَنَازِلِ اَلأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

تَفْسِيرُ بَعْضِ ما جاءَ فِيها[٢٠] منَ اَلغَرِيبِ.

قوله عليه السلام: وكِنَايَةٌ عَنِ اَلنكاحِ، يُقَالُ: أَرَّ اَلمَرْأَةَ يَؤُرُّها[٢١]، أي نَكَحَها[٢٢].

وقَوْلُهُ عليه السلام: كأنّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ: اَلْقِلْعُ: شِرَاعُ اَلسَّفِينَةِ[٢٣]، ودَارِيٌّ: مَنْسُوبٌ إلى

← كقول الشاعر:

كأنّ النحل صفت من ... حواسر ناشراتٍ

جمع حاسرة وهي مكشوفة الرأس.

(١) في هـ. ب: الكباسة ـ في الأصل ـ: العنقود، جمع كباس. وهو سبطة التمر.

(٢) في هـ. ب: أغصانها.

(٣) في هـ. ب: عطف على اصطفاق.

(٤) في هـ. ب: جمع غلف.

(٥) الأكمام جمع كم ـ بكسر الكاف ـ: وعاء الطّلع.

(٦) في هـ ط: تحنى من حناه حنواً: عطفه، وفي هـ. ب: تجد.

(٧) في هـ. ب: رجاء.

(٨) في هـ. ب: النازلين.

(٩) في هـ. ب: جمع عسل.

(١٠) في هـ. ب: الصافية.

(١١) في هـ. ب: راق الشراب: صفا.

(١٢) في هـ. ب: أي تبلغ المدى.

(١٣) هي الآخرة.

(١٤) في هـ. ب: يسقط.

(١٥) في ص: تهجم عليه.

(١٦) في هـ. ب: جمع منظر.

(١٧) المونقة: المعجبة.

(١٨) في هـ. ب: علت.

(١٩) في أ و ص: سعىٰ.

(٢٠) في ب و ص و ط و د: ما في هذه الخطبة.

(٢١) لم ترد «قوله عليه السلام ويؤرّ بملاقحه» في أ.

(٢٢) في ب ص: «أرَّ المرأة: إذا نكحها».

(٢٣) لم ترد «أي نكحها.. الى: نوتيه» في أ.

دَارِينَ[١]، وَهيَ بَلْدَةٌ على البَحْرِ يُجْلَبُ مِنها ٱلطِّيبُ، وعَنَجَهُ: أيْ عَطَفَهُ، يُقالُ: عَنَجْتُ النَّاقَةَ[٢] أعْنُجُها عَنْجاً: إذَا عَطَفْتُها وٱلنُّوتِيُّ: ٱلمَلَّاحُ.

وقَوْلُهُ: «ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ» أرَادَ جانِبَيْ جُفُونِهِ[٣]، وٱلضَّفَّتانِ: الجَانِبَانِ وقَوْلُهُ: «وفِلَذِ ٱلزَّبَرْجَدِ»[٤] ٱلفِلَذ جَمْعُ فِلْذَةٍ، وَهيَ ٱلقِطْعَةُ.

وقَوْلُهُ: «كبائِسِ ٱللُّؤلؤِ ٱلرَّطْبِ»[٥] الكِبَاسَةُ ٱلعِذْقُ[٦]، وٱلعَسالِيجُ: ٱلغُصُونُ، واحِدُها: عُسْلُوجٌ.

* * *

إعلم أنّ قصد أمير المؤمنينعليه السلام من هذا الكلام إيضاح الآيات والدلائل التي يتضمّنها خلقة الطاووس وغيره.

فمنها: الاختلاف الدالّ على اختيار الصانع؛ فإنّ الطاووس خلاف لكل الأطيار ومختلفة خلقته حتى في اجتماع الحسن والقبح وكذلك اختلاف الحيوانات في الكبر والصغر، ففي الكبير عِظَم القدرة، وفي الصغير لطف الصنعة، كما أشار إليه بقوله: «فسبحان من أدمج قوائم الذرّة والهمجة... إلى آخره».

ومنها: باهر الإقتدار؛ فإنّه يخيل من ألوانه اجتماع الضدّين فيها مع فَصْلِهِ لكلّ منها عن مقارنه مع شدّة التلاصق.

ومنها: كمال الإحكام الدالّ على باهر الحكمة.

ومنها: تمثيل النشر والإعادة بانحتات ريشه ورجوعه من غير مخالفة بين الأصل والمعاد.

ومنها: كشف عجز العقول عن المشاهَد، فعجزها عمّا لا يشاهد ولا يقاس أظهر.

ومنها: تمثيل غرائب خلق الجنّة بغرائب خلقته، فإنّ النفوس تستبعد الغرائب التي لاتألفها، وهذا أُسلوب كلامهعليه السلام تعظيم الله والكشف عن أسرار حكمة الله.

---

(١) في هـ. ب: اسم موضع.

(٢) في ط زيادة كنصرت.

(٣) لم ترد «وقوله ... إلى جفونه» في أ.

(٤) لم ترد «وقوله وفلذ الزبرجد» في أ.

(٥) في أ: والكبائس جمع الكباسة.

(٦) العذق للنخلة كالعنقود للعنب، مجموع الشماريخ وما قامت عليه من العرجون.

[١٦٦]

ومن خطبة له عليه السلام:

لِيَتَأَسَّ[1] صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ[2]، ولْيَرْأَفْ[3] كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ؛ وَلاَ تَكُونُوا كَجُفَاةِ[4] الجَاهِلِيَّةِ[5]: لاَ فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ[6]، وَلاَ عَنْ اللهِ يَعْقِلُونَ[7]؛ كَقَيْضِ[8] بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ[9]، يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً[10]، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا[11] شَرّاً.

منها:

افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ آخِذٌ[12] بِغُصْنٍ؛ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ. على أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لَشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ؛ كَمَا يَجْتَمِعُ[13] قَزَعُ الخَرِيفِ[14]، يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ[15] رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ[16]، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ[17] لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ

---

(١) في هـ. ب: ليقتدي.

(٢) في هـ. ب: صغير القدر و العمل الكبير القدر في العمل الصالح، وفي هـ. ص: أي ليتبعه في أخلاقه وآدابه.

(٣) في هـ. ص: أي ليرحمه، والرأفة: الرحمة.

(٤) هـ. ب: جمع الجافي.

(٥) في هـ. ب: لا تكونوا مثل قوم جفاة من عادتهم الجهل وروي: «الجهل عار».

(٦) في أ ب: تتفقهون، وفي هـ. ص: وروي بالتاء على الخطاب، تمت من الشرح، وفي هـ. د: لا يتفقهون في الدين ـ ع.

(٧) في أ و ب: تعقلون.

(٨) في هـ. ب: كقشر، أي: أنتم كقيض بيض، وفي هـ. ص: هو قشر البيض.

(٩) في ص: أداخ، وفي هـ. ب: جمع أدحياء، وهي الوكر للحيّة، وهو موضع البيض، وأدحى النعامة: الموضع الذي تفرخ فيها.

(١٠) في هـ. ب: إثما.

(١١) في هـ. ب: ما احتضن منها.

(١٢) في ص: أخذ.

(١٣) في أ: تجتمع.

(١٤) في هـ. ب: جمع قزعة، وفي هـ. ب أيضاً: قطع سحاب تجتمع ولها مطر. قال عليه السلام: إذا فسد دنياهم اجتمعوا على هلاك بني أُميّة من هنا وهناك، وفي هـ. ص: جمع قزعة، وهي سحب صغار تجتمع فتصير ركاماً.

(١٥) في ط: يجمعهم، وفي هـ. د: يجمعهم ـ ح.

(١٦) في هـ. ب: السحاب المتراكم، وفي هـ. ص: هو ما اجتمع فتكاثف.

(١٧) لم ترد لفظة الجلالة في أ و د، وفي هـ. د: بفتح الله ـ ض ح ب.

مُسْتَثَارِهِمْ[١] كَسَيْلِ الجَنَّتَيْنِ[٢]، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ[٣]، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْه[٤] أَكَمَةٌ[٥]، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ[٦] رَصُّ[٧] طَوْدٍ[٨]، وَلاَ حِدَابُ[٩] أَرْضٍ؛ يُذَعْذِعُهُمُ[١٠] اللهُ فِي بُطُونِ أوديَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنابيعَ فِي الأَرْضِ[١١]، يَأخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ[١٢] قَوْمٍ، وَيُمكِّنُ لِقَوْمٍ[١٣] فِي دِيارِ قَوْمٍ[١٤].

وَآيمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ[١٥] ما فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ والتَّمْكِينِ[١٦]، كما تَذُوبُ الأَلْيَةُ[١٧] عَلَى النَّارِ.

أَيُّها النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخاذَلُوا عَنْ[١٨] نصرِ الحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا[١٩] عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ

---

(١) في هـ. ب: يخرجون من أوطانهم، وفي هـ. ص: موضع استثارهم.

(٢) في هـ. أ: يعني سيل العرم، وفي هـ. ب: إشارة الى جنتين لقوم سبأ، وأنّ الذين أزعجهم بنو أمية فيها مثل سيل الجنتين، وهو سيل العرم الذي ذكره الله في كتابه، قال تعالى: ﴿لَقَد كَانَ لِسَبأ﴾ وهو ابو اليمن كلّها ﴿في مسكنهم﴾ وفي بلدهم ﴿آية﴾ أي حجّة على وحدانية الله والتذكير بنعمته وقدرته. ثم فسّر الآية فقال: ﴿جنتان عن يمينٍ وشمالٍ﴾ أي جنتان عن يمين دارهم وبستان عن شمالها، وكانت ثلاثة عشر قرية، في كل قرية نبيّ يدعوهم إلى الله يقول لهم: ﴿كلوا من رزق ربكم﴾ في هذه المساكن ﴿واشكروا له﴾ أي لله ﴿بَلَدةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُور. فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ سورة سبأ: ٣٤ / ١٥ـ١٦. وذلك أنّ هناك كان يجتمع ماء المطر والسيول خلف الحبس،... وفي هـ. ص: يعني جنتي سبأ.

(٣) في هـ. ب: جبل، رفي هـ أ و ص: جبل صغير.

(٤) في أ: تثبت له.

(٥) في هـ. ص: هي التلعة من الأرض.

(٦) في هـ. ب: طريقه، وفي هـ. ص: أي مجراه ومسلكه.

(٧) في هـ. أ: رصصت الشيء: ألصقت بعضه ببعض هاهنا أراد ثبوت طود.

(٨) في هـ. ب: جبل.

(٩) هـ. ب و ص: جمع حدبة.

(١٠) في هـ. ب: يفرّق، وفي هـ. ص: بالذال المعجمة، أي يفرّقهم.

(١١) في هـ. ص: أي يظهرون بعد خفائهم.

(١٢) في هـ. ص: هي الثارات.

(١٣) في هـ. ص: بني العبّاس بلاء وفتنة.

(١٤) في هـ. ص: بني أميّة.

(١٥) في هـ. ص: يعني بني أميّة.

(١٦) في هـ. د: بعد التمكن ـ حاشية ن.

(١٧) في هـ. ص: بفتح الهمزة، هي الشحمة التي تكون من الكباش موضع الأذناب من غيرها.

(١٨) في هـ. د: أيها الناس لم تخاذلوا ـ ب.

(١٩) في هـ. ص: مضارع وهن، أي ضعف، وهو من ألفاظ القرآن أيضاً.

يَطْمَعُ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ، لَكِنَّكُمْ تُهْتُمْ[١] متَاهَ بَنِي إِسْرائِيلَ.

وَلَعَمْرِي[٢] لَيُضَعَّفَنَّ[٣] لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعافاً؛ بِمَا[٤] خَلَّفْتُمُ الحَقَّ[٥] وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَى[٦]، وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ[٧].

واعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ[٨]، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ ٱلرَّسُولِ، وَكُفِيتُمْ مُؤنَةَ ٱلاِعْتِسَافِ[٩]، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفادِحَ[١٠] عَنِ الأَعْناقِ.

* * *

قوله عليه السلام: «كقيض بيض في أداح»:

[أداح] جمع أدحي وهو موضع بيض النعام، والذي يظهر لي من وجه التشبيه: كونهم لا خير فيهم كالقيض الذي لا نفع فيه.

ثم أخبر عن حكم المشبّه فقال: يكون كسرها ـ أي قتلهم ـ وزراً، لأنّهم في الظاهر مسلمون، وسمّى القتل كسراً مراعاة للمشبّه به.

ويكون حضانها ـ أي خبرهم وأعمالهم شرّاً، وسمّى الخبر والأعمال حضاناً؛ لانطوائهم عليها إنطواء الحاضن على المحضون مع ملاحظة التشبيه الذي بنى عليه الكلام.

قوله عليه السلام: «افترقوا بعد أُلفتهم»:

قال ابن أبي الحديد: هو عليه السلام: يذكر حال أصحابه وشيعته بعده، فيقول: افترقوا بعد

---

(١) في هـ. ب: حيرتم، وفي هـ. ص: أي حرتم وأضللتم الطريق، تمت من الشرح.
(٢) في ب: فلعمري، وفي هـ. د: فلعمري ـ ش.
(٣) في هـ. ب: التضعيف أن يزاد على أصل الشيء.
(٤) لم ترد «بما» في أ ب ص.
(٥) في هـ. ص، قوله: خلفتم الحق يعني عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ونصّه عليه، وكأنّه سئل عن سبب التّيه وعلّته؟ فقال: خلّفتم الحق...، أي: عوقبتم بذلك، والله أعلم.
(٦) في هـ. ص: يعني نفسه وآله.
(٧) في هـ. ص: يعني من ولّوه أُمورهم وادّعوا له الفضل.
(٨) في هـ. ص: يعني نفسه، وروي: الراعي ـ بالراء، من الشرح.
(٩) في هـ. ب: الاعتساف: الأخذ على غير طريقة.
(١٠) في هـ. ب: المثقل، وفي هـ. ص: أي المؤثر بثقله في الحامل.

أُلفتهم؛ أي: بعد اجتماعهم.

وتشتّتوا عن أصلهم، أي: عنّي بعد مفارقتي؛ فمنهم آخذٌ بغصن؛ أي: يكون منهم مَنْ يتمسّك بمن أخلّفه بعدِي من ذرّيّة الرسول، أينما سلكوا سلكوا معهم؛ وتقدير الكلام: ومنهم مَنْ لا يكون هذه حاله. لكنّه لم يذكرهعليه السلام، اكتفاءً بذكر القسم الأوّل، انتهى(١).

وأقول أنا : إنّهعليه السلام أشار إلى افتراق الشيعة عن جرثومتهم وهي تولّي علي وأولاده باعتبار تولّي بعضهم لبعض العترة دون بعض وذلك الافتراق الأصلي بين الشيعة هو رفض الروافض لزيد بن علي ومَن كان على منهجه، وبقيت الزيدية على تولّي جميع العترة لا يفرّقون بينهم ويجعلون التفريق بين الأئمة الهادين كالتفريق بين النبيين، فذكرعليه السلام من خالف الأصل وطريق الأُلفة وسكت عن الباقي على الأصل.

قال عبدالله بن الحسنعليه السلام: «العَلَم بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب، والعَلَم بيننا وبين الشيعة الرافضة زيد بن علي».

قال ابن أبي الحديد: ثم قال: على أنّ هؤلاء القوم: من ثبت منهم على عقيدته فينا ومن لم يثبت؛ لابدّ أن يجمعهم الله تعالى لشرّ يوم لبني أُميّة، وكذا كان، فإنّ الشيعة الهاشمية اجتمعت على إزالة ملك بني مَرْوان: مَنْ كان منهم ثابتاً على ولاء عليّ بن أبي طالبعليه السلام، ومَنْ حادَ منهم عن ذلك؛ وذلك في أواخر أيّام مَرْوان الحمار، عند ظهور الدّعوة الهاشميّة. انتهى من شرح ابن أبي الحديد(٢).

قولهعليه السلام: «وتِهْتُم مَتَاه بني إسرائيل»:

أي: حِرْتم وضَللتم الطريق؛ وقد جاء في المسانيد الصّحيحة أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، قال: «لَتَرْكَبُنّ سَنَنَ مَنْ كان قبلكم حذْوَ النّعل بالنعل، والقَذّة بالقَذّة؛ حتى لو دخلوا جُحْر ضَبّ لدخلتموه»، فقيل: يارسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذاً! ومن الأخبار الصحيحة أيضاً: «أمتهوّكون(٣) أنتم كما تهوّكَت اليهودُ والنّصارى!».

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٨٤ .   (٢) شرح ابن أبي الحديد ٩ : ٢٨٤ .

(٣) التهوّك : التحيّر، وفي الحديث: «أمُتَهوّكون أنتم كما تهوّكت اليهود والنصارى؟ قال ابن عون: فقلت للحسن زمامتهوّكون؟ فقال: متحيّرون، والتهوّك ـ أيضاً ـ مثل التهوّر، وهو الوقوع ←

وفي صحيحي البخاريّ ومسلم: أنّه سيجاء يوم القيامة بأناس من أُمّتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فإذا رأيتُهم اختلجوا دوني، قلت: ربّ، أصحابي! أصحابي![1] فيقال لي: إنّك لا تدري ما عملوا بعدك؟ فأقول ما قال العبد الصالح: ﴿وكُنْت عَلَيهم شَهيداً مَادُمْت فِيهِمْ فلَمّا توفَّيْتني كُنْتَ أَنْتَ آلرَّقيبَ عَلَيهم وأَنْت على كُلِّ شيءٍ شهيد﴾[2]. الإسناد في هـذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه.

وفي الصحيحيين أيضاً، عن زينب بنت جحش قالت: استيقظ رسول الله يوماً من نومه محمرّاً وجهه؛ وهو يقول: «لا إله إلّا الله. ويل للعرب من شرٍّ قد آقترب!» فقلت: يا رسول الله، أنهلِك، وفينا الصالحون؟ فقال: «نعم، إذا كثر الخَبث».

وفي الصحيحين أيضاً: «يُهلك أُمّتي هذا الحيُّ من قريش، قالوا: يـارسول الله، فـما تأمرنا؟ قال: «لو أنّ الناس اعتزلوهم»، رواه أبو هريرة عنه صلى الله عليه وآله، انتهى من شرح ابن أبي الحديد[3].

← في الشيء بقلّة مبالاة، تمتّ من الصحاح، وفي النهاية لابن الأثير ٤: ٢٥٨؛ قال: «التهوّك كالتهوّر؛ وهو الوقوع في الأمر بغير روية. أو الذي يقع في كل أمر؛ وقيل: هو التحيّر.

(١) في ط: « قلت: أي ربِّ أصحابي! أصحابي!».

(٢) المائدة:٥ /١١٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٨٦ و ٢٨٧.

ومن خطبة له عليه السلام في أول خلافتة:

إِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ[١] أَنْزَلَ كِتاباً هادِياً بَيَّنَ فِيهِ الخَيْرَ وَالشَّرَّ؛ فَخُذُوا نَهْجَ الخَيْرِ تَـهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا[٢] عَنْ سَمْتِ[٣] الشَّرِّ تَقْصِدوا[٤].

الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ[٥]! أَدُّوها إِلَى اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الجَنَّةِ. إِنَّ الله حَرَّمَ حَراماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وأَحَلَّ حَلالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ[٦]، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ المُسْلِمِ على الحُرَمِ كُلِّها، وشَـدَّ بِـالإِخْلَاصِ والتَّوْحِيدِ حُقُوقَ المُسْلِمينَ في مَعاقِدِها[٧]. فالمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلَا يَحِلُّ أَذَى ٱلْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ.

بَادِرُوا أَمْرَ ٱلْعامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ المَوْتُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ[٨] أَمَامَكُمْ[٩]، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ.

تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا[١٠]؛ فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

ٱتَّقُوا ٱللهَ فِي عِبادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ[١١] ٱلْبِقاعِ وَٱلْبَهَائِمِ، أَطِيعُوا[١٢] ٱللهَ وَلاَ تَعْصوهُ؛ وَإِذَا رَأَيْتُمُ ٱلْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

---

(١) في ط: ان الله تعالى سبحانه أنزل، وفي هـ. د: ان الله تعالى أنزل ـ ض ب، ان الله سبحانه وتعالى أنزل ـ ح.

(٢) في هـ. ص: أي أعرضوا.

(٣) في هـ. ص: طريقه ونهجه.

(٤) في هـ. ص: أي تستقيموا وتعدلوا.

(٥) في هـ. ص: نصب على الإغراء، أي: الزموا.

(٦) لم ترد «وأحل حلالاً غير مدخول» في ب وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ن ف ل ش، وفي هـ. ص: أي لا عيب فيه ولا نقص.

(٧) في هـ. ب: مواضعها.

(٨) في هـ. د: وروي فإن البأس أمامكم ـ ك.

(٩) في هـ. ص: أي سبقوكم وأنتم لاحقون بهم.

(١٠) في هـ. ص: التخفف هو القناعة والرضا من الدنيا باليسير وترك الحرص على قنياتها؛ فإنّ المسافر الخفيف أحرى بالنجاة ولحاق أصحابه من الثقيل، وقد نظم الرضي أبو الحسن رحمه الله هذا المعنى فقال:

حذفت فضول العيش حتى رددتها ... إلى دون ما يرضى به المتعفّف
وأمّلت أن أجري سريعاً الى العلى ... إذا شئتم أن تلحقوا فتخفّفوا

(١١) مسئولون عن ـ ع.

(١٢) في ط د: وأطيعوا، وفي هـ. د: أطيعوا ـ ش.

ومن كلام له عليه السلام بعدما بويع له بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممّن أجلب[١] على عثمان، فقال عليه السلام:

يا إِخْوَتَاه![٢] إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ ما تَعْلَمُونَ؛ وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ[٣] المجْلِبُونَ[٤] عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ[٥] يَمْلِكُونَنا وَلاَ نَمْلِكُهُمْ! وَهَاهُمْ هؤُلاَءِ قَدْ ثارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ[٦]، والْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكمْ[٧]، وَهُمْ خِلاَلَكمْ[٨] يَسُومُونَكُمْ ما شَاءوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ!

إِنَّ هَذَا الأَمْرَ أَمْرُ جاهِلِيَّةٍ[٩]؛ وَإِنَّ لِهَؤُلاءِ الْقَوْمِ مادَّةً[١٠]، إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الأَمرِ ـ إِذَا حُرِّكَ ـ عَلَى أُمورٍ[١١]: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَالاَتَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لاَ تَرَى[١٢] هَذَا وَلاَ هَذَا[١٣]. فاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدأَ[١٤] النَّاسُ وَتَقَعَ الْقُلُوبَ مَوَاقِعَها، وتُؤْخَذَ الحُقُوقُ

---

(١) في هـ. ص: أي قصد لخلعه وجيّش لذلك.

(٢) في ط: يا إخوتا.

(٣) في هـ. ب: القوم (بدون واو).

(٤) في هـ. أ: جاء القوم بشوكتهم: أي بجماعتهم، وفي هـ. ب: مجتمعون ومعاونون.

(٥) في هـ. ب: شوكة الإنسان: شدّته، وفي هـ. ص: أي لم ينفلّ حدّهم ولم يضعفوا.

(٦) في هـ. ب: العبدان، جمع العبد، وفي هـ. ص: جمع عبد، وتكسر العين وتضم.

(٧) في أ و ص: إغراركم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: أعرابكم، وفي هـ. ب: أهل البدو في ناحية الحجاز.

(٨) في هـ. ب: أوسطكم.

(٩) في هـ. ص: أي مشوب بعصبيّة.

(١٠) أي عوناً ومدداً، وفي هـ. ب: المادة: الزاوية المتّصلة.

(١١) في هـ. ب: الناس على ثلاثة فرق: فرقة تقول: يجب أن يعاقبوا، ومنهم من يقول: لا يعاقبوا، ومنهم من يقول: لا يعاقبوا الآن، بل من بعد.

(١٢) في ب زيادة: لا، وفي هـ. ص في نسخة زيادة: لا.

(١٣) لم ترد «وفرقة لا ترى هذا ولا هذا» في أ، وفي ب: لا هذا ولا هذا، وفي أ و ص زيادة: وفرقة ترى لا هذا ولا هذا، وفي هـ. د: لا ترى هذا ولا ذاك. ص ب، لا هذا ولا هذا ـ ش.

(١٤) في هـ. ب: يسكن.

مُسْمَحَةٌ[١].

فاهْدَءُوا[٢] **عَنِّي وَانْظُرُوا ماذَا يَأْتِيكمْ**[٣] **بِهِ أَمْرِي؛ وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ**[٤] **قُـوَّةً، وتُسْقِطُ مُنَّةً**[٥]**، وَتُورِثُ وَهْناً وذِلَّةً. وَسأُمْسِكُ الأَمْرَ ما اسْتَمْسَكَ؛ وإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً؛ فَآخِرُ الدَّواء الْكَيُّ**[٦].

* * *

قوله عليه السلام: «يا إخوتا إنّي لست أجهل ما تعلمون... الى آخره»:

أجابهم عليه السلام بجواب مجمل يقطع به شغبهم، فقال: لا تظنوا بي أنّي أجهل ما تـعلمونه صواباً، أنا غير جهول، فهذا كلام مطلق ولا يلزم منه أن يكون ما قالوه من هذا الأمر صواباً معلوماً لهم؛ لأنّ من الجائز مع هذا الجواب أن يكون خطأ مظنوناً لهم، فهو عليه السلام لا يعلمه وإنّما أراد: لا تظنّوا أنّكم تعلمون شيئاً وأجهله، بل اتهموا رأيكم على رأيي.

ثم أراد أن يلقمهم الحجر ويقطع شغبهم عنه، فقال: هبّوا أن رأيكم هذا صواب، فكيف لنا بقوّة على فعله مع هذه الموانع، ثم أمرهم بأن لا يبتدؤه بشيء من الآراء والخوض في التدبير، بل ينتظروا ما يبدأهم به، فليس في كلامه هذا دلالة على أنّه كان يرى عقوبة من

---

(١) في هـ. أ: مسمحة، من قولهم: أسمحت فروسه، أي: ذلّت نفسه وتابعت، وفي هـ. ب: بكسر الميم، منقادة، من اسمحت قروسه: أي ذلّت نـفسه وتـابعته. وبـفتح المـيم مـن أسـمحت وسامحت أي: ساهلت، وفي هـ. ص: أي سهلة.

(٢) في هـ. ب : اسكتوا، وفي هـ. ص: أي اسكتوا ودعوا الاعتراض .

(٣) في ص: ما يأتيكم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: ماذا يأتيكم.

(٤) في هـ. ب: تضعف، وفي هـ. ص: تضعف وتهدّ.

(٥) في هـ. ب: قوّة عمل.

(٦) في أ و ب: فآخر الداء الكيّ وفي ص: فإنّ آخر الدواء الكيّ.. وفي هـ. ب: فآخـر الدواء الكيّ، وهذا أصح.

وفي هـ. ص: قال في الشرح مثل مشهور، ويقال: آخر الطب، ويغلط فيه العامة فتقول: «آخر الداء الكي»؛ لأنّ الكي لا يكون من الداء حتى يكون آخره.

وفي هـ. ص ـ أيضاً ـ: لعلّه على حذف مضاف للعلم به أي آخر علاج الداء أو دواء الداء. فلا غلط ومثله كثير شائع.

قلت: والظاهر أنّ الكي هنا كناية عن القتل.

أجلب على عثمان، وكيف ورؤساء المجلبين عليه هم خلصائه﵇، ومَن يعلم ضرورة ودّه لهم وموالاته إيّاهم كمالك الأشتر وعمّار ومحمّد بن أبي بكر وحكيم بن جبلة وعمرو بن الحمق وحجر بن عدي وغيرهم من خاصته.

وكيف يقال انّه كان يرى الاقتصاص من قتلة عثمان وقد عامل أهل الدار ـ دار عثمان ـ معاملة البغاة، فقبض على كلّ سلاح أجلبوا به على المسلمين كما رواه العسكري في كتاب الأوائل وغيره، ورواه أبو العباس الحسني﵀ عن محمد بن عبد الله النفس الزكية﵇، وقد رواه ابن أبي الحديد في شرح ما تقدّم، فإذا كانوا بغاة فمقاتلتهم مبغي عليه.

فأعجب للشارح ـ ابن أبي الحديد ـ وتعجّب من تلعب العصبية لمذهب أصحابه ببصيرته، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة:

إنَّ اللهَ[١] بَعَثَ رَسُولاً هادِياً بِكِتابٍ ناطِقٍ وأمْرٍ قائِمٍ[٢] لا يَهْلِكُ عَنْهُ إلَّا هَـالِكٌ[٣] وإنَّ الْمُبْدِعات[٤] الْمُشبّهاتِ[٥] هُنَّ الْمُهْلِكاتُ إلَّا ما حَفِظَ[٦] اللهُ منْها[٧]. وإنَّ في سُلْطانِ اللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ[٨] فأعْطُوهُ طاعَتَكُمْ غَيرَ مُلوَّمَةٍ[٩] ولا مُسْتَكْرَهٍ بها[١٠] واللهِ لَتَفْعَلُنَّ أوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ[١١] عنكُمْ سُلْطانَ الإسْلامِ[١٢] ثمَّ لا يَنْقُلهُ إليكُم أبداً حتّى يَأرِزَ[١٣] الأمْرُ إلى غيرِكُمْ.

---

(١) في أ و د زيادة: تعالى، وفي هـ. د: ان الله بعث ـ ص ح ب.

(٢) في هـ. ب: هو الدين.

(٣) في هـ. ص: هذا كما تقول لا يعلم هذا الفنّ إلّا عالم، أي: من قد بلغ الغاية واستحق أن يوصف بذلك ويشار إليه فيه، كذلك لا يهلك بعدوله عنه إلّا مَن هو أعظم الهالكين ومن يشار إليه بالهلاك وقد بلغ الغاية في الهلاك، انتهى من الشرح.

(٤) في أ و ب و ص: المبتدعات، ويحتمل في ب: المتبدّعات.

(٥) في هـ. ص: أي المشبهات بالسنن، وروي «المشبّهات» أي: الشبهات على الناس، ويروى «المشتبهات» أي: المتشابهات، انتهى من الشرح.

(٦) في ب: عصم الله، وفي هـ. ب، وفي نسخة: حفظ الله، وفي هـ. د: عصم الله ـ ش، وفي هـ. ص: ما حفظ الله، يحتمل أن تكون «ما» مصدرية، أي: إلّا وقت ما حفظ الله منها، ويحتمل أن تكون موصولة، أي: إلّا من حفظ الله، واستعملت لمن يعلم، نحو ﴿والسّماء وَما بَناها﴾ الشمس: ٩١ / ٥.

(٧) لم ترد «منها» في ب و ص.

(٨) في ب: عصمة لربكم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: عصمة لأمركم، وفي هـ. ص: أي حفظاً، وفي هـ. د: عصمة لربكم ـ ش.

(٩) ملوّمة: مبالغة في لامه.

(١٠) في هـ. د: غير متلوّمين ولا مستكرهين ـ حاشية ن. وفي ب و ص: ملومة. وفي هـ. ب، وفي نسخة: ملوّمة، وفي هـ. ص: أي لا يلام فاعلها ولا ينسب إلى نفاق ولا رياء، تمت من الشرح.

(١١) في هـ. د: لم ترد لفظ الجلالة في ب.

(١٢) في هـ. ب: سلطان الاسلام هو قوّة الإسلام ولطفه.

(١٣) في هـ. ب: ينقبض، وفي هـ. ص: أي ينضم ويجتمع.

إنَّ هؤُلاءِ قدْ تَمالَؤُا[١] على سَخْطَةِ[٢] إمَارَتي وسَأصْبِرُ مَالمْ أخَفْ علـى جَـماعَتِكُمْ. فإنَّهُمْ إنْ تَمّمُوا على فيَالَةِ هذا الرَّأيِ[٣] أنْقطع نِظامُ المُسْلِمينَ وإنَّما طَلَبُوا هـذِهِ الدُّنْـيا حَسَداً لمنْ أفاءَها اللهُ عليْهِ[٤] فأرَادُوا[٥] رَدَّ الأُمُورِ على أدْبارِها. وَلَكُمْ عَلَيْنا الْعَمَلُ بكِتابِ اللهِ تعالى وسِيرَةِ رسُولِ اللهِ[٦] صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ والْقِيامِ بِحَقِّهِ والنَّعشِ[٧] لِسُنَّتِهِ.

---

(١) في هـ. ب: تعاونوا.

(٢) السخطة : الكراهة وعدم الرضا، وفي هـ. ب: غضبه.

(٣) في هـ. أ: في التكملة «فيالة الرأي» بالكسر: خطأ الرأي، وفي هـ. ب: الفيالة: ضعف الرأي، وفي هـ. ص: أي ردّها، وفيه إشارة إلى أنّها كانت له فغُصبت عليه.

(٤) في هـ. ب: أي جعل تعالى تلك الأرض فيئاً لنا وغنيمة خاصّة لنا، وفي هـ. ص: فيه إشارة إلى أنّها كانت قبل أن يتولّاها مدبرة عن القصد راجعة القهقرى.

(٥) في هـ. د: وأرادوا ـ حاشية ن.

(٦) في ب ورسوله، وفي هـ. ب: ورسوله ـ ش.

(٧) في هـ. ب: الرفع.

[١٧٠]

ومن كلام له عليه السلام:

كلَّمَ بِهِ بَعْضَ الْعَرَبِ وقدْ أرْسَلَهُ قوْمٌ منْ أهْلِ الْبِصْرَةِ لمَّا قَرُبَ عليْهِ السَّلاَمُ منها ليعْلَمَ لَهُمْ منْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أصْحَابِ الجَمَلِ[١] لِتَزُولَ الشُّبْهَةُ مِنْ نُفُوسِهِمْ فَبَيَّنَ لَهُ عليهِ السَّلاَمُ منْ أمْرِهِ مَعهُمْ ما عُلِمَ بهِ أنَّهُ على الحَقِّ ثمَّ قالَ لهُ: بايِعْ[٢]. فقالَ إنِّي رَسُولُ قومٍ[٣] ولا أحْدِثُ حَدَثاً حتّى أرْجِعَ إليْهِمْ، فقالَ عليْه السَّلامُ:

أرَأيْتَ لوْ أنَّ الذِينَ ورَاءَك بَعَثُوكَ رَائِداً[٤] تَبْتَغي لَهُمْ مَساقِطَ[٥] الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إليهِمْ وأخْبَرْتَهُمْ[٦] عنِ الْكلأِ والمَاءِ فَخالَفُوا إلى المَعاطِشِ[٧] والمَجادِبِ ما كُنْتَ صانِعاً[٨]. قالَ: كُنْتُ تارِكَهُمْ ومُخالِفَهُمْ إلى الْكلاءِ والمَاء. فقالَ عليْهِ السَّلامُ: فامْدُدْ إذاً[٩] يَدَكَ، فقالَ الرَّجُلُ: فَوَاللهِ ما اسْتَطَعْتُ أنْ أمْتَنِعَ عنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عليَّ فَبايَعْتُهُ عليْهِ السَّلامُ والرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ الجَرْمِي[١٠].

---

(١) في هـ. ب: أي ليعلم ما فعل أمير المؤمنين بأصحاب الجمل لتزول الشبهة من أنفس أهل البصرة فبيّن عليه السلام من أمره مع أصحاب الجمل.

(٢) في هـ. ب: بايعني، والعبارة في أ وردت هكذا: ومن كلامه عليه السلام لما قال لكليب الجرمي قبل وقعة الجمل: بايع.

(٣) في أ: قومي، وفي هـ. ب، وفي نسخة: قومي.

(٤) في هـ. ب: طالباً.

(٥) في هـ. ص: المواضع التي يسقط عليها المطر.

(٦) في ب: فأخبرتهم، وفي هـ. د: فأخبرتهم ـ ش.

(٧) في هـ. ب: موضع القحط والعطش، وفي هـ. ص: مواضع العطش والجدب.

(٨) في هـ. ب: ما الذي كنت صادقاً.

(٩) في ب: أذن، وفي هـ. ب: إذاً.

(١٠) عبارة «عليه السلام، والرجل يعرف بكليب الجرمي» لم ترد في أ، وفي هـ. ص: الجرمي منسوب إلى بني جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، من حمير، انتهى من الشرح.

ومن خطبة له عليه السلام:

لما عزم على لقاء القوم بصفّين

اَللَّهُمَّ رَبَّ اَلسَّقْفِ المَرْفُوعِ، والجَوِّ المَكْفُوفِ[١]، الذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً[٢] لِلَّيْلِ واَلنَّهارِ، ومَجْرىً لِلشَّمْسِ والْقَمَرِ، ومُخْتَلفاً لِلنُّجُومِ السيَّارَةِ، وجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً[٣] مِنْ مَلاَئِكَتِكَ[٤]، لا يَسأَمُونَ منْ عِبَادَتِكَ، ورَبَّ هَذِهِ اَلأَرْضِ اَلَّتي جَعَلتها قَرَاراً لِلأَنامِ، ومَدْرَجاً[٥] لِلْهَوَامِّ والأَنْعامِ، ومَا لا يُحْصَى مِمَّا يُرَى ومِمَّا لا يُرَى، وَرَبَّ الجِبَالِ اَلرَّوَاسِي الَّتي جَعَلْتَها لِلأَرْضِ أَوْتاداً، ولِلْخَلْقِ اَعْتِماداً[٦]، إنْ أَظْهَرْتَنا[٧] على عَدُوِّنا فَجَنِّبْنا البَغْيَ، وسَدِّدْنا[٨] لِلْحَقِّ، وإنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنا فارْزُقْنا اَلشَّهَادَةَ، واَعْصِمْنا مِنَ الْفِتْنَةِ.

أَيْنَ المَانِعُ لِلذِّمَارِ[٩]، واَلْغَائِرُ[١٠] عِنْدَ نُزُولِ الحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الحِفاظ. اَلْعَارُ[١١] وَرَاءَكُمْ، والجَنَّةُ أمامَكُمْ.

---

(١) الجو: ما بين الأرض والأجرام السماوية وفيها من مصنوعات الله ما لا يحصى ولا يعدّ، وهو بحر عظيم تسبح فيه الكائنات العلوية وهي مكفوفة عن الأرض لاتسقط عليها.
في هـ. ب: الجو في اللغة الهواء، والمكفوف بالذات جعله كالقميص ويقال: هو الفلك الدائر مجرى القمر، وفي هـ.ب: المكفوف، يجوز أن يكون من الكف، وهو المنع عن السقوط، ويجوز أن يكون من كفّ الثوب وهو أن يخاط بالدرز الثاني.

(٢) غاض الماء، أي: نقص، وفي هـ. ب: المغيض، الموضع الذي يغيض فيه الماء، لنضبه، ويقال: فإذا قلّت فيه الشجر فهي غيضة وفي هـ. ب أيضاً: المغيض اسم يقع على اشتداد الظلمة، والنهار على الضياء.

(٣) في هـ. ب: جماعة.

(٤) في هـ. د: الملائكة ـ ع.

(٥) في هـ. ب: ما يمشى عليه كلّ هامة، وفي هـ. ص: مدرجاً، أي: موضعاً لدروجهم وهو سيرهم وحركاتهم في طلب معاشهم.

(٦) في هـ. ص: أي يعتمدون عليها في معاشهم.

(٧) في هـ. ب: أي جعلت لنا الغلبة.

(٨) في هـ. ب: أصلحنا.

(٩) في هـ. ص: الذمار: ما يحقّ للرجل أن يحميه ويمنعه.

(١٠) الغائر: الذي تحشمه الحمية والغيرة، والحقائق: الأمور الشديدة كالحاقات.

(١١) في ص: النار، وفي هـ. ص، وفي نسخة: العار.

ومن خطبة له عليه السلام:

اَلْحَمْدُ للهِ اَلَّذِي لاَ تُوَارِي[١] عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلاَ أَرْضٌ أَرْضاً.

مِنْها:

وقالَ قائِلٌ[٢]: إنَّكَ على هَذَا الأَمْرِ يااَبْنَ أَبِي طالب[٣] لَحَرِيصٌ، فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ ـ وَاَللهِ ـ أَحْرص[٤] وأبْعَدُ، وأنا أَخَصُّ وأقْرَبُ، وإِنَّما طَلَبْتُ حَقّاً لِي[٥]، وأَنْتُمْ تَحُولُونَ[٦] بَيْنِي وبَيْنَهُ، وتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَعْتُهُ[٧] بالْحُجَّةِ في اَلْمَلإِ[٨] الحَاضِرِينَ هَبَّ[٩] لا يَدْرِي[١٠] ما يُجِيبُني بِهِ[١١].

اللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَعِدُكَ[١٢] على قُرَيْش ومَنْ أَعَانَهُمْ، فإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي[١٣]، وصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتي[١٤]، وأجْمَعُوا على مُنَازَعَتي أمْراً هُوَ لِي، ثُمَّ قالُوا: أَلاَ إنَّ في اَلْحَقِّ[١٥] أَنْ

---

(١) في ب: يواري، وفي هـ. ب: لا يستر.

(٢) في أ و د: وقال لي قائل، وفي هـ. د: وقد قال لي قائل ـ ص، وقد قال قائل ـ ح ب ل.

(٣) في ب: إنّك يابن أبي طالب على هذا الأمر، وفي هـ. د: انّك يابن أبي طالب على هذا الأمر ـ ش.

(٤) في ط: لأحرص.

(٥) في هـ. ص: قد يقال طلبة الانتصاف من قوم موتى ليس إلّا بمؤاخذة في الآخرة، فهو دعاء بالعذاب.

(٦) تحولون: تمنعون.

(٧) في هـ. ب: قارعته وضاربته وجادلته.

(٨) في هـ. ب: جماعة الاشراف.

(٩) في أ و ص و د: بهت، وفي هـ. ب: أي طفق.

(١٠) في هـ. د: كأنّه بهت لا يدري ـ ص ح ش، هب لا يدري.

(١١) ممّا يجبني به ـ ن.

(١٢) في هـ. ب: استعديت: استعنت، وفي هـ. د: أستعينك ـ ب.

(١٣) في هـ. ص: قطعوا رحمي: إشارة إلى قوله تعالىٰ: ﴿وأُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ الانفال: ٨ / ٧٥.

(١٤) في هـ. ص: صغروا عظيم منزلتي: هي وجوب طاعته ومتابعته في الأقوال والأفعال الشرعية والرجوع إليه عند الاشكال، فقد صار حكمه في ذلك عند غير الشيعة.

(١٥) في هـ. د: الا ان الحق ـ ب.

تَأْخُذَهُ وفي ٱلْحَقِّ أنْ تَتْرَكُهُ[١].

* * *

قال في شرح ابن أبي الحديد: هذا من خطبة يذكر فيهاعليه السلام ما جَرى يوم الشورى بعد مقتل عمر. والذي قال له: «إنّك على هذا الأمر لحريص» سَعْد بن أبي وقّاص، مع روايته فيه: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ»[٢]، وهذا عجب؛ فقال لهم: بل أنتم والله أحرصُ وأبعد... الكلام المذكور. وقد رواه الناس كافّة.

وقالت الإماميّة: هذا الكلام يوم السقيفة، والذي قال له: إنّك على هذا الأمر لحريص، أبو عبيدة بن الجراح؛ والرواية الأُولى أظهر وأشهر انتهىٰ[٣].

قلت: الشارح سمح نفسه بأن ينسب إلى أمير المؤمنينعليه السلام كلّ مقالة شنيعة في أهل الشورى ويقرّر ما ورد عنه في شأنهم على ظاهره ويحمل كلّ صريح من كلامهعليه السلام على أنّه يعنيهم ولا يسمح بذلك في شأن أهل السقيفة، مع أنّ القوم كلّهم صحابة، فليت شعري ما وجه الفرق؟

ثم قال ابن أبي الحديد: «أستعديك» : طلب أن تعدِيَني عليهم وأنْ تنتصف لي منهم.

«قطعوا رحِمي»: لم يرعَوْا قربه من رسول اللهصلى الله عليه وآله.

---

(١) في هـ. ب: المعنى أنّهم قالوا: إنّك تستأهل الإمامة ولكن البيعة سبقت لأبي بكر، وفيه اشارة الى قول النبيصلى الله عليه وآله: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما».

(٢) في هـ. ص: قول النبيّصلى الله عليه وآله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» صريح الدلالة على إمامتهعليه السلام؛ وذلك أنّ المنزلة اسم جنس وقع هنا مضافاً، وفي عمّ كالمعرّف باللام، ويدلّ على إرادة العموم هنا الإستثناء منه، فإذا استثنى منها مرتبة النبوّة بقيت عامّة في المنازل التي لهارون من موسى التي من جملتها: كونه خليفته في غيبته، ومتولّياً في تدبير الأُمور بدلاً عنه، ومتصرّفاً في مصالح العامّة، ورئيساً مفترض الطاعة.
ومعلوم ثبوت هذه لهارون لو عاش بعد موسىٰ؛ إذ لا يصلح موت موسى أن يكون رافعاً لهذه المنازل الثابتة لهارون في حياته.
ألا ترى أنّ من منازل هارون النبوّة، ولا ترتفع بموت موسى قطعاً، وكذلك سائرها وخلف النبوّة المستثناة الإمامة إذ سائر المنازل أحكامهما، والله أعلم.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩ : ٣٠٥.

«وصغّروا عظيم منزلتي» أي: لم يقفوا مع النصوص الواردة فيه.

«وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي» أي: بالأفضلية أنا أحقّ به منهم؛ هكذا ينبغي أن يتأوّل كلامه.

وكذلك قوله: «إنّما أطلب حقّاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه».

قال: «ثم قالوا: ألاَ إنّ في الحقّ أن تأخُذَه، وفي الحقّ أن تتركه»، قال: لم يقتصروا على أخذ حَقّي ساكتين عن الدّعْوى؛ ولكنّهم أخذوه وادّعوا أنّ الحقّ لهم. وأنّه يجبُ عليّ أن أترك المنازعة فيه؛ فليتهم أخذوه معترفين بأنّه حقّي، فكانت المصيبةُ به أخفّ وأهون.

واعلم أنّه قد تواترت الأخبار عنهعليه السلام بنحوٍ من هذا القول، نحو قوله: «ما زلتُ مظلوماً منذ قبضَ الله رسولَه حتى يوم النّاس هذا».

وقوله: «اللّهمَّ أخزِ قريشاً فإنّها منعتْني حقّي، وغصبتْني أمري».

وقوله: «فجزى قريشاً عنّي الجوازي، فإنّهم ظلموني حقّي، واغتصبوني سلطان ابن أُمّي».

وقوله، وقد سمع صارخاً ينادي: أنا مظلوم، فقال: «هلمّ فلنصرُخْ معاً، فإنّي ما زلتُ مظلوماً».

وقوله: «وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحىٰ».

وقوله: «أرى تراثي نهباً».

وقوله: «أصغيا بإنائنا، وحَمَلا الناس على رقابنا».

وقوله: «إنّ لنا حقّاً إن نُعْطَه نأخذه، وإن نمنَعه نركب أعجاز الإبل؛ وإن طال السُّرَى».

وقوله: «مازلت مستَأثراً عليّ، مدفوعاً عمّا أستحقه وأستوجبه».

وأصحابنا يحملون ذلك كلّه على ادّعائه الأمر بالأفضليّة والأحقيّة؛ وهو الحقّ والصواب؛ فإنّ حمله على الاستحقاق بالنصّ تكفيرٌ أو تفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار؛ ولكنّ الإماميّة والزيدية حملوا هذه الأقوال على ظواهرها، وارتكبوا بها مركباً صعباً. ولعمري إنّ هذه الألفاظ مُوهِمةٌ مغلّبة على الظن ما يقوله القوم؛ ولكن تصفّح الأحوال يبطل ذلك الظنّ؛ ويدرأ ذلك الوهم، فوجب أن يجري مجرى الآيات المتشابهات

الموهمة ما لا يجوز على الباري، فإنّه لا نعمل بها، ولا نعوّل على ظواهرها، لأنّا لما تصفّحنا أدلّة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللّفظ، وأن تحمل على التأويلات المذكورة في الكتب، انتهى كلام ابن أبي الحديد[١].

قلت: وحاصل ما ذكره هو أنه على زعمه تعارض فيهم قول أمير المؤمنين عليه السلام القاضي بتأثيمهم وتضليلهم وفعله المقتضي تولّيه لهم فرجّح الفعل على القول وتأوّل القول ليطابق الفعل، هذا قصارىٰ ما أراده.

وهذا الذي ذكره مردود:

أمّا أوّلاً: فإنّا لا نسلّم التعارض، لأنّ الفعل لايدلّ حتى يعرف وجهه، فلا نسلّم كون أفعال أمير المؤمنين في معاملتهم موالاة، بل هي لوجوه اُخر قريبة نخرج عن المقصود بذكرها.

وقد كان الحسنان عليهما السلام وابن عبّاس وبقية خيار الصحابة يعاملون معاوية نحو تلك المعاملة، أفيحمل ذلك منهم على موالاته وتصويبه.

وأمّا ثانياً: فإنّا إن سلّمنا التعارض فإنّه عنده تحمل الأفعال على الأقوال لا العكس؛ لأنّ الأقوال أقوى في باب الدلالة ـ كما هو مقرّر في موضعه من كتب اُصول الفقه ـ

وأمّا ثالثاً: فإنّ كلام أمير المؤمنين صريح فيما دلّ عليه، والتأويل إنّما يكون للظاهر لا الصريح.

وأمّا رابعاً: فإنّ الأمر الذي يحيص عنه هو وأصحابه ـ وهو كون أمير المؤمنين عليه السلام منصوصاً عليه ـ قد أجمع عليه أهل البيت عليهم السلام، لا يختلفون فيه، وما أجمعوا عليه فهو حق، ﴿فماذا بعد الحق إلّا الضلال﴾[٢]، والله أعلم.

ثم قال ابن أبي الحديد: وحدّثني يحيى بن سعيد بن علي الحنبلي المعروف بابن عالية، من ساكني قطفتا[٣] بالجانب الغربيّ من بغداد، وأحد الشهود المعدّلين بها، قال: كنت

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٠٧. (٢) الاعراف: ٧ / ٦٠.

(٣) قطفتا، بالفتح ثم الضم والفاء ساكنة وتاء مثناة والقصر: محلة بالجانب الغربي من بغداد، بينها وبين دجلة أقل من ميل (مراصد الاطلاع).

حاضر الفخر إسماعيل ابن عليّ الحنبليّ الفقيه المعروف بغلام ابن المنى، وكان الفخر إسماعيل بن علي هذا، مقدّم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف؛ ويشتغل بشيء في علم المنطق، وكانَ حُلْوَ العبارة، وقد رأيته أنا وحضرت عنده، وسمعت كلامه، وتوفي سنة عشر وستمائة.

قال ابن عالية: ونحن عنده نتحدّث؛ إذ دخل شخص من الحنابلة، قد كان له دَيْن على بعض أهل الكوفة، فانحدر إليه يطالبه به، واتفق أن حضرت زيارة يوم الغدير، والحنبليّ المذكور بالكوفة؛ وهذه الزيارة هي اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جُموعٌ عظيمة؛ تتجاوز حدّ الإحصاء.

قال ابن عالية: فجعل الشيخ الفخر يسائل ذلك الشخص: مافعلت؟ ما رأيت؟ هل وصل مالك إليك؟ هل بقيَ لك منه بقية عند غريمك؟ وذلك يجاوبه؛ حتى قال له: يا سيّدي لو شاهدتَ يوم الزيارة يوم الغدير، وما يجري عند قبر علي بن أبي طالب من الفضائح والأقوال الشنيعة وسبّ الصحابة جِهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة! فقال إسماعيل: أيّ ذنب لهم! والله ما جرّأهم على ذلك، ولا فَتح لهم هذا الباب إلّا صاحب ذلك القبر! فقال ذلك الشخص: ومَنْ صاحب القبر؟ قال: علي بن أبي طالب! قال: ياسيّدي، هو الذي سنّ لهم ذلك، وعلّمهم إيّاه وطرّقهم إليه؟! قال: نعم والله، قال: يا سيّدي فإن كان محقّاً فمالنا أن نتولّى فلاناً وفلاناً! وإن كان مبطلاً فمالنا نتولاه! ينبغي أن نبرأ إمّا منه أو منهما.

قال ابن عالية: فقام إسماعيل مسرعاً، فلبس نعليْه، وقال: لعن الله إسماعيل الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة، ودخل دار حرمه، وقمنا نحن وانصرفنا، انتهى من الشرح[1].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩ : ٣٠٨.

[تتمة الخطبة ١٧٢]

وَمنْها في ذِكْرِ أصْحابِ الجَمَلِ:

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ آللهِ صلّى آللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ[١] كَما تَجُرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إلَى الْبَصْرَةِ. فَحَبَسا نِساءَهُما فِي بُيُوتِهِما، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ آللهِ صَلَّى آللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢] لَهُما وَلِغَيْرِهِما؛ فِي جَيْشٍ ما مِنْهُمْ[٣] رَجُلٌ إلّا وَقَدْ أَعْطانِي الطّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ؛ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ؛ فَقَدِمُوا[٤] عَلَى عامِلِي بِهَا[٥]، وَخُزّانِ بَيْتِ مالِ المُسْلِمينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِها[٦]. فَقَتَلُوا طائِفَةً صَبْراً[٧]، وَطائِفَةً غَدْراً.

فوآللهِ إنْ[٨] لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ المُسْلِمين إلّا رَجُلاً واحِداً مُعْتَمِدِينَ[٩] لِقَتْلِهِ، بِلاَ جُرْمٍ جَرَّهُ[١٠]، لَحلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الجَيْشِ كُلِّهِ؛ إذْ حَضَرُوهُ[١١] فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسانٍ وَلاَ يد[١٢]، دَعْ ما إنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتي دَخَلُوا بهَا عَلَيْهِمْ!

* * *

قال ابن أبي الحديد: وصدق عليه السلام، فإنّهم قتلوا من أوليائه وخُزّان بيت المال بالبَصْرة خلقاً كثيراً؛ بعضهم غدراً، وبعضهم صبراً، كما خطب به عليه السلام[١٣].

---

(١) في هـ. ب: يعني زوجته عائشة، قال الله تعالىٰ ﴿وقَرْن في بيوتكنّ﴾ الاحزاب: ٣٣ / ٣٣، وقد أخرجاها لأجل أنفسهما، أي: طلحة والزبير، ولأجل فتنة هيّجاها.

(٢) في هـ. ب: زوجة.

(٣) في هـ. ب: ليس منهم.

(٤) في هـ. ب: يعني جيش طلحة والزبير.

(٥) في هـ. ب: بالبصرة.

(٦) في هـ. ب: أهل البصرة.

(٧) في هـ. ب: أي اسيرا مغلولين بين الناس.

(٨) لم ترد «ان» في أ و ص.

في هـ. ب: روي بكسر الهمزة وفتحها، والكسر هو الصواب و «إنّ» مخففة من المثقّلة، أي: والله إنّ الأمر والشأن لو لم يقتلوا إلّا رجلاً واحداً لحلّ لي قتلهم.

(٩) معتمدين: قاصدين.

(١٠) جرّه: جناه.

(١١) في هـ. ب: أهل البصرة.

(١٢) في ط: بيد، وفي هـ. د: ولا بيد ـ ض ب.

(١٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣١٠.

وقال ابن أبي الحديد: وقال أبو مخنف وذكر حديثاً طويلاً يتضمّن ذكر ما جرى بين عثمان بن حنيف رضي الله عنه ـ عامل علي عليه السلام على البصرة ـ، وطلحة والزبير وعائشة لمّا قدموا عليه بها، وذكر فيه إنّهم تحاربوا ثم تصالحوا حتى يقدم عليّ عليه السلام، وكتبوا بذلك كتاباً.

ثم إنّ طلحة والزبير غدرا بعثمان بن حنيف ونكثا العهد وأسرا عثمان وأصحابه الذين يقال لهم «السبابجة» وهم خزّان بيت المال بها، والسابجة: جمع سبجي، لفظةٌ معرّبة، قال في الصحاح : هم قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة: هم الشرط وحرّاس السجن، والتاء للعجمة والنسبة، وهي بسين مهملة ثم ياء مثنّاة من تحت، ثم باء موحّدة ثم جيم [١].

قال: فلما أسر ضُرِبَ ضرب الموت، ونتف حاجباه وأشفار عينيه، وكلّ شعرة في رأسه ووجهه، وأخذوا السبابجةَ وهم سبعون رجلاً؛ فانطلقوا بهم وبعثمان ابن حُنيف إلى عائشة، فقالت لأبان بن عثمان: اخرج إليه فاضرب عنقه، فإنّ الأنصار قتلتْ أباك، وأعانت على قتله، فنادى عثمان: يا عائشة، ويا طلحة ، ويا زُبير؛ إنّ أخي سهل ابن حُنيف خليفةُ عليّ بن أبي طالب على المدينة؛ وأقسم بالله إنْ قتلتُموني ليضعَنّ السيفَ في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم؛ فلا يُبقي أحداً منك. فكفُّوا عنه، وخافوا أن يقع سهل بن حُنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة، فتركوه.

وأرسلت عائشة إلى الزبير أن أُقتل السّبابجة، فإنّه قد بلغني الذي صنعوا بك. قال: فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم، ولِيَ ذلك منهم عبدالله ابنه، وهم سبعون رجلاً، وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال. قالوا: لا ندفعُه إليكم حتى يقدَم أمير المؤمنين؛ فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً، فأوقع بهم؛ وأخذ منهم خمسين أسيراً، فقتلهم صَبْراً.

قال أبو مخنف: فحدّثنا الصقعب بن زُهير، قال: كانت السبابجة القتلى يومئذ أربعمائة رجل، قال: فكان غَدْرُ طلحة والزبير بعثمانَ بن حُنيف أوّلَ غدر كان في الإسلام، وكان السبابجة أوّلَ قومٍ ضرِبت أعناقهم من المسلمين صَبْراً. قال: وخَيّروا عثمانَ ابن حُنَيف بَيْن أن يقيم أو يلحق بعليّ، فاختار الرّحيل؛ فخلّوْا سبيله، فلحِق بعليّ عليه السلام، فلما رآه بكى، وقال له: فارقتك شيخاً، وجئتك أمرد، فقال عليّ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! قالها ثلاثاً.

---

(١) الصحاح ٦ : ٣٢١.

قال: فلما بلغ حَكِيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حُنيف، خرج في ثلثمائة من عَبْد القيس مخالفاً لهم ومنابذاً؛ فخرجوا إليه، وحملوا عائشة على جَمَلٍ؛ فسمّي ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر، ويوم عليّ يوم الجمل الأكبر.

وتجالدَ الفريقان بالسُّيوف، فشدّ رجل من الأزد من عسكر عائشة على حكيم بن جبلة، فضرب رجله فقطعها، ووقع الأزديّ عن فرسه، فجثا حكيم، فأخذ رجله فرمى بها الأزديّ، فصرعه، ثم دبّ إليه فقتله متكئاً عليه، خانقاً له حتى زهقت نفسه، فمر بحكيم إنسان وهو يجود بنفسه، فقال: مَنْ فعل بك؟ قال: وسادتي، فنظر فإذا الأزديّ تحته، وكان حكيم شجاعاً مذكوراً.

قال: وقتل مع حكيم إخوة له ثلاثة، وقتل أصحابه كلُّهم، وهم ثلاثمائة من عبد القيس، والقليل منهم من بكر بن وائل[1].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣١١ ـ ٣٢٠ (بتلخيص الشارح).

[١٧٣]

ومن خطبة له عليه السلام:

أمِينُ[١] وَحْيِهِ، وخاتَمُ رُسلِه، وبَشيرُ رَحْمَتِهِ، ونَذِيرُ نِقْمَتِهِ.

أيُّها النّاسُ إنَّ أحَقَّ ٱلنَّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ أقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وأعْلَمُهُمْ[٢] بأمْرِ ٱللهِ فيهِ، فإنْ شَغَبَ[٣] شاغِبٌ ٱسْتُعْتِبَ[٤]، فإنْ أبَى قُوتِلَ، ولَعَمْرِي لَئِنْ كانَتِ الإمامَةُ لا تَنْعَقِدُ حَتَّى تَحْضُرَها عامَّةُ النَّاس فما[٥] إلى ذَلِكَ سَبِيلٌ، ولكِنْ أهْلُها يَحْكُمُونَ على مَنْ غابَ عَنها، ثُمَّ لَيْسَ لِلشّاهِدِ أنْ يَرْجِعَ، ولا لِلْغائِبِ أنْ يَخْتارَ.

ألا وإنِّي أُقاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ٱدَّعَى ما لَيْسَ لَهُ[٦]، وآخَرَ مَنَعَ ٱلَّذِي عليْهِ[٧].

أُوصِيكُمْ[٨] عِبادَ ٱللهِ[٩] بِتَقْوَى ٱللهِ، فإنّها خيرُ ما تَوَاصَى الْعِبادُ بِهِ، وخيرُ عَوَاقِبِ الأمُورِ عِنْدَ اللهِ، وقدْ فُتِحَ بابُ الحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبينَ أهْلِ الْقِبْلَةِ[١٠]، ولا يَحْمِلُ[١١] هَذَا العَلَمَ[١٢] إلَّا أهْلُ الْبَصَرِ والصَّبْرِ[١٣] والْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ[١٤]، فامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بهِ، وقِفُوا عِنْدَما[١٥] تُنْهَوْنَ عنْهُ، ولا تَعْجَلوا في أمْرٍ حَتّى تَتَبَيَّنُوا؛ فإنَّ لَنا مَعَ كُلِّ أمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً[١٦].

---

(١) في هـ. ب: الذي يؤمن منه.

(٢) في ب و ص: أعملهم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: أعلمهم، وفي هـ. ب: واعملهم ـ ش.

(٣) الشغب: تهييج الفساد، وفي هـ. ب: شاغب: غالب. الشغب: المسترخي الشنيع.

(٤) أي طلب منه الرضا بالحقّ، وفي هـ. ب: استرضي.

(٥) في هـ. د: مالي الى ـ ن ف.

(٦) في هـ. ب: معاوية.

(٧) في هـ. ب: طلحة والزبير.

(٨) في ط زيادة: عباد الله.

(٩) في د زيادة: عباد الله، وفي هـ. د: أوصيكم بتقوى الله ـ ش.

(١٠) أي من يصلّي الى القبلة.

(١١) في هـ. د: وروي ولا يحملن هذا العلم ـ ر.

(١٢) في ب: العلم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: زيادة: والعَلَم. وفي ص: كتب على «العلم»: نسخة.

(١٣) أي ليس حملنا لهذا العلم عن جهل أو غفلة عن أحكام الله.

(١٤) في أ زيادة: له.

(١٥) في ص: عمّا.

(١٦) في هـ. ب، وفي نسخة: عِبَراً، وفي هـ. ب: غيراً، أي: تغيّراً، وفي هـ. د: في حاشية ش: عبراً.

ألاَ، وإنَّ هذِهِ الدُّنْيا التي أصْبَحتمْ تَـتَمَنَّوْنَها وتَـرْغَبُونَ فِـيها، وأصْـبَحَتْ تُـغْضِبُكُمْ وتُرْضِيكُمْ، لَيْسَتْ بِدارِكُمْ، ولا مَنْزِلِكُمْ الذي خُلِقْتُمْ لَهُ، ولا الَّذِي دُعِيتمْ إليْه.

ألاَ، وإنَّها لَيْسَتْ بِباقِيَةٍ لَكُمْ، ولا تَبْقَوْنَ عليْها، وهيَ وإنْ غَرَّتْكُمْ منها، فقدْ حَـذَّرَتْكُمْ شَرَّها، فَدَعُوا غُرُورَها لِتَحْذِيرِها، وإطْماعَها لِتَخْوِيفِها، وسابِقُوا فِيها إلى الدَّارِ التي دُعِيتُمْ إلَيْها، وانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْها، ولا يَخْنِن[1] أحَدُكُمْ خَنِينَ الأَمَةِ على ما زُوِيَ[2] عنْهُ مِنْها، واسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ الله عليْكُمْ بالصَّبْرِ على طَاعَةِ الله، والمُحافَظَةِ على مَا اسْـتَحْفَظَكُمْ مِـنْ كِتابِهِ.

ألاَ، وإنَّهُ لا يَضُرُّكُم[3] تَضْيِيعُ شيءٍ منْ دُنْياكُمْ بعْدَ حِفْظِكُمْ قائِمةَ دِينِكُمْ، ألاَ وإنَّهُ لا يَنفعكُم بعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شيءٌ حافَظْتُمْ عليهِ منْ أمْرِ دُنْياكُمْ، أخَذَ الله بِقُلُوبِنا وقُلُوبِكُمْ إلى الحَقِّ، وألْهَمَنا وإيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

* * *

قوله عليه السلام: «**أيّها الناس...**»:

فيه دليل على اعتبار الأفضلية في الإمامة لقوله تعالىٰ: ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتبع...﴾[4].

وقوله عليه السلام: «**فإن شغب شاغب**»:

تعقيب هذا لما قبله دليل على أنّ الإمامة تثبت للشخص باستكماله لشرائطها؛ لأنّه فرّعه على الأحقيّة، والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «**ولكن أهلها يحكمون...**»:

مصدر كلامه عليه السلام ومغزاه الردّ على من كان يزعم أنّ إمامته عليه السلام غير لازمة له؛ لأنّه لم يحضر عقد البيعة فقال في الرد عليه ـ على وجه التسليم الجدلي ـ: هبوا أنّ طريق

---

(١) في ص: لا يحنن. وفي هـ. ص: لا يخنن، وفي هـ. ب: ولا يحِنَّنَّ، والحنين والخنين واحد، ولا يخنن بالحاء. ولا تخنن ـ بالخاء المعجمة ـ كالبكاء في الأنف، والخنّة: كالغنة، وفي هـ. أ: الخنين: البكاء في الأنف، وفي هـ. د: الحنين بالحاء المهملة ـ م ب ك ر.

(٢) في هـ. ب: قبض. (٣) في أ: تصبّركم.

(٤) يونس: ١٠ / ٣٥.

الإمامة: العقد والاختيار، فإنّه لا يلزم على هذا القول أن يحضرها جميع من تلزمه أحكامها لأنّ حضور عامّة الناس عقدها محال، ولكن المعتبر عند أهل هذه المقالة: أن يحضرها من يعتبر حضوره، فإذا حكموا بأن فلاناً إمام لزمت إمامته من حضر ومن غاب، أي فهذا هو الذي يعتبره أهل هذه المقالة، وقد حصل ذلك في إمامتي، فما بال حكمه لا يثبت عند من يقول به؟!

أمّا إمامته عليه السلام فهي ثابتة عنده وعند آله بالنص، فلا يقال: إنّ كلامه هذا دليل على نفي النص وعلى كون الاختيار والعقد طريق الإمامة؛ لأنّ المقام مقام جدلي يختار فيه إيراد ما يلتزمه الخصم ويقطع شغبه، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «**فامضوا لما تؤمرون به...**»:

هذا أمر منه عليه السلام بالإنقياد له والتسليم وأن يتّهموا آرائهم على رأيه؛ لأنّ وجوه هذا الأمر غامضة والعلم بحقائقه دقيق لا يعلمه كلّ أحد. وفرض أكثر العلماء فيه تقليد من هو أعلم به منهم.

وربّما يدلّ على تجزّي الإجتهاد وانّ من الناس من يعلم بعض الأحكام ويجهل بعضها، والله أعلم.

قال في الشرح: لم يكن المسلمون قَبْلَ حربِ الجمل يعرفون كيفيّة قتالِ أهلِ القبلة؛ وإنّما تعلّموا فقه ذلك من أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال الشافعيّ: لولا عليّ لما عرِف شيء من أحكام أهل البغي، انتهى من الشرح [١].

قوله عليه السلام: «ألا وان هذه الدنيا...»

وجدت أكثر ألفاظ هذه الخطبة فيما رواه الشيخ أبو جعفر الاسكافي في كتاب المعيار والموازنة [٢]، فلعل الحال الذي قيلت فيه والسبب الذي اقتضاه ما ذكره، أورد فيه ما رقمه: [خطبة أمير المؤمنين عليه السلام لمّا أخبره أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بأن طلحة والزبير التقيا ببني أُميّة ممّن كان منهم بالمدينة، فأجمع رأيهم على نقض بيعتك] [٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٣١.

(٢) المعيار والموازنة: ١٠٩ ـ ١١٤.

(٣) من ط.

وذكروا أن عليّاً عليه السلام لمّا قسّم بينهم بالسويّة، وأعطى الأسود والأحمر عطيّة واحدة، أنكر ذلك من فعله قوم ووجِدوا من ذلك، ومشى بعضهم إلى بعض بالعتب والطعن.

فبلغ ذلك أصحابه من المهاجرين والأنصار، فاجتمع أبو الهيثم بن التَّيهان وخزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين، وعمّار بن ياسر، ورفاعة بن رافع، وأبو حيَّة وخالد بن زيد وسهل بن حنيف، فتشاوروا، فاجتمع رأيهم على أن يركبوا إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ويخبروه أن طلحة والزبير ومن كان من بني أُميَّة بالحجاز قد اجتمع رأيهم واشتملت[1] عداوتهم، وهم مصرّون على أمر لا نأمنهم عليه.

فركبوا إلى عليّ بن أبي طالب، فقالوا: يا أمير المؤمنين أُنظر في أمرك، وعاتب قومك هذا الحيّ من قريش، فإنَّهم قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدك، وقد دَعَوْنا في السّر إلى رفضك، هداك الله لرشدك؛ وذلك لأنَّهم فقدوا الأثرة، وكرهوا الأُسوة، فلما آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا، واستشاروا عدوّك، فاجتمع رأيهم على أن يطلبوا بدم عثمان. فرقة للجماعة، وائتلافاً لأهل الجهالة! فرأيك.

فأقبل عليّ راكباً بغلة رسول الله الشهباء، فدخل المسجد، فركب المنبر مغضباً، وعليه عمامة خزّ سوداء، مرتدياً بطاق مؤتزراً ببرد قطري، متوشّحاً سيفاً، متوكّئاً على قوس، فقال:

أمّا بعد أيّها الناس، فإنَّا نحمد الله ربَّنا وإلهنا ووليّ النعمة علينا، الذي أصبحت نِعَمه علينا ظاهرة وباطنة. بغير حولٍ منّا ولا قوّة إلَّا امتناناً علينا، وفضلاً ليبلونا أنشْكُر أم نكفر. فمن شكر زاده ومن كفر عذَّبه.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له أحداً صمداً.

وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، بعثه رحمة للعباد والبلاد والبهائم والأنعام، نعمة أنعم به علينا ومنّاً وفضلاً صلّى الله عليه وآله وسلّم.

فأفضل الناس ـ أيُّها الناس ـ عند الله منزلة، وأعظمهم شرفاً، وأقربهم من رسول الله

(١) في هـ. ص، وفي نسخة: استكملت.

قرباً، وأعظمهم عند الله خطراً أطوعهم لأمر الله، وأعلمهم بطاعة الله، أعملهم وأتبعهم لسُنَّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأحياهم لكتاب الله، فليس لأحد ممّن خلق الله عندنا فضل إلّا بطاعة الله وطاعة رسوله واتّباع كتابه وسنَّة نبيّه عليْه السَّلام.

هذا كتاب الله بين أظهركم، وعهد نبيّ الله وسيرته فينا لا يجهلها إلَّا جاهل معاند عن الحقّ، يقول الله في كتابه: ﴿يا أيُّها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأُنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتَعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[١] فمن اتّقى فهو الشريف المكرَّم المحبّ. وكذلك أهل طاعة الله وطاعة رسوله، لقول الله في كتابه: ﴿إن كنتم تحبّون الله فاتَّبعوني يحببكم الله﴾[٢].

ويقول: ﴿أَطِيعُوا ٱللّهَ والرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فإنّ الله لا يُحِبّ الكافرين﴾[٣].

ثم صاح بأعلى صوته: يا معشر المهاجرين، يا معشر الأنصار، يا معشر المسلمين أتمنّون على الله ورسوله بإسلامكم؟ ولله ولرسوله المنَّ عليكم إن كنتم صادقين.

ثمَّ نادى: ألا إنَّه من استقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، وشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له. وأنَّ محمّداً عبده ورسوله، أجرينا عليه أحكام القرآن، وأقسام الإسلام ليس لأحد على أحد فضل إلَّا بتقوى الله وطاعته، جعلَنا الله وإيّاكم من المتَّقين، وأوليائه وأحبائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ثم قال: ألا، إنَّ هذه الدنيا التي أصبحتم تطلبونها، وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم، ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له، ولا الذي دعيتم إليه.

ألا، وإنَّها ليست بباقية لكم، ولا تبقون عليها، فلا تغرَّنَّكم، فقد حذّرتموها، ووصفت لكم وجرَّبتموها، فأصبحتم لا تحمدون عواقبها.

فسابقوا إلى منازلكم التي أُمرتم أن تعمّروها، فهي العامرة التي لا تخرب أبداً والباقية التي لا تنفد، وهي التي رغَّبكم الله فيها، ودعاكم إليها، وجعل لكم الثواب فيها.

فانظروا يا معشر المهاجرين والأنصار وأهل دين الله ما وصفتم به في كتاب الله ونزلتم

---

(١) الحجرات: ٤٩ / ١٣.
(٢) آل عمران: ٣ / ٣١.
(٣) آل عمران: ٣ / ٣٢.

به عند رسول الله، وجاهدتم عليه، فبم فضّلتم؟ أبحسب أو نسب؟ أو بعمل وطاعة؟ فاستتمّوا نِعَم الله عليكم يرحمكم الله بالصبر لأنفسكم على طاعة الله، والذلّ لحكم الله، والمسارعة في رضوان الله، والمحافظة على ما استحفظكم الله من كتابه.

ألا، وإنّه لا يضرّكم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم وصيّة رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم.

ألا، ولا ينفعكم شيء حافظتم عليه من دنياكم بعد تضييع ما أُمرتم به من التقوىٰ.

عليكم عباد الله بتقوى الله، والتسليم لأمره، والرضا بقضائه والصبر على بلائه.

وأمّا هذا الفيء، فليس لأحد على أحد فيه أثرة، قد فرغ الله من قسمه، فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون.

وهذا كتاب الله به أقررنا، وعليه شهدنا وله أسلمنا، وعهد نبيّنا عليه السلام بين أظهرنا.

فسلّموا رحمكم الله لأمر الله، فمن لم يرض بهذا فليتبوّأ حيث شاء وكيف شاء، فإنَّ العامل بطاعة الله، والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه، أولئك حزب الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأولئك هم المفلحون...

نسأل الله ربّنا وإلٰهنا أن يجعلنا وإيّاكم من أهل طاعته، وأن يجعل رغبتنا ورغبتكم فيما عنده، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.

ثم نزل عن المنبر وصلّى ركعتين، وبعث بعمّار إلى طلحة والزبير وهما في ناحية من المسجد، فقاما فجلسا إليه، فقال لهما[١]:

أنشدكما الله، هل جئتماني تبايعاني طائعين، ودعوتماني إليها وأنا كاره؟ قالا: اللّهمَّ نعم. قال: غير مجبورين ولا مقسورين فأسلمتما لي بيعتكما، وأعطيتماني عهدكما؟ قالا: اللّهمَّ نعم. فقال عليّ: الحمد لله ربّ العالمين على ذلك.

ثمَّ قال لهما: فما عدا ممّا بدا[٢]؟ قالا: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقطع الأمر دوننا وأن تستشيرنا في الأُمور، ولا تستبدّ بها عنّا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت! فأنت

---

(١) كذا في ط وفي ص: فقال علي بن أبي طالب.

(٢) في ص: فما عدا كما بعد.

تقسم القسوم، وتقطع الأمور، وتمضي الأحكام بغير مشاورتنا، ولا رأينا ولا علمنا.

فقال عليّ عليه السلام: لقد نقمتما يسيراً، وأرجئتما كثيراً، استغفر الله لي ولكم.

ثم قال: ألا تخبراني أي شيء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه؟ أم بأي قسم استأثرت عليكما؟ قالا: معاذ الله. قال: فأيّ حق رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أو جهلته، أو حكم أخطأت فيه[1]؟ قالا: اللّهمّ لا.

قال: فأي أمر دعوتماني إليه من أمر عامّة المسلمين فقصّرت عنه وخالفتكما فيه؟ قالا: اللّهمّ لا.

قال: فما الذي كرهتما من أمري. ونقمتما من تأميري، ورأيتما من خلافي؟ قالا: خلافك عمر بن الخطاب وأئمتنا وحقّنا في الفيء، جعلت حقّنا في الإسلام كحقّ غيرنا، وسوّيت بيننا وبين من أفاء الله به علينا بسيوفنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا وظهرت عليه دعوتنا. وأخذناه قسراً [ممن][2] لم يأتوا الإسلام إلاّ كرهاً.

فقال عليّ رحمة الله عليه: الله أكبر، الله أكبر، اللّهمّ إني أشهدك عليهما، وأُشهد من حضر مجلسي هذا اليوم عليهما.

ثمّ قال: أمّا ما احتججتما به عليّ من أمر الإستشارة فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة. ولا لي فيها محبّة[3] ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها وأنا كاره فخفت أن تختلفوا وان أردّكم عن جماعتكم.

فلمّا أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمر بالحكم به[4] وما قسم واستنّ

(١) كذا في الأصل، وفي المختار: (٢٠٣) من نهج البلاغة: «ألا تخبراني أيّ شيء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه؟ وأيّ قسم استأثرت عليكما به؟ أم أيّ حق رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أو جهلته؟ أم أخطأت بابه» وهو أظهر.

(٢) من ط.

(٣) كذا في الأصل. وفي المختار (٢٠٣) من نهج البلاغة: «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة».

(٤) وفي النهج: «نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتّبعته، وما استسنّ النبيّ صلى الله عليه وآله فاقتديته».

النبيّ ﷺ فأمضيته واتّبعته، فلم أحتج إلى رأيكما ولا دخولكما معي ولا غيركما، ولم يقع حقّ جهلته فأثق برأيكما فيه وأستشيركما وإخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما إذا كان أمر ليس في كتاب الله بيانه وبرهانه، ولم يكن فيه سنّة من نبيّنا ﷺ ولم يمض فيه أحكام من إخواننا ممّن يقتدى برأيه ويرضى بحكمه.

وأمّا ما ذكرتما من الأسوة. فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه ولم أقسمه. قد وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله ﷺ قسماً قد فُرغ منه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فلم أحتج اليكما فيما فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه.

وأمّا قولكم: جعلت لهم فيئنا وما أفاءت رماحنا وسيوفنا، فقديما ما سبق إلى الإسلام قوم لم يضرّهم في شيء من الأحكام إذا استؤثر عليهم، ولم يضرّهم حين استجابوا لربّهم والله موفّيهم يوم القيامة أعمالهم. ألا وإنّا مُجرون عليهم أقسامهم فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتب[1].

أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ وألهمنا وإيّاكم الصبر..

ثم قال: رحم الله رجلاً رأى حقّاً فأعان عليه. أو رأى جوراً فردّه. وكان عوناً للحقّ على صاحبه، انتهى[2].

هذا الكلام قد فرّقه الرضي ؓ في مواضع.

---

(١) وفي نهج البلاغة: عتبى بالمقصورة. (٢) كتاب المعيار والموازنة : ١٠٩ ـ ١١٤ .

[١٧٤]

ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله:

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالحَرْبِ[١]، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ؛ وَأَنَا عَلَى مَا وَعَدَنِي[٢] رَبِّي مِنَ النَّصْرِ؛ وَٱللهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً[٣] لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمانَ إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ[٤] بِدَمِهِ؛ لأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ[٥]؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ[٦]، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ[٧] فِيهِ لِيَلْتَبِسَ[٨] ٱلْأَمْرُ، وَيَقَعَ الشَّكُّ.

وَوَاللهِ مَا صَنَعَ[٩] فِي أَمْرِ عُثْمانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاَثٍ[١٠]:

لَئِنْ كَانَ ٱبْنُ عَفَّانَ ظَالِماً ـ كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ـ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ[١١] قَاتِلِيهِ، وَأَنْ يُنَابِذَ[١٢] نَاصِرِيهِ.

وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُنَهْنِهِينَ[١٣] عَنْهُ، وَالمُعَذِّرِينَ[١٤]

---

(١) في هـ. ص: قوله عليه السلام: «قد كنت وما أُهدد بالحرب» قال الرضي الاسترابادي في شرح الكافية أن الواو قد تدخل على الجملة التي هي خبر كان كما تدخل على الجملة الحالية تشبيهاً لها بها كقول عليّ عليه السلام: «قد كنت وما أُهدد بالحرب» وكقول العرب: قد كنت وما يقاد بي البعير، وقد كنت وما أخشى الذئب، هذا حاصل ما ذكره.

(٢) في د: ما قد وعدني وفي هـ. د: ما قد وعدني ـ ب ض.

(٣) في هـ. ب: أي طلحة يجرّد بالسلاح في وجهي، والتجرّد: التعرّي، أي: أظهر مطالبته بدم عثمان.

(٤) في ص: يطلب. وفي هـ. ص، وفي نسخة: يطالب.

(٥) في هـ. ب: موضعه.

(٦) في ب: أحرص منه عليه، وفي هـ. د: أحرص منه عليه ـ ش.

(٧) في هـ. ب: جمع.

(٨) في ب: ليلبس، وفي هـ. ب، وفي نسخة: ليلبّس وليلتبس، وفي هـ. د: ليلبس ـ ح وحاشية ش.

(٩) في هـ. ب: طلحة.

(١٠) في هـ. ب: أي حادثة واحدة.

(١١) في هـ. ب: يعاون.

(١٢) في أ و د: أو ينابذ، هـ. ب: أي: يحارب، في هـ. د: وان ينابذ ـ ض ح ل ش، أو أن ينابذ ـ ب.

(١٣) في هـ. ب: الذي يكف الغير عن شيء ويزجره.

(١٤) في هـ. ب: المعذرين.

فِيهِ.

وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ؛ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ، وَيَرْكُدَ[١] جَانِباً، وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ.

فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ؛ وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

* * *

قال في الشرح: كان هاهنا تامّة، والواو واو الحال؛ أي: خُلِقْت ووجدتُ وأنا بهذه الصفة، كما تقول: خلقني الله وأنا شجاع.

ويجوز أن تكون الواو زائدة، وتكون «كان» ناقصة، وخبرها «ما أهدّد»، كما في المثل: «لقد كنت وما أُخَشَّى بالذئب»[٢].

فإن قلت: إذا كانت ناقصة، لزم أن تكون الآن بخلاف ما مضى؛ فيكون الآن يهدَّد ويُرَهَّب.

قلت: لا يلزم ذلك، لأنّ «كان» الناقصة للماضي من حيث هو ماضٍ؛ وليس يشترط في ذلك أن يكون منقطعاً؛ بل قد يكون دائماً، كقوله تعالىٰ: ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾[٣].

ثم ذكر عليه السلام أنه على ما وعده ربّه من النصر، وأنّه واثق بالظَّفَر والغَلبة الآن؛ قوله عليه السلام: «والله ما استعجل متجرّداً...».

شرح حال طلحة، وقال: إنّه تجرّد[٤] للطّلب بدم عثمان، مغالطةً للنّاس، وإيهاماً لهم أنّه بريء من دمه، فيلتبِسُ الأمر، ويقع الشكّ.

وقد كان طلحةُ أجهَد نفسَه في أمرِ عثمان والإجلاب[٥] عليه، والحصْرِ له، والإغراء به، ومنَّتْهُ نفسه الخلافة؛ بل تلبّس بها، وتسلّم بيوت الأموال وأخذ مفاتيحها، وغشيه النّاس[٦]، وأحدقوا به، ولم يبقَ إلّا أن يَصْفِقَ على يده بالخلافة[٧].

---

(١) في هـ. ب، وفي نسخة: ويركب، وفي هـ. ب: يسكن: يلبث.

(٢) مجمع الامثال ٢: ١٨٠.　　(٣) النساء: ١٧.

(٤) يقال: تجرّد للأمر؛ إذا جدَّ فيه وتفرّغ له.

(٥) أجلب عليه، أي: حاول أن يجمع الناس له من كل مكان.

(٦) في ط: وقاتل الناس.

(٧) صفق على يديه بالبيعة صفقاً وصفقة، أي: ضرب يده على يده.

ذكر ما كان من أمر طلحة مع عثمان:

ذكر أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ في كتاب «التاريخ» قال:

حدّثني عمر بن شبّة[١]، عن عليّ بن محمّد، عن عبد ربّه، عن نافع، عن إسماعيل بن أبي خالد[٢]، عن حَكِيم[٣] بن جابر، قال: قال عليّ عليه السلام لطلحة وعثمان محصور: أنشُدك الله إلّا رددتَ الناس عن عثمان! قال: لا، والله حتّى تُعطِيَ بنو أُميّة الحقَّ من أنفسها.

وروى الطبري، قال: قال ابنُ عباس رضي الله عنه: لما حَججْت بالنّاس نيابةً عن عثمان وهو محصور، مررت بعائشة وهي بالصُّلْصُل[٤]، فقالت: يابنَ عباس أنشُدك الله! فإنّك قد أعطيتَ لساناً وعقلاً، أن تُخَذِّل الناسَ عن طلحة: فقد بانت لهم بصائرهم في عثمان فأنهجَت[٥]، ورفعت لهم المنار، وتحلّبوا من البلدان لأمر قد حُمّ؛ وإنّ طلحة ـ فيما بلغني ـ قد اتّخذ رجالاً على بيوت الأموال، وأخذ مفاتيحَ الخزائن، وأظنُّه يسير إن شاء الله بسيرة ابن عمّه أبي بكر، فقال: يا أمّه، لو حدَث بالرّجل حدثٌ ما فزع الناس إلّا إلى صاحبنا، فقالت: إيهاً عنك يابن عبّاس؛ إنّي لستُ أريد مكابرَتك ولا مجادَلتك[٦].

وروى الطبري في التاريخ: أنّ عثمان لما حصر كان عليّ عليه السلام يحير في أمواله فلمّا قدم أرسل إليه عثمان يدعوه، فلما دخل عليه قال له إن لي عليك حقوقاً: حق الإسلام، وحق النسب، وحق مالي عليك من العهد والميثاق، ووالله لو لم يكن من هذا كلّه شيء وكنّا في جاهلية لكان عاراً على بني عبد مناف أن يبترهم إخوتهم ملكهم، يعني طلحة.

---

(١) في ص: عتبة .

(٢) في الأصول: «أبو طالب»، تحريف وصوابه من تاريخ الطبري.

(٣) حكيم بمفتوحة وكسر الكاف؛ كذا ضبط في التقريب.

(٤) صلصل: موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها؛ نزل يوم خرج من المدينة إلى مكة عام الفتح؛ قال عبد الله بن مصعب الزبيري:

أشرف على ظهر القديمة هل ترى ... برقاً سَرَى في عارضٍ متهلّلِ
نصح العقيق فبطنَ طيبةَ موهناً ... ثمّ استمرّ يؤمُّ قَصْدَ الصَّلصلِ

(٥) أنهج الطريق: وضح.

(٦) تاريخ الطبري ١: ٣٠٤٠(طبع أوربا).

فقال عليّ عليه السلام: سيأتيك الخبر، ثم قام فدخل المسجد فرأى أُسامة بن زيد جالساً فدعاه واعتمد على يده وخرج يمشي إلى طلحة فدخل عليه داره، وهي دحاسٌ من الناس فقام عليه. فقال: يا طلحة، ماهذا الأمر الذي وقعت فيه؟

فقال: يا أبا الحسن أبعدَ أن مسَّ الحزام الطبّيين.

فانصرف علي عليه السلام ولم يحر إليه شيئاً حتى أتى بيت المال فنادى: افتحوا هذا الباب. فلم يقدروا على فتحه، فقال: اكسروه. فكسر، فقال: اخرجوا هذا المال. فجعلوا يخرجونه وهو يعطي الناس، وبلغ الذين في دار طلحة ما صنع علي فجعلوا يتسلّلون إليه حتّى بقي طلحة وحده وبلغ الخبر عثمان فَسُرّ بذلك وأقبل طلحة عامداً إلى دار عثمان فاستأذن عليه، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين استغفر الله وأتوب إليه، ولقد رمت أمراً حال الله بيني وبينه.

فقال عثمان: إنّك ـ والله ـ ما جئت تائباً، ولكن جئت مغلوباً، الله حسيبُك يا طلحة.

وروى المدائنيّ في كتاب «مقتل عثمان» أنّ طلحة منع من دفنه ثلاثة أيّام [وأنّ عليّاً عليه السلام لم يبايع الناس إلّا بعد قتل عثمان بخمسة أيّام][1] وأن حَكِيم بن حزام أحد بني أسد بن عبد العُزّى، وجُبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدا بعليّ[2] عليه السلام على دفنه، فأقعد طلحة لهم في الطّريق ناساً بالحجارة، فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يعرف بحَشّ كَوْكب[3] كانت اليهود تَدْفِنُ فيه موتاهم، فلما صار هناك رَجَم سريره، وهمّوا بطرحه؛ فأرسل عليّ عليه السلام إلى النّاس فعزم عليهم ليكفُّوا عنه، فكفُّوا، فانطلقوا به حتى دفنوه في حَش كوكب ،انتهى من شرح ابن أبي الحديد باختصار[4].

---

(١) من ط .

(٢) العبارة من ط وفي ص هكذا: حتى استنجد حكيم بن حزام وجبير بن مطعم بعلي.

(٣) حش كوكب: موضع عند بقيع الغرقد، ذكره ياقوت، وقال: اشتراه عثمان بن عفان، وزاده في البقيع، ولما قتل ألقي فيه، ثم دفن في جنبه.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٦.

ومن خطبة له ﷺ :

أَيُّهَا الغافلون(١) غَيْرُ المَغْفُول عَنْهمْ، والتَّارِكُونَ، والمَأخُوذُ(٢) مِنْهُمْ.

مالِي أَرَاكُمْ عَنِ اللهِ ذَاهِبين، وَإِلَى غَيْرِه رَاغِبِين! كأَنَّكُمْ نَعمٌ أَرَاحَ(٣) بِها سائِمٌ إِلَى مَرْعىً وَبِيٍّ(٤)، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ(٥)؛ إِنَّما(٦) هي كَالمَعْلُوفَةِ للمُدَى(٧)؛ لَاتَعْرِفُ مَاذا يُـرَادُ بِـهَا! إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسِبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا(٨)، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا.

وَاللهِ لَوْ شِئْتُ أن أُخْبِرَ(٩) كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ ومَوْلِجِهِ وَجَمِيع شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ؛ ولَكِن أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ(١٠) بِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم. أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ(١١) إِلَى الخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ(١٢) ذَلِكَ مِنْهُ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ على الخَلْقِ، ما أَنْطِقُ إِلَّا صادِقاً؛ وَلَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ(١٣) كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمآل هَذَا الأَمْرِ؛ وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ على رَأسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ(١٤) فِي أُذُنَيَّ، وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

---

(١) في ط: أَيُّها الناس وفي هـ. د: أيها الناس ـ ح، وفي هـ. ب: التاركون الغافلون الذين تركوا ما يخبر عليه السلام.

(٢) في هـ. د: والتاركون المأخوذ ـ ض ب.

(٣) في هـ. ب: راح، من الرواح، أراح واستراح بمعنى واحد الإراحة: الاستراحة، إلّا أنّ الاراحة متعدية.

(٤) في هـ. أ: وبيّ ووبيء ـ معاً ـ في هـ. ب: من الوباء الذي يأتي بالوباء: أي ذي وباء.

(٥) في هـ. د: وشرب روي ـ هامش ن، وفي هـ. ب: الشرب الدويّ: الذي يمرض.

(٦) في ط: وانما.

(٧) في هـ. ب: للسكين، وفي هـ. ص: جمع مدية: السكين.

(٨) أي: لا تنظر إلى عواقب أمورها، فلا تعد شيئاً لما بعد يومها.

(٩) في هـ ب في نسخة: أخبّر.

(١٠) في هـ. ب: أن يضيع حقّي الثابت عليكم من رسول الله ﷺ.

(١١) في هـ. ب، وفي نسخة: الّا واني مفضٍ، وفي هـ. ب: يقال: «أفضيت إليه بسرّي: إذا خلوت معه فيه». ومفضيه: موصله، وفي هـ. د: وروي إني مفض ـ هامش ن ر.

(١٢) في هـ. د: نؤمن ـ م ن.

(١٣) في ب: ذلك.

(١٤) في هـ. ب: أي صبّه.

أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنِّي وَٱللهِ ما أَحُثُّكُمْ على طاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْها، وَلَا أَنْهاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَناهَى قَبْلَكُمْ عَنْها.

❊ ❊ ❊

قوله ﷺ: «بمخرجه ومولجه»:

أي: من أين خرج، وكيفية خروجه من منزله، وأين يلج، وكيفيّة ولوجه؛ وجميع شأنه من مطعمه ومشربه، وما عزم عليه من أفعاله، وما أكله، وما ادّخره في بيته، وغير ذلك من شؤونه وأحواله.

وهذا كقولِ المسيح ﷺ: ﴿وأُنبئكم بما تأكلون وما تدَّخرون في بيوتكم﴾[1] انتهى من الشرح [2].

قوله ﷺ: «ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله ﷺ»:

قال في الشرح:

ومع أنّه ﷺ قد كتَم ما علمه حذراً من أن يكفروا فيه برسول الله ﷺ، فقد كفر كثير منهم، وادّعوا فيه النبوّة، وادّعْوا فيه أنّه شريك الرسول في الرسالة، وادعوا فيه أنّه هو الذي بعث محمّداً ﷺ إلى الناس، وادّعَوا فيه الحلول، وادّعْوا فيه الاتحاد؛ ولم يتركوا نوعاً من أنواع الضلال فيه إلّا وقالوه واعتقدوه؛ وقال شاعرهم فيه من أبيات:

وَمَنْ أهلَكَ عاداً و ... ثمودا بدواهيهِ

وَمَنْ كَلَّم مُوسَى فَوْ ... قَ طُورٍ إذْ يُنَادِيهِ

ومن قال على المنـ ... ـبر يوماً وهو راقيهِ

سَلُوني أيّها الناس ... فحاروا في معانيهِ

وقال بعض شعرائهم:

إنّما خالقُ الخلائق مَنْ زَعْـ ... ـزَعَ أركان حصن خيبر جَذْبا

قَدْ رضِينا به إماماً ومولىً ... وسجدْنا له إلٰهاً وربّاً[3]

---

(١) آل عمران: ٣ / ٤٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٤، وجاء في هـ ص هنا ما يلي: الى هنا الجزء الأول، كما وجد في بعض النسخ.

ومن خطبة له عليه السلام:

انْتَفِعُوا بِبَيانِ اللهِ[١]، واتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللهِ، واقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللهِ؛ فإِنَّ اللهَ قدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بالْجَلِيَّةِ[٢]، وأخَذَ[٣] عَليكُمُ الحُجَّةَ، وبَيّن لكُمْ مَحَابَّه[٤] منَ الأَعـمالِ، ومَكـارِهَهُ مِـنْها؛ لِتَتَّبِعُوا هٰذهِ وتَجْتَنِبُوا هذهِ، فإِنّ رَسُولَ الله صلّى اللهُ علَيْهِ وآلِه كـانَ يـقُولُ: «انَّ الجـنَّةُ حجبت[٥] بالْمَكارِهِ، وان النَّار حفّت بالشَّهَوَات».

واعْلَمُوا أَنَّهُ ما مِنْ طاعَةِ الله شَيْءٌ إِلَّا يَأتِي في كُرْهٍ[٦]، وما منْ مَعْصِيَةِ الله شيءٌ إلَّا يأتي في شَهوَةٍ، فَرحم اللهُ امرأً[٧] نَزَعَ عنْ شَهْوَتِهِ[٨]، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِه؛ فإِنَّ هذهِ النَّفْسَ أبْعَدُ شيء مَنْزَعاً[٩]، وإِنَّها لا تَزَالُ تَنْزِعُ[١٠] إِلَى مَعْصِيَةٍ في هَوىً.

واعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ: أَنَّ المُؤمنَ لا يُمسِي ولَا يُصْبِح[١١] إلّا وَنَفْسهُ ظَنُونٌ[١٢] عِنْدَهُ، فَلا

---

(١) أمر عليه السلام أوّلاً بالانتفاع من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسـول وأُولي الأمر منكم) النساء: ٤ / ٥٩. وقوله: (ولو ردُّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر...) النساء: ٤ / ٨٣. ثم أمر ـ ثانياً ـ بمثل: ﴿ان الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ النحل: ١٦ / ٩٠.
وأمر ـ ثالثاً ـ بمثل قوله: ﴿فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك ولا تطغوا﴾ هود: ١١ / ١١٢، ومثل: ﴿تعالوا أتل ما حرَّم ربّكم عليكم ... الى قوله: لعلّكم تعقلون﴾ الانعام: ٦ / ١٥١.

(٢) الاعذار الجلية، وفي هـ. ب : الواضحة. (٣) في ط : واتخذ.

(٤) في هـ. ب : التي أحبّها الله .

(٥) في د: حفّت، وفي هـ. د: حجبت ـ ف ن ل ش .

(٦) في هـ. ب : قهر. (٧) في أ و ج: رجلاً.

(٨) والعبارة في ب هكذا: فنزع رجل عن شهوته. وفي هـ. ب : قهر، وفي هـ. ص: النزع التشوّق والميل. (٩) في هـ. ب : أي : نزاعاً.

(١٠) في هـ. ب : تميل إلى المعصية. (١١) في أ: لا يصبح ولا يمسي .

(١٢) في هـ. ب : فاعل والظنون مبالغة، أي: متهم، لنفس المؤمن ظنون عنده، أي: معهم على كل ما تبدي، وفي هـ. ص: أي متهمة.

يَزَالُ زَارِياً[١] عَلَيْها، ومُستَزِيداً لهَا، فَكُونُوا[٢] كالسَّابِقِين قَـبْلَكُمْ والْـماضِينَ أمـامَكُمْ، قَوِّضُوا[٣] مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وطَوُوْها طَيَّ المَنازِلِ.

واْعْلَموا أنْ هَذا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّـذِي لا يَـغشُّ[٤]، والْـهَادِي الَّـذِي لا يُـضِلُّ، والمُحَدِّثُ الَّذِي لا يَكْذِبُ[٥]، وما جالسَ هَذَا الْقُرْآنَ أحَدٌ إلّا قامَ عَنْهُ بِزِيادَةٍ أوْ نُقْصَانٍ: زِيادَةٌ في هُدىً، أوْ نُقْصَانُ[٦] مِنْ[٧] عَمىً.

واْعْلَمُوا أنَّهُ لَيْسَ على أحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فاقَةٍ[٨]، ولا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِـنْ غِـنىً، فاسْتَشْفُوهُ مِنْ أدْوائِكُمْ، واسْتَعِينُوا بِهِ على لَأوائِكُمْ[٩]، فإنَّ فِيهِ شِفاءً مِنْ أكْبَرِ الدَّاءِ وهُوَ الكُفْرُ والنِّفاقُ والْغَيُّ والضَّلَالُ، فاسْأَلُوا[١٠] اللهَ بِهِ[١١]، وتَوَجَّهُوا إليْهِ بحُبِّهِ، ولا تَسْأَلُوا بِهِ[١٢] خَلْقَهُ، إنَّهُ ما تَوَجَّهَ الْعِبَاد إلى اللهِ بِمِثْلِهِ.

واْعْلَمُوا أنَّهُ شافِعٌ مُشَفَّعٌ[١٣]، وما حِل[١٤] مُصَدِّقٌ، وأنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيامَةِ شُفِّعَ فيهِ، ومَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْم الْقِيامَةِ صُدّقَ عليْهِ، فإنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيامَةِ: «ألا

---

(١) هـ. ب: فلا يزال زارياً، أي عائباً، فإنّه إمّا مقصرٌ أو متعدٍّ، إلّا من عصمه الله.

(٢) في ص: وكونوا.

(٣) في هـ. أ: ارتحلوا، وفي هـ. ب: مفعول محذوف، أي: قوّضوا خيامهم طوعاً ورغبة، مثل من يقوص خيمته من منزل إذا أراد الرحيل، يقال: قوضت البناء أي نقضته من غير هدم، وفي هـ. ص: تقويض الخيام: نقضها وقد لاحظ تشبيه أهل الدنيا بالمسافرين.

(٤) في هـ. ص: الغش ضد النصح.

(٥) في ب: لا يكذّب، وفي هـ. د: لا يكذب من باب التفعيل ـ ش.

(٦) في ب: ونقصان.

(٧) في ب: في، وفي هـ. ب، وفي نسخة: من.

(٨) أي: حاجة إلى هادٍ غيره، وفي هـ. ب: فقر.

(٩) في هـ. ب: شدّة، وفي هـ. ص: هي الشدة.

(١٠) في أ: واسألوا.

(١١) أي: اطلبوا سعادة الدنيا والآخرة باتباعه.

(١٢) في هـ. ب، وفي نسخة: زيادة: من.

(١٣) في د: شافع ومتشفع، وفي هـ. د: شافع مشفع ـ ف ن ش.

(١٤) ومحل: غمز، وفي هـ. ب يقال: محل فلان بفلان: إذا قال فيه قولاً وأوقعه في المكروه، وفي هـ. د: ماحل مصدق ـ ف ن، قائل مصدق ـ ش، وفي هامش ف: وقـائل. وفـي د: وقـائل ومصدق.

إنَّ كُلَّ حارِثٍ[١] مُبْتَلىً في حَرْثِهِ وعاقِبَةِ عَمَلِهِ غيرَ حَرَثَةِ ٱلْقُرْآن» فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وأتْبَاعِهِ، واسْتَدِلُّوهُ على رَبِّكُمْ[٢]، وٱسْتَنْصِحُوهُ[٣] على أنْفُسِكُمْ، وٱتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ[٤]، واسْتَغِشُّوا[٥] فيهِ أهْوَاءَكُمْ[٦].

ٱلعَمَلَ .. العَمَلَ[٧]، ثُمَّ النِّهايةَ.. النِّهايَةَ[٨]، والاِسْتِقامَةَ.. الاِسْتِقامَةَ[٩]، ثُمَّ الصَّبرَ.. الصَّبرَ، والْوَرَعَ.. الْوَرَعَ؛ إنَّ لَكُمْ نَهايةً فانْتَهوا إلى نهَايَتِكُمْ، وإنَّ لكُمْ عَلَماً[١٠] فاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وإنَّ لِلإسْلَامِ غايَةً فانْتَهُوا إلى غايَتِهِ[١١]، وٱخْرُجُوا إلى ٱللهِ بِمَا[١٢] ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ.

أنا شاهِدٌ[١٣] لَكُمْ، وحَجِيجٌ[١٤] يَوْمَ الْقِيامَةِ عَنْكُمْ.

ألا وإنَّ القَدَرَ السَّابِقَ قدْ وَقَعَ، والقَضاءَ المَاضيَ قدْ تَوَرَّدَ[١٥]، وإنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ ٱللهِ وحُجَّتِهِ، قالَ اللهُ تَعالَى[١٦]: ﴿إنَّ الّذين قالوا ربُّنا ٱللهُ ثم ٱستقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنَّة التي كُنتم توعَدون﴾[١٧] وقد قُلْتُمْ رَبُّنا ٱللهُ، فاسْتَقِيمُوا على كتابِهِ، وعلى مِنْهَاجِ أمْرِهِ، وعلى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ منْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لا تَمْرُقُوا[١٨] مِنْهَا، ولا تَبْتَدِعُوا فِيها، ولا تُخَالِفُوا عَنها، فَإنَّ أهْلَ الْمُرُوقِ

---

(١) في هـ. ب: كاسب.
(٢) في هـ. ب: على طاعة ربكم.
(٣) في هـ. ب: اطلبوا النصيحة.
(٤) أي: إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ.
(٥) في ب: واغتشوا: أي ظنوا فيها الغش وارجعوا إلى القرآن، وفي هـ. د: واغتشوا ــ ر ل ش.
(٦) في هـ. ب: اغتشوا، أي: اتخذوا آراؤكم غاشية.
(٧) في هـ. ب: أي الزموها.
(٨) في هـ. ب: ثم اقصدوا الغاية.
(٩) في هـ. ب: إعملوا له.
(١٠) في هـ. ب: اماماً، وفي هـ. ص: انما يعني نفسه ﷺ تمت من الشرح.
(١١) في هـ. ص: هي اداء الواجبات واجتناب المحظورات وأوضح ذلك بقوله: واخرجوا إلى الله.
(١٢) في أ و ب: ممّا.
(١٣) في ط: شهيد، وفي هـ. د: شهيد ــ ن ب.
(١٤) في هـ. ب: أي مخاصم ومجادل.
(١٥) في هـ. ب: أي ورد الحكم الالهي شرعاً ولا حاجة إلى بدعة.
(١٦) في ب: عزّوجلّ وفي ص: جل ذكره.
(١٧) فصّلت: ٤١ / ٣٠.
(١٨) في هـ. ب: أي لا تخرجوا من عبادة الله مروق السهم من الرمية.

مُنْقَطِعٌ[١] بِهِمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ.

ثُمَّ إيّاكُمْ وتَهْزِيعَ[٢] ٱلْأَخْلَاقِ وتَصْرِيفَها[٣]، واجْعَلُوا ٱللِّسَانَ واحِداً، وليَخْتَزِن الرَّجُلُ[٤] لِسَانَهُ، فإنَّ هَذَا ٱللِّسَانَ جَمُوحٌ[٥] بِصَاحِبِهِ، واللهِ ما أرى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوى تَنْفَعُهُ[٦] حَتى يَخْتَزِنَ[٧] لِسانَهُ، وإنَّ[٨] لِسَانَ المُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وإنَّ قَلْبَ المُنافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ، لِأَنَّ المُؤْمِنَ إذا أرادَ أنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ في نَفْسِهِ، فإنْ كانَ خيراً أبْدَاهُ، وإنْ كانَ شَرّاً وَاراه، وإنَّ المُنافِقَ يَتَكَلَّمُ بمَا أتى على لِسانِهِ، لا يَدْري ماذا لهُ وماذا عَلَيْهِ.

وَلَقَدْ[٩] قالَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ: «لا يَسْتَقيمُ إيمَانُ عَبْدٍ حَتى يَسْتَقيمَ قَلْبُهُ، ولا يَسْتَقيمُ قَلْبُهُ حَتّى يسْتَقيمَ لِسانُهُ» فَمَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُمْ أنْ يَلْقَى اللهَ، وهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِماءِ المُسْلِمينَ وأمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَان منْ أعْرَاضِهِمْ[١٠] فَلْيَفْعَلْ.

واعْلَمُوا عِبادَ اللهِ أنَّ المُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ[١١] ما[١٢] اسْتَحَلَّ عاماً أوَّلَ، ويُحَرِّمُ الْعَام ما حَرَّم عاماً أوَّل[١٣]، وإنَّ ما أحْدَثَ النَّاس لا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، ولكِن الحَلَالُ ما أحَلَّ اللهُ، والحَرَامُ ما حَرَّمَ اللهُ، فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وضَرَّسْتُمُوها[١٤]، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كانَ

---

(١) في هـ . ص: بفتح الطاء انقطع يريد بضم الهمزة فهو منقطع به إذا لم يجد بلاغاً ووصولاً الى المقصد، انتهى من الشرح.

(٢) في هـ . ب: اياكم وتهزيع الأخلاق: تغييرها عن محاسنها إلى مساوئها.

(٣) في ب: وتصرفها.

(٤) في ب: اختزن رجل، وفي ط: فليخزن الرجل، وفي هـ . ب: دعاء من الخزانة، وفي هد: ليخزن الرجل ـ ن ب ح ض ل.

(٥) في هـ . ب: الجموح من الفرس: التي تعزّ فارسها وتقلبه، ومن الرجال الذي يركب هواه.

(٦) في ب: ينفعه.

(٧) في ط: يخزن، وفي هـ . د: يخزن ـ ص . ب.

(٨) في أ: فان.

(٩) في أ و ب: وقد، وفي هـ د: لقد ـ ض ح ب.

(١٠) في هـ . ب: عيبهم.

(١١) في هـ . ب في نسخة: السنة.

(١٢) في هـ . ب: الذي.

(١٣) في هـ . ب: يقول :المؤمن لا يستحل شيئاً إلّا بعد العلم بأنّه حلال، أو بنص القرآن أو بنص النبي، ولا يحرّم شيئاً إلّا بعد العلم بأنّه حرام الا بنص وعلم، لا بالقياس فيستحل شيئاً عاماً ويحرّم عام آخر.

(١٤) في هـ . ب: ضرستموها، أي: جربتموها وعضضتموها بالأضراس، وفي هـ . ص: أي: اختبرتموها.

قَبْلَكُمْ وضُرِبَتْ الأَمْثال لكُمْ[١]، ودُعِيتُمْ إلى الْأَمْرِ الوَاضِحِ، فَلَا يصمُّ عَنْ ذَلِكَ إلّا أصَمٌّ[٢]، ولا يَعْمَى عنه[٣] إلَّا أعْمَى، ومَنْ لمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بالْبَلَاءِ والتجارِبِ لمْ يَنْتَفِعْ بشَيْءٍ منَ الْعِظَةِ، وأتَاهُ التقْصيرُ[٤] منْ أمامِهِ[٥]، حتّى يَعْرِفَ ما أنْكرَ ويُنْكِرَ ما عَرَفَ، وانّما[٦] النّاس رَجُلاَنِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، ومُبْتَدِعٌ بِدْعةً ليْسَ معَهُ منَ اللهِ بُرْهانُ سُنَّةٍ، ولا ضِياءُ حُجَّةٍ، وإنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لمْ يَعِظْ أحداً بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ؛ فإنَّهُ حَبْلُ اللهِ المَتينُ، وسَبَبهُ[٧] الأمينُ[٨]، وفيهِ رَبيعُ الْقَلْبِ[٩]، ويَنابِيعُ الْعِلْمِ، وما لِلْقَلْبِ جِلاَءٌ غيرُهُ[١٠]، معَ أنَّهُ[١١] قدْ ذَهَبَ المُتَذَكِّرُونَ[١٢]، وَبَقِيَ ٱلنَّاسُونَ أوِ المُتَناسُونَ[١٣]، فإذا رَأيْتُمْ خَيْراً فأعِينُوا عَليْهِ، وإذا رَأيْتُم شَرّاً فاذْهَبُوا عنهُ، فإنَّ رسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عليْهِ وآلِهِ كانَ يَقُولُ: «ياٱبْنَ آدمَ اعْمَلِ الخيرَ ودَعِ الشَّرَّ فإذاً أنْتَ جَوَادٌ قاصِدٌ»[١٤].

أَلَا وإنَّ الظُّلْمَ ثلاثةٌ: فَظُلْمٌ لا يُغْفَرُ، وظُلْمٌ لا يُتْرَكُ، وظُلْمٌ مَغْفُورٌ لايُطْلَبُ.

فأمَّا الظُّلْمُ الذِي لا يُغْفَرُ: فالشِّرْكُ باللهِ قال اللهُ: (إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ)[١٥].

---

(١) في ط: لكم الأمثال، وفي هـ. د: لكم الأمثال ــ ح ض ب .

(٢) في هـ. ص: أي من هو حقيق أن يقال عنه: إنّه أصم.

(٣) في ص: عنه، وفي هـ. د: عن ذلك ــ ب .

(٤) في ب و ص: النقص، وفي هـ. ب، وفي نسخة: التقصير، وفي هـ. د: النقص ــ ض ش و هامش م، ويروى النقص ــ ع.

(٥) أي كان التقصير بادئاً أمام عينه فيأخذه أخذ عزيز مقتدر، فعند ذلك يعرف ما كان ينكر من الحق وينكر ما كان عرف من الباطل.

(٦) في ط : وان .

(٧) في ب: وسننه، وفي هـ. ب: وسببه.

(٨) في هـ. ص أي يؤمن انقطاعه بمن تعلّق به.

(٩) في هـ. ص: ربيع القلب لأن القلب يحيى به كما يحيى الانعام برعي الربيع وينابيع العلم وذلك لأنّه تتفرع عنه كما يخرج الماء من الينبوع وتتفرع الى الجدول انتهى من الشرح .

(١٠) في هـ. ب: القران جلاء للقلب، بأنه يذهب الشكوى، من جلوت السيف بالصقل، وجلوت البصر بالكحل.

(١١) في ص: على انّه .

(١٢) في هـ. ب: المتعظون.

(١٣) في أ و ص و د: والمقاسون، وفي هـ. د: أو المتناسون ــ ص ب ح ش، وفي هـ. ب: الناسون: الذين انتفى تجدد العذر منهم بعد.

(١٤) في هـ. ب: الفرس المستقيم .

(١٥) النساء: ٤ /٤٨.

وأمَّا الظُّلْمُ الذِي يُغْفَرُ، فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ[١].

وأمَّا الظُّلْمُ الذِي لا يُتْرَكُ، فظُلْمُ العِبادِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً[٢]. اَلْقِصَاصُ هُناكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بالمُدَى[٣]، ولا ضَرْباً بالسِّيَاطِ، ولكِنَّهُ ما يُسْتَصْغَرُ ذلِكَ مَعَهُ.

فإيَّاكُمْ والتَّلَوُّنَ في دِينِ اللهِ[٤]، فانَّ جَماعَةً فِيما تَكْرَهُونَ منَ الحَقِّ خَيرٌ منْ فِرْقَةٍ فِيما تُحِبُّونَ منَ الْبَاطِلِ، وإنَّ[٥] اللهَ سُبْحانَهُ لمْ يُعْطِ أحَداً بِفِرْقَةٍ خيراً مِمَّنْ مَضَى ولا مِمَّنْ بَقِيَ.

يا أيُّها النَّاسُ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وأكلَ قُوتَهُ، واشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ[٦]، وبَكَى على خَطِيئَتِهِ فكانَ[٧] منْ نَفْسِهِ في شُغُلٍ، والنَّاسُ مِنْهُ في رَاحَةٍ.

* * *

قوله عليه السلام: «إنّ الجنّة حفّت بالمكاره»:

رواه ابن أبي الحديد: حجبت، قال: والخبر الذي رواه عليه السلام مرويّ في كتب المحدّثين؛ وهو قول رسول الله: «حُجِبت الجنّة بالمكاره، وحفّت النار بالشهوات»، ومن المحدّثين من يرويه: «حفّت» فيهما، وليس منهم من يرويه: «حُجِبت» في النار؛ وذلك لأنّ لفظ «الحجاب» إنّما يُستَعملُ فيما يرام دخولُه وولوجه لمكان النفع فيه؛ ويقال: حُجِب زيد عن مأدُبة الأمير، ولا يقال: حُجِب زيد عن الحبْس، انتهى[٨].

قوله عليه السلام: «مامن معصية الله شيء إلّا أن يأتي في شهوة»:

وهذا حقّ، لأنّ الإنسانَ ما لم يكن متردّد الدواعي لا يصحّ التكليف؛ وإنّما تتردّد

---

(١) في هـ. ب: الهنات: الأُمور المنكرة ولا تستعمل إلّا في الشر.

(٢) في أ و ن واما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً، قيل: واما الظلم الذي يغفر، وفي هـ. د: العبارة فيها تقديم وتأخير في النسخ.

(٣) في هـ. ب: المدية: الشفرة، والجمع: المدى.

(٤) في هـ. ص: أعلم أنه عليه السلام يشير في كل هذا الكلام إلى الأُمور التي ظهرت بعد ذلك من جماعة من الصحابة ويحذر منها على جهة (اقتصاص) الملاحم وتعريف أسباب الفتنة، والله أعلم.

(٥) في ص: فان.

(٦) في ب: بطاعته، وفي هـ. د: بطاعته ـ ش.

(٧) في ص : وكان.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٧ .

الدواعي إذا أُمِر بما فيه مشقّة، أو نُهِيَ عمّا فيه لذّة ومنفعة.

فإن قلت: أليس قد أمِر الإنسان بالنكاح. وهو لذّة؟ قلت: ما فيه من ضـرر الإنـفاق ومعالجة أخلاق النساء يُرْبِى على اللّذة الحاصلة فيه مراراً، انتهى من الشرح (١).

قلت: نحن قد بيّنا إن فائدة التكليف الابتلاء، ولا يتحصل إلّا من إلزام المكروه ومنع المحبوب، والنكاح سبب في حفظ الفرج وغضّ البصر فأمر به لذلك، كما أمر بأكل ما يقيم البدن ويحفظ القوّة؛ لأنّه سبب للقيام بالواجبات المكروهة، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «واعلموا ان هذا القرآن...»:

قال في كتاب «الأحكام» باب القول في حامل القرآن وفضل قراءته: قال يحيى بن الحسين: بلغنا عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، إنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يأتي القرآن يوم القيامة وله لسان طلق ذلق، قائلاً مـصدّقاً، وشـفيعاً مشـفّعاً، فيقول: يارب جمعني عبدك فلان في جوفه فكان لا يعمل فيّ بطاعتك ولا يجتنب فيّ معصيتك ولا يقيم فيّ حدودك. قال: فيقول: صدقت.

فتكون ظلمة بين عينيه وأُخرى عن يمينه وأُخرى عن شماله وأُخرى من خلفه تنتره هذه وتدفعه هذه حتى تذهب به إلى أسفل درك من النار.

قال: ويأتي فيقول: يارب جمعني فلان عبدك في جوفه فكان يـعمل فـيّ بـطاعتك ويجتنب فيّ معصيتك ويقيم فيّ حدودك، فيقول: صدقت.

فيكون له نوراً يسطع ما بين السماء والأرض حتى يدخل الجنّة فيقال له: إقرأ وارق فلك بكلّ حرف درجة في الجنّة، حتى يساوي النبيين والشهداء كذا ـ وجمع بين المسبحة والوسطىٰ ـ».

قال: وبلغنا عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام إنّه قال: كان رجل من الأنصار يعلّم القرآن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فأتاه رجل ممّن كان يـعلّمه بـفرس، فقال: هذا لك، احملك عليه.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٦.

فأتى النبيّ ﷺ فسأله عن ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: تُحبُّ أن يكون حظّك غداً؟! فقال: لا والله، قال: فارددهُ انتهى الباب.

قوله ﷺ: «ألَا وإنّ القَدَر السابق قد وقع...»:

قال في الشرح: يشير بهذا الى خلافته.

وهذه الخطبة من أوائل الخطب التي خطب بها أيّام بويع بعد قتل عثمان؛ وفي هذا إشارة الى أنّ رسول الله ﷺ قد أخبره أنّ الأمر سيُفضي إليه منتهى عمره، وعند انقضاء أجله، انتهى [١].

وأقول: يحتمل أن القدر والقضاء إشارة إلى الفتنة المعنيّة بقوله تعالىٰ: ﴿ألم أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون...﴾[٢]، بل هو الأظهر بدليل وصل قوله «وإني متكلّم بعدة الله وحجّته» به، والله أعلم.

قوله: «حتى يستقيم لسانه»:

قال ﷺ: المسلم من سلم الناس من لسانه ويده.

وكان يقال: ينبغي للعاقل أن يتمسّك بستّ خِصال، فإنّها من المروءة: أن يحفظَ دينَه، ويصونَ عِرْضَه، ويَصِلَ رحِمه، ويحمِيَ جارَه، ويرعَى حقوقَ إخوانه، ويخزُن عن البَذَاء لسانه.

وفي الخبر المرفوع: «مَنْ كُفِي شرّ قَبْقَبِه وذَبْذَبه، ولَقْلَقِه، دخل الجنّة».

فالقبقب البطن: والذبذب: الفرْج، واللقلق: اللّسان، انتهى من الشرح [٣].

قلت: جاء في الحديث المرفوع: «من كان فيه ثلاث فهو منافق، ومن كان فيه واحدة منها كان فيه خصلة من النفاق؛ من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا سأل ألحف» وهذه من آفات اللسان تزرع النفاق في القلب.

قوله ﷺ: «واعلموا عباد الله إنّ المؤمن يستحل... إلى آخره»:

هذا الكلام من أوضح الأدلّة وأصرحها في بطلان قول من يقول: إنّ كلّ مجتهد مصيب،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٢٦.
(٢) العنكبوت : ١.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٣٠.

وهو أحد المواضع التي قال ابن أبي الحديد: إنّ أمير المؤمنينعليه السلام أشار فيها إلى منع الاجتهاد[1].

ومعنى كلامهعليه السلام إن الحلال والحرام ـ بعد ورود الشريعة ـ هو ما جعله الله حلالاً وما جعله حراماً، فالمتمسّك بالشريعة، الحلال فيها في حقّه حلال أبداً والحرام فيها في حقّه حرام أبداً، لا كما يزعمه المصوّبة: إنّ من اجتهد في شيء فظنّه حلالاً، فإنّه في حقّه حلال قطعاً، وليس لله فيه حكم إلّا ما ظنّه. فإذا اجتهد فيه مرّة أُخرىٰ فظنّه حراماً انتسخ الحكم الأوّل وصار حكم الله عليه فيه أنّه حرام قطعاً وكذلك في العكس، وهو حيث ظنّه أوّلاً حراماً ثم رآه ثانياً حلالاً، فيصير الشيء الواحد ـ عليه ـ بظنه حراماً وحلالاً في نفس الأمر، فقالعليه السلام: إنّ ما أحدث الناس بآرائهم لا يؤثّر في تحليل ما جاءت الشريعة بتحريمه ولا في تحريم ما جاءت الشريعة بتحليله، وإنّ الله قد أحلّ كلّ حلال وحرّم كلّ حرام فعلى كلّ مكلف الاجتهاد والاحتياط والتبصّر في تعرف الحلال والحرام، وأخذ ذلك ممّن جعله الله معرفاً له، وأمّن الناس من الضلال إذا تمسكوا به واتبعوه.

ولا يقصر في ذلك بالاستناد إلى قائل بالحلّ والحرمة من عرض الناس إتّكالاً منه على أنّ كلّ مجتهد مصيب؛ فإنّ ذلك باطل لا تأثير له في الحقائق.

فإن قلت: فما حكم من اجتهد واحتاط وتعرّف الحق من مظانّ وجوده التي أشرت إليها وخالف حكم الله في الحادثة لعارض لُبس [الواقع][2] كما يوجد من الخلاف بين أئمة أهل البيتعليهم السلام ؟!

قلت: حكمه أنّه مخطئ لحكم الله، معذور، لا إثم عليه، مأجور على الاجتهاد في تعرف الحكم من مظانّه، ساقط عنه حكم الله في الحادثة؛ لجري ما ظنّه أنّه حكم الله فيها مجرى البدل من حكم الله الحقيقي في تحصيل فائدة التكليف وهي الإبتلاء والإنقياد الذي هو شكر للمنعم وتعظيم له، والله أعلم.

قال في الكشاف ـ عند تفسير قول الله عزّوجلّ في سورة يونس: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٣١.

(٢) في ص: وقع.

الله لكم من رزقٍ فجعلتم منه حراماً وحلالاً، قل ءالله أذِنَ لكم أم على الله تـفترون﴾[١].

فقال: وكفى بهذه الآية زاجرة زجراً بليغاً عن التجوّز فيما يسأل عنه من الأحكام وباعث على وجوب الاحتياط فيه، وأن لا يقول أحد في شيء أنّه جائز أو غير جائز إلّا بعد اتقان وإيقان، ومن لم يوقن فليتّق الله تعالى وليصمت، وإلّا فهو مفترٍ على الله، انتهى [٢].

قوله عليه السلام: «وأما الظلم الذي يُغْفَر، فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات»:

يريد عليه السلام: إذا كان له من الطاعة ما يكفّره، وهذا هو الراجح عندي في تأويل قـوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[٣].

ولا منع من أن يقع من المكلّف طاعة فيكون لها موقع من تعظيم جلال الله ما يكفِّر الله به عنه ما يعدّ كبيراً من معاصيه ويكون هذا ممّا استأثر الله بعلمه للمصلحة، كما عرّف بعض كبائر الإثم لمصلحة الزجر عنها والتحذير منها، وقصده عليه السلام تخويف ظلم العباد والتحذير منه، فقسّم كلّ الظلم ليصل إلى قصده، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «أيّها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس... إلى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: أمر عليه السلام بـالعزلة، ولزوم البـيت والاشـتغال بـالعبادة، ومجانبة الناس ومتاركتهم واشتغال الإنسان بعيب نفسه عن عيوبهم.

وقد ورد في العزلة أخبار وآثار كثيرة؛ واختلف النّاس قديماً وحديثاً فيها، ففضّلها قوم على المخالطة، وفضّل قوم المخالطة عليها.

فأمّا كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيقتضي عند انعام[٤] النظر فيه أنّ العزلة خيرٌ لقـوم، وأنّ المخالطة خيرٌ لقوم آخرين على حسب أحوال الناس واختلافهم، انتهى[٥].

وأقول أنا: إنّ العزلة أفضل من المخالطة بالنظر إلى أنفسهما لما فيها من التوفّر عـلى العبادة التي هي المراد من خلق الإنسان والسلامة من شرور الناس؛ فإنّ أكثر طـرائـق الناس شرّ، فلا ترجّح المخالطة عليها إلّا لعارض مرجّح كتعلّم العـلم وتـعليمه والقـيام

---

(١) سورة يونس: ١٠ / ١.
(٢) تفسير الكشاف ٢: ٣٥٤.
(٣) النساء: ٤ / ١١٦.
(٤) في ط: امعان.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٣٨.

بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللواتي لا يقمن إلّا بالخلطة.

يوضح ذلك طريقة رسول الله ﷺ قبل البعثة وبعدها، وطريقة أمير المؤمنين قبل البيعة وبعدها وطرائق أئمة أهل البيت عليهم السلام عند معتبرها.

وللسيّد أحمد بن أمير الناصري من علماء الزيديّة الناصرية وفضلائها وزّهادها، وخرج إلى اليمن في زمن الامام علي بن محمّد:

يـانفس إن تـطلبي عـافية	فـلابدّ أن تـلزمي زاويـة
فأكـثر أبـناء هـذا الزمـان	سـباع إذا فـتّشوا ضـارية
أكـفٌّ عـن الخـير محبوسة	وألسـنة بـالخنا بـارية
فـطوبى لمسـتحلس بـيته	قـنوع له بُـلغة كـافية
نـدامـاه دون الورى كـتبه	فـلا إثـم فـيها ولا لاغـية
فـإن ضـاق يـوماً بـها صدره	تـضجّر[1] فـي حـفنة خـافية

روي عن سفيان الثوري قال: سمعت جعفر الصادق يقول: عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن يكن في شيء فيوشك أن يكون في الخمول فإن لم توجد في الخمول فيوشك أن يكون في التخلّي، وليس كالخمول فإن لم تكن في أحدهما فيوشك أن تكون في الصمت، وليس كالتخلي، فان لم توجد في الصمت فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح، والسعيد من وجد في نفسه خلوة، انتهى[2].

---

(١) أحفظُهُ: تصحّر ـ بالمهملات، ما عدى التاء في أوّله ـ ومعناه خرج إلى الصحراء في حفنة من الناس.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٣٨.

[١٧٧]

ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكمين:

فأَجْمَعَ رَأيُ مَلاَئِكُمْ[١] على أن اخْتارُوا رَجُلَيْنِ[٢]، فأَخَذْنا عَلَيهما أنْ يُجَعْجِعَا[٣] عِنْدَ الْقُرْآنِ ولا يُجاوِزَاهُ، وتكُونَ[٤] أَلْسِنَتُهُما معَهُ، وقُلُوبُهُما تَبَعَهُ، فَتاهَا[٥] عنْهُ، وتَرَكَا الحَقَّ وهُما يُبْصِرَانه، وكانَ الجَوْرُ هَوَاهُما، والإِعْوِجَاجُ دَأْبَهُما[٦]، وقدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنا[٧] عَلَيْهِما في الْحُكْمِ بالْعَدْلِ، والْعَمَلِ بالحَقِّ سُوءَ[٨] رَأْيِهِما، وجَوْرَ حُكْمِهِمَا، و[٩]الثقَةُ[١٠] في أَيْدِينَا لأَنْفُسِنا[١١] حِينَ خالَفَا سَبِيلَ الحَقِّ، وأَتَيا بِما لايُعْرَفُ منْ مَعْكُوسِ[١٢] الْحُكْمِ.

---

(١) في د: مَلَئِكُمْ، وفي هـ. ب: الملأ: أشراف القوم.

(٢) في هـ. ب: الرجلان اللذان اختارهما أصحاب علي بصفّين للتحكيم.

(٣) في هـ. ب: الجعجعة: الحبس، وهو ـ في الأصل ـ الموضع العتيق الخشن، وجعجع بهم: أي: أناخ بهم وألزمهم الجعجعة، وفي هـ. ص: ان يحبسا أنفسهما وآراءهما، من الشرح.

(٤) في ب: ويكون.

(٥) في هـ. ب: تحيّرا.

(٦) في ط: رأيهما، وفي هـ. أ، وفي نسخة: رأيهما.

(٧) في هـ. ب، وفي نسخة: استعيافنا.

(٨) في هـ. ب: «استثناء» فاعل، و «سوء» مفعول.

(٩) في هـ. ب: «الواو» للحال.

(١٠) في هـ. د: وروي والبقية ـ ر.

(١١) أي: الحجة في رفض حكمهما في أيدينا، وعبّر عن الحجّة بالثّقة، أي: السبب الموثوق به.

(١٢) في هـ. ب: العكس: ردّك الشيء آخره إلى أوّله.

ومن خطبة له عليه السلام:

لايَشْغَلُهُ[١] شأنٌ[٢]، ولا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ[٣]، ولا يَحْوِيهِ مَكَانٌ[٤]، ولا يَصِفُهُ[٥] لِسَانٌ، لايَعْزُبُ[٦] عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ المَاءِ، ولا نُجُومِ السَّماءِ، ولا سَوَافِي[٧] الرِّيحِ في الهَوَاءِ، ولا دَبِيبِ[٨] النَّمْلِ على الصَّفَا[٩]، ولا مَقِيلُ[١٠] الذَّرِّ في اللَّيْلةِ الظَّلْماءِ، يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الأَوْرَاقِ، وخَفِيَّ طَرْفِ الأَحْدَاقِ[١١].

وَأَشْهَدُ أنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ غيرَ مَعْدُولٍ بِهِ[١٢]، ولا مَشْكُوكٍ فيهِ، ولا مَكْفُورٍ دِينُهُ، ولا مجْحُودٍ تَكْوِينُهُ[١٣]، شَهادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وصَفَتْ دِخْلَتُهُ[١٤]، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ.

وأشْهَدُ أَنَّ مُحمّداً[١٥] عَبْدُهُ، ورَسُولُهُ المُجْتبى[١٦] منْ خَلاَئِقِهِ، والمُعْتَامُ[١٧] لِشَرْحِ

---

(١) في هـ. ص: لا يكون الاشتغال إلّا بإعمال الآلات البدنية من الأفكار والأركان في المفعول، وهذا المعنى محال في حقّه تعالى فلم يحصل في حقّه معنى الشغل ولا يتأتى، والله أعلم.

(٢) في د: لا يشغله شأن عن شأن.

(٣) في هـ. ص: لأنّه ليس بزمانيّ.

(٤) في هـ. ص: لأنّه ليس بجسم ولا عرض.

(٥) في هـ. ص: لأنّ كنه ذاته غير معلوم، وإنّما المعلوم منه إضافات وسلوب، انتهى من الشرح.

(٦) في أ و ص: ولا يعزب. أي: لا يخفى.

(٧) في هـ. ب: السافيات والسوافي: الرياح التي تسفي التراب أي: تذريه.

(٨) أي: حركة النمل. من دبّ: إذا مشى ودرج.

(٩) في هـ. ب: الحجر الأملس.

(١٠) أي محل الاستراحة والمبيت. وفي هـ. ب: مقيل: موضع القيلولة، والذر: صغار النمل.

(١١) الحدقة : العين، وطرفه: الجفن.

(١٢) في هـ. ب: أي: لا يسوّى بالله أحد، عدلت فلانا بفلانٍ: إذا سوّيت بينهما.

(١٣) التكوين : الخلق.

(١٤) في هـ. ب: الدخلة الضمير. والباطن، وفي هـ. ص: بكسر الدال: باطن الأمر ويجوز بالضم، تمت من الشرح.

(١٥) في هـ. ب: صلّى الله عليه وآله.

(١٦) في هـ. ب: المختار.

(١٧) في هـ. ب: المختار، وفي هـ. ص: أي: المختار، والعيمة ـ بالكسر ـ: خيار المال، من الشرح.

حَقائِقِه، وَالْمُخْتَصُّ بِعَقائِلِ[١] كَرامَاتِه، والمُصْطَفَى لِكَرائِمِ[٢] رِسَالاتِه، والمُـوَضَّحَةُ بِـهِ أَشْرَاطُ[٣] الهُدَى، والْمجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ[٤] الْعَمَى.

أَيُّها النَّاسُ: إنَّ الدُّنْيا تَغُرُّ المؤَملَ لَها والْمخْلِدَ[٥] إلَيْها[٦]، ولا تَنْفَسُ[٧] بِمَنْ نافَسَ فِيها[٨]، وتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عليْها، وايْمُ اللهِ[٩] مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ في غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عنهُمْ إلَّا بِذُنُوبٍ اجتَرَحُوها؛ لِأَنّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ للْعَبِيد، ولوْ أَنَّ النّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وتَزُولُ عنهُمُ النِّعَمُ فَزِعُوا إلى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَهٍ[١٠] منْ قلوبِهمْ لَرَدَّ عليهِمْ كلَّ شارِدٍ[١١]، وأَصْلَحَ لهمْ كلَّ فاسِدٍ، وإنِّي لأَخشَى[١٢] عليكُمْ أَنْ تَكُونُوا في فَتْرَةٍ[١٣]، وقدْ كانَتْ امُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيها مَيْلَةً كُنْتُمْ فِيها عِنْدِي غَيرَ مَحْمُودِينَ، ولِئَنْ رُدَّ عَليكُمْ أَمْرُكُمْ إنَّكُمْ لَسُعَداءُ[١٤]، ومَا عليَّ إلَّا الجُهْدُ[١٥]، ولوْ أَشاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ عَفا اللهُ عمَّا سَلَفَ»[١٦].

---

(١) في هـ. ب: كرائم، وفي هـ. ص: جمع عقيلة وهي الكريمة من كلّ شيء.

(٢) في ب: لمكارم. وفي هـ. ب، وفي نسخة: لكرائم.

(٣) في هـ. ب و ص: علاماته.

(٤) في هـ. ب، وفي نسخة: غرابيب العمىٰ، وهو شديد السواد، وفي هـ. ص: شديد السواد.

(٥) في هـ. ب: المستند.

(٦) في ب : فيها.

(٧) في هـ. د: لا تنفس من باب التفعيل ـ ر ل، وفي هـ. أ: التنفيس: الترفيه، وفي هـ. ب: لأنصف، يقال: نفس بكذا ينفس: إذا ظنّ في كذا: إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم، وروي: «لاتنفس» أي: لا تفرج. يقال: نفست بالشيء. ونفّس الله كربته، أي: فرّجها، وفي هـ. ص: نسخة ابن أبي الحديد: «ولا تنفس بمن نافس فيها»: أي: لا تظن به.

(٨) في هـ. ب: أي عليها.

(٩) في هـ. ب: أقسم انّه قط لم يكن غضّ نعمة فزال إلّا بذنب اجترحه.

(١٠) في هـ. ب: تحيّر.

(١١) في هـ. ب: متفرّق.

(١٢) في هـ. د: لا أخشى ـ ب.

(١٣) أي: فترة من عذاب ينتظر بكم عقاباً من الله.

(١٤) في هـ. ب: جمع سعيد.

(١٥) في هـ. ب: الجهد بالفتح المشقّة، وبالضمّ: الطاقة، وفي هـ. ص: بالضم الطاقة: أي بذل الجهد، تمت من الشرح.

(١٦) في هـ. ص: قوله «عفى الله عمّا سلف» أجرى هذه الكلمة مجرى المثل وكنّى بها عن الاعراض عن ذكر إساءة الأُمّة إليه باغتصاب حقّه وانّ الله عاقبهم بالفتنة.

ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذعلب[١] اليماني فقال[٢]: هل رأيت ربك ياأمير المؤمنين[٣]؟ فقال عليه السلام[٤]: أفأعبد ما[٥] لا أرىٰ! فقال: وكيف[٦] تراه؟ قال[٧]:

لاَتُدْرِكُهُ[٨] الْعُيُونُ بِمُشاهَدَةِ الْعِيانِ؛ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإيمانِ، قَرِيبٌ مِنَ الأشْياء غَيْرَ مُلاَمِسٍ، بَعِيدٌ مِنْها غَيْرَ مُبايِنٍ؛ مُتَكلِّمٌ بِلا رَوِيَّةٍ[٩]، مُرِيدٌ بلا هِمَّةٍ[١٠]، صانِعٌ لاَ بِجارِحَةٍ[١١].

لَطِيفٌ لاَ يُوصَفُ بِالخَفاء، كَبِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالجَفاء، بَصِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالحاسَّةِ[١٢]، رَحِيمٌ لاَ يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ.

تَعْنُو[١٣] الْوُجُوهُ لعَظَمَتِهِ؛ وَتَجِبُ[١٤] الْقُلوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

* * *

قوله عليه السلام: «**أفأعبد من لا أرىٰ؟**»:

قال في الشرح: هذا مقام رفيع جداً لا يصلح أن يقوله غيره عليه السلام.

ثم ذكر بعد ذلك ماهيّة هذه الرؤية[١٥].

---

(١) في هـ. ص: الذعلب في الأصل: الناقة السريعة: وكذلك الذعلبة، فسمّي به انسان، تمت من الشرح.

(٢) في أ: ومن كلام له قاله لذعلب اليماني وقد سأله.

(٣) لم ترد «يا أمير المؤمنين» في أ.

(٤) في ص: عليه وعلى آله السلام.

(٥) في ص: من، وفي هـ. ص، وفي نسخة: ما.

(٦) في أ: فكيف.

(٧) في د: قال عليه السلام.

(٨) في ص: لا تراه، وفي هـ. أ، وفي نسخة: لا تراه، وفي هـ. ص، وفي نسخة: لا تدركه، وفي هـ. د: لاتراه ـ ن.

(٩) في هـ. د: متكلّم لا بروية ـ ض ب.

(١٠) في ط: لا بهمّة، وفي هـ. ب، وفي نسخة: لا بهمة، وفي هـ. د: لا بهمة ـ ح.

(١١) بلا جارحة ـ م ل، روي صانع لا بجارحة ـ ر.

(١٢) في هـ. ص: وذلك لأنّه معنى كونه بصيراً: كونه عالماً بما يصح إبصاره وعلمه بذلك بذاته لا بآلة.

(١٣) في هـ. ب: تخضع، والعاني: الأسير.

(١٤) في ب و ص: توجل، وفي هـ. ب: أي تخاف من الخوف.

(١٥) شرح ابن أبي الحديد: ٦٤ و ٦٥.

قلت: حاصلها نفي التوهّم الذي هو حقيقة التوحيد عنده، كما قال: «التوحيد أن لاتتوهمه». وكما قال: «أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده...» إلى آخر كلامه.

قوله عليه السلام: «بحقائق الايمان» أي: إنّها رؤية بصيرة، لا رؤية بصر.

قوله عليه السلام: «غير ملامس» وذلك لأنّه ليس بجسم وانّما قربه منها علمه بها.

قوله عليه السلام: «غيرُ مباين»:

لأنّه أيضاً ليس بجسم فلا يطلَق عليه البينونة، وانّما بُعْدُه منها عبارة عن انتفاء اجتماعه معها، وذلك كما يصدُق على البعيد بالوضع، يصدق ـ أفضل الصّدق ـ على البعيد بالذّات الذي لا يصحّ الوضع والأيْنُ أصلاً عليه.

قوله عليه السلام: «متكلّم بلا روية»:

والرويّة: الفكرة يرتئي الإنسان بها ليصدر عنه ألفاظ سديدة دالّة على مقصده، والباري تعالى عالم بالحقائق ـ لذاته ـ لا يجهلها، فلا يرتأي.

قوله عليه السلام: «[مريدٌ] بلا همّة»:

أي: بلا عَزْم، وَالعزم عبارة عن إرادةٍ متقدّمة للفعل، تفعل توطيناً للنفس على الفعل، وتمهيداً للإرادة المقارنة له؛ وإنّما يصحّ، ذلك على الجسم الذي يتردّد فيها، تدعوه إليه الدواعي، فأمّا العالم لذاته، فلا يصحّ ذلك فيه، انتهى من الشرح[1].

أقول: وكفى بهذا برهاناً على إبطال حقيقة الإرادة في حقّه تعالى، وقول الشارح: إنّ الهمّة: العزم. المتقدّم، غير سديد، وإنّما الهمّة والهمامة: ترديد الخاطر في ترجيح الفعل على الترك، فإذا رجح الفعل كان العزم المستمر إلى الفعل، فالإرادة رجحان أحد الترديدين؛ فلا معنى لها في حقّه تعالى.

ولهذا يعبّر أمير المؤمنين عليه السلام عن نفي الإرادة بنفي الهمامة ونفي الإضمار، لأنّ الإرادة في حقّ المخلوق تابع لمعنى ماقرع عليه، والله أعلم.

وقد نفى عليه السلام في هذه الأوصاف لازم الوصف بها في حقّ المخلوق ردعاً لتبادر الوهم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٦٥.

إلى المأنوس وتنبيهاً على اختلاف الاعتبار في الوصفين.

قوله عليه السلام: **«لطيف لا يوصف بالخفاء»:**

لأنّ العرب إذا قالوا لشيء: إنّه لطيف، أرادوا أنّه صغير الحجم، والباري تعالى لطيف لا بهذا الاعتبار بل يطلق باعتبارين:

أحدهما: أنّه لا يُرى لعدم صحّة رؤية ذاته؛ فلما شابه اللّطيف من الأجسام في استحالة رؤيته، أطلق عليه لفظ «اللطيف» إطلاقاً للفظ السّبب على المسبّب.

وثانيهما: أنّه لطيفٌ بعباده؛ كما قال في الكتاب العزيز، أي: يفعل الألطاف المقرّبة لهم من الطاعة، المبعّدة لهم من القبيح. أو لطيفٌ بهم بمعنى أنّه يرحمهم ويرفُق بهم.

قوله عليه السلام: **«كبير لا يوصَف بالجفاء»:**

لمّا كان لفظ «كبير» إذا استعمِل في الجسم أفاد تباعد أقطاره؛ ثم لما وصف الباري بأنّهُ أراد أن ينزّهه عمّا يدلّ لفظ «كبير» عليه، إذا استعمل في الأجسام؛ والمراد من وصفه تعالى بأنّه كبير، عِظم شأنه وجلالة سلطانه.

قوله: **«رحيم لا يوصف بالرقّة»**؛ لأنّ لفظة الرحمة في صفاته تعالى تطلق مجازاً على إنعامه على عباده، لأنّ الملك إذا رقّ على رعيّته وعطَف، أصابهم بإنعامه ومعروفه وإحسانه، انتهى من الشرح[1].

أقول: قد نفى عليه السلام في هذه القرائن الأربع وصفه تعالى بمرادف الأوصاف الأربعة إذا أطلقت في حق المخلوق، إذ المتبادر منها في حقّه مرادف المنفيّات، فأشار بنفي المرادفات إلى دفع الوهم عن إرادة ما يرادفها من معاني هذه الأوصاف إذا استعملت في حقّ الباري تعالىٰ.

ونبّه على اختلاف اعتبار الإطلاقين تحقيقاً وشرحاً لمعنى قوله عليه السلام: «التوحيد ان لا تتوهمه».

وكلامه عليه السلام في التوحيد علىٰ هذا النمط وهذا الاسلوب، فحقّق مقاصده عليه السلام لتطّلع على أسرار كلامه.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٦٦ .

ومن كلام له عليه السلام في ذم أصحابه:

أَحْمَدُ ٱللّٰهَ[١] عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ؛ وَعَلَى ٱبْتِلاَئِي[٢] بِكُمْ أَيَّتُهَا ٱلْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ؛ وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ.

إِنْ أُهْمِلْتُمْ[٣] خُضْتُمْ[٤]، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ[٥]، وَإِنِ ٱجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ[٦]، وَإِنْ أُجِئْتُمْ[٧] إِلَى مُشَاقَّةٍ[٨] نَكَصْتُمْ[٩].

لاَ أَبَا لِغَيْرِكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ، وَٱلْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ! المَوْتُ أَو الذُّلُّ لَكُمْ!

فَوَاللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي ـ وَلَيَأْتِيَنِّي ـ لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ[١٠]، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ.

لِلّٰهِ أَنْتُمْ! أَما دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلاَ مَحمِيَّةٌ[١١] تَشْحَذُكُمْ[١٢]! أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو

---

(١) في هـ. ص، وفي نسخة: الحمد لله.

(٢) في هـ. ص: ويروى: على ما ابتلاني، من الشرح.

(٣) في أ: أُمهلتم، وفي هـ. ب: أترككم، وروي «أمهلتم» يقال: أمهلته: أي خلّيت بينه وبين الشيء، من المهلة.

(٤) في هـ. ب: خِضتم وخُضتم ـ معاً ـ، الخوض: الغوص.

(٥) في هـ. د: جرتم ـ م ك ر. وفي هـ. ب: خرتم وجُرتم ـ معاً ـ جرتم بالجيم: أي أعرضتم من جار عن الطريق. وخرتُمْ ـ بالخاء ـ: أي: ضعفتم وانكسرتم وقيل: خرتم ـ بالخاء ـ أي: صحتم من خار الثور يخور: إذا صاح.

في هـ. ص: خرتم: ضعفتم، ويروى «جرتُم» بالجيم: أي عدلتم عن الحرب فراراً، انتهى من الشرح.

(٦) في هـ. ب: طغيتم، وفي هـ. د: طغيتم ـ حاشية م.

(٧) في ط وظاهر أ: أجئتم، وفي هـ. ص، في نسخة الشرح: أجئتم، بالهمز، أي: أُلجئتم.

(٨) في هـ. ب: خلاف وعداوة. (٩) في هـ. ب: رجعتم.

(١٠) في هـ. د: وأنا لكم قال ـ ب، واني لصحبتكم قال ـ ل، وفي هـ. ب: مبغض.

(١١) في ط: حمية، وفي هـ. د: حمية ـ م ض ح، وفي هـ. ص، وفي نسخة: حمية، وفي هـ. ب: الحمية والمحمية، كلاهما مصدر «حميت عن كذا» أي: منه.

(١٢) في هـ. ب: شحذت السكّين، أي: حددته، وفي هـ. ص: يقال: شحذت النّصل: حددته.

ٱلْجُفَاةَ الطَّغَامَ[١] فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلاَ عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ ـ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ[٢] ٱلْإِسْلاَمِ وَبَقِيَّةُ النَّاسِ ـ إِلَى المَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ[٣] مِنَ ٱلْعَطاءِ، فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي، وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ!

إِنَّهُ لاَ يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضاً فَتَرْضَوْنَهُ، وَلاَ سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ[٤]؛ وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لاَقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ.

قَدْ[٥] دَارَسْتُكُمُ ٱلْكِتَابَ، وَفَاتَحْتُكُمُ[٦] ٱلْحِجَاجَ[٧]، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ[٨] مَا مَجَجْتُمْ[٩]، لَوْ كَانَ ٱلْأَعْمَى يَلْحَظُ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ!

وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ، وَمُؤَدِّبُهُمُ ٱبْنُ النَّابِغَةِ!

* * *

قوله عليه السلام: «الموت أو الذلّ لكم»:

قال في الشرح: دعا عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين، انتهى[١٠].

والأقرب عندي أنّه بدل من «ما» في قوله: «ما تنتظرون» أي: إنّ تأخيركم النصر يفضي بكم إلى أحد الأمرين إمّا أن أموت أو تموتوا قبل أن تنالوا حقّكم وإمّا أن تذلّوا.

وعلى هذا الوجه أن يقرأ: «الموت» ـ بالمد ـ كما هو شأن المبدل من اسم الاستفهام، أن تدخل عليه همزة الاستفام.

والأفصح في «لام التعريف» إذا دخلت عليها همزة الاستفهام أن تقلب ألفاً، ويجوز أن تحذف ويقصر اللفظ، والله أعلم.

---

(١) في هـ. أ في نسخة: الطغاة، وفي هـ. ب: الطغام: أوغاد الناس والأراذل، ويوصف به الواحد.

(٢) في هـ. أ: أي: بقايا الإسلام، الترائك: بقايا الشّحذ، وفيه: الترائك من المراتع، والمرتع: الذي كان الناس يدعوه، وفي هـ. ب: التريكة: البيضة التي يتركها النعامة، والتريكة أيضاً: الدوحة التي لم تزرع. وتريكة الإسلام: بقيّة الإسلام.

(٣) في هـ. أ، وفي نسخة : بوظيفة.

(٤) في هـ. ب: فتنحوطونه.

(٥) في ب : وقد.

(٦) في هـ. ب: علمتكم.

(٧) في هـ. ب: حجّة الله.

(٨) في هـ. ب: ساغ الشراب أي: سهل مدخله في الحلق.

(٩) في هـ. ب: مج الماء من فيه: رمى به.

(١٠) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٦٩.

ومن لطائف كلامه عليه السلام زيادة لفظه: «لكم» بعد الذل. تنبيهاً على أنّ الذلّ يلحقهم خاصّة، بخلاف الموت؛ فإنّه ينزل به وبهم، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «على غير معونة ولا عطاء»:

المعونة: ما يعطاه الجند في غير الوقت المضروب، والعطاء: في الوقت المضروب، أو أراد بالمعونة: الجهاد لاحتساب الأجر، والعطاء: النصيب من الفيء. ومن كان يقاتل مع معاوية لم يكن له قصد إلى الآخرة؛ لأنّ من كان منهم ذا فهم لم يكن خافياً عليه إنّه على باطل، ومن كان جافياً ـ وهم الجمهور ـ إنّما كانوا يحاربون بحميّة الجاهلية وكما يحارب الجار عن جاره، وإنّما كان يخصّ بعطائه الرؤساء ويعدهم ويمنّيهم، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «على انّه لا يخرج إليكم من أمري رضاً [فترضَوْنه، ولا سخط فتجتمعون عليه]»:

قال في الشرح: معناه أنّكم لا تقبلون ممّا أقول لكم شيئاً، سواء كان ممّا يرضيكم أو ممّا يسخطكم، بل لكم لابدّ من المخالفة والافتراق عنه.

ثم ذكر أنّ أحبّ الأشياء إليه أن يلقى الموت، وهذه الحال التي ذكرها أبو الطيب، فقال:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا أن تكنّ أمانيا

تمنيتها لمّا تمنّيت أن ترى ... صديقاً فأعيا، أو عدوّاً مُدَاجِيَا[1]

قوله عليه السلام: «وسَوّغْتُكم ما مجَجْتُم»:

أي: ما رميتموه كما يرمى المطعوم من الفم؛ نفرةً عنه، يقول: ما كانت عقولكم وأذهانكم تنفر عنه من الأُمور الدينية أوضحته لكم حتى عَرَفتمُوه واعتقدتموه وانطوتْ قلوبُكم عليه.

ولم يجزم عليه السلام بحصول ذلك لهم، لأنّه قال: لو كان الأعمى يلحظ، والنائم يستيقظ! أي: أنّي قد فعلت معكم ما يقتضي حصول الاعتقادات الحقيقية في أذهانكم لو أزلتم عن قلوبكم ما يمنع من حصولها لكم، والمانع المشارُ إليه هو الهوى والعصبيّة والإصْرَار على اللَّجاج؛ ومحبّة نصرة عقيدة قد سبقت إلى القلب، وَزَرَعها التعصّب، ومشقّة مفارقة

---

(١) ديوانه ٤ : ٢٨١ .

الأسلاف الّذينَ قد انغرس في النفس تعظيمهم، ومالت القلوب إلى تقليدهم لحسن الظنّ بهم. انتهى من شرح ابن أبي الحديد[١].

أقول: ولا يخفى ما في كلامهعليه السلام مع شرح الشارح له من الإشارة إلى انّه كان يقرّر عندهم أنّه المستخلف للهداية، والمستحقّ للإمامة، والمأمور باتباعه، والكون معه، ونصرته، واعتقاد حقيّة أقواله وأفعاله وكانوا لا يقبلون ذلك منه قبول من يعرف نفع الحق وضرر الباطل، بل كما قال تعالىٰ: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً﴾[٢]، والله أعلم.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٧٢.　　(٢) النمل: ٢٧ / ١٤.

[١٨١]

ومن كلام له عليه السلام وقَد أَرْسَلَ رَجُلاً منْ أصحابه[١] يَعْلَم لَهُ عِلْمَ قَوْمٍ[٢] مِن جُنْد الكوفةِ[٣] هَمُّوا باللحاق بالخَوارِج، وكانوا على خوْفٍ منه عليه السلام، فلمّا عاد إليهِ الرَّجلُ قالَ لهُ:

أَأَمِنُوا[٤] فَقَطَنُوا[٥]، أم جبنوا فَظَعَنُوا[٦]! فَقالَ الرجلُ[٧]: بل ظعنُوا يا أمير المُؤمنين.

فقال عليه السلام[٨]:

بُعْداً لَهُمْ كَما بَعِدَت[٩] ثَمُودُ! أمَا لَوْ أُشْرِعَتِ[١٠] الأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَصُبَّتِ[١١] السُّيُوفُ عَلَى هاماتِهِمْ[١٢]، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى ما كَانَ مِنْهُمْ.

إنَّ الشَّيْطانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ[١٣]، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّىءٌ مِنْهُمْ، ومُتَخَلٍّ

---

(١) في هـ. د: لرجل أرسله ـ ف ن م.

(٢) في ط و د: زيادة: أحوال، والعبارة في أ هكذا:« ومن كلام له لرجل أرسله يعلم له علم»، وفي هـ. ص، وفي نسخة: لرجل أرسله ليعلم. وفي هـ. ص ـ أيضاً ـ: هو الخريت الناجي وأصحابه من بني ناجية الذين قتلهم معقل بن قيس الرياحي وقومه وباع سبيهم من مصقلة بن هبيرة الشيباني، وقد سبق ذكرهم. وفي هـ. د: علم قوم ـ ش.

(٣) في ط زيادة: قد.

(٤) في ب: آمنوا، وفي هـ. ب: تقديره: أأمِنوا فسَكنوا، أمْ جبنوا فرحلوا. وفي هـ أ: وكانوا على خوف منه فلمّا عاد قال ذلك.

(٥) في هـ. ص: قطن الرجل بالمكان يقطن بالضم. أقام به وتوطّنه، انتهى من الشرح.

(٦) في هـ. ب: رحلوا. (٧) في أ: فقال.

(٨) في ص: فقال عليه وعلى آله السلام. (٩) في هـ. ب: هلكت.

(١٠) في هـ. ب: أشرعت الرمح إليه: سددته، وفي هـ. ص: سددت وجهه.

(١١) في هـ. ص: أي اعتورتها مسرعة كصب الماء.

(١٢) في ب: هامهم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: هاماتهم، وفي هـ. د: هامهم ـ ش ر.

(١٣) في أ و ب و د: استقلّهم، وفي هـ. ب: أي استهزمهم، واستقلّهم أي: عدّهم قليلاً، وفي هـ. د: استفلهم ـ ح ب ض، وروى استفزهم ـ ر. واستفلّهم: أي هزمهم، واستفزهم: أي استخف بهم، ←

عَنْهُمْ[١]، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَارْتِكَاسِهِمْ[٢] فِي الضَّلاَلِ وَالْعَمَى، وَصَدِّهِمْ عَنِ الحَقِّ، وَجِمَاحِهِمْ[٣] في التِّيهِ.

← وفي هـ. ص: أي وجدهم مفلولين، كذا فسروه، ويمكن عندي: انّه عليه السلام وجدهم فِلّاً لا خير فيهم، انتهى من الشرح.

(١) في هـ. ب: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر، فلما كفر قال إنّي بريء منك﴾ الحشر: ٥٩ / ١٦. وهو معاوية.

(٢) في هـ. ب: الركس: ردّ الشيء مقلوباً، ومنه الإرتكاس، وهو الوقوع في الأمر الذي نجا منه. قال الله تعالى: ﴿أركسهم بما كسبوا﴾ النساء: ٤ /٨٨، أي: ردّهم إلى شقوتهم، وفي هـ. ص: أي رجوعهم.

(٣) في هـ. ب: إسراعهم في التحيّر، وفي هـ. ص: هو الغلو والإفراط، مستعار من جماح الفرس.

ومن خطبة له عليه السلام:

رُوِيَ عَنْ نَوْفٍ الْبِكالِيِّ[١]، قالَ: خَطَبَنا بهذِهِ الْخُطْبَةِ امِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بالكُوفَةِ[٢]، وَهُوَ قائِمٌ على حِجارَةٍ نَصَبَها لهُ جَعْدَةُ[٣] ابْنُ هُبَيْرَةَ الـمخْزُومِيُّ[٤]، وعليْهِ مِدْرَعَةٌ[٥] مِنْ صُوفٍ، وحَمائِلُ سَيْفِهِ لِيفٌ[٦]، وفي رِجْلَيْهِ نَعْلاَنِ منْ لِيفٍ[٧]، وكأَنَّ جَبِينَهُ ثِفَنَةُ[٨] بَعيرٍ، فقالَ عَليهِ السَّلاَمُ[٩]:

الحمدُ للهِ الذِي إليْهِ مَصائِرُ[١٠] الخَلْقِ، وعَوَاقِبُ[١١] الأمْرِ، نَحْمَدُهُ على عَظيمِ إحْسَانِهِ، ونَيِّرِ بُرْهانِهِ، ونَوَامِي[١٢] فَضْلِهِ وامْتِنانِهِ[١٣]، حَمْداً يكُونُ لحقِّهِ قَضَاءً[١٤]، ولِشُكْرِهِ أداءً، وإلى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، ولِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً[١٥]، ونَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعانَةَ رَاجٍ لِـفَضْلِهِ، مُـؤَمِّلٍ

---

(١) في هـ. ص: قال في الشرح قال في الصحاح: نوف البكالي بفتح الباء كان صاحب علي عليه السلام، ثم قال: وقال ثعلب هو منسوب إلى بكاله، والرواية صحيحة بالكسر، لأنّ نوف بن فضالة بكاليّ ـ بالكسر ـ من حمير، منهم هذا الشخص وهو نوف بن فضالة صاحب عليّ عليه السلام وقد ذكر الكلبي نسب بني بكال الحميريين، انتهى.
في هـ. ب: بكال: حيّ من همدان من اليمن، ويقال لهم: بكيل ـ أيضاً ـ وهذا أكثر وقال ثعلب البكالي، بكسر الباء.

(٢) لم ترد «بالكوفة» في أ.

(٣) هو ابن أمّ هاني، أُخت أمير المؤمنين، وهو من الصحابة، انتهى من الشرح.

(٤) في هـ. ب: قبيلة.

(٥) في هـ. ب: دراعة، وفي هـ. ص: جبّة.

(٦) في هـ. ب: شيء غليظ يكون من جرائد النخل، وفي هـ. ص: شجر يصنع منه الحبال.

(٧) لم ترد «وفي رجليه نعلان من ليف» في ب.

(٨) في هـ. ص: هي واحدة ثفنات: وهي ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ فتغلظ وتكثف كالركبتين وغيرهما.

(٩) في ص: عليه وعلى آله السلام.

(١٠) في هـ. ب: جمع مصير، وفي هـ. ص: جمع مصير وهو مصدر صار.

(١١) في هـ. ص: جمع عاقبة: آخر الشيء.

(١٢) في هـ. ب: زوائد.

(١٣) في هـ. ب: من المنّة.

(١٤) في هـ. ص: أي هو أبلغ ما يدخل تحت الطوق من قضاء حق الله ومن أداء شكره وإلّا فإن القوى قاصرة عن أداء حقيقة ما الله أهله.

(١٥) في هـ. ب: إشارة إلى أُصول النعم.

لِنَفْعِهِ، واثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لهُ بالطَّوْلِ[١]، مُذْعِنٍ[٢] لهُ بالْعَمَلِ والْقَوْلِ، ونُؤْمِنُ بِهِ إيـمانَ مَنْ رَجاهُ مُوقِناً، وأنابَ[٣] إلَيْهِ مُؤمِناً، وخَنَعَ[٤] لَهُ مُذْعِناً، وأخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً[٥] وعـظَّمَهُ مُمَجِّداً[٦] وَلاَذَ[٧] بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً، لمْ يُولَدْ سُبْحانَهُ[٨] فيكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَـارِكاً[٩]، ولمْ يَلِدْ فيكُونَ مَوْروثاً[١٠] هَالِكاً، ولمْ يَتَقَدَّمْهُ وقْتٌ ولاَ زَمـانٌ، ولمْ يَـتَعاوَرْهُ[١١] زِيـادَةٌ ولا نُقصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أرَانا منْ عَلاَماتِ التَّدْبيرِ الْمُتْقَنِ[١٢]، والْقَضاءِ المُبْرَمِ[١٣].

فمنْ[١٤] شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَوَات مُوَطَّدَاتٍ[١٥] بِلاَ عَمَدٍ[١٦]، قائِمَاتٍ بِلاَ سَنَدٍ[١٧]، دَعاهُنَّ فأجَبنَ طَائِعاتٍ[١٨] مُذْعِناتٍ[١٩]، غيرَ مُتَلَكِّئَاتٍ[٢٠] ولا مُبْطِئاتٍ، وَلوْ لا إقْرَارُهُنَّ لهُ بالرُّبُوبِيَّةِ، وإذْعانُهُنَّ لهُ[٢١] بالطَّوَاعِيَّةِ[٢٢]، لَمَا جَعَلَهُنَّ[٢٣] مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ، ولا مَسْكَناً

---

(١) في هـ . ب: الفضل، وفي هـ . ص: أي الافضال.

(٢) في هـ . ص: أي منقاد ومسلّم وجهه إليه. (٣) في هـ . ب: رجع، وفي هـ . ص: أقبل وتاب.

(٤) في هـ . ب: ذلّ خاضعاً، وفي هـ . ص: خضع وذلّ.

(٥) في هـ . ب: أي اعتقد وحدانيّته.

(٦) في هـ . ب: ممجّداً، هو الذي يقول: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم».

(٧) في هـ . ب: عاذ، وفي هـ . ص: إلتجأ إليه. (٨) في هـ . ب: لم يتولّد من شيء.

(٩) أي فيشاركه ايّاه. (١٠) في هـ . ب: مورثاً ـ ض ب .

(١١) في هـ . ب: يصبه. (١٢) في هـ . ب: المحكم.

(١٣) في هـ . ب: المحكم. (١٤) في ص: ومن، وفي هـ . د: ومن ـ ب .

(١٥) في هـ . ب: وطّدَ، أي: ثبّت، ويُقال: وطّدت على باب الغار بالصخر: إذا سددته، وفي هـ . ص: مقامات موزرات في مكانهنّ، مقوّمات.

(١٦) في هـ . ب: جمع عماد، وفي هـ . ص: جمع عماد نحو إهاب وأهب وأديم وادم، وهو على خلاف القياس، انتهى من الشرح.

(١٧) في هـ . ب: بعماد، وفي هـ . ص: هو ما يستند إليه ويعتمد عليه.

(١٨) في هـ . ب: ﴿قالتا أتينا طائِعين﴾ فصلت: ٤١ / ١١.

(١٩) في هـ . ب: منقادات.

(٢٠) في هـ . ب: مقصرات، تلكأ عن الأمر تباطأ عنه والمتلكئات: المتأخرات، وفـي هـ . ص: المتلكي: المبطئ. (٢١) لم ترد «له» في أ ب .

(٢٢) في هـ . د: بالطوعية ـ م ن، واذعانهن بالطواعية ـ ش، وفي هـ . ب: الطاعة.

(٢٣) في هـ . ب: يعني السماوات .

لِمَلاَئِكَتِهِ، ولا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ[١] والْعَمَلِ[٢] الصَّالح منْ خَلْقِهِ، جَعَلَ نُجُومَها أَعْلاَماً يَسْتَدِلُّ بِها الحَيْرَانُ في مُخْتَلِفِ فِجاجِ[٣] الأَقْطارِ[٤]، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِها ادْلِهْمامُ[٥] سَجَفِ[٦] اللَّيْلِ المُظْلِمِ، ولا اسْتَطاعَتْ[٧] جَلاَبِيبُ[٨] سَوَادِ الحَنادِسِ[٩] أن تَرُدَّ[١٠] ما شَاعَ[١١] فِي السَّمَوَاتِ منْ تَلأْلُؤِ[١٢] نورِ القَمَرِ، فَسُبْحَانَ مَنْ لا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ[١٣]، ولا لَيْلٍ ساجٍ[١٤] في بِقاعِ الأَرَضِينَ الْمُتَطأْطِئاتِ[١٥]، ولا في يَفاعِ[١٦] السُّفْعِ[١٧] المُتَجاوِرَاتِ[١٨]، وما يَتَجَلْجَلُ[١٩] بِهِ الرَّعْدُ في أُفُقِ السَّماءِ، وما تَلاَشَتْ[٢٠] عَنْهُ بُرُوقُ الغَمَامِ، وما تَسْقُطُ منْ وَرَقَةٍ تُزِيلُها عَنْ مَسْقَطِها عَوَاصِفُ[٢١] الأَنْوَاءِ[٢٢]،

---

(١) في هـ . ص: هو كلّ قول يرضي الله ويعبد به، والعمل الصالح كلّ عمل يطاع به الله ويتعبّد له، والكلام مأخوذ من قوله تعالىٰ: (إليه يصعد الكلم الطيِّب والعمل الصالح يرفعه) فاطر: ٣٥/ ١٠.

(٢) في هـ أ، في نسخة: في العمل. (٣) في هـ . ب: طرق.

(٤) في هـ . ب: الجوانب.

(٥) في هـ . ب: الظلمة، وفي هـ . ص: امتداد سواد الليل.

(٦) في هـ . ب: ستر، وفي هـ . ص: جمع سجف وهو الستر ويجوز فتح السين، تمت من الشرح.

(٧) في هـ . د: ولا اسطاعت ـ حاشية ن، وفي هـ . ب: أي ما برحت.

(٨) في هـ . ب: جمع جلباب، وفي هـ . ص: جمع جلباب، وهو ما يستر البدن من الثياب.

(٩) في هـ . ب: الظلمات. (١٠) في هـ . ب : تفرق .

(١١) في هـ . ب: ظهر. (١٢) في هـ . ب: اللّمعان.

(١٣) في هـ . ص: أي مظلم أو غائب للأشياء. (١٤) في هـ . ب و ص: ساكن.

(١٥) في هـ . ب: تطأطأ: تطامن، سكن، متطافيات: ساكنات، وفي هـ . ص: أي المنخفضات.

(١٦) في هـ . ص: اليفاع المرتفع من الأرض، والسفع: جمع سفعاء، وهي ما كان لونه حمرة مشوباً بالسواد، وكذلك لونها في الأكثر. وفي هـ . د: بقاع السفع ـ م ن ف .

(١٧) في هـ . أ في نسخة: السبع، وفي هـ . ب: الجبال. والسفعة: سواد مشروب بحمرة، يعني بالسفعة مجاور الجبال. (١٨) في هـ . ب: المتدانيات.

(١٩) في هـ . ب: يتغلغل، الجلجلة: صوت الرعد، وفي هـ . ص: أي: تردّد صوته.

(٢٠) في هـ . ب: صارت لا شيء، وفي هـ . ص: تلاشت بمعنى اضمحلت، وكأنّه مأخوذ من لشا الرجل، أي: اتضع وخس بعد رفعة، ذكر معناه ابن أبي الحديد في الشرح ١٠: ٨٧. قلت: يمكن أن يكون مأخوذاً من لاشئ؛ لأنّه ينعدم عقيب وجوده بلا مهلة، فهو تفاعل من لفظ لاشي، والله أعلم. (٢١) في هـ . ب: رياح شديدة.

(٢٢) في هـ . ب: النوء: سقوط النجم، الجمع: الانواء، وفي هـ .ص: جمع نوء، وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب مع الفجر وطلوع قرينهُ من المشرق مقابلاً له.

وانْهِطَالُ[١] السَّماءِ، ويَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّها، ومَسْحَبَ[٢] الذَّرَّةِ وَمَجَرَّها، وما يَكْفِي البَعُوضَةَ مِنْ قُوتِها، وما تَحْمِلُ من أُنْثَى[٣] في بَطْنِها.

والْحَمْدُ لِلّهِ الكائِنِ[٤] قَبْلَ أَن يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَماءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جانٌّ أَوْ إِنْسٌ، لا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ[٥]، ولايُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، ولا يَشْغَلُهُ سائِلٌ، ولا يَنْقُصُهُ نائِلٌ[٦]، ولا يَنْظُرُ[٧] بِعَيْنٍ، ولا يُحَدُّ بأَيْنٍ[٨]، ولا يُوصَفُ بالأَزْواجِ[٩]، ولا يَخْلُقُ بِعِلاَجٍ[١٠]، ولا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، ولا يُقَاسُ بالناسِ، الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً، وأَرَاهُ مِنْ آياتِهِ عظِيماً بِلاَ جَوَارِح ولا أَدَواتٍ، ولا نُطْقٍ ولا لَهَواتٍ[١١].

بَلْ إِنْ كُنْتَ صادِقاً أَيُّها المُتَكَلِّفُ[١٢] لوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرائِيلَ[١٣] ومِيكائِيلَ، وجُنُودَ المَلاَئِكَةِ المُقَرَّبينَ في حُجُرَاتِ[١٤] الْقُدْسِ[١٥] مُرْجَحِنِّينَ[١٦]، مُتَوَلِّهَةً[١٧] عُقُولُهُمْ أَنْ

(١) في هـ. ب: انصباب، وفي هـ. ص: انفعال، من الهطل: نزول الماء.

(٢) في هـ. ب: من السحب، وهو الجرّ. (٣) في هـ. د: وما تحمل الأُنثى ـ ض ح.

(٤) في هـ. ص: أي الموجود الثابت، لا أنّ المراد الحاصل بعد أن لم يكن.

(٥) في هـ. ص: أي بفكر وقياس إلى المعروفات.

(٦) في هـ. ب: معطي.

(٧) في أ: ولا يبصر، وفي هـ. د: ولا يبصر ـ ف ن م.

(٨) في هـ. ص: أي بمكان، فكنى عن المكان؛ لأنّه يسأل بها عنه، وكأنّ سرّ اختيار الكناية أنّه لا يحد ولا يطلب حدّه، والله أعلم. (٩) في هـ. ص: الازواج: الأجزاء والأبعاض.

(١٠) في هـ. ب: العلاج المعالجة، وهي المزاولة، والله تعالى يخلق بلا معاناة ولا تعب، والعِلاج إعمال الأدوات كما هو شأن المخلوق في عمله، وقصده نفي التوهم، والله أعلم.

(١١) اللهوات: جمع لهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم.

(١٢) في هـ. ب: أي الإنسان المتكلّف. (١٣) في ب: جبريل.

(١٤) في هـ. ب: جمع حجرة، وفي هـ أ: الحجرات: النواحي، وفي هـ. ب: جمع حجرة.

(١٥) في هـ. ب: الطهر.

(١٦) في هـ. أ: أرجحن الشيء: أي مال، وارجحن: اهتز، وأرجحى: وقع، ورحى مرجحة: ثقيلة، وجيش مرجحن، وفي هـ. ب: الارجحنان: الميل، وجيش مرجحن ورحى مرجحن: أي ثقيل. وأرجحن الشيء: مال، وفي هـ. ص: أي مائلين إلى جهة تحت؛ خضوعاً لجلال الباري سبحانه. أرجحن الحجر: إذا مال هاوياً، انتهى من الشرح.

(١٧) في هـ. ب: متحيّرة، وفي هـ. ص: أي حائرة عن ذلك كافّة عن تعاطيه.

يَحُدُّوا أحْسَنَ الخَالِقينَ، فإنّما[١] يُدْرَكُ بالصِّفاتِ ذَوُو الْهيْآتِ[٢] والأَدَوَاتِ، ومَنْ يَنْقَضِي إذا بَلَغَ أمَدَ حَدِّهِ بالْفَناءِ، فلاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ أضَاءَ بِنُورِهِ كلَّ ظَلام، وأظْلَمَ، بِظُلْمَتِهِ كلَّ نُورٍ.

أُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى الله الذِي ألْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ[٣]، وأسْبَغَ عليكُمُ المَعاشَ، ولوْ أنَّ أحداً يَجِدُ إلى الْبقاءِ سُلَّماً أوْ لدَفْعِ[٤] المَوْتِ سَبِيلاً لَكانَ ذَلِكَ سُلَيْمانَ بنَ دَاوُدَ عـليْهما السَّلاَمُ[٥]، الَّذِي سُخِّر لهُ مُلْكُ الجِنِّ والإنْس معَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ[٦]، فلمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ[٧]، واسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ[٨]، رَمَتْهُ قِسِيُّ[٩] الفَناءِ بِنِبالِ[١٠] المَوْتِ، وأصْبحَتِ الدِّيارُ مِنْهُ خالِيةً، والمَساكِنُ مُعَطَّلَةً، وَوَرِثَها[١١] قوْمٌ آخَرُونَ، وإنَّ[١٢] لَكُمْ في الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً، أيْنَ الْعَمالِقَةُ[١٣] وأبْناءُ الْعَمالِقَةِ، أيْنَ الْفَراعِنَةُ[١٤] وأبْناءُ الفَرَاعِنَةِ، أيْنَ أصْحَابُ مَـدَائِـنِ الرَّسِّ[١٥] الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وأطْفَأُوا سُنَنَ المُرْسَلِينَ، وأحْيُوا سُنَنَ الجَبَّارِينَ[١٦]، أيْـنَ

---

(١) في أ و ص: وإنّما.

(٢) في ب: ذوو الهينة وفي ص: ذو الهيئة وفي هـ. د: ذو الهيئة ـ ش، وفي هـ. ب: يعني الإنسان، وفي هـ. ص: أي: الجسم، وفيه دليل على أنّ الهيئة وما يراد فيها من الكيفية والحالة والمزية من خواص الأجسام.

(٣) في هـ. ب: اللباس.

(٤) في هـ. د: أو إلى دفع ـ ض ب.

(٥) في ب و ط: «عليه السلام».

(٦) في هـ. ب: القرب.

(٧) في هـ. ب: كناية عن الرزق.

(٨) في هـ. ب: عمره.

(٩) القسي: القوس: وما يرمى به النبل.

(١٠) في هـ. ب: جمع نبل.

(١١) في أ و ب: ورثها، وفي هـ. ب، وفي نسخة: وورثها.

(١٢) في ب: فان.

(١٣) في هـ. ص: ذكر في الشرح في تعيينهم أقوالاً: ... هم أولاد عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح. كان المُلك لهم باليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الأقاليم، فمنهم: عملاق بن لاوذ، ومنهم: طسم بن لاوذ، ومنهم: جديس بن لاوذ أخوهما، انتهى من الشرح.

(١٤) في هـ. ص: جمع فرعون، وهم ملوك مصر، انتهى من الشرح، وفي هـ. ب: فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر، وكلّ عاتٍ فرعون، والعتاة: الفراعنة. والعمالقة: قوم مـن ولد عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح، وهم أمم تفرّقوا في البلاد.

(١٥) في هـ. ب: الرس: أمم بقية من قوم صالح، وعن الصادق عليه السلام: الرس هم أصحاب النـبي حنظلة، كانوا مبتلين بطول عنقهم

(١٦) في هـ. د: سير الجبّارين ـ م ن ف. وفي شرح محمّد عبده ما يلي: سُئِلَ أمير المؤمنين عن

←

الذِينَ سَاروا بالجُيُوشِ، وهَزَمُوا بالألُوفِ، وَعَسكَرُوا الْعَساكِرَ، ومَدَّنُوا[١] المَدَائِنَ[٢].

مِنْها[٣]:

قدْ لَبِسَ لِلْحكْمَةِ جُنَّتَها[٤]، وأخَذَ بِجَمِيعِ أدَبِها: منَ الإقْبالِ عَلَيْها، والمَعْرِفَةِ بِهَا والتَّفَرُّغِ لَها، وهيَ[٥] عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُها، وحاجَتُهُ الَّتي يَسْأَلُ عَنْها، فَهُوَ[٦] مُغْتَرِبٌ[٧] إذا اغْتَرَب الإِسْلاَمُ، وَضَرَبَ بِعَسيبِ ذَنَبِهِ[٨]، وألْصَقَ الأَرْضَ بِجِرانِهِ[٩]، بَقِيَّةٌ منْ بَقَايا حُجَّتِهِ، خليفَةٌ منْ خَلاَئِفِ أنْبيَائِهِ[١٠].

ثم قال عليه السلام[١١]:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ[١٢] لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ

← أصحاب مدائن الرس فيما رواه الرضي عن آبائه إلى جدّه الحسين، فقال: انّهم كانوا يسكنون في مدائن لهم على نهر يسمّى الرس من بلاد المشرق (هو نهر أرس في بلاد أذربيجان) وكانوا يعبدون شجرة صنوبر مغروسة علىٰ شفير عين تسمّى دوشاب (يُقال: غرسها يافث بن نوح) وكان اسم الصنوبرة شاه درخت، وعدة مدائنهم اثنتي عشرة مدينة، اسم الأولى: ابان، والثانية آذر، والثالثة دي، والرابعة بهمن، والخامسة اسفندارمز، والسادسة فروردين، والسابعة اردي بهشت، والثامنة خرداد، والتاسعة مرداد، والعاشرة تير، والحادية عشرة مهر، والثانية عشرة شهر نور، فبعث الله لهم نبيّاً ينهاهم عن عبادة الشجرة ويأمرهم بعبادة الله، فبغوا عليه وقتلوه أشنع قتل، حيث أقاموا في العين أنابيب من رصاص بعضها فوق بعض كالبرابخ، ثم نزعوا منها الماء واحتفروا حفرة في قعرها وألقوا نبيّهم فيها حيّاً، واجتمعوا يسمعون أنينه وشكواه حتى مات، فعاقبهم الله بإرسال ريح عاصفة ملتهبة سلقت أبدانهم، وقذفت عليهم الأرض مواد كبريتية متّقدة فذابت أجسادهم وهلكوا، وانقلبت مدائنهم.

(١) هـ. ب: أقاموا.

(٢) في هـ. ب: جمع مدينة، ومدن الرجل: إذا أقام بالمكان.

(٣) في أ: منها.

(٤) جنة الحكمة: ما يحفظها على صاحبها؛ من الزهد والورع والتقوى.

(٥) في ب و د: فهي.

(٦) في ب: وهو.

(٧) في هـ. ب: من الغربة.

(٨) في هـ. ب: منبت ذنبه من الجلد والعظم.

(٩) في هأ: الجران: باطن عنق البعير، وفي هـ. ب: صدره.

(١٠) الامام المهدي عجّل الله فرجه.

(١١) لم ترد «ثم قال عليه السلام» في أ.

(١٢) وفي ص: بيّنت، وفي هـ. ص: نسخة ابن أبي الحديد: بثثت. قال: أي فرّقتها ونشرتها، وفي هـ. ب: البث: التفريق.

مَا أَدَّتِ ٱلأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ[١] بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا[٢].

لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ[٣] بِكُمُ الطَّرِيقَ[٤]، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ! أَلا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً[٥]، وَأَزْمَعَ[٦] التَّرْحَالَ عِبَادُ ٱللهِ ٱلأَخْيَارُ، وَبَاعوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لاَ يَبْقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ ٱلآخِرَةِ لاَ يَفْنَى!

مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا ٱلَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ بِصِفِّينَ[٧] أَلَّا يَكُونُوا ٱلْيَوْمَ أَحْيَاءً، يُسِيغُونَ[٨] ٱلْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنَقَ![٩] قَدْ ـ وَٱللهِ ـ لَقُوا اللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ ٱلأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِم!

أَيْنَ إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى ٱلْحَقِّ! أَيْنَ عَمَّارٌ! وَأَيْنَ ٱبْنُ التَّيِّهان[١٠]! وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ[١١]! وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ[١٢] تَعَاقَدُوا[١٣] عَلَى المَنِيَّةِ وَأُبْرِدَ[١٤] بِرُءُوسِهِمْ إِلَى ٱلْفَجَرَةِ!

---

(١) في هـ. ص: أي سقتكم إلى الصلاح.

(٢) في هـ. ب: فلم تجتمعوا، وسقت: جمعت، وفي هـ. ص: أي لم تجتمعوا في المسير على منهج الحق.

(٣) في هـ. ص: أي يوطئكم طريق الحق، لمّا شبّه الحق بالطريق أثبت له حكمه وهو الوطء، والمعنى: يسلك بكم الطريق المستقيم كما يسلك الدليل بالقوم في المفاوز، والمجاهل: جادّة الطريق.

(٤) في هـ. ص: هو استقامة أمورها على وفق الشريعة ومنهاج الرسول ﷺ.

(٥) في هـ. ب: أي أقبل الشبه والجهالات والبدع، وهذا إنذار منه ﷺ بما يقع بعده من الفتن.

(٦) في هـ. د: وأزمعوا ـ ب. وفي هـ. ص: أي عزموا.

(٧) في أ و د زيادة: وهم وفي هـ. د: دماؤهم بصفّين ـ ح ش ض.

(٨) في هـ. ب: يتجرعونها.

(٩) في هـ. ب: الرنق: الكدور.

(١٠) في هـ. أ: ابن التيهان هو أبو الهيثم مالك بن التيهان ذو السيفين، وفي هـ. ب: أبو الهيثم.

(١١) في هـ. أ: ذو الشهادتين هو خرثمة بن ثابت، أقام رسول الله ﷺ شهادته مقام شهادة الرجلين.

(١٢) لم ترد «الذين» في أ.

(١٣) في هـ. ب: تعاهدوا.

(١٤) في هـ. ص: أي أرسل، أي: حملت رؤوسهم مع البريد، وفي هـ. ب: بعث برؤوسهم على البريد ليصل اليهم سريعاً فيفرحوا بذلك.

قال: ثُمَّ ضربَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بيده إلى[١] لحْيَتِهِ[٢]، فَأَطال ٱلْبُكَاءَ.

ثم قال[٣]:

أَوْهِ[٤] عَلَى إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ تَلَوا[٥] ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا ٱلْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ! أَحْيَوُا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا ٱلْبِدْعَةَ؛ دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِٱلْقَائِدِ[٦] فَٱتَّبَعُوا[٧].

ثم نادى بأعلى صوته:

ٱلْجِهَادَ[٨] ٱلْجِهَادَ عِبَادَ ٱللهِ! أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هذا؛ فَمَنْ أَرادَ الرَّوَاحَ[٩] إِلَى ٱللهِ فَلْيَخْرُجْ[١٠].

* * *

قالَ نَوْفٌ: وَعقد للحسين عليه السلام[١١] في عَشَرة آلافٍ[١٢]، ولقيس بن سعدٍ رحمه الله في عشرة آلافٍ، ولأبي أيُّوب الأنصاريّ في عشرةِ آلاف، ولغيرِهم على أعدادٍ أُخَر؛ وهو يريد الرَّجْعةَ إلى صِفِّين فما دارت الجمعةُ حتّى ضربه الملعون ابنُ ملجم لعنه ٱلله، فتراجعت العساكر، فكنّا كأغنامٍ فقدت راعيَها، تختطفها[١٣] الذئاب من كلّ مكانٍ!

قوله عليه السلام: «لم يولد سبحانه ... إلى قوله: هالكاً»:

نفى عليه السلام أن يكون الباري سبحانه مولوداً فيكون له شريك في العزّ والإلهيّة؛ وهو أبوه

---

(١) في ط و د: على.

(٢) في ط و د زيادة «الشريفة الكريمة» وفي هـ. د:« الشريفة الكريمة» ساقطة من م ن ش.

(٣) في ط: ثم قال عليه السلام.

(٤) في هـ. ب: «أوه» كلمة توجّع، تقال عند الشكاية.، وفي هـ. ص: هي ساكنة الواو ومكسورة الهاء ومفتوحة الهمزة وفيها لغات، وهي كلمة تشكٍّ وتوجّع.

(٥) في ط: قرءوا، وفي هـ. د: قرأوا ـ ض ح ب.

(٦) في هـ. ص: يعني نفسه عليه السلام.

(٧) في ط و د: فاتبعوه.

(٨) في هـ. ص: منصوب بفعل مقدّر، على الإغراء.

(٩) في هـ. ب: سير العشيّة.

(١٠) في ص: فليرح، وفي هـ. ص، وفي نسخة: فليخرج، وفي هـ. ص: قال ابن أبي الحديد: إنّ هذه الخطبة آخر خطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام قائماً.

(١١) في ص: للحسن.

(١٢) في ب: «ألف» وكذا فيما يليه.

(١٣) في أ: يختطفها، وفي هـ. ب: يسلبها.

الذي ولده، وإنّما قال ذلك جرياً على عادة ملوك البشر؛ فإنّ الاكثر أنّ الملِك يكون ابنَ ملك قبله؛ ونفى أن يكون له ولد جرياً أيضاً على عادة البشَر، في أنّ كلّ والدٍ في الأكثر، فإنّه يهلِك قبل هلاك الولد، ويرثه الولد؛ وهذا النّمط من الاحتجاج يسمّى خطابة؛ وهو نافع في مواجهة العرَب به؛ لأن المراد من الاحتجاج إثبات العقيدة، فتارةً تثبت في نفوس العلماء بالبرهان، وتارة تثبت في نفوس العوامّ بالخطابة والجدَل، انتهى من الشرح [1].

ويمكن أن يقال انّه عليه السلام أشار إلى برهان حقيقي، وبيانه لو كان له أب لكان إلٰهاً فيقوم عليه دليل وجوده وهو صدور الخلق عنه وإرسال الرسل منه، ولم يثبت شيء، فيجب نفيه؛ لعدم الدليل عليه بل يلزم أن يكون الأب أولى بالإلٰهية؛ لأنّه أصل الابن.

ولم نعلم أحداً ممّن أثبت الصانع المختار قال إنّه مولود كما قال بعضهم إنّه والد، لاستشعار نفوسهم النقص في ذلك.

وأمّا تحقيق البرهان علىٰ نفي كونه والداً فهو: إنّ رغبة المخلوقين في الأولاد لحاجتهم إليهم ليرثوهم، فلو اتخذ الله ولداً لكان لسدّ تلك الخلّة، والعدم علىٰ ذاته محال، فلا يكون له إلى اتخاذ الولد حاجة فلا داعي له إلى اتخاذه.

وقد أشار إلى ذلك في قوله: ﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنيّ﴾[2] مع قوله: ﴿فهب لي من لدنك وليّاً يرثني﴾[3]، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «قد لبس للحكمة جُنّتها ...»:

قال في شرح ابن أبي الحديد[4]

: هذا الكلام فسّره كلّ طائفة على حسب اعتقادها، فالشّيعة الإماميّة؛ تزعم أنّ المراد به المهدي المنتظر عندهم، والصوفيّة يزعمون أنّه يعني به وليّ الله في الأرض؛ وعندهم أنّ الدّنيا لا تخلُو عن الأبدال؛ وهم اربعون، وعن الأوتاد، وهم سبعة، وعن القطب وهو واحد؛ فإذا مات القطب صار أحد السبعة قطباً عوضه، وصار أحد الأربعين وتداً، عوض

---

(۱) شرح ابن أبي الحديد ۱۰ : ۸۲.
(۲) البقرة: ۲ / ۱۱٦.
(۳) مريم: ۱۹ / ٦.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ۱۰ : ۹٦.

الوَتِد، وصار بعض الأولياء الذين يصطفيهم الله تعالى أبدالاً عوض ذلك البدَل.

وأصحابُنا يزعمون أنّ الله تعالى لا يخلي الأُمّة من جماعة من المؤمنين العلماء بالعدْل والتوحيد، وأنّ الإجماع إنَّما يكون حجّةً باعتبار أقوال أُولئك العلماء لكنّه لمّا تـعذّرت معرفتهم بأعيانهم، اعتبر إجماع سائر العلماء، وإنَّما الأصل قول أولئك.

قالوا: وكلامُ أمير المؤمنينعليه السلام ليس يشير فيه إلى جماعة أولئك العلماء من حيث هم جماعة؛ ولكنّه يصف حال كلٍّ واحد منهم؛ فيقول: من صفته كذا، ومن صفته كذا.

والفلاسفة يزعمون أنّ مرادهعليه السلام بهذا الكلام العارف، ولهم في العرفان وصفات أربابه كلام يعرِفه مَنْ له أنس بأقوالهم. وليس يبعد عندي أن يريدَ به القائم من آل محمّدصلى الله عليه وآله في آخر الوقت، إذا خلقه الله تعالى؛ وإن لم يكن الآن موجوداً، فليس في الكلام ما يدلّ على وجوده الآن[١]؛ وقد وقع اتّفاق الفِرَق من المسلمين أجمعين على أنّ الدنيا والتكليف لا ينقضي إلّا عليه[٢].

وأقول: سبحان الله كم يحيص هذا الشارح عن الحق أن يلزمه تعصباً لمذهبه وأسلافه، ألا ترى كيف نسب إلى الشيعة جميعهم قول الإمامية وسكت عن ذكر قول سادات الشيعة والفرقة الناجية وهم الزيدية وهم يقولون إنّهعليه السلام يعني بكلامه: الصالح للإمامة من أهل بيت رسول اللهصلى الله عليه وآله سواء من كان داعياً مظهراً لإمامته ـ كمن دعا منهم ـ أو كان خـائفاً مستتراً كسائرهم.

وهذا القول هو الذي دلّ عليه قوله تعالى: ﴿إنّما أنت منذرٌ ولكلّ قومٍ هـادٍ﴾[٣] ودلّ عليه الأحاديث المتواترة معناها عن رسول اللهصلى الله عليه وآله، كحديث الثقلين المتواتر، وحديث السفينة المتواتر، والتشبيه بالنجوم وغيرها.

وكشف القناع وفسّر المراد من قول الله وقول رسوله كلام أمير المؤمنين الذي أكثره

---

(١) الدلائل الكثيرة دلّت على وجوده في وقت كتابة الشرح، راجع مقدّمة كتابنا أحاديث المهدي في مسند أحمد بن حنبل.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٩٦.

(٣) الرعد: ١٣ / ٧.

مذكور في هذا الكتاب، كقولهﷺ: «إنّما مثل آل محمّد فيكم مثل نجوم السماء كلّما أفِل نجم طلع نجم» وقولهﷺ: «اللّهمّ بَلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إمّا ظاهر مشهور أو خائف مغمور».

وغير ذلك من كلامه الذي يذكر صفات الهادي المطلق، مع ما قد كرّر وقرّر من أنّ الحجّة والمأمور باتباعه وأخذ العلم عنه هو أهل بيت رسول اللهﷺ.

وكلامه هذا دالّ على أنّ هذه الحجّة ثابتة في كل وقت وكل زمان إمّا ظاهرة أو خافية، وتفسير كلامهﷺ بكلامه وبما يوافق الكتاب والسنّة هو الواجب، لأنّهﷺ منتصب لتعريف الشرعيات وأدلّتها والحق ومعدنه.

ويؤيّده ما رواه المحدّثون عن النبيﷺ: «إنّ الله يبعث على رأس كلّ مئة في أُمتي من يجدّد لها دينها من أهل بيتي».

وأمّا ما ذكره الشارح في حق المهديﷺ، فهو حقّ، لكنّه واحد من أفراد الموصوف، مراد في زمانه لا قبل وجوده ولا دليل على قصر الكلام عليه مع ما يعلم من قصْدهﷺ إلى ذكر حجج الله وخلفائه في كل أوان ومع دلالة كلامه الذي أوردناه عليه، وهوﷺ أوّل المرادين؛ لأنّه الحجّة في زمنه.

وأمّا ما أورده الشارح من قول الإمامية وقول الصوفيّة وقول أصحابه وقول الفلاسفة، فأقوال باطلة. لأنّه لم يدل عليها دليل، بل دلّ الدليل على بطلانه، وذلك لأنّهﷺ أثبت للموصوف صفات يعلم عدم حصولها لمن ذكره، وذلك أنّا نعلم بالوجدان أنّ هذه الأُمور وهي الاغتراب لاغتراب الاسلام، ومفارقة الأهل والأوطان، بل والحياة في نصرته لم تحصل لغير أئمة أهل البيت وكذلك القيام بما هو لرسول اللهﷺ من إيضاح الحق وإرشاد الضلال وإصدار الفتاوى والأحكام والجهاد في الله حقّ الجهاد بالألسنة والأيدي والأقدام ودفع المظالم وإيصال الحقوق إلى أهلها، لا نعلم اجتماع هذه الأشياء الذي هو معنى الخلافة للأنبياء في واحد من غير أئمة أهل البيتﭺ

ثمّ إنّ الشارح يحيص عن الاعتراف بأنّ أمير المؤمنينﷺ يعني بكلامه الوارد في

تعريف من يجب اتباعهُ وأنّ الحق معه وأنّه المستخلف على الأُمّة والملقى إليه حلّ المشكلات وتعريف الملتبسات، أهل بيت رسول الله في كل زمان. ويقصر ذلك إذا كان صريحاً في أهل البيت على أمير المؤمنين عليه السلام خاصّة.

والعلّة الحاملة له على ذلك خشية أن يلزمه صحّة مذهب الزيدية فيلزمه الخروج من كثير من مذهب أصحابه، والله أعلم.

قوله: «ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين... الى آخره»

قال في شرح ابن أبي الحديد: قال أبو عمر بن عبد البر، قال عبد الرحمن بن ابزي: شهدنا مع عليّ عليه السلام صفّين ثمانمائة ممّن بايع بيعه الرضوان، قتل منّا ثلاثة وستون منهم عمّار بن ياسر[1].

وروى ابن عبد البر سنداً متصلاً بصالح بن الوجيه، قال: وممّن قُتِلَ بصفّين عمّار، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان، وعبدالله بن بُدَيْل؛ وجماعة من البدريّين رحمهم الله[2].

[ذكر أبي الهيثم بن التيّهان وطرف من أخباره][3]:

قوله عليه السلام: «وأين ابن التّيهان»:

هو أبوالهيثم بن التّيّهان؛ بالياء المنقوطة؛ باثنتين تحتها؛ المشددة المكسورة؛ وقبلها تاء منقوطة باثنتين فوقها؛ واسمه مالك، واسم أبيه مالك أيضاً، ابن عبيد بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر الأنصاري؛ أحدُ النُّقَباء ليلة العقَبة. وقيل: إنّه لم يكن من أنفسِهم، وإنّه من بَلِيّ بن أبي الحارث بن قضاعة[4]، وإنّه حليفٌ لبني عبد الأشهل؛ كان أحدَ النّقباء ليلة العقبة، وشهد بدراً[5].

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٠٤.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٠٨، والاستيعاب : ٦٩٦.
(٣) من ط.
(٤) في ص: وانه من بلي بن عمرو بن الحرث من قضاعة.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٠٧.

ثم قال ابن أبي الحديد بعد أن روى عن ابن عبد البر تصحيح ان ابن التيهان قتل بصفين؛ مالفظه: قلت: وهذه الرّواية أصحّ من قول ابن قتيبة في كتاب المعارف: «وقد ذكر قوم أنّ أبا الهيثم شهد صِفّين مع عليّ عليه السلام؛ ولا يعرف ذلك أهلُ العلم ولا يثبتونه»[١] فإنّ تعصُّب ابن قتيبة معلوم؛ وكيف يقول: لا يعرفه أهل العلم، وقد قاله أبو نعيم، وقاله صالح ابن الوجيه، ورواه ابن عبد البر وهؤلاء شيوخ المحدّثين![٢]

[ترجمة ذي الشهادتين خزيمة بن ثابت][٣]:

[ثم قال عليه السلام: «وأين][٤] ذو الشّهادتين»:

هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطْميّ الأنصاري من بني خَطْمة[٥] من الأوس جعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته كشهادة رجلين؛ لقصّة مشهورة[٦]؛ يكنّى أبا عُمارة، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد؛ وكانت رايةُ بني خَطْمة بيده يوم الفتح.

ثم قال ابن أبي الحديد ـ بعد أن روى عن ابن عبد البر ان ذا الشهادتين قتل بصفّين: قلت: ومن غريب ما وقعتُ عليه من العصبيّة القبيحة، أنّ أبا حيانٍ التوحيديّ قال في كتاب «البصائر»: «إنّ خُزيمة بن ثابت المقتول مع عليٍّ عليه السلام بصفّين؛ ليس هو خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين، بل آخر من الأنصار صحابيّ اسمه خزيمة بن ثابت»، وهذا خطأ، لأنّ كتب الحديث والنّسب تنطق بأنّه لم يكن في الصحابة من الأنصار، ولا من غير الأنصار خزيمة بن ثابت إلّا ذو الشهادتين؛ وإنّما الهوى لا دواء له؛ على أنّ الطبريّ صاحب التاريخ قد سَبَق أبا حيّان بهذا القول؛ ومن كتابِه نقَل أبو حيّان؛ والكتب الموضوعة لأسماء

---

(١) المعارف: ١١٧، قال: «وليس يعرف ذلك أهل العلم ولا يثبتونه».

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٠٨.

(٣) من ط.

(٤) من ط.

(٥) بنو خطمة: هم بنو عبدالله بن مالك بن أوس.

(٦) ذكر ابن الأثير في أُسد الغابة، قال: «روى عنه ابنه عمارة أن النبيّ اشترى فرساً من سواء بن قيس المحاربيّ، فجحده سواء، فشهد خزيمة بن ثابت للنبي؛ فقال له رسول الله: «ما حملك على الشهادة، ولم تكن حاضراً معنا؟ قال: صدقتك بما جئت به، وعلمت أنّك لا تقول إلّا حقّاً؛ فقال رسول الله: «من شهد له خزيمة أو عليه فهو حسبه».

الصحابة تشهد بخلاف ما ذكراه، ثم أيّ حاجة لناصري أمير المؤمنين أن يتكثّروا بخُزيمة، وأبي الهيثم، وعَمّار وغيرهم! لو أنصف النّاس هذا الرجل ورأوه بالعين الصحيحة، لعلموا أنّه لو كان وحده، وحاربه الناسُ كلُّهم أجمعون، لكان على الحقّ، وكانوا على الباطل[١].

قلت: وبذلك يتحقّق معنى قول أمير المؤمنين في توجّعه من عاقدي الأمر لغيره: «وصغّروا عظيم منزلتي».

فانحطاط منزلته في أنفس الناس إلى يوم القيامة، سببه عقد السقيفة، فلأهلها من جزاء ذلك وعيبه النصيب الأوفى والله المستعان.

[ذكر سعد بن عبادة ونسبه][٢]:

قوله: «وقيس بن سعد»:

وقيس بن سعد بن عبادة بن دُليم الخزرجي[٣]، صحابيّ، يكنى أبا عبد الملك؛ روى عن رسول الله ﷺ أحاديث، وكان طُوالاً جدّاً سباطاً شجاعاً، جواداً، وأبوه سعد رئيس الخزرج؛ وهو الذي حاولت الأنصار إقامته في الخلافة بعد رسول الله ﷺ، ولم يبايع أبا بكر حين بُويع، وخرج إلى حوران، فماتَ بها، قيل: قتلته الجنّ لأنّه بال قائماً في الصّحراء ليلاً، وروَوْا بيتين من شعر؛ قيل إنّهما سمعا ليلة قتْله، ولم يُرَ قائلهما:

نحنُ قتلنا سيِّد الخز ... رجِ سعد بن عبادهْ
ورميناه بسهمين ... فلم نُخطئ فؤادهْ

ويقول قوم: إنّ أمير الشام يومئذ كَمَن له مَنْ رماه ليلاً، وهو خارج إلى الصحراء بسهمين، فقتله لخروجه عن طاعة الإمام، وقد قال بعض المتأخرين في ذلك:

يقولون سعد شكّت الجنُّ قلبه ... ألا ربّما صحَّحْت دينك بالغدرِ
وما ذنبُ سعدٍ أنّه بالَ قائماً ... ولكنّ سعداً لم يبايع أبا بكرِ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٠٩.
(٢) من ط.
(٣) في ص: هو الخزرجي.

وقد صبرت من لذّة العيش أنفسٌ وما صبرتْ عن لذّة النّهي والأمرِ

وكان قيس بن سعد من كبار شيعة أمير المؤمنينعليه السلام ؛ وقائلٌ بمحبّته وولائه، وشهد معه حروبه كلّها؛ وكان مع الحسنعليه السلام ، نقم عليه صلحه معاوية، وكان طالبيّ الرأي، مخلصاً في اعتقاده وودّه؛ وأكّد ذلك عنده فواتُ الأمر أباه وما نيل يوم السقيفة وبعده منه، فوجِد من ذلك في نفسه وأضْمَره، حتى تمكّن من إظهاره في خلافة أمير المؤمنين، وكما قيل: «عدوّ عدوّك صديق لك»، انتهى من الشرح[١].

[في ذكر أبي أيوب الأنصاري ونسبه][٢]:

قوله: «ولأبي أيّوب الأنصاري»:

وأما أبو أيّوب الأنصاريّ؛ هو خالد بن يزيد بن كعب بن ثعلبة الخزرجيّ، من بني النّجار، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول اللهصلى الله عليه وآله لمّا خرج عن بني عمرو بن عوف، حين قدم المدينة مهاجراً من مكّة، فلم يزل عنده حتّى بَنى مسجده ومساكنه، ثم انتقل إليها؛ ويوم المؤاخاة آخى رسول اللهصلى الله عليه وآله بينه وبين مصعب بن عمير.

وقال أبو عمر في كتاب «الاستيعاب»: إنّ أبا أيّوب شهد مع عليّعليه السلام مشاهده كلّها[٣]، وروى ذلك عن الكلبي وابن إسحاق، قالا: شهد معه يوم الجمل وصفّين، وكان على مقدّمته يوم النّهروان، انتهى من الشرح[٤].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١١١ ـ ١١٢ . (٢) من ط .
(٣) الاستيعاب : ٦٢٠. (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١١٢ .

ومن خطبة له عليه السلام:

الحمدُ لِلّٰهِ المَعْرُوفِ مِنْ غَيرِ رُؤْيَةٍ، الخَالِقِ مِنْ غيرِ مَنْصَبَةٍ[١]، خَلَقَ الخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ، واسْتَعْبَدَ[٢] الأَرْبابَ بِعِزَّتِه، وسَادَ[٣] الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ، وَهُوَ[٤] الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْـيا خَـلْقَهُ، وَبَعَثَ إلى الجِنِّ والإِنْسِ رُسُلَهُ؛ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عنْ غِطائِها، ولِيُحَذِّرُوهُمْ[٥] منْ ضَرَّائِـها، ولِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثالها[٦]، وليبصّروهم عيوبها، ولِيَهْجُمُوا[٧] عليهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِـنْ تَـصَرُّفِ مَصاحِّها[٨] وأسْقامِهَا[٩]، وَحَلاَلِها وحَرَامِها، وما أَعَدَّ سبحانه لِلْمُطِيعين منهم والْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ ونَارٍ، وكَرَامَةٍ وَهَوانٍ.

أَحْمَدُهُ إلى نَفْسِهِ كما اسْتَحْمَدَ إلى خَلْقِهِ[١٠] جَعَلَ[١١] لِكلِّ شَيْءٍ قَدْراً[١٢]، ولِكلِّ قَدْرٍ أَجَلاً[١٣]، ولِكلِّ أَجَلٍ كِتَاباً[١٤].

---

(١) في هـ ب : من غير تعب ونصب، وفي هـ. ص: المنصبة بالفتح والنصب: التعب.

(٢) هـ. ص: أي اتخذهم عبيداً.

(٣) في هـ ب : صار سيّداً.

(٤) في ب و ص: هو.

(٥) في هـ ب : من الحذر.

(٦) في هـ. د: لهم عن أمثالها ـ م.

(٧) في هـ ب : هجمت على الشيء: بغتّه.
في هـ. ص: يقال «هجمت على الشيء» أي: وقعت عليه بغتة.

(٨) في هـ ب : مفاعل من الصحة.

(٩) عبارة «وليبصروهم عيوبها» وردت في «ب» هنا.

(١٠) في هـ ب : استحمد إليه: إذا فعل الثناء عليه، وفي هـ. ص: إمّا بمعنى طلب منهم حمده، وإمّا بمعنى أحسن إليهم فاستحق عليهم أن يحمدوه.

(١١) في هـ. د: وجعل ـ ض ب .

(١٢) في هـ. ص: جعل لكل شيء قدرا : أي من أفعاله قدراً، أي: جعله مقدّراً محدوداً لحكمة اقتضت ذلك القدر وتلك الكيفية، كما قال سبحانه: ﴿وكلُّ شيءٍ عنده بمقدارٍ﴾ الرعد:١٣/٨، انتهى من الشرح.

(١٣) في هـ. ص: أي وقتاً تنتهي إليه وينقطع عنده، من الشرح.

(١٤) في هـ. ص: أي رقماً تعرفه الملائكة لحكمة يعلمها.

مِنْهَا في ذكر القرآن:

فالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وصَامِتٌ ناطِقٌ، حُجَّةُ اللهِ على خَلْقِهِ، أخَذَ عليهمْ[١] مِيثَاقَهُ، وارْتَهَنَ عليْهِ[٢] أنْفُسَهُمْ[٣]، أتَمَّ نُورَهُ، وَأَكْرَمَ[٤] بِهِ دِينَهُ، وقَبَضَ نَبِيَّهُ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وقدْ فَرَغَ إلى الخَلْقِ منْ أحكامِ الْهُدَى[٥] بهِ.

فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحانَهُ ما عَظَّمَ منْ نَفْسِهِ، فإنَّهُ لمْ يُخْفِ عنكُمْ شَيْئاً منْ دِينِه[٦]،ولمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أوْ كَرِهَهُ إلّا وجَعَلَ لَهُ عَلَماً[٧] بادِياً[٨]، وآيةً مُحْكَمَةً[٩]. تَزْجُرُ عنْهُ أوْ تَدْعُو إليْهِ، فَرِضَاهُ فِيما بَقِيَ وَاحِدٌ، وسَخطُهُ فِيما بَقِي واحدٌ،واعْلَمُوا أنَّهُ لنْ يَرْضَى عنكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلى مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، ولَنْ يَسْخَطَ عَليكُمْ بِشَيءٍ رَضِيَهُ ممَّنْ كانَ قَبْلَكُم، وإنَّما تَسيرُونَ في أثَرٍ بَيِّنٍ[١٠]، وتَتكلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قدْ قالهُ الرِّجالُ منْ قَبْلِكُمْ. قدْ كَفاكُمْ مؤُونَةَ دُنْياكُمْ، وحَثَّكُمْ على الشكْرِ، وافْتَرَضَ من ألْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ، وَأوْصَاكُمْ بالتقْوَى، وَجَعَلَها[١١] مُنْتَهَى رِضاهُ وحاجَتَهُ منْ خَلْقِهِ.

فاتَّقوا اللهَ الَّذِي أنْتُمْ بِعَيْنِهِ[١٢]، ونَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وتَقَلُّبُكُمْ في قَبْضَته ـ إنْ أسْرَرْتُمْ[١٣] عَلِمَهُ، وإنْ أعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ[١٤]، قدْ وكَّلَ بذلكَ[١٥] حَفَظَةً كِراماً لا يُسْقِطُونَ حَقّاً، ولا يُثْبِتُونَ

---

(١) في ب: عليه، وفي هـ. د: عليه ـ ض ب ش، على المكلفين ـ ك.

(٢) في أو ط و د: عليهم، وفي هـ. د: عليه ب ش.

(٣) أي أخذ على أداء حق القرآن أنفسهم فإن لم يفعلوا يهلكوا، وفي هـ. د: نفوسهم ـ م.

(٤) في ط د: أكمل، وفي هـ. د: أكرم ـ ش. (٥) في هـ ب: من الشرائع وغيره.

(٦) في هـ ب: أي أن الله تعالى لم يخف عنكم شيئاً، فاما أمر به وبيّنه، واما نصب لهم عليه دليلاً قاطعاً. (٧) في هـ ب: علامة.

(٨) في هـ ب: ظاهراً.

(٩) في هـ ب: الآية المحكمة التي لا تحتمل التأويل إلّا حكماً واحداً.

(١٠) في هـ. ص: أي أنّ الأدلّة واضحة وليس مراده الأمر بالتقليد، من الشرح.

(١١) في هـ ب: أي التقوى.

(١٢) يقال: فلان بعين فلان، إذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء.

(١٣) في هـ. ص: أي لم يعلمه الكاتبون فكتبوه.

(١٤) في هـ. ص: أي يؤكّد الحجّة عليكم باستكتابه وان كان علمه محيطاً به.

(١٥) في هـ. د: وكّل بكم ـ ض ب.

باطِلاً، واعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الفِتَنِ، ونُوراً مِنَ الظُّلَمِ، ويُخْلِدَهُ فِيما اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، ويُنْزِلَهُ مَنْزِلَةَ[١] الكَرامةِ عِنْدَهُ، في دَارٍ اصْطَنَعَها لِنَفْسِهِ[٢]، ظِلُّها عَرْشُهُ، ونُورُها بَهْجَتُهُ، وزُوَّارُها مَلائِكَتُهُ، ورُفَقاؤُها رُسُلُهُ.

فَبادِرُوا المَعَادَ، وسَابِقُوا الآجالَ[٣]، فإِنَّ النَّاسَ يُوشَكُ[٤] أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ، ويَرْهَقَهُمُ[٥] الأَجَلُ، ويُسَدَّ عَنْهُمُ[٦] بابُ التَّوْبةِ، فقدْ أَصْبَحْتُمْ في مِثْلِ ما سأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ[٧]، وأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ[٨] على سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدارِكُمْ، وقَدْ أُوذِنْتُمْ[٩] مِنْها بالارْتِحال، وأُمِرْتُم فِيها بالزَّادِ.

واَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ على النَّارِ، فارْحَمُوا نُفوسَكُمْ؛ فإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوها في مَصائِبِ الدُّنْيا، فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، والعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، والرَّمْضاءِ[١٠] تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كانَ بيْنَ طابَقَيْنِ[١١] مِنْ نارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وقَرِينَ شَيْطانٍ،

---

(١) في د: منزل، وفي هـ. د: منزلة ـ ض ب، وفي هـ. ص، وفي نسخة: منزل.
(٢) في هـ ب : يريد بها الجنّة، واختارها لخاصّة أولياء أمره.
(٣) في هـ ب : الاجل: الموت. (٤) في هـ ب : يقرب.
(٥) هـ ب : يغشاهم. هـ. ص: رهقه الأمر بالكسر: غشيه عنوة وفاجئه ودفعه.
(٦) في ب: عليهم. وفي في هـ ب : عنهم.
(٧) في ص: الرجعة إليه. وفي هـ. ص: من سبقكم من في هـ ب : الرجعة، إشارة الى قوله تعالى: ﴿ربِّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلّا إنّها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون﴾ المؤمنون: ٢٣/ ٩٩. يقول: هبوا إنّكم بلغتم إلى تلك الحال وطلبتم الرجعة ورددتم إلى الدّنيا فاعملوا الآن. وفي هـ. ص: أي إنّ أهل التفريط قد سأل الرجعة الى ما أنتم فيه من دار التكليف وإمكان العمل، فقرّوا في أنفسكم إنّكم إذا فرّطتم كتفريطهم سألتم الرجعة كسؤالهم، فلا تجابون كما لم يجابوا، والله أعلم.
(٨) في هـ. ص: ابن السبيل : السائر في الأرض.
(٩) أعلمتم.
(١٠) في هـ. ب: الرمضاء: الرملة الحارة، وفي هـ. ص: هي الأرض الشديدة الحرارة، والرّمض ـ بالتحريك ـ: وقع الشمس على الرمل وغيره وتأثيرها فيه الحرارة.
(١١) في هـ ب : الطابق: الآجرّة الكبيرة، فارسي معرّب، وضجيع حجر: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قو أنفسكم وأهليكم ناراً...﴾ التحريم:٦٦/ ٦. قيل: انّها حجارة الكبريت. وفي هـ. ص: الطابق ـ بالفتح ـ: الآجرّة العظيمة، فارسي معرّب، انتهى من الشرح ، فكأنّه عليه السلام أراد: بين ←

أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مالِكاً[١] إذا غَضِبَ على النَّارِ حَطمَ[٢] بَعْضُها بَعْضاً لِغَضَبِهِ وإذا زَجَرَها تَوَثَّبَت[٣] بيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ؟

أيُّها اليَفَنُ الكَبيرُ[٤] الَّذِي قدْ لَهَزَهُ[٥] القَتِيرُ[٦]، كَيْفَ أَنْتَ إذا الْتَحَمَتْ[٧] أَطْوَاقُ[٨] النَّارُ بِعِظامِ الأَعْناقِ، ونَشَبَتِ[٩] الجَوَامِعُ[١٠] حَتّى أَكَلَتْ لُحُوم السَّواعِدِ؟ فاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ وأَنْتُمْ سالِمُونَ في الصِّحَّةِ[١١] قَبلَ السُّقْم، وفي الْفُسْحَةِ[١٢] قَبْلَ الضِّيقِ، فاسْعَوْا في فِكاكِ[١٣] رِقابِكمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تغْلَقَ رَهائِنُها[١٤].

أَسْهِرُوا عُيُونَكُم[١٥]، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ[١٦]، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدامكُمْ[١٧]، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ[١٨]، وَخُذُوا مِنْ أَجْسادِكُمْ[١٩] تَجُودُوا[٢٠] بِها على أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَبْخَلُوا

← شيئين متماثلين اطبق أحدهما على الآخر، من قوله تعالى: ﴿لهم من جهنّم مهادٌ ومن فوقهم غواشٍ﴾ الاعراف: ٧ / ٤١، ومن قوله: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النّار ومن تحتهم ظلل﴾ الزمر: ٣٩ / ١٦، والله أعلم.

(١) في هـ ب : مالك خازن النار.

(٢) في هـ ب : كسر، وفي هـ. ص: أي كسره وأكله، و«الحطمة» من أسماء النار، لأنّها تحطّم ما يلقى فيها، تمت من الشرح.

(٣) في هـ ب : قرّت.

(٤) في هـ ب : الشيخ.

(٥) في هـ ب : خالطه.

(٦) في هـ ب : الشيب، وفي هأ «لهزه القتير» أي: خالطه الشيب.

(٧) في هـ ب : التفّت وانضمت، وفي هـ. ص: أي خالطت لحمها فأفضت إليها.

(٨) في هـ ب : جمع طوق.

(٩) في هـ ب : علقت.

(١٠) في هـ ب : القيود، وفي هـ. ص: جمع جامعة: لأنّها تجمع اليدين إلى الرجلين.

(١١) في هـ. ص: متعلّق بناصب «الله الله»، من الشرح.

(١٢) في هـ ب : السعة.

(١٣) في هـ ب : تخليص.

(١٤) في هـ ب : كان في الجاهلية أنّ الراهن إذا لم يرد ما عليه في الأجل المؤقت ملك مال الرهن يقال أغلق الرهن، أي: تعلق بحلقه، وفي هـ. ص: يقال: علق الرهن ـ بالكسر ـ إذا استحقه المرتهن بأن لا يفكّه الراهن في المشروط وكان ذلك من شرع الجاهلية، فنهى النبي ﷺ عنه وقال: «لا يغلق الرهن». من الشرح.

(١٥) في هـ ب : أي لا تناموا، وفي هـ. ص: تهجّدوا.

(١٦) في هـ. أ: الإضمار: الدقة والهزال، وفي هـ ص: صوموا.

(١٧) في هـ ب : إمشوا في حوائج إخوانكم، وفي هـ. ص: حجوا وجاهدوا.

(١٨) في هـ. ص: تصدّقوا.

(١٩) في هـ ب : جمع جسد.

(٢٠) في ط: فجودوا، وفي هـ. د: فجودوا ـ ض، ما تجدوا ـ ب، وفي هـ ب : تميلوا.

بِها[١] عنْها، فَقَدْ قالَ اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿إن تَنْصرُوا الله ينصركم ويُثَبِّتْ أقْدامكم﴾[٢]، وقالَ تعالىٰ: ﴿مَن ذا الّذي يُقْرِض ٱلله قرضاً حسناً فيُضاعفهُ له ولهُ أجرٌ كريم﴾[٣].

فَلَمْ[٤] يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ[٥]؛ اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ الحَكِيمُ، وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ ٱلْغَنِيُّ الحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ[٦] أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً.

فَبادِرُوا بِأَعْمالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ[٧] جِيرَانِ ٱللهِ في دَارِهِ، رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ[٨] مَلَائِكَتَهُ، وَأَكْرَمَ أَسْماعَهُمْ عَن أنْ[٩] تَسْمَعَ حَسِيسَ[١٠] نارٍ أبداً، وَصانَ أجْسادَهُمْ أنْ تَلْقَى لُغُوباً[١١] وَنَصَباً: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَٱللهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[١٢].

أَقُولُ ما تَسْمَعُونَ، وَٱللهُ المُسْتَعانُ على نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ؛ وَهُوَ حَسْبُنا[١٣] وَنِعْمَ الْوَكِيلُ!.

* * *

قوله عليه السلام: «حجّة الله على خلقه»:

جعله صامتاً؛ لأنّه ـ من حيث هو حروف وأصوات ـ صامتٌ، إذ كان العرَض يستحيل أن يكون ناطقاً؛ لأنّ النطق حركة الأداة بالكلام، والكلام يستحيل أن يكون ذا أداة ينطق بالكلام بها؛ وهو من حيث يتضمّن الإخبار والأمر والنهي والنداء وغير ذلك من أقسام الكلام، كالناطق، لأنّ الفهم يقع عنده، وهذا من باب المجاز، انتهى من الشرح[١٤].

قوله عليه السلام: «فالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وصَامِتٌ ناطِقٌ»:

أي: ان القرآن لما كان بهذه الصفة كان حجّة لله باقية ببقاء التكليف، لظهور حجّيته ودلالته

---

(١) في هـ. ص، وفي نسخة: عليها.
(٢) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٤٧ / ٧.
(٣) البقرة: ٢ / ٢٤٥.
(٤) في ص: ولم في هـ. ص، وفي نسخة: فلم.
(٥) في هـ ب : من قُلّ: أي: من قِلّة.
(٦) في هـ. د: وأراد ـ ب.
(٧) في ص: من وفي هـ. ص، وفي نسخة: مع.
(٨) في هـ ب : من زار يزور.
(٩) في هـ ب : لم ترد «عن» في ط و د وفي هـ. د: عن ان تسمع ـ م.
(١٠) في هـ ب : صوت.
(١١) في هـ ب : اللغوب: النصب والتعب.
(١٢) سورة الحديد : ٢١.
(١٣) في هـ. د: فهو حسبي ـ ب وحسبنا الله ـ ل.
(١٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١١٧.

على مدلوله، أخذ عليهم ميثاقهم من قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا﴾[1] وجعل أنفسهم بمنزلة الرهن على ذلك الميثاق، فمن أوفى بميثاق الكتاب وهو العمل به أثابه وفكّ رهنه، ومن نكث وخالف غلق رهنه وجعل في محبس الرهائن.

قوله عليه السلام: «وقد فرغ إلى الخلق...»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: ذكر عليه السلام أنّ الله تعالى قَبَض رسوله صلى الله عليه وآله، وقد فَـرَغ إلى الخلق بالقرآن من الإكمال والإتمام، كقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي﴾[2]، وإذا كان قد أكمله لم يبق فيه نقص ينتظر إتمامه، انتهى[3].

قلت: وهذا مثل قوله عليه السلام: «مامن شيء إلّا وحكمه في القرآن، ولكن رأي الرجل يقصر عنه».

وهذا يدلّ على صحّة قول من يقول بوحدة الحق، وان ليس كلّ مجتهد مصيباً، إذ معنى كلامهم أنّ لله في كلّ حادثة حكماً وعلى كلّ مكلف طلبه، فمن ظفر به فهو المصيب، ومن خالفه فهو المخطئ وإن كان معذوراً.

ويدلّ أيضاً على أنّ موضوع القياس لإيضاح أنّ الحادثة المجتهد فيها من أفراد الحوادث التي قام النص عليها، وجزئي من جزئياتها والحكم ثابت بالنص، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «فعظّموا منه سبحانه...»:

تفريع هذا بالفاء على ما قبله دليل على أنّ قصده عليه السلام الردّ على من يقول إنّ كثيراً من الحوادث لا حكم لله فيها وأنّ المراد من كل فيها ما أدّاه إليه اجتهاده وأنّه حكم الله عليه فيها لا حكم له عليه سواه.

فقال عليه السلام: إنّ الله قد عظم نفسه فقال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[4].

وقال: ﴿انَّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم﴾[5] وقال: ﴿تفصيل كلّ شيء﴾[6] ونحوها

---

(١) المائدة: ٥ / ٧.
(٢) المائدة: ٥ / ٣.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١١٧.
(٤) المائدة: ٥ / ٣.
(٥) الاسراء: ١٧ / ٩.
(٦) يوسف: ١٢ / ١١١.

من الآيات الدالة على أنّه سبحانه لم يخف على العباد شيئاً من دينه ولم يترك مرضياً أو مكروهاً إلّا وأقام عليه دليلاً يأمر به أو ينهى عنه، وأنّ هذا الحكم مستمر في زمنه صلى الله عليه وآله وفيما يتجدّد من الحوادث بعده، فيجب على كلّ مسلم أن يعتقد عظمة الله التي أشار إليها ونبّه عليها في كتابه وهي كونه: أنزل ديناً كاملاً وافياً بكلّ ما يرضاه ويكرهه وأنّ كتابه الذي أنزله تبياناً لكلّ شيء وافٍ بالهداية إلى صراطه المستقيم، حجّة على الأوّلين والآخرين دليلٌ على كلّ ما يعامل به من دينه، فمن اعتقد خلاف هذا فلم يقدر الله حقّ قدره ولم يعظّمه حقّ عظمته فيالها بليّة عمّت وطمّت فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

قوله عليه السلام: «**فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد**»:

قال ابن أبي الحديد: معناه أنّ مالم ينصّ عليه صريحاً، بل هو في محلّ النّظر، ليس يجوز للعلماء أن يجتهدوا فيه، فيحلّه بعضهم، ويحرّمه بعضهم؛ بل رضا الله سبحانه أمرٌ واحد، وكذلك سَخَطه، فليس يجوز أن يكون شيء من الأشياء يفتي فيه قوم بالحلّ وقوم بالحرمة، وهذا قولٌ منه عليه السلام بتحريم الاجتهاد، وقد سبق منه عليه السلام مثلُ هذا الكلام مراراً، انتهى[١].

وأقول: بأنّ هذا الكلام وأمثاله يتخرّج على وجهين من التفسير:

أحدهما: الردّ على من يقول بأن كلّ مجتهد مصيب، كما سبق بيانه[٢].

والوجه الثاني: منع الاجتهاد من عموم الناس وتخصيصه بقوم مخصوصين خصصهم به الدليل الشرعي، وهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أشار عليه السلام إلى هذا الوجه في مواضع.

وقد يقال في بيان وجهه وإقامة البرهان عليه:

وجدنا كتاب الله تعالى ناطقاً بذم الاختلاف في دين الله، من ذلك قول الله سبحانه: ﴿**أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه**﴾[٣].

والدين: الإسلام، لقول الله تعالى: ﴿**إنّ الدّين عند الله الإسلام**﴾[٤].

والاسلام: الايمان، والايمان: قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، فتخصيص بعض هذه الأركان بالإرادة من دون دليل قاطع ولا ظاهر مرجح، قول على الله

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١١٨.
(٢) في شرح الخطبة : ١٧٦.
(٣) الشورى: ٤٢ / ١٣.
(٤) ال عمران : ٣ / ١٩.

ما لا يعلمه القائل، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾[١] وقوله تعالى: ﴿من الّذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاًكلٌّ حزبٍ بما لديهم فرحون﴾[٢].

وقوله: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[٣] وفي أُخرىٰ: ﴿الظالمون﴾[٤] وفي أُخرىٰ: ﴿الفاسقون﴾[٥].

وتجاويز الاجتهاد من كل ناظر سبب لتفريق الدين والحكم بغير ما أُنزل ربّ العالمين، فما أدّى إلى الباطل فهو باطل.

وإنّما قال الله عزّوجلّ: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى اَلله والرّسول﴾[٦].

قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ فيما تكرّر عنه واشتهر ـ: الرّد إلى الله: الرّد إلى محكم كتابه، والرّد إلى الرسول: الردّ إلى سنّته الجامعة غير المفرّقة.

والفرض إنّ الكتاب ليس فيه دليل صريح على المتنازع فيه، فلابدّ أن يعبّر عنه غيره.

فإن قلنا: كلّ أحد يعبّر عنه عدنا إلى الاختلاف المنهيّ عنه، فلم يبق إلّا أن يكون المعبّر عنه بعضاً مخصوصاً، ولا نعرف الخصوصيّة إلّا بتوقيف شرعي.

وقد دلّ على ذلك الأدلّة التي دلّت على حجّية إجماع أهل البيت فإنّها مصرّحة بأنّهم لا يخالفون كتاب الله ولا يفارقونه.

ومعلوم أنّ السّنّة الصحيحة لا تخالف الكتاب، فثبت أنّ أهل البيت دائماً مع الكتاب والسنّة كما صرّح به النبيّ صلى الله عليه وآله فيما رواه في أمالي الامام أبي طالب عن علي عليه السلام قال: «لمّا ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه والبيت غاصّ بمن فيه، قال: ادعوا الحسن والحسين، قال: فجعل يلثمهما حتى أُغمي عليه.

قال: فجعل عليّ يرفعهما عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: ففتح عينيه، فقال: دعهما يتمتّعان منّي وأتمتّع منهما، فإنّهما سيصيبهما بعدي أثرة.

---

(١) الانعام: ٦ / ١٥٩.
(٢) الروم: ٣٠ / ٣٢.
(٣) المائدة: ٥ / ٤٤.
(٤) المائدة: ٥ / ٤٥.
(٥) المائدة: ٥ / ٤٧.
(٦) النساء: ٤ / ٥٩.

ثمّ قال: أيّها الناس، إنّي قد خلّفت فيكم كتاب الله وسنّتي وعترتي أهل بيتي فالمضيّع لكتاب الله كالمضيّع لسنّتي، والمضيّع لسنّتي كالمضيّع لعترتي أما إنّ ذلك لن يفترق حتّى اللقاء على الحوض، انتهى.

قلت: وهذا الحديث مبيّن لوجه الجمع بين ما روي أنّ رسول الله ﷺ ذكر مع الكتاب السنّة وحدها في خطبة البلاغ بمكّة، وما في حديث الغدير المتواتر فإنّه ذكر فيه مع الكتاب العترة فقط، فإنّه لا منافاة بين استخلاف السنّة مع الكتاب واستخلاف العترة مع الكتاب، فتكون الثلاثة الكتاب والسنّة والعترة مستخلفات على الدلالة والهداية ـ كما نصّه هذا الحديث ـ فكانوا هم المعبّرين عنهما، فوجب الرجوع إليهم في المختلف فيه.

فإن قيل: ما ذكرت من الدليل دلّ على وجوب الرجوع إلى ما أجمعوا عليه فمن أين دلّ على منع الإجتهاد من غيرهم.

قلت: تجويز الإجتهاد من غيرهم مؤدٍّ إلى مخالفة الحقّ المردود إليهم وذلك أنّ الاجتهاد من الغير من حيث هو نظر موصل إلى مخالفتهم، ومخالفتهم مخالفة لكتاب الله، وما أدّى إلى الباطل فهو باطل.

فإن قيل: لا نسلّم أنّ اجتهاد غيرهم مؤدّ إلى مخالفتهم؛ لجواز أن يوافقوهم أو يوافقوا بعضهم.

فالجواب: أنّ الإجتهاد من حيث هو نظر وفكر قاضٍ بالاختلاف والطريق الذي لا يؤمن موافقة الخطأ فيه؛ يجب اجتنابه إذا كان عنه مندوحة، وتجويز الإنفاق لا يدفع هذا الأصل الثابت، على أنّ علّة مخالفة غيرهم لهم ضروري.

إن قيل: دليلك هذا ينتهض إذا أجمعوا على قول واحد، وهو خلاف مدّعاك ـ وهو منع الإجتهاد من غيرهم، سواء إجتمعوا على قول واحد أو اختلفوا ـ.

فالجواب: أنّ غيرهم إذا قال في مسألة بقول يخالف كلّ واحد من أقوالهم فقد خالف الكتاب والسنّة، لأنّ حكم الكتاب والسّنة أحد أقوالهم ـ وإن لم يتعيّن ـ، غير خارج عنها قطعاً لأنّا لو جوّزناه خارجاً عنها لكنّا قدجوّزنا مفارقتهم للكتاب والسنّة، وقد قام النص الصريح على أنّهم لا يخالفونهما على أنّ أدلّة حجيّة إجماعهم مصرّحة بوجوب الرجوع

إليهم ومنع مخالفتهم عند إجتماعهم وافتراقهم على وجه أن يؤخذ بالأحسن من أقوالهم.

فإن قيل: قد جوّز النبيّ ﷺ الإجتهاد لغيرهم كما في حديث معاذ وعقبة بن عامر وغيرهما، وأجمعت الصحابة على جوازه إذا كانوا يجتهدون من غير إنكار.

فالجواب: أمّا عمّا تُمسك به ـ من تجويز النبيّ ﷺ ـ فذلك إنّما جوّزه في حياته ﷺ لأمن مفسدة الاختلاف؛ لأنّ الله يدلّ نبيه ﷺ على الصواب ممّا وقع من ذلك، وينبهه على الخطأ، فلا يقرّر إلّا الحقّ الذي هو حكم الكتاب والسنّة، فيؤمن من الاختلاف، وذلك بخلاف ما بعد وفاته.

وقد نبّه ﷺ على ذلك في أدلّة وجوب الرجوع إليهم نحو قوله: «لَنْ تضلوا بعدي» وقوله: «أمان لأُمّتي من الاختلاف» وقوله في حقّ عليّ عليه السلام: «عليّ باب علمي ومبيّن لأُمّتي ما أُرسلت به من بعدي»، وقوله: «بك يا عليّ يهتدي المهتدون من بعدي»، وقوله: «فليتولّ عليّاً وذريّته من بعده: فإنّهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم من باب ضلالة» ونحوها.

وأمّا الجواب عمّا تمسّك به، من إجماع الصحابة: فغاية ما يدّعي من ذلك هو الإجماع السكوتي، وهو عليّ وهنه غير ثابت، لأنّ عماد الإجتماع وأصله أمير المؤمنين عليه السلام، بل قوله وحده حجّة بنفسه، ومعلوم أنّه لم ينقل عنه تصويب من اجتهد، بل كلامه مصرّح بتخطئته وأقواله المنقولة عنه في هذا الكتاب، أعني النهج وغيره صريحة في ذلك، كثيرة بحيث تواتر معناها، وكفى بذلك دافِعاً لما يدّعى من الاجماع وناقضاً له.

إن قيل: إنّ الوجه الذي اعتمدت عليه في منع الاجتهاد من غير العترة تقتضي منع إجتهادهم، فالتخصيص تحكّم منك.

قلت: الأمر كما ذكرت من اقتضائه منع الاجتهاد مطلقاً، إلّا أنّ أدلّة خاصّة جوّزته لهم، حاصلها أنّ صاحب الشريعة نصّ على وجوب التمسّك بهم وبالكتاب والسنّة، وأخبر أنّ ذلك لن يفترق مدّة التكليف وأنّ المتمسّك بذلك آمِن من الضلال، وأوجب ردّ المتنازع فيه إلى الكتاب والسنّة.

والفرض أن لا صراحة في دلالة الكتاب والسنّة على المتنازع فيه فعلمنا أنّ المراد الردّ

إلى الكتاب والسنّة مبيَّنين، ولا يبيّنهما إلّا من يعبّر عنهما، ولا قطع بصحّة بيان مبيّن إلّا مَن جاء النصّ بأنّه لا يفارق الكتاب والسنة فعلم أنّه المراد بايجاب الرجوع إليه، والمأذون له في استخراج معانيهما وتبيين مراديهما.

وإن وقع خطأ من بعض أفراده في تبيّن الحق فهو معفوّ عنه؛ لأنّه فعل ما أُذن له فيه، فلم يخطأ في السبب حتى يلزمه حكم خطأ القول المسبب، كما لزم من ليس من العترة؛ لأنّه غير مأذون له في السبب؛ لأنّه مأمور بالسؤال لا بالنظر.

إن قيل: لا شكّ أنّ المفسدة التي فررت منها، وهي الاختلاف والتفرّق في الدين، حاصلة من تجويز النظر لهم؛ فإن كانت مانعة فلتمنع مطلقاً، وإن لم تكن مانعة فلِمَ منعت الإجتهاد من غيرهم لا منهم؟

فالجواب: لا شك أنّ مراد الشارع منع الاختلاف والتفرّق من كل أحد، لكنّه لمّا كان لابدّ من معبّر يعبّر عن حكم الكتاب والسنّة بنظره والاختلاف لازم للنظر، اقتصر ـ من تحصيل مراد الشارع ـ على تقليل المفسدة فجعل لذلك أهلاً مخصوصين طهّر طينتهم وصفّى سريرتهم ونوّر بصيرتهم، ثم دلّ عليهم وجعلهم درجات يأخذ كلّ درجة ممّن فوقها، فأوّل الدرج وأعلاها رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ للنّاس ما نُزِّل إليهم﴾[1].

وثانيها: أمير المؤمنين عليه السلام كما ثبت ذلك من أدلّة حجيّة قوله[2].

ثمّ الحسنان، لآية التطهير وحديث الكساء واثبات امامتهما.

ثم أولادهم على درجاتهم، لأدلّة حجيّة إجماعهم.

وما ينسب إليهم من الاختلاف فأكثره اختلاف رواية أو اختلاف تخريج لمذهب الإمام فإنّ كثيراً من أتباعهم توسّعوا في التخريجات واعتمدوها وعدّوها أقوالاً للأئمة وأكثرها مصادم لنصوصهم.

وبعض الأئمة يختار العمل بالأشق إحتياطاً، لا أنّه يمنع غيره، فيجعله المحصّلون لمذهبه واجباً، والله أعلم.

---

(١) النحل: ١٦ / ٤٤.

(٢) في هامش نسختنا بخط يغاير خطّ المتن ما يلي: منها: «خذوا بحجزة هذا الأنزع».

وأعلم أنّ هذا القول ـ وهو منع الاجتهاد من غير العترة ـ تنفر منه نفوس المتأخّرين لعدم أُنسهم به، ولا لفهم لغيره ممّا تابعوا فيه علماء العامة ونقلوه من كتبهم كما هو شأنهم في متابعتهم واستحسان أقوالهم.

وقد نقلنا فيما سبق كلام زيد بن علي والناصر للحق ومحمد بن القاسم وعليك بالنظر في خطبة كتاب الأحكام للهادي للحق.

وقد ثبّت هذا القول الإمام القاسم بن محمّد ووضّحه واضح له في كتاب الإرشاد بما يدفع عن الناظر فيه الشك والإرتياب، وبيّن كيف يكون عمل الراجع إلى أهل البيت عند اختلافهم وقال: إنّ كلّ ما روي عنه مخالفاً لما في كتابه «الارشاد» فهو راجع عنه وما كان بعده دليلاً عليه، فقد صحّ عنده أنّه شبهة.

قلت: ومن ذلك تجويز الإجتهاد من غير أهل البيت، فقد وقع في بعض كلامه تجويزه ومنعه في الإرشاد، فعليك بكتابه إن أردت تحقيق ما قلناه.

قوله عليه السلام: «واعلموا أنّه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من قبلكم... إلى آخر الكلام».

معناه: أنّه ليس يرضى عنكم بالاختلاف في الفتاوى والأحكام كما اختلفت الأُمم من قبلكم فيسخط اختلافهم، قال سبحانه: ﴿إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لستَ منهم في شيء﴾[1]، وكذلك ليس يسخط عليكم بالاتفاق والاجتماع الذي رضيه ممّن كان قبلكم من القرون، انتهى من شرح ابن أبي الحديد[2].

قلت: وكلامه عليه السلام ردّ على من يزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «اختلاف أُمّتي رحمة»، فإنّ هذا اللّفظ كما يدلّ على مدح الاختلاف يدلّ أيضاً على ذمّ الإتفاق.

وآعلم أنّ هذه الأقوال التي صدر كلامه عليه السلام يشير إليها ويردّها على قائليها لم تكن قيلت في زمنه عليه السلام، ولكنّه قد كان علم أنّها ستقال، من أسرار الوصية ومكنون علم الرسول صلى الله عليه وآله الذي أفضاه إليه ونصبه لإيضاحه وكشف إلباسه وحلّ مشكلاته، وجعله نذير

---

(١) الأنعام: ٦ / ١٥٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١٨.

الفتنة ومعرّف أسبابها وسان معاملة أهلها، والله سبحانه أعلم.

واعلم أنّ هذا الحديث الذي يروّج به المختلفون طريقتهم، أصله ما أورده في الجامع الكافي ولفظه: روى محمّد بإسناده عن عائشة، قالت: قلت يارسول الله يصوم أهل هذا البلد اليوم ويصوم آخرون غداً، ويفطر أهل هذا البلد اليوم ويفطر آخرون غداً، ويضحّي أهل هذا البلد اليوم ويضحّي آخرون غداً، وفي هذا اختلاف.

فقال رسول الله ﷺ: «ليس هذا باختلاف ولكنّه رحمة، والصوم يوم يصوم الناس والفطر يوم يفطر الناس والأضحى يوم يضحّي الناس» انتهى نقلاً منه.

ومعنى قوله ﷺ: «ولكنّه رحمة».

أي: تخفيف وترخيص، يريد ﷺ أن الأوقات ومثلها الأماكن التي تلتبس إماراتها تثبت أحكامها تبعاً لظنّها، كما قال تعالى: ﴿فأينما تولّوا فَثَمَّ وجه الله﴾[1] ولم يرد الاختلاف في الأحكام الشرعية التي ورد الكتاب والسنّة بالنهي عن الاختلاف فيها. فإنّما الاختلاف فيها بلوى وفتنة كما قال تعالى: ﴿ولا يزالون مختلفين إلّا من رحم ربُّك ولذلك خلقهم﴾[2].

قال في الكشاف: ذلك إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام الأوّل وتضمّنه ـ يعني ولذلك من... والاختيار الذي كان عليه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحسن بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره انتهى والله العالم[3].

قوله: «وحاجته من خلقه».

وحاجته من خَلْقه، لفظة «حاجته» مجاز، لأنّ الله تعالى غنيٌّ غير محتاج؛ ولكنّه لما بالغ في الحثّ والحضّ عليها، وتوعد على تركها جعله كالمحتاج إلى الشيء، ووجهُ المشاركة أنّ المحتاج يحثّ ويحضّ على حاجته، وكذلك الآمر المكلّف إذا أكّد الأمر، انتهى من الشرح[4].

---

(١) البقرة: ٢ / ١١٥.
(٢) هود: ١١ / ١١٩.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١٩.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١٩.

[١٨٤]

ومن كلام له عليه السلام قاله للبرج[1] بن مسهر[2] الطائي[3] ـ وقد قال له بحيث يسمعه: «لا حكم إلّا لله» وكان من الخوارج :

أُسْكُتْ قَبَّحَكَ[4] اللهُ يا أَثْرَمُ[5] فَوَاللهِ لَقَدْ ظَهَرَ الحَقُّ فَكُنْتَ فيهِ ضَئِيلاً[6] شَخْصُكَ. خَفِيّاً صَوْتُكَ حَتّى إذا نَعَرَ[7] الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ[8] قَرْنِ الْمَاعِزِ[9].

---

(١) في ب: لبرج.

(٢) في هـ. ص: بضمّ الميم وكسر الهاء.

(٣) وهو أحد شعراء الخوارج.

(٤) في هـ. ص: كلمةٌ معناها: كسّرك، يقال: قبحت الجوزة، أي: كسّرتها، وقيل: قبّحه: نحّاه من الخير، انتهى من الشرح.

(٥) في هـ. ب: الأثرم في اللغة: من سقط ثنيته، وليس ذلك بعيب ، وبرج الطائي لعلّه أثرم، ومعناه: يامن فعله. أو يلقب به لوجه معيب، وفي هـ. ص: كان ساقط الثنية فأهانه بأن دعاه به عقوبة.

(٦) في هـ. ب: دقيقاً، وفي هـ. ص: هو الدقيق الخافي.

(٧) في هـ. ب: صاح، وفي هـ. ص: أي صاح داعياً لأهله.

(٨) في هـ. ب: نجم القرن والسنّ: أي ظهر، وفي هـ. ص: ظهرت.

(٩) في هـ. ب: الشاة، وفي هـ. ص: أي أعوج ملويّها.

ومن خطبة له عليه السلام[1]:

الحَمْدُ للهِ الذِي لا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، ولا تَحْوِيهِ المَشَاهِدُ[2]، ولا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، ولا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، الدَّالِّ على قِدمِهِ بِحُدوثِ خَلْقِهِ، وبِحُدُوثِ خَلْقِهِ على وُجُودِهِ، وبِإِشْتِباهِهِمْ[3] على أنْ[4] لا شَبهَ لهُ، الَّذِي صَدَقَ في مِيعَادِهِ، وارْتَفَعَ عنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وقامَ[5] بالْقِسْطِ[6] في خَلْقِهِ وعَدَلَ عليهِمْ في حُكْمِهِ، مُسْتَشْهِدٌ[7] بِحُدُوثِ الأشْياءِ على أزَلِيَّتِهِ، وبِمَا وسَمَها[8] بِهِ منَ الْعَجْزِ على قُدْرَتِهِ، وبِمَا اضْطَرَّها إِلَيْهِ منَ الْفَناءِ على دَوامِهِ.

واحِدٌ لا بِعَدَدٍ[9]، دَائِمٌ[10] لا بِأَمَدٍ[11]، وقائِمٌ[12] لا بِعَمَدٍ، تَتلَقَّاهُ[13] الأذْهانُ[14] لا بِمُشَاعَرَةٍ[15]، وتَشْهَدُ لهُ المَرَائِي[16] لا بمُحَاضَرَةٍ، لمْ تُحِطْ بِهِ الأَوْهامُ[17]، بَلْ تَجلَّى

(١) لم ترد هذه الخطبة في أ.

(٢) في هـ. ص: هي المجالس والنوادي، انتهى من الشرح.

(٣) في ص: وبأشباههم.

(٤) في ب: ألّا.

(٥) في هـ. ب: قام وأقام بمعنى واحد.

(٦) في هـ. ب: العدل.

(٧) في ب: مستشهَد، وفي هـ. د: رروي مستشهداً ـ ر، وفي هـ. ب: بالفتح أصح، ومستشهد بالأشياء والقدرة في عجز الخلق، تقديره: مستشهد على أزليّته بحدوث الأشياء.

(٨) في هـ. ب: من وسمه، أي: وسم به، من العلامة.

(٩) في هـ. ب: واحد لا ثاني له، ولا ينضم إليه غيره في العدد.

(١٠) في ص: دائم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: ودائم.

(١١) في هـ. ب: زمان.

(١٢) في ب ص: قائم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: وقائم.

(١٣) في ب: فتلقاه، وفي هـ. ب: من التلقي.

(١٤) في هـ. ب: جمع ذهن، وهو الفهم.

(١٥) المشاعرة: انفعال إحدى الحواس بما تحسّه، هـ ب: الحواس، هـ ص: يعني ادراك الحواس.

(١٦) في هـ. ب: جمع مرآة، على مفعلة، وهو المنظر الحسن.

(١٧) في هـ. ب: لم يحط الأوهام، أي: فكرته تجلّي الله للأوهام ولا حجابها بالأوهام؛ لأنّ الأوهام تقع على أنّه لولا الله لم يكن وهم ولا صاحب وهم ولا يقع الوهم وعلى أنّ الخالق

←

لَها[١]، وبِهَا امْتَنَعَ مِنْها، وإلَيْها حَاكَمها[٢]، لَيْسَ[٣] بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً، ولا بِذِي عِظَمٍ تناهَتْ بِهِ الْغايَات فَعظَّمَتْهُ تجْسِيداً، بَلْ كَبُرَ شَأناً، وعَظُمَ سُلْطَاناً.

وأشْهَدُ أن لا إله إلّا الله وحده لا شريكَ لهُ[٤] وأشْهَدُ أنّ مُحَمّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ الصَّفِيُّ[٥]، وأمِينُهُ الرَّضِيُّ[٦] صلّى اللهُ عليْهِ وآلِهِ وسلّم، أرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الحُجَجِ[٧]، وظُهُورِ الْفُلْجِ، وإيضَاحِ المَنْهجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالةَ صَادِعاً[٨] بها، وحَمَلَ على المَحَجَّةِ[٩] دَالاًّ عليها، وأقامَ أعْلَامَ الإهْتِدَاء، ومَنارَ الضِّيَاء، وجَعلَ أمْرَاسَ[١٠] الإسْلَامِ مَتِينَةً، وعُرَى[١١] الإيمانِ وثِيقَةً.

مِنْها: في صِفَةِ عجيب خَلْقِ أصْنافٍ منَ الحَيَوان:

ولوْ فَكَّرُوا في عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إلى الطَّرِيقِ، وخَافُوا عذَابَ الحرِيقِ، ولكن الْقُلُوبُ عَليلَةٌ[١٢]، والأبصارِ[١٣] مَدْخُولَةٌ[١٤]، ألَا يَنْظُرُونَ[١٥] إلى صَغيرِ ما خَلَقَ[١٦] كَيْفَ أحْكَمَ خَلْقَهُ، وأتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ[١٧] لَهُ السَّمْعَ والْبَصَرَ، وسَوَّى لهُ الْعَظْمَ والْبشَرَ[١٨]؟ أنْظُرُوا إلى النَّمْلةِ في صِغَرِ جُثَّتِها، ولَطَافَةِ هَيئَتِها، لا تَكادُ تُنالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ،

← تعالى كما يقع عليه الوهم والله تعالى خالق الأوهام أي جعلكم على نفس الأوهام بأنّها لا تحيط به ولا تقع على ذاته، والمحاكمة: الموافقة.

(١) في ط بها.

(٢) أي: حكمت الأوهام على نفسها بالعجز.

(٣) في هـ. ب: أي ليس هو.

(٤) لم ترد «وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له» في ب و ط.

(٥) في هـ. ص، وفي نسخة: المصطفى، وفي هـ. د: المصطفى ـ ف ن. عبده الصفي ـ م ل.

(٦) في هـ. ص: في نسخة: المرتضى.

(٧) أي ليلزم العباد بالحجج؛ والفلج: الظفر وظهور الفلج: إعلاء كلمة الإسلام.

(٨) في هـ. ب: مبيّناً صائحاً.

(٩) في هـ. ب: الطريق.

(١٠) في هـ. ب: أي حبالها محكمة، والمرسة: الحبل.

(١١) في هـ. ب: جمع عروة.

(١٢) في هـ. ب: مريضة.

(١٣) في هـ. د: والبصائر ح ص ب.

(١٤) في هـ. ب: أي معيبة أو دغلة.

(١٥) في ب: ألا تنظرون.

(١٦) في ب زيادة: الله، وفي هـ. د: ما خلق الله ـ ش.

(١٧) في هـ. ب: خلق وشق.

(١٨) جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد.

ولا بِمُسْتَدْرِكِ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَبَّتْ[١] على أرْضِهَا، وَصُبّت[٢] على رِزْقِها[٣]، تَنْقُلُ الحَبَّةَ إلى جُحْرِها، وتَعُدُّها في مُسْتَقَرِّها، تَجْمَعُ في حَرِّها لِبَرْدِها، وفي وِرودِها[٤] لِصَدَرِها[٥]، مَكْفُولٌ[٦] بِرِزْقِها، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِها[٧]، لا يُغْفِلُها[٨] المَنَّانُ، ولا يحْرِمُها[٩] الدَّيَّان[١٠] ولوْ في الصَّفا[١١] الْيابِسِ، والحَجَرِ الجَامِسِ[١٢].

ولوْ فَكَّرْتَ في مَجارِي أكلِها، وفي عُلْوِها وسُفْلِها، ومَا في الجَوْفِ منْ شَرَاسِيفِ[١٣] بَطْنِها، ومَا في الرَّأْسِ منْ عَيْنِها وأُذُنِها، لَقَضَيْتَ منْ خَلْقِها[١٤] عَجَباً، ولَقِيتَ منْ وصْفِها تَعَباً.

فَتَعالَى الذِي أقامَها على قَوَائِمِها، وبَناهَا على دَعائِمِها، لمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِها فاطِرٌ، ولمْ يُعِنْهُ في خَلْقِها[١٥] قادِرٌ، ولوْ ضَرَبْتَ في مَذَاهِبِ فِكْرِك لِتَبْلُغَ غاياتِه[١٦]، مَا دَلَّتْكَ الدّلاَلَةُ إلَّا على أنَّ فاطِرَ النمْلةِ هُوَ فاطِرُ النَّخلةِ؛ لدَقيقِ تَفْصِيلِ كلِّ شيْءٍ[١٧]، وغامِض اخْتِلاَفِ كلِّ حَيّ، ومَا الجَلِيل واللَّطِيفُ، والثَّقِيلُ والخَفِيفُ[١٨]، والْقَوِيُّ والضَّعِيفُ في خَلْقِهِ إلَّا سَوَاءٌ[١٩]، كَذَلِكَ السَّماءُ والهوَاءُ، والرِّياحُ والمَاء.

---

(١) في هـ. ب: مشت مشياً خفيّاً.
(٢) في هـ. د: وضنت ـ ن ف.
(٣) في هـ. ب: «صبت على رزقها» قيل: هو على العكس، أي: صبت رزقها عليها، وظاهر اللّفظ حسن.
(٤) في ص: وردها، هـ. د: دردها ـ ض ح.
(٥) الصَدَر محرّكة: الرجوع بعد الورود.
(٦) في د: مكفولة.
(٧) أي بما يوافقها من الرزق.
(٨) في هـ. ب: لا يتركها.
(٩) في هـ. ب: لا يمنعها.
(١٠) في هـ. ب: «الديّان» من صفات الله تعالى فإنّ الله يجازي ويحاسب ويكافئ والدين: الجزاء والمكافأة، قال تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾.
(١١) في هـ. ب: الأملس.
(١٢) في هـ. ب: الجامد.
(١٣) في هـ. ب: الشراسيف: أطراف الضلع التي تشرف على البطن، الواحدة: شرسوف.
(١٤) في ب: من ذلك، وفي هـ. ب: من خلقها ـ صح.
(١٥) في د: على خلقها، وفي هـ. د: في خلقها ـ ب ل ش.
(١٦) في د: غاياتك، وفي هـ. د: غاياته ـ ض ح ب ل ش.
(١٧) في هـ. ب، وفي نسخة: كلّ حي.
(١٨) في ب: والخليل، وفي هـ. ب: الخفيف، وفي هـ. ب، وفي نسخة: والخفيف.
(١٩) في هـ. ب: كما قال الله تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلّا كنفسٍ واحدةٍ﴾.

فانْظُرْ إلى الشَّمْسِ والْقَمَرِ والنَّباتِ والشَّجَرِ، والْماءِ والحَجَرِ، واخْتِلاَفِ هـذا اللَّـيْلِ والنَّهارِ، وتَفَجُّرِ هذِهِ الْبِحَارِ، وكثرَةِ هذِه الجِبالِ، وطُولِ هذِهِ الْقِلاَلِ[١]، وتَفَرُّق هذِه اللُّغاتِ، وَالأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ.

فالْوَيْلُ[٢] لِمَنْ جَحَدَ المُقَدِّرَ، وأَنْكَرَ المُدَبِّرَ[٣]، زَعَمُوا أَنَّـهُمْ كـالنَّباتِ مـالَهُمْ زَارِعٌ، ولا لِاخْتِلاَفِ صُوَرِهِمْ صانِعٌ، ولمْ يَلْجأُوا[٤] إلى حُجَّةٍ فِيما ادَّعُوا، ولا تَحْقِيقٍ لِمَا أُوعُـوا[٥]، وهَلْ يَكُونُ بِناءٌ منْ غيرِ بانٍ؟ أوْ جِنايةٌ منْ غيرِ جانٍ؟

وإنْ شِئْتَ قُلْتَ في الجَرادَةِ إذْ خَلَقَ لها عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وأَسْرَجَ لها حَدَقَتَينِ قَمْرَاوَيْنِ[٦] وَجَعَلَ لها السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وفَتَحَ لها الفَمَ السَّوِيَّ، وجَعَلَ لها الْحَسَّ القَوِيَّ[٧]، ونابَيْنِ[٨] بِهِما تَقْرِضُ[٩]، ومِنْجَلَينِ[١٠] بِهِما تَقْبِضُ، يَرْهَبُها[١١] الزُّرَّاعُ في زَرْعِهِمْ، ولا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّها[١٢]، ولوْ أجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتّى[١٣] تَرِدَ الحَرْثَ[١٤] في نَزَوَاتِها[١٥]، وتَقْضِيَ منْهُ شَهَوَاتِها[١٦]، وخَلْقُهَا[١٧] كُلُّهُ لا يَكُونُ إصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً.

فَتَبارَكَ اللهُ الذِي[١٨] يَسْجُدُ لَهُ مَنْ في السَّماواتِ والأَرْضِ طَوْعاً[١٩] وكَرْهاً، ويَعْفُرُ[٢٠] لَهُ

---

(١) في هـ. ب: جمع قلّة الجبل.
(٢) في ب: الويل.
(٣) في د: لمن أنكر المقدر وجحد المدبر، وفي هـ. د: لمن جحد المقدر وأنكر المدبر ـ ب ل.
(٤) في هـ. د: لم يلجأوا ـ م ن ف.
(٥) في ب: ادعوا وفي د: وعوا، وفي هـ. ب: وعيت الشيء حفظته، وأوعيت الشيء: جعلته في الوعاء، وفي هـ. د: لما أوعوا ـ ض ب ل ش.
(٦) أي: مضيئتين كأنّ كلاً منها قمر، أي: أضاءها القمر.
(٧) في هـ. ب: خلق أي جعل للجرادة ما تحسّ به الأشياء.
(٨) في هـ. ب: مثنى ناب.
(٩) في هـ. ب: تقرض: تقطع، أي تستأصل به الزرع.
(١٠) في هـ. ب: المنجل: ما يحصد به الزرع.
(١١) في هـ. ب: يخافها.
(١٢) في هـ. ب: دفعها.
(١٣) في هـ. ب، وفي نسخة: حين.
(١٤) في هـ. ب: الزرع.
(١٥) في هـ. ب: النزوات: الوثبات.
(١٦) في هـ. د: فيه شهواتها ـ ف.
(١٧) في هـ. ب: خلقها: شخصها.
(١٨) في ب: فتبارك الذي، وفي هـ. د: فتبارك الذي ـ ص ح ف ل ش.
(١٩) في هـ. ب: صلحاً.
(٢٠) في ط: ويعفوا، وفي هـ. د: ويعنوا ـ ب.

خَدّاً وَوَجْهاً، ويُلْقِي بِالطّاعَةِ إليْهِ[١] سِلْماً وضعْفاً، ويُعْطِي لَهُ[٢] الْقِيادَ[٣] رَهْبَةً وخَوْفاً، فالطَّيرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أحْصَى[٤] عَدَدَ الرِّيشِ مِنْها والنَّفَسِ، وأرْسَى قَوَائِمَها على النَّدَى واليَبَس، وقَدَّرَ[٥] أقْوَاتها، وأحْصَى أجْناسَها، فَهٰذا غُرَابٌ، وهٰذَا عُقابٌ، وهَذَا حَمامٌ، وهَذَا نَعامٌ، دَعا كُلَّ طَائِرٍ باسمِهِ[٦]، وكَفَلَ لهُ بِرِزْقِهِ، وأنْشأَ السَّحَابَ الثِّقالَ، فأهْطَلَ دِيَمَها[٧]، وعَدَّدَ قَسْمَها، فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ[٨] جُفُوفِها[٩] وأخْرَجَ نَبْتَها بَعْدَ جُدُوبِها[١٠].

* * *

قوله عليه السلام: «لا تدركه الشواهد»:

[الشواهد] هي الحواس، أمّا لأنّها تشهد الأشياء أي تحضرها، وإمّا لأنّها تشهد بالأشياء عند العقل، أي: تثبتها انتهى من الشرح [١١].

قوله عليه السلام: «الدال علىٰ قدمه... إلى قوله: وجوده»:

إعلم أنّه عليه السلام لمّا كان همّه ومغزى كلامه توحيد الله وتعريف دليل الوحدانية قدّم ذكر دليل وصفه بكونه قديماً علىٰ بيان وصفه بأنّه موجود؛ لأنّ وصفه بأنّه موجود ضروري لم يخالف فيه أحد من العقلاء إلّا من لا يؤبه له ـ كما ذكر قاضي القضاة عن جماعة من الورّاقين وتابعهم عليه ابن الراوندي كما سبق نقله ـ.

قال عليه السلام: إنّ دليل كونه قديماً كون خلقه حادثاً؛ لافتقار كلّ محدَث إلى محدِث بالضرورة، ولا يقطع داعي الضرورة إلّا إثبات مؤثّر قديم غير كل المحدّثات.

ثمّ إنّه عليه السلام صرّح بما فهم من هذا الاستدلال فقال: وهذا الدليل بعينه يدلّ على أمر آخر وهو وصفه بكونه موجوداً؛ لضرورة أنّ المؤثر موجود وإن كان هذا الأمر مستغنياً عن نصب الدليل عليه لكنّه من باب إكمال الفائدة، وإذا أراد مريد أن يبكّت به معانداً إجحاداً.

---

(١) في ط : إليه بالطاعة.
(٢) لم ترد «له» في ب و ص.
(٣) في هـ. ب: من الانقياد.
(٤) في هـ. ب: أثبت.
(٥) في د: قدر، وفي هـ. د: وقدر ـ ض ح ب.
(٦) في هـ. ب: أي باسم طائر.
(٧) في هـ. ب: أمطارها.
(٨) في ب: قبل.
(٩) في هـ. ب: يبسها.
(١٠) في هـ. ب: قحوطها.
(١١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٤٥.

إذا عرفت هذا فلا حاجة بنا إلى ما ارتكبه ابن أبي الحديد من الوجهين الباطلين[١]، أحدهما: تخريج كلام أمير المؤمنين علىٰ مذهب أبي هاشم الباطل وهو إثبات الذوات المعلومة في الأزل. وقوله: إنّها قد تتصف عندهم بصفات ذاتيّة وهي معدومة، وساق كلاماً في ذكر هذا المذهب حتّى قال:

فإن قلت: أيقول أصحابُ شيخكم أبي هاشم إنّ الذات المعدومة الّتي لا أوّل لها تسمّى قديمة؟

قلت: لا، والبحث في هذا بحث في اللّفظ، لا في المعنى، انتهى[٢].

فهذا إقرار بلزوم تسميتهم لها قديمة، وان لم يقولوه، وكفى بذلك بطلاً، فهذا المعنى لا يعقل، فضلاً عن كونه يصح حتّى ينبّنى عليه تفسير كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

الوجه الثاني: من الوجهين الباطلين: زعم أنّه يتخرّج على مذهب البغداديين وهو تأويل متعسّف يعلم ردّه بالضرورة.

والذي ألجأه إلى هذين الوجهين زعمه إنّ إحدى القرنتين تغني عن الأُخرىٰ فيكون ذكرها لغواً.

والحق انّ ذكر الشيء صريحاً بعد ذكره لزوماً، لا لغو فيه؛ لأنّ التصريح بذكر الشيء بالقصد إليه، واللّزوم ذكره تبعاً لغيره من غير قصد إليه، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «وباشتباههم على الّا شبه له»:

بيان ذلك: إنّ الذي في الوجود مؤثِّر ومؤثَّر، والشيء لا يؤثّر في نفسه؛ لوجوب تقدّم المؤثِّر على المؤثَّر، وكذلك لا يؤثّر في مثله ـ في ذاته وفي صفات ذاته ـ لأنّه مثله قديم، وقد ثبت أنّ كلّ ما عداه حادث مؤثّر. فصحّ أنّه يجب أن يكون المؤثر خلافاً لأثره.

قال القاسم بن إبراهيم في كتابه الدليل الكبير: ومن أسباب العلم به دلائله بعد الذي أبان من أثر التدبير في جعائله أوثق وثائق الأسباب ممّا فطر عليه بنية الألباب من العلم البت واليقين المثبت، الذي لا يعتري فيه بحقيقته شكٌّ ولا مرية ولا يعترض فيما جعل من

---

(١) المصدر نفسه آخر ص٤٥ وسيأتي بيان الوجه الثاني في الصفحة القادمة.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٤٦.

بصائره شبهة مغشية، من أنّ لكلّ ما أحسن أو عقل ممّا أثر سبحانه وجعل خلافاً[١] متيقّناً بعلوم لا تدركه الحواس ولا الوهوم تعقل وتعرف بخلاف ما عقلت الأشياء وعرفت، فيخالفه ويخالفها بغير ما به في أنفسها اختلفت.

ثمّ قال: وهذا الباب من خلافه سبحانه لاجزاء الأشياء كلّها فيما يدرك من فروع الأشياء وأصلها، فما لا يوجد إلّا بين الأشياء وبينه ولا يوصف بها أحد غيره سبحانه وهي الصفة التي لا يشاركه عزّوجلّ فيها مشارك ولا يملكها عليه تعالى مالك ولا يعمّ جميع الأشياء اختلاف عمومه، ولا تصحح الألباب ـ إلّا لله ـ معلومه؛ لأنّه وإن وقع بين الأشياء ما يقع من الاختلاف فلن يوجد واقعاً إلّا بين ذوات الأوصاف وكلّ واحد منها وإن خالف غيره في صفة فقد يوافقه في صفة أُخرى كان ممّا يعقل أو كان ممّا يلمس ويرىٰ.

فإن اختلف محسوسان في لون أو طعم اتفقا فيما لهما من حدود الجسم، وإن اختلف معقولان في فعال أو همّة اتفقا فيما يعقل من أصولهما المتوهمة كالملائكة والإنس والشياطين التي أُصولها النفسانية واحدة متّفقة وهمّها وأفعالها مختلفة مفترقة، فهمم الملائكة الاحسان والتسبيح، وهمم الشياطين العصيان والقبيح، وهمم أنفس الإنس فمختلفة كاختلافها في قصدها وإسرافها فتحسن مرّة وتبرّ، وتسيء مرّة وتشرّ.

وكلّ خلق من الملائكة والإنس والشياطين فقد جعل الله له صفة متممة ذاتية، بها بان بعضهم من بعض، وكانت لكل من جعلها الله له خاصّة صفته، فهي لهم وبينهم، ولكلّهم اختلاف وكلّهم بها وبما جعل الله منها أصناف بعضهم غير بعض كالسماء غير الأرض، انتهى كلامه[٢].

قوله عليه السلام: «مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته»:

في هذا دليل على تنافي الوصف بالأزل والوصف بالحدوث، فكلّما وصف بالحدوث لم يصح أن يوصف بالأزل فيبطل قول أصحاب أبي هاشم في ذوات الأشياء إنّها أزلية.

---

(١) في الهامش: أي مخالف لها.

(٢) قد سبق الاستشهاد بهذا الكلام من القاسم في شرح الخطبة ١٠٧ أيضاً، فراجع.

وفيه دليل على ترادف الوصف بالأزل والقدم فيبطل قولهم: إن الصفات أزلية لا قديمة.

قال في الصحاح: والأزل ـ بالتحريك ـ: القدم، يقال: أزلي، ذكر بعض أهل اللّغة أنّ أصل هذه الكلمة قولهم للقديم: لم يزل، ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلّا باختصار فقالوا: يزلي ثم أبدل الياء ألفاً لأنّها أخف فقالوا: أزلي،كما قالوا في (الرمح) المنسوب إلى بني يزن: أزني، ونصل أثربي ، انتهى .

ويظهر لي من مغزى كلامه إلى قوله: «سلطاناً» هو التنبيه على اختلاف مفهومي الصفة التي تطلق على الله سبحانه وعلىٰ غيره ردعاً للوهم عند الإطلاق أن يتبادر إلى ما هو المألوف له تحقيقاً لقوله: «التوحيد ألّا تتوهّمه»، فبدأ بصفة القدم التي هي أخص صفات الباري تعالىٰ، فقال: لما ثبت أنّ كل شيء غيره حادث ـ وإنْ وصف بالقدم ـ فهو النسبي، علم أنّه سبحانه موصوف بالقدم وهو الوجود الذي لا أوّل له وهو المعبّر عنه في عرف اللّغة واصطلاح المتكلّمين بالأزلية.

فمِن ثَم اختار عليه السلام التعبير بها لاختصاص الوصف بها بالباري تعالى وقال عليه السلام: إنّ الأشياء لمّا كان القادر منها يعجز عن كثير من المقدورات ـ وهي المختصة بالباري تعالىٰ ـ، وكان بعضها يقدر على شيء ويعجز عن شيء يقدر عليه غيره، ويختلف في ذلك ويتعاكس ويحدث لبعضها بعد أن لم يكن ويزول بعد ان كانت، علمنا إنّ قدرة الأشياء بجعل جاعل مختار مؤثر في الذات وصفتها وعلمنا أنّ قدرة الباري تعالى ذاتية مخالفة لقدر الأشياء كلّها ـ مفهوماً ـ.

ولما كانت الأشياء تفنى مترتبة فيه ومختلفة في أسبابه وأوقاته وكيفياته علمنا أنّ فنائها حصل بفعل فاعل متخيّر فلم يجز عليه الفناء لاحتياجه إلى المفني، ووجب له البقاء الدائم فهو الباقي مطلقاً لا الباقي بقاءً نسبياً كغيره.

ثم قال عليه السلام: «واحد لا بعدد»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: لأنّ وحدته ذاتية، ليست بصفة[١] زائدة عليه، وهذا من الأبحاث الدقيقة في علم الحكمة، وليس هذا الكتاب موضوعاً لبسط القول في أمثاله.

ثم قال: «دائم لا بأمَد»، لأنّه سبحانه ليس بزمانيّ ولا داخل تحت الحركة والزمان، وهذا أيضاً من دقائق العلم الإلهيّ، والعرب دون أن تفهم هذا أو تنطق به، ولكن هذا الرجل كان ممنوحاً من الله تعالى بالفيْض المقدّس والأنوار الربّانية.

ثم قال: «قائم لا بعَمد»، لأنّه لما كان في الشاهد كلّ قائم فله عماد يعتمد عليه، أبان عليه السلام تنزيهه تعالى عن المكان، وعمّا يتوهمّه الجهلاء من أنّه مستقرٌّ على عرشه بهذه اللفظة. ومعنى القائم هاهنا ليس ما يسبق إلى الذهن من أنّه المنتصب؟ بل ما تفهمه من قولك: فلان قائم بتدبير البلد، وقائم بالقسط، انتهى كلام ابن أبي الحديد[٢].

قوله عليه السلام: **«تتلقّاه الأذهان لا بمشاعرة»**:

قال في الشرح، أي: تتلقّاه تلقّياً عقليّاً، ليس كما يتلقّى الجسم الجسم بمشاعره وحواسّه وجوارحه، وذلك لأنّ تعقّل الأشياء هو حصول صورها في العقل بريئة من المادة، والمراد بتلقّيه سبحانه هاهنا تلقّي صفاته، لا تلقّي ذاته تعالى، لأنّ ذاته تعالى لا تتصوّرها العقول، وسيأتي إيضاح أنّ هذا مذهبه عليه السلام.

ثم قال: **«وتشهد له المرائي لا بمُحاضرة»**:

المرائي: جمع مرئيّ، وهو الشيء المدرَك بالبَصر، يقول: المرئيّات تشهدُ بوجود الباري، لأنّه لولا وجوده لما وُجدت، ولو لم توجد لم تكن مرئيّات، وهي شاهدة بوجوده لا كشهادتها بوجود الأبصار، لأنّها شهدت بوجود الأبصار لحضورها فيها. وأمّا شهادتها بوجود الباري فليست بهذه الطريق، بل بما ذكرناه. والأولى أن يكون «المرائي» هاهنا جمع «مَرْآة» بفتح الميم، من قولهم: هو حسن في مَرآة عيني، يقول: إنّ نفس[٣] الرؤية يشهد بوجود الباري من غير محاضرة منه للحواس.

قوله عليه السلام: **«لم تُحط به الأوهام... إلى قوله: وإليها حاكَمَها»**:

---

(١) في ط: لأنّ وحدته ذاتية وليست صفة. (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣ : ٤٨.

(٣) في ط: جنس.

قال في الشرح: هذا الكلام دقيق ولطيف، والأوهام هاهنا هي العقول، يقول: إنّه سبحانه لم تحط به العقول، أي: لم تتصوّر كنهَ ذاته، ولكنّه تجلّى للعقول بالعقول، وتجلّيه هاهنا هو كشف ما يمكن أن تصل إليه العقول من صفاته الإضافية والسلبيّة لاغير، وكشف ما يمكن أن تصل إليه العقول من أسرار مخلوقاته؛ فأمّا غير ذلك فلا؛ وذلك لأنّ البحث النظريّ قد دلّ على أنّا لا نعلم منه سبحانه إلّا الإضافة والسلب، أما الإضافة فكقولنا: عالم قادر، وأمّا السّلب فكقولنا: ليس بجسم ولا عرَض ولا يُرىٰ، فأمّا حقيقة الذات المقدّسة المخصوصة من حيث هي هي، فإنّ العقل لا يتصوّرها، وهذا مذهب الحكماء وبعض المتكلّمين من أصحابنا ومن غيرهم.

ثم قال: «**وبالعقول امتنع من العقول**»:

أي: وبالعقول وبالنظر؛ علمنا أنّه تعالى يمتنع أن تدركه العقول.

ثم قال: «**وإلى العقول حاكَم العقول**»:

أي: جعل العقول المدّعية أنّها أحاطت به وأدركته كالخصم له سبحانه، ثم حاكمها إلى العقول السليمة الصحيحة النظر، فحكمت له سبحانه على العقول المدّعية لما ليست أهلاً له.

واعلم أنّ القول بالحيرة في جلال ذات الباري والوقوف عند حدٍّ محدود لا يتجاوزه العقل قولٌ مازال فضلاء العقلاء قائلين به.

***

من أشعار ابن أبي الحديد في المناجاة:

ومن شعري الذي أسلك فيه سبيل[1] المناجاة عند خلَواتي وانقطاعي بالقلب إليه سبحانه قولي:

والله لا موسى ولا عيـ ... ـسى المسيحُ ولا محمّدْ

علمُوا ولا جبريل وهـ ... ـو إلى محلّ القدس يصعَدْ

(١) في ط: مسلك.

كـــــلاّ ولا النــــفس البســيـ ـــطة، لا ولا العــقْل المــجرّدْ
مـــن كــــنْه ذاتك غــير أنّــ ـك أوحــديّ[١] الذات سَرْمَدْ
وَجَـــدُوا إضـــافاتٍ وسَــلْـ ـبــاً والحــقيقة ليس تُــوجَدْ
ورأوا وجــــوداً واجــــباً يَــفْنَى الزَّمـان وليس يَــنْفَدْ
فــلتخسأ الحُكَــماء عَــنْ جــرمٍ[٢] له الأفــلاك تَسْــجُدْ
مَـــنْ أنت يـــارِسْطو ومَــنْ أفــلاطُ قـبلك يـا مـبلَّدْ!
ومَــن ابــنُ سينا حـين قـرّر مـــاهذيت بـــه[٣] وشَــيَّدْ
هـــل أنــتمُ إلاّ الفَـــرا ش رأى الشّــهابَ وقـد تـوقَّدْ
فـــدنا فأحْـــرَق نَـــفْسَهُ ولو اهـــتدى رُشْــداً لأبْــعَدْ

وممّا قلته أيضاً في قصور العقل عن معرفته سبحانه:

فـــيك يـــا أعـــجوبة الكـــوْن غـــدا الفكـــر كـــليلاَ[٤]
أنت حـــيّرت ذوي اللُّب وبـــلْبَلْتَ العُـــقُولا
كـــلّما أقـــدم فِكْـــرِي فـــيك شـــبراً فـــرّ مـــيلا
نـــاكـــصاً يـــخبط فـــي عَـمْـ ـــياء لا يُـــهدى السَّبِيلا

ولي في هذا المعنى:

فـــيك يـــا أغـــلوطة الفكـــرِ تـــاه عـــقلي وانـقضى عُـمري
ســـافرتْ فـيك العـقولُ فـما ربـــحتْ إلاّ أذَى السَّـــفرِ
رجــعتْ حَسْرَى وما وقـفتْ لا عـــلى عـــينٍ ولا أثـــرِ
فـــلحَى الله الأُلَـــى زَعـــمُوا أنّك المـــعلومُ بـــالنَّظرِ
كـــذبوا إنّ الذي طـــلبُوا خـــارجٌ عـــن قــوّة البَشَـــرِ

انتهى من شرح ابن أبي الحديد[٥].

---

(١) في ط : واحدي.
(٢) في ط: جِرْمٍ.
(٣) في ط: بنيت له.
(٤) في ط: قليلاً.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣ : ٤٩ ـ ٥١ .

قوله عليه السلام: «ليس بذي كبر... إلى قوله: سلطاناً»:

يشير عليه السلام إلى أنّ الباري سبحانه ومخلوقه يوصف كلّ واحد منهما بأنّه كبير وعظيم والمفهوم فيهما مختلف فمعناه في حق المخلوق ما نفاه عن الباري ومعناه في حقّ الباري ما أثبته بـ«بل» ففي ذلك ردع الوهم وتنبيه العقل، وعلى هذا النمط كلامه عليه السلام في التوحيد. فاعتبره، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ولو فكّروا ... إلى آخره»:

إعلم أنّه عليه السلام أشار في هذا الكلام إلى وجه دلالة الصنع على صانعه وإلى كيفية الاستدلال لمريده، وذلك أنّ حدوث العالم متّفق عليه، لم يخالف فيه من العقلاء من يؤبه له ـ كما سبق تقريره ـ كيف، والمشاهدة طريق معرفة حدوث الفروع، وليس حكم الأُصول إلّا كحكم الفروع لاتفاقها ذاتاً وصفةً وإنّما اختلف العقلاء في حقيقة المؤثر الموجد المغيّر.

فالمتألّهون قالوا: صانع متخيّر، وبعض الناس قالوا: موجَب، فهو عليه السلام يشير إلى إبطال قول من يجعل المؤثر موجباً.

واعلم أن هذه الطريقة من الاستدلال هي التي ورد بها القرآن وقد أبانها عليه السلام أوضح بيان وفي التنبيه على ما في الصنع من الاختلاف وعلى اختلاف حكم المصنوعات وعلى تنقيل المحدَث في أطوار مرتبات كترتيب المولودات من لدن كونها نطفاً إلى فنائها. وكترتيب النباتات من لدن إرسال الرياح، فإثارة السحاب، فسوقه في السماء، فتنزيله الماء، فإسكانه في الثرى فإخراج النباتات به المختلفات، وترتيبها في أطوارها حتى تنتهي، فإخراج الثمرات مختلفة ـ ولو كانت واحدة ـ مترتبة في أطوارها حتى تدرك.

والآيات الدالّات على ذلك تكثر على إيرادها، وهذا نمط ورودها:

قال في الكشاف في آخر تفسير قوله تعالى: ﴿**الله الذي خلقكم من ضعف ثمَّ جعل من بعد ضعفٍ قوّة**...﴾[1] ما لفظه: وهذا الترديد في الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة إلى

---

(١) الروم: ٣٠ / ٥٤.

هيئة وصفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القدير، انتهىٰ.

وقد نبّه الله تعالى على مراده حيث قال: ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾[١] وقوله في آخر آية فاطر: ﴿إنّما يخشى ٱللّه من عباده العلماء﴾[٢]، وقوله في آية الأنعام: ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾[٣]،وقوله في آية الحج: ﴿لنُبيّن لكم﴾[٤]. إلى غير ذلك، ففي الاختلاف والترتيب برهان ضروري على تخيّر الصانع.

وقد اقتدى بأمير المؤمنين عليه السلام ـ في هذا الاستدلال ـ جماعة من المتكلّمين كالجاحظ وصنّف على ذلك النمط كتابه (العبر والاعتبار)، ومتابعيه المعروفين بأهل المعارف، وجعلوا النتيجة المنساقة عن هذا الفكر ضرورية وذلك حقّ.

وهذا النمط من الاستدلال أصح ما يعتمده كثير من دليل الدعاوي، فإنّ أكثر مقدّماته مختلف، وعليه أسئلة مستصعبة، ومع ذلك، فإنّ نتيجته نتيجة قياس.

وقد اعتمد القاسم بن إبراهيم هذا الاستدلال في كتابيه : «الدليل الكبير» و «مناظرة الملحد»، قال في كتابه «الدليل الكبير» بعد أن قرّر بكلام طويل: إنّ اختلاف الأشياء يدلّ على أنّ لها صانعاً مختاراً أوّلاً: يعلم من يعمى ويجهل، فضلاً عمّن يبصر ويعقل ـ، أن لو كانت هذه البدائع والأُصول وما تُدركه منها عياناً العقول علىٰ ما يقول به الجاهلون ـ أنّها كانت وجاءت كما أرادت وشاءت ـ لما فضل بعضها بعضاً أبداً، ولما كانت الأرض سفلاً وأرضاً، ولما قصُر أوضع الأشياء وأدناها عن درجة أرفع الأشياء وأعلاها، ولكانت الأشياء جميعاً سواء، ولما كان بعضها من بعض أقوى حتى يكون كلّها شيئاً واحداً، وحتى لا يوجد شيء لشيء منها ضدّاً. وقد يوجد باليقين من تضادّها وتبين صلاحها وفسادها لكلّ حاسة من الحواس الخمس.

ومن سلمت له حواسه من جميع الإنس فقد يستدلّ بما يرى فيها من الاختلاف والنقائص على أنّ لها صانعاً خصّها بما بان فيها من الاختلاف والخصائص، يرىٰ سبحانه وتعالىٰ ـ من شبهها في النقص والاختلاف متعالٍ عمّا يوجد فيها أو في واحدٍ منها من الأوصاف.

---

(١) الروم : ٣٠ / ٢٢ . (٢) فاطر : ٣٥ / ٢٨ .
(٣) الانعام : ٦ / ٩٩ . (٤) الحج : ٢٢ / ٥ .

فدَلَّ سبحانه على صنعته للأشياء كلّها بما أبان فيها من تصرّف أحوالها وتقلّبها (انتهى كلامه).

ومن الاختلاف البديع: إختلاف الأفعال المنسوبة إلى الحيوانات التي لاتعقل كما أشار إليهعليه السلام من فعل النملة وفعل النحلة وغيرهما من الطيور والدواب، فإنّه مبدوّ من جهتها أفعال لا يحسنها ذو اللّب الكامل والأدوات السليمة، فمعلوم أنّ إيجادها لها إنّما هو بالفطرة الخلقية والإلهام الربّاني، فاختلافها في ذلك دليل على اختيار مفطرها وملهمها سبحانه وتعالىٰ.

بل وفي اختلاف العقلاء في الصناعات، فقد يظهر من جهة أحدهم ما لا يدركه كثير منهم ببداية عقولهم، فيعلم أنّه بزيادة إلهام خصّه به وتعليم أوّلي من جهته سبحانه.

قولهعليه السلام: «فالويل لمن جحد المقدِّر وأنكر المدبِّر... إلى قوله: وهل يكون بناء من غير بانٍ أو جناية من غير جان»:

قال في شرح ابن أبي الحديد مالفظه: ثم سفّه آراء المعطِّلة، وقال: «إنّهم لم يعتصموا بحجّة، ولم يحقِّقوا ما وعوْه» أي: لم يرتّبوا العلوم الضرورية ترتيباً صحيحاً يفضي بهم إلى النتيجة التي هي حقّ.

ثم أخذ في الردّ عليهم من طريق اُخرىٰ، وهي: دعوى الضَّرورة، وقد اعتمد عليها كثيرٌ من المتكلّمين، فقال: نعلم ضرورة أنّ البناء لابدّ له من بانٍ.

ثم قال: «والجناية لابدّ لها من جانٍ»، وهذه كلمة ساقته إليها القرينة، والمراد عموم الفعليّة لا خصوص الجناية، أي مستحيل أن يكون الفعلُ من غير فاعل، والذين ادَّعَوا الضرورة في هذه المسألة من المتكلِّمين استغنوْا عن الطرق الأربع التي ذكرناها، وأمير المؤمنينعليه السلام اعتمد أوّلاً على طريق واحدة، ثم جنح ثانياً إلى دعوى الضرورة، وكلا الطريقين صحيح ، انتهى [(١)].

ونحن قد أشرنا إلى أنّ النظر في اختلاف الصنع إنّما هو طريق للعلم الضروري نافٍ للتشكيك فيه، والله أعلم.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣ : ٦٥.

قال الامام العظيم ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم في كتابه «الدليل الكبير» ـ بعد أن بسط القول في أنّ اختلاف الأشياء في ذواتها وأحوالها وتنقلها في أُمورها دليل على أنّ لها صانعاً مختاراً ليس كمثلها ـ فقال: وكيف يشك ملحد في صنع الله للأشياء كلّها أو فيما يرىٰ من دقّ الأشياء وجلّها، وقد يرى كيف أُحكمت فاستحكمت وانقادت للصنعة فتقوّمت وذلّت على ما فطرت واضطرت كما اضطرت، وكلّها مصرف مضرور وجميعها بديع مقطور لا يمنع من القهر والذلّة والخشوع ولا عمّا أبان الله فيها من أثر صنعة كلّ مصنوع، لا ينظر منها ناظر إلى طرف، ولا يلتفت إلى كنف إلّا وجد أثر الصنع فيه واضحاً بيّناً ووجده بصنع الله فيه مخبراً مبيّناً.

ولما ثبت اضطراراً بما لا يدفعه العقول بما لامريةَ فيه، وبما جميع العقول كلّها مجمعة عليه، أنّ لكل ما يرى أو يسمع أو يشمّ أو يُذاق أو يُلمس أو يتخيّل فيتوهم مدبراً لا يخفى تدبيره، ومؤثّراً بيّناً لكلّ عقل تأثيره ثبت وجوده، خلافاً للمدبَّر مدبراً غير مدبَّر، ووجد خلاف المؤثر مؤثراً غير مؤثر، لا يمكن غير ذلك علما، ولا يتخيّل خلاف ذلك فهماً؛ لأنّه لمّا كان ما وجد من الأشياء كلّها مدبراً وصنعاً وخلقاً مفتطراً احتيج إلى علم مدبّره ومفتطره وثبت يقيناً وجود المفتطر المدبّر بما وجد من تدبيره ومفتطره.

فلابدّ ـ كيف ما كان النظر في ذلك، ما ارتفع أو لم يرتفع ـ من أن يثبت مدبّر صانع لم يدبّر ولم يصنع، وذلك ممّا لا يوجد أبداً غير الله جلّ شأنه وتقدّست بكل بركة أسماؤه، انتهى كلامه ﷺ.

[١٨٦]

ومن خطبة له ﷺ في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم مالا تجمعه خطبة غيرها[١]:

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ[٢] مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كُلُّ مَعْرُوفٍ[٣] بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ.

فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ، غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ؛ لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ؛ وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ[٤]، سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ، وَالابْتِدَاءَ أَزَلُهُ.

بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ[٥] عُرِفَ أَنْ لَا[٦] مَشْعَرَ لَهُ[٧] وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا[٨] ضِدَّ لَهُ. وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا[٩] قَرِينَ لَهُ.

ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُضُوحَ[١٠] بِالْبُهْمَةِ[١١]، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ، وَالْحَرُورَ بِالصَّرَدِ[١٢].

مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا[١٣]، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا. مُقَرِّبٌ[١٤] بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا[١٥]، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا[١٦].

---

(١) لم ترد «غيرها» في الف و ب.

(٢) في ب: صمّده، وفي هـ. ب: صمده، أي ولا صمد اليه ولا قصده من أشار اليه بأنه على العرش أو هو جسم.

(٣) في هـ ب: جنس الجواهر: لانها تعرف بأن تشاهد وتلمس.

(٤) في هـ. ب: أي تعينه.

(٥) في هـ. ب: المشاعر: الحواس.

(٦) في الف و ب: إلّا، وفي هـ. ب في نسخة: ان لا.

(٧) المشعر: كمقعد، محل الشعور أي الاحساس.

(٨) و (٩) في الف و ب: ألّا.

(١٠) في هـ ب: مصدر وضح الأمر، أي بان، والبهمة: الانغلاق.

(١١) في هـ ب: أي الظلمة.

(١٢) الصرد محركاً: البرد.

(١٣) في هـ. ب: أي متضاداتها.

(١٤) في هـ ب: متقرب متباعداتها.

(١٥) في هـ. ب: أي متضاداتها.

(١٦) كالجزئين من عنصر واحد في جسمين مختلفي المزاج ووردت عبارة «مفرق بين متدانياتها في الاصل قبل جملة مقرب بين متباعداتها.

لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ، وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ[١]، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الآلَاتُ[٢] إِلَى نَظَائِرِهَا[٣].

مَنَعَتْهَا مُنْذُ الْقِدْمة ، وَحَمَتْهَا قَدْ الأَزَلِيَّةَ. وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا[٤] التَّكْمِلَةَ. بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ. وَلَا يَجْرِي[٥] عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ[٦]، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ[٧]، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ.

إذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ وَلَتجزَّأَ كُنْهُهُ وَلَامْتَنَعَ مِنَ الأَزَلِ مَعْنَاهُ[٨] وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ. وَلَالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ. وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ

---

(١) في هـ. ب: لايعد بعدد .

(٢) في ب و ص: الآلة في هـ. ج: وتشير الآلة ـ ل.

(٣) في هـ. د : وتشير الى نظائرها ـ ب.

(٤) في هـ ص : «منذ» و «قد» و «لولا» فواعل للأفعال قبلها، و «منذ» لابتداء الزمان و «قد» لتقريبه، ولا يكون الابتداء والتقريب إلّا في الزمان المتناهي، وكل مخلوق يقال فيه: «قد وجد» و «وجد منذ كذا» فهذا مانع للقدم والأزلية، وكل مخلوق يقال فيه: «لولا خالقه ماوجد» فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره.

(٥) في ص : « لايجري » . (٦) في ص : « أجراه » .

(٧) في ص : « أبداه » .

(٨) في هـ ص : قوله عليه السلام: «إذاً لتفاوتت ذاته ولتجزّأ كنهه ولامتنع من الأزل معناه» قال في الشرح: هذا تأكيد لبيان استحالة الحركة والسكون عليه يقول: لو صحّ لكان محدثا، وهو معنىٰ قوله: «ولامتنع من الأزل معناه» وأيضاً كان ينبغي أن يكون ذاته منقسمة؛ لأنّ المتحرك الساكن لابدّ أن يكون متحيّزاً، وكل متحيّز جسم، وكل جسم منقسم أبداً، وفي هذا اشارة الى نفي الجوهر الفرد.

ثم قال: «ولكان له وراء اذا وجد له أمام».

هذا يؤكد ما قلناه إنّه إشارة الى نفي الجوهر الفرد، يقول: لو حلّته الحركة لكان جرماً وحجماً ولكان أحد وجهيه غير الوجه الآخر لا محالة، فكان منقسماً، وهذا الكلام لا يستقيم إلّا مع نفي الجوهر الفرد؛ لأنّ من أثبته بقول: يصح أن تحلّه الحركة ولا يكون أحد وجهيه غير الآخر، فلا يلزم أن يكون له وراء وامام، انتهى نقلاً منه بلفظه.

وقد نصّ الامام أحمد بن سليمان في حقائق المعرفة على نفي الجوهر الفرد، وروى السيد حميدان القول بنفيه عن الامام الحسين بن القاسم العياني وكلام سائر المتقدمين ككلامهما، والله أعلم.

أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ ٱلْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ[١].

ٱلَّذِى لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ وَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ ٱلْأُفُول. لَمْ يَلِدْ[٢] فَيَكُونَ مَوْلُوداً وَلَمْ يُولَدْ فَيصِيرَ مَحْدُوداً جَلَّ عَنِ ٱتِّخَاذِ ٱلْأَبْنَاءِ. وَطَهُرَ عَنْ[٣] مُلاَمَسَةِ ٱلنِّسَاءِ. لَا تَـنَالُهُ ٱلْأَوْهَـامُ فَتُقَدِّرَهُ. وَلَا تَتَوهَّمُهُ ٱلْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ. وَلَا تُدْرِكُهُ ٱلْحَوَاسُّ فَتَحُسَّهُ[٤]. وَلَا تَلْمِسُهُ ٱلْأَيْـدِى فَتَمَسَّهُ. لَا يَتَغَيَّرُ[٥] بِحَالٍ. وَلَا يَتَبَدَّلُ[٦] فِي ٱلْأَحْوَالِ[٧]. وَلَا تُبْلِيهِ ٱللَّيَالِى وَٱلْأَيَّامُ. وَلَا يُغَيِّرُهُ ٱلضِّيَاءُ وَٱلظَّلَامُ.

وَلاَ يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْأَجْزَاءِ ولا بِٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَعْضَاءِ. وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ ٱلْأَعْرَاضِ[٨]. وَلَا بِٱلْغَيْرِيَّةِ والأَبْعاضِ. وَلا يُقالُ لَهُ حَدٌّ ولا نِهَايَةٌ. ولا ٱنْقِطاعٌ وَلا غَايَةٌ. ولا أَنَّ الأَشْياءَ تَحْوِيهِ؛ فَتُقِلَّهُ[٩] أَوْ تُهْوِيَهُ[١٠] أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعْدِلَهُ[١١]. لَيْسَ[١٢] فِي الأَشْياءِ بِوَالِجٍ[١٣] ولا عَنْهَا بِخَارِجٍ.

يُخْبِرُ لا بِلِسانٍ[١٤] وَلَهَوَاتٍ وَيَسْمَعُ لا بِـخُرُوقٍ[١٥] وأَدَوَاتٍ. يَـقُولُ ولا يَـلْفِظُ[١٦]، وَيَحْفَظُ ولا يَتَحَفَّظُ[١٧] ويُرِيدُ ولا يُضْمِرُ.

يُحِبُّ ويَرْضَى مِن غَيْرِ رِقَّةٍ. ويُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِن غَيْرِ مَشَقَّةٍ. يَقُولُ لِما[١٨] أَرادَ كَوْنَهُ: كُنْ

---

(١) قوله : « وخرج » عطف على قوله: « لا يجري عليه السكون » ، وسلطان الامتناع: هو سلطان العزة الأزلية.

(٢) في هـ . د: ولم يلد ـ ب.

(٣) في الف: من.

(٤) في هـ . ب: تحسسه، أي تحسه باليد، قال تعالى: ﴿هل تحسّ منهم﴾ .

(٥) في ط: ولا يتغيّر.

(٦) كذا في ب والأصل ظاهراً، وفي الف: بتبدل.

(٧) في هـ . د: بالأحوال ـ ب .

(٨) في هـ . ب: أي ما يعرض من الحركة والسكون والانتقال.

(٩) أي تحمله وترفعه.

(١٠) أي تضعه وتسقطه.

(١١) في هـ . ب : عدلت الشيء سوّيته، ضد الميل.

(١٢) في د : وليس.

(١٣) الولوج: الدخول.

(١٤) في الف بلا لسان، وفي هـ . ص في نسخة: بلا لسان، وفي هـ . د: بلا لسان ـ ف و م.

(١٥) في الف : بلا خروق وفي هـ . ب، وفي نسخة: بلا خروق، جمع خرق: وهو السمع.

(١٦) في ص: ولا يتلفظ، وفي هـ . ص : في نسخة : لا يلفظ.

(١٧) أي لا يتكلّف الحفظ ، وهو معنى : (ولا يؤوده حفظهما وهو العليّ العظيم) .

(١٨) في ط: لمن ، وفي هـ . د: لمن ـ ض ح ب .

فَيَكُونُ، لا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ. ولا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ. وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ.

لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كائِناً وَلَوْ كانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلٰهاً ثانِياً.

لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِي عَلَيْهِ ٱلصِّفَاتُ ٱلْمُحْدَثَاتُ وَلَا يَكُونَ بَيْنَهَا وبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَيَسْتَوِي ٱلصَّانِعُ وَالمَصْنُوعُ. وَيَتَكَافَأَ ٱلْمُبْتَدَعُ وَٱلْبَدِيعُ. خَلَقَ ٱلْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ. وَلَمْ يَسْتَعِنْ[١] عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ. وَأَنْشَأَ ٱلْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا[٢] مِنْ غَيْرِ ٱشْتِغَالٍ. وَأَرْسَاهَا[٣] عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ. وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ. وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ. وَحَصَّنَهَا مِنَ ٱلْأَوَدِ وَٱلاعْوِجَاجِ وَمَنَعَهَا مِنَ ٱلتَّهَافُتِ[٤] وَالانْفِرَاجِ[٥].

أَرْسَى أَوْتَادَهَا وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا[٦] . وَٱسْتَفَاضَ عُيُونَهَا[٧] وَخَدَّ[٨] أَوْدِيَتَهَا. فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ.

هُوَ ٱلظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ ٱلْبَاطِنُ[٩] لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَٱلْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ. لَا يُعْجِزُهُ[١٠] شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ. وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ وَلَا يَفُوتُهُ ٱلسَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ. وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ. خَضَعَتِ ٱلْأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ[١١] مُسْتَكِينَةً[١٢] لِعَظَمَتِهِ لَا تَسْتَطِيعُ ٱلْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ[١٣] مِن نَفْعِهِ وَضَرِّهِ.

وَلَا كُفْؤَ[١٤] لَهُ فَيُكَافِئَهُ[١٥]. وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ[١٦]. هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وجُودِهَا. حَتى يَصِيرَ[١٧] مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

---

(١) في هـ . ب : في نسخة : يستعن .
(٢) في هـ . ب : أثبتها.
(٣) في هـ . ب : أثبتها.
(٤) التهافت: التساقط.
(٥) الانفراج: الانفصال.
( ) أي الجبال ، (والجبال اوتادا).
(٦) في هـ . ا: جمع سدّ، وهو الجبل. وفي هـ . ب: السدّ: الحاجز والجبل.
(٧) في هـ . ب: أي أفاض ماء عيونها.
(٨) في ها و ب: أي شق.
(٩) في هـ . د: بطنت الشيء علمته بمكنونه.
(١٠) في ص : « و لا يعجز » . وفي هـ . د : و لا يعجزه ـ ب.
(١١) في د: وذلت.
(١٢) في هـ . ب: أي خاضعة.
(١٣) في هـ . ب، وفي نسخة: فيمنع.
(١٤) في ص : « لا كفؤ » . وفي أ و ط: « و لا كفؤ»، وفي د : « ولا كفءٌ».
(١٥) في ص : « فيكافيه » . وفي د: «فيكافئه».
(١٦) في ب: فيناويه.
(١٧) في ب: يصيّر .

وَلَيْسَ فَنَاءُ ٱلدُّنْيَا بَعْدَ ٱبْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَٱخْتِرَاعِهَا وَكَيْفَ وَلَوِ ٱجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا ـ مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِها وَمَا كَانَ مِنْ مراحِهَا[١] وَسَائِمِها[٢] وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا[٣] وَأَجْنَاسِهَا وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا[٤] وَأَكْيَاسِهَا[٥] ـ عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا. وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ[٦] وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ. وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً[٧] حَسِيرَةً[٨] عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ. مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا. مُذْعِنَةً[٩] بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا.

وَانَّ سُبْحَانَهُ[١٠] يَعُودُ[١١] بَعْدَ فَنَاءِ ٱلدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ. كَمَا كَانَ قَبلَ ٱبْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ. عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ ٱلْآجَالُ وَٱلْأَوْقَاتُ[١٢]. وَزَالَتِ ٱلسُّنُونَ وَالسَّاعَاتُ. فَلَا شَيْءَ إِلاَّ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٱلَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ ٱلْأُمُورِ. بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ٱبْتِدَاءُ خَلْقِهَا. وَبِغَيْرِ ٱمْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا. وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى ٱلامْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا لَمْ يَتَكَاءَدْهُ[١٣] صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ. وَلَمْ يَؤُدْهُ[١٤] مِنْهَا خَلْقُ مَابَرَأَهُ وَخَلَقَهُ[١٥] وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ. وَلَا لِخَوْفٍ[١٦] مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ. وَلَا

---

(١) في هـ. ب: المراح: الموضع الذي يراح الابل اليه بعد الرواح، والتي تراح، أي ثويتها.
(٢) في هـ ب: السائم: الذي [يرعى] من الماشية.
(٣) في ب: أسباخها وفي هـ ب: اشباحها: شخصها واشخاصها: أصولها.
(٤) المتبلدة: الغبيّة، وفي هـ ب: متردّدة أممها، متحيّرة، تلبّد، أي تردّد متحيراً.
(٥) في هـ. ب: جمع كيّس.
(٦) في هـ. ب: تحيرت.
(٧) هـ. ب: صاغرة.
(٨) في هـ.ب: منقطعة معيية.
(٩) في هـ. ب: منقادة.
(١٠) في ص: « وان الله سبحانه ».
(١١) د: وانه يعود سبحانه في هـ د: وانه سبحانه يعود ـ ح و ل، وان الله سبحانه يعود ـ ب.
(١٢) في هـ. د: والأوقات والسنون ـ ب.
(١٣) في هـ. د: وروي :لم يتكأد ـ ر، ولم يتكأده ـ ل و، وفي هـ. ب: لم يتأده، أي هو الله تعالى فعل الافعال بغير معالجة ولا استحثاث، فلم يكده ولم يثقله، بخلافنا. وفي هـ. ص:« بالمد: أي لم يشق عليه، ويجوز: يتأكّده، بالتشديد والهمزة، وأصله من العقبة الكؤود، وهي الشاقة». انتهى من الشرح.
(١٤) أي لم يثقله.
(١٥) في هـ. د: خلق ما خلقه وبرأه ـ ب.
(١٦) في ص: تخوّف.

لِلْاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ. وَلَا لِلْاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ[١]. وَلَا لِلْازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ. وَلاَ لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ. وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا. ثُمَّ هُوَ[٢] يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا لَا لِسَأَمٍ[٣] دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ. وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ. لَا[٤] يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَها بِلُطْفِهِ وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ ٱلْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا وَلَا ٱسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا[٥] وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ ٱسْتِئْنَاسٍ. وَلَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمًى إِلَى حالِ عِلْمٍ وَٱلْتِمَاسٍ. وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنًى وَكَثْرَةٍ. وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.

* * *

قوله عليه السلام: «ما وحده ... الى قوله: ازله»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: هذا الفصل يشتمل على مباحث متعدّدة:

أولها قوله: «ما وحَّدَهُ مَنْ كَيّفه»:

وهذا حقّ لأنه إذا جعله مكيّفاً جعله ذا هيئة وشكل، أو ذا لونٍ وضوء، إلى غيرهما من أقسام الكَيْف، ومتى كان كذلك كان جسماً ولم يكن واحداً، لأنّ كلّ جسم قابل للانقسام، والواحد حقاً لا يقبل الانقسام، فقد ثبت أنه ما وحّده مَنْ كيّفه[٦].

وقال في شرح ميثم بن علي: دلت هذه الكلمة بالمطابقة على سلب التوحيد له تعالى عمّن وصفه بكيفيّة، وبالالتزام على أنـّه لايجوز تكييفه لمنافات ذلك للتوحيد الواجب له. ولنشر الى معنى الكيفيّة ليتبيّن أنـّه لا يجوز وصفه بها. فنقول:

أمـّا رسمها، فقيل: إنّها هيئة قارّة في المحلّ لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة إلى أمر خارج عنه؛ ولا قسمة في ذاته، ولا نسبة واقعة في أجزائه. وبهذه القيود نفارق سائر الأعراض.

---

(١) في هـ. ا: المثاورة: المواثبة.

(٢) لم ترد «هو» في ب.

(٣) السأم: الملل والضجر.

(٤) في ص: ولا يمله.

(٥) في الف : عليه.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٦٩.

وامّا أقسامها، فإمّا أن تكون مختصة بالكمّ من جهة ما هو كمّ، كالمثلثيّة والمربعيّة وغيرهما من الأشكال للسطوح. وكالاستقامة والانحناء للخطوط وكالفرديّة والزوجيّة للأعداد وهذا قسم أول.

وإمّا أن لا تكون مختصّة به، وهي إمّا أن تكون محسوسة كالألوان والطعوم والروائح والحرارة والبرودة، وهذا ينقسم إلى راسخة كصفرة الذهب وحلاوة العسل، وتسمّى كيفيّات انفعالية: إمّا لانفعال الحواسّ عنها، وإمّا لانفعالات حصلت في الموضوعات عنها، أو غير راسخة إمّا سريعة الزوال كحمرة الخجل، وتسمّى انفعالات لكثرة انفعالات موضوعاتها بسببها بسرعة، وهذا قسم ثاني.

وإمّا أن لا تكون محسوسة، وهي إمّا لاستعدادات إمّا لكمالات، كالاستعداد للمقاومة والدفع، وإمّا للانفعال ويسمّى قوّة طبيعيّة، كالمصحاحيّة والصلابة، أو لنقائص مثل الاستعداد بسرعة للإدغان والانفعال، ويسمّىٰ ضعفاً ولا قوّة طبيعية كالممراضيّة.

وإمّا أن لا يكون استعداد لكمالات أو نقائص [بل يكون في أنفسها كمالات أو نقائص][1]، وهي مع ذلك غير محسوسة بذواتها، فما كان منها ثابتاً سمّي ملكة كالعلم والعفّة والشجاعة، وما كان سريع الزوال سمّي حالاً كغضب الحليم ومرض الصحاح.

فهذه أقسام الكيف. إذا عرفت ذلك فنقول:

إنّما قلنا: إنّه يلزم من وصفه بالكيفيّة عدم توحيده لما بيّنه في الخطبة الأُولى من قوله عليه السلام: «فمن من وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه» وكما سبق تقريره فينتج أنّ من وصف الله سبحانه فقد ثنّاه، وحينئذ تبيّن أنّ من كيّفه لم يوحّده لأنّ توحيده وتثنيته ممّا لا يجتمعان. (انتهى كلام ميثم)[2].

أقول: وما ذكره فهو على اصطلاح الحكماء، وذكر في التمثيل والاعراض التي بها الكيف. والأقرب والأوضح على عرف اللغة: أنّ الكيفية ما يرتسم في الخيال من هيئة الذات متخلّية بالمعنى المقصود؛ وذلك ان الكيفية نسبة الى كيف، فهي مدلول ما يقال في جواب السؤال بكيف، وهو اللفظ الدال علىٰ ذات باعتبار معنى هو المقصود من وضع

---

(١) من شرح ميثم بن علي.

(٢) شرح ميثم بن علي ٤: ١٥٢.

اللفظ كقائم، قاعد، صحيح، سقيم، أحمر، أبيض، حلو، حامض، طويل، قصير، عريض، مستوي، منحني، عالم، جاهل، قوي، ضعيف، كلّها بمعنىٰ: ذو كذا، فالوصف بالعرض لازم للوصف بالكيفية؛ لأنه جزء مدلول اللفظ الدال عليها، فمن ثمَّ نفىٰ عليه السلام التوحيد عن المكيف، والله أعلم.

قال ابن أبي الحديد: وثانيها: قوله: «ولا حقيقته أصاب مَنْ مثّله»:

وهذا حقّ؛ لأنّه تعالى لا مثل له، وقد دلّت الأدلّة الكلاميّة والحُكْميّة على ذلك، فَمَنْ أثبت له تعالى مثلا، فإنه لم يصب حقيقته تعالىٰ، والسَّجعة الأُخرىٰ تعطي هذا المعنى أيضاً من غير زيادة عليه، وهي قوله عليه السلام: «ولا إيّاه عَنَى مَنْ شبّهه» انتهىٰ[1].

وقال القاسم بن ابراهيم: فمن وصف الله بهيئات خلقه أو شبهه بشيء من صنعه أو توهّمه صورة أو جسماً أو شبحاً، أو انه في مكان دون مكان، أو أن الأقطار تحويه، أو أن الحجب تستره، أو أن الأبصار تدركه أو انه لم يخلق كلامه وكتبه والقرآن وغيره من كلامه أو أحكامه، أو أنه كشيء مما خلق، أو أن شيئاً من خلقه يدركه ما كان أو يكون بجارحة أو حاسة، فقد نفاه وكفر به وأشرك به، انتهى.

قال ابن أبي الحديد: وثالثها: قوله عليه السلام: «ولا صَمَده مَنْ أشار إليه» وتوهمه. الصَّمَد في اللغة العربيّة: السّيّد. والصمَد أيضاً الذي لا جوف له، وصار التّصميد في الاصطلاح العرفيّ عبارة عن التنزيه، والذي قال عليه السلام حقّ، لأن مَنْ أشار إليه ـ أي أثبته في جهة كما تقوله الكرّامية ـ فإنه ما صَمَده، أي ما نزّهه عن الجهات، بل حكم عليه بما هو من خواصّ الأجسام، وكذلك مَنْ توهّمه سبحانه، أي مَنْ خيّل له في نفسه صورة أو هيئة أو شكلاً، فإنّه لم ينزهه عمّا يجب تنزيهه عنه[2].

انتهىٰ تفسير ابن أبي الحديد وهو صحيح، ان كانت الرواية: «صمّده» ـ بشَدّ الميم ـ فاما ان كانت الرواية بتخفيف الميم فالمعنى: لم يقصده بالعبادة والدعاء من أشار اليه وتوهّمه بل عدل الى غيره، فيكون حاصل السجعات الثلاث واحداً، وهو أنّ المشبّه له غير مؤمن به، ولا عابد له، ولا مسلّم وجهه إليه، والله أعلم.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٦٩ ـ ٧٠.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧٠.

قوله ﷺ: «كل معروف بنفسه... الى قوله: معلول»:

فسّر ابن أبي الحديد هاتين السجعتين بتفسير استشكلهما على فوده وتكلّف في الجواب وتعسف[1].

ويقرب إلى ذهني قصده ﷺ الى أحد معنيين:

احدهما: كل ما يعرف من درك الحواس له ومشاهدتها له فهو مصنوع؛ إذ إدراكها مقصور على الأجسام والأعراض، ثم أكّده بقوله: وكل قائم ـ أي متمكن ـ في سواه معلول، إشارة الى أنّ مدرك الحواس لابدّ أن يكون ذا جهة ومحل ـ كما هو مقرر في دليل المقابلة ـ ومعنىٰ «معلول»: كمعنى مصنوع، أي محدث جسم أو عرض.

وثانيهما: كل معروف بنفسه، أي معروفة ذاته وهويّته فهو مصنوع، وكل ذي مكان فهو معلول، تأكيد للرد على المشبّهه مجوّزي الرؤية؛ فإنّهم يزعمون انهم يعلمون بالرؤية حقيقة ذاته، ويلزمهم أن يكون في محل لتصح رؤيته، وذانك أمران يختصان المحدثان الأجسام والأعراض، والله أعلم.

قوله ﷺ : «فاعل لا باضطراب آلة»:

قال في الشرح: هذا الشأن[2] الفرق بينه وبيننا، فإنّا نفعل بالآلات، وهو سبحانه قادر لذاته فاستغنى عن الآلة.

وسابعها[3]: قوله: **«مقدّر لا بجول فكرة»:**

هذا أيضاً للفرق بيننا وبينه، لأنّا إذا قدّرنا أجَلْنا أفكارنا، وتردّدت بنا الدواعي، وهو سبحانه يقدّر الأشياء على خلاف ذلك.

وثامنها: قوله: **«غنّي لا باستفادة»:**

هذا أيضاً للفرق بيننا وبينه، لأن الغنيّ منّا مَنْ يستفيد الغنى بسبب خارجي، وهو سبحانه لا يحتاج الى شيء من الأشياء أصلاً. انتهى كلام ابن أبي الحديد[4].

أقول: جرت هذه السجعات الثلاث على نمط ذكره للوصف الذي يطلق على الباري

---

(١) انظر نفس المصدر ١٣: ٧٠ و ٧١. (٢) في ط: البيان.
(٣) كذا ولم يتعرض الشارح للموارد ٤ ـ ٦. (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧١.

سبحانه وعلى غيره، ثم يشير الى نفي المتبادر منه في حقّ الغير؛ لانـه المألوف، دفـعا للتوهم، كما قال عليه السلام: «التوحيد أن لا تتوهّمه».

وتاسعها: قوله: «**لا تصحبه الأوقات**»:

هذا بحث شريف جداً، وذلك لأنه سبحانه ليس بزمانيّ ولا قابل للحركة، فذاته فوق الزمان والدهر؛ أمّا المتكلمون فإنهم يقولون: إنّه تعالى كان ولا زمان ولا وقت.

وعاشرها: قوله: «**ولا تَرْفِدُه الأدوات**»:

رفدت فلانا: إذا أعنتّه؛ والمراد الفرق بيننا وبينه؛ لأنّا مرفودون بالأدوات، ولولاها لم يصحّ منا الفعل، وهو سبحانه بخلاف ذلك.

وحادي عشرها: قوله: «**سبق الأوقات كونه... إلى آخر الفصل**»:

هذا تصريح بحدوث العالم.

فإن قلت: ما معنى قوله: «والعدم وجوده»، وهل يسبق وجوده العدم مع كون عـدم العالم في الأَزَل لا أولَ له؟

قلت: ليس يعني بالعدم هاهنا عدم العالم بل عدم ذاته سبحانه، أي غلب وجود ذاته عدمها وسبقها، فوجب له وجود يستحيل تطرّق العدم اليه أزلا وأبداً بخلاف الممكنات، فانّ عدمها سابق بالذّات على وجودها، وهذا دقيق! انتهى كلام ابن أبي الحديد[1].

أقول: الذي يلوح أنّ قوله: «سبق الأوقات ... إلى آخره»، توكيد وشرح لمعنى قوله: «لا تصحبه الأوقات»، والله أعلم.

قولهعليه السلام: «**بتشعيره المشاعر... الى آخره**»:

قد شرح ابن أبي الحديد هذه الألفاظ بكلام استبعده، ويقرب عندي أنّهعليه السلام أراد: أنّا لما وجدنا المشاعر وهي الحواس لا تكون إلّا بفعل فاعل هو فاعل من تكون له، دليل ذلك اختلافها باعتبار ثبوتها في الأجسام وانتفائها، وكمالها ونقصانها، وقوتها وضعفها، لم يجز أن تضاف إليه تعالى؛ لاستحالة لحاق الحادثات بذاته الواجبة.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد١٣: ٧٢، قلت ولعل مرادهعليه السلام ان وجود العالم مشوب ومقرون بالعدم، وهو في عين وجوده عدم من جهة من الجهات، بخلافه تعالى فانه وجود لا عدم فيه أصلاً.

وقال: لما كان التضاد بين الأُمور بجعل جاعل دليله اختلاف المتضادة في وجوهه وثبوته وانتفائه، واجتماع ضدين على وجه ينفي حكم التضاد عنهما، ولا يجوز أن يلحق ما به التضادُ ذاته؛ لاستحالة لحوق الحادثات بذاته الواجبة.

وقال: لما كان الاقتران بين الشيئين انما يكون بفعل فاعل، دليل ذلك اختلاف الأشياء باعتباره، وحصوله بعد عدمه، وانتفائه بعد ثبوته، فلا يجوز لحوقه لذاته.

ثم أنّه أشار عليه السلام الى بيان أنّ التضاد والمقارنة تكونان من فعل الفاعل بقوله: «ضادّ النور بالظلمة» فينتفي أحدهما بالآخر، وقد يقرن بينهما فيجتمعان كما في أغباش أوّل الليل وأوّل النهار، والوضوح ـ وهو البياض ـ بالبهمة ـ وهي السواد، وقد يقرن بينهما كما في الأشهب والأكدر والأزرق، والجمود ـ وهو الشدة والصلابة ـ بالبلل، وهو الرقة والرخاوة، وقد يجتمعان كما في اللبن والرطب، والحر ـ كما في النار ـ والصرد ـ كما في الماء ـ وقد يقرن بينهما كما في الساخن.

قال ابن أبي الحديد: ثم قال : وإنّه تعالى مؤلّف بين هذه المتباعدات، المتعاديات المتباينات، وليس المراد من تأليفه بينها جمعه إيّاها في مكان واحد، كيف وذلك مستحيل في نفسِه، بل هو سبحانه مؤلّف لها في الأجسام المركّبة حتى خلع منها صورة مفردة، هي المزاج، ألا ترى أنّه جمع الحارّ والبارد والرطب واليابس، فمزجه مَزْجاً مخصوصاً حتى انتزع منه طبيعة مفردة ليست حارّة مطلقة، ولا باردة مطلقة، ولا رطبة مطلقة، ولا يابسة مطلقة، وهي المِزاج، وهو محدود عند الحكماء؛ بأنّه كيفيّة حاصلة من كيفيّات متضادّة، وهذا هو محصول كلامه عليه السلام بعينه.

والعَجب من فصاحته في ضمن حكمته، كيف أعطى كلّ لفظةٍ من هذه اللّفظات ما يناسبُها ويليق بها، فأعطى المتباعدات لفظة «مقرّب»؛ لأنّ البعد بإزاء القرب، وأعطى المتباينات لفظة «مقارن»، لأنّ البينونة بإزاء المقارنة، وأعطى المتعاديات لفظة «مؤلّف» لأنّ الائتلاف بإزاء التعادي.

ثم عاد عليه السلام فعكس المعنى، فقال: «مفرّق بين متدانياتها»، فجعل الفساد بإزاء الكوْن، وهذا من دقيق حكمته عليه السلام، وذلك لأنّ كلّ كائن فاسد، فلما أوضح ما أوضح في الكَوْن

والتركيب والإيجاد، أعقبه بذكر الفساد والعدم، فقال: «مفرّق بين متدانياتها»، وذلك لأنّ كلّ جسم مركّب من العناصر المختلفة الكيفيّات المتضادة الطبائع، فإنه سيؤول الى الانحلال والتفرّق انتهى[١].

قلت: قصده عليه السلام بيان ان الجمع والفرق والتناسب والتباين بين الأشياء وجميع صفات الأجسام حصلت بفعل الفاعل المختار، فلا يجوز أن يضاف شيء من تلك الصفات إليه سبحانه؛ لاستحالة لحاق الحادثات ذاته عزّوعلا.

قوله عليه السلام : «**لا يشمل بحد**»:

أي ليس بذي نهاية تحويه الاقطار وتحده وتشتمل عليه كما يشتمل الظرف على المظروف فيمنعه من مجاوزة حده. وعقّب ذلك بقوله: «ولا يحسب بعدّ» تكميلاً للمعنى الأول لأنّ العدّ إنما يلحق بالمحدود المتناهي.

ثم لما كان التحديد القولي والاشارة الحسية إنّما تلحقان المحدود بالأماكن عقّب ذكرهما فقال: «**وإنّما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلات الى نظائرها**»:

وذلك لأنّ الأدوات كالجوارح، إنّما تحدّ وتقدر ما كان مثلها من ذوات المقادير، وكذلك إنّما تشير الآلات وهي الحواسّ إلى ما كان نظيراً لها في الجسمية ولوازمها، والباري تعالى ليس بذي مقدار ولا جسم، ولا حالّ في جسم، فاستحال أن تحدّه الأدوات، وتشير إليه الآلات[٢].

قوله عليه السلام: «**منعتها منذ القدمة... الى آخر الفقرات الثلاث**»:

قال ابن أبي الحديد: ان الضمير المؤنث المفعول في «منعتها» وما بعده، يعود إلى الآلات والأدوات.

والأولى: أنـّه عائد الى الأشياء التي تقدم ذكرها، يقول: ان اطلاق لفظة منذ عليها يمنعها عن كونها قديمة. لأن لفظة «منذ» وضعت لابتداء الزمان كلفظة «من» لابتداء المكان، والقديم لا ابتداء له، وكذلك إطلاق لفظة «قد» تمنعها وتحميها من كونها أزليّة[٣]،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧٥ ـ ٧٦. (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧٧.
(٣) في ط: اطلاق لفظة «قد» على الآلات والأدوات تحميها وتمنعها من كونها أزلية.

لأن «قد» لتقريب الماضي من الحال، تقول: قد قام زيد، فقد دلّ على أن قيامه قريب من الحال التي أخبرت فيها بقيامه، والأزليّ لا يصح عليه ذلك، وكذلك إطلاق لفظة «لولا» عليها يمنعها، لأنّ[1] لفظة «لولا» وضعت لامتناع الشيء لوجود غيره، وأنت تقول في الأشياء هذا الجسم ما أحسنه[2] لولا أنه فانٍ! وما أتمّه لولا كذا[3]!

قوله عليه السلام: «بها تجلّى صانعها للعقول»:

أي ان احتياجها اليه في وجودها وقيامها دليل علىٰ وجوده وتدبيره لها، وبها امتنع عن نظر العيون، أي قام الدليل على ان المرئي لا يكون إلّا جسماً أو عرضاً؛ لأن المرئي لابدّ أن يكون في جهة وذو الجهة الجسم والعرض، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «لا يجري عليه السكون والحركة ... الى قوله: مدلولاً عليه»:

أقول: أنّه أقام البرهان على استحالة جريان السكون والحركة عليه، أوّلاً بالاستفهام علىٰ جهة الانكار، إشارة الى أنّ الحاق الحوادث بذاته ضروري الاستحالة، فقال: لو جريا عليه لكان مجريهما ومعيدهما ومحدثهما لنفسه؛ لاستحالة تأثير غيره في ذاته كما ذكره في قوله: «وخرج سلطان الامتناع... إلى آخره»، وتأثيره في نفسه محال ضرورة.

ثم بيّن ذلك ووضّحهُ بما يلزم عنه من المحال، فقال: «إذاً لتفاوت ذاته» وذلك للزوم أن يكون موجوداً قبل وجود السكون والحركة؛ ضرورة تقدم المؤثر علىٰ أثره.

والمعلوم من شأن الحركة والسكون أنّه لا يوجد ما يجريان عليه قبل وجودهما، بل لابد أن يقترن وجوده بأحدهما فيلزم حدوثه كحدوثهما فتكون ذاته قديماً لأنّه مؤثر، حادثاً لاقترانه بالحادث وهذا تفاوت وتناف ظاهر.

ثم قال: «ولتجزّأ كنهه»:

وهو في معنى الكلام الأول، أي يلزم أن يكون بعض مفهومه مؤثراً قديماً وبعضه مؤثّراً فيه حادثاً، ولامتنع من الأزل معناه؛ لأنّه يلزم ضرورة من جريان السكون والحركة عليه حدوثه.

(١) في ط: لفظة «لولا» على الأدوات والآلات يجنبها التكملة ويمنعها من التمام المطلق لأن.
(٢) في ط: في الأدوات والآلات وكل جسم ما أحسنه.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧٧.

قال عليه السلام: **«ويلزم من القول بجريان السكون والحركة عليه ان يكون له جهات أربع تحيط به»**:

وذلك لأنّ معنى الحركة الانتقال إلىٰ جهة من غيرها، فإذا فرض تحركه الى أمام لزم أن يكون له وراء هي الجهة التي انتقل عنها، وكذلك في اليمين والشمال والفوق والتحت، فيلزم أن يكون محدوداً محصوراً بجهاته، وذلك محال في حقه تعالىٰ.

وقال ابن أبي الحديد: ان في قوله :**«ولتجزّأ كنهه ولكان له وراء»** إشارة إلى نفي الجوهر الفرد وابطال القول به علىٰ قائليه[1].

ثم قال عليه السلام: **«ولا التمس التمام إذ لزمه النقصان»**:

قال ابن أبي الحديد: هذا اشارة الى ما يقوله الحكماء، منْ أنّ السكوْن عدم ونقْص، والحركة وجود وكمال، فلو كان سبحانه يتحرّك ويسكن لكان حال السكون ناقصاً قد عدم عنه كماله، فكان ملتمساً كماله بالحرَكة الطارئة على السكون، وواجب الوجود، يستحيل أن يكون له حالة نقصان، وأن يكون له حالة بالقوّة وأُخرى بالفعل، انتهىٰ[2].

أقول: هذا يصلح رداً على أصحاب أبي هاشم الذاهبين الى أنّ «سميعاً» «بصيرا» حالان بالقوّة، و «سامع» «مبصر» حالان بالفعل.

قوله عليه السلام: **«واذاً لقامت آية المصنوع فيه»**:

وذلك أنّ دليل حدوث الجسم مقارنته للحادث وهو السكون والحركة وعدم جواز انفكاكه عنهما.

قوله عليه السلام:**«وليحول دليلاً»**؛ وذلك لأنّه اذا ثبت حدوثه لم يكن له بدٌّ من محدث، وقد تقرّر أنّه غاية الضرورة.

وفي شرح ميثم بن علي ما رسمه: وقد أشار عليه السلام الى بيان امتناعهما عليه من وجوه:

أحدها قوله : **«وكيف يجري عليه... إلى قوله: أحدثه»**:

وهو استفهام على سبيل الاستنكار؛ لجريان ما أجراه عليه وعود ما أبداه وأنشأه إليه وحدوث ما أحدثه فيه.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧٩.

وبيان بطلان ذلك: أن الحركة والسكون من آثاره سبحانه في الأجسام، وكلّ ما كان من آثاره فيستحيل أن يجري عليه ويكون من صفاته.

أمّا المقدّمة الأُولى فظاهرة، وأمّا الثانية، فلأنّ المؤثّر واجب التقدّم بالوجود على الأثر، فذلك الأثر إمّا أن يكون معتبراً في صفات الكمال، فيلزم أن يكون تعالى باعتبار ما هو موجد له ومؤثّر فيه ناقصاً بذاته مستكملاً بذلك الأثر، والنقص عليه تعالى محال، وإن لم يكن معتبراً في صفات كماله فله الكمال المطلق بدون ذلك الأثر، فكان إثباته صفة له نقصاً في حقّه؛ لأن الزيادة على الكمال المطلق نقصان وهو عليه تعالى محال.

الثاني: لو كان كذلك للزم التغيّر في ذاته تعالى ولحوق الإمكان له ، ودلّ على ذلك بقوله: «إذن لتفاوتت ذاته» أي تغيّرت بطريان الحركة عليها تارة والسكون اُخرى؛ لأنّ الحركة والسكون من الحوادث المتغيّرة، فيكون تعالى بقبوله لتعاقبهما محلّاً للحوادث والتغيّرات، فكان متغيّراً، لكن التغيّر مستلزم للإمكان، فالواجب لذاته ممكن لذاته، هذا خلف.

الثالث: لو كان كذلك للزم حقيقته التجزئة والتركيب، لكن التالي باطل فالمقدّم كذلك.

أمّا الملازمة: فلأنّ الحركة والسكون من عوارض الجسم الخاصّة به، فلو اتصف تعالى بهما لكان جسماً، وكلّ جسم فهو مركّب قابل للتجزئة.

وأمّا بطلان التالي: فلأنّ كلّ مركّب مفتقر الى أجزائه، وممكن فالواجب ممكن. هذا خلف.

الرابع: أنّه لو كان كذلك للزم أن يبطل من الأزل معناه، أمّا على طريق المتكلّمين فظاهر؛ لأنّ الحركة والسكون من خواصّ الأجسام الحادثة، فيكون الموصوف بهما حادثاً، فلو كان تعالى موصوفاً بهما لبطل من الأزل معناه ولم يكن أزليّاً.

وأمّا على رأي الحكماء[فلأنّه تعالى لكونه واجب الوجود لذاته يستحقّ الأزليّة، ولكون الممكن ممكناً لذاته، فهو إنّما يستحقّ الأزليّة لا لذاته بل لأزليّة علّته وتمامها أزلاً، حتى لو توقّفت علّته على أمر ما في مؤثريّتها لزم حدوث الممكن، ولم يكن له من ذاته إلّا كونه لا يستحقّ لذاته وجوداً ولا عدماً، وهو معنى الحدوث الذاتي عندهم.

فعلىٰ هذا، لو كان تعالى قابلاً للحركة والسكون لكان جسماً ممكناً لذاته، فكان مستحقّاً للحدوث الذاتي بذاته، فلم يكن مستحقاً للأزليّة بذاته، فيبطل من الأزليّة معناه، وهو استحقاقه الأزليّة بذاته، لكن التالي باطل لما مرّ][1].

الخامس: أنّه لو كان كذلك للزم أن يكون له وراء إذ وجد له أمام، ووجه الملازمة: أنّه لو جرت عليه الحركة لكان له أمام يتحرّك إليه، وحينئذ يلزم أن يكون له وراء؛ إذ له أمام؛ لأنّهما إضافيّان لا تنفك إحداهما عن الأُخرىٰ، لكن ذلك محال؛ لأنّ كلّ ذي وجهين فهو منقسم، وكلّ منقسم فهو ممكن على ما مرّ.

السادس: لو كان كذلك لالتمس التمام إذ لزمه النقصان، وبيان الملازمة: أنّ جريان الحركة عليه مستلزم لتوجهه بها إلى غاية إمّا جلب منفعة أو دفع مضرّة؛ إذ من لوازم حركات العقلاء ذلك.

وعلى التقديرين فهما كمالٌ مطلوبٌ له، لنقصانٍ لازمٍ لذاته، لكن النقصان بالذات والاستكمال بالغير مستلزم الامكان فالواجب ممكن، هذا خلف.

السابع: لو كان كذلك لقامت آية المصنوع فيه، وبيان الملازمة: أنّه حينئذ يكون قادراً على الحركة والسكون، فقدرته عليهما ليست من خلقه وإلّا لافتقر ايجاده لها الى قدرة أُخرىٰ سابقة عليها ولزم التسلسل، وكان قادراً قبل أن كان قادراً وهما محالان، فهي إذاً من غيره، فهو إذن مفتقر في كماله الى غيره، فهو مصنوع وفيه آيات الصنع وعلامات التأثير، فليس هو بواجب الوجود، هذا خلف.

الثامن: لو كان كذلك لتحوّل دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه، وذلك أن يكون مصنوعاً على ما مرّ، وكلّ مصنوع فيستدلّ به على صانعه كما هو المشهور في الاستدلال بوجود العالم وحدوثه على وجود صانعه، ولأنّه يكون جسماً فيكون مصنوعاً فكان دليلاً على الصانع، لكنّه هو الصانع الأوّل للكلّ وهو المدلول عليه، فاستحال أن يكون دليلاً من جهة آثار الصنع فيه، فاستحال أن يكون قابلاً للحركة والسكون، فاستحال أن يجريا عليه.

---

(١) ما بين المعقوفين من ط والعبارة في ص هكذا واما على رأي الحكماء.. الخ ما ذكره على رأيهم.

فانظر الى هذه النفس الملكية له عليه السلام كيف يفيض عنها هذه الأسرار الالهية فيضاً من غير تقدّم مزاولة الصنائع العقليّة وممارسة البحث في هذه الدقائق الالهية، انتهى[١].

قوله عليه السلام: «**وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره**»:

يريد عليه السلام بسلطان الامتناع: وجوب وجوده، وأنـّه «لا يجوز عليه التأثّر، والأظهر أنّ الجملة معطوفة على الكلام السابق قبلها، أعني: «لا تجري عليه السكـون والحـركة»، وكأنه لما بيّن أنـّه لا يصح أن يجريهما في نفسه، عمّم امتناع أن يجريهما هو أو غيره فيه؛ لأنّ التأثر عليه محال؛ لأنـّه القاهر غير المقهور.

أو تكون الواو للاستئناف، والمغزىٰ من الاتيان بهذه الجملة تأكيد ما سبق ذِكره في قوله: «بتشعيرة المشاعر». وما بعده، وفي قوله: «لا يجري عليه السكون والحركة» فإنّ مضمون هذه الجمل أنـّه لا يتأثر ولا تلحق الحوادث ذاته.

قوله عليه السلام: «**لا يحول ولا يزول**»:

أي لا يتنقّل في الأحوال ويتغيّر. «ولا يزول»: أي لا يفنىٰ «ولا يجوز عليه الأُفول»: أي الغيبوبة.

وقوله عليه السلام: «**لم يلد فيكون مولوداً**»:

التلازم إما لغلبة كون الوالد مولوداً؛ إذ لم يخرج من ذلك إلّا آدم وحـواء، وإمّـا لأن الضمير في «فيكون» عائد الى مطلق الرب علىٰ تقدير الولادة، أي إذا ثبت والداً لزم أن يكون جنس ولده جنسه، كما قال تعالىٰ: ﴿قل ان كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين﴾[٢] فيكون ولده رباً مولوداً، والمولود لا يصح أن يكون ربـاً؛ لأنـّه كـان فـي ضـمن والده والمضمون محدود متناهٍ، والمحدود المتناهي من جنس المحدثات، وهو معنى الفـقرة الأُخرىٰ، والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «**جلّ عن اتخاذ الأبناء**»:

لما ذكر استحالة الولادة الحقيقية عليه، نزهه عن اتخاذ الأبناء بذلك المعنى، أو بمعنى أن يصطفي من خلقه ما يشاء فيتبنّاه، كما كان يزعمه المشركون في الملائكة؛ وذلك لأنّ

---

(١) شرح ميثم بن علي ٤: ٢٦٠ ـ ٢٦٢. (٢) الزخرف: ٤٣ / ٨١.

المراد من اتخاذ الأبناء إجابة داعي الحاجة اليهم، والله غنيّ كما نبه عليه قوله: ﴿**قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني**﴾[١] الآية.

وقوله: «**طهر عن ملامسة النساء**»:

أي هو واجب الطهارة، واختار هذه العبارة؛ لأن شأن ملامسة النساء التقذّر، والسجعتان من قوله تعالىٰ: ﴿**أنىٰ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة**﴾[٢] ونحوها.

وقوله عليه السلام: «**لا يتغيّر بحال**»:

أي لا يلحق ذاته الأحوال كالسقم والهرم فتغيّره كما تغير الجسم اذا لحقته، ولا يتبدل في الأحوال ـ أي الأوقات ـ كما تتبدل الأجسام في الأطوار، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «**لا يوصف بشيء من الأجزاء**»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: أي ليس بمركّب؛ لأنّه لو كان مركّباً لافتقر إلى أجزائه، وأجزاؤه ليست نفس هويّته، وكلّ ذاتٍ تفتقر هويّتها إلى أمر من الأُمور فهي ممكنة؛ لكنّه واجب الوجود، فاستحال أن يوصف بشيء من الأجزاء.

وقوله: «**ولا بالجوارح والأعضاء**»:

قال في الشرح: كما يقول مثبتو الصورة، وذلك لأنّه لو كان كذلك لكان جسماً، وكلّ جسم ممكن، وواجب الوجود غير ممكن[٣].

قوله عليه السلام: «**ولا بعرض من الأعراض**»:

العرض في اللغة: ما يعرض للانسان من مرض ونحوه، ولابد للعرض من محلّ يقوم به ويختص به، والباري سبحانه لايجوز أن يكون محلاً ولا تلحق الحادثات ذاته فامتنع وصفه بالاعراض.

وقال في شرح ميثم بن علي: أقول: الأعراض تنحصر في تسعة أجناس كما هو معلوم في مظانّه؛ وذلك أنّ كلّ الموجودات سوى الله تعالى مقسوم بعشرة أقسام، واحد منها جوهر والتسعة الباقية أعراض، ويظهر بتقسيم هكذا: كلّ ما عداه سبحانه فوجوده زائد

---

(١) يونس: ١٠ / ٦٨.　　(٢) الأنعام:٦ / ١٠١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٨٢.

على ماهيته بالبراهين القاطعة فماهيته إمّا أن تكون بحيث إذا وجدت كان وجودها لا في موضوع. وهذا المعنيُّ بالجوهر، أو يكون وجودها في موضوع وهو المعنيّ بالعرض. ونعني بالموضوع: المحلّ الّذي لا يتقوّم بما يحلّ فيه، بل يبقى حقيقته كما كانت قبل حلوله، كالجسم الّذي يحلّه السواد.

ثمّ العرض ينقسم الى أقسامه التسعة، وهي: الكم، والكيف، والمضاف، وأين، ومتى، والوضع، والملك، وأن يفعل، وأن ينفعل. وتسمّى هذه الأقسام مع القسم العاشر وهو الجوهر: المقولات العشر والأجناس العالية، ولنرسم كلّ واحد منها ليظهر أنّه تعالى منزّه عن الوصف بشيء منها. فنقول:

أمّا الجوهر، فقد عرفت رسمه، وأمّا الكمّ فرسم بأنّه العرض الّذي يقبل لذاته المساواة واللامساواة والتجزّي، ويقبل الجوهر بسببه هذه الصفات.

واما الكيف، فقد عرفته وعرفت أقسامه.

وأمّا الاضافة، فهي حالة للجوهر تعرض بسبب كون غيره في مقابلته ولا يعقل وجودها إلّا بالقياس إلى ذلك الغير كالأبوّة والبنوة، وقد عرفتها وعرفت أيضاً أقسامها من قبل.

وامّا الأين، فهي هيئة وحالة تعرض للجسم بسبب نسبته الى المكان وكونه فيه وليس مجرّد النسبة اليه.

وأمّا متى، فهي حالة تعرض للشيء بسبب نسبته الى زمانه وكونه فيه أو في طرفه، وهو الآن.

وأمّا الوضع، فهو هيئة يعرض للجسم بسبب نسبة أجزائه بعضها الى بعض نسبةً يختلف الأجزاء لأجلها بالقياس الى سائر الجهات كالقيام والقعود.

وأمّا الملك، فقد عرفت بأنّه نسبة الى ملاصق ينتقل بانتقال ماهو منسوب اليه كالتسلّح والتقمّص.

وأمّا أن يفعل، فهو كون الشيء بحيث يؤثّر في غيره مادام مؤثّراً فيه كالتقطيع حالة التأثير.

وأمّا أن ينفعل، وهو كون الشيء متأثّراً عن غيره مادام متأثّراً كالتقطّع.

إذا عرفت ذلك فنقول: أمّا البرهان الجمليّ على امتناع اتّصافه تعالى بهذه الأعراض واستحالة كونه موضوعاً لها: فما سبق بيانه عليه السلام بقوله: «فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه»، وكذلك ما بيّناه من استلزام وصفه بشيء حصول التغيّر في ذاته وامتناع التغيّر عليه. ثم ذكر التفصلي مع تطويل[1] وفيما نقلنا عنه كفاية.

قوله عليه السلام: **«ولا بالغيرية والأبعاض»**:

أقول: قصده عليه السلام ردع الوهم عن ان يتبادر عند اطلاق أوصاف الكمال عليه تعالى مثل: عالم، قادر، حي. إلىٰ ماهو المألوف عنده في الشاهد من وصف الذات بغير ما هو بعض مدلول اسمها، مثاله: عالم، يدل في حق الشاهد على علم هو غير الذات، وبعض مدلول لفظ عالم، لأن مدلوله ذو علم.

فاما في حق الباري فمعنى عالم: ذات مخصوصة يجب بخصوصيتها ان تعلم المعلومات أبداً.

وهذا هو حقيقة قول الأئمة عليهم السلام: «صفات الله ذاته» أي مسمى علم الله وقدرة الله وحياة الله ووجود الله، ذاته لا معنى هو غيره.

وقد تقدم تحقيق القول في ذلك.

وقد ذكر ذلك ميثم بن علي في مباحث تقدم نقل بعضها وسيأتي نقل بعضها وذكر ان ذلك مذهب الحكماء.

وقد روى ابن أبي الحديد ذلك عنهم في الوجود، وقد سبق نقله.

قوله عليه السلام: **«ولا يقال له حد ولا نهاية»**:

قال في الشرح أي ليس ذا مقدار، ولذلك المقدار طرف ونهاية؛ لأنه لو كان ذا مقدار لكان جسماً، لأنّ المقدار من لوازم الجسمية، وقد ثبت أنّه تعالى ليس بجسم.

قوله عليه السلام: **«ولا انقطاع ولا غاية»**:

---

(١) راجع شرح ميثم بن علي ٤: ١٦٧.

لأنه لو جاز عليه العدم في المستقبَل لكان وجوده الآن متوقّفاً على عدم سبب عدمه، وكلّ متوقف على غيره فهو ممكن في ذاته، والباري تعالى واجب الوجوب، فاستحال عليه العدَم؛ وأن يكون لوجوده انقطاع، أو ينتهي الى غاية يعدم عندها.

قوله عليه السلام : «**ولا أن الأشياء تحويه فتقلّه**»:

أي ترفعه، «**أو تهويه**»: أي تجعله هاوياً الى جهة تحت: لأنه لو كان كذلك لكان ذا مقدار أصغر من مقدار الشيء الحاوي له، لكن قد بيّنا أنه يستحيل عليه المقادير، فاستحال كونه محويّاً.

وقوله: «**أو أن شيئاً يحمله فيميله الى جانب**»:، أو يعدله بالنسبة الى جميع الجوانب، لأن كلّ محمول مقدّر، وكل مقدّر جسم، وقد ثبت أنّه ليس بجسم[1].

وقوله عليه السلام : «**ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج**»:

وذلك ان الولوج والخروج يوصف بهما من يتمكن الاماكن ويتحيز فيها، وذلك محال في حق واجب الوجود، لأن كل ذي مكان محدث، فلا يطلق عليه هذا الوصفان حقيقة ولا مجازاً؛ لعدم الإذن، وإنّما ورد الإذن باطلاق حاضر وغير غائب، ومعناهما: عالم محيط.

وقد ذكر في هذا الفصل ما لا يجوز اجراءه عليه تعالى من صفات المخلوقين وذكر في الفصل الذي يعده ما يجري عليه وعلى غيره، وأشار الى وجه الفرق في الاطلاقين فقال: «يخبر بلا لسان ولهوات ... الى قوله: وأدوات». وذلك لأنّ الأعضاء والآلات من خصائص الجسم، فما ليس بجسم لا يكون له ذلك. ومعنىٰ كونه مخبراً: أنّه فاعل للخبر كما يجيء، ومعنى كونه سامعاً: انه عالم بالمسموع.

قوله عليه السلام : «**يقول ولا يلفظ**»:

قد اختص اللفظ بالقول الخارج من الفم.

قوله عليه السلام :«**يحفظ ولا يتحفظ**»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: أمّا كونه يحفظ فيطلق على وجهين: احدهما أنه يحفظ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٨٣.

بمعنى أنه يحصِي أعمال عباده ويعلمها، والثاني كونه يحفظُهم ويحرسهم من الآفات والدواهي. وأمّا كونه لا يتحفّظ فيحتمل معنيين. أحدهما أنّه لا يجوز أن يطلق عليه أنه يتحفّظ الكلام، أي يتكلّف كونه حافظاً له، ومحيطاً وعالماً به، كالواحد منّا يتحفّظ الدرس ليحفَظه، فهو سبحانه حافظٌ غير متحفّظ.

والثاني أنه ليس بمتحرّز ولا مشفق على نفسه خوفاً أن تبدر إليه بادرة من غيره[١].

قوله عليه السلام: « يريد ولا يضمر »:

قال ميثم بن علي: فإرادته تعالى تعود إلى اعتبار كونه تعالى عالماً بما في الفعل من الحكمة والمصلحة الذي هو مبدء فعله، ولافرق في حقّه تعالى بين الإرادة والداعي، ولمّا كان المتعارف من الإرادة أنها ميل القلب نحو ما يتصوّر كونه نافعاً ولذيذاً، وذلك الميل من المضمرات المستكنّة في القلب، لا جرم كان إطلاق الإرادة في حقّه يستلزم تصوّر الاضمار، ولمّا تنزّه سبحانه عن الإضمار لا جرم احترز عنه في اطلاق المريد عليه تعالىٰ، فكان ذلك الاحتراز كالقرينة الصارفة للّفظ عن حقيقته الى مجازه وهو الاعتبار المذكور، انتهىٰ[٢].

قوله عليه السلام: «أنه يحبّ ويرضىٰ من غير رقّة، ويبغِض ويغضب من غير مشقّة»:

قال ابن أبي الحديد: وذلك لأن محبته للعبد إرادته لأن يثيبه، ورضاه عنه أن يحمَد فعله، وهذا يصحّ ويطلق على الباري، لا كإطلاقه علينا، لأنّ هذه الأوصاف يقتضي إطلاقها رِقّة القلب، والباري ليس بجسم، وأمّا بغضه للعبد فإرادة عقابه وغضبِه كراهية فعله ووعيده بإنزال العقاب به، وفي الأغلب إنما يطلَق ذلك علينا ويصحّ منّا مع مشقّة تنالنا من انزعاج القلب وغَليان دمه، والباري ليس بجسم، انتهىٰ[٣].

قوله عليه السلام: «انه يقول لما أراد كونه: كن؛ فيكون من غير صوت يقرع، ولا نداء يسمع»:

أقول: يحتمل أن يكون مراده عليه السلام من هذا الكلام ظاهره، كما هو مذهب أبي الهذيل ومن وافقه في معنى قوله تعالىٰ: ﴿إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[٤] ولا بُعد في ذلك.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٨٥.
(٢) شرح ميثم بن علي ٤: ١٧٠.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٨٥.
(٤) يس: ٣٦/ ٨٢.

وتحقيق هذا القول: إنّ الله جعل كلمة التكوين سبباً يحدث عنه الكائنات، لا لحاجته الى ذلك ولكن له في ربط أفعاله بالأسباب، حكمة استأثر بعلمها.

ويؤيد ذلك تسمية الكائنات كلمات كقوله تعالى: **﴿ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسىٰ بن مريم﴾**[١] وقوله: **﴿مثل كلمة طيبة﴾**[٢] **﴿مثل كلمة خبيثة﴾**[٣] ومعنى قوله عليه السلام: لا بصوت يقرع ولا نداء يسمع.

ان الصوت المحدث للتكوين لا يقرع صماخاً للمكوّن، كما هو شأن الكلام الموجّه الى الغير، ولا يسمع المنادى به ذلك النداء، كما هو شأن النداء الموجّه إلى الموجود، لأنّ المنادىٰ هنا معدوم.

ويحتمل ان يريد المعنى الذي تأوّل عليه المتأوّلون الآيات القرآنية، وهو معروف.

قوله عليه السلام: «**وانما كلامه سبحانه فعل منه انشأه ومثله**»:

قال في الشرح: يقال: مثّلت له كذا تمثيلاً، إذا صوّرت له مثاله بالكتابة أو بغيرها، فالباري مثّل القرآن لجبريل عليه السلام بالكتابة في اللّوح المحفوظ فأنزله على محمّد صلى الله عليه وآله. وأيضاً يقال: مَثُل زيد بحضرتي إذا حضر قائماً، ومثّلته بين يدي زيد أي أحضرته منتصباً، فلمّا كان الله تعالى فعل القرآن واضحاً بيناً كان قد مثّله للمكلّفين[٤].

أقول: وفي هذه العبارة اشارة الى ان الباقي مثال القرآن لا نفس الأصوات، لانها أعراض تفنىٰ، كما حقّق فمن أراد أن يسمعه أو يسمعه أجراه على آلة تكلمه فيكون الحكم للمجري المحكي، وهكذا شأن كل كلام، والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «**لم يكن من قبل ذلك كائناً... الى قوله: ثانياً**»:

اعلم ان القدم هو وجوب الوجود الذي هو أخص صفات الباري تعالىٰ، فمن وصف به وصف بالالهية؛ إذ هو المؤثر غير المؤثر الذي اقتضته الضرورة، ولم يقتض الا واحداً.

قال في شرح ميثم بن علي: وأشار بقوله: «ولو كان قديماً لكان الهاً ثانياً» إلى برهان حدوثه وهو قياس استثنائي وتقريره: لو كان كلامه تعالى قديماً لكان كلامه إلها ثانياً لكن

---

(١) آل عمران: ٣/ ٤٥.

(٢) ابراهيم: ١٤/ ٢٤.

(٣) ابراهيم: ١٤/ ٢٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٨٧.

التالي باطلٌ، فالمقدّم كذلك. فأمّا بيان الملازمة: فلأنّه لو كان قديماً لكان إمّا واجب الوجود واما ممكن الوجود، والثاني باطل، لأنه لو كان ممكناً مع انه موجود في الأزل لكان وجوده مفتقراً الى مؤثر، فذلك المؤثر ان كان غير ذاته تعالى فهو محال لوجهين:

احدهما: أنّه يلزم افتقاره تعالى في تحصيل صفته إلى غيره فهو محال.

الثاني: انّه يلزم أن يكون في الأزل مع الله غير فيكون مستنداً إليه في حصول تلك الصفة فيكون إلهاً ثانياً بل هو الأولى بالإلهيّة، هذا محال. وان كان المؤثّر في كلامه ذاته فهو محال أيضاً؛ لأنّ المؤثّر واجب التقدّم على الأثر فالكلام إمّا أن يكون من صفات كماله أولا يكون، فإن كان الأوّل فتأثيره فيه إن كان ـ وكلّ كمال له حاصلاً له بالفعل ـ فقد كان وصف الكلام حاصلاً له قبل أن كان حاصلاً، هذا خلف. وإن كان تأثيره في حال ماهو خال عن صفة الكلام، فقد كان خالياً عن صفة كماله فكان ناقصاً بذاته، وهذا محال.

وأمّا ان لم يكن الكلام من صفات كماله كان إثباته له في الأزل إثباتاً لصفة زائدة على الكمال والزيادة على الكمال نقصان. فتعيّن أنّه لو كان قديماً لكان واجب الوجود لذاته فكان إلهاً ثانياً.

وأمّا بطلان التالي، فلمّا بيّنا من كونه تعالى واحداً. فثبت بهذا الدليل الواضح أنّه لا يجوز أن يكون كلامه قديماً، انتهى[١].

قوله عليه السلام: «وانه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا ... الى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: شرع أوّلاً في ذكر إعدام الله سبحانه الجواهر وما يتبعها ويقوم بها من الأعراض قبل القيامة، وذلك لأنّ الكتاب العزيز قد ورد به، نحو قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾[٢]، ومعلوم أنه بدأه عن عدم، فوجب أن تكون الإعادة عن عدم أيضاً. وقال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾[٣]، وإنّما كان أوّلاً لأنه كان موجوداً، ولا شيء من الأشياء بموجود، فوجب أن يكون آخرا كذلك، هذا هو مذهب جمهور أصحابنا وجمهور المسلمين.

---

(١) شرح ميثم بن علي ٤: ١٧٣.
(٢) الأنبياء: ٢١/ ١٠٤.
(٣) الحديد: ٥٧/ ٣.

ثم ذكر أنّه يكون وحده سبحانه بلا وقت ولا مكان، ولا حينٍ ولا زمان، وذلك لأنّ المكان إمّا الجسم الذي يتمكّن عليه جسم آخر، أو الجهة، وكلاهما لا وجودَ له بتقدير عدم الأفلاك وما في حشوها من الأجسام، أما الأوّل فظاهر، وأما الثاني، فلأنّ الجهة لا تتحقّق إلا على تقدير وجود الفَلك. لأنها أمرٌ اضافيٌّ بالنسبة إليه، فبتقدير عدمه لا يبقى للجهة تحقّق أصلا، وهذا هو القوْل في عدم المكان حينئذ.

وأما الزّمان والوقت والحين، فكلّ هذه الألفاظ تعطى معنىً واحداً، ولا وجود لذلك المعنى بتقدير عدم الفلك، لأنّ الزمان هو مقدار حركة الفلك، فإذا قدّرنا عدم الفلك فلا حركة ولا زمان.

ثم أوضح عليه السلام ذلك وأكّده، فقال: «عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات»، لأنّ الأجل هو الوقت الذي يحلّ فيه الدين أو تبطل فيه الحياة، وإذا ثبتَ أنّه لا وقت، ثبت أنه لا أجل، ولا سنة ولا ساعة؛ لأنها أوقات مخصوصة.

ثم قال الشارح: فان قلت: إذا كان يفنيها لا لكذا ولا لكذا، وكان من قبْلُ أوجدها لا لكذا ولا لكذا، ثم قلتم: إنه يعيدها لا لكذا ولا لكذا، فلأيّ حال أوجدها أولاً، ولأيّ حال أفناها ثانياً، ولأيّ حال أعادها ثالثاً؟ خَبِّرُونا عن ذلك، فإنكم قد حكيتم عنه عليه السلام الحكْم ولم تحكُوا عنه العلّة!

قلت: إنما أوجدها أولا للإحسان إلى البشر ليعرفوه، فإنّه لو لم يوجدهم لبقى مجهولاً لا يعرف، ثم كلّف البشر ليعرّضهم للمنزلة الجليلة التي لا يمكن وصولهم إليها إلا بالتكليف وهي الثواب، ثم يفنيهم لأنّه لابدّ من انقطاع التكليف ليخلص الثواب من مشاقّ التكاليف؛ وإذا كان لابدّ من انقطاعه فلا فرقَ بين انقطاعه بالعدم المطلق، أو بتفريق الأجزاء، وانقطاعه بالعدم المطلق قد ورد به الشرع، وفيه لطف زائد للمكلّفين؛ لأنّه أردع وأهيب في صدورهم من بقاء أجزائهم، واستمرار وجودها غير معدومة.

ثم إنه سبحانه يبعثهم ويعيدُهم ليوصّل الى كلّ إنسان ما يستحقّه من ثواب أو عقاب، ولا يمكن إيصال هذا المستحقّ إلا بالإعادة، وإنّما لم يذكر أمير المؤمنين عليه السلام هذه التعليلات، لأنه قد أشار اليها فيما تقدّم من كلامه، وهي موجودة في فرش خُطَبه، ولأن

مقام الموعظة غير مقام التعليل، وأمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة يسلُك مسلك الموعظة في ضمْن تمجيد الباري سبحانه وتعظيمه، وليس ذلك بمظنّة التعليل والحِجاج، انتهى من شرح ابن أبي الحديد[١].

وأقول: الذي يظهر من قصده عليه السلام دفع ما يتوهم علّة من الوجوه العالية في تعليل أفعال العباد وفي أغراضهم، كما هو شأنه من تنزيه الباري سبحانه عن التوهّمات، ولم يذكر التعليل؛ لأنّه يكفي المؤمن أن يعلم أنّ فعل الله مشتمل علىٰ حكمة ولا حاجة له إلى معرفة خصوصيتها، وربما يكون بعض وجوهها ممّا استأثر الله به فيكون تظنّيه قولاً على الله مالا يعلمه القائل وهي ممنوع منه، والله أعلم وبه السداد.

وقال ميثم بن علي: وقوله عليه السلام: «**ولم يكوّنها لتشديد سلطان... الى اخره**»:

إشارة الى تعديد وجوه الأغراض المتعارفة للفاعلين في إيجاد ما يوجدونه وإعدامه، ونفي تلك الأغراض عن فعله في إيجاده ما أوجده وإعدامه ما أعدمه من الأشياء.

أمّا الأغراض المتعلّقة بالايجاد، فهو إمّا جلب منفعة كتشديد السلطان وجمع الأموال والقينات وتكثير الجند والعدّة والازدياد في الملك بأخذ الحصون والقلاع ومكاثرة الشريك في الملك كما يكاثر الانسان غيره ممّن يشاركه في الأموال والأولاد، أو دفع مضرّة كالتخوّف من العدم والزوال فخلقها ليتحصّن بها من ذلك، أو خوف النقصان فخلقها ليستكمل بها، أو خوف الضعف عن مثل مكابره فخلقها ليستعين بهما عليه، أو خوف ضدّ يقاومه فأوجدها ليحترز بها منه ويدفع مضرّته، أو لوحشة كانت له قبل إيجادها فأوجد ليدفع ضرر استيحاشه بالأُنس بها.

وكذلك الأغراض المتعلّقة بعدمها: إمّا إلى دفع المضرّة كدفع السأم اللاحق له من تصريفها وتدبيرها والثقل في شيء منها عليه والملال من طول بقائها فيدعوه الى ذلك إلى افنائها، أو جلب المنفعة كالراحة الواصلة إليه. فإن جلب المنفعة ودفع المضرّة من لواحق الإمكان الّذي تنزّه قدسه عنه.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٩١ ـ ٩٤.

[وقوله:« لكنه سبحانه ... الى قوله: لقدرته»:

فتدبيرها بلطفه إشارة الى ايجاده لها على وجه الحكمة والنظام الأتمّ الأكمل الّذي ليس في الإمكان أن يكون جملتها على أتمّ منه ولا ألطف، وإمساكه لها بأمره قيامها في الوجود بحكم سلطانه، وإتقانها بقدرته إحكامها على وفق منفعتها وان كان عن قدرته فعلى وفق علمه بوجوه الحكمة، كلّ ذلك بمحض الجود من غير غرض من الأغراض المذكورة تعود إليه.

وقوله:« ثم يعيدها بعد الفناء»:

تصريح بإعادة الأشياء بعد فنائها. وفناؤها إمّا عدمها كما هو مذهب من جوّز إعادة المعدوم، أو تشعّبها وتفرّقها وخروجها عن حدّ الانتفاع بها كما هو مذهب أبي الحسين البصري من المعتزلة][1].

وقوله: «من غير حاجة... إلى آخره»:

ذكر وجوه الأغراض الصالحة في الإعادة، والإشارة الى نفيها عنه تعالىٰ، وهي أيضاً كالحاجة اليها والاستعانة ببعضها على بعض، أو لانصراف من حال وحشة الى حال استيناس، أو لانصراف من حال جهل وعمى فيه الى حال علم والتماسه[2]، وكذلك من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة، ومن ذلّ و ضعة إلى عزّ وقدرة. وقد عرفت أنّ كلّ هذه الأغراض من باب دفع المضرّة المنزّه قدسه تعالى عنها، وقد بيّنا فيما سلف البرهان الاجماليّ على تنزيهه تعالى في أفعاله عن الأغراض، بل إيجاده لما يوجد بمحض الجود الالهي الّذي لا بخل فيه ولا منع من جهته. فهو الجواد المطلق والملك المطلق الّذي يفيد ما ينبغي لا لغرض؛ يوجد ما يوجد لا لفائدة تعود إليه ولا غرض. وهو مذهب أهل السنّة والفلاسفة، والخلاف فيه مع المعتزلة، انتهىٰ[3].

وأقول: أمّا الاغراض الراجعة الى الفاعل من جلب النفع ودفع الضرر فمحال نسبتها الى الباري تعالىٰ، وهي التي اشتمل كلام أمير المؤمنينعليه السلام علىٰ نفيها.

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط .

(٢) في ط: «وبصيرة» بدل «والتماسه».

(٣) شرح ميثم بن علي ٤: ١٨١.

وأمّا وجوه الحكمة التي يلحظها العقلاء في أفعالهم وبها يتميّز الحكمة من الأعمال عن العبث، فلابدّ من اعتباره والعلم باشتمال الفعل عليه هو تفسير الارادة في حق البـاري تعالىٰ.

لكن بعض المعتزلة يزعمون أنهم يحيطون بخصوصيات الحكمة في أفعاله تعالىٰ، وانه يجب على الباري تعالى اعتبار ذلك المخصوص المتميّز عندهم.

وهذا غلوّ وتجاوز لحد العقل، فتوجهت اليهم الالزامات الصعبة من خصومهم والائمة من أهل البيت عليهم السلام

والمحققون من المعتزلة يقولون: لابد وان يشتمل فعل الباري سبحانه على الحكمة لقيام برهان العقل وتنبيه السمع على ذلك ولكنّا لا نـحيط بـالخصوصيات، فـما ظـهر خصوصيته اعتقدناه وما خفي علينا رددنا علمه الى الله تعالى، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام تختص بذكر الملاحم[١]:

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي[٢] هُمْ[٣] مِنْ عِدَّةٍ![٤] أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ[٥]. أَلَا فَتَوَقَّعُوا[٦] مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَانْقِطَاعِ[٧] وُصَلِكُمْ[٨]، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ[٩]. ذَاكَ[١٠] حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ![١١] ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً من الْمُعْطِي[١٢]؛ ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ[١٣]، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ[١٤]، وَتَحْلِفُونَ[١٥] مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ[١٦]؛ ذَاكَ[١٧] إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلَاءُ، كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ[١٨]. ما أَطْوَلَ هَذَا

---

(١) في أ: ومن خطبة له عليه السلام في الملاحم. (٢) في هـ. ب: أي فداهم أبي وأمي.

(٣) لم ترد «هم» في أ، وفي هـ د: بأبي وأمي من عدة ـ ن و ف و م.

(٤) في هـ. ب: العدة مصدر عدد الشيء عداً وعدة، والعدة جماعة قلّت أم كثرت، وعدة المرأة كذلك.

(٥) في هـ. ب: أشار أولاً الى أحد عشر من أولاده المعصومين من بعده وقال: ان الملائكة يعرفونهم وأكثر أهل الأرض يجهلونهم. (٦) في هـ. ب: انتظروا.

(٧) في هـ. ص: أي تفرقكم واختلافكم. (٨) في هـ. ب: جمع وصلة.

(٩) في هـ. ب: أي استعمل عليكم أحداثكم وذوو الصغار، واستعمال صغاركم: أي استعمل عليكم فاسق كل قبيلة ومن هو أصغر قدراً.

(١٠) في هـ.ب: اشارة الى فتنة الدجال قبل خروج المهدي.

(١١) في هـ. ب: من كسب حلال، وفي هـ. ب أيضاً ان ذلك الذي ذكرت اذا صار وحان وقته، اكتساب درهم حلال أصعب من احتمال ضربة سيف.

(١٢) في هـ. ب: اشارة الى ان اليد السفلى خير من اليد العليا، على ما يقال.

(١٣) في هـ. ب: يسكرون بالتنعم والمال باسراف التنعم.

(١٤) في هـ. ب: أي المال.

(١٥) في هـ. ب، وفي نسخة: وتخلفون من الخلاف.

(١٦) في هـ. د: من غير اخراج ـ ن و ل، وفي هـ. ب: الاحراج مصدر أحرجه، والمصدر الحرج.

(١٧) د: ذلك.

(١٨) في هـ. ب القتب بالتحريك رحل صغير على قدر السنام، والغارب من البعير: ما بين السنام

اَلْعَنَاءَ! وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجاءَ!

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، أَلْقُوا هَذِهِ الأَزِمَّةَ[١] الَّتي تَحْمِلُ ظُـهُورُها ٱلأَثْـقَالَ مِـنْ أَيْـدِيكُمْ[٢]، وَلَا تَصَدَّعُوا[٣] عَلَى[٤] سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا[٥] غِبَّ[٦] فِعَالِكُمْ، وَلَا تَقْتَحِمُوا[٧] مـا ٱسْـتَقْبَلْتُمْ[٨] مِنْ فَوْرِ[٩] نارِ ٱلْفِتْنَةِ، وَأَمِيطُوا[١٠] عَنْ سَنَنِهَا[١١]، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا؛ فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فى لَهَبِهَا[١٢] المُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ المُسْلِمِ[١٣]. إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فى الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَها.

فاسْمَعُوا أَيَّهَا النَّاسُ وَعُوا، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا.

* * *

قوله ﷺ: « ألا بأبي وامي من عدة »:

قال ابن أبي الحديد: الإمامية تقول: هذه العدّة هم الأئمة الأحد عشر من ولده ﷺ. وغيرهم يقول: إنه عَنَى الابدال الذين هم أولياء الله في الأرض، انتهى[١٤].

قلت: الحق خلاف هذين القولين:

أما قول الامامية؛ فلانه لا دليل على قصر الامامة في الأحد عشر[١٥]، بل كما دل على

← الى العنق.

(١) في هـ. ب: جمع زمام.

(٢) في هـ. ب: أي ألقوا من أيديكم.

(٣) هـ. ب: أي لا تتفرقوا.

(٤) في هـ. ص، وفي نسخة: عن.

(٥) في ص: فتندموا ظاهرا، وفي هـ. ب: من المذمة.

(٦) في هـ. ب: الغب: العاقبة.

(٧) في هـ. ب: أي لا تدخلوا قحمة الفتنة أي معظمها.

(٨) في الف و ص و د: ما استقبلكم في هـ. د: ما استقبلتم ـ ض و ح و ب و ل و ش.

(٩) في هـ. ب: أي من غليان.

(١٠) في هـ. ب: أي ابعدوا.

(١١) في هـ. ب: أي اتركوا سواء السبيل.

(١٢) في هـ. ب: أي ما يتلهب من النار.

(١٣) الى هنا ورد في أ، وفي هـ. د: «انما مثلي... الى تفهموا» ساقطة من ف و ن و ش.

(١٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٩٦.

(١٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٩٦.

قلت: انما يستدل السبعة على حصر الامامة في اثني عشر خليفة بما ورد عن النبي ﷺ متواتراً بانه يكون بعده اثنى عشر خليفة لا غير كعدة نقباء بني اسرائيل.

←

امامتهم وفضلهم دليل، دل على امامة غيرهم من أئمة العترة وفضله دليل، والكلام معهم معروف.

وأما الأبدال الذين نسب الشارح القول بهم الى غير الامامية، فإنما يقول بهم ويزعمهم الصوفية بلا دليل ولا سند إلاّ مجرد التصور، وابدالهم الذين يزعمونهم لا ينسب اليهم تقرير شريعة ولا ردّ علىٰ مبطل ولا دعاء إلى أمر بمعروف أو نهي عن منكر وانما طريقة رؤساء الصوفية الشطح والرمز والايهامات التي يعلم بالضرورة انها خلاف طريقة رسول الله ﷺ وطريقة أهل بيته وطريقة الصحابة وعلماء الدين.

وأمير المؤمنين عليه السلام إنما همّه وشأنه تقرير قواعد الدين والتنبيه على طريقة الهادين المهتدين.

فالحق ان المعنيّ بهؤلاء العدة: أئمة أهل البيت علىٰ رأي الزيدية الذين جعلهم الله القدوة والعصمة والهداة والقادة، وورد عن رسول الله ﷺ وعن أمير المؤمنين في ذكر جملتهم وكثير من أفرادهم ما يكثر على الايراد.

وقد روى الشارح عن أمير المؤمنين التنصيص على أفرادهم في كلام كثير أورده الشارح حين ذكر ان امير المؤمنين عليه السلام كان يخبر عن الغيوب المفصّلة.

فأمّا ما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام لجملة أهل البيت عليهم السلام فأكثر من أن يحصر، وهذا الكتاب المشروح وشرح هذا الشارح مشحونان بذلك، ولكن حب مذهب الصوفية حمل الشارح علىٰ هذه المقالة.

وله غرض آخر في صرف كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكتاب الذي يعنى به عليه السلام

← واما أئمة غير الشيعة الامامية خصوصاً الزيدية فهم يزيدون عدداً على ما ذكره الرسول ﷺ فلابد وانهم لم يرادوا بالحديث الشريف.

واما قول الامامية بأن مراد الامام هو الأحد عشر فلانه هو عليه السلام أحدهم فبقى بعده أحد عشر اماماً وهم أئمة الشيعة بعد الامام علي عليه السلام.

واما ما قاله الشارح من انه دل الدليل على امامتهم وفضلهم فهو اعتراف بالحق، واما ما قاله من دلالة الدليل على امامة غيرهم فهو مجرد ادعاء ولابد له من اظهار وبيان ليناقش في صحة ذلك الدليل.

أهل البيت فتارة يقول: المراد به الأبدال والأقطاب، فإن كان مصرحاً بذكر أهل البيت فيه قال: المعني به علي عليه السلام، أو علي والحسنان فقط.

وغرضه من ذلك أن كثيراً من قواعد أصحابه ـ المعتزلة ـ خلاف قواعد أهل البيت عليهم السلام، فلو اعترف بانهم المعنيون بكلام أمير المؤمنين عليه السلام للزمته الحجة والخروج عن مذهب أصحابه، فهو يحيص بالتأويلات عن لزوم ماهو لازم له، ولا ينبئك مثل خبير.

قوله عليه السلام: «أسماؤهم في السماء معروفة»:

قال في الشرح: أي تعرفها الملائكة المعصومون، أعلمهم الله بأسمائهم، وهي في الأرض مجهولة، أي عند الأكثرين لاستيلاء الضلال على أكثر البشر، انتهى.

قلت: وظهور هذا الوصف في أئمة أهل البيت عليهم السلام كظهور الشمس، فإنّ جميع فرق الاسلام إلّا الزيدية ينكرونهم ويجحدونهم فضلهم ولا يذكرون لهم قولاً في خلاف ولا ترجمة في تاريخ ولا كرامة عند ذكر كرامات الأولياء ويسمونهم: الرافضة والمبتدعة، وينسبونهم الى الجهل، ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾[١].

قوله عليه السلام: « ذاك حيث يكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم من حلّه»:

كأنه عليه السلام يشير الى كثرة الشبه واختلاط الأموال حتىٰ يستهين المؤمن القتل على مشقة تحصيل العيش الحلال.

وقد ورد في الأحاديث الكثيرة: انه يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه إلّا بالمعصية، وذلك من الابتلاء الذي هو أعمّ حكمةٍ في أفعال الحكيم سبحانه.

قوله عليه السلام: «ذاك حيث يكون المعطىٰ أعظم أجراً من المعطي»:

ذكر ابن أبي الحديد في تفسير هذا كلاماً فيه بعد[٢]، ولعلّه عليه السلام أشار الى ما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله فيما روي عنه، ولفظه: ما الذي يعطي من سعة بأعظم أجراً من الذي يقبل، إذا كان محتاجاً. ـ عن أنس ـ[٣].

---

(١) يوسف: ١٢ / ١٨.

(٢) انظر كلامه في شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٩٦.

(٣) الدر المنثور ١: ٣٦.

وما المعطي من سعة بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجاً. ـ عن ابن عمر ـ[١]. رواهما الاسيوطي.

فكأنه ﷺ يريد: إنّ الأموال يتمكن منها في ذلك الزمان قوم لا خلاق لهم، وتنال الحاجة والخصاصة كل برّ تقي، فلا يأخذ إلّا مع ضرورة الى الأخذ، وذلك سبب للأجر ـ كما أشار اليه الحديث ـ لأنّ تناول المال مع الضرورة قد يجب. أو يكون أشار ﷺ الى ان أموال الله التي بيّن الله مصارفها[٢] يليها في ذلك الزمان من ليس بأهل لولايتها، فلا أجر له على إعطائها، والآخذ لها من مستحقيها يأخذها باستحقاق ليصرفها فيما يؤجر بالصرف فيه فأخذها من الكسب المرغّب فيه، وهذا كما أخذ الأئمة والصالحون من الولاة الامويين والعباسيين، والله أعلم.

---

(١) الدر المنثور ١: ٣٣٦.

(٢) في قوله تعالىٰ: ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ (التوبة: ٦٠).

[١٨٨]

ومن خطبة له عليه السلام:

أُوصِيكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ بِتَقْوَى ٱللهِ، وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلاَئِهِ إِلَيْكُمْ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَبَلاَئِهِ لَدَيْكُمْ، فَكَمْ[١] خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ!

أَعْوَرْتُمْ لَهُ[٢] فَسَتَرَكُمْ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ!

وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ ٱلْمَوْتِ وَإِقْلاَلِ ٱلْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ، وطَمَعُكُمْ فِيمَنْ[٣] لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ؛ فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ. فَكَأَنَّهُمْ[٤] لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً، وَكَأَنَّ ٱلآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً. أَوْحَشُوا[٥] مَا كَانُوا يُوطِنُونَ[٦]، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ[٧]، وَاشْتَغَلُوا[٨] بِمَا فَارَقُوا، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ ٱنْتَقَلُوا[٩]، لاَ عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱنْتِقالاً، وَلاَ فِي حَسَنٍ[١٠] يَسْتَطِيعُونَ ٱزْدِيَاداً، أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُم.

فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ إِلَى مَنَازِلِكُمُ ٱلَّتِي أُمِرْتُمْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رُغِّبْتُمْ[١١] فِيهَا وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَٱسْتَتِمُّوا نِعَمَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ.

---

(١) في ب: وكم.

(٢) أعورتم أي انكشفتم وبدت عوراتكم، وفي هـ. ب أي بدا عورتكم. يقال أعورك الصيد أي أمكنك منه والعورة كل ما يستحي منه. وما يتخوف منه من ثغر، وعور صار أعور.

(٣) هـ. د: وطمعكم فيما ـ ف و ن و م.

(٤) د: كأنهم، وفي هـ. د: فكأنهم ـ ض و ب.

(٥) في هـ. ب: اوحشت الأرض اذا وجدتها موحشة خالية.

(٦) في هـ. ب: أي الدنيا.

(٧) في هـ. ب: أي القبر.

(٨) في ب: فاشتغلوا.

(٩) في ص: انقلبوا.

(١٠) في ص: حسنة في هـ. د: حسنة ـ ب.

(١١) في ط و د: رغِبتُم.

مَا أَسْرَعَ ٱلسَّاعَاتِ فِى ٱلْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ ٱلْأَيَّامَ(١) فِي ٱلشَّهْرِ، وَأَسْرَعَ ٱلشُّهُورَ فِى ٱلسَّنَةِ، وَأَسْرَعَ ٱلسِّنِينَ فِى ٱلْعُمْرِ!(٢)

(١) في ص: اليوم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: الايام.

(٢) في ب هنا ما يلي: آخر الجزء الأول من كتاب نهج البلاغة، يتلوه في الجزء الثاني منه. من خطبة لمولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فمن الايمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب وكتب الحسين بن الحسن المؤدب حامداً لله ومصليّاً على رسوله محمد وآله الطاهرين وسلّم تسليما.
قرأ علي هذا الجزء شيخي الفقيه الأصلح ابن عبدالله الحسين رعاه الله وكتب محمد بن علي بن أحمد بن فبدام [ظ] بخطه في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وأربعمائة هجرية عظم الله يمنها بمنّه.

ومن خطبة له ﷺ(١):

فَمِنَ ٱلْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرًّا فِي ٱلْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ(٢) مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ المَوْتُ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَقَعُ حَدُّ ٱلْبَرَاءَةِ.

وَٱلْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الأَوَّلِ، مَا كَانَ لِلَّهِ فِي(٣) أَهْلِ الأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ(٤) ٱلْأُمَّةِ وَمُعْلِنِها، لَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ ٱلْحُجَّةِ فِي ٱلْأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلَا يَقَعُ ٱسْمُ الاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ ٱلْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ، وَوَعَاهَا قَلْبُهُ.

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ(٥) لَا يَحْمِلُهُ(٦) إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ(٧) ٱمْتَحَنَ ٱللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ(٨)، وَلَا يَعِي(٩) حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلَامٌ(١٠) رَزِينَةٌ.

---

(١) في ب:بسم الله الرحمن الرحيم ومن خطبة لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

(٢) في هـ. ب أي اذا تبرأتم من انسان لاعتقاده الباطل فاحلوه حتى تعلموا على أي شيء يخرج من الدنيا فانه ربما يكون معتقداً للحق ويكتم اعتقاده لغرض دنيوي، وقيل معناه اذا تبرأتم من أحد فترقبوا به الموت فانه ربما يتوب ويرجع وقيل هذا اشارة الى ما عمل.
وفي هـ ب : أي تظنون وتتوهمون ان ايمانه ليس بحقيقي بامارة حق تعلمون اتهامه بظاهر القول وليس في قلبه فقفوه حتى يحضر الموت، وفي هـ. ب و أ: اشارة الى انه كان ﷺ اذا صلّى على الميت ان كان منافقاً صلّى عليه أربع تكبيرات.

(٣) د: ما كان لله تعالى في و في هـ. د: ما كان لله في ـ ض ب ح ش ل.

(٤) في ص زيادة : هذه.

(٥) في هـ. ب: يقال استصعبت الأمر واصعبته وجدته صعباً يعني امامته وامامة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

(٦) في ط و د : لا يحمله.

(٧) في ص زيادة الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن، وفي هـ. ص في نسخة إلا عبد امتحن الله ـ ف و ن و م و ل .

(٨) في هـ. ب: في حاشية ن: بالايمان.

(٩) هـ. ب: أي لا يحفظ.

(١٠) أي : عقول.

أَيُّهَا النَّاسُ. سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ؛ قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ[١] بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ[٢] قَوْمِهَا.

* * *

قوله عليه السلام: **« فمن الايمان... الى قوله: معلوم»:**

اعلم ان الشارح ـ ابن أبي الحديد ـ تكلّف في شرح هذا الكلام تكلفات شنيعة واخرج كلام أمير المؤمنين عليه السلام عن سننه وظاهره، وسببه انه يتكلف تطبيق كلام أمير المؤمنين بمذهب أصحابه ـ كما صرّح به مراراً ـ

والحق ان أمير المؤمنين عليه السلام يشير الى مراد الله عزوجل في قوله: **﴿افمن شرح الله صدره للاسلام فهو علىٰ نور من ربه﴾**[٣] ونحوه، وما عناه سبحانه بقوله: **﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف... الآية﴾**[٤] وقوله: **﴿واضرب لهم مثل الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾**[٥] ونحوهما.

قوله عليه السلام: **«فاذا كانت لكم براءة من أحد... الخ»:**.

قال في الشرح: وينبغي أن تحمل هذه البراءة التي أشار اليها عليه السلام على البراءة المطلقة، لا على كلّ براءة، لأنّا يجوز لنا أن نبرأ من الفاسق وهو حيٌّ، ومن الكافر وهو حيٌّ، لكن بشرط كونه فاسقاً، وبشرط كونه كافراً، فأما مَنْ مات ونعلم ما مات عليه فإنّا نبرأ منه براءة مطلقة غير مشروطة.

وقوله عليه السلام: **«والهجرة قائمة على حدّها الأوّل»:**

قال في الشرح: هذا كلام يختصّ به أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من أسرار الوصيّة، لانّ الناس يروُون عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا هجرة بعد الفتح» فشفع عمّه العباس في نعيم بن مسعود الأشجعي أن يستثنيه، فاستثناه، وهذه الهجرة التي يشيرُ اليها أمير المؤمنين عليه السلام ليست تلك الهجرة، بل هي الهجرة إلى الإمام، قال: إنها باقية على حدها الأوّل مادام

---

(١) في هـ. ب: أي ترفع.

(٢) في هـ. ب: أي أخلاق.

(٣) الزمر: ٣٩ / ٢٢.

(٤) الحج: ٢٢ / ١١.

(٥) الاعراف: ٧ / ١٧٥.

التكليف باقياً، وهو معنى قوله: «ما كان لله تعالىٰ في أهل الأرض حاجة».

وقال الراوندي: ما ها هنا نافية، أي لم يكن لله في أهل الأرض من حاجة، وهذا ليس بصحيح، لأنّه إدخال كلام منقطع بين كلامين متّصل أحدهما بالآخر، انتهىٰ[1].

قلت: لا أرىٰ ما ذكره الراوندي بعيداً، بل أراه قريباً، ولا نسلم انقطاعه عمّا قبله بل هو متصل به معنىً، وذلك انّه عليه السلام أشار الى الرد علىٰ من يزعم ان الهجرة انما كان وجوبها لما كان الاسلام قلّاً فيتكثر أهله، وبعد الساعة لا هجرة، لحصول الغنية عن من لم يهاجر فقال عليه السلام: لم يكن لله حاجة من قبل في أهل الأرض هو الغني العزيز، ولكنه أوجب الهجرة عليهم تعبداً.

قال في الشرح: ثم ذكر أنّه لا يصحّ أن يعدّ الإنسان من المهاجرين إلّا بمعرفة إمام زمانه، وهو معنى قوله: «إلّا بمعرفة الحجّة في الأرض». قال: «فمن عرف الإمام وأقرّ به فهو مهاجر»[2].

قوله عليه السلام: «ولا يقع اسم الاستضعاف.. إلىٰ آخره»:

قد فسر ابن أبي الحديد هذا بكلام غير جيد، ويقرب عندي من معنىٰ كلامه عليه السلام انه نفى الاستضعاف الحقيقي الذي هو عذر في ترك الهجرة المعني بقوله تعالىٰ: ﴿إلا المستضعفين...﴾ الآية[3] عمن بلغته دعوة الامام وعلم صحتها ولم يجبه وأقام في دار المعاصي لا يغيّرها زعماً منه انه مستضعف مقهور وهو يجد السبيل الى الهجرة.

والحكم مأخوذ من قوله صلى الله عليه وآله : «من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبها أكبه الله على منخريه في النار». وقوله صلى الله عليه وآله: « لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتىٰ تغيّر أو تنتقل». والله أعلم.

وقال في شرح ميثم بن علي لهذا الكلام قسمةٌ للايمان الى قسمين، ووجه الحصر فيهما أنّ الايمان لمّا كان عبارة عن التصديق بوجود الصانع سبحانه وماله من صفات

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٠٣. (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٠٤.

(٣) وتمام الآية: «... من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسىٰ الله ان يعفو عنهم» سورة النساء : ٩٨ و ٩٩.

الكمال ونعوت الجلال، والاعتراف بصدق رسول الله ﷺ وما جاء به. فتلك الاعتقادات إن بلغت حدّ الملكات في النفوس فهي الإيمان الثابت المستقرّ في القلب، وان لم تبلغ حدّ الملكة بل كانت بعدُ حالاتٍ في معرض التغيّر والانتقال فهي العواريّ المتزلزلة. واستعار لها لفظ العواري باعتبار كونها في معرض الزوال كما أنّ العواري في معرض الاسترجاع والردّ، وكنّى بكونها بين القلوب والصدور عن كونها غير مستقرّة في القلوب ولا متمكّنة من جواهر النفوس.

[وقال بعض الشارحين: أراد أنّ من الايمان ما يكون على سبيل الإخلاص ومنه ما يكون على سبيل النفاق.

قوله عليه السلام: «إلى أجل معلوم»:

ترشيح لاستعارة العواري. إذ كانت من شأنها أن تستعار إلى وقت معلوم ثمّ ترد فكذلك ما كان بمعرض الزوال والتغيّر من الايمان][1]. وهذه القسمة إلى هذين القسمين هي الموجودة في نسخة الرضي بخطّه وفي نسخ كثير من الشارحين ونسخ كثيرة معتبرة. ونقل الشارح عبد الحميد بن أبي الحديد ـ رحمه الله ـ في النسخة التي شرح الكتاب عليها ثلاثة أقسام هكذا: فمن الايمان ما يكون ثابتاً مستقرّاً في القلوب، ومنه ما يكون عواري في القلوب، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور الى أجل معلوم. ثمّ قال في بيانها ما هذه خلاصته: إنّ الايمان إمّا أن يكون ثابتاً مستقراً في القلوب بالبرهان وهو الايمان الحقيقي، أو ليس بثابت بالبرهان بل بالدليل الجدلي كايمان كثير ممّن لم يتحقّق العلوم العقلية ويعتقد ما يعتقده من أقيسة جدليّة لا تبلغ درجة البرهان، وقد سمّاه عليه السلام عواري في القلوب: أي أنّه وإن كان في القلب الّذي هو محلّ الايمان الحقيقي إلّا أنّ حكمه حكم العارية في البيت فإنّها بعرضة الخروج منه، وإمّا أن لا يكون مستنداً إلى برهان ولا إلى قياس جدلي بل على سبيل التقليد وحسن الظنّ بالأسلاف أو بإمام يحسن الظنّ به وقد جعله عليه السلام عواري بين القلوب والصدور لأنّه دون الثاني، فلم يجعله حالاً في القلب لكونه

---

(١) من شرح ميثم بن علي وأوردناه هنا توضيحاً للخلاصة، وفي نسخة الأصل بدله ما يلي: إلى أن قال ميثم.

أضعف ممّا قبله وأقرب إلى الزوال. ثمّ ردّ قوله: إلى أجل معلوم. إلى القسمين الأخيرين؛ لأنّ من ثبت إيمانه بالقياس الجدلي قد يبلغ الى درجة البرهان إذا أنعم النظر ورتّب المقدّمات اليقينيّة ترتيباً منتجاً، وقد يضعف مقدّماته في نظرة فينحط الى درجة المقلّد فيكون إيمان كلّ منهما إلى أجل معلوم لكونه في معرض الزوال][1] وأقول: إن صحت هذه [الرواية] فالمعنى يعود إلى ما قلناه من القسمة فإنّ العلم بما يستلزمه البرهان أو غيره من الايمان إن بلغ إلى حدّ الملكة فهو الثابت المستقرّ، وإلّا فهو العارية والّذي أراه أنّ القسم الثاني تكرار وقع من قلم الناسخ سهواً والله أعلم، انتهى[2].

وقال ميثم بن علي في شرح قولهعليه السلام: «والهجرة قائمة على حدّها الأول»: مرادهعليه السلام من بقاء الهجرة على حدّها الأول: صدقها على من هاجر إليه وإلى الأئمّة من أهل بيته في طلب دين الله وتعرّف كيفيّة السلوك لصراطه المستقيم، كصدقها على من هاجر الى الرسولصلى الله عليه وآله. وفي معناها ترك الباطل الى الحقّ، وبيان هذا الحكم بالمنقول والمعقول: أمّا المنقول فمن وجهين:

احدهما : قوله تعالى: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعةً﴾[3] فقد سمّى من فارق وطنه وعشيرته في طلب دين الله وطاعته مهاجراً. وقد علمت في أُصول الفقه أنّ «من» للعموم فوجب أن يكون كلّ من سافر لطلب دين الله من معادنه مهاجراً.

الثاني: قول الرسولصلى الله عليه وآله : «المهاجر من هاجر ما حرّم الله عليه» وظاهر أنّ من هاجر معصية الأئمة إلى طاعتهم والاقتداء بهم فقد هاجر ما حرّم الله عليه، فكان اسم الهجرة صادقاً عليه.

وأمّا المعقول فلأنّ المفارق لوطنه الى الرسولصلى الله عليه وآله مهاجر فوجب ان يكون المفارق لوطنه الى من يقوم مقامه من ذريته الطاهرين مهاجراً لصدق حدّ الهجرة في الموضعين، ولأنّ المقصود من الهجرة ليس إلّا اقتباس الدين وتعرّف كيفيّة سبيل الله. وهذا المقصود

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) شرح ميثم بن علي ٤: ١٩٤.
(٣) النساء : ٤ / ١٠٠.

حاصل ممّن يقوم مقام الرسول ﷺ من الأئمة الطاهرين عليهم السلام بحيث لا فرق إلّا النبوّة والإمامة، ولا مدخل لأحد هذين الوصفين في تخصيص مسمّى الهجرة بمن قصد الرسول ﷺ دون من قصد الأئمة فوجب عموم صدقه على من قصدهم.

فإن قلت: هذا معارض بقوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» حتى شفّع عمّه العبّاس في نعيم بن مسعود الأشجعي أن يستثناه فاستثناه.

قلت: يحمل ذلك على أنّه لا هجرة من مكّة بعد فتحها الى المدينة توفيقاً بين الدليلين. وسلب الخاصّ لا يستلزم سلب العام، انتهى[1].

قوله عليه السلام: «امتحن الله تعالى قلبه للايمان»:

قال في شرح ابن أبي الحديد هذه من ألفاظ القرآن العزيز، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2]، وهو من قولك: امتحِن فلان لأمر كذا وجُرِّب ودُرِّب للنهوض به، فهو مضطلع به غير وانٍ عنه، والمعنى أنهم صبروا على التقوى أقوياء على احتمال مشاقّها، ويجوز أن يكون وضع الامتحان موضع المعرفة، لأنّ تحققك الشيء إنما يكون باختباره كما يوضع الخبر موضع المعرفة، فكأنه قيل: عرف الله قلوبهم للتقوىٰ، فيتعلّق اللام بمحذوف، أي كائنة له، وهي اللام التي في قولك: أنت لهذا الأمر، أي مختصٌّ به كقوله:

أعَدَّاءُ مَنْ لليعمَلات على الوَجا

وتكون مع معمولها منتصبة على الحال، ويجوز أن يكون المعنىٰ: ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة، لأجل التقوى، أي لتثبت فيظهر تقواها، ويعلم أنهم متّقون، لأنّ حقيقة التقوى لا تعلم إلّا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها. ويجوز أن يكون المعنى أنّه أخلص قلوبهم للتقوىٰ، من قولهم: امتحن الذّهب، إذا أذابه فخلّص إبريزه من خَبَثه ونَقّاه.

وهذه الكلمة قد قالها عليه السلام مراراً، ووقفت في بعض الكتب على خُطبة من جملتها: إنّ قريشاً طلبت السعادة فشقيتْ، وطلبت النجاة فهلكَت، وطلبت الهدى فضلّت، ألم يسمعوا

---

(١) شرح ميثم بن علي ٤: ١٩٦.
(٢) الحجرات: ٤٩ / ٣.

ويحهم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾(١)؟ فأين المعدّل والمنزع عن ذرّية الرسول، الذين شيّد الله بنيانهم فوق بنيانهم، وأعلى رؤوسهم فوق رؤوسهم، واختارهم عليهم! ألا إنّ الذريّة أفنانٌ أنا شجرتها، ودوحةٌ أنا ساقها، وإنّي مِن أحمَدَ ﷺ بمنزلة الضوء من الضوء، كنّا ظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر، وقبل خلق الطّينة التي كان منها البشر، أشباحاً عالية، لا أجساماً نامية. إنّ أمرنا صعب مستصعب، لا يعرِف كنهه إلا ثلاثة: ملك مقرّب، أو نبيٌّ مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فإذا انكشف لكم سرٌّ، أو وضح لكم أمر فاقبلوه، وإلّا فاسكُتوا تسلموا، وردُّوا علمَنا إلى الله، فإنّكم في أوسع مما بين السماء والأرض، انتهىٰ.

***

قوله عليه السلام: «سلُوني قبل أن تفقِدوني»:

قال ابن أبي الحديد: أجمع الناس كلُّهم على انّه لم يقلْ أحد من الصحابة، ولا أحد من العلماء: «سلوني» غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ذكر ذلك ابن عبد البر المحدّث في كتاب «الاستيعاب».

والمراد بقوله عليه السلام: «فلأنا أعلم بطرُق السماء منّي بطرق الأرض»، ما اختصّ به من العلم بمستقبل الأُمور، ولا سيّما الملاحم والدول، وقد صدّق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الإخبار بالغيوب المتكرّرة، لا مرة ولا مائة مرة، حتى زال الشك والريب في انه إخبار عن علم، وانه ليس على طريق الاتفاق، وقد ذكرنا كثيراً من ذلك فيما تقدّم من هذا الكتاب.

وقد تأوّله قوم على وجه آخر قالوا: أراد أنا بالأحكام الشرعيّة والفتاوى الفقهية أعلمُ منّي بالأُمور الدنيويّة؛ فعبّر عن تلك بطرق السماء، لأنها أحكام الهية، وعبّر عن هذه بطرق الأرض لأنها من الأُمور الأرضية. والأوّل أظهر؛ لأنّ فحوى الكلام وأوّله يدلّ على أنه المراد، انتهى من الشرح (٢).

أقول: ويحتمل أنه أراد أحد أمرين:

---

(١) الطور: ٢١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٠٥ و ١٠٦.

احدهما: اني عالم بالمسالك التي يكون بها نجاتكم من الفتن والضلال، واضافها الى السماء لأن تعريفها والتنصيص عليها نزل من السماء، قال: ولست محيطاً بطرق الأرض ولا خزيناً لمجاهلها.

والآخر: انّه عليه السلام عرّفهم شمول معرفته لكل الأشياء التي لا تعرف إلّا بتعريف الله حتى الأُمور التي لا يتعلق التكليف بمعرفتها، وهي العالم العلوي من السماء وسكّانها وأحوالهم حتىٰ مسالكها، وهو لا يعلم كلّ مسالك الأرض التي تعلم بالتعلم من البشر. إشارة الى انّ علومه مكتسبة من الوحي، وهمّه مقصور على تعلم ما يرجع الى تعظيم الله وما يثبت جلاله في القلوب وما يقبل في معاملته ومالا. والحاصل ان علومه كلّها الٰهية، والله أعلم.

[١٩٠]

ومن خطبة له عليه السلام:

أَحْمَدُهُ شُكْراً لإِنْعَامِهِ[١]. وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ[٢] حُقُوقِهِ، عَزِيزَ[٣] الْجُنْدِ، عَظِيمَ الْمَجْدِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ[٤] أَعْدَاءَهُ، جِهَاداً عَنْ دِينِهِ، لاَ يَثْنِيهِ[٥] عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ[٦] عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَالْتِمَاسٌ لإِطْفَاءِ نُورِهِ.

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللهِ؛ فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً[٧] مَنِيعاً[٨] ذِرْوَتُهُ[٩]. وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ[١٠]، وَامْهَدُوا[١١] لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ[١٢] قَبْلَ نُزُولِهِ؛ فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ؛ وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَراً[١٣] لِمَنْ جَهِلَ. وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الأَرْمَاسِ[١٤]، وَشِدَّةِ الإِبْلاَسِ[١٥]، وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ[١٦]، وَرَوْعَاتِ[١٧] الْفَزَعِ، وَاخْتِلاَفِ الأَضْلاَعِ، وَاسْتِكَاكِ الأَسْمَاعِ[١٨]، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وَخِيفَةِ[١٩] الْوَعْدِ، وَغَمِّ الضَّرِيحِ[٢٠]

---

(١) في هـ. ص: دل على ان العبادات شكر للمنعم.
(٢) في هـ. ب: جمع وظيفة. (٣) في هـ. ب: حال استعينه.
(٤) في هـ. ص: أي قاومهم بالقهر. (٥) في هـ. ب: أي لا يصرفه.
(٦) في هـ. ب: أي اجتماع العدو.
(٧) في هـ. ب: موضع العقل من عقال الناقة وفي هـ. ص: هو ما يعتصم به.
(٨) في هـ. ب: أي محفوظاً.
(٩) في هـ. ص: أعلاه، وقد شبّه التقوى بالحصن الرفيع المانع لما فيه.
(١٠) في أ و ب: في غمراته، وصحح في ب بما في المتن، وفي هـ. ب: في شدائده. وفي هـ. د: في غمراته ـ ف و م و ب. (١١) في هـ. ص: أي اتخذوا مهاداً.
(١٢) في هـ. ب: أي هيئوا. (١٣) في هـ. ب: موضع العبرة.
(١٤) في هـ. ب و ص: الارماس جمع رمس وهو القبر.
(١٥) في هـ. ص: مصدر أبلس: خاب وانقطع ويئس.
(١٦) في هـ. ب: ما يطلع عليه، موضع الاطلاع من اشراف الى اللحد وقبر وصراط وفي هـ. ص: معرفة امور الآخرة. (١٧) في هـ. ب: الروعات: الافزاع الشديدة.
(١٨) في هـ. ب: أي صمم استك سمعه فهو ساك أي صم، وفي هـ. ص: أي صممها.
(١٩) في هـ. ب: من الخوف. (٢٠) في هـ. ب: أي اللحد.

وَرَدْمِ[١] ٱلصَّفِيحِ[٢].

فَاللهَ ٱللهَ عِبادَ ٱللهِ! فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ[٣]، وَأَنْتُمْ وَٱلسَّاعَةَ فِي قَرَنٍ[٤]، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا[٥]، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا[٦]، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا[٧]. وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا[٨]، وَٱنْصَرَفَتِ[٩] ٱلدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا[١٠]، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى، وَشَهْرٍ[١١] ٱنْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا[١٢]، وَسَمِينُهَا غَثًّا[١٣].

فِي مَوْقِفٍ[١٤] ضَنْكٍ[١٥] ٱلْمُقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا[١٦]، عَالٍ لَجَبُهَا[١٧]، سَاطِعٍ لَهَبُهَا[١٨]، مُتَغَيِّظٍ[١٩] زَفِيرُهَا[٢٠]، مُتَأَجِّجٍ[٢١] سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكٍ[٢٢] وُقُودُهَا، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا، عَمٍ[٢٣] قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا،

---

(١) في هـ. ب: أي سد واللدم والردم: النصوق.

(٢) في هـ. ب: الصفيح الحجر العريض يجعل في القبر.

(٣) في هـ. ص: أي طريق من قبلكم.

(٤) في هـ أو ب: القرن الحبل وفي هـ.ص: هو الحبل يقرن به بين حيوانين.

(٥) في هـ. ب وص: أي علاماتها.

(٦) في هـ. ا: جمع الفرط ومقدم القوم الى الماء، وفي هـ. ب: المتقدم الذي يطلب الماء، وفي هـ. ص: بأوائلها وسوائقها.

(٧) في أ و ب: سراطها، و في هـ. د: سراطها ـ ف و ن و ش.

(٨) في هـ. ص: جمع كلكل وهو الصدر، كنى بهذه العبارة عن ثقلها.

(٩) في أ و د: وانصرمت، وفي هـ. د: وانصرفت ـ ش.

(١٠) في ب: حصنها ظاهراً. وفي هـ. ص: بكسر الحاء ما دون الابط الى الكشح كأن الدنيا حاضنة لمن فيها.

(١١) في هـ. د: أو شهر ـ ص و ب.

(١٢) في هـ. ب: أي خلقاً و في هـ. ص: أي خلقاً بالياً.

(١٣) في هـ. ب: أي نحيفاً في هـ. ص: أي هزيلاً.

(١٤) في هـ. د: من موقف ـ م.

(١٥) في هـ. ب: ضيق.

(١٦) في هـ. ب: شدتها.

(١٧) في هـ. ب ص: أي صوتها.

(١٨) في هـ. ب: أي وقودها.

(١٩) في هـ. ب: متعال من الغيظ.

(٢٠) في هـ. ب: أنينها.

(٢١) في هـ. ب:

(٢٢) في هـ. ب: أي جديد.

(٢٣) في ص: غمٍ وفي هـ. ب: في نسخة غم وفي هـ. د: غم ـ ص ب، وفي هـ.ص: غمٍ أي يغم من ←

فَظِيعَةٍ[1] أُمُورُهَا.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَراً﴾[2]. قَدْ أُمِنَ[3] ٱلْعَذَابُ، وَٱنْقَطَعَ ٱلْعِتَابُ، وَزُحْزِحُوا عَنِ ٱلنَّارِ، وَٱطْمَأَنَّتْ بِهِمُ ٱلدَّارُ، وَرَضُوا ٱلْمَثْوَى وَٱلْقَرَارَ؛ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً، تَخَشُّعاً وَٱسْتِغْفَاراً؛ وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً؛ تَوَحُّشاً وَٱنْقِطَاعاً فَجَعَلَ ٱللهُ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ثَوَاباً[4]، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا. فِي مُلْكٍ دَائِمٍ؛ وَنَعِيمٍ قَائِمٍ.

فَارْعَوْا[5] عِبَادَ ٱللهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ[6] بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ ٱلْمَخُوفُ، فَلاَ رَجْعَةً تُنَالُون، وَلاَ عَثْرَةً تُقَالُونَ.

ٱسْتَعْمَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ[7]، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ.

ٱلْزَمُوا ٱلْأَرْضَ، وَٱصْبِرُوا عَلَى ٱلْبَلاَءِ، وَلاَ تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي[8] هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلاَ تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ ٱللهُ لَكُمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ[9] وَحَقِّ رَسُولِهِ[10] وَأَهْلِ بَيْتِهِ ؛[11] مَاتَ شَهِيداً، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللهِ،

← فيه وفي شرح ميثم: اسند العمى الى قرارها مجازاً باعتبار انه لا يهتدى منه لظلمته أو لأن عمقها لا يوقف عليه لبعده، انتهى ويفهم منه أن نسخته: عم. بالعين المهملة وتخفيف الميم. والله أعلم.

(١) في هـ. ب: أي شديدة.

(٢) الزمر: ٧٣.

(٣) في هـ. ب: أومن ويحتمل انها نسخة. وفي هـ. ص: في نسخة أمنوا.

(٤) في د و ط: الجنة مآباً والجزاء ثواباً، وفي هـ. ب: «مآبا والجزاء» ساقطة من ف و ن و ل و ش.

(٥) في هـ. ب: احتفظوا.

(٦) في هـ. ب: مجزيون.

(٧) لم ترد ﷺ في د و ط.

(٨) لم ترد «في» في ا و ب ،وهي غير واضحة في ب، وكتب عليها في ص: نسخة، وفي هـ. د: سيوفكم في هوىً ـ ص و ب و ح، سيوفكم هوىً ـ ل.

(٩) في د زيادة عزوجل، وفي هـ. د: «عزوجل» ساقطة من ص و ح و ب و ل.

(١٠) في ب كتب على «وحق رسوله» نسخة.

(١١) لم ترد عليهم السلام في د و ط.

وَٱسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ ٱلنِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ[١] لِسَيْفِهِ[٢]؛ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً.

* * *

قال ابن أبي الحديد: واعلم أنّ هذه الخطبة من أعيان خُطَبه عليه السلام، ومن ناصع كلامه ونادره، وفيها من أعيان[٣] صناعة البديع الرائقة المستحسنة البريئة من التكلّف ما لا يخفى، وقد أخذ ابن نُباتة الخطيب كثيراً من ألفاظها فأودعها خطبه، [مثل قوله: «شديد كلَبُها، عال لجبها»]، انتهى[٤].

قوله عليه السلام: **«الزموا الأرض ... الى آخره»**:

قال في شرح ابن أبي الحديد: ثم أمر أصحابه أن يتثبتوا ولا يعجلوا في محاربة مَنْ كان مخالطاً لهم من ذوي العقائد الفاسدة كالخوارج، ومَن كان يُبطِنُ هَوى معاوية، وليس خطابه هذا تثبيطاً لهم عن حرب أهل الشام، كيف[٥] وهو لا يزال يوبِّخُهم ويقرِّعُهم عن التقاعد والابطاء في ذلك! ولكن قوماً من خاصّته كانوا يطلّعون على ما عند قوم من أهل الكوفة، ويعرفون نفاقهم وفسادهم، ويرومون قتلهم وقتالهم، فنهاهم عن ذلك، وكان يخاف فرقة جُنْده وانتثار[٦] حَبْل عسكره، فأمرهم بلزوم الأرض، والصبر على البلاء انتهى[٧].

وفي شرح ميثم بن علي: ثمّ عقّب وعظهم وتحذيرهم والدعاء لهم بأمرهم أن يلزموا الأرض ويصبروا على ما يلحقهم من بلاء أعدائهم ومخالفيهم في العقيدة كالخوارج والبغاة على الامام بعده من ولده والخطاب خاصّ بمن يكون بعده بدلالة سياق الكلام.

ولزوم الأرض، كناية عن الصبر في مواطنهم وقعودهم عن النهوض لجهاد الظالمين في زمن عدم قيام الامام الحقّ بعده عليه السلام.

وقوله: **«ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم»**:

---

(١) الاصلات بالسيف مصدر اصلت سيفه أي سلّ سيفه.

(٢) كذا في د و ط وفي غيرهما بسيفه.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١١٤.

(٤) نفس المصدر: ١١٤.

(٥) في أ: تثبيطاً عن حرب أهل الشام فكيف.

(٦) في الأصل: وانتشار.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١١٣.

نهى عن الجهاد من غير أمر أحد من الأئمة من ولده بعده، وذلك عند عدم قيام من يقوم منهم لطلب الأمر؛ فإنّه لا يجوز إجراء هذه الحركات إلّا بإشارة من إمام الوقت. وهوى ألسنتهم ميلها الى السبّ والشتم موافقة لهوى النفوس.

وقوله: «**فإنّه من مات منكم. إلى قوله: بسيفه**»:

بيان لحكمهم في زمن عدم قيام الامام الحق بعده لطلب الأمر وتنبيه لهم على ثمرة الصبر، وهو أنّ من مات منهم على معرفة حقّ ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته والاعتراف بكونهم أئمة الحقّ والاقتداء بهم لحق بدرجة الشهداء ووقع أجره على الله بذلك، واستحقّ الثواب منه على ما أتى به من الأعمال والصبر على المكاره من الأعداء، وقامت نيّته أنّه من أنصار الإمام لو قام لطلب الأمر وأنّه معينه مقام تجرّده بسيفه معه في استحقاق الأجر انتهى[1].

---

(١) شرح ميثم بن علي ٤: ٢١١.

ومن خطبة له عليه السلام:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلْفَاشِي[١] حَمْدُهُ[٢]، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ[٣]، وَالْمُتَعَالِي جَدُّهُ[٤]؛ أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ اَلتُّؤَامِ[٥]، وَآلاَئِهِ اَلْعِظَامِ، اَلَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى، وَعَلِمَ بِمَا يَمْضِي وَمَا مَضَى، مُبْتَدِعِ[٦] اَلْخَلاَئِقِ[٧] بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ، بِلاَ اقْتِدَاءٍ وَلاَ تَعْلِيمٍ؛ وَلاَ احْتِذَاءٍ[٨] لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ، وَلاَ إِصَابَةِ خَطَإٍ[٩]، وَلاَ حَضْرَةِ[١٠] مَلَإٍ[١١].

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ[١٢]، اِبْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ[١٣] فِي غَمْرَةٍ[١٤]،

---

(١) في هـ.ص: أي الذائع المنتشر.
(٢) في ط : الفاشي في الخلق حمده.
(٣) في هـ. ب : أي المؤمنون.
(٤) في هـ. ب : أي المتعالي جلاله وعظمته عن اتخاذ الحاجب والولد، وفي القرآن: ﴿وانه تعالى جد ربنا﴾، وفي هـ. ص: الجد الحظ، وهو من قوله تعالى: ﴿وانه تعالى جدّ ربنا﴾ ويراد به في حق الله العظمة. وفي حديث أنس:« كان أحدنا اذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا» أي عظم، والله أعلم.
(٥) في هـ.ب : في نسخة التوام، وفي هـ ب : يعني اصول النعم وفروعه، وفي هـ. ص: التوءام جمع توأم وهو الولد يقارن أخاه في بطن وأراد به ـ هنا ـ الكثيرة المتقارنة.
(٦) هـ ب: أي المخترع.
(٧) في هـ. ب : الخلائق جمع خليقة، وهي الخلق.
(٨) في هـ .ب : حذوت النعل بالنعل أي قدرت واحدة على الأخرى.
(٩) في في هـ.ب : ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾.
(١٠) في ب: حضور، وفي هـ ب، وفي نسخة: حضرة، وفي هـ د: ولا حضور ملاء ـ ش. وفي ص: حصرة، وفي هـ.ص في نسخة: حضره.
(١١) في هـ. ص في نسخة: ولا أصابه خطأ ولا حضره ملأ، وفي هـ.ب : ما اشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم.
(١٢) لم ترد ﷺ في د و ط.
(١٣) في هـ.ب : أي يسرعون وفي هـ. ص: أي يسيرون.
(١٤) في هـ.ب : أي جهل وضلال، وفي هـ. ص: أي غمرة جهل.

وَيَمُوجُونَ[١] فِي حَيْرَةٍ[٢]، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ[٣] الْحِينِ[٤]، وَاسْتَغْلَقَتْ[٥] عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ[٦].

عِبَادَ اللهِ! أُوصِيكُمْ[٧] بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللهِ عَلَيْكُمْ؛ وَالْمُوجِبَةُ[٨] عَلَى اللهِ حَقَّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ[٩]، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللهِ[١٠]؛ فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجُنَّةُ، وَفِي غَدٍ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ؛ مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا[١١] حَافِظٌ[١٢]. لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا[١٣] عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ، وَالْغَابِرِينَ[١٤] لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً[١٥]، إِذَا أَعَادَ[١٦] اللهُ مَا أَبْدَى، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى[١٧]، وَسَأَلَ عَمَّا أَسْدَى[١٨]. فَمَا أَقَلَّ[١٩] مَنْ قَبِلَهَا[٢٠]، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا! أُولَئِكَ الْأَقَلُّونَ عَدَداً، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٢١].

---

(١) في هـ.ب : من الموج. (٢) في هـ.ب : أي الغلبة.
(٣) في هـ.ب : جمع زمام.
(٤) في هـ.ب : أي الهلاك، وفي هـ. ص أي حقت عليهم كلمة العذاب بما كفروا وظلموا.
(٥) في هـ.ص: واستغلفت استحكم اغلاقها.
(٦) في هـ. ص: هو الدنس والطبع يكون على القلب من المعاصي.
(٧) في د : اوصيكم عباد الله.
(٨) في هـ.ب : التاء ضمير التقوى «على الله حقكم» يعني الثواب.
(٩) في هـ. ص: ليقويكم عليها ويلهمكم اياها من قوله تعالى:﴿وما تشاؤون إلا ان يشاء الله﴾.
(١٠) في هـ. ص: أي تتوجهون بها وتزدلفون بها عنده وتتخلصون من عذابه.
(١١) في هـ. ص: هو الله عزوجل قال تعالى:﴿انا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾.
(١٢) في هـ. ب: محفوظ.
(١٣) في هـ.ب : أي لم تزل التقوى تعرض نفسها على الغابرين أي .
(١٤) في هـ.ب الغابرين: الماضين والباقين. (١٥) في هـ.ب : أي في القيامة.
(١٦) في هـ. ب : أي أعاد الخلق. (١٧) في هـ.ب : أي ما أعطاه في الدنيا.
(١٨) في هـ.ب : الاسداء: الاعطاء وفي هـ. ص: أي قدم من النعم.
(١٩) في هـ.ب في نسخة: ما أقل.
(٢٠) في هـ.ب : من قبلها حذف لقوله فما أقل من قبلها أي من كان قبل التقوى في الدنيا.
(٢١) سبأ: ١٣.

فَأَهْطِعُوا[١] بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وَأَكِظُّوا[٢] بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا، وَاعْتَاضُوهَا[٣] مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً.

أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، وَاقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوهَا[٤] قُلُوبَكُمْ، وَارْحَضُوا[٥] بِهَا ذُنُوبَكُمْ؛ وَدَاوُوا بِهَا الأَسْقَامَ[٦]، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ[٧]، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا.

أَلَا فَصُونُوهَا[٨] وَتَصَوَّنُوا بِهَا، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهاً[٩]؛ وَإِلَى الآخِرَةِ وُلَّاهاً[١٠]، وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا، وَلَا تَشِيمُوا[١١] بَارِقَهَا، وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا[١٢]، وَلَا تَسْتَضِيئُوا[١٣] بِإِشْرَاقِهَا، وَلَا تُفْتَنُوا[١٤] بِأَعْلَاقِهَا[١٥]، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ[١٦]، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ[١٧]، وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ[١٨].

---

(١) في ص: فانقطعوا، وفي هـ. د: فانقطعوا ـ م و ن و ق. وفي هـ. ص ويروى فاهطعوا ومعناه: اسرعوا وفي هـ ب : المهطع: الذي ينظر في ذل وخشوع، معناه واسرعوا.

(٢) في ط: والظوا وفي د: وواكظوا في هـ. د: والظوا ـ ح، وفي هـ.ب : المواكضة الموافقة والملازمة وفي هـ ا: أي داموا، وفي هـ. ص: أي داوموا، ويروى والظوا. ومعناه ألحوا، والألظاظ الالحاح من السرح.

(٣) في هـ.ب : خذوها عوضاً.

(٤) في هـ. د : واشعروا بها ـ ب.

(٥) في هـ.ب : في نسخة : ارخصو، وفي هـ. ص: أي اغسلوا.

(٦) في هـ. ص: أي أمراض القلوب.

(٧) في هـ.ب : أي الموت.

(٨) في ص: وصونوها، وفي هـ. د: وصونوها ـ ش.

(٩) في ص: نزها، وكذا في هـ ب في نسخة. وفي هـ. ص جمع نزيه: المتبريء من العيب، المتحرز. وفي هـ.ب:جمع نزيه.

(١٠) في ص: ولّها وكذا في هـ ب في نسخة، وفي هـ. ب و ص : جمع واله وهو المشتاق.

(١١) في هـ.ب : أي لا تنظروا، وفي هـ. ص: الشيم: نظر البرق طمعاً في المطر.

(١٢) في هـ. د: ولا تسمعوا ناطقها ولا ناعقها ـ ب.

(١٣) في ب ظاهراً ـ: ولا تستفيئوا.

(١٤) في هـ. ص في نسخة: تفتتنوا.

(١٥) في هـ.ب و ص: جمع علق وهو الشيء النفيس.

(١٦) في هـ. ص: أي لا مطر معه.

(١٧) في هـ. ص: أي منهوبة.

(١٨) في هـ.ب : من السلب.

أَلَا وَهِيَ ٱلْمُتَصَدِّيَةُ[١] ٱلْعَنُونُ[٢]، وَٱلْجَامِحَةُ[٣] ٱلْحَرُونُ[٤]، وَٱلْمَائِنَةُ[٥] ٱلْخَؤُونُ[٦]، وَٱلْجَحُودُ[٧] ٱلْكَنُودُ، وَٱلْعَنُودُ[٨] ٱلصَّدُودُ[٩]، وَٱلْحَيُودُ[١٠] ٱلْمَيُودُ[١١]؛ حَالُهَا ٱنْتِقَالٌ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ[١٢]، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلْوُهَا سُفْلٌ.

دَارُ حَرْبٍ وَسَلَبٍ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ[١٣] وَسِيَاقٍ[١٤]، وَلَحَاقٍ[١٥] وَفِرَاقٍ، قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا[١٦]، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَأَسْلَمَتْهُمُ[١٧] الْمَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمُ[١٨] ٱلْمَنَازِلُ، وَأَعْيَتْهُمُ[١٩] ٱلْمَحَاوِلُ[٢٠]؛ فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ[٢١]، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ[٢٢]، وَشِلْوٍ[٢٣] مَذْبُوحٍ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ[٢٤]، وَعَاضٍّ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِقٍ[٢٥] بِكَفَّيْهِ[٢٦]،

---

(١) في هـ. ب : المعترضة، تصدى أي تعرض ليستشرفه ناظر وفي هـ. ص التي تعرض.

(٢) في هـا: العنون من الدواب: المتقدمة في السير. وفي هـ ب : العنون من الدابة المتقدمة على غيرها... اذا اعترض وفي هـ. ص: العنون التي تعن وتترائى، شبهها بالمرأة تبدي محاسنها للرجال.

(٣) في هـ.ب : المائلة بفارسها.

(٤) في هـ.ب : الفرس الذي لا ينقاد.

(٥) في هـ.ب و ص: أي الكاذبة.

(٦) في هـ.ب : من الخيانة الى فارسها، وفي هـ. ص: الخائنة.

(٧) في هـ.ب : تنكر الحير وفي هـ. ص كانها تجحد احسان او بانها وفي معناها الكنود.

(٨) في هـ. ا: العنود التي ترعىٰ ناحية، وفي هـ. ص: الناقة تعدل عن مرعىٰ الابل وترعىٰ ناحية.

(٩) في هـ. ص: تصد عن القصد وتعدل.

(١٠) في هـ. ص: تحيد أي تميل.

(١١) في هـ.ب : المائلة و في هـ. ص تتحول من محال الى آخر.

(١٢) في هـ. ص: قوله ووطأتها زلزالها هي كالضغطة وهي بمنزلة الشدة. وأصلها من وطء القدم، والزلزال: استبداد الخطب، وان كانت الرواية بفتح الواو والطاء ومد الألف فهو مصدر الوطيّ بمعنى المطمئن من هو عليه.

(١٣) في هـ.ب : شدة، ساق من سوق يسوق، وفي هـ. ص: أي شدة.

(١٤) في هـ. ص: الى الآخرة.

(١٥) في هـ. ص بفتح اللام، أي من الباقي وفراق من السابق.

(١٦) في هـ.ب : جمع مهرب.

(١٧) في ب: فاستسلمتهم.

(١٨) في هـ.ب : أي نبذتهم.

(١٩) هـ ب: أي أعجزتهم.

(٢٠) في هـ.ب المطالب، وفي هـ. ص: أي ما يحاولون ويطلبون، وكأنه يريد طلب الرجعة.

(٢١) في هـ.ب : أي مجروح.

(٢٢) في هـ.ب : جزرت الناقة أي تحرثها.

(٢٣) في هـ.ب و ص : هو العضو.

(٢٤) في هـ.ب : أي مسفوك.

(٢٥) في هـ. ص: تأسفاً.

(٢٦) في أ و ب و د: لكفيه، في هـ. د بكفيه ـ ص ح ب.

وَمُرْتَفِقٍ[١] بِخَدَّيْهِ، وَزَارٍ[٢] عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ.

وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ[٣]، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ![٤] هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ[٥] فَاتَ مَا[٦] فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾[٧].

* * *

قوله عليه السلام: «مبتدع الخلائق بعلمه»:

في شرح ميثم بن علي: ظاهر كلامه عليه السلام ناطق بأنّ العلم هنا سبب لما ابتدع من خلقه، ولا شكّ أنّ السبب له تقدّم على المسبّب من جهة ما هو سبب، وهذا هو مذهب جمهور الحكماء، والخلاف فيه مع المتكلّمين. إذ قالوا: إنّ العلم تابع للمعلوم والتابع يمتنع أن يكون سبباً. فالباء على رأيهم إذن للاستصحاب، وعلى الرأي الأوّل للتسبّب. ونحن إذا حقّقنا القول وقلنا: إنّه لا صفة له تعالى تزيد على ذاته، وكانت ذاته وعلمه وقدرته وإرادته شيئاً واحداً وإنّما تختلف بحسب اعتبارات تحدثها عقولنا الضعيفة بالقياس الى مخلوقاته، كما سبق بيانه في الخطبة الأُولى، لم يبق تفاوت في أن يستند المخلوقات إلى ذاته أو إلى علمه أو إلى قدرته أو غيرهما. وأمّا بيان أنّ العلم تابع للمعلوم حتّى يمتنع أن يكون سبباً له أو متبوعاً حتّى لا يمتنع ذلك، فممّا حقّق في مظانّه. والمسألة ممّا طال الخبط فيها بينهم، انتهى[٨].

أقول: ومن غايات خبطهم فيها ان أثبتت المعتزلة ذوات العالم في الأزل ليتعلق العلم الأزلي بها، وصارت الجبرية إلى أنّ العبد مجبور على فعله، لما تعلق علم الله به، والعلم

---

(١) في هـ . ص: أي معتمد عليها حزناً وإبلاساً.

(٢) في هـ . ب و ص: عائب له.

(٣) في هـ . ب : الهلاك، وفي هـ . ص الاعتيال الهلكة.

(٤) في هـ . ب : لا لتوكيد النفي ويزاد فيها التاء فيقال: لات، كما يقال تمت وراعت، وشبهوا لات بليس، وأضمروا اسم الفاعل ولا يقال لات الأمر حين، وقد جاء حذف حين في الشعر وهو: «ولات حين مناص»، والمناص: المهرب.

(٥) في هـ . ب : وهيهات قد ـ ب.

(٦) في هـ.ب : من.

(٧) الدخان: ٢٩.

(٨) شرح ميثم بن علي ٤: ٢١٧.

تابع للمعلوم، فلو قدر عدمه انكشف علم الله جهلاً. فاعتبر بمجاوزة حد العقل، كيف تطرح صاحبها في المهالك؟! وما حققه ميثم وما نسبه الى الحكماء هو المناسب لأقوال الأئمة عليهم السلام وفي كلام القاسم بن ابراهيم: ولم يشتبه عليه ما اتقنه علمه السابق.

وفي كلامه عليه السلام: «**فأما قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿خلقت بيدي﴾**[1]»:

يعني بقدرتي وعلمي»، يريد اني على ذلك قدير وبه عالم، تولّيت ذلك بنفسي لا شريك لي في تدبيري وصنعي، لا أن قدرتي وعلمي ونفسي غيري، بل أنا الواحد لا شيء مثلي انتهىٰ[2].

وكلام غيره من الأئمة المتقدمين علىٰ نمط قوله، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «**﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾**»:

هو من قوله تعالىٰ في سورة الدخان[3].

قال في الشرح: والمراد أهل السماء وهم الملائكة وأهل الأرض وهم البشر، والمعنى أنّهم لا يستحقون أن يتأسّف عليهم، وقيل: أراد المبالغة في تحقير شأنهم لأنّ العرب كانت تقول في العظيم القدر يموت: بكته السماء، وبكته النجوم، قال الشاعر:

فالشمسُ طالعةٌ ليست بكاسِفةٍ تَبكي عليك نجوم الليل والقمرا[4]

فنفى عنهم ذلك، وقال: ليسوا من يقال فيه مثل هذا القول، وتأوّلها ابن عبّاس رضي الله عنه لما قيل له: أتبكي السماء والأرض على أحد؟ فقال: نعم يبكيه مصلّاه في الأرض ومصعد عمله في السماء؛ فيكون نفي البكاء عنهما كناية عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منهما الى السماء، انتهى من الشرح[5].

---

(١) سورة ص: ٧٥.

(٢) أي كلام القاسم بن ابراهيم.

(٣) الدخان: ٤٤ / ٢٩.

(٤) لجرير، ديوانه: ٣٠٤.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٢٦.

| ١٩٢ |

ومن خطبة له ﷺ:

ومن الناس مَنْ يسمّى هذه الخطبة بالقاصِعة، وهي تتضمن ذمَّ إبليس لعنه الله[١]، على استكباره وتركه السجود لآدم ﷺ وأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية. وتحذيرَ الناس من سلوك طريقته[٢]:

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ؛ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى[٣] وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهُمَا[٤] لِجَلاَلِهِ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ.

ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذلِكَ مَلاَئِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ: (إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ)[٥]؛ اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لأَصْلِهِ، فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ[٦] الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وَادَّرَعَ[٧] لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ.

أَلاَ تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللهُ بِتَكَبُّرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ[٨]، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً[٩]، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الاْخِرَةِ سَعِيراً!

---

(١) لم ترد «لعنه الله» في ب و ص.

(٢) في أ بدل ما بين القوسين: تسمى القاصعة، وهي طويلة وفيها ذم ابليس والعصبية، وفي هـ ب: تسمى هذه الخطبة قاصعة: لأنها تقصع ابليس، أي تكسر ظهره، وفيها :ان أمير المؤمنين كان عليّ ناقة تقصع بجرّتها، أي تخرج من جوفها الجرّة.

(٣) في هـ. ب: ما مفاده: الحمى: المحل الذي يمنع الاغيار من الاستفادة منه.

(٤) في آ: واصطفاها.

(٥) ص: ٧١ ـ ٧٤.

(٦) في هـ. ب في نسخة: فعُدّ والله امام.

(٧) في هـ. ب: جعله الدرع.

(٨) في ص كتب على «بترفعه» نسخة، وفي ط: ووضعه الله بترفعه، وفي هـ. د: ووضعه الله بترفعه ـ ب ض.

(٩) في هـ. ص: أي مطروداً مبعداً.

وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سبحانه[١] أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ[٢]، وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُه[٣]، لَفَعَلَ؛ وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ[٤] خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ الْبَلْوَى[٥] فِيهِ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ، وَلٰكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي[٦] خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلاَءِ[٧] مِنْهُمْ. فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ[٨] عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ[٩] عَبَدَ اللهَ[١٠] سِتَّةَ آلاَفِ[١١] سَنَةٍ، لاَ يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ[١٢] سِنِي الْآخِرَةِ، عَنْ[١٣] كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ[١٤] بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ!

كَلاَّ مَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ[١٥] الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ[١٦] فِي إِبَاحَةِ حِمًى[١٧] حَرَّمَهُ اللهُ[١٨] عَلَى الْعَالَمِينَ.

---

(١) لم ترد لفظة الجلالة في آ ود، ولم ترد «سبحانه» في ط و في هـ. د: ولو أراد الله أن يخلق ـ ص ح ب ل.
(٢) في آ: رواه، وفي هـ. ب، وفي نسخة: ارتواه أحسن منظره وفي هـ. ص: هو المنظر الحسن.
(٣) في هـ. ب: أي رائحته.
(٤) في هـ. د: لظلت الأعناق له ـ م ن ف.
(٥) في هـ. ب: أي المحن.
(٦) في ط: ابتلىٰ، وفي هـ. د: ابتلى ض ح ب.
(٧) في هـ. ص بضم الخاء، وجاء بكسرها: الكبر، وكذلك الخال والمخيلة.
(٨) في هـ. ص : أي أبطل، وربما يستدل به على ان المعصية تكبر لوقوعها على وجه مخصوص، وربما يستدل به على ان الاحباط ليس باعتبار الموازنة.
(٩) في د: وقد كان، وفي هـ. د: وكان قد ـ ض ح ب ل ش.
(١٠) في آ: وقد كان عبد.
(١١) في ب: الف.
(١٢) لم ترد «من» في ب و د، وفي هـ. د: ام موسى ـ ص ح.
(١٣) في ب و ط: عن، وفي هـ. ب، وفي نسخة : علىٰ.
(١٤) في ط فمن ذا، وفي هـ. د: فمن ذا ـ ض ح ب.
(١٥) لم ترد «أهل» في ط.
(١٦) في هـ. ب: أي صلح، وفي هـ. ص: هي الموادعة والمصالحة.
(١٧) في هـ. ب: ما يمنع الله منه ورسوله.
(١٨) لم ترد لفظة الجلالة في ب و د.

فَاحْذَرُوا عِبَادَ ٱللهِ[١] عَدُوَّ ٱللهِ[٢] أَنْ يُعْدِيَكُمْ[٣] بِدَائِهِ[٤]، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ[٥] بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ[٦]، فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ[٧] لَكُمْ سَهْمَ ٱلْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ[٨] لَكُمْ[٩] بِالنَّزْعِ[١٠] الشَّدِيدِ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ[١١]، وَقَالَ[١٢]: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١٣]، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ[١٤]؛ صَدَّقَهُ[١٥] بِهِ أَبْنَاءُ ٱلْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ ٱلْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ ٱلْكِبْرِ وَٱلْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْجَامِحَةُ[١٦] مِنْكُمْ، وَٱسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَةُ[١٧] مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ[١٨] ٱلْحَالُ مِنَ السِّرِّ ٱلْخَفِيِّ إِلَى ٱلْأَمْرِ ٱلْجَلِيِّ، ٱسْتَفْحَلَ[١٩] سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ[٢٠] بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ[٢١] وَلَجَاتِ[٢٢]

---

(١) لم ترد «عباد الله» في ب و في هـ. د لم ترد «عباد الله» في م ل ش.

(٢) لم ترد «عدو الله» في آ.

(٣) في هـ. ب: أي يصيبكم، وفي هـ. ص: يعديكم من العدوىٰ وهي انتقال الداء من محل الى محل، شبه عليه السلام به تعلمهم منه الكبر والفساد.

(٤) العبارة في د و ط: وان يستفزكم بندائه وان يجلب عليكم بخيله ورجله، وفي هـ. د: «بندائه وان يجلب عليكم» ساقطة من م ن ف ل ش.

(٥) في هـ. ب و ص: أي يستخفكم.

(٦) في هـ. ص: أي أعوانه.

(٧) في هـ. ص: فوق السهم وضع فوقه، وهو السق في أسفله في الوتر.

(٨) في هـ. ص: اسبوفى مدّ القوس وبالغ في جذبه.

(٩) في ط: اليكم.

(١٠) في هـ. ب: من النزع للسهم عن القوس.

(١١) في هـ. أ: في غير هذا الكتاب ورماكم بالتهديد من مكان بعيد.

(١٢) في ط: فقال.

(١٣) الحجر: ٣٩.

(١٤) في ب: بظن مصيب وفي هـ. ب، وفي نسخة: بظن غير مصيب، وفي هـ. د: ورجماً بالغيب ـ ب ل ش.

(١٥) في هـ. د: صدقه امناء الحمية ـ ف و ن.

(١٦) في هـ. ب، وفي نسخة: الجماحة من الجموح، وفي هـ. ص: إما جمع جامح، أو مفرد صفة للنفس.

(١٧) في هـ. ب: الطماعية والطماعة بمعنىً واحد كالكراهية والكراهة، وفي هـ. ص: مصدر طمع.

(١٨) هـ. ب: أي طلع.

(١٩) في هـ ب: أي استعظم.

(٢٠) في هـ. ب: أي ذهب، وفي هـ. ص: تقدم.

(٢١) في هـ. ب: من الاقحام وهو الادخال في هـ. ص: أي أدخلوكم.

(٢٢) في آ: ولجاب، وفي هـ. آ: الولج: الطريق في الرمل. وفي هـ. ب: ولجات جمع ولجة، وفي هـ. ص وهي نحو الغار والكهف.

الذُّلّ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ[١] ٱلْقَتْلِ، وَأَوْطَأُوكُمْ[٢] إثْخَانَ[٣] ٱلْجِرَاحَةِ، طَعْناً فِـي عُـيُونِكُمْ، وَحَزّاً[٤] فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ[٥] ٱلْقَهْرِ، إلَى النَّارِ المُعَدَّةِ لَكُمْ. فَأَصْبحَ[٦] أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جُرْحاً[٧]، وَأَوْرَى[٨] فِي دُنْياكُمْ قَدْحاً، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ[٩].

فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ[١٠] وَلَهُ جِدَّكم. فَلَعَمْرُ ٱللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ[١١]، وَوَقَعَ فِـي حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ؛ وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ. يَقْتَنِصُونَكُمْ[١٢] بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنكُمْ كُلَّ بَنَانٍ[١٣]، لَا تَمْتَنِعُونَ[١٤] بِحِيلَةٍ، ولا تَدْفَعُونَ[١٥] بِعَزِيمَةٍ، فِي حَوْمَةِ[١٦] ذُلٍّ، وَحَلْقَةِ ضِيقٍ، وَعَرْصَةِ مَوْتٍ، وَجَوْلَةِ[١٧] بَلاَءٍ.

فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ ٱلْعَصَبِيَّةِ، وَأَحْقَادِ[١٨] ٱلْجاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا[١٩] تِـلْكَ ٱلْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي المُسْلِمِ[٢٠] مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَـخَوَاتِـهِ[٢١]، وَنَـزَغَاتِهِ وَنَـفَثَاتِهِ.

---

(١) في هـ. ب: جمع ورطة وهي المهلكة.

(٢) في هـ. ب: أوردوكم في هـ. ص: أي جعلوكم واطئين.

(٣) في هـ. ب: أي كثرة القتل، والمبالغة في القتل، وفي هـ. ص: الاثخان مصدر اثخن في القتل أي أكثر منه وبالغ حتى كشف شأنه وصار كالشيء الثخين، ومعنى إيطاء الشيطان بني آدم ذلك: الفاؤهم فيه، من الشرح.

(٤) في هـ. ب: أي قطعاً.

(٥) في هـ. ب: جمع خزام وهو الزمام، وفي هـ. ص: جمع خزامة وهي ما يجعل في أنف البعير يقاد به.

(٦) في ط: فأصبحتم.

(٧) في ط: حَرَجاً.

(٨) في هـ. ص: أي اكثر ايراءً، والإيراء: إخراج النار من الزند.

(٩) في هـ. ب و ص: أي مجتمعين.

(١٠) في د: حدكم، وفي هـ. ب: ما يجب عليهم، أي فاجعلوا عليه جانبكم أي المخصوص.

(١١) في هـ. ب: آدم ﷺ، وفي هـ. ص: أي عاب أصلكم.

(١٢) في هـ. ب: أي يصيدونكم.

(١٣) في هـ. ب: اصبع.

(١٤) في ب: لا يمتنعون لا تمتنعون.

(١٥) في ب: لا يدفعون لا تدفعون.

(١٦) في هـ. ب: معظم المعسكر، وفي هـ.ص: هي معظم الشيء كالماء والحرب ونحوهما.

(١٧) في هـ. ص: الموضع يجال فيه.

(١٨) في هـ. ب: جمع حقد.

(١٩) في آ و ب و د: وانما، وفي هـ. د: فانما ـ ض ب.

(٢٠) في أ: من المسلم.

(٢١) في هـ. ب: جمع نخوة وهي التكبر.

وَٱعْتَمِدُوا[١] وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ، وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ[٢] تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَٱتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً[٣] بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ؛ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً، وَرَجْلاً وَفُرْسَاناً؛ وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ[٤] عَلَى ٱبْنِ أُمِّهِ[٥] مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ ٱللّٰهُ فِيهِ، سِوَى مَا أَلْحَقَتِ ٱلْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ ٱلْحَسَدِ[٦]، وَقَدَحَتِ ٱلْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ ٱلْغَضَبِ، وَنَفَخَ ٱلشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ ٱلْكِبْرِ ٱلَّذِي أَعْقَبَهُ ٱللّٰهُ بِهِ ٱلنَّدَامَةَ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ ٱلْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ[٧].

أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ[٨] فِي ٱلْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُصَارَحَةً لِلّٰهِ بِالْمُنَاصَبَةِ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ، فَٱللّٰهَ ٱللّٰهَ فِي كِبْرِ ٱلْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ[٩] ٱلشَّنَآنِ وَمَنَافِخُ[١٠] ٱلشَّيْطَانِ ٱللَّاتِي[١١] خَدَعَ بِهَا ٱلْأُمَمَ ٱلْمَاضِيَةَ وَٱلْقُرُونَ ٱلْخَالِيَةَ[١٢]، حَتَّى أَعْنَقُوا[١٣] فِي حَنَادِسِ[١٤] جَهَالَتِهِ وَمَهَاوِي[١٥] ضَلَالَتِهِ ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ سُلُساً[١٦] فِي قِيَادِهِ[١٧]، أَمْراً تَشَابَهَتِ ٱلْقُلُوبُ فِيهِ وَتَتَابَعَتِ ٱلْقُرُونُ عَلَيْهِ وَكِبْراً تَضَايَقَتِ ٱلصُّدُورُ بِهِ.

---

(١) في ص: فاعتمدوا وفي هـ. ص، وفي نسخة: واعتمدوا.
(٢) في هـ. ب: الغلبة.
(٣) هـ. ب: المسلحة قوم ذوو سلاح، هـ. ص هي جماعة من الخيل تعد في العورة للحماية والدفاع.
(٤) في هـ. ص: هو قابيل وابن امه هو هابيل، وفي هـ. ب: قابيل وهابيل.
(٥) في هـ. ا: في غير هذا الكتاب: «على أخيه ابن أمه وأبيه».
(٦) في ط: الحسب، وفي هـ. د، وفي نسخة: الحسب.
(٧) في هـ. ص: في امالي الامام أبي طالب مسنداً الى عبدالله ـ أظنه ابن مسعود ـ قال: قال رسول الله ﷺ لا يقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، وذلك انه سنّ القتل. انتهى.
(٨) في هـ. ب: أي أسرعتم، وفي هـ. ص: أي بالغتم.
(٩) هـ. ب: جمع ملقح، والمصدر اللقاح.
(١٠) في هـ. ب: من النفخ.
(١١) في هـ. د: التي ـ ض ح ب.
(١٢) في هـ. ب: الماضية.
(١٣) هـ. ص: أي أسرعوا.
(١٤) في هـ. ب: جمع حندس أي الظلمة.
(١٥) في هـ. ب: مساقط.
(١٦) في هـ. ب: منقادين.
(١٧) في هـ. ب: من القود.

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ. وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ[١] عَلَى رَبِّهِمْ. وَجَاحَدُوا اللهَ عَلَى[٢] مَا صَنَعَ بِهِمْ. مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ وَمُغَالَبَةً لآلَائِهِ. فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ[٣] وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ[٤] الْجَاهِلِيَّةِ فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً[٥] وَلَا تُطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ[٦] الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ وَهُمْ أَسَاسُ[٧] الْفُسُوقِ وَأَحْلَاسُ[٨] الْعُقُوقِ اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ[٩]، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ اسْتِرَاقاً[١٠] لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ وَنَفْثاً[١١] فِي أَسْمَاعِكُمْ فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ وَمَأْخَذَ يَدِهِ. فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ[١٢] وَمَثُلَاتِهِ[١٣] وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ[١٤] وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ

---

(١) في هـ. ب: الهجنة: وفي هـ. ب: في نسخة: هجنة، والهجنة العيب.

(٢) لم ترد على في د و في هـ. د: جاحدوا الله ـ ص ح ب.

(٣) في هـ. ص: أي في هذه الأمة.

(٤) في ب. ص: اعتراء، وفي هـ. ب: الانتساب، وفي هـ. ص: أي جاهلية الأهواء والبدع يحتج بهم أهلها.

(٥) في هـ. ب: في الآثار الحاسد عدو نعمتي.

(٦) في هـ. ب: جمع دعي، وفي هـ. ص: الادعياء جمع دعي،وهو من يدعي ما ليس له،والمراد هنا من يدّعي من الفضل والرئاسة ما ليس له، ولا يخفىٰ علىٰ ذوي البصائر المتوسمين من يريد.

(٧) في هـ. ص: جمع اس،وهو الأصل.

(٨) الاحلاس:لباس، جمع حلس،وفي هـ. ص:احلاس العقوق:جمع حلس وهو في الأصل كساء رقيق يلازم ظهر البعير فكني به عن الملازمة وانما جعلهم أحلاس عقوق لأنهم قطعوا من أمر الله به ان يوصل من أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم.

(٩) أي يضلهم بهم.

(١٠) هـ. ب: من قوله تعالىٰ: ﴿استرق السمع﴾.

(١١) في أ: نشاً، وفي هـ. أ:نشرا، وفي هـ. ص:ويروىٰ نثاً، وهو افشاء الحديث، وفي هـ. د: نثاءً ـ ع.

(١٢) في هـ. ب: جمع وقيعة وهي ما يقع من العذاب.

(١٣) في أ: مثِلات، هـ. ب: مثلاته، من قتل وغيره.

(١٤) في هـ. ب: في نسخة: مهاوي وهي المساقط، والمثاوي جمع مثوىٰ وهو المنزل.

وَٱسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ[١] كَما تَسْتَعِيذُونَهُ[٢] مِنْ طَوَارِقِ[٣] الدَّهْرِ. فَلَوْ رَخَّصَ ٱللهُ فِى ٱلْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ[٤] وأَوْلِيائِهِ. وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ ٱلتَّكَابُرَ[٥] وَرَضِىَ لَهُمُ ٱلتَّوَاضُعَ. فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ. وَعَفَّرُوا فِى ٱلتُّرَابِ وُجُوهَهُمْ وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَكَانُوا أَقْوَاماً مُسْتَضْعَفِينَ قَدِ ٱخْتَبَرَهُمُ ٱللهُ[٦] بِالْمَخْمَصَةِ[٧] وَٱبْتَلاَهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ[٨]. وَٱمْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ وَمَخَضَهُمْ[٩] بِالْمَكَارِهِ. فَلاَ تَعْتَبِرُوا[١٠] ٱلرِّضَا وَٱلسُّخْطَ بِالْمَالِ وَٱلْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ ٱلْفِتْنَةِ وَٱلاِخْتِبَارِ فِى مَوَاضِعِ ٱلْغِنَى[١١] وَٱلْإِقْتِدَارِ[١٢] فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١٣] فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ فِى أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ فِى أَعْيُنِهِمْ.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ ٨[١٤] عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ[١٥] ٱلصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا ٱلْعِصِيُّ[١٦] فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ: أَلَا تَعْجَبُونَ

---

(١) في هـ. ب: لواقح الكبر: جمع لاقح، وهو ناتج.

(٢) هـ. د: كما تستعيذون ـ ب، كما تستعيذون به ـ ن.

(٣) في هـ. ب: جمع طارقة وهي الحادثة التي تخشى منها.

(٤) في ب: خاصة لأنبيائه،وفي هـ. ب في نسخة لخاصة أنبيائه.

(٥) في ب: التكاثر والتكابر معاً.

(٦) لم ترد لفظة الجلالة في أ.

(٧) في هـ. ب: بالجوع. و في هـ. ص: المجاعة.

(٨) في هـ. ب: الجهر، وفي هـ. ص: المشقة.

(٩) في ص و في هـ أو ب، وفي نسخة: محصهم، وفي هـ. ب: محصهم أي خلّصهم، وفي هـ. د: محصهم ـ ح و ع. محضهم ـ ن. وروي محصهم ـ ك .

(١٠) في أ: ولا تعتبروا.

(١١) في هـ. ب، وفي نسخة: الغناء.

(١٢) في ا و د: الافتقار، وفي ص: الاقتار، وفي هـ. ب، وفي نسخة: الاقتار، وفي هـ.د: الاقتار ـ ص ح ب ل ش.

(١٣) المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦.

(١٤) في ط: صلّى الله عليهما.

(١٥) هـ. ب: جمع دراعة، هـ. ص: جمع مدرعة بالكسر، وهي هنا لباس من صوف ضيق الكمين، ويقال له جمّازة، قال الشاعر:

يغنيك عن طاق كثير الأثمان ... جمّارة ضيق منها الكمّان

(١٦) في أ :العصا . وفي هـ. د: العصا ـ ف.

مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ ٱلْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ[١] مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ[٢] مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَٱحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ وَلَوْ أَرَادَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ[٣] وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ[٤] وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ ٱلسَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرَضِينَ[٥]، لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ[٦] وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ[٧] الْأَنْبَاءُ وَلَمَا وَجَبَ[٨] لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمحْسِنِينَ[٩] وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءَ مَعَانِيها وَلٰكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةً فِيما تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى وَخَصَاصَةٍ[١٠] تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ والْأَسْمَاعَ أَذًى.

وَلَوْ كانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ[١١] وَعِزَّةٍ لا تُضامُ[١٢] وَمُلْكٍ تُمَدُّ[١٣] نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجالِ وَتُشَدُّ[١٤] إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنُ على الْخَلْقِ فِي الاعْتِبارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ ٱلاسْتِكْبَارِ وَلَآمَنُوا[١٥] عَنْ رَهْبَةٍ قاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مائِلَةٍ بِهِمْ فَكانَتِ[١٦]

---

(١) في أ: يرون.

(٢) في د: أساور، وفي هـ. ص: جمع اسورة، جمع سوار.

(٣) في هـ. ب: الذهبان اسم للذهب، وفي هـ. ص جمع ذهب كخرب وخربان، وفي هـ. ب: الذهبان جمع ذهب كما قالوا حرب وحربان وهو ذكر الحبارى.

(٤) في هـ. ب: هو الذهب.

(٥) د: الأرض، وفي هـ. د: الأرضين ـ ش.

(٦) في هـ. ب: التكليف.

(٧) في ب: واضمحل، وفي هـ. ب: فنى، وفي هـ. ص أي تلاشت وفنيت والانباء جمع نبأ، يعني ان خصيصة الأنبياء: الانباء عن الله وباعتباره يتبعهم المصدقون، واذا كانوا ملوكاً يتبعهم الخلق اتباع الملوك وبطل اعتبار الخصيصة، وانما وجب للقابلين أجور المبتلين لقهرهم أنفسهم وحملها على الصبر.

(٨) في هـ. ب، نسخة: أوجب.

(٩) في هـ. ص: لأن المحسن من يفعل الخير، لأنه خير لا رغباً في الدنيا ولا رهباً فيها.

(١٠) في هـ.ب، وفي نسخة: غضاضة، والخصاصة: الفقر والحاجة.

(١١) في هـ. ب: لا يطلب ولا يظفر.

(١٢) في هـ. ب: لا يظلم.

(١٣) في د : تمتد.

(١٤) في ب : يشد .

(١٥) هـ. ب، في نسخة: ولأمنوا.

(١٦) في أ و د: وكانت و في هـ.ب، وفي نسخة: وكانت، وفي ص: فكانت، وفي هـ. ص: وكانت، وفي هـ.د: فكانت ـ ض ح ل ش.

النِّيَّاتُ[١] مُشْتَرَكَةٌ وَالحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةٌ[٢] وَلَكِنَّ ٱللهَ سُبْحانَهُ أَرادَ أَنْ يَكُونَ الاتِّباعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَالخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَٱلاسْتِكانَةُ[٣] لِأَمْرِهِ وَالاسْتِسْلَامُ لِطاعَتِهِ أُمُوراً لَـهُ خاصَّةً لا يَشُوبُهَا[٤] مِنْ غَيْرِهَا شائِبَةٌ. وَكُلَّمَا كَانَتِ ٱلْبَلْوَى وَالاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ المَثُوبَةُ وَٱلْجَزَاءُ أَجْزَلَ[٥] أَلاتَرَوْنَ أَنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ ٱخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ[٦] إِلَى الآخِرِينَ مِنْ هَذَا ٱلْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ[٧]. فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ الَّـذِي جَعَلَهُ[٨] لِلنَّاسِ قِيَاماً[٩]. ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ[١٠] بِقَاعِ ٱلأَرْضِ حَجَراً. وَأَقَلِّ نَتَائِقِ[١١] الأَرْضِ[١٢] مَدَراً. وَأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً[١٣] بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ[١٤]. وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ[١٥] وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ لَايَزْكُو[١٦] بِهَا خُفٌّ. وَلَا حافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ[١٧] وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا[١٨] أَعْطَافَهُمْ[١٩] نَحْوَهُ فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ[٢٠] أَسْفَارِهِمْ وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ.

---

(١) في هـ. ب، وفي نسخة: السيئات، والكلمة غير واضحة في ص.

(٢) في ص: منقسّمة. (٣) في هـ. ب: الخشوع.

(٤) في ب: لا تشوبها.

(٥) في هـ. ص: أي أكثر، والجزيل: العظيم، وعطاء جزل وجزيل، والجمع: جزال، من الشرح.

(٦) في ص زيادة: عليه السلام (٧) في ب ولا تسمع ولا تبصر.

(٨) في ص زيادة: الله، وفي هـ. ب: في نسخة زيادة: الله.

(٩) في هـ. ب: أي قائم.

(١٠) في هـ. ب: أي أخشن، وفي هـ. ص: أي أصعب، والوعر: الصعب.

(١١) في هـ. ب: جمع نتقة، وفي هـ. ص: قال في الشرح: أصل هذه اللفظة من قولهم: امرأة منتاق، أي كثيرة الحبل والولادة. ويقال: ضيعة منتاق أي كثيرة الريع، فجعل عليه السلام الضياع ذوات المدر التي تثار للحرث نتائق. وقال: ان مكة أقلها صلاحاً للزرع؛ لأن أرضها حجرية.

(١٢) في ا و ص و د: الدنيا، وفي هـ.د: الأرض ـ ب.

(١٣) في هـ. ب: أي جانباً.

(١٤) في هـ. ا: أي ليّنة، وفي هـ. ص: أي سهلة، وكلّما كان الرمل أسهل كان أبعد من أن ينبت.

(١٥) في ها و ب: أي قليلة الماء، وفي هـ. ص: الوشل: قلة الماء.

(١٦) أي لا ينمو. (١٧) في د: زيادة عليه السلام.

(١٨) في هـ. ب: أي يصرفوا، وفي هـ. ص: يلفتوا ويقصدوه.

(١٩) في هـ. ب: مناكبهم، وفي هـ. ص عطفا الرجل: جانباه.

(٢٠) هـ. ب: موضع الانتجاع، هـ. ص: مرجعاً يثاب عليه ويرجع اليه مرة بعد أُخرىٰ.

تَهْوِي(١) إِلَيْهِ ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ(٢) مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِي(٣) فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ حَتَّى يَهُزُّوا(٤) مَنَاكِبَهُمْ(٥) ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلّٰهِ(٦) حَوْلَهُ. وَيَرْمُلُونَ(٧) عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ قَدْ نَبَذُوا(٨) السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ. وَشَوَّهُوا(٩) بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ ابْتِلَاءً عَظِيماً وَامْتِحَاناً شَدِيداً وَاخْتِبَاراً مُبِيناً. وَتَمْحِيصاً(١٠) بَلِيغاً جَعَلَهُ اللّٰهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ جَمَّ الأَشْجَارِ دَانِيَ الثِّمَارِ مُلْتَفَّ الْبُنَى مُتَّصِلَ الْقُرَى بَيْنَ بُرَّةٍ(١١) سَمْرَاءَ وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ وَأَرْيَافٍ(١٢) مُحْدِقَةٍ وَعِرَاصٍ(١٣) مُغْدِقَةٍ وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ(١٤) وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ. وَلَوْ كَانَتْ(١٥) الأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا(١٦) وَالأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بين زُمُرُّدَةٍ(١٧) خَضْرَاءَ وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ(١٨) ذَلِكَ مُصَارَعَةَ(١٩) الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ

---

(١) في ب: تهوي، وفي هـ. ص: تتشوق وتنزع.

(٢) في هـ. ص: وثمرة القلب: سويداه.

(٣) في هـ. ص: المهوي جمع مهواة: ما يهوى فيه.

(٤) في هـ. ب: يحركوا.

(٥) في هـ. ص: جمع منكب، مجمع عظم العضد والكتف.

(٦) في ا يهلّون، وفي هـ. ص: يقولون لا اله إلا الله، وفي هـ. د: يهلّون ـ ف ن ب ل وحاشية م.

(٧) في هـ. ص: سير فوق المشي ودون السعي.

(٨) في هـ. ص: أي حاموا وأبعدوا. (٩) في هـ. ب: قبّحوا.

(١٠) في هـ. ب: تخليصاً، وفي هـ. ص: التمحيص: التطهير من محصت الذهب بالنار: إذا صفّيته.

(١١) في هـ. ب: البرّة: الحنطة.

(١٢) في هـ. ب: جمع ريف، وهو كل أرض بها خصب في هـ ص: جمع ريف، وهو الخصب.

(١٣) هـ. ب: جمع عرصة.

(١٤) في هـ. ص: كثيرة الماء والنداوة.، وفي أو هـ ص و د: وزروع.

(١٥) في غير ط و د: كان. هـ. د: كان ـ ض و ح و ب.

(١٦) في هـ. ص: يجوز ان يكون المناسب ضمير النسب في المحمول المرفوع، ويجوز أن يكون الجار والمجرور. (١٧) في هـ. ص: فصّ أخضر.

(١٨) في أ و ب و د: لخفف و في هـ. د: لحفت ـ ب، وفي هـ. ب: خفف ذلك مفعوله مضارعة الشك.

(١٩) في ص و ط و د: مصارعة، بالصاد، وفي ط: مسارعة، وفي هـ ـ ب: في نسخة: مصارعة

←

وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ[١] الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنَّ آللهَ[٢] يَخْتَبِرُ عِبادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ[٣] المَجَاهِدِ[٤] وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ المَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ. وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ.

فَاللهَ آللهَ فِي عَاجِلِ ٱلْبَغْيِ وَآجِلِ وَخَامَةِ[٥] الظُّلْمِ وَسُوءِ عَاقِبَةِ ٱلْكِبْرِ[٦] فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ[٧] إِبْلِيسَ ٱلْعُظْمَى وَمَكِيدَتُهُ[٨] ٱلْكُبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ[٩] قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ ٱلْقَاتِلَةِ. فَمَا تُكْدِي أَبَداً[١٠] وَلَا تُشْوِي[١١] أَحَداً لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ وَلَا مُقِلاً[١٢] فِي طِمْرِهِ[١٣] وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ آللهُ عِبادَهُ المُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ وَمُجَاهَدَةِ آلصِّيامِ فِي الأَيَّامِ المَفْرُوضَاتِ تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ[١٤] وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيضاً[١٥] لِقُلُوبِهِمْ وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ[١٦] عَنْهُمْ

← الشك. وفي هـ. ب :أي مشابهة، وفي هـ. ص :بالصاد المهملة مفاعلة من الصرع، ويروى بالصاد معجمة، ومعناه مقاربة الشك ودنوّه من النفوس، وأصله من مصارعة المقدر اذا حان ادراكها، ومن مضارعة الشمس اذا دنت للغروب، من الشرح ١٣:١٥٧

(١) في هـ. ب: من الاعتلاج وهو منازعة اليقين و هـ. ص: أي اضطرابه وقلقه.

(٢) في ب زيادة :سبحانه.

(٣) في أ و ب : بألوان.

(٤) في هـ. ب: من الجهد.

(٥) في هـ. ب: الوخم: الشرّ وبلد وخيم اذ لم يوافق ساكنه.

(٦) في أ: التكبّر.

(٧) في هـ. ب في نسخة: مصيدة، موضع الصيد. و في هـ. أ: في الديوان المصيدة ما يصاد به، وفي غيره: المصيدة وهي البقعة يصاد بها. وفي هـ ص: مصيدة بفتح الميم وسكون الصاد وفتح الياء: ما يصاد به.

(٨) في هـ. ص: المكيدة: في الأصل صخرة يصل اليها حافر البئر فلا يقدر على الوصول الى الماء، فاستعير لمطلق الحرمان والخيبة.

(٩) في هـ. ب: تخالط: مفاعلة من السورة وهي السطوة والحملة، وفي هـ ص: أي نوائب وتنازل.

(١٠) في هـ. ب: من الكدية. قلت: أكدئ الحافر اذا عجز عن التأثير في الأرض.

(١١) في هـ. ب الاشواء: خطأ المقتل. وفي هـ ص: يقال رميٰ فأشوىٰ أي لم يصب المقتل كانه يصيب الشوىٰ وهي الأطراف كاليد والرجل.

(١٢) في هـ. ب: فقيراً.

(١٣) في هـ. ب: ثوب خلق.

(١٤) في هـ. ب: أعضائهم.

(١٥) في ص: تحفيظاً ،وفي هـ. ب: تسكيناً.

(١٦) في هـ. ب: الكبر.

لِمَا[١] فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ[٢] ٱلْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً وَالْتِصَاقِ[٣]، كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالأَرْضِ تَصَاغُراً. وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ المَسْكَنَةِ وَٱلفَقْرِ[٤].

أُنْظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الأَفْعَالِ[٥] مِنْ قَمْعِ[٦] نَوَاجِمِ[٧] الفَخْرِ وَقَدْعِ[٨] طَوَالِعِ الْكِبْرِ. وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ العالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ[٩] تَمْوِيهَ[١٠] الْجُهَلَاءِ أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ[١١] بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَامس يد عِلَّةٍ[١٢]. أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ[١٣] عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ. وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ. فَقالَ: «أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ»[١٤].

وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ[١٥] الْأُمَمِ. فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ. فَقَالُوا: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[١٦] فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ مِنَ العَصَبِيَّةِ[١٧] فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ

---

(١) في هـ. ص :توضيح لوجه العليّة في المنصّفات، فهو علّة كونها علّة.

(٢) في ط: عتاق، وفي هـ. د: عتاق ـ ض و ب و ح، وفي هـ. ب: أي أحرار.

(٣) في أ و ص: الصاق، وفي هـ. د: الصاق ـ ف و ن و ل.

(٤) في هـ. ص :هذا وجه ذلك أيضاً، وذلك لأن الفقير يصير شريكاً قاهراً لرب المال لسلطان الله عزوجل فيعطيه ذلك كما يعطي للسلطان.

(٥) في هـ. د: هذه الأحوال ـ م.

(٦) في هـ. ب: قلع.

(٧) النواجم من نجم اذا طلع وظهر ، وفي هـ. ب: جمع نجم وهو ما طلع من الأرض.

(٨) في هـ. ب:في نسخة ظاهراً:فرغ، وفي هـ. أ: قدعه: أي كفه وفي ب، وفي هـ. ب: الفدع: الكف. وفي هـ.ص : وهي بالدال المهملة: الكف،قدعت الفرس كففته وكبحته باللجام.

(٩) في أ: تحمل. وفي هـ. ص :ويروىٰ تحمل، والمعنىٰ متفق.

(١٠) في هـ. ب: أي تلبيس، وفي هـ. ص: هو التلبيس من: موّهت النحاس بالذهب إذا طليته بالذهب ليخفىٰ ويروم في المرأىٰ.

(١١) في هـ. أ: تلزق ، وفي هـ. ب: تليط تلصق، وفي هـ. ص: أي: تلصق وتعلق.

(١٢) في ب و ط و د: سبب ولا علة، ولم ترد ولا مس يد، وفي هـ. د لأمر لا يعرف ـ ض و ب و ط و د.

(١٣) في هـ. ب في نسخة : على غيره.

(١٤) اقتباس من قوله تعالىٰ: (خلقتني من نار وخلقته من طين) سورة ص :٣٨/ ٧٦.

(١٥) في هـ. ص :جمع مترف، وهو الذي أطغته النعمة.

(١٦) سبأ : ٣٤/ ٣٥.

(١٧) في هـ. د: المعصية ـ م .

لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمجَدَاءُ[١] وَالنُّجَدَاءُ[٢] مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ[٣] الْقَبَائِلِ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ[٤]. وَالْأَحْلَامِ[٥] الْعَظِيمَةِ. وَالْأَخْطَارِ[٦] الْجَلِيلَةِ. وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ[٧] وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ[٨]. وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ. وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ. وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ. وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ. وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ. وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ. وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ. وَاجْتِنَابِ[٩] الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ[١٠]. وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ[١١] بِسُوءِ الْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ. فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ. وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ. فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ[١٢]. فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ حَالَهُمْ[١٣]، وَزَاحَتِ[١٤] الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ. وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ فِيهِ[١٥] عَلَيْهِمْ[١٦] وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ. وَوَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ. مِنَ الاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ. وَاللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ[١٧].

---

(١) في هـ. ب: الشرفاء، وفي هـ ص: جمع ماجد وهو الشريف

(٢) في هـ. ب جمع نجيد وهو الشجاع، وفي هـ. ص جمع نجيد وهو الشجاع وبمعناه نجد بضم ويكسر وتجمع أنجاد.

(٣) في هـ. ب: جمع يعسوب، وفي هـ ص: اليعاسيب جمع يعسوب، وهو الرئيس المتبوع.

(٤) في هـ. ب: المرغوبة فيها.

(٥) في هـ. ب: الأخلاق.

(٦) في هـ. ب الخطر: أمر عظيم.

(٧) في هـ ص: عممه والمراد به خلق وهو جواره فيهم لانه دين.

(٨) في ب: الذمار وفي هـ. د في نسخة الذمام، وفي ب: العهد. وفي هـ ص اطلقه والمراد به ذمامه فيهم وعهده لانه دين.

(٩) في هـ. ب: رفض.

(١٠) في هـ ص: هذا الكلام تعريض بذمهم وانهم لم يحفظوا جواره ولم يفو بذمامه ولم يطيعوه فيما أمرهم به من البر ولم يطرحوا ما يعلوهم من الكبر اذا ذكر لهم فضائله وخصائصه فانهم كانوا يتهمونه ويترامون بالأبصار.

(١١) في هـ ب و ص: أي العقوبات.

(١٢) في هـ. ص في نسخة: في الاختلاف الكبير. وفي هـ. ب: حاليهم: السلامة وغير السلامة.

(١٣) في هـ. د شأنهم ـ ض و ب و ح.

(١٤) في هـ. ب: : أي زالت وفي هـ. ب الزيح: البعد، وفي هـ. ص: أي بعدت.

(١٥) في أ و ص و ط: فيه، وفي ب: فيئه، وفي هـ. ب: أي جماعة، وفي هامش آخر: الفيء: الظل والغنيمة.

(١٦) في ب و د: فيئه بهم، وفي هـ. د فيئه عليهم ـ ض و ف و ح.

(١٧) في هـ. ص: في الكلام حث على لزوم سبب الألفة، وهو التمسك به وبآله، واجتناب سبب ←

وَالتَّحَاضِّ[١] عَلَيْهَا وَالتَّوَاصِي بِهَا وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ[٢]. وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ[٣]. مِنْ تَضَاغُنِ[٤] الْقُلُوبِ وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ وَتَدَابُرِ[٥] النُّفُوسِ وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ[٦] وَالْبَلَاءِ[٧] أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً[٨] وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً. اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ[٩] الْعَذَابِ وَجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ[١٠] فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلَبَةِ لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ وَلَا سَبِيلاً إِلَى دِفَاعٍ حَتَّى إِذَا رَأَى اللهُ[١١] سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ وَالِاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلَاءِ فَرَجاً فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ. فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً، وَأَئِمَّةً أَعْلَاماً[١٢]، وَبَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ[١٣] الْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمْلَاءُ[١٤] مُجْتَمِعَةً وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً[١٥] وَالْقُلُوبُ

← الفرقة وهو مخالفتهم، كما قال رسول الله ﷺ: ما ان تمسّكتم به لن تضلوا، وقال :أهل بيتي أمان لأُمتي من الاختلاف، ونحوهما.راجع البحار ٢:٢٢٦،ح ١٣و ١٦:٢٠٢.

(١) في هـ. ب: من الحض وهو الحث وفي هـ ص: تفاعل من الحض فامرهم ان يحض بعضهم بعضاً عليها ويتواصوا.

(٢) في هـ. ب: عظم الظهر، وفي هـ ص: واحدة فقار الظهر، ويكنى به عمّا يؤثر شراً.

(٣) في هـ. ب وص : قوتهم. (٤) في هـ. ب: تحاقد.

(٥) في هـ. ص: تدبر نفس كل منهم عن أخيه.

(٦) في هـ. ب: التمحيص: التخليص، وفي هـ. ص: التصفية لهم بالبلاء.

(٧) التمحيص الابتلاء والاختيار.

(٨) في هـ. ب: اثقالاً، وفي هـ. ص جمع عبء وهو الحمل الثقيل.

(٩) في ب: سوم، وفي هـ. ب في نسخة سوء.

(١٠) في ص : جرع المرار، وفي هـ. د: جرع المرار ـ ش. . المرار ـ بضم ففتح ـ: شجر شديد المرارة تتقلص منه شفاه الابل اذا أكلته، وفي هـ. ص: شجر مرّ، وفي الأصل سم توسع فيه فاستعمل في حق من لقيَ شدة. (١١) في د زيادة: سبحانه.

(١٢) في هـ. ص :جمع علم، أي يهتدي بهم كما يهتدىٰ بالاعلام في المفازة.

(١٣) في هـ. د: لم تبلغ ـ ب .

(١٤) في هـ. ب: جمع ملأ. و في هـ. ص جمع ملأ جماعة الرؤساء.

(١٥) في هـ. د: متفقة ـ ب.

مُعْتَدِلَةٌ وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَةٌ[(١)]. وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةٌ[(٢)]. وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةٌ[(٣)]. وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةٌ[(٤)]. أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الْأَرَضِينَ وَمُلُوكاً عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ. فَانْظُرُوا[(٥)] إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ وَتَشَتَّتَتِ[(٦)] الْأُلْفَةُ وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفْئِدَةُ، وتَشَعَّبُوا[(٧)] مُخْتَلِفِينَ وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ[(٨)] قَدْ خَلَعَ آللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعمَتِهِ[(٩)] وَبَقِيَ قَصَصُ[(١٠)] أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً[(١١)] لِلْمُعتَبِرِين مِنْكُمْ.

وَاعْتَبِرُوا[(١٢)] بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ:[(١٣)]. فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ[(١٤)]. وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ.

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِيَ[(١٥)] كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ يَحْتَازُونَهُمْ[(١٦)] عَنْ رِيفِ[(١٧)] الآفَاقِ وَبَحْرِ[(١٨)] الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ[(١٩)] وَمَهَافِي[(٢٠)] الرِّيحِ وَنَكَدِ[(٢١)] الْمَعَاشِ فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً[(٢٢)] مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ

---

(١) في هـ. د: في حاشية م: مرادفة.

(٢) في هـ. ب: متعاونة وفي هـ. ب: متطابقاً.

(٣) في هـ. ص: يقال نفذت بصيرتي في هذا الأمر أي اجتمع همي وعزمي عليه ولم يبق عندي تردد فيه لعلمي وتحققي اياه.

(٤) في أ و ط و د: واحدة، ويحتمل أن يكون في ب: واحدة.

(٥) في ب: وانظروا.

(٦) في ص: وتشتت.

(٧) في هـ. ص أي صاروا شعوباً ولم يبقوا جرثومة واحدة.

(٨) في أ و ب: متحازبين، وفي هـ. ب: متحازبين، من الحزب، وبالراء من الحرب.

(٩) غضارة النعمة: سعتها.

(١٠) قصص الأخبار حكايتها وروايتها.

(١١) في هـ. د: عبرة ـ ض و ح.

(١٢) في أ و ط و د: فاعتبروا، وفي هـ. ب: في نسخة: فاعتبروا.

(١٣) لم ترد عليه السلام في أ.

(١٤) في هـ. ص: أي توازنها وتساويها.

(١٥) في هـ. ب: سمىٰ نهارهم وأيامهم ليالي لكثرة الفساد.

(١٦) في هـ. ب: يجمعونهم، وفي هـ. ص: أي يبعدّونهم.

(١٧) في هـ. ب و ص: أي خصب.

(١٨) في هـ. ص: هو دجلة والفرات.

(١٩) في هـ. ص: هي أرض العرب والشيح نبت في البادية طيب الرائحة.

(٢٠) في هـ. ب: في نسخة: ومهاب، وفي ص: ومهاب، وفي هـ ص: في نسخة: مهافي، و في هـ. ب: المهافي مساقط الريح، يريد به قربهم من الهوة وهو السقوط، وفي هـ. ص: حيث يهفو أي يخترق.

(٢١) في هـ. ب: أي منغّص.

(٢٢) في هـ. ب: أي فقراء.

وَوَبَرٍ[١] أَذَلَّ الْأُمَمِ دَاراً وَأَجْدَبَهُمْ[٢] قَرَاراً لَا يَأْوُونَ[٣] إِلَى جَنَاحِ[٤] دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ. وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ. وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ. فِي بَلَاءِ أَزْلٍ[٥] وَأَطْبَاقِ[٦] جَهْلٍ. مِنْ بَنَاتٍ مَوْؤُدَةٍ[٧] وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ. وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ. وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ[٨].

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللهِ[٩] عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً فَعَقَدَ[١٠] بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ. وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ. كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا. وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ[١١] نَعِيمِهَا[١٢]. وَالْتَفَّتِ[١٣] الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ[١٤] بَرَكَتِهَا. فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ[١٥]. وَعَنْ خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ[١٦]. قَدْ تَرَبَّعَتِ[١٧] الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ. وَآوَتْهُمْ[١٨] الْحَالُ إِلَى كَنَفِ[١٩] عِزٍّ غَالِبٍ. وَتَعَطَّفَتِ[٢٠] الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى[٢١] مُلْكٍ ثَابِتٍ. فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ. يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى

---

(١) في ب: دَيْن و وُترٍ وفي هـ. ب في نسخة: دبر و وبر، وفي هـ. ب دين: مذلة، ووتر: حقد.

(٢) الجدب: القحط.

(٣) في ب: لا يأوُون، وفي هـ. ب لا يأن.

(٤) في هـ. ب، الجناح: الجانب.

(٥) في هـ. ب و ص: أي ضيق.

(٦) في هـ. ص بفتح الهمزة جمع طبق أي جهل متراكم بعضه فوق بعض فان روى بكسر الهمزة فهو مصدر اطبق.

(٧) من وأد بنته اذا دفنها وهي حيّة.

(٨) في هـ. ب: مصبوبة.

(٩) في ب زيادة: سبحانه.

(١٠) في هـ. ص: أي كانت طاعتهم كالشيء المنتشر المحلول فعدها بملة محمّد ﷺ.

(١١) في هـ. ب: جمع جدول وهو النهر، وفي هـ. ص: جمع جدول : النهر.

(١٢) في أ: نعمتها، وفي هـ د: نعمتها ـ ف وحاشية ن .

(١٣) في هـ. ب: في نسخة: التفت، وفي هـ. ب: : أي أصاب. هـ. ص: أي جمعتهم، يقال: التف الحبل بالحطب أي جمعه، والتف الحطب بالحبل أي اجتمع به، من الشرح.

(١٤) في هـ. ب: العوائد المنافع، وفي هـ. ص جمع عائدة وهي النفع.

(١٥) في هـ. ص: مبالغة في شمولها كما يغرق الناس بالمطر.

(١٦) في ط: فاكهين، و في هـ. ص: أي أشرين، ويروىٰ: «فاكهين» أي ناعمين.

(١٧) في هـ. ب: صار مربعاً، و في هـ. ص: أي تمكنت أو أقامت يقال ربع بالمكان: أقام به.

(١٨) في هـ. ب: جمعتهم.

(١٩) في ص: كهف.

(٢٠) هـ. ص: كناية عن السعادة والاقبال.

(٢١) في هـ. ب: أي عُلا، وفي هـ ص: جمع ذروة: أعلى الشيء .

مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ. وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ. لَا تُغْمَزُ[١] لَهُمْ قَنَاةٌ[٢] وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ.

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ[٣] أَيْدِيَكُمْ عَنْ[٤] حَبْلِ الطَّاعَةِ[٥] وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ[٦] الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ[٧] وَإِنَّ[٨] اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ[٩] فِي ظِلِّهَا[١٠]. وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا. بِنِعْمَةٍ[١١] لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ[١٢].

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً[١٣] وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ أَحْزَاباً[١٤] مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ. وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ.

تَقُولُونَ النَّارَ وَلَا الْعَارَ[١٥] كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا[١٦] الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ[١٧] اللهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ[١٨]. وَإِنَّكُمْ

---

(١) في هـ. ب: أي لا تقبض.

(٢) هـ. ص: يكنى به عن حال العز الذي لا يضام.

(٣) في أ: نقضتم.

(٤) في ب و ط و د: من، وفي هـ. د: عن ـ ف و م.

(٥) في هـ ص: كلمة تقال في اطراح الشيء وتركه، وهي أبلغ من أن يقول: تركتم حبل الطاعة؛ لأن من يخلي الشيء من يده ثم ينفض يده منه يكون أشد تخلية له ممن لا ينفضها، بل يقتصر على تخليته فقط؛ لأن نفضها اشعار وايذان بشدة الاطراح والاعراض، من الشرح ١٣: ١٨٠.

(٦) في هـ. ب: أي حدود الله وأحكامه.

(٧) في هـ. ب: أي لا تفعلوا فعل الجاهلية.

(٨) في ط: فان.

(٩) في ب: يتقلبون، وفي هـ ب: ينقلبون.

(١٠) في هـ. د: تتقلبون في ضيّها ـ م، يتنقلون في ظلها ـ ش.

(١١) في هـ. ب: قوله تعالى: (فألّف بين قلوبهم).

(١٢) في هـ. ب: أمر عظيم.

(١٣) في هـ. ب: الاعراب أشد كفراً ونفاقاً.

(١٤) في هـ. ب: أحزاباً: جمع حزب وهي الطائفة والجماعة. أي بعد المودة والهناء صرتم جماعة متفرقين، و في هـ. ص أي متحزبين على أهل الحق معادين لهم وهو اشعار بما يكون منهم بعده وكشف لحالهم الذي يصيرون اليه.

(١٥) في هـ. ب: أي نقبل النار ولا نقبل العار.

(١٦) في هـ. ب: ان تقلبوا وتكبّوا يقال كفأت الشيء لوجهه: أي قلبته.

(١٧) في أ: وضع.

(١٨) في هـ. ب: يعني الكعبة والحرم.

إنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلَ[١] وَلَا مِيكَائِيلَ وَلَا مُهَاجِرِينَ[٢] وَلَا أَنْصَارَ[٣] يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةَ[٤] بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَكُمْ.

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ[٥] مِنْ بَأْسِ ٱللَّهِ وَقَوَارِعِهِ[٦] وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ[٧] فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ ٱلْقُرُونَ المَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ[٨] ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ. فَلَعَنَ ٱللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ المَعَاصِي وَٱلحُلَمَاءَ[٩] لِتَرْكِ التَّنَاهِي[١٠].

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ ٱلْإِسْلَامِ وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ وَأَمَتُّمْ[١١] أَحْكَامَهُ أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي ٱللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ وَٱلنَّكْثِ وَٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَمَّا ٱلنَّاكِثُونَ[١٢] فَقَدْ قَاتَلْتُ وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ[١٣] فَقَدْ جَاهَدْتُ وَأَمَّا ٱلْمَارِقَةُ[١٤] فَقَدْ دَوَّخْتُ[١٥] وَأَمَّا شَيْطَانُ ٱلرَّدْهَةِ[١٦] فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ[١٧] سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ[١٨] قَلْبِهِ وَرَجَّةُ[١٩] صَدْرِهِ وَبَقِيَتْ[٢٠] بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ وَلَئِنْ أَذِنَ ٱللَّهُ فِي

---

(١) في ط و د: جبرائيل، وفي هـ. ب: أي لا جبرائيل لنصرتكم، وفي هـ. ص: الرواية المشهورة بالفتح اعراباً أو بناءً، وهو جار على التشبيه بالنكرة بتقدير: ثم لا ناصر، وقد روي بالرفع في الجميع.

(٢) في أ و د: مهاجرون.

(٣) في ب: أنصاراً، وفي د: انصارٌ.

(٤) هـ. ب: من القرع وهو الدق.

(٥) في هـ. ب: الأمثال والنظائر، وفي هـ. ص هي قصص القرآن.

(٦) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(٧) في هـ. ب: جمع واقعة.

(٨) في أ: لتركه.

(٩) في هـ. د: والحكماء ـ م و ل.

(١٠) في هـ. د: النواهي ـ ب.

(١١) في هـ. ب: من الموت.

(١٢) في هـ. ب: طلحة والزبير.

(١٣) هم الجائرون عن الحق، وفي هـ. ب: معاوية.

(١٤) في هـ. ب: الخوارج.

(١٥) في هـ. أ: ذللّت، وفي هـ. ب: أذللت.

(١٦) في هـ. أ: شيطان الردهة، يريد الخارجي الذي يقال له: ذو الثدية. وفي هـ. ب: الردهة: الحفيرة في الجبل يجتمع فيها الماء اجتمع فيه الشياطين فبعث النبي ﷺ أمير المؤمنين فدمّرهم.

(١٧) الصعقة: الغشية تصيب الانسان من الهول.

(١٨) في هـ أ: خفقان، وفي هـ. ب: سقوط، وفي هـ. ب: الوجوب الغروب للشمس، والوجوب: الخفقان.

(١٩) رجّة الصدر اهتزازه وارتعاده، وفي هـ. ب: صوّت.

(٢٠) في ب: وبقي، وفي هـ. ب، وفي نسخة وبقيت.

ٱلْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَأُدِيلَنَّ[١] مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ[٢] فِي أَطْرَافِ ٱلْبِلَادِ[٣] تَشَذُّراً.

أَنَا وَضَعْتُ[٤] بِكَلَاكِلِ[٥] ٱلْعَرَبِ وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ[٦] قُرُونِ رَبِيعَةَ[٧] وَمُضَرَ وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ[٨] بِالْقَرَابَةِ ٱلْقَرِيبَةِ وَٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْخَصِيصَةِ[٩] وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ[١٠] وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِي الى فِرَاشِهِ[١١] وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ[١٢] وَكَانَ يَمْضَغُ ٱلشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً[١٣] فِي فِعْلٍ وَلَقَدْ قَرَنَ ٱللهُ[١٤] بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ[١٥] كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ ٱلْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ ٱلْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ ٱتِّبَاعَ ٱلْفَصِيلِ[١٦] أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً[١٧] وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ[١٨] فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا. أَرَى نُورَ ٱلْوَحْيِ وَٱلرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ ٱلنُّبُوَّةِ.

---

(١) في هـ. ب: الادالة: اعطاء الدولة، والمراد انفي الدولة منهم وأُبيدهم، وفي هـ. ب: ولاذيلنّ، الاذالة: الاهانة، أي بقيت منهم جماعة. (٢) في هـ. ب: يتفرق.

(٣) في هـ. د في أطراف البلاد ـ ض ح ب، من أطراف البلاد ـ ن.

(٤) في ط زيادة: في الصغر، وفي هـ. د: أنا وضعت في الصغر ـ ض و ب.

(٥) في أ و ب: بكلكل، وفي هـ. أ في نسخة: بكلاكل، وفي هـ. ب :كلاكل جمع كلكل، وهو الصدر وعظماء العرب، وفي هـ ص: الباء زائدة، والكلاكل الصدور، والمعنى: اني أذللتهم وصرعتهم الى الأرض.

(٦) في هـ. ب: أي طوالع.

(٧) في هـ. ب: قبيلة.

(٨) في ب: وآله.

(٩) في هـ. ب: الخاصة.

(١٠) في هـ. ص: هذا شرح للمنزلة الخصيصة.

(١١) في ط و د: في هـ. د: الى فراشه ـ ب.

(١٢) في هـ. ب: الطيب، وفي هـ. ص : العرف: الرائحة الطيبة.

(١٣) في هـ. ص: هي الخطأ فيه وايقاعه على غير وجهه.

(١٤) في ب زيادة: تعالىٰ.

(١٥) في ط زيادة: ان، وفي هـ. د: من لدن ان ـ ض ح ب.

(١٦) الفصيل:ولد الناقة.

(١٧) في هـ. د: في كل يوم علماً من أخلاقه ـ ش.

(١٨) في هـ ب : بحراء جبل في مكة، بحِرَا وبحَراء يذكر ويؤنث ويصرف ولا يصرف.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ ٱلشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ ٱلْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ :يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا هَذِهِ ٱلرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا ٱلشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ. إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ. وَإِنَّكَ لَوَزِيرٌ[١] وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ[٢]. وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ﷺ لَمَّا أَتَاهُ ٱلْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ٱدَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ[٣] وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا[٤] إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَقَال لهم[٥] ﷺ: وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ حَتّى تَنْقَلِعَ[٦] بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ ﷺ: إِنَّ ٱللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ ٱللهُ ذٰلِكَ لَكُمْ[٧] أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ[٨]، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي ٱلْقَلِيبِ[٩]، وَمَنْ يُحَزِّبُ ٱلْأَحْزَابَ[١٠]. ثُمَّ قَالَ[١١]: يَا أَيَّتُهَا ٱلشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ ٱللهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ ٱللهِ. فوالَّذِي[١٢] بَعَثَهُ بِالْحَقِّ[١٣] لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ[١٤] شَدِيدٌ وَقَصْفٌ[١٥] كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ ٱلطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ مُرَفْرِفَةً[١٦] وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا ٱلْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ[١٧] يَمِينِهِ ﷺ[١٨] فَلَمَّا نَظَرَ ٱلْقَوْمُ إِلَى ذٰلِكَ قَالُوا[١٩] عُلُوًّا وَٱسْتِكْبَاراً: فَمُرْهَا

---

(١) في أ: ولكنك وزير، وفي هـ. ب: في نسخة: ولكنّك وزير.
(٢) في أ على خير، وفي هـ. ب: على خير ترجه.
(٣) في ص: أهل بيتك، وفي هـ. ب: أي قبيلتك.
(٤) في د. ان أنت أجبتنا، وفي هـ. د: إن أجبتنا ـ ش.
(٥) في ب زيادة: النبي. ولم نرد «لهم» في ط و د.
(٦) في أ: تنقلّع.
(٧) في ب: بكم ذلك وفي ط و د: لكم ذلك.
(٨) في هـ. ب: إلى إسلام.
(٩) في هـ. ب: أبو جهل.
(١٠) في هـ. ب: أبو سفيان.
(١١) في ط و د زيادة: ﷺ.
(١٢) في ط: والذي.
(١٣) في هـ. ب: نبياً.
(١٤) في هـ. ب: صوت.
(١٥) هـ. ب: صوت شديد.
(١٦) في هـ. ب: الرفرفة قرع الطير جناحه بعضها على بعض.
(١٧) في ص: عليٰ، وفي هـ. د: عليٰ ـ م.
(١٨) في ب: ﷺ.
(١٩) في ب و ص: فقالوا.

فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَ نِصْفُهَا. فأَمَرَهَا بذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نَصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ. فَقَالُوا كُفْراً وَعُتُوًّا: فَمُرْ هٰذَا ٱلنِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ[١] إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ ﷺ[٢] فَرَجَعَ. فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ، إِنِّي[٣] أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ[٤] بِأَنَّ ٱلشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ ٱللهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً لِنُبُوَّتِكَ[٥] وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ ٱلْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ ٱلسِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا يَعْنُونَنِي وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي ٱللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ سِيمَاهُمْ سِيمَاءُ ٱلصِّدِّيقِينَ وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ ٱلْأَبْرَارِ عُمَّارُ ٱللَّيْلِ[٦] وَمَنَارُ[٧] ٱلنَّهَارِ مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ ٱلْقُرْآنِ[٨]، يُحْيُونَ سُنَنَ ٱللهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ وَلَا يَغُلُّونَ[٩] وَلَا يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي ٱلْجِنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي ٱلْعَمَلِ[١٠].

***

قوله: ومن الناس من يسمي هذه الخطبة: «القاصعة».

قال في الشرح: يجوز أن تسمّى هذه الخطبة «القاصعة» من قولهم: قصعت الناقة بِجِرَّتِها، وهو أن تردّها الى جوفها، أو تخرجها من جوفها فتملأ فاها. فلمّا كانت الزواجر

---

(١) في هـ. د: فليرجع الله نصفه ـ ب.
(٢) في ط: عليه السلام.
(٣) في أ و ب: فاني.
(٤) في ط: أقرّ، وفي هـ. د: أقر ـ ص و ح و ب.
(٥) في ط و د: بنبوّتك.
(٦) في هـ. ب: عمّار الليل، أي طال لبثهم في صلاة الليل في الخضوع والخشوع، وهم كعبدالله بن العباس وحمزة وأبي عبيدة من أعمامه، واخوانه عقيل وجعفر وغيرهم من أولادهم أولاد أمير المؤمنين، وأصحابه المقداد الكندي وأبو ذرّ وسلمان وغيرهم.
(٧) في هـ. ب: المنار: موضع النور والضياء.
(٨) في ب: بحبل الله القرآن، وفي هـ. د: بحبل الله القرآن ـ ش.
(٩) أي لا يخونون.
(١٠) في أ بعد هذه الخطبة ما يلي: باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله الى أعدائه وامراء بلاده، ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده الى عمّاله ووصاياه لأهله وأصحابه. من كتاب له الى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة. ولم ترد في أ الخطب التي وردت في النسخ الأُخرىٰ الى الجزء الثالث، وهو في الكتب، وفي هـ. د: هنا انتهى أبواب الخطب في ف و م و ن.

والمواعظ في هذه الخطبة مردّدة من أولها الى آخرها، شبّهها بالناقة التي تقصع الجِرَّة. ويجوز أن تسمى «القاصعة» لأنها كالقاتلة لإبليس وأتباعه من أهل العصبيّة، من قولهم: قَصَعت القملة، إذا هشمتّها وقتلتها، ويجوز أن تسمّى «القاصعة»، لأنّ المستمع لها المعتبر بها يذهب كبره ونخوته، فيكون من قولهم: قصع الماء عطشه، أي أذهبه وسكنه، قال ذو الرُّمّة بيتاً في هذا المعنىٰ:

فَانْصاعَتِ الحقْبُ لم تَقْصَعْ ضرائِرَها   وقـد تشـحّ فَـلاً رِيٌّ ولا هـيم[1]

الصّرائر: جمع صَرِيرة ، وهي العطش؛ ويجوز أن تسمّى «القـاصعة» لأنّـها تـتضمّن تحقير إبليس وأتباعَه وتصغيرهم، من قولهم: قصعت الرجل إذا امتهنتَه وحقّرتَه، وغلام مقصوع، أي قميء لا يشِبّ ولا يزداد. انتهى[2].

والأقرب عندي انه من قصعت الناقة الجرة، لا للتوجيه الذي ذكـره، بـل لأن أمـير المؤمنينعليه السلام أخرج ما يضمره من عتبه على الأُمة وبيّن سبب ضلالها في حقّه، ومشهور عندهم إذا أُبرز الانسان ما يضمره ان يعبروا عن ذلك بنحو قولهم: ذبيع مجرته؟ وهذا كما سميت الشقشقية، والله أعلم.

قولهعليه السلام: **«ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين»**:

اعلم ان أمير المؤمنين قد كرّر تعليل أفعال الله في عباده بالاختبار والامتحان وعلىٰ ذلك دلّ القرآن فينبغي تحقيق معنى ذلك.

قال في شرح ميثم بن علي: وقد علمت معنى ابتلائه واختباره تعالى لخلقه فيما سبق. ونزيده بياناً. فنقول: لمّا كانت حقيقة الاختبار طلب الخبر بالشيء ومعرفته لمن لا يكون عارفاً به، وكان هو تعالى عالماً بمضمرات القلوب وخفيّات القلوب فيميّز المطيعين من عبيده من العصاة لم يكن إطلاق هذا اللفظ في حقّه حقيقة بل عـلى وجـه الاسـتعارة باعتبار أنّه لمّا كان ثوابه وعقابه للخلق موقوفين على تكليفهم بما كلّفهم به فإن أطاعوه فيما أمرهم أثابهم وإن عصوه عاقبهم أشبه ذلك اختبار الإنسان لعبيده وتمييزه لمن أطاعه منهم ممّن عصاه، فأطلق عليه لفظه.

---

(١) ديوانه: ٥٨٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٢٨.

وقوله: «ليميز المتواضعين منهم من المتكبّرين» ترشيح لاستعارة الاختبار لأن التميز من لوازمه وعوارضه.

ويحتمل ان يريد ليميّز المطيعين عن العصاة بإعطاء الثواب لهم دونهم، فلا يكون التميز بمعنى العلم، بل الانفصال الخارجي لكلّ من المطيعين والعصاة بما يستحقّه من ثواب وعقاب، انتهى[1].

وما أحسن كلام الامام القاسم بن ابراهيم في تحقيق هذا المعنى وتوضيحه. قال في كتاب الرد على الملحدة قال الملحد: ما وجه الحكمة في خلق العالم وخلق الممتحنين؟

قال القاسم ﷺ: وجه الحكمة في ذلك انه احسان أو داع الى الاحسان وكل من أحسن أو دعى الى الاحسان فهو حكيم فيما نعرفه.

قال الملحد: وكيف يكون حكيماً من خلق خلقاً فآلمة بأنواع الآلام وامتحنه بضروب من الامتحان؟ خبّرني عن وجه الحكمة في ذلك من الشاهد.

قال القاسم ﷺ: اما قولك كيف يكون حكيماً من خلق خلقاً فآلمه بأنواع الآلام؟ فوجه الحكمة في ذلك من الشاهد أنّا وجدنا من الآلام في الشاهد ماهو داع الى الاحسان، من ذلك ضَرْب المؤدبين للصبيان، ومنه الحجامة والفصد وشرب الأدوية الكريهة، كلّ ذلك داعية الى الاحسان والى شيء حسن في العقل.

فاذا كان من الآلام في الشاهد ماهو كذلك، فكل ما هو كونه من قبل الله عزوجل مثل الموت، والمرض، والعذاب وغيره، حكمة في الصنع وصواب في التدبير؛ إذ كل ذلك داعية الى الاحسان.

قال الملحد: ما الدليل على ان ذلك داعية الى الاحسان؟

قال القاسم ﷺ: لأنّه فعل الحكيم، والحكيم إنّما يفعل هذه الأشياء التي هي ترغيب في السلامة والصحة والخير وترهيب من الغم والسقم، ومن رغب في الخير، فحكيم فيما نعرفه؛ واما قولك: لم امتحن امتحانات عطب أكثرهم عندها؟ فانا نقول في ذلك ـ ولا قوة إلا بالله ـ: ان الله سبحانه إنّما امتحانه وأمره ونهيه داعية له[2] الى الحكمة. فالمأمور من

---

(١) شرح ميثم بن علي ٤: ٢٣٨.

(٢) في هـص: أي للمكلف.

قبل نفسه عطب، لأنّه لم يأتمر بما أمره به سبحانه ولم ينته عمّا نهىٰ عنه، ولو كان انتهىٰ عمّا نهي عنه وركب ما أمره به لكان يؤدّيه ذلك الى الفوز العظيم فهو من قبل نفسه عطب، لا من قبل الله عزوجل.

ومثل ذلك فيما نعرفه ان حكيماً من حكمائنا لو اعطى عبيداً له دراهم، وقال لهم: اتجروا، فان ربحتم ولم تفسدوا فانا معطيكم ما يكفيكم، وان لم تفعلوا عاقبتكم، فأطاعه منهم قوم وعصاه آخرون، لم ترجع اللائمة عليه بعصيانهم إيّاه، ولكنها لاحقة بهم حين عصوه ولم يخرج دعاء سيدهم إياهم وعطيتهم عن الحكمة، إذ لم يدعهم به إلا الى الاحسان، فلما كان كذلك كان الله حكيماً بامتحانه وأمره ونهيه.

قال الملحد: ان الله يعلم ما هم صائرون اليه ونحن لا نعلم ذلك.

قال القاسم ﷺ: ان العلم والجهل لا يحسّن الحسن ولا يقبّح القبيح؛ وذلك لأنه لو كان حسناً لأن الآمر به يعلم أنّه حسن لكان قبيحاً إذا كان الآمر منّا بما يصير اليه المأمور جاهلاً، فلما لم يكن ذلك قبيحاً لجهل الآمر منا؛ لأنّه أمر بالحسن ودعا الى الحسن وإن كان جاهلاً بما يصير اليه المأمور أو عالماً.

وشيء آخر: وهو أنّه لو كان الامتحان قبيحاً اذا علم انه يعصي، لكان لا شيء أقبح من إعطاء العقل!؛ لأنّه انما يعصى عند وجوده ويستحق الذم والمدح به. فلما كان اعطاء العقل عند الأُمم كلّها موحدّها وملحدها حسناً، دلّ ذلك على ان الامتحان والخلق والأمر بالحسن، كلّه حسن ـ علم انّه يعصي أو يطيع ـ

قال الملحد: فلِمَ مزج الخير بالشر، ولِمَ صار واحد غنياً، والآخر فقيراً، والآخر قبيحاً، والآخر حسناً؟!

قال القاسم ﷺ: لأن هذه الدار دار امتحان وابتلاء، وحقيقة الامتحان هو ان يخلق فيه أو يأمره بشيء تثقل علىٰ طباعه فينظر هل يطيع أو لا يطيع؟ ولو خلق الله ما هو خفيف على طباعه أو أمره بالخفيف، لكان ذلك لذة له وليس بامتحان، فلما كانت هذه الدار دار امتحان، كان الواجب في صواب التدبير ان يمزج الخير بالشر والنفع بالضر والمكروه بالمحبوب والحسنة بالسيئة، والكريه المنظر بالحسن المنظر؛ اذ كانت الدار دار امتحان ؛

لأنّه لو كان كلّه محبوباً كان دار الثواب ولو كان كلّه مكروهاً كان دار العقاب، ودار الثواب والعقاب هذه صفتها.

واعلم انه لو لم نعرف علل ذلك كان جائزاً؛ وذلك أنه في بدء الأمر إذا أقمت الدلالة على انه حكيم في نفسه وفعله ثم دللت على ان الكل من أفعاله حكمة، استغنيت عن معرفة علله، ومثال ذلك من الشاهد: أنّا لو هجمنا على الآت من الآت الصانع فرأينا اعوجاج المعوجاء، واستواء المستويات، وصغر بعضها، وكبر بعضها، وغلظ بعضها، ورقّة بعضها، فحكمنا على ان صانعها غير حكيم. لكنّا جاهلين بالحكمة، نضع الحكمة في غير موضعها؟

بل حينئذٍ الواجب علينا ان نسلم للحكماء حكمتهم ونعرف انهم لا يفعلون ذلك إلّا لضرب من الحكمة يعرفونه، ونعرف انّ المعوج والمستوي، وكلّ زوج منها يصلح لعمل لا يصلح له الآخر، فحينئذٍ وضعنا الحكمة في موضعها، فاعرف ذلك وتبيّنه تجده كما قلنا ان شاء الله، فلما كانت أفعال الله كلها إحساناً، وداعية الى الاحسان كان تبارك وتعالى بفعلها كلّها حكيماً؛ إذ كلّ ذلك حسن في العقل.

فان قلت: لِمَ فعل الحسن في العقل؟

قيل لك: يفعل الحسن لحسنه، ولو لم يفعل الحسن لحسنه في العقل لكان لا يترك القبيح لقبحه، وكفى بهذا القول قبحاً.

قال الملحد: لقد أبلغت، انتهى.

قوله عليه السلام: «**ألا وقد امعنتم في البغي... الى آخره**»:

اعلم ان مصدر هذه الخطبة عن أمير المؤمنين عليه السلام ما علمه من حال الجمهور في زمانه بالخبرة والإخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعده بالاخبار منه صلى الله عليه وآله من كونهم يمتعضون من الاقرار بالفضل له على جميع المسلمين، وكونه إماماً، ومستخلفاً، ومأموراً باتباعه وسبب ذلك الاستكبار ممن كان في عصره ـ ممن كان يدّعي مناظرته ـ وتبعهم من جاء بعدهم تبع تقليد وحسن ظن بالمتبوع، فالقادة هم المعنيّون بالسادة والكبراء، ومعنى القاءهم الهجينة على ربهم، هو: انهم قالوا: اختيارهم ارجح من اختياره، وانهم أعلم بطرق

المصلحة منه. والأمثال المضروبة، يريد بها بيان حاله من كونه ابتلي به هذه الأُمة، وحال من خالفه منها، في كونه استكبار عتاة الأمم الماضين. ولم يزل يجمل ويعرّض حتى صرّح في آخر الخطبة بما ضرب الأمثال في شأنه.

فاعرف هذا، وابن كلامهعليه السلام يتضح لك غرضه ومغزى كلامه، واستكبار معاصريه عليه وخروجهم من حكم الله فيه، هو سبب كلّ فساد واختلاف وفرقة في هذه الأمة، كما ان سبب كلّ معصية في الأرض استكبار ابليس عن أمر الله له بالسجود لآدم.

فلابد ان يكون لأوّل من سنّ في هذه الأُمة الفتنة نصيب من إثم كلّ ذي فتنة فيها كما أوضح ذلك بحال ولد آدم في قتل أخيه.

وقد أشار الى ذلك بقوله ـ في بعض كلامه ـ:« من سن سنّة قبيحة كان عليه اثمها واثم العاملين بها الى يوم القيامة».

يحقّق ما قلته من اجتماع الناس على التعصب عليهعليه السلام من دون سبب اوله، ما ذكره الشيخ أبو جعفر الاسكافي[1] في نقضه على الجاحظ كتاب العثمانية. قال: لولا ما غلب على الناس من الجهل وحبّ التقليد، لم نحتج الى نقض ما احتجّت به العثمانية، فقد علم النّاس كافّة؛ انّ الدولة والسلطان لأرباب مقالتهم، وعرف كلّ أحدٍ علوّ أقدار شيوخهم وعلمائهم وأمرائهم، وظهور كلمتهم، وقهر سلطانهم وارتفاع التقية عنهم والكرامة، والجائزة لمن روى الأحاديث في فضل أبي بكر، وما كان من تأكيد بني أُمية لذلك، وما ولّده المحدّثون من الأحاديث طلباً لما في أيديهم، فكانوا لا يألون جهداً في طول ما ملكوا أن يُخْمِلُوا ذكرَ عليّعليه السلام وولده، ويطفئوا نورهم، ويكتموا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم، ويحملون الناس على شتمهم[2] وسبّهم ولعنهم على المنابر؛ فلم يزل السيف يقطرُ من دمائهم، مع قلّة عددهم وكثرة عدوّهم، فكانوا بين قتيلٍ وأسير، وشريد وهارب، ومستخفٍ ذليل، وخائف مترقّب، حتى إنّ الفقيه والمحدِّث والقاضي والمتكلّم، ليتقدّم

---

(١) هو محمد بن عبدالله أبو جعفر المعروف بالإسكافي، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٥: ٤١٦، وقال عنه: «أحد المتكلمين من معتزلة البغداديين، وله تصانيف معروفة... وبلغني انه مات في سنة أربعين ومائتين».

(٢) في ط : ويحملوا على شتمهم.

اليه ويتوعد بغاية الإيعاد وأشدّ العقوبة، أن لا يذكروا شيئاً من فضائلهم، ولا يرخّصوا لأحدٍ أن يهمّ بذلك[١]، وحتى بلغ من تقيّة المحدّث أنّه إذا ذكر حديثاً عن عليّ عليه السلام كَنى عن ذكره، فقال: قال رجلٌ من قريش، وفعل رجل من قريش، ولا يذكر عليّاً عليه السلام، ولا يتفوّه باسمه.

ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله، ووجّهوا الحِيَل والتأويلات نحوها، من خارجيّ مارق، وناصب حَنِق، وثابت[٢] مستبهم، وناشئ معاند، ومنافق مكذّب، وعثمانيّ حسود، يعترض فيها ويطعن، ومعتزلي قد نقض في الكلام، وأبصر علم الاختلاف، وعرف الشّبه ومواضع الطّعن وضروب التأويل، قد التمس الحِيَل في إبطال مناقبه وتأوّل مشهور فضائله، فمرّة يتأوّلها بما لا تحتمل، ومرّة يقصد أن يضع مِنْ قدرها بقياس منتقضٍ، ولا يزداد مع ذلك إلّا قوّة ورفعة، ووضوحاً واستنارة؛ وقد علمت أنّ معاوية ويزيد ومَنْ بعدهما من بني مروان أيام ملكهم ـ وذلك نحو ثمانين سنة ـ لم يدّعُوا جهداً في حمل الناس على شتمه ولعنه وإخفاء فضائله، وستر مناقبه وسوابقه[٣].

ثم أورد أبو جعفر روايات كثيرة تصدق قوله هذا[٤]، الى ان قال: وقد روي عن ابن مسعود إمّا موقوفاً عليه أو مرفوعاً: كيف أنتم إذا شملتكم فتنة يربو عليها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري عليها الناس فيتخذونها سنّة، فإذا غير منها شيء قيل: غيّرت السنّة!

قال أبو جعفر: وقد تعلمون أنّ بعض الملوك ربّما أحدثوا قولاً، أو ديناً لهوىً فيحملون عليه الناس فيجمعون على ذلك[٥]؛ حتى لا يعرفون غيره، كنحو ما أخذ الناس الحجّاجُ بن يوسف بقراءة عثمان، وترك قراءة ابن مسعود وأبيّ بن كعب، وتوعد على ذلك، بدون ما صنع هو وجبابرة بني اُمية وطغاة بني مروان بولد عليّ عليه السلام وشيعته، وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة، فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان، ونشأ

---

(١) في ط: أن يطيف بهم.
(٢) في هـ. ص: الثوابت: الحشوية.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٠.
(٤) في الصفحات ٢٢٠ ـ ٢٢٢ من المصدر المذكور.
(٥) في ط: فيحملون الناس على ذلك.

أبناؤهم لا يعرفون غيرها[١]؛ لإمساك الآباء عنها، وكفّ المعلمين عن تعليمها؛ حتى لو قرأت عليهم قراءة عبدالله وأبيّ ما عرفوها، ولظنّوا بتاليها[٢] الاستكراه والاستهجان؛ لإلف العادة [وطول الجهالة؛ لأنه اذا استولت على الرعيّة الغلَبة، وطالت عليهم أيام التسلّط، وشاعت فيهم المخافة، وشملتهم التقيّة؛ اتّفقوا على التخاذل والتساكت فلا تزال الأيّام تأخذ من بصائرهم؛ وتنقص من ضمائرهم، وتنقض من مرائرهم، حتى تصير البدعة التي أحدثوها غامرة للسنّة التي كانوا يعرفونها][٣] ولقد كان الحجّاج ومَنْ ولّاه، كعبد الملك والوليد ومَنْ كان قبلهما وبعدهما من فراعنة بني أُميّة على إخفاء محاسن عليّ عليه السلام وفضائله وفضائل ولده وشيعته، وإسقاط أقدارهم، أحرص منهم على إسقاط قراءة عبدالله وأُبيّ، لأنّ تلك القراءات لا تكون سبباً لزوال ملكهم، وفساد أمرهم، وانكشاف حالهم؛ وفي اشتهار فضل عليّ عليه السلام وولده وإظهار محاسنهم بوارُهم، وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم؛ فحرصوا واجتهدوا في إخفاء فضائله، وحملوا الناس على كتمانها وسترها؛ وأبى الله أن يزيد أمره وأمر ولده إلّا استنارة وإشراقاً، وحبُّهم إلّا شغفا وشدّة، وذكرهم الا انتشارا وكثرة، وحجّتهم الا وضوحا وقوّة، وفضلهم الا ظهوراً، وشأنهم إلّا علوّاً؛ وأقدارهم إلا إعظاماً، حتى أصبحوا بإهانتهم إيّاهم أعزّاء؛ وبإماتتهم ذكرهم أحياء؛ وما أرادوا به وبهم من الشرّ تحوّل خيراً، فانتهى الينا من ذكر فضائله وخصائصه ومزاياه وسوابقه ما لم يتقدّمه السابقون؛ ولا ساواه فيه القاصدون، ولا يلحقه الطالبون؛ ولولا أنّها كانت كالقِبْلة المنصوبة في الشُّهرة، وكالسُّنن المحفوظة في الكثرة؛ لم يصلْ إلينا منها في دهرنا حرف واحد؛ إذ كان الأمر كما وصفناه، انتهى ما ذكره الشيخ أبو جعفر مع اختصار نقلاً من شرح ابن أبي الحديد، والله أعلم[٤].

قوله عليه السلام: «ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد... الى آخره».

قال في شرح ابن أبي الحديد: واعلم أنّ محصول هذا الفصل أنّه كلّما كانت العبادة أشقّ

---

(١) في ط: ولا يعرفون غيرها.
(٢) في ط: بتأليفها.
(٣) ما بين المعقوفين من ط. ولم ترد في ص.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٤.

كان الثواب عليها أعظم، ولو أنّ الله تعالى جعل العبادات سهلة على المكلّفين لما استحقّوا عليها من الثواب إلّا قدراً يسيراً، بحسب ما يكون فيها من المشقّة اليسيرة، انتهى [١].

وأقول: قد أوضحعليه‌السلام في هذه الخطبة علل التكاليف الشرعية، وان مقصود الشارع منها هو الاختبار والابتلاء، لانقيادهم واذعانهم الذي هو كمال السجود، الذي هو كمال الشكر، الذي هو تعظيم المنعم لأجل نعمته، المستحسن بالفطرة.

كما ان ضده، وهو الاستخفاف بالمنعم، والإعراض عنه، كمال الكفر المستقبح بالفطرة.

وتفيد الشرعيات مع ذلك فوائد زوائد، ومصالح دنيوية وأخروية، كالتقريب من الطاعة والتبعيد من المعصية ـ الذي قصرت المعتزلة نظرها على اعتبارهما، وسمّوا معتبرهم مصالح وألطافاً، وتمحّلوا في بيان وجوههما تكلّفات الزمتهم شناعات ـ

ونحن نقول: حكمة الله أجلّ من أن يحيط البشر بتفاصيلها، فنذكر ما ظهر ونَكِل ما خفي أمره الى الله عزوجل.

امّا الإبتلاء، فقد دل على اعتباره الكتاب وكلام الرسولصلى‌الله‌عليه‌وآله وكلام أمير المؤمنينعليه‌السلام، والله أعلم.

قولهعليه‌السلام: « **فانكم تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب ولا علّة** »:

قال في شرح ابن أبي الحديد: وينبغي أن يحمل قولهعليه‌السلام: «فإنكم تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب ولا علّة»، على أنّه لا يعرف له سبب مُناسب، فكيف يمكن أن يتعصّبوا لغير سبب أصلاً!

ثم أورد رواية مجهولة في حكاية سبب لهذه الخطبة لا تصلح أن تكون سبباً لهذه الخطبة المبنيّ عليها قواعد الدين [٢].

وأقول: ان هذا الموضع من المواضع التي أشار فيها الى مقصوده خصوصاً، وان كان مقصود الخطبة كلّها هو هذا الغرض، لكن العبارة قد تعمّ وقد تخص.

يريدعليه‌السلام: انّكم تتعصبون لأمر لا يلحقكم نفع حصوله ولا ضرر نفيه ولا هو مما يخص

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٦١.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٦٧ و ١٦٨.

حالكم، فإنّ الجدال والمماحكة والقتال والمناصبة علىٰ كون غير أمير المؤمنين عليه السلام أفضل منه، والمكابرة والجحد لكونه منصوصاً عليه ومخصوصاً بخصائص الوصاية شيء لا يعرف له تعلّق بفاعله، لا يلحقه نفعه ولا ينقصه نفيه، وهذه الفتنة ديدن غير شيعته منذ قبض الله رسول الله صلى الله عليه وآله الى يوم الناس.

وإذا أردت أن تتحقّق أنّ الناس كلّهم تعصبوا عليه عليه السلام وعلىٰ ولده لغير سبب فتأمل ما ذكره الجاحظ في كتاب «العثمانية»، والقاضي عبد الجبار في كتاب «المغني» فاذا كان ذلك القدر من التعصّب صادر عن رؤساء المعتزلة الذين يدّعون التحقيق ويزعمون انّهم منتسبون إليه عليه السلام في أُصولهم، وهم أبعد الناس من الأسباب المقتضية للتعصب عليه، فما ظنّك بالحشوية والأشاعرة والخوارج والناصبة الذين كلامه عليه السلام مشحون بالرد لمقالاتهم والتشنيع عليهم وتزييف طرائقهم وهم جمهور الأُمة وأهل السلطان والغلبة وأهل الأحاديث والرواية.

ولا سبب لعصبية القوم عليه إلّا أنّ الله اصطفاه وزاده بسطة في العلم والجسم وأمرهم بطاعته[1] وأوجب عليهم اتباعه، فقالوا ـ كما قالت بنو اسرائيل ـ ﴿أنىٰ يكون له الملك علينا ونحن أحقّ بالملك منه﴾[2]، فحسده معاصروه وتعصّب لهم من أتىٰ بعدهم.

وبما نبّهتك على تأمله يتحقّق لك صدق تمثيله عليه السلام لحاله معه بحال إبليس مع آدم، وقابيل مع هابيل، ومترفة الأُمم مع الأنبياء، وان حاله عليه السلام في هذه الأُمة كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «كمثل باب حطة في بني اسرائيل»[3].

قوله عليه السلام: «واعتبروا بحال ولد اسماعيل وبني اسحاق وبني اسرائيل عليهم السلام .. الى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: لقائل أن يقول: ما نعرف أحداً من بني إسحاق وبني إسرائيل احتازتهم الأكاسرة والقياصرة عن ريف الآفاق الى البادية ومنابت الشّيح، إلّا أن يقال: يهود خيبر والنّضير وبني قُرَيظة وبني قينُقَاع، وهؤلاء نفرٌ قليل لايعتدّ بهم. ويُعلم

---

(١) كما ورد في القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

(٢) البقرة : ٢٤٧.

(٣) المعجم الصغير، للطبراني: ١٧٠، ط دهلي، وفيه: «وانما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له».

من فَحوىٰ الخطبة أنّهم غيرُ مرادين بالكلام، ولأنّه‌ﷺ قال: تركوهم إخوان دَبَر وَوَبَر، وهؤلاء لم يكونوا من أهل الوبر والدَّبَر، بل من أهل المَدَر؛ لأنـهم كـانوا ذوي حـصون وآطام. والحاصل أنّ الذين احتازتهم الأكاسرة والقياصِرة من الرّيف الى البادية، وصاروا أهل وَبَر ولدُ إسماعيل وهم العرب، فما باله قالﷺ فاعتبروا بحال بني اسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل[١]!

والجواب أنهﷺ ذكر في هذه الكلمات، وهي قوله: «فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل المقهورين والقاهرين جميعاً»؛ أما المقهورون فبنو إسماعيل، وأما القاهرون فبنو إسحاق وبنو إسرائيل، لأن الأكاسرة من بني إسحاق؛ ذكر كثير من أهل العلم أنّ فارس من ولد إسحاق، والقياصرة من ولد إسحاق أيضاً، لأنّ الروم بنو العِيص بن إسحاق، وعلى هذا يكون الضمير في «أمرهم»، و «تشتتهم» و «تفرقهم» يرجع الى بني إسماعيل خاصة.

فإن قلت: فبنو إسرائيل، أيّ مدخلٍ لهم هاهنا؟

قلت: لأنّ بني إسرائيل لمّا كانوا ملوكاً بالشام في أيام أجاب الملك وغيره، حاربوا العرب من بني إسماعيل غير مرّة، وطردوهم عن الشام، وألجئوهم على المقام ببادية الحجاز. ويصير تقدير الكلام: فاعتبروا بحال ولد إسماعيل مع بني إسحاق وبني إسرائيل؛ فجاء[٢] في صدر الكلام على العموم، ثم خصّص فقال: الأكاسرة والقياصرة؛ وهم داخلون في عموم ولد إسحاق، وإنما لم يخصّص عموم بني إسرائيل لأن العرب لم تكن تعرف ملوك ولد يعقوب، فيذكر لهم أسماءهم في الخطبة، بخلاف ولد إسحاق فإنهم كانوا يعرفون ملوكهم من بني ساسان ومن بني الأصفر، انتهى كلامه[٣].

وفيه تكلفات ودعاوي بعيدة.

وأقول: لا حاجة بنا الى ما تكلف، وان أمير المؤمنينﷺ ذكر من المقهورين جملة جمع بينهم في نظره تفرق الكلمة وتشتت الالفة وهم بنو إسماعيل وبنو إسحاق من

---

(١) العبارة في ط ناقصة. (٢) في ط: فجاء بهم.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٧٣.

اسرائيل، فذكر اسحاق للتشريف وليقابل به اسماعيل، وذكر اسرائيل للتخصيص؛ لئلّا يدخل بنو العيص. ثم ذكر من أحوالهم ما يستبشع، وان اختصت ببعضهم ـ وهم بعض ولد إسماعيل ـ لتهويل ما كانوا فيه من البلاء عند الاختلاف.

وقد كانت بنو اسرائيل مقهورين بالشام والعراق والحجاز من الأكاسرة والقياصرة وكانوا ينتظرون الفرج على الذين يقهرونهم بظهور رسول الله ﷺ وانما بغوا عليه بعد ظهوره وجحدوا.

ثم اختلف حال المقهورين من أجاب منهم الرسول ﷺ فعادوا ملوكاً للمالكين وأرباباً لمن كانوا عليهم متسلطين ببركة الأُلفة والطاعة. ولا يلزم أن يثبت الصفات والأحكام لجميع أفراد الجملة، وأيضاً: قد كان ذكر أحوال بني اسرائيل في وقت مقهوريّتهم وتمكينهم قبيل هذا، فاكتفىٰ بذلك، والله أعلم.

قوله عليه السلام: **«واعلموا انكم صرتم بعد الهجرة أعراباً... الى آخره»**:

الأعراب على عهد رسول الله ﷺ: مَنْ آمن به من أهل البادية ولم يهاجر إليه، وهم ناقصوا المرتبة عن المهاجرين؛ لجفائهم وقسوتهم وتوحّشهم، ونشئهم في بُعْدٍ من مخالطة العلماء، وسماع كلام الرسول ﷺ، وهذا هو الغالب من أمرهم، ذكر معناه في الشرح[1].

قلت: صار الاعرابي عبارة عن المنافق بجامع الإعراض عن الدين وعدم الاهتمام به وفي الكلام اشارة الى قوله ﷺ: «لا يبغضك إلّا منافق»، وقوله: «عدوّك عدوّي» وقوله: «حربك حربي»[2].

وهذا الموضع ـ أيضاً ـ من المواضع التي يشير فيها الى غرضه وما في نفسه وينعي على جمهور المنتسبين الى الاسلام سوء صنيعهم وباطل معتقدهم.

واعلم انه عليه السلام ينسب الى جملتهم ما وقع من بعضهم وما سيقع من بعضهم بجامع الرضىٰ والتسبيب، فهو ينسب الى المتقدمين أفعال المتأخرين وفسادهم؛ لأنهم سببوا لوقوع ذلك منهم، وينسب الى المتأخرين أفعال المتقديمن وتسبيبهم في الفساد، لأنهم رضوا به فاشترك الكل في كل ما وقع من ذلك.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٨١.

(٢) راجع شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٩٣.

وهذا نهج القرآن في قصصه لاخبار الماضين كما قص من اخبار بني اسرائيل ووجّه الخطاب الى الموجودين في زمن رسول الله ﷺ نحو قوله: ﴿واذ قتلتم نفساً﴾ ﴿واذ قلتم يا موسىٰ﴾ ونحو ذلك، فهو عليه السلام ينسب الى المخاطبين في زمنه ما وقع من فساد بعده؛ لأنه مسبب عن أفعال من سبقهم وقد رضوا بها فشاركوهم فيها وفي مسبباتها.

فاستوضح مقاصده عليه السلام لتفوز بفائدة كلامه.

قوله عليه السلام: « ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي... الى آخره»:

من هذا الموضع الى آخر الخطبة التصريح منه عليه السلام بحاله ومنزلته في الاسلام والتنبيه لهم على انه يجب عليهم أن ينزلوه المنزلة التي أنزله الله ورسوله بها فقد كانوا في أمره علىٰ خلاف ذلك وأن حقّه على الأُمة كحق رسول الله ﷺ كما دلّ عليه قوله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ». ودل عليه قوله تعالىٰ: ﴿فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾.

لم يختلف المفسرون في ان رسول الله ﷺ دعىٰ لذلك علياً وفاطمة والحسن والحسين، وان الأبناء كانوا الحسنين، والنساء كنّ فاطمة، والأنفس كانت رسول الله وعلياً.

دلّ ذلك على ان الله سوّى بين نفسيهما في الطهارة والزكاة والزُلفىٰ الى الله، فيجب ان يوقر ويعزر وينصر ويطاع كمثلِهِ، فمن عدل عن هذه الطريقة في حقه فهو كمن عدل عنها في حق رسول الله ﷺ.

فهذا التوبيخ والتقريع لذلك، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «فاما الناكثون ... الى آخره»:

وجدت في كتاب مؤلف في «تسمية من روىٰ عن زيد بن علي عليهما السلام» ما صورته: عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، مدني تابعي رأى سهل بن سعد، وسمع ام خالد بنت خالد، أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين المقري، قال: أخبرنا عبد العزيز بن إسحاق، قال: حدّثني محمد بن عيسىٰ بن سلام، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق الملي قال: حدّثنا أبو ابراهيم علي بن عبيد الله العمري، عن أبيه عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن

علي عليه السلام قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فاما الناكثون فأهل الجمل، وأما القاسطون فمعاوية وأصحابه، واما المارقون فالحرورية.

قال زيد: والله لو أمره بقتال الرابعة لقاتلهم، انتهىٰ.

وأقول: قول زيد عليه السلام: والله لو أمره ... الى آخره تحته سر عجيب ونكتة من الاستدلال لطيفة يعقلها ذوو الفطن والبصائر، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «واما شيطان الردهة... الى آخره».

قال في شرح ابن أبي الحديد: وأمّا شيطان الرّدهة، فقد قال قوم: إنّه ذو الثُّديَّة صاحب النهروان، ورووا في ذلك خبراً عن النبي صلى الله عليه وآله، وممّن ذكر ذلك واختاره الجوهريّ صاحب الصحاح[1]، وهؤلاء يقولون: انّ ذا الثُّدية لم يقتل بسيف، ولكنّ الله رماه يوم النهروان بصاعقة، وإليها أشار عليه السلام بقوله: «فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه»[2]. ووجدت في مناقب أحمد بن حنبل ما لفظه: حدّثنا عبدالله، قال: حدّثنا حجاج بن الشاعر، قال: حدّثني عبد الصمد بن عبد الوارث، حدّثنا يزيد بن أبي صالح، ان أبا الوصي عباداً حدّثه، انّه قال: كنّا عامدين الى الكوفة مع علي بن أبي طالب فذكر حديث المخدّج، فقال علي: فوالله ما كذبت ولا كذبت ـ ثلاثاً ـ فقال علي: اما ان خليلي أخبرني ان ثلاثة أخوة من الجن، هذا أكبرهم، والثاني له جمع كثير، والثالث فيه ضعف[3].

وفي هذا الكتاب أيضاً: بعد أن ذكر السند وصدر الحديث الى قوله: قال: فحمد الله علي بن أبي طالب فقال: ان خليلي أخبرني إنّ قائد هؤلاء رجل مخدج على حلمة ثديه ثلاث شعرات كأنهن ذنب اليربوع.

فالتمسوه في القتلىٰ فلم يجدوه، فأتيناه فقلنا: إنّا لم نجده. فجاء علي بنفسه فجعل يقول: إقلبوا ذا، إقلبوا ذا، حتىٰ جاء[4] رجل من أهل الكوفة، فقال علي: الله أكبر لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟

---

(١) الصحاح ٨: ٢٢٣٢، وفيه: قال الخليل: الردهة: شبه أكمة كثيرة الحجارة. وفي الحديث أنّه صلى الله عليه وآله ذكر المقتول بالنهروان، فقال: «شيطان الردهة».

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٨٣. (٣) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٤١.

(٤) في هـ،ص في هذا الموضع ما يلي: كذا وجد، ولعله أراد: حتىٰ ظهر.

قال: فجعل الناس يقولون: هذا مالك هذا مالك.

يقول علي ابن من؟ انتهى نقلاً من مناقب أحمد بن حنبل[١].

قلت: ولا بعد في ان يجعل الله الجني رجلاً لحكمة ان يُعلم به الفرقة التي علم يقاتلها أهل الحق من أُمّة محمّد ﷺ إلى يوم القيامة وكيف يستبعد ذلك وقد قال تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾ ومعلوم قطعاً ان الملائكة عليهم السلام كانوا ينزلون في صورة البشر، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «بالقرابة القريبة»:

هي انه ابن عمه دنياً، وان أبويهما أخوان لأب وأُم دون غيرهما من بني عبد المطلب إلّا الزبير.

والمنزلة الخصيصة: إن أباه كفل رسول الله ﷺ دون غيره من الاعمام وربّاه في حِجره، ثم حامى عنه ونصَره عند إظهار الدّعوة دونَ غيره من بني هاشم، ثمّ ما كان بينهما من المصاهرة التي أفضت الى النسل الأطهر دون غيره من الأصهار، انتهى من الشرح .

قوله عليه السلام: «وضعني في حجره ... الى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: روىٰ الطبري في تاريخه: قال حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثني محمد ابن إسحاق قال: حدّثني عبد الله بن نجيح، عن مجاهد، قال: كان من نعمة الله عزّوجلّ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وما صنع الله له، وأراده به من الخير، أنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيالٍ كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمّه ـ وكان من أيسر بني هاشم ـ إنّ أخاك أبا طالب كثيرُ العيال، وقد ترى ما أصاب النّاس من هذه الأزمة، فانطلق بنا، فلنخفّف عنه من عياله، آخذ من بيته واحداً، وتأخذ واحداً، فنكفيهما عنه. فقال العبّاس: نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنّا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن النّاس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ عليّاً فضمّه إليه، وأخذ العباس جعفراً عليه السلام،

---

(١) رواه أحمد بن حنبل في المناقب كما رواه في المسند ١: ١٤١.

فضمّه اليه، فلم يزل عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بعثه الله نبيّاً، فـاتّبعه عليّ عليه السلام، فأقرّ به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العبّاس حتى أسلم واستغنى عنه[1].

قوله عليه السلام: «اتبعه اتباع الفصل اثر امه... الى آخره»:

قال في الشرح: قال الطبري: وحدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكّة، وخرج معه عليّ بن أبي طالب عليه السلام مستخفياً من عمّه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسـائر قـومه، فيصلّيان الصّلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا.

ثم إنّ أبا طالب عثر عليهما وهما يصلّيان، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: يابن أخي، ماهذا الذي أراك تدين به؟ قال: يا عمّ هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم ـ أو كما قال ـ بعثني الله به رسولاً الى العباد، وأنت يا عمّ أحقّ مَن بذلت له النصيحة، ودعوته الى الهدىٰ، وأحقّ مَن أجابني إليه، وأعانني عليه ـ أو كما قال. فقال أبو طالب: يابن أخي، إنّي لا أستطيع أن أفارقَ ديني ودين آبائي، وما كانوا عليه، ولكن والله لا يـخلص إليك شيء تكرهه ما بقيت.

وروى جبير بن مُطعم، قال: قال أبي مُطعم بن عدي لنا ونحن صبيان بمكة: ألا ترون حبّ هذا الغلام ـ يعني عليّاً ـ لمحمّد واتّباعه له دون أبيه! واللّات والعُزّىٰ، لوددت أنّه ابني بفتيان بني نوفل جميعاً![2]

قوله عليه السلام: «ولقد قرن الله به ... الى آخره»:

قال في الشرح: وروى أنّ بعض أصحاب أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام سأله عن قول الله عزوجلّ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾[3]. فقال عليه السلام: يوكّل الله تعالى بأنبيائه ملائكةً يحصون أعـمالهم، ويـؤدّون إليـه تبليغهم الرّسالة، ووكلّ بمحمّد صلى الله عليه وآله مَلَكاً عظيماً مـنذ فُـصِل عـن الرّضـاع يـرشده الى

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٩٩ عن تاريخ الطبري ٢: ٣١٣ (طبعة المعارف).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٠٠ ـ ٢٠١ عن تاريخ الطبري ٢: ١٦١ ـ ١٦٥ (طبع المعارف).

(٣) الجن: ٢٧.

الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصدّه عن الشرّ ومساوئ الأخلاق، وهو الذي كان يناديه: السّلام عليك يا محمّد، السلام عليك يا رسول الله وهو شابٌّ لم يبلغ دَرجة الرّسالة بعد، فيظنّ أنّ ذلك من الحجر والأرض، فيتأمّل فلا يرىٰ شيئاً.

ورویٰ محمد بن حبيب في «أماليه» قال: قال رسول الله ﷺ: أذكُر وأنا غلام ابن سبع سنين، وقد بنى ابن جُدعان داراً له بمكّة، فجئت مع الغلمان نأخذ التراب والمدر في حجورنا فننقله، فملأت حجري تُراباً فانكشفت عورتي، فسمعت نداءً من فوق رأسي: يا محمّد، أرْخِ إزارك، فجعلت أرفع رأسي فلا أرىٰ شيئاً، إلّا أني أسمع الصوت، فتماسكت ولم أُرْخِه، فكأنّ إنساناً ضربني علىٰ ظهري، فخررت لوجهي، وانحلّ إزاري فسترني، وسقط التراب الى الأرض، فقمت الى دار أبي طالب عمّي ولم أعد، انتهىٰ[1].

قوله ﷺ: «وكان يجاور في كل سنة بحراء... الى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: وأما حديث مجاورته عليه الصلاة والسلام بحراء فمشهور، وقد ورد في الكُتب الصحاح أنّه كان يجاور في حِراء من كلّ سنة شهراً، وكان يُطعِم مَنْ جاءه في ذلك الشهر من المساكين، فإذا قضى جواره من حِراء، كان أوّل ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي الكعبة قبل أن يأتي بيته[2]، فيطوف بها سبعاً، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع الى بيته، حتى جاءت السنة التي أكرمه الله فيها بالرسالة، فجاور في حِراء شهر رمضان، ومعه أهله: خديجة وعلي بن أبي طالب وخادم لهم، فجاءه جبريل بالرسالة، قال رسول الله ﷺ: جاءني وأنا نائم بِنمط فيه كتاب، فقال: أقرأ، قلت: ما أقرأ، فغتّني[3] حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[4]. فقرأته، ثم انصرف عنّي فانتبهت من نومي، وكأنما كتب في قلبي كتاب، وذكر تمام الحديث، انتهىٰ[5].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠٨.
(٢) في ط يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته.
(٣) في ص :فغطني، وفي هـ . ط: غتني، قال ابن الأثير: «الغت والغط سواء، كأنه أراد: عصرني عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة كما يجد من يغمس في الماء قهراً». النهاية ٣: ١٤٩.
(٤) العلق:٩٦ /١ ـ ٥.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٠٩.

قوله ﷺ: «ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الاسلام ... الى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: وأما حديث أنّ الاسلام لم يجتمع عليه بيت واحد [يومئذ إلّا النبي وهو ـ ﷺ ـ وخديجة][1] فيدل عليه ما رواه شريك بن عبدالله، عن سليمان بن المغيرة، عن زيد ابن وهب، عن عبدالله بن مسعود، أنّه قال: أوّلُ شيء علِمته من أمر رسول الله ﷺ أنّي قدمت مكّة مع عمومة لي وناس من قومي، وكان من أنفسنا شراء عِطْر، فأرشِدْنا[2] الى العباس بن عبد المطلب، فانتهينا إليه، وهو جالس الى زمزم، فبينا نحن عنده جلوساً، إذ أقبل رجلٌ من باب الصّفا، وعليه ثوبان أبيضان، وله وفرة الى أنصاف أذنيه؛ جعدة، أشمّ أقنى، أدعج العينين، كثّ اللحية، برّاق الثنايا، أبيض تعلوه حمرة، كأنّه القمر ليلة البدر، وعلى يمينه غلام مُراهق أو محتلم، حسن الوجه، تقفوهما امرأة، قد سترت محاسنها، حتى قصدوا نحو الحِجر، فاستلمه واستلمه الغلام[3]، ثم استلمته المرأة، ثم طاف بالبيت سبعاً، والغلام والمرأة يطوفان معه، ثم استقبل الحِجر، فقام ورفع يديه وكبّر، وقام الغلام الى جانبه، وقامت المرأة خلفهما، فرفعت يديها، وكبّرت، فأطال القنوت، ثم ركع وركع الغلام والمرأة، ثم رفع رأسه فأطال، ورفع الغلام والمرأة ثم سجد وسجد الغلام والمرأة معه، يصنعان مثل ما يصنع، فلمّا رأينا شيئاً ننكره، لا نعرفه بمكّة، أقبلنا على العباس، فقلنا: يا أبا الفضل، إنّ هذا الدّين ما كنّا نعرفه بمكّة فيكم؟ قال: أجلْ والله، قلنا: فمن هذا؟ قال: هذا ابن أخي، هذا محمّد بن عبد الله، وهذا الغلام ابن أخي أيضاً؛ هذا عليّ بن أبي طالب، وهذه المرأة زوجة محمّد، هذه خديجة بنت خويلد، والله ما على وجه الأرض أحدٌ يدين بهذا الدين؛ إلّا هؤلاء الثلاثة.

ومن حديث موسى بن داود، عن خالد بن نافع، عن عفيف بن قيس الكندي، وقد رواه عن عفيف أيضاً، مالك بن إسماعيل النهدي[4] والحسن بن عنبسة الوراق وابراهيم بن محمّد بن ميمونة[5]، قالوا جميعاً: حدّثنا سعيد بن جشم[6]، عن أسد بن عبدالله البجلي،

---

(١) من ط .
(٢) «فأرشدونا».
(٣) في ص: فاستلماه.
(٤) في ص: الهندي.
(٥) في ص: ميمون.
(٦) في ص: خثيم.

عن يحيى بن عفيف بن قيس[١]، عن أبيه، قال: كنت في الجاهلية عطّاراً، فقدمت مكّة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فبينا أنا جالس عنده، أنظر الى الكعبة، وقد تحلّقت الشمس في السماء، أقبل شابٌّ كأنّ وجهه القمر، حتى رمى ببصره الى السماء، فنظر الى الشمس ساعة، ثم أقبل حتى دنا من الكعبة، فصفّ قديمه يصلّي، فخرج على أثره فتىً كأنّ وجهه صحيفة يمانيّة، فقام عن يمينه، فجاءت امرأة متكفّفة[٢] في ثيابها، فقامت خلفهما، فأهوى الشاب راكعاً، فركعا معه، ثم أهوى الى الأرض ساجداً، فسجدا معه، فقلت للعباس: يا أبا الفضل، أمر عظيم! فقال: والله أمر عظيم! أتدري مَنْ هذا الشاب؟ قلت: لا، قال هذا ابن أخي، هذا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب [أتدري مَنْ هذا الفتىٰ؟ قلت: لا، قال:][٣] هذا ابن أخي عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب؛ أتدري من هذه المرأة؟ قلت: لا، قال: هذه ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ، هذه خديجة زوج هذا، وان محمّداً هذا يذكر أنّ إلهه إله السماء والأرض أمره بهذا الدين، فهو عليه كما ترىٰ، ويزعم أنّه نبيّ، وقد صدّقه على قوله ابن عمه عليٌّ هذا الفتىٰ، وزوجته خديجة، هذه المرأة؛ والله ما أعلم على وجه الأرض كلّها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

قال عفيف: فقلت له: فما تقولون أنتم ؟ قال: ننتظر الشيخ ما يصنع! يعني أبا طالب أخاه[٤].

وأمّا رنّة الشيطان، فروى أبو عبدالله أحمد بن حنبل في مسنده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة الليلة التي أُسري به فيها، وهو بالحجر يصلّي، فلما قضى صلاته، وقضيت صلاتي، سمعت رنّة شديدة، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرّنة؟ قال: ألا تعلم! هذه رنّة الشيطان، علم أنّي أسرى بي الليلة إلى السماء، فأيس من أن يُعْبَد في هذه الأرض[٥].

وروى عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال: كان عليٌّ عليه السلام يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل

---

(١) في ص: كيس.
(٢) في ط : متلففة.
(٣) لم ترد في ص ومنها وهذا.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٧.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٠٩، والبحار ٤٠: ٩١، ح ١١٤.

الرسالة الضوء ويسمع الصوت، وقال له ﷺ: «لولا أنّي خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوّة، فانّك ان لا تكن نبيّاً فإنّك وصيّ نبيّ ووارثه، بل أنت سيّد الأوصياء وإمام الأتقياء»[1].

وأما خبر الوزارة، فقد ذكره الطبري في تاريخه، عن عبدالله بن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2]، على رسول الله ﷺ دعاني، فقال: يا عليّ، إنّ الله أمرني أن أنذ عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعلمت أنّي متى أُبادئهم بهذا الأمر أرَ منهم ما أكره، فصمتُ حتىٰ جاءني جبريل عليه السلام، فقال: يا محمّد، إنّك إن لم تفعل ما أمرتَ به يعذّبك ربُّك؛ فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رِجْلَ شاة، واملأ لنا عُسّاً من لبن، ثم اجمع بني عبدالمطلب حتى أكلّمهم، وأُبلّغهم ما أمرت به. ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، وفيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب؛ فلمّا اجتمعوا إليه دعا بالطعام الّذي صنعت لهم، فجئت به، فلمّا وضعته تناول رسول الله ﷺ بضعةً[3] من اللحم فشقّها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصّحفة، ثم قال: كلوا باسم الله، فأكلوا حتّى مالهم الى شيء من حاجة، وأيم الله الذي نفس عليٍّ بيده، إن كان الرّجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمته لجميعهم، ثم قال: اسقِ القوم يا عليّ، فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه، حتى رووا جميعاً، وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلمّا أراد رسول الله ﷺ أن يكلّمهم بدَره أبو لهب الى الكلام، فقال: لَشَدَّ ما سحركم صاحبُكم! فتفرّق القوم، ولم يكلّمهم رسول الله ﷺ، فقال من الغد: يا عليّ، إنّ هذا الرّجل قد سبقني الى ما سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن أُكلّمهم، فعدلنا اليوم إلى مثل ما صنعت بالأمس، ثم اجمعهم لي. ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام، فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتّى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: اسقِهم، فجئتهم بذلك العُسّ، فشربوا منه جميعاً، حتى رووا، ثم تكلّم رسول الله ﷺ، فقال: يا بني عبد المطلب، إنّي والله ما أعلم أنّ شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢١٠، والبحار ٢٦: ٣٤٩، ح ٢٣.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) البضعة بالفتح، وقد تكسر: القطعة من اللحم.

جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدُّنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت أنا[١] وانّي لأحدثهم سِنّاً وأرمصهم[٢] عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم[٣] ساقاً: أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه، فأعاد القول، فأمسكوا وأعدت ما قلت، فأخذ برقبتي، ثم قال لهم: هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[٤].

ويدلّ على أنّه وزير رسول الله ﷺ من نصّ الكتاب والسنة قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[٥]. وقال النبي ﷺ في الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الاسلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى الا أنّه لا نبيّ بعدي» فأثبت له جميع مراتب هارون عن موسىٰ، فإذن هو وزير رسول الله ﷺ، وشادّ أزره، ولولا انّه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره.

وروى الطبري أيضاً في «التاريخ»: أنّ رجلاً قال لعليّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين، بم ورثت ابن عمّك دون عَمّك؟ فقال عليّ عليه السلام: هاؤم ثلاث مرات، حتى اشرأبّ الناس، ونَشَرُوا آذانهم، ثم قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبدالمطلب بمكّة، وهم رهطه[٦] كلّهم. يأكل الجذعة، ويشرب الفِرْق[٧]، فصنع مُدّاً من طعام، حتى أكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو، كأنه لم يمسّ، ثم دعا بغُمَر[٨]، فشربوا ورووا؛ وبقي الشراب كأنه لم يشرب، ثم قال: يا بني عبد المطلب، إنّي بعثت اليكم خاصة، والى الناس عامّة، فأيكم يبايعني على أن يكون

---

(١) ساقطة من التاريخ.
(٢) الرمص في العين: كالغمص، وهو قذى تلفظ به؛ كناية عن صغر سنه.
(٣) حمش الساقين: رفيعهما.
(٤) تاريخ الطبري ٢: ٣١٩ ـ ٣٢١ (المعارف)، وتفسير الطبري ١٩: ٧٤، ٧٥ (بولاق)، بتفصيل أوفىٰ.
(٥) طه: ٢٠ / ٢٩ ـ ٣١.
(٦) في ص: «رهط».
(٧) الفرق، بكسر الفاء، وبعضهم يقول بالفتح: مكيال كبير لأهل المدينة يكال به اللبن.
(٨) الغمر: القدح الصغير.

أخي وصاحبي، ووارثي؟ فلم يقُمْ إليه أحدٌ. فقمت إليه، وكنت مِنْ أصغر القوم، فقال: اجلس، ثم قال: ذلك ثلاث مرّات، كلّ ذلك أقوم إليه، فيقول: اجلس؛ حتى كان في الثالثة، فضرب بيده على يدي، فلذلك ورثتُ ابن عمّي دون عمّي[١].

ومن خصائصه ما دلّ عليه هذا الحديث: وروى عبد السلام بن صالح، عن إسحاق الأزرق، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، أنّ رسول الله ﷺ لمّا زوّج فاطمة، دخل النساء عليها، فقلن: يا بنت رسول الله، خَطَبك فلان وفلان، فردّهم عنك، وزوّجك فقيراً لا مال له، فلمّا دخل عليها أبُوها ﷺ رأى ذلك في وجهها، فسألها فذَكرت له ذلك، فقال: يا فاطمة، إنّ الله أمرني فأنكحتُك أقدمهم سلما؛ وأكثرهم عِلْما، وأعظمهم حِلْما؛ وما زوّجتك إلّا بأمرٍ من السماء؛ أما علمتِ أنه أخي في الدنيا والآخرة![٢].

وروى عثمان بن سعيد عن الحكم بن ظُهير، عن السّدي؛ أنّ أبا بكر وعمر خطبا فاطمة عليها السلام، فردّهما رسول الله ﷺ وقال: لم أومَر بذلك، فخطبها عليّ عليه السلام، فزوّجه إياها، وقال لها: زوّجتك أقدم الأُمة اسلاما .. وذكر تمام الحديث. قال: وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة، منهم أسماء بنت عميس، وأُمّ أيمن، وابن عبّاس وجابر بن عبدالله، وأبو أيوب الأنصاري ومعقل بن يسار.

قال: وقد روى محمد بن عبدالله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه أبي رافع، قال: أتيتُ أبا ذرّ بالرّبذة أودّعه، فلما أردت الانصراف، قال لي ولأناسٍ معي: ستكون فتنة، فاتّقوا الله، وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب، فاتّبعوه، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «أنت أوّل مَنْ آمن بي، وأول مَنْ يصافحني يوم القيامة، وأنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرِق بين الحقّ والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين؛ والمال يعسوب الكافرين؛ وأنت أخي ووزيري، وخير مَنْ أترك بعدي، تقضي دَيْني وتنجِز موعدي».

قال: وقد روى ابن أبي شيبة، عن عبدالله بن نُمَيْر، عن العلاء بن صالح، عن المِنْهال بن عمرو، عن عبّاد بن عبدالله الأسديّ، قال: سمعتُ عليّ بن أبي طالب، يقول: أنا عبدالله

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٢، عن تاريخ الطبري ٢: ٣٢١، ٣٢٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٧.

وأخو رسوله، وأنا الصّدّيق الأكبر، لا يقولها غيري إلّا كذّاب، ولقد صلّيت قبل الناس سبع سنين[١].

ومن خصائصه عليه السلام: انه ثبت مع النبي صلى الله عليه وآله يوم أُحد، بالاجماع، بخلاف غيره ففيه خلاف[٢].

وانه قتل أصحاب الألوية من بني عبد الدّار؛ منهم طلحة بن أبي طلحة، الّذي رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه انّه مردِفٌ كبشاً، فأوّله وقال: كبش الكتيبة نقتله.

[فلما قتله عليّ عليه السلام مبارزةً ـ وهو أول قتيل قتل من المشركين ذلك اليوم ـ كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال: «هذا كبش الكتيبة».][٣]

وما كان منه من المحاماة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد فرَّ الناس وأسلموه، فتصمد له كتيبة من قريش، فيقول: «ياعليّ، اكفني هذه» فيحمل عليها فيهزمها، ويقتل عميدها، حتى سمع المسلمون والمشركون صوتاً من قبل السَّماء:

لا سيف إلّا ذو الفقا ر ولا فتىً إلّا علي[٤]

وحتى قال جبريل: يا محمّد ان هذه للمواساة، قال: انه مني وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما[٥].

وله عليه السلام غير ذلك من الخصائص وكلّ واحد من هذه الخصائص مشهور نقل من طرق ووجوه كثيرة[٦].

قوله عليه السلام: «ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله ... الى آخر حديث الشجرة»:

قال في شرح ابن أبي الحديد:

وأمّا أمر الشجرة التي دعاها رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فالحديث الوارد فيها كثير مستفيض، قد ذكره المحدّثون في كتبهم، وذكره المتكلّمون في معجزات الرسول صلى الله عليه وآله ، والأكثرون رووا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٨.
(٢) نقل ذلك ابن أبي الحديد في ١٣: ٢٩٣.
(٣) من ط .
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٩٣ .
(٥) ذكره بإجمال ابن أبي الحديد في شرحه ١٣: ٣٩٢ .
(٦) انظر بعض تلك الخصائص في شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢١٥ .

الخبر فيها على الوضع الذي جاء في خطبة أمير المؤمنين، ومنهم من يروي ذلك مختصراً أنّه دعا شجرة فأقبلت تخُدّ إليه الأرض خَدًّا.

وقد ذكر البيهقي في كتاب «دلائل النبوّة» حديث الشجرة، ورواه أيضاً محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة والمغازي على وجه آخر، قال محمد بن إسحاق: كان رُكانة[١] بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشدَّ قريش كلّها، فخلا يوماً برسول الله ﷺ في بعض شِعاب مكة، فقال له رسول الله ﷺ: يا رُكانة، ألا تتقي الله، وتقبل ما أدعوك إليه؟ قال: لو أعلم أنّ الذي تقول حقٌّ لاتّبعتك، قال: أفرأيت إن صرعتُك؛ أتعلم أنّ ما أقول لك حقّ؟ قال: نعم، قال: فقم حتى أُصارعك، فقام رُكانة، فلمّا بطش به رسول الله ﷺ أضْجَعه لا يملك مِنْ نفسه شيئاً، فقال: عُدْ يا محمّد، فعادَ فصرعه، فقال: يا محمّد، إن هذا لعجبٌ حين[٢] تصرعني، فقال رسول الله ﷺ: وأعجب من ذلك إن شئت أريتُكه، ان اتقيت الله، واتّبعت أمري، قال: ماهو؟ قال: أدعو لك هذه الشجرة التي تراها، فتأتي، قال: فادْعُها؛ فدعاها، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال: ارجعي الى مكانك، فرجعت الى مكانها، فرجع رُكانة إلى قومه، وقال: يا بني عبد مناف، ساحِروا[٣] بصاحبكم أهل الأرض! فما رأيت أسحر منه قطّ، ثم أخبرهم بالذي رأىٰ، والذي صنع[٤]، انتهى[٥].

أقول: يقرب إلىٰ الذهن إن الملأ لمّا سمعوا بحديث ركانة جاؤا إلىٰ رسول الله ﷺ يطلبون منه ان يريهم ذلك كما تتطلع الناس إلىٰ الأُعجوبات لا لطلب الحق، والله أعلم.

---

(١) كذا ضبطه صاحب الاشتقاق ٧٨، بضم الراء.

(٢) ب: «حتى»، تصحيف، وفي ابن هشام: «أتصرعني».

(٣) ساحروا: أي غالبوهم بالسحر.

(٤) سيرة ابن هشام ١: ٤١٨ (نشر المكتبة التجارية).

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢١٥.

[١٩٣]

ومن خطبة له عليه السلام:

رُوِي أنَّ صاحباً لأميرالمؤمنين عليه السلام يقال له همّامُ كان رجلا عابداً، فقال له: يا أميرالمؤمنين: صفْ لي المُتّقين حتّى كأنّي أنظر إليهم، فَتَثَاقَلَ عليه السلام[١] عن جوابِهِ، ثم قال عليه السلام: يا همّامُ اتق ٱللهَ وأحْسن: ﴿إِنَّ ٱللهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَٱلَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[٢].

فلم يقنعْ هَمّامٌ بهذا[٣] القول حتى عزم عليه[٤]، فحمِد ٱلله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله.

ثم قال عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ ٱلْخَلْقَ ـ حِينَ[٥] خَلَقَهُمْ ـ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ[٦]؛ لأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ[٧]، وَوَضَعَهُمْ مِن الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ، فَالمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ ٱلْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمْ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمْ الاقْتِصَادُ[٨]، وَمَشْيُهُم التَّوَاضُعُ.

غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى ٱلْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ. نُزِّلَتْ[٩] أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي ٱلْبَلَاءِ، كَالَّذِي نُزِّلَتْ[١٠] فِي ٱلرَّخَاءِ.

وَلَوْ لَا[١١] ٱلأَجَلُ ٱلَّذِي كَتَبَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ[١٢] لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ،

---

(١) لم يرد عليه السلام في ب. (٢) النحل: ١٢٨.

(٣) في د: بذلك، و في هـ. د: بهذا ـ ض و ح و ب.

(٤) في هـ ب: أوجب، وفي هـ. ص: أي قال: عزمت عليك.

(٥) في ب: حيث. (٦) في ب: بمعصيتهم.

(٧) في هـ. د: معيشتهم ـ ب. (٨) أي ليس بالثمين جداً ولا بالحقير جداً.

(٩) في ب و ص و د: نزلت ـ في الموضعين. (١٠) المصدر نفسه.

(١١) في ب و ص: لولا بدون واو.

(١٢) في د: لهم، وفي هـ. د: كتب الله عليهم ـ ض، كتب عليهم ـ ب.

شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ.

عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ[١] كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ.

صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ[٢] رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةٌ[٣] مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ. أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ[٤] يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا[٥] أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ[٦] لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَه[٧] تَرْتِيلًا. يَحْزُنُونَ[٨] بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ[٩] بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ[١٠] فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ[١١] رَكَنُوا[١٢] إِلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَت[١٣] نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا[١٤] إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا[١٥] فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونَ[١٦] عَلَى أَوْسَاطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطَّلِبُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ.

وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ. قَدْ بَرَاهُمُ[١٧] الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا[١٨] وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ

---

(١) في هـ ص: يروي بالنصب على ان الواو بمعنىٰ مع وبالرفع بالعطف على الأصل.

(٢) في هـ. ب في نسخة الاصل: أورثتهم.

(٣) في هـ. ص: أي تجارتهم تجارة مربحة بحذف المبتدأ، ويروى تجارةً مربحةً بالنصب على انه مصدر محذوف الفعل. من الشرح.

(٤) في ب: ولم.

(٥) في هـ. ب في نسخة: ففادوا.

(٦) في ب: تالون، وفي هـ. د: تالون ـ ش.

(٧) في د: يرتلونها، وفي هـ ص في نسخة يرتلونها، وفي هـ. د ويرتلونها ـ ر، يرتلونه ـ ض ش و هامش م.

(٨) في ب: يحزّنون.

(٩) في هـ. ب: أي يهيّجون ويطلبون.

(١٠) في هـ. ب: قال أبو عبيد جمع الداء أدواء وجمع الدواء أدوية وجمع الدواة دويّ.

(١١) في هـ. ب: التشويق: تهييج الأمنية.

(١٢) في هـ. ب: اطمأنوا.

(١٣) التطلع: الأمل والاحتساب.

(١٤) في هـ. ب: مالوا به.

(١٥) الشديد من زفيرها.

(١٦) في هـ. ب: من الحنوة، أي التثني.

(١٧) في هـ. ب: من البري وهو النحت.

(١٨) في هـ. ب: أي زال عقولهم.

عَظِيمٌ. لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ ٱلْقَلِيلَ. وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ ٱلْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ. وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي. وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي[1]. ٱللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَٱجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَٱغْفِرْلِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ. وَحَزْماً فِي لِينٍ. وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ. وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ وَعِلْماً فِي حِلْمٍ. وَقَصْداً فِي غِنًى وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ. وَتَجَمُّلاً[2] فِي فَاقَةٍ. وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ. وَطَلَباً فِي حَلَالٍ وَنَشَاطاً فِي هُدًى وَتَحَرُّجاً عَنْ[3] طَمَعٍ يَعْمَلُ ٱلْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ.

يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ يَبِيتُ حَذِراً. وَيُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ ٱلْغَفْلَةِ. وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ ٱلْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. إِنِ ٱسْتَصْعَبَتْ[4] عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ[5] لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ.

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى. يَمْزُجُ[6] ٱلْحِلْمَ بِالْعِلْمِ. وَٱلْقَوْلَ بِالْعَمَلِ. تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ. قَلِيلاً زَلَلُه. خَاشِعاً قَلْبُهُ. قَانِعَةً نَفْسُهُ. مَنْزُوراً[7] أَكْلُهُ. سَهْلاً أَمْرُهُ. حَرِيزاً[8] دِينُهُ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ. مَكْظُوماً غَيْظُهُ. ٱلْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ. وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ. إِنْ كَانَ فِي ٱلْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ. وَإِنْ كَانَ فِي ٱلذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ ٱلْغَافِلِينَ.

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ. وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ. وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ. بَعِيداً فُحْشُهُ. لَيِّناً قَوْلُهُ. غَائِباً مُنْكَرُهُ. حَاضِراً مَعْرُوفُهُ. مُقْبِلاً خَيْرُهُ. مُدْبِراً شَرُّهُ.

فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ[9] وَفِي المَكَارِهِ صَبُورٌ. وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ. وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ. لَا يَضِيعُ مَا ٱسْتُحْفِظَ. وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ. وَلَا يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ وَلَا يُضَارُّ بِالجَارِ. وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ. وَلَا يَدْخُلُ فِي ٱلْبَاطِلِ وَلَا

---

(١) في ط: وربي أعلم بي مني بنفسي.

(٢) في ص: وتحملاً.

(٣) في ب وفي هـ. ب في نسخة: عن.

(٤) في هـ. د: استصعب ـ ب.

(٥) في ب: يكره.

(٦) في هـ. ب: يخلط.

(٧) في هـ. ب: قليلاً.

(٨) في هـ. ب: أي محرزاً ومحروزاً.

(٩) في هـ. ب: رزين.

يَخْرُجُ مِنَ ٱلْحَقِّ.

إنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ[١] صَمْتُهُ. وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ. وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ ٱللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ.

نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ. وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَتْعَبَ نَفْسَهُ لآخِرَتِهِ. وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ[٢]. وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ. لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ[٣] وَعَظَمَةٍ وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ[٤].

قالَ: فَصَعِقَ[٥] هَمَّامٌ[٦] صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فيها[٧] فَقالَ أميرُ المُؤْمِنينَ عليه السلام. أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ.

ثُمَّ قالَ: هَكَذَا تَصْنَعُ المَوَاعِظُ ٱلْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ[٨] فَمَا بَالُكَ أنت يا أميرَ المؤمنينَ[٩] فَقالَ عليه السلام:

وَيْحَكَ، إنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ، وَسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلاً لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسانِكَ!.

* * *

في دراية هذا الكلام ما رواه الشيخ أبو جعفر الاسكافي في كتابه المعيار والموازنة من كلامه عليه السلام ورسمه: وذكر عنه أيضاً، صلى الله عليه أنه قال:

إنّ لله خالصة من عباده، ونجباء من خلقه، وصفوة من بريّته، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالملكوت الأعلىٰ، أولئك أشباه الروحانيين في الدنيا أمثالهم فينا قليل. أولئك نجباء الله من عباده وأمناؤه في بلاده، والدعاة إلى معرفته، والوسيلة إلى دينه، هيهات هيهات بعدوا وفاتوا، ووارتهم بطون الأرض وفجاجها.

---

(١) في هـ ب لم يغمه أي لم يظلم وجهه ونفسه ولم يغمه من الغم.

(٢) في هـ . ب كرم.

(٣) في ب : لكبر.

(٤) في هـ . د: وخدعة ـ ب .

(٥) في هـ ب : غشي عليه .

(٦) في هـ . د: فصعق همام رحمه الله ـ ش.

(٧) في هـ . ب: أي مات.

(٨) في هـ . ب: القائل يعني به عبد الله بن الكوا.

(٩) لم ترد «صلوات الله عليه» في ص،وفي د و ط: عليه السلام .

على أنّه لم يخل الأرض من حجّة لله على خلقه، لأن لا تبطل حجج الله وبيّناته. هيهات هيهات أولئك قوم اصطفاهم الله لمعرفته، فحجبهم عن عيون خلقه، وقطع بهم عن امتحان الصبر، وحاد بهم عن آفات الدنيا وفتنتها، ألا وهم الذين قطعوا أودية الشكوك باليقين، وجازوا ظلم الإشتباه بنور البصائر واستعانوا على إعمال الفرائض بالعلم، واستدلّوا على فساد العمل بالمعرفة فهربوا عن وحشة الغفلة عمّا خلقوا له بالتنفّل. وتسربلوا العلم باتّقاء الجهل، واحتجزوا عن غرّة الإضطراب بخوف الوعيد، وجدّوا في صدق الأعمال لإدراك الثواب، وخلّوا عن الطمع الكاذب مع معانقة الهوىٰ، وقطعوا تجبّر[1] الإرتياب بروح اليقين، واستضاؤا بنور الآخرة في ظلم الدنيا، وأدحضوا حجج المبتدعين باتّباع السنن، وبادروا بالإنتقال عن المكروه قبل فوت[2] الإمكان، وسارعوا في الإحسان تعرّضاً للعفو عن الإساءة، وتلقّوا النِّعَم بالشكر استجلاباً للمزيد، وصيّروه نصب أعينهم عند خواطر الهمم، وحركات الجوارح.

عملوا فأخلصوا فادّخروا ما عملوا ليوم الجزاء، ولم يبذلوه[3] بالثمن الوكس في الدنيا، والطمع الكاذب، فلجأوا بهذه الأدوات الى معاقل الإيمان، وتحصّنوا من مكائد الشيطان، ومردة الإنس بحصن التوحيد، وتجرّدوا من سوء ضمائر الأنفس بإعمال الإخلاص، واحتجبوا من تقلّب الهوى بلزوم الحقّ، فوسمهم ذلك بسيماء المتّقين، وشواهد الصالحين.

أولئك قوم قطعوا الدنيا بالقوت من الحلال، ودافعوها بالراح، للتجربة والبلاغ لنفاد المدّة وانقطاع الأكل، وأحسنوا صحبتها بحسن السيرة[4] منهم في الأخلاق والآداب واصطفوا نور بهجتها، وتلألؤ زينتها بحسن وصف الآخرة.

أولئك قوم اتّخذوا الأرض بساطاً، والماء طيباً، وبقاع الأرض مساجد، ومساجدها بيوتاً، وبيوتها كمنازل الأضياف.

أولئك قوم نزع الله ما في قلوبهم من غلٍّ وطهّرهم تطهيراً، وسلّم قلوبهم من الريب

---

(١) في ط: وقطعوا منها.
(٢) في ط: فوات.
(٣) في ط: يبدلوه.
(٤) في ص: السِيَر.

والشّك فأنقاها، فأصبحوا وبطونهم خمصة[١] من أموال الناس، وأيديهم نقيَّة، وظهورهم خفيفة ﴿يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾، ﴿وإذا مرّوا باللّغو مرّوا كراماً﴾[٢].

أولئك قوم عرفوا الناس ولم يعرفوهم، بل عرفهم الله برضوان، فجعلهم مصابيح الهدى، وجلى بهم كلّ فتنة مضلّة[٣].

أولئك قوم عرفوا الدنيا بأبصار عيونهم، وصحبوها بأبدانهم، وعرفوا الآخرة بأبصار قلوبهم، وصحبوها بأرواحهم، فعاينوا بأبصار قلوبهم من ملك الآخرة، كبهجة ما عاينوا بأبصار عيونهم من زينة الدنيا، فزهدوا في الدنيا عياناً، ورغبوا فيما عاينوا بأبصار قلوبهم من ملك الآخرة، فأكلوا قصداً، وقدَّموا فضلاً، وأحرزوا ذخراًوشمَّروا في طلب البغية، بالسير الحثيث، والأعمال الزكية، وهم يظنّون ـ بل لا يشكون ـ انهم مقصّرون! وذلك لأنهم عقلوا حتى آمنوا، ثم آمنوا حتى أيقنوا، ثم أيقنوا حتى تعلَّموا، ثم تعلَّموا حتى علموا. ثمَّ علِموا حتى غنموا، ثمَّ أشفقوا حتّى تفكَّروا ثمَّ تفكّروا حتى أبصروا، فلما أبصروا تسوَّرت عليهم طوارق أحزان الآخرة، وقطع بهم الحزن عن حركات الألسن بالكلام، وكلَّت ألسنتهم من غير عيٍّ عن محاسن الوصف بالحكمة خوف التزيّن به فيسقطوا عند الله فأمسكوا، وإن حاجة أحدهم لتتلجلج في صدره، ما يأذن لنفسه في إظهارها خوفاً من شرّ نفسه، فأصبحوا ـ والله يا أخي مع حسن هذا الوصف ـ في الدنيا مقهورين، وأمسوا فيها محزونين، مع عقول صحيحة، ويقين ثابت، وقلوب شاكرة، وألسن ذاكرة، وأنفس ذليلة، وأبدان صابرة، وأنفاس مقهورة، وجوارح مطيعة، وأهواء معلَّقة بالملأ الأعلىٰ، أمراً عظيماً[٤].

---

(١) في ط خميصة.

(٢) مابين القوسين مقتبس من سورة الفرقان : ٢٥.

(٣) أي كشف بهم كلّ فتنة توقع الناس في الضلالة، وفي الحديث: (١٢٦٣) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق ٣: ٢٠٧: «أولئك مصابيح الهدى يخلى عنهم كل فتنة مظلمة...».

(٤) العبارة في ط هكذا: معلقة بالملكوت الأعلى معلقة أمراً عظيماً.

تراهم على[1] ذلك أهل دين، وشكر، وسلامة، وتوكل، ورضىً، وإيمان، ويقين. عقلوا عن الله مواعظه، فشغلوا الأدوات منهم فيما أُمِروا به وخُلِقوا له، وقطعوا الدّنيا بالصبر على لزوم الحقّ، وهجروا الهوى بدلالات عقولهم، وتمسّكوا بحصن التنزيل، وشريعة السُّنّة، فصارت الدنيا لهم سجناً، وذلك إنَّ المسجون مصيره إلى راحة.

ثمَّ خرجوا من الدنيا مغبوطين مغتبطين، فواهاً لوصفهم، بل واهاً لرؤيتهم، بل واهاً للميتة[2] معهم، فما شيء على الله العزيز أكرم[3] منهم. انتهى نقلاً من كتاب المعيار والموازنة[4]، وأنت إذا تأملت كلامه عليه السلام الذي في النهج والذي في كتاب المعيار والموازنة وسيأتي نظيره عند ايراد كلامه عليه السلام لكميل بن زياد، وجدت ما ذكره من الصفات وحال صفات خواص الصحابة في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله منطبقة علىٰ علماء محقين محققين زهدوا في الدنيا ورفضوها وحذروا من فتنها، ورغبوا في الآخرة ودعوا اليها وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأوضحوا ملتبسات الدين.

ولا تجد علماء فرقة يجمعون هذه الصفات إلّا علماء أهل البيت عليهم السلام لاسيما القدماء منهم المشردون المخوّفون الفارون بدينهم الى القفار وإلى أطراف الأرض.

وقد أوضح مراده كثير من كلامه الذي يذكر فيه أهل البيت عليهم السلام وأين ابدال الصوفية الذين يزعمونهم من ما ذكر من الصفات التي جلّها الدعاء الى نصرة دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكشف المشكلات ودفع شبه المبتدعين.

وأين علماء العامة مبتغوا الترؤس، ومن حرّفوا المقالات وطالبوا الدنيا، ومتّبعوا الأهواء ومؤنسوا الظلمة والمخاصمون عن الخونة من صفات قهر النفس وتذليلها والإشفاق والخوف والترقب والفرار من الدنيا وأهلها، لا يخفىٰ الحق عن المتوسمين، والله أعلم بالمهتدين.

---

(١) في ط : الى .
(٢) في ط: للمنية.
(٣) في ط: بأكرم.
(٤) المعيار والموازنة : ٨٦.

[١٩٤]

ومن خطبة له ﷺ يصف فيها المنافقين :

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ[١] مِنَ الطَّاعَةِ وَذَادَ[٢] عَنْهُ مِنَ الْمَعصِيَةِ. وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ[٣] تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ[٤] اعْتِصَاماً[٥]. وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاضَ[٦] إِلَى رِضْوَانِ[٧] اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ[٨] وَتَجَرَّعَ فِيهِ[٩] كُلَّ غُصَّةٍ وَقَدْ تَلَوَّنَ[١٠] لَهُ الْأَدْنَوْنَ[١١] وَتَأَلَّبَ[١٢] عَلَيْهِ الأَقْصَوْنَ وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا[١٣]. وَضَرَبَتْ لِمحَارَبَتِهِ[١٤] بُطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ[١٥] عَدَاوَتَهَا[١٦] مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ[١٧] وَأَسْحَقِ[١٨] المَزَارِ.

أوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ المُضِلُّونَ وَالزَّالُّونَ[١٩] الْمُزِلُّونَ[٢٠] يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً[٢١] وَيَعْمِدُونَكُمْ[٢٢] بِكُلِّ عِمَادٍ[٢٣]

---

(١) في هـ. ب: أي وفقنا للطاعة لهُ. (٢) في هـ. ب: أي دفع.

(٣) في هـ. ب، وفي نسخة: بمنته، وفي هـ. د: لمننه ـ ف ن، وروي لمننه ـ ك، وفي هـ. ب: أي مع منته وفي هـ ب أيضاً: نسأله تماماً من نعمته أي يتم بمنته النعمة.

(٤) في ط : لحبله. (٥) في هـ. ب: ونسأله اعتصاماً بحبله.

(٦) في هـ. ب: أي دخل. (٧) في هـ. ب: أي رضا.

(٨) في هـ. ب: أي شدة، وفي هـ ص : هي في الأصل: ما اجتمع من الماء وتكاثف، ثم استعير لكل كثير حتىٰ من المعاني. (٩) في هـ. ب: أي في الله.

(١٠) في هـ. ب: أي تغيّر. (١١) في هـ. ب: الأقرباء أبو جهل.

(١٢) في هـ. ب: أي اتحد وتجمع عليه الأبعدون من قرابته.

(١٣) في هـ. ب: جمع عنان. (١٤) في د: الى محاربته، لمحاربته ـ ب .

(١٥) في ص: ساحته. (١٦) في هـ ص في نسخة: عدواتها.

(١٧) في هـ. ب: أي من أقاصي البلاد. (١٨) اسحق: أقصىٰ وأبعد .

(١٩) هـ. ب: من الزلل.

(٢٠) في هـ. ب: من الازلال وهو الزول والانحراف من مكانه ومما هو عليه من الانقياد.

(٢١) في ب :في نسخة: ويفتنون افتناناً، وفي هـ. ب: يفتنون، أي يبذرون أنواع الفتن المختلفة، والافتتان: الوقوع في الفتنة.

(٢٢) في هـ. ب: أي يقصدونكم بكل قصد، وفي هـ ص: يهدونكم ويقدحونكم.

(٢٣) في هـ. ص: ما يجعل به المصاب عميداً.

وَيَرْصُدُونَكُمْ[1] بِكُلِّ مِرْصَادٍ. قُلُوبُهُمْ دَوِيَةٌ[2]. وَصِفَاحُهُمْ[3] نَقِيَّةٌ. يَمْشُونَ الْخَفَاءَ[4]. وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ[5]. وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ. وَقَوْلُهُمْ[6] شِفَاءٌ. وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ[7]. حَسَدَةُ الرَّخَاءِ[8] وَمُؤَكِّدُوا الْبَلَاءِ وَمُقْنِطُوا الرَّجَاءِ لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ وَلِكُلِّ شَجْوٍ[9] دُمُوعٌ. يَتَقَارَضُونَ[10] الثَّنَاءَ[11] وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ. إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا[12] وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا[13] وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا.

قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً[14]. وَلِكُلِّ قَائِمٍ[15] مَائِلاً[16]. وَلِكُلِّ حَيٍّ[17] قَاتِلاً[18] وَلِكُلِّ

---

(١) في هـ. ب: أي يرصدون أوقات، وفي هـ. ص: أي يتربصون بكم الدوائر.

(٢) في هـ. ب: من الداء الدوي، وفي هـ. ص: رواية ابن أبي الحديد: دوية بخفقان قال أي ذات داء قال ومن شدّد فليوافق نفيه.

(٣) في هـ. ب: الصفاح جمع صفيحة، وهي عرض بدنه وجسده، أي ما ظاهره طاهر وباطنه نجس، وفي هـ. ص: أي وجوههم.

(٤) في هـ. ب: خفي السير خفاء، وبرح الخفاء أي وضح الأمر.

(٥) في هـ. ب: الضرّاء: الضرر، يعني فيما يوازي مشقة، وفي هـ. ص: هو شجر الوادي الملتف، يقال للرجل اذا حدث صاحبه هو: بدت له الضراء وتمسى له الحمر، قال بشر:

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا ... بشبهارة لا يمشي الضراء رقيبها

ذكره في الصحاح في معتل اللام، والهمزة منقلبة عن واو، وفي ديوان الارب في باب فعال بفتح الضاء، والضراء: شجر الحنظل اذا اصفر.

(٦) في ص: وقلوبهم.

(٧) العياء: الذي أعيى الأطباء ولا يمكن الشفاء منه.

(٨) في هـ. ب: الرخاء والسهولة.

(٩) الشجو: الحزن أي يبكون تصنّعاً متى أرادوا.

(١٠) في هـ. د: يتفارضون ـ ش، وروي يتفارضون بالفاء ـ ر.

(١١) في هـ. ب: من القرض، وفي هـ. ص: أي يثني هذا على هذا فيجزيه هذا بثنائه فكأن الأول أقرض الآخر، وما أحسن ما أنشده ابن الاعرابي من الشعر القديم.

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر

وبقيت في خلف يزين بعضهم ... بعضاً ليستر معور عن معور

(١٢) في هـ. ب: أي ألحّوا.

(١٣) في هـ. ب: أي لاموا.

(١٤) في هـ. ص: يعارض به.

(١٥) في هـ. ص: كل قول ودليل.

(١٦) في هـ. ص أي عادلاً من الجواب.

(١٧) في هـ. ص أي الحق.

(١٨) في هـ. ص: أي شبهه يقتله.

بَابٍ مِفْتَاحاً وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً. يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْـلَاقَهُمْ[١] يَـقُولُونَ فَـيُشَبِّهُونَ[٢] وَيَـصِفُونَ فَـيُمَوِّهُونَ[٣] قَـدْ هَـيَّئُوا[٤] الطَّـرِيقَ، وَأَضْلَعُوا[٥] المَضِيقَ فَهُمْ لُمَّةُ[٦] الشَّيْطَانِ وَحُمَةُ[٧] النِّيرَانِ: ﴿أُولَـٰئِكَ حِـزْبُ ٱلشَّـيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَانِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾[٨].

---

(١) هـ. ب: انفق ضد الكساء في بيع المتاع، من النفاق وهو اتجار المتاع، يمنع سوق الرجل.

(٢) في هـ. ص: أي يشبهون باطلهم بالحق. (٣) في هـ. ب: يموهون: من موّه الدرهم إذا طلاه.

(٤) في ط: هوّنوا، وفي هـ. د: هونوا ــ ض ح، ب.

(٥) في هـ. ب: الضلع الاتساع والضلع الاعوجاج، المراد: انهم يهونون على الناس طرق السير معهم على أهوائهم، ثم بعد ان ينقادوا لهم يضلعون عليهم الطرق، أي يجعلونها معوجة يصعب تجاوزها فيهلكون. (٦) في هـ. ب: اللمة: الجماعة.

(٧) في هـ. ب: أي سم، وفي هـ ص بالتخفيف.

(٨) المجادلة: ١٩.

ومن خطبة له عليه السلام:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ[١]. وَجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ مَا حَيَّرَ مُقَلَ اَلْعُيُونِ[٢] مِنْ عَجَائِبِ[٣] قُدْرَتِهِ وَرَدَعَ[٤] خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ[٥] النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ[٦]. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللّٰهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ اَلْهُدَى دَارِسَةٌ. وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ[٧]. فَصَدَعَ[٨] بِالْحَقِّ. وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ. وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ. وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ[٩] صلى الله عليه وآله.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اَللّٰهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً. وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً[١٠]. عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ. وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ. فَاسْتَفْتِحوهُ وَاسْتَنْجِحُوهُ[١١] وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ[١٢]. فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ. وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ[١٣]. وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ. وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ. لَا يَثْلِمُهُ[١٤] اَلْعَطَاءُ[١٥] وَلَا يُنَقِّصُهُ[١٦] اَلْحِبَاءُ وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ وَلَا يَسْتَقْصِيهِ[١٧] نَائِلٌ وَلَا يَلْوِيهِ[١٨] شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ وَلَا يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ وَلَا

---

(١) في هـ. ب: من آيات قدرته.

(٢) في ب مقل العقول. وفي هـ. ب أي العقول القوية والزكية.

(٣) في هـ. د: وروي من آيات ـ ر.

(٤) في هـ. ب: أي زجر.

(٥) هماهم النفوس همومها في طلب العلم، و في هـ. ب: جمع همه.

(٦) في هـ. ب: معرفة.

(٧) من طمس أي انمحى واندرس.

(٨) في هـ. ب: أي ظهر.

(٩) في هـ. ب: أي بالوسط.

(١٠) في هـ. ب: أي مهملاً، وفي هـ. ص: هو ارسال الماشية من غير كافل ولا وازع.

(١١) أي اسألوه النجاح في أعمالكم. وفي هـ. ب: اظفروا.

(١٢) في هـ. د: واستمنحوه ـ ر، وفي هـ. ب: طلب العطاء.

(١٣) في هـ. ص: هذه العبارة لتمثيل الاحاطة.

(١٤) هـ. ص: بالكسر، وهو في الأصل كسر جانب الاناء فاستعير لكسر الحال واشتهر حتى استعمل فيمن لا حال له.

(١٥) في هـ. ب: العطاء: الحباء.

(١٦) في هـ. د: ولا يبغّضه ـ ب.

(١٧) في هـ. د: ولا يستنقصه ـ م.

(١٨) في هـ. ب: لا يميله من اماله من الميل.

تَحْجُزُهُ[١] هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ. وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَلَا تُولِهُهُ[٢] رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ[٣] وَلَا يُجِنُّهُ ٱلْبُطُونُ[٤] عَنِ ٱلظُّهُورِ[٥] وَلَا يَقْطَعُهُ ٱلظُّهُورُ عَنِ ٱلْبُطُونِ. قَرُبَ فَنَأَى وَعَلَا فَدَنَا وَظَهَرَ فَبَطَنَ وَبَطَنَ فَعَلَنَ[٦] وَدَانَ[٧] وَلَمْ يُدَنْ لَمْ يَذْرَإِ[٨] ٱلْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ[٩] وَلَا ٱسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ[١٠].

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا الزِّمَامُ[١١] وَٱلْقِوَامُ[١٢] فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا وَٱعْتَصِمُوا بِحقَائِقِهَا تَؤُولْ[١٣] بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ[١٤] ٱلدَّعَةِ[١٥] وَأَوْطَانِ ٱلسَّعَةِ وَمَعَاقِلِ[١٦] ٱلْحِرْزِ وَمَنَازِلِ ٱلْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَارُ وَتُظْلِمُ لَهُ ٱلْأَقْطَارُ وَيُعَطَّلُ فِيهِ[١٧] صُرُومُ[١٨] ٱلْعِشَارِ[١٩]

---

(١) في ب: لا يحجزه و في هـ. ب: أي لا يشغله.

(٢) في هـ: يولهه وفي هـ ب المولہ الذي وله عقله، يقال وله موله اذا أرسل وذهب بلا رأي.

(٣) في هـ. ص أي لا يكون رحمته رقة تحجزه عن عقاب مستحق العقاب، كما هو شأن رحمة المخلوق.

(٤) في هـ. ص : مصدر بطن .

(٥) في هـ. ص مصدر ظهر.

(٦) في هـ. ص قرب بعلمه فنأى بجلاله، وعلا بكبريائه فدنا برحمته، وظهر بدليل وجوده فبطن بعلم يعلم كنه ذاته.

(٧) دان: أي جازىٰ وحاسب ولم يحاسبه أحد، وفي هـ. ب :داينت الرجل، اذا عاملته وأقرضته.

(٨) في ص: ولم يذر. ذرأ أي خلق، و في هـ. د: روى ولم يدر ـ ر.

(٩) الاحتيال :النظر في العمل وطلب التمكن من ابرازه، ولا يكون إلا من العجز.

(١٠) في ب: ولا كلال، وفي هـ. ب: لا كلال له فيستعين.

(١١) في هـ. ص: أي يقودكم الى الخير الأبدي.

(١٢) في هـ. ب: القوام ما يقوم به أمركم وفي هـ ص أي يقيم بها أمركم العجز.

(١٣) في هـ: لتئول وفي هـ. ب: أي لترجع.

(١٤) في هـ. ب: الأكنان جمع كن وهو المكان الخالي من الآفات.

(١٥) في هـ. ب: الجنة.

(١٦) في هـ. ب: المعقل: الملجأ.

(١٧) في ب : وتعطل .

(١٨) في هـ. ب: الصرمة جمع صرمة، وهي القطيعة من الابل ، وفي هـ. ص: جمع صرم وصرمة، القطيعة من الابل نحو الثلاثين.

(١٩) في هـ. ب: الحوامل عشرة أشهر، وفي هـ. ص: العشار النوق لها عشرة أشهر من يوم اللقاح، والكلام من قوله: ﴿وإذا العشار عطلت﴾، وانما خصت بالذكر لأنها أعزّ أموال العرب اليها ←

وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ. فَتَزْهَقُ(١) كُلُّ مُهْجَةٍ وَتَبْكَمُ(٢) كُلُّ لَهْجَةٍ(٣) وَتَذِلُّ الشُّمُّ(٤) الشَّوَامِخُ(٥) وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ(٦). فَيَصِيرُ صَلْدُهَا(٧) سَرَاباً رَقْرَقاً(٨) وَمَعْهَدُهَا(٩) قَاعاً سَمْلَقاً(١٠) فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ(١١) وَلَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ وَلَا مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ(١٢).

← والمعنى يوم يذهل ذو المال عن ماله ولو كان نفيساً نحو ﴿يوم تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت﴾ والله أعلم.

(١) في ص وتزهق، وفي هـ. ص:في نسخة:فتزهق، وفي هـ. ب: أي تزهق كل العقول، وفي هـ ص:أي تهلك.

(٢) في هـص: أي تخرس.

(٣) في هـص: أي فصاحة وذلاقة.

(٤) الشم: جمع أشم وهو الرفيع.

(٥) الشوامخ: المتسامي في الارتفاع.

(٦) في هـ. ب: الاحجار الثوابت.

(٧) في هـ. ص: الصلد هو الصلب شديد الصلابة.

(٨) في هـ. د: وروي سراباً رقراقا ـ ر، وفي هـ. ب: المضطرب، والرقراق: ما يتملق من مفارع السراب أي لمعانه.

(٩) المعهد المحل الذي يعهد وجودها فيه، وفي هـ. ب: أي مكانها.

(١٠) في هـ. ص: أي مستويا.

(١١) في هـ. د: فلا شفيع ولا حميم ـ ب.

(١٢) في هـ. د: لا حميم ينفع ولا معذرة تدفع ـ ش.

ومن خطبة له عليه السلام:

بَعَثَهُ حِينَ لَا عَلَمٌ[١] قَائِمٌ وَلَا مَنَارٌ[٢] سَاطِعٌ[٣] ولا مَنْهَجٌ واضِحٌ.

أوصِيكُمْ عِبادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ وأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيا، فإِنَّها دَارُ شُخُوصٍ[٤] وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ[٥]. ساكِنُها ظاعِنٌ[٦]. وَقاطِنُها بائِنٌ[٧] تَمِيدُ[٨] بِأَهْلِهَا مَيدانَ[٩] السَّفِينَةِ، تَصفقُها[١٠] العَوَاصِفُ فى لُجَجِ الْبِحَارِ فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوبِقُ[١١] وَمِنْهُمُ النَّاجِي على متُونِ[١٢] الأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ[١٣] الرِّياحُ بِأَذْيالِها وَتَحْمِلُهُ على أَهْوَالِها فَمَا غَرِقَ مِنْها فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ وما نَجا مِنْها فَإِلَى مَهْلَكٍ.

عِبادَ ٱللهِ الآنَ فَاعْلَمُوا وَالأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ والأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ والأَعْضاءُ لَدْنَةٌ[١٤] وَالمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ[١٥] والمجَالُ عَرِيضٌ قَبْلَ إِرْهاقِ[١٦] الْفَوْتِ[١٧] وَحُلُولِ الْمَوْتِ فَحَقِّقُوا[١٨] عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ وَلا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ.

---

(١) العلم والعلامة معروفان،أي علامة الدين والعلم المراد به أي واجد لذلك.

(٢) في هـ. ب: المنار موضع النور أي نور الاسلام.

(٣) في هـ. ب: نور مرتفع.

(٤) في هـ. ب: أي دار.

(٥) أي محل نغصٍ.

(٦) الظاعن: المغادر.

(٧) في هـ. ب: قطن بالمكان: أقام به.

(٨) في هـ. ب: أي تميل أهلها.

(٩) في هـ. ب: ميلان السفينة.

(١٠) في ط: تقصفها، وفي هـ. د: تقصفها ـ ض ح ب، وفي هـ. ب: أي تقلبها.

(١١) في هـ. ب: أي الهالك، وفي هـ ص : هو الهالك، ويقال: وبق وبوقا، وفيه رواية أخرى: وبق يوبق وبقا، ولغة ثالثة: وبق الرجل ـ بالكسر ـ يبق بالكسر أيضاً، من الشرح.

(١٢) في ط: بطون، وفي هـ. د: بطون ـ ض، ح، ب.

(١٣) في هـ. ب: الليل يحفز النهار أي يسوقه، وفي هـ. ص: أي تسوقه وتعجله.

(١٤) في هـ. ب: لينة، وفي هـ. ص: أي رطبة. (١٥) هـ. ب: أي واسع.

(١٦) في هـ. ب: اسراع، وفي هـ. ص: أي غشيان.

(١٧) في هـ. ص: أي اتيانه.

(١٨) أي اجعلوه حقيقة.

[١٩٧]

ومن خطبة له عليه السلام[(١)]:

وَلَقَدْ عَلِمَ ٱلْمُسْتَحْفَظُونَ[(٢)] مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى ٱللهِ وَلاَ عَلَى رَسُولِهِ ساعَةً قَطُّ[(٣)]. وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ[(٤)] بِنَفْسِي فِي المَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ[(٥)] فِيها الأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ الأَقْدَامُ[(٦)]، نَجْدَةً[(٧)] أَكْرَمَنِي ٱللهُ بِهَا[(٨)].

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وآله وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ[(٩)] سالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَرْتُها عَلَى وَجْهِي. وَلَقَدْ وُلِّيتُ[(١٠)] غُسْلَهُ صلى الله عليه وآله وَالمَلاَئِكَةُ أَعْوَانِي؛ فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالأَفْنِيَةُ: مَلأٌ يَهْبِطُ، وَمَلأٌ يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ[(١١)] مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، حَتَّى وَارَيْنَاهُ[(١٢)] فِي ضَرِيحِهِ[(١٣)]. فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً!

فَانْفُذُوا عَلَى بَصائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهادِ عَدُوِّكُمْ، فَوَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِنِّي

---

(١) وردت هذه الخطبة في ص بعضها هنا وبعضها في آخر الشرح، على خلاف سيرة الكتاب فجعلناها بأجمعها هنا مشاكلة لسائر الخطب.

(٢) في هـ. ب: المستحفظون يعني العلماء الذين يطلب العلم منهم.

(٣) في هـ. ب: لم أرد أي ما رددت من الحق شيئاً على المسلمين والرسول غير مقبول. ويجوز أن يرد نفسه الى الباطل ساعة.

(٤) في هـ. ب في نسخة: آسيته. واسيته من المواساة وهي المساعدة وآسيته من الاسود وهو العلاج.

(٥) تنكص: أي تتراجع.

(٦) في هـ. ب: فكأنه عليه السلام أشار بذلك الى مواساته مع النبي صلى الله عليه وآله في يوم خيبر ويوم الخندق وغير ذلك.

(٧) في هـ. ب: شجاعة.

(٨) في هـ. ب: أكرمني، كأنه اشارة بذلك الى قوله تعالى: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بعلي، وقوله: ﴿وفضّل الله المجاهدين على القاعدين﴾. الاحزاب: ٣٣/ ٢٥ و النساء: ٤/ ٩٥.

(٩) في ب و ص: وقد، وفي هـ ص في نسخة: ولقد.

(١٠) في د: وَلِيت.

(١١) في هـ. ب: صوت خفي وفي هـ ص: الصوت الخفي وفي هـ. ب: صوتاً خفياً.

(١٢) في هـ. ب: دفناه.

(١٣) في هـ. ب: قبره.

لَعَلَى جادَّةِ الحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ[١] الْبَاطِلِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ ٱللهَ لِي وَلَكُمْ.

* * *

[قال في شرح ابن أبي الحديد][٢]: الظاهر انّه يرمز في قوله ﷺ: «لم أردّ على الله، ولا على رسوله ساعة قطّ» إلى أُمور وقعت من غيره، كما جرى يوم الحديبية عند سَطْر كتاب الصلح؛ فإنّ بعض الصحابة[٣] أنكر ذلك، وقال: يا رسول الله، ألسنا مسلمين؟ قال: بلىٰ، قال: أوليسوا الكافرين؟ قال: بلىٰ، قال: فكيف نعطي الدنيّة في ديننا! فقال ﷺ: «إنّما أعمل بما أومَر به» فقام فقال لقوم من الصحابة: ألم يكن قد وعدنا بدخول مكة! وها نحن قد صُدِدنا عنها ثم ننصرف بعد أن أعطينا الدنيّة في ديننا، والله لو أجد أعواناً لم أعطِ الدنيّة أبداً. فقال أبو بكر لهذا القائل: ويحك! الزَم غَرْزه[٤]، فوالله إنّه لرسول الله ﷺ، وإنّ الله لا يضيّعه.

ثم قال له: أقال لك: إنه سيدخلها هذا العام؟ قال: لا، قال: فسيدخلها. فلما فتح النبي ﷺ مكة، وأخذ مفاتيح الكعبة، دعاه فقال: هذا الذي وعِدتم به.

واعلم أنّ هذا الخبر صحيحٌ لا ريبَ فيه، والنّاس كلّهم يروونه. انتهىٰ من شرح ابن أبي الحديد[٥]

أقول: والرجل المكنىٰ عنه ببعض الصحابة: عمر، كما هو في سيرة ابن هشام[٦] وغيره من كتب الحديث، وقد صرّح به ابن أبي الحديد في موضع آخر[٧].

وأعجب للشارح وأضرابه ممن اذا قرر له نص رسول الله ﷺ على أمير المؤمنين قال: أنا استبعد أن يخالف الصحابة نص رسول الله ﷺ ويمانع ويدفع الصراع لهذا السند، وهو

---

(١) المزلة مكان الزلل الموجب للسقوط والهلاك.

(٢) انظر شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٨٠.

(٣) هو عمر بن الخطاب، وانظر سيرة ابن هشام ٣: ٣٣١ (طبعة الحلبي).

(٤) الغرز في الأصل: ركاب كور الجمل، والكلام هنا على المجاز، أي اتبع قوله وفعله.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٨٠.

(٦) سيرة ابن هشام ٣: ٣٣١.

(٧) انظر شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٥٩.

يحقّق ما روي من رد عمر على رسول الله ﷺ أمره، فعرّفه رسول الله ﷺ انه فعله بالوحي لا باختياره، فيقوم من مجلس رسول الله ﷺ مصراً على الانكار عازماً على المخالفة لو يجد معيناً مرتاباً في خبر رسول الله ﷺ بدخول مكة.

ثم أعجب لسائر المخالفين يغلون في عمر غلوّاً فاحشاً ويزعمون انّه ملهم للحق، وأنّ الوحي كان ينزل بموافقته، مع انهم يروون عنه مثل هذه المخالفة الشنيعة في أضراب لها تكثر على الاحصاء.

وكان الرجل شيخاً يسارع الى الاعتراض في الأُمور وكان يسارع الى الغلظة بطبعه، فاذا كانت المصلحة الغلظة كقصة اسارى بدر وافق الوحي ما قاله، والله أعلم.

واعلم ان كثيراً من المتمردين على أمير المؤمنين عليه السلام ينسبون اليه اغضاب رسول الله ﷺ بأنّه خطب ابنة أبي جهل،وكثير من الشيعة ينكرون ذلك(١).

---

(١) ورواه أحمد بن حنبل في الفضائل ح ١٣٢٩ وباسناده عن أبي اليمان في المسند ٤: ٣٢٦ وباسناده عن وهب في ص٣٢٦ بلفظ يقرب منه وكذا في الحديث ١٣٣٤ من فضائل الصحابة. وأخرجه البخاري في صحيحه ٧: ٨٥ ومسلم في صحيحه ٤: ١٩٠٣ عن أبي اليمان، وأبو داود في سننه ٢: ٢٢٥ عن الزهري.

وهذا الحديث ـ وان كثر ناقلوه من العامة ـ فهو منحصر بهم ولم نر فيه ولا طريقاً صحيحاً واحداً من الخاصة، وهو بظاهره مناف لما كان عليه أمير المؤمنين عليه السلام من طاعته للرسول وعدم مخالفته له، حتى في أبسط الأُمور فكيف يعمل ما يوجب أذى الرسول ﷺ ؟!

والمشهور بين المحدّثين ان الرسول ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني» على ما رواه أكثر المحدثين ـ بعبارات مختلفة ـ الا ان دمج هذا القول بقصة مفتعلة للحط من كرامة أمير المؤمنين عليه السلام قد جنّد الغيارى على التراث للدفاع عن الامام عليه السلام ومنهم السيد المرتضى علم الهدى رحمه الله في كتابه «تنزيه الأنبياء» وخلاصة ما قاله رحمه الله: ان هذا الخبر موضوع قد تفرّد به راوٍ واحد هو الكرابيسي طاعناً به على أمير المؤمنين عليه السلام وفيه ما يشهد العقل بكذبه وبطلانه وهو أمور:

منها: ان النبي ﷺ لا ينكر ما أباحه الاسلام، فللرجل أن يتزوج أربعاً فكيف ينكر الرسول هذا المباح ويعلن بذلك على المنابر.

ومنها: ان هذا الخبر يتضمّن الطعن على النبي ﷺ لأنه انّما زوّج فاطمة عليها السلام من أمير المؤمنين بعد أن اختار الله لها ذلك، ومن المعلوم ان الله لا يختار لها من بين الخلائق من

←

ومن نظائر ذلك ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه حيث قال: وقد كانت وقعت من هذا القائل أُمورٌ دون هذه القصّة، كقوله: دعني أضرب عُنق أبي سفيان. وقوله: دَعني أضرب عُنق عبدالله بن أبيّ، وقوله: دَعْني أضرب عُنق حاطب بن أبي بَلتعة. ونهى النبيﷺ له عن التسرّع الى ذلك، وجذبه ثوب رسول اللهﷺ حين قام على جنازة ابن سلول يصلّي. وقوله: كيف تستغفر لرأس المنافقين! وليس في ذلك جميعه ما يدلّ على وقوع القبيح منه، وإنما الرجل كان مطبوعاً على الشدّة والشراسة والخشونة، وكان يقول ما يقول على مقتضى السجيّة التي طبع عليها[1]. وأعدل المذاهب وأسدّ الأقوال: ان الذي وقع من ذلك ان بني عمرو بن هشام ابتغوا القربة الى بني هاشم فعرضوا على أمير المؤمنين أن ينكح كريمتهم، ولم يكن أمير المؤمنين ليفعل شيئاً ماهو أصغر من ذلك إلّا بإذن رسول اللهﷺ، ولعلّه عرّفه إيّاه ـ أو: رقي اليه من غيره ـ فجعل رسول اللهﷺ ذلك سبباً لذكر فضيلة لسيدة النساءعليها السلام وأبان خصيصة لها ليكون ذكر ذلك لهذا السبب أدعى الى نقل ما يذكرهﷺ من ذلك وأعمّ لروايته، لأنّ أولياء أهل البيت ينقلونه تنويهاً بفضيلتهم وتسجيلاً على أعدائهم، وأعداء أهل البيت ينقلونه تهجيناً على أمير المؤمنين، وليس عليه هجينة لأنه لم يردْهُ، كما قال ابن عباس في جوابه على عمر عندما عاب علياً بذلك: انه لم يعزم على ذلك وقد قال الله تعالى: ﴿ولم نجد له عزما﴾ ـ أو ما هذا معناه ـ وهذا كما جعل يوسفعليه السلام وضع السقاية في رحل أخيه سبباً لاحتباسه لأخيه مع ما وقع من نسبة السرقة إلى من لم يسرق، والظنون الفاسدة ممن لم يعلم حقيقة الأمر.

وكما أذن رسول اللهﷺ لعائشة أن تشرط الولاء لبائع بريرة ليجعل ذلك سبباً لبيان: انّ

← يؤذيها ويغمّها، وهذا أدلّ دليل على كذب القصة.

ومنها: انه لم يعهد من أمير المؤمنينعليه السلام خلاف على الرسولﷺ ولا كان ـ قط ـ بحيث يكره الرسولﷺ ـ على طول الصحبة ـ فكيف يتصور منه المخالفة له في هذا الموضوع.

ومنها : انه لو صحّ ذلك لأنتهزه الأعداء من بني أُمية واتباعهم للطعن به على أمير المؤمنينعليه السلام في حين انّا لم نعثر على من روى هذه القصة غير الكرابيسي. إلىٰ غير ذلك مما هو مسطور في كتاب السيد المرتضىٰ رحمه الله ط النجف ص٢١٢.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٨١.

شرط نحو ذلك باطل، مع ما في تلك الصورة من المخادعة والخلف[١] ونحو ذلك كثير.

وكلّ يعرض تعليق الأُمور بأسبابٍ لحكمة ربط الأشياء بأسبابها التي راعاها ـ أعني الفاعلين ـ عن الاسباب ، ومعلوم ان رسول الله ﷺ قد علم ما يجري على ابنته بعده من الهضم والإغضاب وتعصب الناس على أهل بيته، فلو أخبر ان غضبها يكون سبباً لغضب الله وغضب رسوله غير رابط له بسبب متكثر الدواعي الى نقله لكتمها كثير من الناس، كما كتم كثير منهم حديث النص مع تكرره واشتهار مواقعه.

ولما وقع ذلك البيان معلقاً بذلك السبب واشتهر وتولّع الأعداء والأولياء بذكره.

فالواقع من ذلك فضيلة لأمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين عليهما السلام، وعار ونقص على من أغضبهما.

وأول من عاب أمير المؤمنين بذلك عمر بن الخطاب على قاعدته في نسبته الى أمير المؤمنين ما يبعده عن الخلافة في زعمه، وساعده عمرو بن العاص فزاد في الحديث: «إنّ آل أبي طالب ليسوا بأوليائي انّما وليّ الله وصالح المؤمنين».

وتابع عمر معاوية وزاد في الحديث: «مهما ذممنا من صهر فلم نذمم صهر أبي العاص بن الربيع».

ثم تولّع به المتمرّدون على أهل البيت من بني أُمية وبني العباس وأتباعهم، وأصل الحديث معروف عند أهل الايمان والتحقيق، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ولقد واسيته بنفسي»:

يقال: واسيته وآسيته، وبالهمزة أفصح، وهذا مما اختصّ عليه السلام بسجيته[٢] غير مدافع، ثبت معه يوم أُحد وفرّ الناس، وثبت معه يوم حنين وفرّ الناس، وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها وفرّ من كان بعث بها من قبله.

وروى المحدثون أنّ رسول الله ﷺ لمّا ارْتُثَّ[٣] يوم أُحُد، نادى الناس: قتل محمّد،

---

(١) ولهذا وأشباهه لا يصح نسبة ذلك الى رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام. والأصح هو ما ذكرناه في الهامش السابق، فراجع.

(٢) في ط: بفضيلته.

(٣) ارتث: حمل من المعركة جريحاً وفيه رمق.

رأته كتيبة من المشركين وهو صريع بين القتلىٰ، إلّا أنه حيٌّ، فصمدت له. فقال لعلي عليه السلام: اكفني هذه، فحمل عليها عليه السلام فهزمها، وقتل رئيسها، ثم صَمَدت له كتيبة أُخرىٰ، فقال: يا عليّ اكفني هذه، فحمل عليها فهزمها، وقتل رئيسها، ثم صَمَدت له كتيبة ثالثة، فكذلك، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك يقول: قال لي جبريل: يا محمّد، إنّ هذه لَلْمواساة، فقلت: وما يمنعه وهو منّي وأنا منه! فقال جبريل: وأنا منكما.

وروى المحدّثون أيضاً أنّ المسلمين سمِعُوا ذلك اليوم صائحاً من جهة السماء ينادي: «لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتى إلّا عليّ»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن حضره: «ألا تسمعون! هذا صوت جبريل».

وأما يوم حنين، فثبت معه في نفرٍ يسير من بني هاشم، بعد أن ولّى المسلمون الأدبار، وحامى عنه، وقتل قوماً من هوازن بين يديه، حتى ثابت إليه الأنصار، وانهزمت هوازن وغنمت أموالها.

وأما يوم خيبر، فقصّته مشهورة. انتهى من شرح ابن أبي الحديد[1].

وفي «الاتباع» في قصة حنين: قال الحرث بن نوفل، فحدّثني الفضل بن العباس. قال التفت العباس يومئذٍ وقد اقشع الناس عن بكرة أبيهم فلم ير علياً فيمن ثبت، فقال: شوهة نوهة، أفي مثل هذه الحالة يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو صاحبه في المواطن المشهورة له؟

فقلت له: بعّض قولك لابن أخيك، أما تراه في الرهج؟ قال: اشعرلي يا بُنيّ.

قلت: هو ذو كذا، ذو البردة.

قال: فما تلك البرقة؟

قلت: سيفه يرفل به بين الاقران.

قال: فداه عمّ وخال.

قال: فضرب عليّ يومئذٍ ،انتهىٰ.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٨٢.

وروى أصحابنا في كتبهم عن المشيخ ابن فارط النهدي ان أباه حدّثه ـ وكان جاهلياً ـ قال: شهدت هوازن وكنت إمرءاً قدماً يسوّدني قومي، ولقينا رسول الله ﷺ فرأيت في عسكره رجلاً لا يلقاه قرن إلّا دهدأه، ولا يبرز له شجاع إلّا أرداه، فعمد له وبرز اليه الجلمود بن قريع ـ وكان والله ما علمته ـ حوشي القلب شديد الصبر ـ فأهوى اليه الرجل بسيفه فأصلى قحف رأسه عن أم دماغه، فحدت عنه وجعلت أرمقه وهو لا يقصد ركاكة ولا يؤم إلّا صناديد الرجال، لا يدنو من رجل إلّا قتله. وكانت الدبرة لمحمّد ﷺ علينا. فأسلمت بعد ذلك فعرفت الرجل، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، وبالله لقد رأيت زنده فخلته أربع أصابع، وأن أوّل خنصره كآخر مفصل من مرفقه. انتهىٰ.

[١٩٨]

ومن خطبة له عليه السلام :

الحمد لله الذي[1] يَعْلَمُ عَجِيجَ[2] ٱلْوُحُوشِ فِـي ٱلْـفَلَوَاتِ[3] وَمَـعَاصِيَ ٱلْـعِبَادِ فِـي ٱلْخَلَوَاتِ وَٱخْتِلَافَ النِّينَانِ[4] فِي ٱلْبِحَارِ ٱلْغَامِرَاتِ[5]. وَتَلاطُمَ المَاءِ بِالرِّيَاحِ ٱلْعَاصِفَاتِ. وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّداً نَجِيبُ ٱللهِ وسَفِيرُ[6] وَحْيِهِ وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ[7] بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّذِي ٱبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ وَبِـهِ نَـجَاحُ طِلْبَتِكُمْ وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ وَنَحْوَهُ قَصْدُ[8] سَبِيلِكُمْ وَإِلَيْهِ مَرَامِي[9] مَفْزَعِكُمْ. فَإِنَّ تَقْوَى ٱللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ وَصَلاَحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ وَطُهُورُ دَنَسِ أنفسكم وَجِلَاءُ غِشَاءِ[10] أَبْصارِكُمْ وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ[11] وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ.

فَاجْعَلُوا طَاعَةَ ٱللهِ شِعَاراً دُونَ دِثـارِكُمْ[12]. وَدَخِـيلاً دُونَ شِـعَارِكُمْ[13] وَلَـطِيفاً بَـيْنَ أَضْلَاعِكُمْ وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ وَمَنْهَلاً[14] لِحِينِ ورِدِكُمْ[15]. وَشَفِيعاً لِدَرَكِ[16] طَلِبَتِكُمْ[17].

---

(١) لم ترد «الحمد لله الذي» في ب و ط و د.

(٢) في هـ. ب: العج رفع الصوت وفي هـ. ص: تصويتها.

(٣) في هـ. ب: الفلاة يعني المفازة.

(٤) في هـ. ب: الحيتان.

(٥) في هـ. ب: الساترات.

(٦) في هـ. ب: السفير الذي يصلح بين القوم.

(٧) في هـ. د: فاني أوصيكم ـ ش.

(٨) في هـ. ب: جانبه.

(٩) مرمى المفزع ما يدفع اليه الخوف وهو الملجأ، و في هـ. ب: مطلب.

(١٠) هـ. د: عشاء ـ ش، ر.

(١١) الجأش: ما يضطرب في القلب عند الفزع وفي هـ. ب: قلبكم.

(١٢) في هـ. ب: الدثار ما يكون من الانسان فوق الشعار.

(١٣) في هـ. ب: شعاراً دون دثاركم أي غير دثاركم ودخيلاً تحت شعاركم.

(١٤) في ب: منتهلاً، وفي هـ. ب: في نسخة: منهلاً. المنهل ما ترده الشاربة من الماء للشرب.

(١٥) في ط و د: ورودكم. وفي هـ.ب: في نسخة: ورودكم.

(١٦) في هـ. ب: في نسخة :لدرك، والدرك بالتحريك: اللحاق لِدَرك.

(١٧) الطلبة بالكسر: المطلوب.

وَجُنَّةً[١] لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ وَسَكَناً[٢] لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ وَنَفَساً[٣] لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ[٤] مُكْتَنِفَةٍ[٥] وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ وَأُوَارِ[٦] نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ[٧] فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ[٨] عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا[٩]. وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا. وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ[١٠] بَعْدَ إِنْصَابِهَا[١١] وَهَطَلَتْ[١٢] عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا. وَتَحَدَّبَتْ[١٣] عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا وَوَبِلَتْ[١٤] عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا[١٥].

فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ. وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ. وَامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ. فَعَبِّدُوا[١٦] أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الإِسْلَامَ دِينُ اللهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ. وَاصْطَنَعَهُ[١٧] عَلَى عَيْنِهِ. وَأَصْفَاهُ خِيَرَةَ[١٨] خَلْقِهِ. وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ[١٩] عَلَى مَحَبَّتِهِ[٢٠]. أَذَلَّ الأَدْيَانَ بِعِزِّهِ[٢١]. وَوَضَعَ الْمِلَلَ

---

(١) الجنة بالضم: الوقاية.

(٢) في هـ. ب: ما يسكن به الانسان، وفي هـ. ص :ما يسكن اليه انسه.

(٣) في هـ. ب: ما ينفس به الانسان.

(٤) في هـ. ب: جمع مَتْلَفٌ وهو المهلكة.

(٥) في هـ. ب: محيطةٍ.

(٦) في هـ. ب و ص: حرّ.

(٧) ص: مستوقدة، وفي هـ ص في نسخة: متوقدة.

(٨) في هـ. ب وص: بعدت.

(٩) في ص: مرارها.

(١٠) في هـ. ب: جمع صعب.

(١١) في هـ. ص في نسخة إنصابها وفي هـ ب : إتعابها.

(١٢) في هـ. ب: سالت.

(١٣) في هـ. ب: شفقت، وفي هـ. ص تعطفت وحنت.

(١٤) في هـ. ص الوابل المطر الكثير.

(١٥) في هـ. ب: الرذاذ مطر صغير القطر، وفي هـ. ص: مطر قليل.

(١٦) في هـ. ب: التعبيد أن تجعل نفسك ذلولاً خشوعاً، وأيضاً :التعبيد أن تجعلها مكرماً أي أصطفاه لخير خلقه ،وفي هـ. ص: أي ذللوا.

(١٧) في هـ. ب: أي حفظه لنفسه، وفي هـص: كلمه تقال لما اشتد الاهتمام به.

(١٨) في هـص: الخيرة، المختار.

(١٩) في هـ. ص: أي الايمان.

(٢٠) في هـ. ص: أي محبة الله.

(٢١) في ط: بعزته، وفي هـ. د: بعزته ـ ص، ح، ب.

بِرَفْعِهِ[١]. وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ. وَخَذَلَ[٢] مُحَادِّيهِ[٣] بِنَصْرِهِ[٤]. وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ. وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ[٥]. وَأَتْأَقَ[٦] ٱلْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ[٧] ثُمَّ جَعَلَهُ لَا ٱنْفِصَامَ[٨] لِعُرْوَتِهِ[٩]. وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ. وَلَا ٱنْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ. وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ. وَلَا ٱنْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ. وَلَا ٱنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ.

وَلَا عَفَاءَ[١٠] لِشَرَائِعِهِ وَلَا جَذَّ[١١] لِفُرُوعِهِ وَلَا ضَنْكَ[١٢] لِطُرُقِهِ وَلَا وُعُوثَةَ[١٣] لِسُهُولَتِهِ وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ[١٤]، وَلَا عِوَجَ لانْتِصَابِهِ وَلَا عَضَلَ[١٥] فِي عُودِهِ وَلَا وَعَثَ[١٦] لِفَجِّهِ[١٧] وَلَا ٱنْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ[١٨] فِي ٱلْحَقِّ أَسْنَاخَهَا[١٩] وَثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا[٢٠] وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ[٢١] عُيُونُهَا وَمَصَابِيحُ شُبَّتْ نِيرَانُهَا وَمَنَارٌ ٱقْتَدَى بِهَا

---

(١) في هـ. د: لرفعه ـ ب. (٢) في هـ. ب: في نسخة احتمالا: خبر.

(٣) في هـ. ب: معادية، وفي هـ ص: المناويْ. (٤) في هـ. ب: في نسخة: بنصرته.

(٥) في ص: حياظه.

(٦) في هـ. ب: ملأ، وفي هـ. ب الاتاق: ان تملأ الحوض من الماء، وفي هـ. ص: أملأ.

(٧) في هـ. د: لمواتحه ـ ب. والمواتح جمع ماتح وهو نازع الماء من الحوض، وفي هـ. ب: المتح: نزح الماء. (٨) في هـ. ص: أي لا انكسار.

(٩) في هـ. ب: عروة الكور: الشيء يؤخذ بها حين ينقل.

(١٠) العفاء: الدروس والانمحاء. (١١) في ب: جزّ، وفي هـ. ب: قطع.

(١٢) في هـ. ب الضنك: الضيق.

(١٣) في هـ. ب: الأوعث: المكان السهل ذو الرمل يغيب فيه الرجل، ويشق على من يمشي فيه، لا وعوثة: أي لا صعوبة، وفي هـ. ب: الوعوثة ... وفي السهولة يوجب مشقة المشي؛ لأن الأقدام تعث في الأرض. من الشرح. (١٤) الوضح : بياض الصبح.

(١٥) في ط و د: عصل، وفي هـ ب العضل: الاعوجاج، والعصل الاعوجاج في صلابة.

(١٦) في هـ. ب الوعث: الرمل. (١٧) في هـ. ب: مسلك بعيد.

(١٨) في هـ. ب: أثبت، وفي هامش آخر: ساخت قواعده في الأرض، أي في الوحل، ومطرنا حتى اذا صارت الأرض سواخي، على فعالي: اذا كثر المطر، وفي هـ. ص: أي أدخل ومكّن.

(١٩) في هـ. ب: الاسناخ جمع سنخ وهو الأصل وسناخها: أصلها، وفي هـ.ص : جمع سنخ: الأصل.

(٢٠) في هـ. ب: اساسها: أصلها، وفي هـ ص جمع أُسس، كسبب وأسباب والأُسس والأُس والأساس: أصل البناء. (٢١) هـ. ب: كثرت.

سُفَّارُهَا[١] وَأَعْلَامُ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا وَمَنَاهِلُ رُوِيَ[٢] بِهَا وُرَّادُهَا جَعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ وَسَنَامَ[٣] طَاعَتِهِ فَهُوَ عِنْدَ ٱللَّهِ وَثِيقُ ٱلْأَرْكَانِ رَفِيعُ ٱلْبُنْيَانِ مُنِيرُ ٱلْبُرْهَانِ مُضِيءُ ٱلنِّيرَانِ عَزِيزُ ٱلسُّلطَانِ مُشْرِفُ ٱلمَنَارِ مُعْوِزُ[٤] ٱلمَثَارِ[٥] فَشَرِّفُوهُ وَٱتَّبِعُوهُ وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ[٦].

ثُمَّ إِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداًﷺ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ ٱلدُّنْيَا الانْقِطَاعُ وَأَقْبَلَ مِنَ ٱلآخِرَةِ الإِطِّلَاعُ[٧] وأظلمت بَهْجَتُهَا[٨] بَعْدَ إِشْرَاقٍ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ[٩]. وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ[١٠]. وَأَزِفَ[١١] مِنْهَا قِيَادٌ[١٢]. فِي ٱنْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا. وَٱقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا[١٣] وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا. وَٱنْفِصَامٍ[١٤] مِنْ حَلْقَتِهَا. وَٱنْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا. وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا. وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا. وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ[١٥] ٱللَّهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ[١٦]. وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ. وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ. وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ. وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ.

ثمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ٱلكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجاً لَا يَخْبُو[١٧] تَوَقُّدُهُ وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ[١٨] وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ[١٩]. وَفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ. وَتِبْيَاناً[٢٠] لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ. وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ وَعِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَحَقّاً لَا تُخْذَلُ

---

(١) في هـ. ب: جمع سافر.
(٢) هـ. ب: رويت من الماء أروى.
(٣) في هـ. ب: السنام البعير، وهو يريد به أصلهم.
(٤) في ط معوذ، وفي هـ. د: معور المثال، ومعون المثال ــ ز.
(٥) في هـ. د: المثال ــ م، ر، وفي هـ. ب في نسخة: المثال والمثار مصدر من ثار الغبار اذا هاج.. أي ان أحداً لا يمكنه إثارة هذا الدين لثباته، وفي هـ. ص: أي معجز الناس اثارته وازعاجه لقوته ومتانته. من الشرح.
(٦) في هـ. د: مواضيعه ــ ب.
(٧) في هـ. ب: الاطلاع الاشراف ليرى شيئاً، قال الله تعالى ﴿فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾.
(٨) في هـ. ب البهجة: الحسن.
(٩) في هـ. ب: أي شده.
(١٠) في هـ. ب: المهاد هي الأرض.
(١١) في هـ. ب: أي قرب.
(١٢) في ص و ط و د: قياد.
(١٣) في هـ. ب: أي علاماتها.
(١٤) في هـ. ب: أي انكسار.
(١٥) في هـ. ب: أي محمّدﷺ.
(١٦) في ص : لرسالاته.
(١٧) أي لا يطفأ.
(١٨) المنهاج الطريق الواسع والنهج والسلوك، أي ليس في سلوكه اختلال.
(١٩) في ب: نوره، وفي هـ. ب في نسخة ضوءه.
(٢٠) في هـ. د: تبياناً ــ ح، ض، ب.

أَعْوَانُهُ فَهُوَ مَعْدِنُ ٱلْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ[١] وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ وَبُحُورُهُ وَرِيَاضُ[٢] ٱلْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ[٣] وَأَثَافِيُّ ٱلْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ وَأَوْدِيَةُ ٱلْحَقِّ وَغِيطَانُهُ[٤] وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ ٱلْمُسْتَنْزِفُونَ[٥] وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا[٦] ٱلْمَاتِحُونَ[٧] وَمَنَاهِلُ لَا يُغِيضُهَا[٨] ٱلْوَارِدُونَ وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا[٩] ٱلْمُسَافِرُونَ وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا ٱلسَّائِرُونَ وَآكَامٌ[١٠] لَا يَحُورُ[١١] عَنْهَا[١٢] ٱلْقَاصِدُونَ جَعَلَهُ ٱللهُ رِيّاً لِعَطَشِ ٱلْعُلَمَاءِ وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ ٱلْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ[١٣] لِطُرُقِ ٱلصُّلَحَاءِ وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ وَمَعْقِلاً[١٤] مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ[١٥] وَسِلْماً[١٦] لِمَنْ دَخَلَهُ. وَهُدًى لِمَنْ ٱئْتَمَّ بِهِ. وَعُذْراً لِمَنِ ٱنْتَحَلَهُ[١٧] وَبُرهاناً لِمَن تَكَلَّمَ بِهِ وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَفَلْجاً[١٨] لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ[١٩] وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ[٢٠] وَجُنَّةً لِمَنِ ٱسْتَلْأَمَ[٢١] وَعِلْماً لِمَنْ وَعَى[٢٢] وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَى.

---

(١) بحبوحة المكان: وسطه.

(٢) الرياض جمع روضة وهي مستنقع الماء في رمل أو عشب.

(٣) جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل.

(٤) هـ. ب: الغائط المكان المطمئن من الأرض والجمع الغيطان.

(٥) في أ: : المترفون، وفي هـ. د: المنتزفون ـ ب، وفي هـ. ب الذين يطلبون النزف، النزف نزح الماء ونزف دمه اذا جرحته كلمة، السكران نزيف: لانه لا يبقى له عقل.

(٦) في هـ. ب: المنضوب عوز الماء.

(٧) في هـ. ب: الماتحون بالياء معاً.

(٨) في هـ. ب: لا ينغصها ح.

(٩) في هـ. ب: طريقها.

(١٠) في هـ. ب: جمع اكمه، وفي هـ. ب في نسخة: وفجاجاً.

(١١) في ط: لا يجوز، وفي هـ لايجوز، وفي هـ. ب: لا يجور من جار يجور.

(١٢) في هـ. د: عنه ـ ل. أي عدل عن الطريق.

(١٣) في هـ. ب: المحجة الطريق الواضح.

(١٤) في هـ. ب: ملجأ.

(١٥) في هـ. ب: التولي: المحبة.

(١٦) هـ. ب: السلم: الصلح وسلّما لمراده.

(١٧) في هـ. ب: لمن ادعى.

(١٨) في ص: فلحاً، وفي هـ. د: الفلج والفلح كلاهما روي ـ ر. وفي هـ. ب: ظفراً.

(١٩) في ص: حمّله.

(٢٠) في هـ. ب: التوسم : الفراسة.

(٢١) في هـ. ب: أي اتخذه لائمة وهي الدرع الواسع.

(٢٢) في هـ. ب: أي حفظ.

[١٩٩]

ومن كلام له ﷺ كان يوصي به أصحابه:

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاَةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا فإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً. أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[١].

وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ[٢] الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ الرِّبَقِ[٣] وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالحَمَّةِ[٤] تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ. وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ[٥] عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلاَ مَالٍ، يَقُولُ اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾[٦] وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَصِباً[٧] بِالصَّلاَةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ[٨] عَلَيْهَا﴾[٩] فَكَانَ يَأْمُرُ بها[١٠] أَهْلَهُ وَيُصْبِرُ[١١] عَلَيْها[١٢] نَفْسَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ. فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً[١٣] وَوِقَايَةً فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا[١٤] أَحَدٌ نَفْسَهُ وَلاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا

---

(١) المدثر: ٤٢ ـ ٤٣.
(٢) في هـ. ب: تسقط.
(٣) الربق: جمع ربقة، وهو حبل فيه عرى تربط بها الأشياء، وفي هـ. ب: الاحبال.
(٤) هـ. ب: الحفيرة التي فيها الماء الحار. (٥) في هـ: لا يشغلهم.
(٦) النور: ٣٧.
(٧) في هـ. ب: تعبا.
(٨) في هـ. ب: اصبر.
(٩) طه: ١٣٢.
(١٠) لم ترد «بها» في ط.
(١١) في هـ. ب: يحبس.
(١٢) لم ترد «عليها» في ط.
(١٣) في هـ. ب: في نسخة: حجاباً، وفي هـ. د: حجاباً ـ هامش ن.
(١٤) في ص: فلا يتبعها.

لَهَفَهُ[١] فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ[٢] مَغْبُونُ[٣] ٱلْأَجْرِ. ضَالُّ ٱلْعَمَلِ. طَوِيلُ النَّدَمِ.

ثُمَّ أَدَاءَ ٱلْأَمَانَةِ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَواتِ المَبْنِيَّةِ وَٱلْأَرَضِينَ المَدْحُوَّةِ[٤] وَٱلْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ والعرض المَنْصُوبَةِ. فَلاَ أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا. وَلَوِ ٱمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لامْتَنَعْنَ وَلَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ. وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ[٥] وَهُوَ ٱلْإِنْسَانُ ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[٦].

إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ٱلْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ[٧] فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ لَطُفَ بِهِ[٨] خُبْراً[٩] وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً. أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ. وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ.

---

(١) في هـ. ب: حسرته.
(٢) في ص: السنه.
(٣) في هـ. ب: منقوص.
(٤) أي المبسوطة.
(٥) في هـ. ب: خلق الانسان ضعيفا.
(٦) الاحزاب: ٧٢.
(٧) في هـ. ب: مكتسبون.
(٨) في ص: بهم.
(٩) في هـ. ب: امتحاناً.

[٢٠٠]

ومن كلام له عليه السلام:

وَٱللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى[(١)] مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ. وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ ٱلْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ[(٢)] وَلِكلٍّ[(٣)] فُجَرَةٍ كَفْرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ.

وَٱللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ[(٤)] بِالمَكِيدَةِ[(٥)] وَلَا أُسْتَغْمَزُ[(٦)] بِالشَّدِيدَةِ.

---

(١) في هـ. ب: أي أكيس.

(٢) في هـ. د: ولكل فجرة كفرة ـ ب. وفي هـ. ص: ويروى غُدَرة وفُجَرة بضم الأول وفتح الثاني على فعله وهو كثير الغدر والفجور، وكل ما كان على هذا البناء فهو للمفعول يقال رجل ضحكة أي يضحك وضحكه أي يضحك منه ومثله سخرة وسُبه.

(٣) في ط: وكل.

(٤) في هـ. ب: ما استغفل من الغفال أي ما أُوخذ بالغفل.

(٥) في ب: من المكيدة.

(٦) في هـ. ب: استفعال من الغمز.

[٢٠١]

ومن كلام له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا[١] فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ[٢] شِبَعُهَا قَصِيرٌ وَجُوعُهَا طَوِيلٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ[٣] الرِّضَى وَالسُّخْطُ وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ[٤] اللهُ[٥] بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَاءِ فقالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾[٦] فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ[٧] أَرْضُهُمْ

بِالخَسْفَةِ خُوَارَ السَّكَّةِ الْمُحْمَاةِ[٨] فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ[٩].

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ[١٠].

* * *

اعلم ان مراده عليه السلام من هذا الكلام نفي ما عساه يقع من الشك في قلب من لم يكن نافذ البصيرة في كونه عليه السلام أفضل الأمة وحجّة عليها ومستخلفاً عليها ومنصوصاً عليه؛ وذلك لاطباق الأكثر على خلافه فقال عليه السلام: لا يدخل الشكّ في قلوبكم قلّة من يوافقكم على عقيدتكم حتى يحملكم ذلك على مفارقة طريقتكم اغتراراً بالكثرة، فان السبب في مخالفة الناس لطريقتكم اجتماعهم على طلب الدنيا ومحبتهم لها وشبعها قصير؛ لأن الانتفاع بها يكون في الدنيا وهي فانية. وجوعها ـ أي ضررها ـ طويل؛ لأن الاستضرار بها

(١) في هـ. ب: من الوحشة وهي الوجل.

(٢) هـ. ب: المائدة يريد بها الدنيا، ويقال يريد بها معاوية.

(٣) أي يجمعهم في استحقاق العقاب.

(٤) هـ. ب: عم الشيء شمل الجماعة.

(٥) في ب زيادة تعالى.

(٦) هود: ٦٥.

(٧) في هـ. ب: الخوار: صوت العجل والبقر.

(٨) السكة المحماة: حديدة المحراث اذا أُحميت في النار، فتكون أسرع غوراً في الأرض.

(٩) في هـ. ب: السهلة، والخور من الأرض المنخفض من السهل وأرض خوارة أي ضعيفة رخوة سهلة.

(١٠) في هـ. ب: التحيّر.

يكون في الآخرة وهي باقية.

ثم أمرهم باستقباح القبيح من فاعله وكراهة صدوره عنه ومعاداته بالقلب ويتضمن ذلك الأمر بالبحث عن كون الفعل حسناً أو قبيحاً، وذلك منه ﷺ تحذير من أن يقول قائل: غاب عني فعل غصبه الخلافة وصغر منزلته وطرّق للناس الى مخالفته ومعاداته، ولم أتولّ من فعلهم ذلك شيئاً فلا تكليف عليّ فيه، ولا أُدخل نفسي فيما لم أكن داخلاً فيه. قال ﷺ: ان من لم يفعل مكلف فيما فعله غيره يرضاه إن كان لله رضىً، وسخطه إن كان سخطاً.

ومن رضىٰ فعل قوم كان كالداخل فيه معهم، ومن سخط فعل قوم كان مشاركاً لدافعه ومنكره.

فمن هنا وجب علىٰ كل أحد النظر في فعل غيره ليوافقه فيه بالعقيدة وقد سبق له نظير هذا حيث قال: «واعلموا انكم لن تعرفوا طريق الرشد حتىٰ تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه... الى آخره.

وكل ذلك اشارة الى مقالة العامة ودفعها وذلك انهم يمتنعون من النظر في أحوال الصحابة والبحث عن المحق منهم والمبطل ويقولون انه فضول ودخول فيما لا يعني، ويزعمون ان رسول الله ﷺ قال: «اياكم وما شجر بين أصحابي..» وزعموا انه قال: «دعوا لي أصحابي».

وهذا منه ﷺ علىٰ قاعدته في التنبيه على الأقوال الباطلة الحادثة بعده.

ثم أخبرهم انه لا ينجو إلّا من استقام علىٰ منهج الحق، ومن وقع منه أيّة مخالفة وعدل عنه وقع في المتاهة ولم يصل الى المنجاة، كطالبي مآءٍ أحدهما سلك طريقه الواضح الذي هو طريق له، وآخر عدل عنه وركب ثنيات الطريق، والله أعلم.

[٢٠٢]

ومن كلام له عليه السلام:

روي [1] أنّه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة صلّى الله عليهما[2] كالمناجي بِهِ رسول آلله صلى الله عليه وآله عند قبرِهِ:

أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ آللهِ عَنِّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ وَالسَّرِيعَةِ آللَّحاقِ بِكَ. قَلَّ يا رَسُولَ آللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي. وَرَقَّ عَنْها تَجَلُّدِي[3]. إلّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي[4] بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وَفادِحِ[5] مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ[6]. فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ[7] فى مَلْحُودَةِ[8] قَبْرِكَ. وَفاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ[9]. فإنَّا[10] لِلهِ وَإنَّا إلَيْهِ راجِعُونَ. فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ[11] الْوَدِيعَةُ[12]. وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ[13]. أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ. وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ[14] إلَى أَنْ يَخْتَارَ آللهُ لِي[15] دارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ[16] وَسَتُنَبِّئُكَ آبْنَتُكَ بِتَضافُرِ أُمَّتِكَ على هَضْمِها[17] فأحْفِها[18] السُّؤَالَ وَآسْتَخْبِرْها الحَالَ هَذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ. ولمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُما سَلَامَ مُوَدِّعٍ

(١) في ب زيادة: عنه.

(٢) في ط عليهما السلام، وفي هـ. ب: ثلاثة وتسعين يوماً بقيت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) في هـ. ب: تصبّري.

(٤) العبارة في ب هكذا: ان في التأسي لي، وفي هـ. ب: في نسخة: ان لي في التأسي لي.

(٥) في هـ. ب: ثقيل.

(٦) في هـ. ب: تصبر.

(٧) في هـ. ب: من الوساد.

(٨) في هـ. ب: اللحد والملحودة واحد.

(٩) في هـ. ب: روحك.

(١٠) كذا في ط، وفي سائر النسخ: انا.

(١١) في هـ. ب في نسخة: استوجعت.

(١٢) في هـ. ب: يعني به فاطمة عليها الصلاة والسلام.

(١٣) في هـ. ب: فاطمة.

(١٤) أي ينقضي بالسهاد وهو السهر.

(١٥) في ص: لي الله.

(١٦) في هـ. ب: أي الجنة.

(١٧) لم ترد «بتظافر امتك علىٰ هضمها» في ب و ص، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من م و ف و ن و ل و ش، والهضم: الظلم.

(١٨) في هـ. ب: احف اي استقص، أي طالب الأقصى في السؤال.

لَا قالٍ[١] وَلَا سَئِمٍ[٢] فإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ. وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ.

* * *

قال في الشرح: أمّا قول الرضي رحمه الله: «عند دفن سيدة النساء»: فلأنّه تواتر الخبر عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «فاطمة سيّدة نساء العالمين»، اما هذا اللفظ بعينه أو لفظ يؤدّي معناه، وروي أنه قال لها وقد راها تبكي عند موته: «ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه الامّة ؟»، وروي أنّه قال: «سادات نساء العالمين أربع: خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وأسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران»، انتهى.

قوله عليه السلام: «هذا ولم يطل العهد ...»:

الاشارة الى مدلول الكلام السابق أي المخالفة لعهدك والوثوب على أهل بيتك بأنواع المساءة، من غصب الخلافة وغصب المال والهم بالقتل ـ مرة ـ وبتحريق البيت أُخرىٰ ـ والهجوم على أهل البيت ـ ثالثة ـ والسوق العنيف والتهديد والتخويف والقول السفيه.

والحال ان العهد بك لم يطل والذكر لم يخلُ حتى يقال: نُسي ما قال من النص والتوصية بأهل بيته والأمر بتبجيلهم وتعظيمهم واحترامهم بل هو مصارحة بالمخالفة ومسارعة الى مسائته في أهل بيته، والله المستعان[٣].

---

(١) في هـ. ب: مبغض. (٢) ب: سائم و في هـ. ب: سئم.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

[٢٠٣]

ومن كلام له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فَفِيهَا ٱخْتُبِرْتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ لِلهِ آباؤُكُمْ فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ[١] وَلَا تُخْلِفُوا[٢] كُلًّا[٣] فَيَكُونُ[٤] عَلَيْكُمْ.

---

(١) في ب زيادة: فرضاً، وفي هـ. د: يكن لكم فرضاً ـ م ل وهامش ن و ش.

(٢) في هـ. د: ولا تتركوا، وفي الهامش: ولا تخلفوا ـ م.

(٣) في هـ. د: كَلّاً أي ثقلاً.

(٤) في هـ. د: فيكون فرضاً عليكم ـ ح.

[٢٠٤]

ومن كلام له عليه السلام كان كثيراً مّا ينادي به أصحابه :

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ وَأَقِلُّوا ٱلْعُرْجَةَ[١] عَلَى الدُّنْيَا وَٱنْـقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ فإِنَّ أَمامَكُمْ عَقَبَةً كَئُوداً[٢] وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً[٣] لَا بُدَّ مِنَ ٱلْوُرُودِ عَلَيْهَا وَٱلْوُقُوفِ عِنْدَهَا وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ[٤] المَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ[٥] وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا[٦] وَقَدْ نَشِبَتْ[٧] فِيكُمْ وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ[٨] منهَا[٩] مُفْظِعاتُ[١٠] الأُمُورِ وَمُعْضِلاَتُ[١١] المَحْذُورِ، فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا، وَٱسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى.

وقدْ مضَى شيءٌ منْ هَذا الْكلاَمِ فِيما تَقدَّمَ بِخِلاَفِ[١٢] هذِهِ الرِّوَايَةِ.

* * *

(١) في هـ. ب: التعريج وهو المقام، وفي هـ. ص: هي الالتفات الى المحل وحب البقاء فيه.

(٢) في د: كؤودا، وفي هـ. ب: يقال تأكدني الأمر: صعب، والعقبة الكؤود: الصعبة، وفي هـ. ب: أي شاقة.

(٣) في هـ. ب: مخوفة، شاقة.

(٤) في هـ. ص: شبه المنية بسبع مفترس والناس فرائسه فلا يزال يلاحظهم طمعاً، ولما شبهها بالأسد أثبت لها ماله من الآلة التي اقتدر بها على فعله وكأنه عنى بها أسباب الموت، والله أعلم.

(٥) في ص و د: دائبة، وفي هـ. ب في نسخة: دائبة، وفي هـ. د: دانية ـ ن م ك ر.

(٦) في هـ. ب: جمع مخلب، وفي هـ. ص :المخلب للسبع بمنزلة الظفر للانسان.

(٧) في هـ. ب: علقت.

(٨) في هـ. ب: هاجمتكم، والداهية سميت بذلك لاظلامها.

(٩) في د: فيها.

(١٠) في هـ. ص: الفضيع ما جاوز الحد الشديد.

(١١) في ب: مضلعات، وفي هـ. ب: من الضلع. وفي هـ. د: معضلات ـ ض. وفي هـ. ب: معضلات أي مشكلات. وفي هـ. ص: معضلات، اعضل الأمر اذا صعب وتعذر دفعه وفي نسخة شرح ابن أبي الحديد :مضلعات ،قال :أي الخطوب التي تجعل الانسان ضالعاً أي معوجاً، والماضي ضلع بالكسر يضلع ضلعا، قال: ومن رواها بالظاء أراد الخطوب التي تجعل الانسان ظالعاً أي يغمز في مشيه؛ لثقلها عليه، والماضي ظلع بالفتح، انتهىٰ من الشرح ١١:٦.

(١٢) في ط : يخالف.

قوله ﷺ : «عقبة كؤوداً»::

لما كان موقف القيامة بين يدي الراحل من الدنيا وبين مصيره وغايته من جنّة ونار شُبّه بالطريق التي تفصل بين المحل الذي ينتقل منه وبين المنتقل اليه فـاستعير له مـا للطريق من الأسماء والصفات، فسمي صراطاً وعقبة وجسراً على جهنم، وجعلت أزمانه المختلفة الأحوال بمنزلة المنازل المترتبة، ووصف بالكؤودة والمخافة والهول والدحض والوعوثة والضيق وكونه شائكاً، ومثل في الخيال بمسلك ممدود علىٰ هواء قدره قـدر الشعرة دقة، تصويراً للخطر والهول والزلزلة التي ترهق الناس فيه، والله أعلم[1].

(١) في هـ. ص هنا ما يلي: وقد نقلنا هذا الكلام والسـبب الذي اقـتضاه مـن كـتاب المـعيار والموازنة فيما سبق.

[٢٠٥]

ومن كلام له عليه السلام كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة، وقد عتبا عليه[1] من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما[2]:

لَقَدْ نَقَمْتُما[3] يَسِيراً، وَأَرْجَأْتُمَا[4] كَثِيراً[5]. أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُما[6] فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُما عَنْهُ! أو أَيُّ[7] قَسْمٍ ٱسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُما بِهِ! أَوْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ[8] إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهِلْتُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ![9]

وَٱللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي ٱلْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِي ٱلْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ[10]؛ وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا. فَلَمَّا أَفْضَتْ[11] إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ ٱللهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا ٱسْتَنَّ[12] ٱلنَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَاقْتَدَيْتُهُ. فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ[13] حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ[14]. وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُما وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا.

---

(١) لم ترد عليه في ص.

(٢) في هـ. ب: بعدما فعلا من الغدر والعظمة هو عتابهما على المؤمن لانه ترك مشاورتهما والاستعانة بهما.

(٣) في هـ. ب: أنكرتما، وفي هـ. ص: نقم بالفتح نقم هذه الفصيحاء وجاء نقم بالكسر ينقم بالفتح، انتهى من الشرح.

(٤) في هـ. ب و ص: أخرتما.

(٥) في هـ. ص: يعني الطاعة والوفاء بالبيعة.

(٦) في ط و د: زيادة كان.

(٧) في ص: وأي وفي ط و د: أم أي.

(٨) في ب: دفعه، وفي هـ. ب: في نسخة رفعه.

(٩) في هـ. ب: أي وجهه.

(١٠) في هـ. ب: حاجة، وفي هـ. ص بكسر الهمزة بمعنى الارب وهي الحاجة.

(١١) في هـ. ب: بلغت.

(١٢) في ب: استسن.

(١٣) في ب و ص: ولم يقع.

(١٤) في د: واخواني المسلمين و في هـ. د: واخواني من المسلمين ـ ش.

وَأَمَّا[١] مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ ٱلْأُسْوَةِ[٢]، فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلَا وَلِيتُهُ[٣] هَوًى[٤] مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ ٱللهُ مِنْ قَسْمِهِ[٥]، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ. فَلَيْسَ لَكُمَا وَٱللهِ عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هٰذَا عُتْبَى[٦].

أَخَذَ ٱللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى ٱلْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ!

ثُمَّ قال عليه السلام:

رَحِمَ ٱللهُ رَجُلًا رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ.

* * *

قوله عليه السلام: «ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية اربة»:

يريد عليه السلام: لم أكن راغباً في الولاية رغبتكما، والتي تعتقدان اني عليها وهي ميل النفس اليها لشرف الرئاسة والاستيلاء على الأموال، انّما اطلبها عندما أطلبها، ودخلت فيها عندما دخلت فيها؛ لوجوب ما فعلت عليّ وكونه فرضاً لازماً فطلبتها في حال لأؤكد الحجّة على من منعني إياها وامتنعت عنها عندما طلبت لتتأكد الحجّة على من طالبني بها، ويظهر انه لم يكن ثم اكراه لأحد عليها، ثم ليتأكد وجه لزوم الدخول فيها بوجود الناصر، وقد أشار الى هذه المعاني في مواضع من كلامه.

فلا يتوهم من كلامه نفي النص عليه وكونه مستخلفاً، فان الولاية وهي التصرف في

---

(١) في ص: فأما.

(٢) في هـ. ب: الاقتداء، والاسوة: قدوة يقتدى به، والايتمام هو الاتباع، يريد عليه السلام القياس، فقال: لم أحكم بقرابتي ولا وليته بهوى نفسي، بل وجدت ما جاء به رسول الله ﷺ، ووجدت في كل مسألة نصاً من فعل النبي ﷺ. وفي هـ. ص: قال في الشرح: ثم تكلّم في معنى التفضيل في العطاء فقال: اني عملت بسنة رسول الله ﷺ في ذلك، وصدق عليه السلام؛ فان رسول الله ﷺ ساوى بين الناس في العطاء، وهو مذهب أبي بكر. انتهى

(٣) هـ. ب: التولية: الولاية والاقبال والادبار. (٤) في هـ. د: وروي بهوى مني ـ ر.

(٥) في هـ. ب: تقديره.

(٦) في هـ. ص: أي رضى أي لست أرضيكما بارتكاب ما لا يحل لي من ارتكابه. شرح.

الأنفس والأموال والقيام بما الى الامام، غير كون الشخص اماماً بجعل الله له اماماً، ذلك فعله وهذا فعل الله وحكمه.

قال ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام كلاماً طويلاً في بيان سبب تغيّر قلوب الناس على علي عليه السلام ومحاربتهم له، ونحن ننقل منه ما يقرر مذهب الشيعة ويدلّ على اعتراف الشارح بأمر طال ما مانع ثبوته وما حك وجادل، فقال:

ولقد كان عمر موفقاً حيث منع قريشاً والمهاجرين وذوي السوابق من الخروج عن المدينة، ونهاهم عن مخالطة الناس، ونهى الناس عن مخالطتهم، ورأى أنّ ذلك أسُّ الفساد في الأرض، فإنّ الفتوح والغنائم قد أبطرت المسلمين، ومتى بَعُد الرؤوس والكبراء منهم عن دار الهجرة، وانفردوا بأنفسهم، وخالطهم الناس في البلاد البعيدة لم يأمن أن يحسِنُوا لهم الوثوب، وطلبِ الإمرة ومفارقة الجماعة، وحلّ نظام الألفة، ولكنّه نقض هذا الرأي السّديد بما فعله بعد طعن أبي لؤلؤة له من أمر الشورىٰ، فإنّ ذلك كان سبب كلّ فتنة وقعت، وتقع الى أن تنقضي الدنيا. وقد قدّمنا ذكر ذلك ، وشرحنا ما أدّىٰ إليه أمر الشورى من الفساد بما حصل في نفس كلّ من الستّة من ترشيحه للخلافة[1].

ثم ذكر ابن أبي الحديد روايات تدلّ على ما ذكر[2] من منع عمر لهم، وعلى ان عثمان خلّىٰ عنهم فخالطوا الناس الى أن قال في شأن طلحة والزبير: صار لهما لفيف عظيم من المسلمين يمنّونهما الخلافة، ويحسّنون لهما طلب الإمرة، لاسيما وقد رشّحهما عمر لها، وأقامهما مقام نفسه في تحملها، وأي امرئٍ منّى بها قطّ نفسه ففارقها حتى يغيّب في اللّحد! لاسيما طلحة قد كان يحدِّث بها نفسه وأبو بكر حيّ، ويروم أن يجعلها فيه، لِشبهة أنّه ابن عمّه، وسخط خلافة عمر، وقال لأبي بكر: ما تقول لربّك وقد ولّيت علينا فظّاً غليظاً! وكان له في أيام عمر قوم يجلسون اليه، ويحادثونه سرّاً في معنى الخلافة...

الى أن قال ابن أبي الحديد: فلما صارت الى عثمان سخطها طلحة بعد أن كان رضيها، وأظهر ما في نفسه، وألّب عليه حتى قُتِل، ولم يشكّ أنّ الأمر له، فلمّا صارت الى عليّ عليه السلام، حدث منه ما حدث، وآخر الدواء الكيّ.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢.

وأما الزبير فلم يكن إلّا عَلَويّ الرأي، شديد الوَلاء.

ويقال: إنّه عليه السلام لما استنجد بالمسلمين عَقِيب يوم السّقيفة وما جرى فيه، وكان يحمل فاطمة عليها السلام ليلاً على حمار، وابناها بين يدي الحمار، وهو عليه السلام يسوقه ويطرق بيوت الأنصار، ويسألهم النصرة والمعونة، أجابه أربعون رجلاً، فبايعهم على الموت، وأمرهم أن يصبحوا بكرةً محلّقي رؤوسهم ومعهم سلاحهم، فأصبح لم يوافِهِ منهم إلّا أربعة: الزبير، والمقداد، وأبو ذَرّ، وسلمان. ثم أتاهم من الليل، فناشدهم فقالوا: نصبّحك غدوة؛ فما جاءه منهم إلّا الأربعة، وكذلك في الليلة الثالثة، وكان الزبير أنفذهم بصيرة وأشدهم له طاعة، حلق رأسه وجاءه مراراً وفي عنقه سيفه، وكذلك الثلاثة الباقون، إلّا أنّ الزبير كان الرأس فيهم. وقد نقل النّاس خبر الزبير لما هجم عليه ببيت فاطمة عليها السلام، وكسر سيفه في صخرة ضربت به، ونقلوا اختصاصه بعليّ عليه السلام، وخلواته به. ولم يزل موالياً له، متمسّكاً بحبّه ومودّته، حتى نشأ ابنه عبدالله فشبّ، فنزع به عِرْقٌ من الأُمّ، ومال إلى تلك الجهة وانحرف عن هذه، ومحبّة الوالد للولد معروفة، فانحرف الزُّبير لانحرافه؛ انتهى[1].

قلت: ولا يخفىٰ ما في هذا الكلام من تقرير ان انحراف الناس عن علي عليه السلام كان أمراً حادثاً سببه تولي غيره ومصير الأمر الى من تولاه لما تسبب من هذا من المفاسد وان الأمر لو عقد له بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله ما حصل في الأُمة فساد أصلاً.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٤.

[٢٠٦]

ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين:

إِنِّي[1] أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ:

اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِيَ[2] عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ[3] بِهِ!

* * *

وجدت في بعض الكتب المؤلفة في اخبار صفين، لما ذكر ان أمير المؤمنين عليه السلام عسكر بالنخيلة لما أراد المسير الى صفين قبل الواقعة ما صورته: قال: وخرج حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، يظهران البراءة واللعن من أهل الشام، فأرسل اليهما علي: أن يكُفّا[4]، فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين؛ ألسنا محقّين؟ قال: بلى. قالا: أوليسوا مبطلين؟ قال: بلى. قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال: «كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين، تشتمون وتتبرءون، ولكن [لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن عملهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر. و [لو[5]] قلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتّى يعرف الحقّ منهم من جهلَه، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به، كان هذا أحبّ إليّ وخيراً لكم»]. فقالا: يا أمير المؤمنين، نقبل عظتك، ونتأدب بأدبك. وقال

---

(١) في ب: انني و في هـ. ب في نسخة: اني.

(٢) في هـ. ب: الارعواء: النزوع عن الغي والرجوع عن الخطأ. يكف ارعوىٰ عن القبيح رجع.

(٣) أي ولع به وحرص عليه. وفي هـ. ب: حرص.

(٤) في ط ان كفا عمّا يبلغني عنكما.

(٥) ما بين المعقوفين من ط.

عمرو بن الحمق: يا أمير المؤمنين ما أحببتُك ولا بايعتُك على قرابةٍ بيني وبينك، ولا على مالٍ تؤتينيه، ولا على التماس سلطان ترفع ذكرى به[١]؛ ولكن أحببتك لخصالٍ خمس: أنّك ابن عم رسول الله ﷺ، وأوّل من آمن به، وزوجُ سيِّدة نساء الأُمة فاطمة بنت محمد ﷺ، وأبو الذريّة التي بقيت فينا من رسول الله ﷺ، وأعظم رجل من المهاجرين سهماً في الجهاد. فلو أني كُلِّفت نقل الجبال الرواسي، ونزخ[٢] البحور الطوامي حتى يأتي عليّ يومي في أمرٍ أعزّ به وليّك وأوهن به عدوّك، ما رأيت أنّي أدّيت فيه ما يجب عليَّ من حقّك.

فقال أمير المؤمنين عليّ: اللّهم نوِّر قلبه بالتُّقى، واهدِه الى صراط مستقيم، ليت ان في جندي مائة مثلك.

فقال حجر: إذاً والله، يا أمير المؤمنين يصحّ جندك ويقل فيهم من يغشك، انتهى [٣].

قلت: وفي هذا الكلام دليل على الكراهة دون التحريم، فلا يحسن السبّ لا لسببٍ يقتضيه، والله أعلم.

قال في الشرح: والذي كرهه ﷺ منهم، أنهم كانوا يشتُمون أهل الشام، ولم يكن يكره منهم لعنهم إيّاهم، والبراءة منهم، كما يتوهّمه قومٌ من الحشوية، فيقولون: لا يجوز لعن أحدٍ ممّن عليه اسم الاسلام، وينكرون على من يلعن، ومنهم مَنْ يغالي في ذلك، فيقول: لا ألعن الكافر، ولا ألعن إبليس، وإن الله تعالى لا يقول لأحدٍ يوم القيامة: لِمَ لم تلعن؟ وإنّما يقول: لِمَ لَعنْت؟

واعلم أنّ هذا خلاف نصّ الكتاب، لأنه تعالى قال: ﴿إِنَّ الله لَعَنَ ٱلْكافِرِينَ وأعدّ لهُمْ سَعِيرا﴾[٤].

وقال: ﴿أولئِكَ يلعنهم الله ويَلْعَنُهُمُ اللّاعِنُون﴾[٥].

وقال في إبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[٦].

---

(١) العبارات في ط قريبة المعنى من هذا. (٢) في ط: ونزح.
(٣) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٠٣. (٤) الأحزاب: ٦٤.
(٥) البقرة: ١٥٩. (٦) سورة ص: ٧٨.

وقال: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا﴾[١].

وفي الكتاب العزيز من ذلك الكثير الواسع.

وكيف يجوز للمسلم أن ينكر التبرّي ممّن يجب التبرّي منه! ألم يسمع هؤلاء قول الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي ابْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبداً﴾[٢]! وإنّما يجبِ النظر فيمن قد اشتبهت حاله؛ فإن كان قارف كبيرة من الذنوب يستحقّ بها اللعن والبراءة؛ فلا ضيرَ على مَنْ يلعنه ويتبرأ منه، وإن لم يكن قد قارف كبيرة لم يَجزُ لعنُه، ولا البراءة منه.

وممّا يدلّ على أنّ مَنْ عليه اسم الإسلام إذا ارتكب الكبيرة يجوز لعنُه، بل قد يجب في وقت، قول الله تعالى في قصّة اللعان: ﴿فَشَهَادةُ أَحَدِهِم أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّه لَمِنَ الصَّادِقِين* وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الكاذِبينَ﴾[٣].

وقال تعالىٰ في القاذف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤].

فهاتان الآيتان في المكلّفين من أهل القبلة، والآيات قبلهما في الكافرين والمنافقين؛ ولهذا قَنَت أمير المؤمنينعليه السلام على معاوية وجماعة من أصحابه، ولعنهم في أدبار الصلوات.

فإن قلت: فما صُورة السبّ الذي نَهَى أمير المؤمنينعليه السلام عنه؟

قلت: كانوا يشتمُونهم بالآباء والأُمهات، ومنهم مَنْ يطعن في نسب قوم منهم، ومنهم مَنْ يذكرهم [باللؤم، ومنهم مَنْ يعيّرهم][٥] بالجبن والبخل وبأنواع الأهاجي التي يتهاجىٰ بها الشعراء، وأساليبها معلومة، فنهاهمعليه السلام عن ذلك، وقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين؛ ولكن الأصوب أن تصِفُوا أعمالهم، وتذكروا حالهم؛ أي أن تقولوا إنّهم فسّاق؛ وإنهم أهل

---

(١) الأحزاب: ٦١.
(٢) الممتحنة: ٤ .
(٣) النور: ٦، ٧.
(٤) النور: ٢٣.
(٥) من ط.

ضلال وباطل. انتهى من شرح ابن أبي الحديد[١].

وأقول: ما ذكره محتمل، والأظهر خلافه؛ لأن أمير المؤمنينعليه السلام ذم الأشعث بنسبه وحرفته، ورسول الله صلى الله عليه وآله ذم معاوية بكثرة أكله وبعظم عجيزته، وكذلك ذمّه به أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت شعراء رسول الله صلى الله عليه وآله تهاجي قريشاً بالجبن وبالطعن في الأنساب. وقارّهم رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ ذلك.

والاولى أن يقال: لا يخلو النهي أن يكون على جهة التنزيه أو للتحريم، فان كان علىٰ وجه الكراهة فوجهه انه لم يكن هناك مقتضٍ يرجّح فعله كما في الوقت الذي لعن فيه أمير المؤمنين معاوية ومن معه.

ولعلّه عليه السلام كان قبل الوقعة يرجو رجوع أهل الشام عن غيّهم، وظنّ أن في سبّهم تنفيراً لهم فيكون النهي على نحو قول الله تعالىٰ: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾[٢]. من ترجيح صرف المفسدة في حال، وعلىٰ نحو قوله عليه السلام: اذا كان لكم براءة من أحد فقفوه حتىٰ بلية الموت ـ كما سبق[٣].

وان كان علىٰ وجه التحريم، فلعلّه عرف من حال السبابين انهم كانوا يخرجون سبّهم مخرج التنقّص الدنيوي، ولم يكن يخرجونه مخرج العقوبة والمعاملة الدينية، والذم يجري مجرىٰ الجدّ، وقد نصّوا على انه يحرم فعل الحد على جهة التشفي، ولكن علىٰ وجه إقامة الشرع وقد سبق له عليه السلام نضير ذلك حيث نهىٰ عن عيب الناس وتعييرهم بمعاصيهم مع عيبه لكثير من العصاة بمعاصيهم.

فهذا من الأُمور التي تقع علىٰ وجوه تختلف أحكامها باختلافها، والله أعلم.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٣.
(٢) الأنعام: ١٠٨.
(٣) راجع شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٠١.

[٢٠٧]

ومن كلام لهعليه السلام في بعض أيام صِفِّين، وقد رأى الحسن ابنهعليه السلام يتسرّع[1] إلى الحرب:

امْلِكُوا[2] عَنِّي هَذَا ٱلْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِي[3]، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ[4] بِهَذَيْنِ -يَعْنِي ٱلْحَسَن وَالحُسَيْنَ عليهما السلام- عَلَى المَوْتِ لِئَلاَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وآله.

قَالَ الرَّضِيُّ أَبُو الحَسَن:[5]

قَوْلهعليه السلام: «آمْلِكُوا عَنِّي هَذَا ٱلْغُلَامَ» من أَعْلَى ٱلْكَلَام وَأَفْصَحه.

* * *

قولهعليه السلام: «املكوا عني»:

الألف في «امْلِكُوا» ألف وصل؛ لأن الماضي ثلاثيّ، من ملكت الفرس والعبد والدار، أملِك بالكسر، أي احجروا عليه كما يَحجُر المالك علىٰ مملوكه.

وعن، متعلّقة بمحذوف تقديره: استولوا عليه وأبعدوه عنّي، انتهى من الشرح[6].

وأقول: الأظهر ان من متعلقة بمعنىٰ الكلام إذ معناه املكوا أمره نيابة عنّي. وتولوّه بتوليةٍ مني، صادرة عن أمري لكم بها، والله أعلم.

ووجه علوّ هذا الكلام وفصاحته أنّه لما كان في: «املكوا» معنى البعد، أعقبه بعن، وذلك أنّهم لا يملكونه دون أمير المؤمنينعليه السلام إلّا وقد أبعدوه عنه؛ ألا ترى أنّك إذا حجرت على زيد دون عمرو، فقد باعدت زيداً عن عمرو! فلذلك قال: املكوا عنّي هذا الغلام، انتهىٰ من شرح ابن أبي الحديد[7].

---

(١) في هـ. ب: سرع جذلا.

(٢) في هـ. ب: امسكوا،يقال:كنا في أملاك فلان،أي ملكنا دابته أو امرأته أو فرسه أو غير ذلك.

(٣) في هـ. ب: لا يكسرني.

(٤) في هـ. ب أي ابخل وفي هـ. ص: أي أضيق وأبخل.

(٥) من ط.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٥.

(٧) راجع شرح ابن أبي الحديد ١١:٢٦ وانظر البحار ٣٢:٥٦٢.

وأقول: ان هذا كلام مضطرب، وقصارىٰ محصوله انه أمرهم بتبعيد الحسن عنه، ثم يمنعونه من القتال؟ وهذا لا طائل تحته، فكيف يكون في أعلى الدرجات.

والأظهر أن «عن» متعلّقة بمعنى النيابة والخلفية فقد وكلهم على متعه في محضره ومغيبه.

ووجه علوّه وفصاحته تضمنه للتأكيد والمبالغة؛ لأنه جعل متعة حقّاً عليه واجباً ولآهم اياه، فهو آكد من المكنىٰ عنه وهو امنعوا هذا الغلام من الحرب وأفخم وأروع، والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «نسل رسول الله صلى الله عليه وآله»:

أجمعت الأمة ـ إلّا من ينسب الى العناد والجحد ـ ان الحسن والحسين وذريتهما ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروىٰ ابن حنبل في المناقب، عن عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكلّ ولد أب فان عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فانني أنا أبوهم وعصبتهم» انتهىٰ[1].

والروايات بهذا المعنىٰ كثيرة، والله أعلم.

---

(١) نقله العلامة المجلسي في البحار ٢٥:٢٤٧، ح ٤.

[٢٠٨]

ومن كلام لهعليه السلام قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ، حَتَّى نَهِكَتْكُمُ[1] ٱلْحَرْبُ. وَقَدْ وَٱللهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ[2]، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ.

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً، فَأَصْبَحْتُ ٱلْيَوْمَ مَأْمُوراً، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً، فَأَصْبَحْتُ ٱلْيَوْمَ مَنْهِيّاً. وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ ٱلْبَقَاءَ؛ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ!

* * *

[فأما قوله: «كنت أمس أميراً، فأصبحتُ اليوم مأموراً»]، فقد قدّمنا شرح حالهم من قبل، وأنّ أهل العراق لمّا رفع عمرو بن العاص ومَنْ معه المصاحف على وجه المكيدة حين أحسّ بالعطب وعلوّ كلمة أهلِ الحقّ، ألزموا أمير المؤمنينعليه السلام بوضع أوزار الحرب، وكفّ الأيدي عن القتال، وكانوا في ذلك على أقسام:

فمنهم مَنْ دخلت عليه الشبهة برفع المصاحف، وغلب على ظنّه أنّ أهل الشام لم يفعلوا ذلك خُدعة وحيلة، بل حقّاً ودعاء الى الدين وموجب الكتاب، فرأى أنّ الاستسلام للحجّة أولى من الإصرار على الحرب.

ومنهم مَنْ كان قد ملّ الحرب، وآثر السِّلْم، فلمّا رأى شبهةً ما يسوغُ التعلّق بها في رفض المحاربة وحبّ العافية أخلد إليهم.

ومنهم مَنْ كان يُبغِض عليّاًعليه السلام بباطنه، ويطيعه بظاهره، كما يطيع كثير من النّاس السلطان في الظاهر ويبغضه بقلبه، فلمّا وجدوا طريقاً إلى خذلانه وترك نصرته، أسرعوا نحوها، فاجتمع جمهور عسكره عليه، وطالبوه بالكفّ وترك القتال، فامتنع امتناع عالم بالمكيدة، وقال لهم: إنها حيلة وخديعة، وإنّي أعرَفُ بالقوم منكم [إنهم ليسوا بأصحاب

---

(١) في هـ. ب: أضعفكم.

(٢) في هـ. ب: أثرت فيكم وأخذت منكم الشجاعة، أو أن شدة الحرب أخذت منكم فتركتكم.

قرآن ولا دين، قد صحبتهم وعرفتهم صغيراً وكبيراً، فعرفت منهم الإعراض عن الدّين، والركون إلى الدنيا، فلا تراعُوا برفع المصاحف، وصمّموا على الحرب، وقد ملكتموهم، فلم يبق منهم إلّا حشاشة ضعيفة، وذماء قليل][١]. فأبوا عليه، وألحوا وأصرُّوا على القعود والخذلان، وأمروه بالإنفاذ إلى المحاربين من أصحابه، وعليهم الأشتر أن يأمرهم بالرجوع، وتهدّدوه إن لم يفعل بإسلامه إلى معاوية، فأرسل الى الاشتر يأمره بالرجوع وترك الحرب، فأبى فقال: كيف أرجع وقد لاحت امارات الظفر! فقولوا له: «ليمهلني ساعة واحدة»، ولم يكن علم صورة الحال كيف قد وقعت. فلمّا عاد إليه الرسول بذلك، غضبوا ونفروا وشغبوا، وقالوا: أنفذت إلى الأشتر سرّاً وباطناً، تأمره بالتصميم، وتنهاه عن الكفّ، وإن لم تعده الساعة، وإلّا قتلناك كما قتلنا عثمان، فرجعت الرّسل إلى الأشتر فقالوا له: أتحبّ أن تظفر بمكانك وأمير المؤمنين قد سلّتْ عليه خمسون ألف سيف، فقال: ما الخبر؟ قال: إنّ الجيش بأسره قد أحدق به، وهو قاعد بينهم على الأرض، تحته نطَع، وهو مُطرِق، والبارقة تلمع على رأسه، يقولون: لئن لم تُعِد الأشتر قتلناك [قال: ويحكم! فما سبب ذلك؟ قالوا: رَفْع المصاحف، قال: والله لقد ظننت حين رأيتها رُفعت أنّها ستوقع فرقةً وفتنة].

فكر راجعاً على عقبيه، فوجد أمير المؤمنينعليه السلام تحت الخطر، قد ردّده أصحابه بين أمرين: إمّا أن يُسلِموه الى معاوية، أو يقتلوه، ولا ناصر له منهم إلّا ولداه وابن عمّه ونفر قليل لا يبلغون عشرة، فلما رآهم الأشتر سبّهم وشتمهم [وقال: ويحكم! أبعد الظّفر والنصر صبّ عليكم الخذلان والفرقة! يا ضعاف الأحلام! يا أشباه النساء! يا سفهاء العقول] فشتموه وسبّوه، وقهروه وقالوا: المصاحف المصاحف! والرجوع إليها، لا نرى غير ذلك! فأجاب أمير المؤمنينعليه السلام الى التحكيم، دفعاً للمحذور الأعظم بارتكاب المحظور الأضعف [فلذلك قال: «كنت أميراً فأصبحت مأموراً؛ وكنت ناهياً فصرت منهيّاً]»[٢].

---

(١) من ط.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣١، وما بين المعقوفات من ط.

[٢٠٩]

ومن كلام له ﷺ بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثيّ؛ وهو من أصحابه يعوده فلما رأى سعة داره قال:

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فى الدُّنْيَا، أما أَنْتَ[١] إِلَيْهَا فى الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ! وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ: تَقْرِي[٢] فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ[٣] مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَها[٤]، فَإِذاً[٥] أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ!

فَقَالَ لَهُ الْعَلاَءِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عاصمَ بنَ زِيَادٍ.

قال: وماله؟

قال: لَبِسَ الْعَبَاءَ[٦]، وَتَخَلَّى مِنَ الدنْيَا.

قال: عَلَيَّ بِهِ. فلما جاءَ قال: يَا عُدَيَّ[٧] نَفْسِهِ! لَقَدِ اسْتَهَامَ[٨] بِكَ الْخَبِيثُ! أَمَّا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ! أَتَرَى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا! أَنْتَ أَهْوَنُ[٩] عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ!

قال: يَا أمير المؤمنين، هَذَا أَنْتَ فى خُشُونَةِ[١٠] مَلْبَسِكَ، وَجُشُوبَةِ[١١] مأكَلِكَ!

قَالَ: وَيْحَكَ إِنِّى لَسْتُ كأَنْتَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدلِ[١٢] أَنْ

---

(١) في ب و د: أنت وليس فيها «و» وهي في هـ. د: اما أنت اليها ـ ح و ب.

(٢) في هـ. ب: تطعم.

(٣) في هـ. ب: تخرج يقال: اطلع النحل ما خرج طلعا.

(٤) في هـ. ب: مواضعها. (٥) هـ. ب: اذا هنا للمفاجأة.

(٦) في د: العباءة، وفي هـ. ص: العباء جمع عباءة مهموزاً وقد لا يهمز،وهو الكساء.

(٧) في هـ. ب: تصغير العدو. (٨) استهام.

(٩) في هـ. ب: من الهون. (١٠) في هـ ب و ص: الخشن ضد اللين.

(١١) في هـ. ب: الطعام الجشب هو الذي لا ادام له، وفي هـ. ص: أي غلظة، فهو ما يؤكل لدفع الجوع لا للذة.

(١٢) في ط و د: الحق، وفي هـ و ص في نسخة: الحق.

يُقَدِّرُوا[١] أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ[٢] بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ!

* * *

قوله عليه السلام: «كيلا يتبيّغ بالفقير فقره»:

أي يهيج ويتزايد ضرره، يقال: يتبيّغ الدم وتبوّع: اذا هاج. وغلا فأضر بصاحبه.

واعلم ان الزهد ورفض الدنيا خلق النبيين وأحب الخلال الى ربّ العالمين وكلام أمير المؤمنين عليه السلام مشحون بذلك فلا يؤخذ من هذا الكلام كراهته والمنع منه، وله محمل.

والتحقيق: ان الزهد بالقلب واخراج زينة الدنيا من النفس ليس له إلّا وجه واحد وهو الوجوب كما في حق النبي صلى الله عليه وآله، أو الندب كما في حق غيره. واما اظهار الزهد في الأحوال فانه يقع علىٰ وجوه ترجحه وترجّح خلافه.

وقد أشرنا الى نحو هذا فيما سبق مع تفصيل قليل فراجعه. والله أعلم.

---

(١) في هـ. ص: أي يشبهوا ويمثلوا.

(٢) في هـ. ب: يتهيّج.

[٢١٠]

ومن كلام لهعليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع ، وعما فى أيدى الناس من اختلاف الخبر ، فقالعليه السلام :

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلاً ، وَصِدْقاً وَكَذِباً ، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً ، وَعَامّاً وَخَاصّاً ، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً[١] ، وَحِفْظاً وَوَهَماً[٢] .

وَلَقَدْ كُذِبَ عَلى رَسُول اللهِصلى الله عليه وآله عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» . وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ ، لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ :

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسلاَمِ ، لا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ[٣] ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِصلى الله عليه وآله مُتَعَمِّداً ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَه ، وَلكِنَّهُمْ قَالُوا : صَاحِبُ رَسُولِ اللهِصلى الله عليه وآله ، رَآهُ[٤] وَسَمِعَ مِنْهُ[٥] ، وَلَقِفَ عَنْهُ[٦] ؛ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ[٧] ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلاَلَةِ[٨] ، وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً[٩] عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ

---

(١) في هـ . ص: وهذا دليل على وقوعهما في السنة كما في الكتاب.

(٢) في هـ . ص: الهاء مفتوحة مصدر وهمت بالكسر أو وهم أي غلطت وسهوت وقد روي وهما، بالتسكين وهو مصدر وهمت بالفتح اسم اذا ذهب وهمك الى شيء وأنت تريد غيره والمعنى متقارب، انتهى من الشرح .

(٣) في هـ . ب: أي لا يرىٰ اثماً ولا حرجاً، وفي هـ . ص: والتأثم الكف عن موجب الاثم والتحرج الكف عن موجب الحرج.

(٤) في هـ . د: رأىٰ ـ ب .

(٥) في ب: به وفي هـ . ب: في نسخة منه.

(٦) أي تناول وأخذ عنه.

(٧) في هـ في ب و ص و د زيادة صلى الله عليه وآله وفي هـ . ب: بعد النبي.

(٨) في ص: الضلال.

(٩) لم ترد «حكاماً» في ب و ص و د و في هـ . ب: حاكماً علىٰ رقاب الناس، وفي هـ . د: وجعلوهم حكّاماً ـ ض ح ب .

الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا، إلاَّ مَنْ عَصَمَ ٱللهُ. فَهَذَا أَحَدُ ٱلْأَرْبَعَةِ[١].

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ[٢] شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهِمَ[٣] فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، يَرْوِيهِ[٤] وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ[٥]، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَٰلِكَ لَرَفَضَهُ.

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ شَيْئاً، يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ[٦] نَهَى عَنْهُ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ[٧]، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ[٨]، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ. فَلَوْ عَلِمَ[٩] أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَآخَرُ رَابِعٌ[١٠]، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى ٱللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ ٱللهِ[١١]، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَلَمْ يَهِمْ[١٢]، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى سَمْعِهِ[١٣]، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، فَهُوَ[١٤] حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ[١٥]، وَعَرَفَ ٱلْخَاصَّ وَٱلْعَامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوضِعَهُ، وعرف المتشابه ومحكمه[١٦] وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ٱلْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ، فَكَلَامٌ خَاصٌّ، وَكَلَامٌ

---

(١) في هـ. د: فهو أحد الأربعة ـ ب.

(٢) في ب و ض زيادة ﷺ.

(٣) أي غلط وأخطأ.

(٤) في ط: ويرويه، وفي هـ. د: ويرويه ـ ض ح ب.

(٥) في هـ. د: لم يقبلوا منه ـ ض ب ل.

(٦) في ط: ثم انه، وفي هـ. د: ثم انه ـ ض، ح.

(٧) في هـ. ب: أي وهو لا يعلم نهيه.

(٨) في هـ. ب: أي وهو لا يعلم انه أمر به.

(٩) في ب و ص د: فلو يعلم، وفي هـ د: فلو علم ـ ض ح ب.

(١٠) في هـ ص: قال ابن الجوزي في كتابه ذخيرة الصابرين: وانما دلّ بهذا على نفسه انتهى، وفي أمالي أحمد بن عيسى مارسمه: قال سمعت أبا الطاهر العلوي يذكر قال: إذا سمعت حديثين وثبتا عندي حديث عن النبي ﷺ وحديث من علي، أخذت بالحديث الذي من علي لأنه كان أعلم الناس بآخر ما كان عليه النبي ﷺ.

(١١) في ب و ص و د: خوفاً لله، وفي هـ. د: خوفاً من الله ـ ض ح ب.

(١٢) في هـ. ب: من الوهم.

(١٣) د: على ما سمعه، وفي هـ. د: على سمعه ص ح ب ش.

(١٤) لم ترد «فهو» في ب و د.

(١٥) في هـ. ب: أي أخذ عنه جانباً.

(١٦) العبارة في ط هكذا: والمحكم ومتشابه فوضع كل شيء موضعه.

عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى آللهُ[١] بِهِ، وَلَا مَا عَنَى[٢] رَسُولُ آللهِ ﷺ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قَصَدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ[٣]، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رسول آللهِ ﷺ مَنْ[٤] كَانَ يَسْأَلُهُ، وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ[٥] كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ آلْأَعْرَابِيُّ أَوِ الطَّارِيءُ[٦]، فَيَسْأَلَهُ ﷺ[٧]، حَتَّى يَسْمَعُوا[٨]، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، وَحَفِظْتُهُ.

فَهَذِهِ وُجوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي آخْتِلَافِهِمْ وَعِلَلِهِمْ[٩] فِي رِوَايَاتِهِمْ.

* * *

قوله ﷺ: «رجل منافق ... الى قوله: لرفضوه»:

اعلم ان الجرح والتعديل علىٰ قواعد المحدّثين لا تنفي هذه العلل التي ذكرها أمير المؤمنين ﷺ.

اما أولاً: فلأن أكثر القول فيه مبني على الهوىٰ، ألا ترى القوم حكموا بعدالة كلّ صحابي؟ وكلام أمير المؤمنين ﷺ ـ هذا ـ في الرواة من الصحابة.

وأيضاً جعلوا التشيع بدعة، وضدّه سنّة، فحكموا بجرح كلّ شيعي وبعدالة كل ناصبي، فكم من مجروح معدل ومعدّل مجروح، ولهم في ذلك خبط واضطراب.

واما ثانياً: فلأن النسخ والوهم وكون اللفظ مراداً به غير ما فهمه الراوي، لا يعرف بالرجال، بل بالمعرفة بمقاصد الشرع، وانما الذي ينفي كلّ ما ذكره ﷺ من العلل ويوضّح

---

(١) في ط و د زيادة سبحانه، وفي هـ. د: ما عنى الله به ـ ش.

(٢) في ب و ص زيادة به.

(٣) في هـ. ب: أي ما خرج من سببه، أي يسأل رسول الله وأشفعهم منه القوم:اذا طلع عليهم وفي هـ. ص: بالهمز:الطالع على القوم من غيرهم.

(٤) لم ترد «من» في د، وفي هـ. د: من كان ـ ص ح ب .

(٥) في هـ. ص: ان مخففة من الثقيلة ولذلك جاء اللام في الخبر عن الشرح.

(٦) في ط: والطارئ.

(٧) في هـ. ب: «فيسأله» عائد الى النبي.

(٨) في هـ. ص: وذلك لأنهم لما نهوا عن السؤال عن أشياء هابوا ولم يكن لأكثرهم جودة تميز بين ما يحسن السؤال عنه وما لا، كما كان لعلي ﷺ.

(٩) في هـ. ص: روى بالرفع مطلقاً على وجوه،وروي بالجر عطفاً على اختلافهم.

الصحيح من الخطل ما اعتمده أئمتناعليهم السلام من الرجوع الى كتاب الله في القبول، والرد لما وقع الشك فيه من الحديث.

قال الامام القاسم بن محمد في أساسه والسيد أحمد بن محمدرضي الله عنه في شرحه: «وما نقل من الأخبار أحادياً فله تفاصيل فيها خلافات مذكورة في كتب الأُصول، وأصحها قول من يوجب العرض على الكتاب أي عرض الخبر الآحادي على القرآن.

وهذا قول القاسم والهادي وولده المرتضىٰ، والقاسم بن علي العياني وغيرهم.

وعن الحارث الأعور انه دخل علىٰ عليعليه السلام فقال: ان الأحاديث قد كثرت فقال: قد فعلوها؟!، سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: تكون فتنة تكثر فيها الأحاديث.

فقلت: يا نبي الله فما المخرج؟

فقال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم... الخبر. ذكره في المستحسنة وغيرها.

وانما كان هذا القول أصحها لقولهصلى الله عليه وآله : «ألا وانه سيكذب عليّ كما كذب على الأنبياء من قبلي»، فما روي عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فهو مني وانا قلته وما خالفه فليس مني ولم أقله.

وهذا خبر تلقاه الاصوليون بالقبول واحتجوا به فيجري مجرىٰ المحكم من الكتاب فيرد اليه ما وقع فيه من الاشتباه من الأخبار. انتهىٰ

وفي موضع من شرح الأساس قال المرتضىٰ محمد بن الهادي الى الحق في جواب من سأله ما لفظه:

وقلت: لأي معنىً لم ندخل الأحاديث في أقوالنا؟ ولسنا ندخل ما كان من الحديث باطلاً عندنا، وانما كثير من الأحاديث مخالفة لكتاب الله ومصادمة له فلم نلتفت اليها، ولم نحتج الى ما كان كذلك منها، وكلّما وافق الكتاب وشهد له بالصواب صحّ عندنا وأخذنا به، وما كان أيضاً من الحديث مما رواه أسلافنا أباً عن أب عن عليعليه السلام عن النبيصلى الله عليه وآله فنحن نحتجّ به.

وما كان ممّا رواه الثقات من أصحاب محمّد ﷺ قبلناه وأخذنا به وأنفذناه وما كان خلاف ذلك لم نرضه صواباً ولم نقل به ، انتهى .

قوله ﷺ: «**وكان لا يمر بي شيء من ذلك إلّا سألت عنه وحفظته**»، هذا على عادته ﷺ في الاشارة إلىٰ كونه المحقّ واجب الاتباع، بعد أن يذكر محقّاً ومبطلاً مجملين ـ في غير موضع من كلامه ـ.

وهو ﷺ : يريد الحثّ على اتباعه والأخذ عنه لا عن غيره، لأمن المفاسد في الأخذ عنه، بخلاف غيره، والطريق الذي يكون سالكها واثقاً بالوصول الى مطلوبه آمناً من مخاوف المسالك واجبة السلوك لا يجوز العدول عنها، والله أعلم.

قال في شرح ابن أبي الحديد: واعلم أنّ أمير المؤمنين ﷺ كان مخصوصاً من دون الصّحابة رضوان الله عليهم بخلوات كان يخلُو بها مع رسول الله ﷺ، لا يطّلع أحدٌ من النّاس على ما يدور بينهما، وكان كثيرَ السؤال للنبيّ ﷺ عن معاني القرآن وعن معاني كلامه ﷺ ، وإذا لم يسأل ابتدأه النبيُّ ﷺ بالتعليم والتثقيف، ولم يكن أحدٌ من أصحاب النبيّ ﷺ كذلك، بل كانوا أقساماً: فمنهم مَنْ يهابه أن يسأله، وهم الذين يحبّون أن يجيء الاعرابيّ أو الطاريُّ فيسأله وهم يسمعون، ومنهم مَنْ كان بليداً بعيد الفهم قليل الهمّة في النظر والبحث، ومنهم مَنْ كانَ مشغولاً عن طلب العلم وفهم المعاني، إمّا بعبادة أو دنيا، ومنهم المقلّد الذي يرى أنّ فرضه السكوت وترك السؤال، ومنهم المبغض الشّانئ الذي ليس للدّين عنده من الموقع ما يضيّع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه، وانصاف إلى الأمر الخاصّ بعليّ ﷺ ذكاؤه وفطنته، وطهارة طينته، وإشراق نفسه وضوءها، وإذا كان المحلّ قابلاً متهيّئاً، وكان الفاعل المؤثّر موجوداً، والموانع مرتفعة، حصل الأثر على أتمّ ما يمكن؛ فلذلك كان عليٌّ ﷺ ـ كما قال الحسن البصري ـ ربانيّ هذه الأمة وذا فضلها؛ ولذا تسمّيه الفلاسفة: إمام الأئمة وحكيم العرب[1].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٤٨.

[ذكر بعض أحوال المنافقين بعد وفاة محمّد ﷺ]:

قوله عليه السلام: «وانما اتاك بالحديث أربعة رجال... الى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد واعلم أن هذا التقسيم صحيح، وقد كان في أيّام الرسول ﷺ منافقون، وبقُوا بعده، وليس يمكن أن يقال: إنّ النّفاق مات بموته، والسبب في استتار حالهم بعدَه أنّه ﷺ كان لا يزال يذكرهم بما ينزل عليه من القرآن، فإنّه مشحون بذكْرهم، ألا ترَىٰ أنّ أكثر ما نزل بالمدينة من القرآن مملوء بذكر المنافقين، فكان السبب في انتشار ذكرهم وأحوالهم وحركاتهم هو القرآن، فلما انقطع الوحي بموتهِ ﷺ لم يبقَ من يَنْعَى عليهم سقطاتِهم ويُوبّخهم على أعمالهم، ويأمر بالحذَر منهم، ويجاهرهم تارةً، ويجاملهم تارة[1]، وصار المتولّي للأمر بعده يحمِلُ الناس كلّهم على كاهل المجاملة، ويعاملهم بالظاهر، وهو الواجب في حكم الشرع والسياسة الدنيويّة، بخلاف حال الرسول ﷺ فإنّه كان تكليفه معهم غيرَ هذا التكليف، ألا ترى أنّه قيل له: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً﴾[2]! فهذا يدلّ على أنّه كان يعرفهم بأعيانهم، وإلّا كان النّهيُ له عن الصّلاة عليهم تكليفَ ما لا يطاق، والوالي بعده لا يعرفهم بأعيانهم، فليس مخاطباً بما خُوطب به ﷺ في أمرهم، وبسكوت الخلفاء عنهم بعده خَمَلَ ذكرُهم، فكان قُصارىٰ أمرِ المنافق أن يُسِرّ ما في نفسه، ويعامل المسلمين بظاهره، ويعاملونه بحسب ذلك. ثم فُتِحت عليهم البلاد، وكثرت الغنائم، فاشتغلوا بها عن الحركات التي كانوا يعتمدونها أيام رسول الله ﷺ، وبعثَهم الخلفاء مع الأمراء الى بلاد فارس والرّوم، فألهتهم الدّنيا عن الأمور التي كانت تُنقم منهم في حياة رسول الله ﷺ، ومنهم مَن استقام اعتقاده، وخلصت نيّته، لمّا رأوا الفتوح وإلقاء الدّنيا أفلاذ كبدها من الأموال العظيمة، والكنوز الجليلة إليهم، فقالوا: لو لم يكن هذا الدّين حقّاً لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه. وبالجملة لمّا تركوا تُرِكُوا، وحيث سُكِت عنهم سكتوا عن الاسلام وأهله؛ إلّا في دسيسة خفيّة يعملونها، نحو الكذب، الذي

---

(١) في هـ.ص: قلت:لكن قد علّمهم رسول الله ﷺ بعلامة ظاهرة مستمرة وهي بغض علي عليه السلام وأهل بيت رسول الله صلوات الله عليه وعليهم فاضدادهم داخلون تحت الآيات الذاكرة للمنافقين والماردون على النفاق منهم علماء السوء الجحّادون المتكلفون المتفقهون فاعرف، انتهى.

(٢) التوبة: ٨٤.

أشار اليه أمير المؤمنين، فإنّه خالط الحديث كذبٌ كثيرٌ، صدرَ عن قومٍ غير صحيحي العقيدة، قصدوا به الإضلال وتخبيط القلوب والعقائد، وقَصَدَ به بعضهم التنويه بذكر قوم كان لهم في التنويه بذكرهم غرض دنيوي. وقد قيل: إنّه افتُعِل في أيّام معاوية خاصّة حديث كثير على هذا الوجه، ولم يسكت المحدّثون الراسخون في علم الحديث عن هذا، بل ذكروا كثيراً من هذه الأحاديث الموضوعة، وبيّنوا وضعها؛ وأنّ واضعيها غير موثوق بهم، إلّا أن المحدّثين إنّما يطعنون فيما دون طبقة الصحابة، ولا يتجاسرون في الطعن على أحد من الصحابة لأنّ عليه لفظ «الصحبة»؛ على أنهم قد طعنوا في قومٍ لهم صحبة كبسر بن أرطأة وغيره.

فان قلت: مَنْ هم أئمة الضلالة، الّذين تقرّب اليهم المنافقون الذين رأوا رسول الله، وصحبوه بالزور والبهتان؟ وهل هذا إلّا تصريح بما تذكره الإمامية، وتعتقده!

قلت: ليس الأمر كما ظننت وظنّوا، وإنّما يعني معاوية وعمرو بن العاص ومَنْ شايعهما على الضلال، كالخبر الذي رواه مَنْ رواه في حق معاوية: «اللّهم قِهِ العذاب والحساب، وعلّمه الكتاب»[1]؛ وكرواية عمرو بن العاص تقرُّباً إلى قلب معاوية: «إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنّما وليي الله وصالح المؤمنين»، وكرواية قوم في أيّام معاوية أخباراً كثيرة من فضائل عثمان، تقرُّباً إلى معاوية بها، ولسنا نجحد فضل عثمان وسابقته، ولكنّا نعلم أنّ بعض الأخبار الواردة فيه موضوع، كخبر عمرو بن مرّة وهو مشهور، وعمرو بن مرّة ممّن له صحبة.

[ذكر بعض ما مُني به آل البيت من الأذى والاضطهاد]:

وليس يجب من قولنا: إنّ بعض الأخبار الواردة في حقّ شخص فاضل مفتعلة أن نكون قادحين في فضل ذلك الفاضل؛ فإنّا مع اعتقادنا أنّ علياً أفضل الناس، نعتقد أنّ بعض الأخبار الواردة في فضائله مفتعل ومختلق.

---

(١) في هـ. ص: نقل الشارح عن النقيب أبي جعفر ان عمرواً افتعله لعمر بن الخطاب. والله أعلم.

وقد رُوي أنّ أبا جعفر محمد بن علي الباقرعليه السلام، قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قُبِض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش واحداً بعد واحد حتى أخرجت الأمر عن معدِنه، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا. ثم تداولتها قريش، واحدٌ بعد واحد، حتى رجعت الينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في ضعف وكسود، حتى قتل، فبويع الحسن ابنه وعُوهد ثم غدر به، وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، وانتهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أمّهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل حتى قتل. ثم بايع الحسينعليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً، ثم غدروا به، وخرجوا إليه، وبيعته في أعناقهم فقتلوه، ثم لم نزل ـ أهل البيت ـ نُستَذَلّ ونُستضام، ونقصى ونُمتَهن، ونحرَم ونقتل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله، ليبغّضونا إلى الناس، وكان أعظم ذلك وأكثره زمن معاوية بعد موت الحسنعليه السلام، فقُتِلَت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظِّنة، وكان مَنْ يذكر بحبّنا والإنقطاع إلينا سُجِن أو نهبَ ماله، أو هُدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسينعليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كلّ قتلة، وأخذهم بكلّ ظِنّة وتهمة، حتى إنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحبُّ إليه من أن يقال: شيعة علي، وحتى صار الرّجل الذي يذكر بالخير ـ ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً ـ يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، ولم يخلق اللّه تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنّها حقٌّ لكثرة مَنْ قد رواها ممّن لم يعرف بكذبٍ ولا بقلّة ورع.

وروى أبو الحسن عليّ بن محمد بن أبي سيف المدايني في كتاب «الأحداث» قال: كتب معاوية نسخة واحدة الى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلّ كورة، وعلى كلّ منبر، يلعنون علياً

ويبرءون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته؛ وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من شيعة عليّ عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سُميّة، وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف؛ لأنّه كان منهم أيّام علي عليه السلام؛ فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق؛ فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية الى عمّاله في جميع الآفاق: ألّا يجيزوا لأحدٍ من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم: أن انظروا مَن قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته؛ والذين يروون فضائله ومناقبه؛ فأدنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا الي بكل ما يروي كلّ رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه اليهم معاوية من الصّلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي؛ فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد من الناس عاملاً من عمّال معاوية، فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب اسمه وقرّبه وشفّعه. فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عمّاله أنّ الحديث في عثمان قد كثُر وفشا في كلّ مصر وفي كل وجه وناحية؛ فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحدٌ من المسلمين فيأبي تراب إلّا وتأتوني بمناقضٍ له في الصحابة؛ فإن هذا أحبّ إليّ وأقرُّ لعيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشدُّ عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلّمي الكتاتيب؛ فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا مَنْ قامت عليه البيّنة أنه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فامحوه من الدّيوان، واسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة

أُخرىٰ: مَن اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكّلوا به، واهدِمُوا داره. فلم يكن البلاء أشدّ و لا أكثر منه بالعراق؛ ولا سيما بالكوفة، حتى إنّ الرجل من شيعة عليّ عليه السلام ليأتيه مَنْ يثق به، فيدخل بيته، فيلقى إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدّثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، ليكتُمَنّ عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة؛ وكان أعظم الناس في ذلك بليّةً القراء المراءون، والمتصنّعون الّذين يُظهرون الخشوع والنُّسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقرّبوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل؛ حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلُّون الكذب والبهتان؛ فقبلوها ورووها، وهم يظنّون أنها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لما رووها، ولا تديّنوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن عليّ عليه السلام، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحدٌ من هذا القبيل إلّا وهو خائف على دمه؛ أو طريد في الأرض.

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولّى عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة، وولّى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرّب اليه أهل النّسك والصلاح والدّين ببغض عليّ وموالاة أعدائه، وموالاة مَنْ يدّعي قوم من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلِهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغضّ في علي عليه السلام وعيبه، والطعن فيه، والشنآن له حتّى إن إنساناً وقف للحجّاج ـ ويقال إنّه جد الأصمعيّ عبد الملك بن قريب ـ فصاح به: أيُّها الأمير إنّ أهلي عقُّوني فسمَّوني عليّاً، وإني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج. فتضاحك له الحجاج، وقال: لِلُطْفِ ما توسّلت به قد ولّيتك موضع كذا.

وروى ابن عرفة المعروف بنفطويه ـ وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم ـ في تاريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتُعلت في أيّام بني أُمية، تقرُّباً إليهم بما يظنون أنهم يُرغمون به أنوف بني هاشم. (انتهى من شرح ابن أبي الحديد)[1].

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٤١ ـ ٤١.

أقول: ولا يخفى ما في هذا النقل الذي نقله الشارح وقرره من اثبات تهمة فيما يروى من فضائل الصحابة قوية مشككة، فان من شرط قبول رواية الراوي ألا يكون له غرض فيما روىٰ وقد ثبت بهذا ان لجمهور رواة فضائل الصحابة أغراضاً دنيوية.

اما متقدموهم فما نقل آنفاً، واما متأخروهم فانهم صرّحوا بأنهم يقبلون من أحاديث فضائل الصحابة الضعيف ليقمعوا به رؤوس الشيعة، فتعلقت التهمة بالمتقدمين والمتأخرين.

ولا يخفىٰ ـ أيضاً ـ ما فيه من الدلالة على صحة ما روي من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وقوة أسانيدها واشتهارها، وان لله إرادة في بقائها وظهورها، فحفظها لأنه بدون هذه الأفعال من بني أمية تضمحل الحقائق كيف البواطل[1]؟

لكن ما حفظه الله لم يذهب، كيف ومحدثوا العامة يعادون الشيعة ويماحكونهم ويتعلقون بأضعف الأسباب في إبطال مقالتهم، فأجرى الحق على ألسنتهم وهم كارهون.

وما من حديث يختص الشيعة بروايته إلا وله شواهد مما ترويه العامة تحقق معناه وتثبته والحمد لله.

واعلم: ان تقسيم أمير المؤمنين عليه السلام وارد في رواة الصحابة صريح فيهم وفيه أوضح الدلالة على ان الصحابة كغيرهم في باب الجرح والتعديل، وهذه مسألة خلاف معروف في أصول الفقه والمصنفون من متأخري أصحابنا يخبطون في نقل مذاهب الأئمة عليهم السلام فيها فكل ينسب اليهم ما يقرب الى هواه، والمسألة عظيمة القدر إذ عليها مدار الدين، فيحسن منّا أن ننقل ما يوافق كلام أمير المؤمنين، ويوضح الحق المبين وبالله التوفيق:

وجدت بخط الامام القاسم بن محمد ما رسمه: قال ابن الصلاح في النوع التاسع والثلاثين من كتاب معرفة أنواع علم الحديث: «للصحابة بأسرهم خصيصة وهي انهم لا يسأل عن عدالة الواحد منهم ذلك أمر مفروغ منه، لكونهم على الاطلاق معدلين بالكتاب والسنة واجماع من يعتد به في الاجماع من الأمة؛ قال الله تعالى: ﴿**كنتم خير أُمة أُخرجت**

---

(١) في هـص: أي لو قدر انها بواطل.

للناس﴾[١]، وقال تعالىٰ: ﴿وكذلك جعلناكم أُمة وسطاً لتكونوا شهداء على النـاس﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾[٣].

قال: ومن السنة الشاهدة لذلك كثرة: كحديث أبي سعيد المتفق على صحته ان رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا أصحابي ... الخبر[٤].

قال: ثم ان الأُمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم كذلك، باجماع العلماء الذين يعتدّ بهم في الاجماع، انتهى.

وهلا تلى ابن الصلاح قوله تعالىٰ: ﴿مردوا على النفاق لا تعلمهم...﴾[٥] الآية. وقوله تعالىٰ: ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة...﴾ الآية[٦] وقوله تعالىٰ: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾[٧] وهلا تذكّر ما يروي هو في الصحاح قوله ﷺ في أصحابه الذين يردون الحوض فيحلئون عنه فيقال: انك لا تدري ما أحدثوا بعدك. وأين اجماع الأُمة على التعديل مع استحلال دماء أهل واقعة الجمل وصفّين والنهروان بعضهم بعضاً. إلّا ان يخرج أولئك من الأُمة، وكيف وهم كانوا هم الأُمة، ثم مـن هـؤلاء الذيـن يـعتدّ باجماعهم دون من سواهم؛ ان كان بدليل خاص فليبرزه، فهو في محل الاحتجاج الذي لا يقتصر فيه على مجرد الدعوى.

ثم ان لمخالفه أن يدّعي خلاف ما ادعىٰ ثم لا يكون أيهما أولى بصحة دعـواه مـن الآخر. (انتهى ما وجدته بخط الامام).

قلت: والحديث الذي أشار اليه الامام مشهور رواه الناس كـلهم عـن جـماعة مـن الصحابة، ووجدت في تهذيب المزّي. في ترجمة المغيرة بن النعمان النخعي الكوفي بعد ايراد سند طويل من وجوه قال: حدّثني المغيرة بن النعمان، قال: حدّثني سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال ﷺ : «انكم تحشر ون الى الله حفاة عراة عزالا » ثم قرأ: ﴿كما

---

(١) آل عمران: ١١٠.
(٢) البقرة: ١٤٣.
(٣) الفتح: ٤٨.
(٤) سنن أبي داود: ٤٦٥٨، سنن الترمذي: ٣٨٦١.
(٥) التوبة: ١٠١.
(٦) آل عمران: ١٥٢.
(٧) هود: ١٥.

بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انّا كنّا فاعلين﴾، وان أول من يكسىٰ ابراهيم عليه السلام يوم القيامة، الا وان ناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال: انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسىٰ بن مريم: ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم...﴾ الى قوله :﴿العزيز الحكيم﴾[1].

رواه البخاري عن محمد بن كثير فوافقناه بعلوّ، وأخرجه من حديث شعبة عنه أيضاً، وأخرجه مسلم من حديث شعبة وأخرجه الترمذي والنسائي من حديث سفيان وشعبة فوقع لنا عالياً بدرجتين، وقال الترمذي حسن صحيح، انتهى[2].

وفي شرح السيد صلاح بن أحمد المؤيدي رحمه الله على الفصول بعد ايراد متمسكات الأقوال:

والحق في هذه المسألة هو الانصاف والبعد عن جانب التعصب والاعتساف، إنهم كغيرهم لما قدمنا، مما اذا اعتمدته تحققت ما قلناه، ولقوله تعالىٰ: ﴿مردوا على النفاق لا تعلمهم﴾[3].

وقوله تعالىٰ: ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾[4].

مع قوله تعالىٰ: ﴿من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها...﴾[5] الآية.

ولما روي في الصحيح في الذين يردون الحوض فيحلئون عنه، فيقول أصحابي أصحابي ـ وفي رواية لمسلم: انهم من أُمتي ـ فيقال: انك لا تدري ما أحدثوا بعدك، وغير ذلك . انتهى .

واجماع أهل البيت علىٰ خطأ الصحابة في صرفهم الولاية عن علي عليه السلام معلوم وان اختلفوا في حكم الخطأ، والله أعلم.

---

(١) المائدة ٥: ١١٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٥٣ ،ط / دار صادر، وصحيح البخاري ٨: ٣٦ ،ط / دار الفكر، وصحيح مسلم، الجنة ٥٨ ،ط / عيسى الحلبي، وانظر مجمع الزوائد ١٠: ٣٣٢ ،ط / القدسي.

(٣) التوبة: ١٠١.

(٤) آل عمران: ١٥٢.

(٥) هود: ١٥.

[ايراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة والرّد عليه]:

وفي شرح ابن أبي الحديد ما رسمه:

وحضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلويّ البصري في سنة إحدى عشرة وستمائة ببغداد، وعنده جماعة، وأحدهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج، فمرّ ذكر المغيرة بن شعبة وخاض القوم، فذمّه بعضهم، وأثنى عليه بعضهم، وأمسك عنه آخرون؛ فقال بعض فقهاء الشافعية ممن كان يشتغل بطرفٍ من علم الكلام على رأي الأشعريّ: الواجب الكفّ والإمساك عن الصحابة، وعمّا شجر بينهم، فقد قال أبو المعالي الجوينيّ: إنّ رسول الله ﷺ نهى عن ذلك، وقال: «إيّاكم وما شجر بين صحابتي»، وقال: «دعوا لي أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أُحدٍ ذهباً لما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»؛ وقال: «أصحابي كالنجوم، بأيِّهم اقتديتم اهتديتم»، وقال: «خيركم القرْن الذي أنا فيه ثمّ الذي يليه، ثمّ الذي يليه، ثم الذي يليه»، وقد ورد في القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين؛ وقال رسول الله ﷺ: «وما يُدريك لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»؛ وقد روى عن الحسن البصري أنه ذكر عنده الجمل وصفين، فقال: تلك دماء طهّر الله منها أسيافنا، فلا نلطّخ بها ألسنتنا.

ثم إنّ تلك الأحوال قد غابت عنّا وبَعدتْ أخبارها على حقائقها؛ فلا يليق بنا أن نخوض فيها؛ ولو كان واحدٌ من هؤلاء قد أخطأ لَوَجب أن يُحفَظ رسول الله ﷺ فيه، ومن المروءة أن يُحفَظ رسول الله ﷺ في عائشة زوجته، وفي الزبير ابن عمّته، وفي طلحة الذي وقاه بيده. ثمّ ما الذي ألزمنا وأوجب علينا أن نلعن أحداً من المسلمين أو نبرأ منه! وأيّ ثواب في اللعنة والبراءة! إنّ الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلَّفِ: لِمَ لم تلعن؟ بل قد يقول له: لِمَ لَعْنت؟ ولو أنّ إنساناً عاش عمره كلّه لم يلعن إبليس لم يكن عاصياً ولا آثماً، وإذا جعل الإنسان عوض اللعنة استغفر الله كان خيراً له. ثمّ كيف يجوز للعامّة أن تُدخل أنفسها في أمور الخاصة، وأولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمّة وقادتها، ونحن اليوم في طبقة سافلة جداً عنهم؛ فكيف يحسن بنا التعرّض لذكرهم! أليس يقبح من الرعيّة أن تخوض في دقائق أمور الملك وأحواله وشؤونه التي تجري بينه وبين أهله وبني عمّه ونسائه

وسراريه! وقد كان رسول الله ﷺ صهراً لمعاوية. وأخته أمّ حبيبة تحته، فالأدب أن تُحفظ أُمّ حبيبة وهي أُمّ المؤمنين في أخيها.

وكيف يجوز أن يُلعَن مَن جعل الله تعالى بينه وبين رسوله مودّة! أليس المفسّرون كلّهم قالوا: هذه الآية أُنزِلت في أبي سفيان وآله، وهي قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾[1]! فكان ذلك مصاهرة رسول الله ﷺ أبا سفيان وتزويجه ابنته. على أنّ جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم يثبُت، وما كان القوم إلّا كبني أُمٍّ واحدة ولم يتكدّر باطن أحدٍ منهم على صاحبه قطّ ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع.

فقال أبو جعفر ﷺ: قد كنتُ منذ أيّام عَلَّقت بخطّي كلاما وجدته لبعض الزّيدية في هذا المعنى نقضاً وردّاً على أبي المعالي الجويني فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي، وأنا أخرجه إليكم لأستغني بتأمّله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه، فإنّي أجدُ ألماً يمنعني من الإطالة في الحديث؛ لا سيّما إذا خرج مَخرج الجَدل ومُقاومة الخصوم. ثمّ أخرج من بين كتبه كُرّاساً قرأناه في ذلك المجلس واستحسنه الحاضرون، وأنا أذكر هاهنا خلاصته.

قال: لولا أنّ الله تعالى أوجب معاداة أعدائه، كما أوجب موالاة أوليائه، وضيّق على المسلمين تركها إذا دلّ العقل عليها، أو صحّ الخبر عنها بقوله سبحانه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[2]، وبقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[3]، وبقوله سبحانه: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قوماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[4]؛ ولإجماع المسلمين على أنّ الله تعالى فَرضَ عداوة أعدائه، وولاية أوليائه، وعلى أنّ: البغض في الله، والحبّ لله واجب ـ لما تعرّضنا لمعاداة أحدٍ من الناس في الدّين، ولا البراءة منه، ولكانت عداوتنا للقوم تكلفاً. ولو ظَنَنّا أنّ الله عزّوجلّ يَعذِرنا إذا قلنا: يا رَبّ غاب أمرُهم عنّا، فلم يكن لخوضنا في أمرٍ قد غاب عنّا معنىً، لاعتمدنا على هذا العُذْر، وواليناهم،

---

(١) الممتحنة: ٦٠.
(٢) المائدة: ٨١.
(٣) المجادلة: ٢٢.
(٤) الممتحنة: ١٣.

ولكنّا نخاف أن يقول سبحانه لنا: إن كان أمرُهم قد غاب عن أبصاركم، فلم يَغِب عن قلوبكم وأسماعِكم؛ قد أتتكم به الأخبارُ الصحيحة الّتي بمثلها أُلزِمْتم أنفسكم الإقرار بالنبي ﷺ وموالاة مَن صَدّقه، ومعاداة من عاداه وجَحده، وأُمِرْتم بتدبّر القرآن وما جاء به الرسول، وهلّا حذِرتم أن تكونوا من أهل هذه الآية غداً: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنا سَادَتَنا وَكُبَرَاءَنا فَأَضَلُّونا السبيلا﴾[1]!

فأمّا لفظة اللّعن فقد أمر اللّه تعالى بها، وأوجَبها، ألا ترى إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنَهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنَهُمُ اللاَّعِنُون﴾[2]، فهو إخبارٌ معناه الأمر، كقوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يتربّصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء﴾[3]؛ وقد لعن الله تعالى العاصين بقوله: ﴿لُعِن الذينَ كفَرُوا مِنْ بني إسْرائيل على لسان داود﴾[4]، وقوله: ﴿إنّ الذينَ يُؤْذُونَ الله ورَسولَه لَعَنهُمُ اللهُ في الدُّنيا والآخرة وأَعَدَّ لهم عذاباً مُهِيناً﴾[5]، وقوله: ﴿مَلْعُونين أينما ثُقِفوا أخِذوا وقُتِّلوا تقتيلا﴾[6]، وقال الله تعالى لإبليس: ﴿وإنَّ عَلَيْكَ لَعْنتي إلى يوم الدين﴾[7] وقال: ﴿إن الله لَعَنَ الكافرين وأعدّ لهم سعيرا﴾[8].

فأما قولُ من يقول: «أيُّ ثواب في اللّعن! وإن الله تعالى لا يقول للمكلّف لِمَ لم تلعن؟ بل قد يقول له: لِمَ لَعَنْت؟ وأنه لو جعل مكان لَعَن الله فلاناً، اللّهم اغفر لي لكان خيراً له، ولو أنّ إنساناً عاش عمره كلّه لم يَلعَن إبليس لم يُؤاخذ بذلك»؛ فكلام جاهلٍ لا يدري ما يقول؛ اللّعن طاعة، ويُستحقّ عليها الثواب إذا فُعلتْ على وجهها، وهو أن يُلْعَن مستحقُّ اللّعن للهِ وفي الله، لا في العصبية والهوىٰ، ألا ترى أن الشّرع قد وَرَد بها في نفي الولد، ونطق بها القرآن، وهو أن يقول الزوج في الخامسة: ﴿أنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾[9] فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفّظ عبادُه بهذه اللفظة وأنه قد تعبّدهم بها، لما جعلها من معالم الشّرع، ولما كرّرها في كثير من كتابه العزيز، ولما قال في حقّ القائل:

---

(١) الأحزاب: ٦٧.
(٢) البقرة: ١٥٩.
(٣) البقرة: ٢٢٨.
(٤) المائدة: ٧٨.
(٥) الاحزاب: ٥٧.
(٦) الأحزاب: ٦١.
(٧) ص: ٧٨.
(٨) الأحزاب: ٦٤.
(٩) النور: ٧.

﴿وغَضِبَ اللهُ عليه ولعنه﴾(١)، وليس المراد من قوله: «ولعنه» إلّا الأمر لنا بأن نلعنه، ولو لم يكن المرادُ بها ذلك لكان لنا أن نلعنه، لأنّ الله تعالى قد لعنه، أفيلعن الله تعالى إنساناً ولا يكون لنا أن نلعنه! هذا ما لا يسوغ في العقل؛ كما لا يجوز أن يمدح الله إنساناً إلّا ولنا أن نمدحه، ولا يذمّه إلّا ولنا أن نذمَّه؛ وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنبئكم بشَرٍّ من ذلك مَثوبةً عند الله مَن لعنه الله﴾(٢)، وقال: ﴿ربَّنا آتِهم ضِعْفَين من العذاب والْعَنْهم لَعْناً كبيراً﴾(٣)، وقال عزّوجلّ: ﴿وقالت الْيَهُود يدُ الله مَغْلولة غُلّت أيديهم ولعنُوا بما قالوا﴾(٤). وكيف يقول القائل: إنّ الله تعالى لا يقول للمكلّف: لِمَ لم تلعن؟ ألا يَعلم هذا القائل أنّ الله تعالىٰ أمر بولاية أوليائه، وأمر بعداوة أعدائه، فكما يَسأل عن التولّي يَسأل عن التّبرّي! ألا ترىٰ أن اليهوديّ إذا أسلَم يُطالَب بأن يقال له: تلفَّظْ بكلمة الشهادتين، ثمّ قلْ: برئتُ من كلِّ دين يُخالِف دين الإسلام، فلابدّ من البراءة، لأنّ بها يتمّ العمل! ألم يَسمع هذا القائل قول الشاعر:

تَوَدُّ عَدُوِّي ثم تزعُمُ أنني ... صديقُك، إنّ الرأي عنكَ لعازِبُ

فمودّة العدوّ خروجٌ عن ولاية الوليّ، وإذا بطلت المودّة لم يبق إلّا البراءة؛ لأنه لا يجوز أن يكون الإنسانُ في درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى وعُصاتِه بألّا يودّهم ولا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نفي هذه الواسطة.

وأما قوله: «لو جَعَل عِوضَ اللّعنة: استغفِر الله لكان خيراً له»، فإنه لو استغفر من غير أن يَلعَن أو يَعتقِد وجوب اللّعن لما نَفَعه استغفارُه ولا قُبل منه، لأنه يكون عاصياً لله تعالىٰ، مخالفاً أمره في إمساكه عمّن أوجَب الله تعالى عليه البراءة منه، وإظهار البراءة، والمُصِرّ على بعض المعاصي لا تُقبل توبته واستغفاره عن البعض الآخر، وأمّا من يعيش عمره ولا يَلعن إبليسَ، فإن كان لا يعتقد وجوبَ لَعْنِه فهو كافر، وإن كان يعتقد وجوبَ لَعْنِه ولا يَلعَنه فهو مخطئ؛ على أنّ الفرق بينه وبين تَرْك لَعنِه رؤوس الضلال في هذه الأُمة كمعاوية والمغيرة وأمثالهما، أن أحداً من المسلمين لا يُورِث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبهة في أمر إبليس، والإمساك عن لَعْن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهةً عند كثيرٍ من المسلمين في

---

(١) النساء: ٩٣.
(٢) المائدة: ٦٠.
(٣) الأحزاب: ٦٨.
(٤) المائدة: ٦٤.

أمرهم، وتجنُّب ما يُورِث الشبهة في الدين واجب، فلهذا لم يكن الإمساك عن لَعْن إبليس نظيراً للإمساك عن أمر هؤلاء.

قال: ثم يقال للمخالفين: أرأيتم لو قال قائلٌ: قد غاب عنّا أمر يزيد بن معاوية والحجّاج بن يوسف، فليس ينبغي أن نخوض في قصّتهما، ولا أن نلعنهما ونعاديهما. ونبرأ منهما؛ هل كان هذا إلّا كقولكم: قد غاب عنّا أمرُ معاوية والمغيرة بن شعبة وأضْرابهما، فليس لخوضنا في قصّتهم معنىً!

وبعد، فكيف أدخلتُم أيها العامّة والحشويّة وأهل الحديث أنفسكم في أمر عثمان وخُضْتم فيه، وقد غاب عنكم! وبرئتم مِن قَتلتِه، ولعنتموهم! وكيف لم تَحفَظوا أبا بكر الصّديق في محمد ابنه فإنّكم لعنتموه وفسّقتموه، ولا حفِظتم عائشة أُم المؤمنين في أخيها محمد المذكور، ومنعتمونا أن نخوض وندخِل أنفسنا في أمر عليّ والحسن والحسين ومعاوية الظالم له ولهما، المتغلِّب على حَقِّه وحقوقهما! وكيف صار لعنُ ظالم عثمان من السنّة عندكم، ولعن ظالم عليٍّ والحسن والحسين تكلّفاً! وكيف أدخلت العامّة أنفسها في أمر عائشة وبَرئت ممّن نظر إليها، ومِن القائل لها: يا حُمَيْراء، أو إنما هي حُمَيراء، ولعَنتْه بكشفه سترَها، ومنعتمونا أن نخوض في أمر فاطمة وما جرى لها بعد وفاة أبيها.

فإن قلتم: إنّ بيت فاطمة إنّما دُخِل، وسترها إنّما كُشِف، حِفْظاً لنظام الإسلام، وكَيْلا يَنتشَر الأمرُ ويُخْرِج قومٌ من المسلمين أعناقهم من رِبقة[1] الطاعة ولزوم الجماعة.

قيل لكم: وكذلك ستر عائشة إنما كُشِف، وهَوْدجها إنما هُتِك، لأنها نشرت[2] حبل الطاعة، وشَقّت عصا المسلمين، وأراقت دماء المؤمنين من قبل وصول عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى البصرة، وجرى لها مع عثمان بن حُنيف وحَكيم بن جَبَلة ومَنْ كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء ما تنطق به كُتب التواريخ والسِّير؛ فإذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعدُ جاز كشف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقق، فكيف صار هَتْك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التّخليد في النار، والبراءة من فاعله، ومِن أَوْكَدِ عُرى الايمان، وصار كشْف بيت فاطمة والدّخول عليها منزلها وجَمْع حَطَب

---

(١) ربقة الطاعة: عرقها.

(٢) نشرت حبل الطاعة: أي قطعته.

ببابها، وتهدّدها بالتّحريق من أوْكد عُرى الدين، وأثبت دعائم الإسلام؛ ومما أعَزّ الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة؛ والحرُمتان واحدة، والستران واحد. وما نحبّ أن نقول لكم: إنّ حرمة فاطمة أعظم، ومكانها أرفع، وصيانتها لأجل رسول الله ﷺ أولى، فإنها بضعةٌ منه، وجزء من لحمه ودمه، وليست كالزّوجة الأجنبية التي لا نَسَب بينها وبين الزوج، وإنما هي وُصْلة مستعارة، وعقد يجري مجرى إجارة المنفعة، وكما يملك رقّ الأمة بالبيع والشراء، ولهذا قال الفرضيون: أسباب التوارث ثلاثة: سبب، ونسب، وولاء؛ والنسب القرابة، والسبب النكاح، والولاء: وَلاء العِتق؛ فجعلوا النكاح خارجاً عن النسب؛ ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين.

وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة، وقد أجمع المسلمون كلّهم من يحبّها ومن لا يحبّها منهم أنها سيدة نساء العالمين!

قال: وكيف يَلزمنا اليوم حفظ رسول الله ﷺ في زوجته، وحفظ أمّ حبيبة في أخيها، ولم تلزِم الصحابة أنفسها حِفظ رسول الله ﷺ في أهل بيته، ولا ألزمت الصحابة أنفسها في حفظ رسول الله ﷺ في صهره وابن عمّته عثمان بن عفان، وقد قتلوهم ولعنوهم: ولقد كان كثير من الصحابة يَلعن عثمان وهو خليفة؛ منهم عائشة كما تقول: اقتلوا نعْثَلاً، لعن الله نعثلاً؛ ومنهم عبد الله بن مسعود؛ وقد لَعن معاوية عليّ بن أبي طالب وابنيه حسناً وحسيناً وهم أحياء يرزقون بالعراق، وهو يلعنهم بالشام على المنابر، ويقنت بلعنهم[1] في الصّلوات، وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حي، وبرئا منه، وأخرجاه من المدينة الى الشام، ولعن عمر خالد بن الوليد لما قَتَل مالك بن نويرة، ومازال اللعن فاشياً في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضي اللعن والبراءة.

قالوا: ولو كان هذا أمراً معتبراً وهو أن يُحْفَظ زيدٌ لأجل عمرو فلا يُلعن، لوجب أن تحفظ الصحابة في أولادهم، فلا يُلعنوا لأجل آبائهم، فكان يجب أن يُحفظ سعد بن أبي وقاص فلا يلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين، وأن يحفظ معاوية فلا يلعن يزيد صاحب وقعة الحرّة وقاتل الحسين، ومخيف المسجد الحرام بمكّة، وأن يُحفظ عمر بن

---

(١) في ط: ويقنت عليهم.

الخطاب في عبيد الله ابنه قاتل الهُرمزان، والمحارب عليّاً عليه السلام في صفين.

قال: عَلى أنّه لو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه ورعاية عهده وعقده لم نُعادِهم ولو ضُربت رِقابنا بالسيوف، ولكن محبّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ليست كمحبّة الجهّال الّذين يضع أحدُهم محبّته لصاحبه موضع العصبية، وانما أوجب رسول الله صلى الله عليه وآله محبّة أصحابه لطاعتهم لله، فإذا عصوا الله وتركوا ما أوجب محبتهم؛ فليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله محاباة في ترك مودتهم وما كان عليه من محبتهم، ولا تغطرسٌ في العدول عن التمسك بموالاتهم، فلقد كان صلى الله عليه وآله يحبّ أن يعادي أعداء الله ولو كانوا عترته، كما يحبّ أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعد الخلق نسباً منه؛ والشاهد على ذلك إجماع الاُمّة على أنّ الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتدّ بعد الإسلام، وعداوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي أمر بذلك ودعا إليه، وذلك أنه صلى الله عليه وآله قد أوجب قطع السارق وضرب القاذف، وجلد البِكر إذا زَنىٰ، وان كان من المهاجرين والأنصار؛ ألا ترى انه قال: لو سَرَقَتْ فاطمة لقطعتها؛ فهذه ابنته، الجارية مجرى نفسه، لم يُحابِها في دين الله، ولا راقبها في حدود الله، وقد جلد أصحاب الإفك، ومنهم مِسطح بن أثاثة، وكان من أهل بدر.

قال: وبعد، فلو كان محلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محلّ من لا يعادي إذا عصىٰ الله سبحانه ولا يُذكر بالقبيح، بل يجب أن يُراقَب لأجل اسم الصُّحبة، ويغضى عن عيوبه وذنوبه، لكان كذلك صاحب موسى المسطور نبأه[1] في القرآن لمّا اتّبع هواه، فانسلخ ممّا أوتي من الآيات وغوىٰ، قال سبحانه: ﴿واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأ الذي آتيناه آياتِنا فانسَلخ منها فأتْبعه الشيطانُ فكان من الغَاوِين﴾[2]، ولكان ينبغي أن يكون محل عَبَدة العِجل من أصحاب موسىٰ هذا المحلّ، لأنّ هؤلاء كلّهم قد صحبوا رسولاً جليلاً من رُسُل الله سبحانه.

قال: ولو كانت الصّحابة عند أنفسها بهذه المنزلة؛ لعلمت ذلك من حال أنفسها، لأنّهم أعرف بمحلهم من عوامّ أهل دهرنا، وإذا قدّرت أفعال بعضهم لبعض دلّتْك على انّ القصّة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوب الناس اليوم؛ هذا عليّ وعمّار، وأبو الهيثم بن

---

(١) في ط: ثناؤه.

(٢) الأعراف: ١٧٥.

التيهان، وخزيمة بن ثابت، وجميع مَن كان مع عليﷺ من المهاجرين والأنصار، لم يَرَوْا أن يتغافلوا عن طلحة والزبير حتى فعلوا بهما وبمن معهما ما يُفعل بالشُّراة في عصرنا، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومَنْ كان معهم وفي جانبهم لم يَرَوا أن يُمسكوا عن عليّ؛ حتّىٰ قصدوا له كما يُقصد للمتغلّبين في زماننا، وهذا معاوية وعمرو لم يَرَيا عليّاً بالعين التي يرى بها العامّي صديقه أو جاره، ولم يُقصِّروا دونَ ضَرْب وجهه بالسيف ولعنه ولعن أولاده وكلّ من كان حيّاً من أهله، وقتل أصحابه، وقد لَعَنهما هو أيضاً في الصّلوات المفروضات، ولعن معهما أبا الأعور السلمي، وأبا موسى الأشعري، وكلاهما من الصحابة، وهذا سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن سلمة، وأسامة بن زيد، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، وعبدالله بن عمر، وحسّان بن ثابت، وأنَس بن مالك، لم يَروا أن يقلّدوا عليّاً في حرب طلحة، ولا طلحة في حرب علي، وعلي[1] وطلحة والزبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين، لأنّهم خافوا[2] أن يكون عليٌّ قد غَلَط وزَلّ في حربهما، وخافوا أن يكونا قد غَلَطا وزَلّا في حرب علي؛ وهذا عثمان قد نَفَى أبا ذرٍّ إلى الرَّبذة كما يُفعل بأهل الخنا والرِّيب، وهذا عمّار وابن مسعود تلقّيا عثمان بما تلقياه به لمّا ظهر لهما ـ بزعمهما ـ منه ما وعظاه لأجله، ثم فعل بهما عثمان ما تناهى اليكم، ثم فعل القوم بعثمان ما قد علمتم وعلم الناس كلّهم، وهذا عمر يقول في قصة الزُّبير بن العوّام لمّا استأذنه في الغزو: ها إنّي ممسكٌ بباب هذا الشِّعب أن يتفرّق أصحاب محمّد في الناس فيضلّوهم، وزعم أنه وأبو بكر كانا يقولان: عليّاً والعباس في قصّة الميراث زعماهما كاذبين ظالمين فاجرين؛ وما رأينا عليّاً والعباس اعتذرا ولا تنصّلا، ولا نقل أحدٌ من أصحاب الحديث ذلك، ولا رأينا أصحاب رسول اللهﷺ أنكروا عليهما ما حكاه عمر عنهما، ونسبه اليهما، ولا أنكروا أيضاً على عمر قوله في أصحاب رسول اللهﷺ: انهم يريدون إضلال الناس ويهمون به، ولا أنكروا على عثمان دَوْسَ بطن عمّار، ولا كَسر ضلع ابن مسعود، ولا على عمّار وابن مسعود ما تلقيا به عثمان، كإنكار العامّة اليوم الخوض في حديث الصحابة، ولا اعتقدت الصحابة في أنفسها ما يعتقده العامة فيها؛ اللّهمّ إلّا أن يزعموا أنّهم أعرف بحقّ

---

(١) لم ترد «علي» في ط.

(٢) في ط: زعموا أنّهم قد خافوا.

القوم منهم. وهذا عليٌّ وفاطمة والعباس مازالوا على كلمة واحدة يكذّبون الرواية: «نحن معاشر الأنبياء لا نُورَث»، ويقولون: انها مختلقة.

قالوا: وكيف كان النبي ﷺ يُعرِّف هذا الحكم غيرنا ويكتمه عنّا ونحن الوَرَثة؛ ونحن أولى الناس بأن يُؤدَّى هذا الحكم إليه، وهذا عمر بن الخطاب يَشهد لأهل الشورى انّهم النَّفر الذين تُوفِّيَ الرسول ﷺ وهو عنهم راضٍ، ثم يأمر بضرب أعناقهم إن أخّروا فصل حال الإمامة، هذا بعد أن ثَلَبهم، وقال في حقّهم ما لو سمعته العامّة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحباً إلى السلطان، ثم شهدت عليه بالرَّفض واستحلّت دمه، فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضاً فعمر بن الخطاب أرفض الناس وإمام الروافض كلّهم. ثمّ ما شاع واشتهر من قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة، وقى اللهُ شرّها؛ فمن عاد الى مثلها فاقتلوه؛ وهذا طعن في العقد، وقدح في البيعة الأصليّة.

ثم ما نقل عنه من ذِكر أبي بكر في صلاته، وقوله عن عبد الرحمن ابنه: دُوَيبة سوء وهو خيرٌ من أبيه. ثم عمر القائل في سعد بن عبادة، وهو رئيس الأنصار وسيّدها: اقتلوا سعداً، قَتل الله سعداً، اقتلوه فإنّه منافق. وقد شتم أبا هريرة وطعن في روايته، وشتم خالد بن الوليد وطعن في دِينه، وحكم بِفسقه وبوجوب قتله، وخوّن عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ونسبهما الى سرقة مال الفيء واقتطاعه، وكان سريعاً إلى المساءة، كثير الجُبه والشَّتم والسّبّ لكلّ أحد، وقلَّ أن يكون في الصحابة من سَلِمَ من معرّة لسانه أو يده، ولذلك أبغضوه وملُّوا أيّامه مع كثرة الفتوح فيها، فهلّا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامّة! إمّا أن يكون عمر مخطئاً، وإمّا أن تكون العامة على الخطأ!

فإن قالوا: عمر ما شتم ولا ضرب، ولا أساء إلّا إلى عاصٍ مستحقٍ لذلك، قيل لهم: فكأنّا نحن نقول: إنّا نريد أن نبرأ ونعادي من لا يستحق البراءة والمعاداة، كلّا ما قلنا هذا ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل.

وإنّما غرضنا الّذي إليه نجري بكلامنا هذا أن نوضّح أنّ الصحابة قومٌ من الناس لهم ما لِلناس، وعليهم ما عليهم، مَن أساء منهم ذَممناه، ومن أحسنَ منهم حَمِدناه، وليس لهم

على غيرهم من المسلمين كثير[١] فَضْل إلّا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير، بل ربّما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم، لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات، فقربت اعتقاداتهم من الضرورة، ونحن لم نشاهد ذلك، فكانت عقائدهم محض النّظر والفكر، وعقائدنا بعرضة الشُّبَه والشكوك، فمعاصينا أخف لأنّا أعذَر.

ثم نعود إلى ما كنّا فيه فنقول: هذه عائشة أُمّ المؤمنين؛ خرجت بقميص رسول الله ﷺ فقالت الناس: هذا قميص رسول الله لم يَبْلَ، وعثمان قد أَبلى سنّته؛ ثم تقول: اقتلوا نَعْثلاً، قَتَل الله نعثلاً، ثم لم ترض بذلك حتى قالت: أشهد ان عثمان جيفةٌ على الصراط غداً. فمن الناس من يقول: روت في ذلك خبراً، ومن الناس من يقول: هو موقوف عليها؛ وترون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامّة زنديقاً. ثمّ قد حصر عثمان؛ حضرته أعيان الصحابة، فما كان أحدٌ ينكر ذلك، ولا يُعظِمه ولا يسعى في إزالته، وإنما أنكروا على من أنكر على المحاصرين له، وهو[٢] رجلٌ كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله ﷺ، ثمّ من أشرافهم، ثم هو أقرب إليه من أبي بكر وعمر؛ وهو مع ذلك إمام المسلمين، والمختار منهم للخلافة، وللإمام حقّ على رعيته عظيم، فإن كان القوم قد أصابوا فإذَنْ ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامة، وان كانوا ما أصابوا فهذا هو الّذي نقول؛ من أنّ الخطأ جائز على آحاد الصحابة؛ كما يجوز على آحادنا اليوم. ولسنا نقدح في الإجماع، ولا ندّعي إجماعاً حقيقياً على قتل عثمان، وإنما نقول: إنّ كثيراً من المسلمين فَعلوا ذلك والخصم يسلِّم أنّ ذلك كان خطأ ومعصيةً، فقد سَلَّم ان الصحابي يجوز أن يُخطئ ويَعصي، وهو المطلوب.

وهذا المُغيرة بن شعبة وهو من الصحابة، ادُّعى عليه الزنا، وشهد عليه قومٌ بذلك، فلم يُنكر ذلك عمر، ولا قال: هذا محال وباطل؛ لأنّ هذا صحابي من صحابة رسول الله ﷺ لا يجوز عليه الزنا. وهلّا أنكر عمر على الشهود وقال لهم: ويحكم هلّا تغافلتم عنه لمّا رأيتموه يفعل ذلك، وان الله تعالى قد أوجب الإمساك عن مساوى أصحاب رسول

(١) في ط: كبير.

(٢) ص: وعثمان.

الله ﷺ، وأوجب الستر عليهما وهلّا تركتموه لرسول الله ﷺ في قوله: «دعوا لي أصحابي»، ما رأينا عمر إلّا قد انتصب لسماع الدعوى، وإقامة الشهادة، وأقبل يقول للمغيرة: يا مغيرة، ذهب رُبعك، يا مغيرة، ذَهب نصفك، يا مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعك، حتى اضطرب الرابع، فجُلِد الثلاثة. وهلّا قال المغيرة لعمر: كيف تسمع فيّ قول هؤلاء، وليسوا من الصحابة، وأنا من الصحابة، ورسول الله ﷺ قد قال: «أصحابي كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم»! ما رأيناه قال ذلك، بل استسلم لحكم الله تعالى. وها هنا من هو أمثل من المغير وأفضل، قدامة بن مظعون، لمّا شرب الخمر في أيّام عمر، فأقام عليه الحدّ، وهو رجل من عِلْية الصحابة ومِن أهل بدر، والمشهود لهم بالجنّة، فلم يردَّ عمر الشهادة، ولا دَرَأ عنه الحدَّ لعلّة أنه بدري، ولا قال: قد نهى رسول الله ﷺ عن ذكر مساوئ الصحابة. وقد ضرب عمر أيضاً ابنه حدّاً فمات، وكان ممّن عاصر رسول الله ﷺ ولم تمنعه معاصرته من إقامة الحد عليه.

وهذا عليّ عليه السلام يقول: ما حدّثني أحدٌ بحديث عن رسول الله ﷺ إلّا استحلفته عليه؛ أليس هذا اتهاماً لهم بالكذب! وما استثنى أحداً من المسلمين إلّا أبا بكر على ما ورد في الخبر[1]، وقد صرّح غير مرّة بتكذيب أبي هريرة، وقال: لا أحد أكذب من هذا الدّوسي

---

(١) أورد هذا الحديث عبد العظيم المنذري في كتابه الترهيب والترغيب بلفظ: عن علي عليه السلام قال: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدّثني أحدٌ من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدّقته، قال :وحدّثني أبو بكر، وصدق أبو بكر، انه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلّا غفر الله له. ثم تلى هذه الآية: ﴿والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم...﴾ الآية.
رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه، وليس عند بعضهم ذكر الركعتين، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وذكر ان بعضهم وقفه. انتهى.
قلت: وليس في الحديث ما يدل ان أمير المؤمنين عليه السلام استثنى أبا بكر من حكم الاستحلاف كما توهمه بعضهم إذ لم ينفه، وظاهر اللفظ الأول العموم، وان قدر انه لم يستحلفه في هذا الحديث وصدقه فلا يلزم تصديقه في كل حديث؛ لجواز ان يكون قام قرينة على صدقه في ←

على رسول الله ﷺ . وقال أبو بكر في مرضه الّذي مات فيه: وَدَدْتُ أنّي لم أكشِف بيتَ فاطمة ولو كان أغلق على حرب فندم، والنّدم لا يكون إلّا عن ذنب.

ثم ينبغي للعاقل أن يفكّر في تأخر عليٍّ عليه السلام عن بيعة أبي بكر ستّة أشهر إلى أن ماتت فاطمة، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة، وإن كان أبو بكر مصيباً فعليّ على الخطأ في تأخّره عن البيعة وحضور المسجد؛ ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضاً للصحابة: قد[1] استخلفت عليكم خيركم في نفسي ـ يعني عُمر ـ فكلُّكم وَرِمَ لذلك أنفه[2]، يريد أن يكون الأمر له، لمّا رأيتم الدنيا قد جاءت، أما والله لتتخذُنّ ستائر الدِّيباج ونضائد الحرير[3]؛ أليس هذا طعناً في الصحابة، وتصريحاً بأنه قد نسبهم الى الحسد لعمر، لما نصّ عليه بالعهد! ولقد قال له طلحة لمّا ذكر له عمر للأمر: ماذا تقول لربّك إذا سألك عن عباده، وقد ولّيت عليهم فظّاً غليظاً! فقال أبو بكر: اجلسوني أجلسوني، بالله تخوِّفني! إذا سألني قلتُ: ولّيت عليهم خيرَ أهلك؛ ثم شتمه بكلام كثير منقول: فهل قول طلحة إلّا طعن في عمر، وهل قول أبي بكر إلّا طعنٌ في طلحة!

ثم الذي كان بين أُبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود من السِّباب حتى نفى كلّ واحد منهما الآخر عن أبيه، وكلمةُ أُبيّ بن كعب مشهورة منقولة: مازالت هذه الأُمّة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيِّهم، وقوله: ألا هلك أهل العقد، والله ما آسى عليهم إنما آسى على من يضلّون من الناس.

ثم قول عبد الرحمن بن عوف: ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان: يا منافق؛

← هذا خصوصية، فلا يلزم استثناؤه في كل حديث عن الاستحلاف، كيف؟ وقد صرّح بالتهمة فيما رواه أبو بكر: «الائمة من قريش» «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث» فهذان الخبران تفرّد أبو بكر بروايتهما ولقفهما الناس عنه.

نعم يدلك هذا المروي عن أمير المؤمنين انه لا يكفي القبول مجرّد تكامل الشرائط التي اعتبروها، بل لابد من حصول جزم بالصدق بقرائن خارجيات ان لم تحصل من مجرّد السند، ومن الخارجيات :موافقة ظاهر الكتاب كما في حديث أبي بكر في الاستغفار السابق، والله أعلم.

(١) في ط: فلما .

(٢) في هـ. ص: أي غضب .

(٣) الكامل للمبرد ١: ٧.

وقوله: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ما ولَّيت عثمان شِسْع[1] نعلي؛ وقوله: اللّهم إن عثمان قد أبىٰ أن يقيم كتابك فافعل به وافعل.

وقال عثمان لعليّ عليه السلام في كلام دارَ بينهما: أبو بكر وعمر خيرٌ منك؛ فقال علي: كذبت، أنا خيرٌ منك ومنهما، عبدتُ الله قبلهما، وعبدته بعدهما.

وروى سفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار، قال: كنت عند عروة بن الزبير، فسألته كم أقام النبي بمكّة بعد الوحي؟ فقال عروة: أقام عشراً، فقلت: كان ابن عباس يقول: ثلاث عشرة، فقال: كذب ابن عباس.

وقال ابن عباس: المُتعة حلال[2]؛ فقال له جبير بن مطعم: كان عمر ينهى عنها، فقال يا عديَّ نفسه، من ها هنا ضللتم، أحدّثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحدّثني عن عمر!

وجاء في الخبر عن عليٍّ عليه السلام، لولا ما فعل عمر بن الخطاب في المتعة ما زَنَى إلّا شقيّ؛ وقيل: ما زَنَى إلّا شفّا، أي قليلا.

فأما سبّ بعضهم بعضاً وقدح بعضهم في بعض في المسائل الفقهية فأكثر من أن يُحصىٰ، مِثل قول ابن عباس وهو يردّ على زيد مذهبه في العول في الفرائض: إن شاء ـ أو قال: من شاء ـ باهَلْته[3] ان الذي أحصى رَمْل عالج[4] عدداً أعدَل من أن يجعل في المالِ نصفا ونصفا وثلثا، هذان النِّصفان قد ذهبا بالمال، فأين موضع الثلث!

ومثل قول أُبيّ بن كعب في القرآات: لقد قرأتُ القرآن وزيدٌ هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب.

وقال عليٌّ عليه السلام في أمهات الأولاد على المنبر: كان رأيي ورأي عمر ألّا يُبعن، وأنا أرى الآن بيعهنّ، فقام اليه عبيدة السلماني، فقال: رأيُك في الجماعة أحبُّ الينا من رأيك في الفُرقة.

---

(١) الشسع: قبال النعل.

(٢) نكاح المتعة: هو أن يتزوّج الرجل المرأة بمهر معيّن وعدّة خاصّة، وشرائط مبينة في كتب الفقه، ولا يختلف عن الزواج الدائم الا بالمدّة وعدم وجوب النفقة وعدم التوارث بين الزوجين.

(٣) باهل القوم بعضهم بعضاً وابتهلوا: تلاعنوا.

(٤) عالج: موضع به رمل، معروف.

وكان أبو بكر يرى التسوية في قسم الغنائم، وخالفه عمر وأنكر فعله.

وأنكر عائشة على أبي سلمة بن عبد الرحمن خلافه على ابن عباس في عِدة المتوفّى عنها زوجُها وهي حامل؛ وقالت: فَرّوج يصقع[١] مع الديكة.

وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصّرف، وسفّهوا رأيه حتى قيل: إنه تاب من ذلك عند موته.

واختلفوا في حدِّ شارب الخمر حتى خطّأ بعضهم بعضاً.

وروى بعض الصحابة عن النبيّ ﷺ أنه قال: الشؤم في ثلاثة: المرأة والدار، والفرس، فأنكرت عائشة ذلك، وكذّبت الراوي وقالت: إنما قال ﷺ ذلك حكاية عن غيره.

وروى بعض الصّحابة عنه ﷺ أنه قال: التاجر فاجر، فأنكرت عائشة ذلك، وكذّبت الراوي وقالت: إنما قال ﷺ في تاجر دلّس.

وأنكر قومٌ من الأنصار رواية أبي بكر: «الأئمة من قريش»، ونسبوه الى افتعال هذه الكلمة.

وكان أبو بكر يقضي بالقضاء فينقضه عليه أصاغر الصحابة كبلال وصُهيب ونحوهما. قد رُوِي ذلك في عِدة قضايا.

وقيل لابن عباس: ان عبد الله بن الزبير يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بني اسرائيل؛ فقال: كذب عدوُّ الله! أخبرني أبيّ بن كعب، قال: خطبنا رسول الله ﷺ وذكر كذا؛ بكلامٍ يدلّ على أنّ موسى صاحب الخضر هو موسى بني إسرائيل.

وباع معاوية أواني ذهب وفضة بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن ذلك، فقال معاوية: أمّا أنا فلا أرىٰ به بأساً؛ فقال أبو الدرداء: مَن عذيري من معاوية! أخبره عن الرسول ﷺ، وهو يخبرني عن رأيه! والله لا أساكنُك بأرضٍ أبداً.

وطعن ابن عباس في خبر أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يُدخِلن يدَه في الإناء حتّى يتوضّأ»، وقال: فما تصنع بالمهراس[٢]!

---

(١) صقع الديك صقعاً: صاح.

(٢) المهراس: إناء مستطيل منقور يتوضأ فيه.

وقال عليّ عليه السلام لعثمان[1] وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها: إن كانوا راقبوك فقد غشّوك، وان كان هذا جهد رأيهم فقد أخطئوا.

وقال ابن عباس: ألا يتّقي الله زيد بن ثابت، يجعل ابن الابن ابناً، ولا يجعل أب الأب أباً!

وقالت عائشة: أخبروا زيد بن أرقم أنه قد أحبط جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأنكرت الصحابة على أبي موسىٰ قوله: ان النوم لا ينقض الوضوء، ونسبته الى الغفلة وقلّة التحصيل، وكذلك أنكرت على أبي طلحة الأنصاري قوله: إن أكل البرد لا يفطّر الصائم، وهزأت به ونسبته الى الجهل.

وسمع عمر عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد، فصَعِد المنبر وقال: اذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فعن أيّ فتياكم يصدر المسلمون! لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامي هذا إلّا فعلت وصنعت.

وقال جرير بن كُليب: رأيت عمر ينهى عن المتعة، وعليّ عليه السلام يأمر بها، فقلت: إنّ بينكما لشرّاً، فقال عليّ عليه السلام: ليس بيننا إلّا الخير، ولكن خيرنا أتبعنا لهذا الدِّين.

قال هذا المتكلّم: وكيف يصحُّ أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم»؛ لا شبهة أنّ هذا يوجب أن يكن أهل الشام في صفّين على هُدىً، وأن أهل العراق أيضاً على هدىً؛ وأن يكون قاتل عمّار بن ياسر مهتدياً؛ وقد صحّ الخبر الصحيح أنه قال له: «تقتلك الفئة الباغية»، وقال في القرآن: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[2]؛ فدلَّ على أنّها مادامت موصوفة بالمقام على البغي، مُفارِقة لأمر الله، ومَن يفارق أمر الله لا يكون مهتدياً.

وكان يجب أن يكون بُسر بن أبي أرطأة الّذي ذبح ولدي عبيد الله بن عباس الصغيرين مهتدياً، لأنّ بسراً من الصحابة أيضاً، وكان يجب أن يكون عمرو بن العاص ومعاوية اللذان كانا يلعنان عليّاً أدبار الصلاة وولديه مهتديين؛ وقد كان في الصحابة من يزني ومن يشرب الخمر كأبي محجن الثقفي، ومن يرتدّ عن الاسلام كطليحة ابن خويلد، فيجب أن

---

(١) في ط: لعمر.

(٢) الحجرات: ٩.

يكون كلّ من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتدياً.

قال: وإنّما هذا من موضوعات متعصّبة الأهويّة[١]، فإن لهم من ينصرهم بلسانه، وبوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم بالسيف.

وكذا القول في الحديث الآخر، وهو قوله: «القرن الذي أنا فيه»، وممّا يدلّ على بطلانه أنّ القرن الذي جاء بعده بخمسين سنةً شرُّ قرون الدّنيا، وهو أحد القرون الّتي ذكرها في النّص، وكان ذلك القَرْن هو القرن الذي قُتِل فيه الحسين، وأوقع بالمدينة، وحوصرت مكة، ونقضت الكعبة، وشربت خلفاؤه والقائمون مقامه والمنتصبون في منصب النبوّة الخمور، وارتكبوا الفجور، كما جرى ليزيد بن معاوية وليزيد بن عاتكة وللوليد بن يزيد، وأُريقت الدّماء الحرام، وقُتل المسلمون، وسُبي الحريم، واستعبد أبناء المهاجرين والأنصار، ونُقِش على أيديهم كما يُنقش على أيدي الرّوم، وذلك في خلافة عبد الملك وإمرة الحجاج. واذا تأمّلت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرّاً كلّها لا خير فيها، ولا في رؤسائها وأمرائها، والناس برؤسائهم وأمرائهم، والقرن خمسون سنة، فكيف يصحّ هذا الخبر.

قال: فأمّا ما ورد في القرآن من قوله تعالىٰ: ﴿لقد رضىَ الله عن المؤمنين﴾[٢]. وقوله: ﴿محمّدٌ رسول الله والّذين معه﴾[٣].

وقول النبيّ ﷺ: إنّ الله اطّلع على أهل بَدْر؛ إن كان الخبر صحيحاً فكلّه مشروط بسلامة العاقبة، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلّفاً غير معصوم بأنّه لا عقاب عليه، فليفعل ما شاء.

قال هذا المتكلّم: ومَن أنصف وتأمّل أحوال الصحابة وجدهم مثلنا، يجوز عليهم ما يجوز علينا، ولا فرق بيننا وبينهم إلّا بالصّحبة لا غير، فإنّ لها منزلةً وشرفاً، ولكن لا الى حيث[٤] يمتنع على كلّ من رأى الرسول أو صحبه يوماً أو شهراً أو أكثر من ذلك أن يخطئ ويَزِلّ، ولو كان هذا صحيحاً ما احتاجت عائشة الى نزول براءتها من السّماء، بل كان رسول الله ﷺ من أوّل يومٍ يعلم كذب أهل الإفك، لأنّها زوجته، وصحبتها له آكَدُ من

---

(١) في ط: الأموية.
(٢) الفتح: ١٨.
(٣) الفتح: ٢٩.
(٤) في ط: الى حد.

صحبة غيرها. وصفوان بن المعطّل أيضاً كان من الصحابة، فكان ينبغي ألّا يضيق صدر رسول الله ﷺ، ولا يحمل ذلك الهمّ والغمّ الشديدين اللّذين حملهما ويقول: صفوان من الصحابة، وعائشة من الصحابة، والمعصية عليهما ممتنعة.

وأمثال هذا كثير، وأكثر من الكثير؛ لمن أراد أن يستقرئ أحوال القوم، وقد كان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك، ويقولون في العُصاة منهم مثل هذا القول، وانما اتخذهم العامّة أرباباً بعد ذلك.

قال: ومَن الّذي يجترئ على القول بأنّ أصحاب محمّد ﷺ لا تجوز البراءة من أحدٍ منهم وإن أساء وعصى بعد قول الله تعالى للذي شرّفوا برؤيته: ﴿لَئِنْ أشركتَ ليحبَطَنّ عملُك ولتَكونَنّ من الخاسرين﴾[1] بعد قوله: ﴿قل انّي أخاف إن عَصيتُ ربّي عذابَ يوم عظيم﴾[2] وبعد قوله: ﴿فاحْكُمْ بَيْنَ النَّاس بالحقّ ولا تتّبع الهوىٰ فيضلَّك عَنْ سبيل الله إنّ الّذين يَضِلُّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد﴾[3]، إلا من لا فهمَ له ولا نظرَ معه، ولا تمييزَ عنده.

* * *

قال : ومَن أحَبّ أن ينظر إلى اختلاف الصحابة، وطعن بعضهم في بعض وردٍّ بعضهم على بعض، وما ردّ به التابعون عليهم واعترضوا به أقوالهم، واختلاف التابعين أيضاً فيما بينهم، وقدح بعضهم في بعض، فلينظر في كتاب الحافظ النَّظام، قال الجاحظ: كان النظّام أشدَّ الناس إنكاراً على الرافضة، لطعنهم على الصحابة، حتى إذا ذَكر الفتيا وتنقُّل الصحابة فيها، وقضاياهم بالأمور المختلفة، وقول من استعمل الرأي في دين الله، انتظم مطاعن الرافضة، وزاد عليها؛ وقال في الصحابة أضعاف قولها.

قال: وقال بعض رؤساء المعتزلة: غَلط أبي حنيفة في الأحكام عظيم، لأنه أضل خَلْقاً وغلطُ حمّاد[4] أعظم من غَلط أبي حنيفة، لأنّ حمادا أصلُ أبي حنيفة الذي منه تفرّع،

(١) الزمر: ٦٥.

(٢) الزمر: ٦٥.

(٣) سورة ص: ٢٦.

(٤) حماد: هو حماد بن أبي سليمان.

وغلط إبراهيم أغلط وأعظَم من غَلط حمّاد، لأنه أصلُ حمّاد وغَلط علقمة[١] والأسود[٢] أعْظم من غلط إبراهيم لأنّهما أصله الذي عليه اعتمد، وغلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعاً، لأنه أول من بَدَر إلى وضع الأديان برأيه، وهو الذي قال: أقول فيها برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمنّي.

قال: واستأذن أصحاب الحديث على ثمامة[٣] بخُراسان حيث كان مع الرّشيد بن المهديّ، فسألوه كتابه الذي صنّفه على أبي حنيفة في اجتهاد الرأي، فقال: لستُ على أبي حنيفة كتبتُ ذلك الكتاب، وإنما كتبته على علقمة والأسود وعبدالله بن مسعود لأنّهم الذين قالوا بالرأي قبل أبي حنيفة.

قال: وكان بعض المعتزلة أيضاً إذا ذكر ابن عباس استصغره وقال: صاحب الذؤابة يقول في دين الله برأيه.

وذكر الجاحظ في كتابه المعروف «بكتاب التوحيد» أنّ أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله ﷺ؛ قال: ولم يكن عليّ عليه السلام يوثّقه في الرواية، بل يتهمه، ويقدح فيه، وكذلك عمر وعائشة.

وكان الجاحظ يفسّق عمر بن عبد العزيز ويستهزئ به ويكفّره، وعمر بن العزيز وإن لم يكن من الصحابة فأكثر العامة تَرىٰ له من الفضل ما يراه لواحد من الصحابة.

وكيف يجوز أن نحكم حُكماً جَزْماً أنّ كل واحد من الصحابة عَدْل، ومن جملة الصحابة الحكم بنُ أبي العاص! وكفاك به عدوّاً مُبغضاً لرسول الله ﷺ! ومن الصحابة الوليد بن عقبة الفاسق بنصّ الكتاب، ومنهم حبيب بن مسلمة الذي فَعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية، وبُسْر بن أبي ارطأة عدوّ الله وعدوّ رسوله، وفي الصحابة كثيرٌ من المنافقين لا يَعرفِهم الناس. وقال كثيرٌ من المسلمين: مات رسول الله ﷺ ولم يُعرِّفه الله سبحانه كلَّ المنافقين بأعيانهم، وإنما كان يعرف قوماً منهم، ولم يُعلم بهم أحداً إلّا حذيفة فيما زعموا، فكيف يجوز أن نحكم حُكماً جَزْماً أن كلّ واحد ممّن صَحِبَ رسول الله أو رآه أو عاصَرَه

---

(١) علقمة بن قيس.
(٢) الأسود ين يزيد.
(٣) ثمامة بن أشرس.

عَدْل مأمون، لا يقع منه خطأ ولا معصية، ومن الذي يمكنه أن يتحجّر واسعاً كهذا التحجّر، أو يحكم هذا الحكم!

قال: والعجب من الحشويّة وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء، ويثبتون أنهم عصوا الله تعالىٰ، وينكرون على من ينكر ذلك، ويطعنون فيه، ويقولون: قَدَريّ معتزليّ، وربما قالوا: مُلحِد مخالِف لنصّ الكتاب؛ وقد رأينا منهم الواحد والمائة والألف يُجادل في هذا الباب، فتارةً يقولون: إنّ يوسف قعد من امرأة العزيز مقعد الرجل من المرأة، وتارةً يقولون: إن داود قتل أوريا لينكح امرأته، وتارةً يقولون: إنّ رسول الله كان كافراً ضالاً قبل النبوّة، وربما ذكروا زينب بنت جحش[1] وقصة الفِداء يوم بدر.

فأما قَدحُهم في آدمعليه‌السلام، وإثباتهم معصيته ومناظرتهم لمَن ينكر ذلك[2] فهو دأبهم وديدنهم، فإذا تكلّم واحد في عمرو بن العاص أو في معاوية وأمثالهما ونسبهم الى المعصية وفِعْل القبيح، احمرّت وجوههم، وطالت أعناقهم، وتخازرت أعينهم، وقالوا: مبتدع رافضيّ، يسبّ الصحابة، ويشتم السّلف، فإن قالوا: إنّما اتّبعنا في ذِكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب؛ قيل لهم: فاتّبعوا في البراءة من جميع العُصاة نصوص الكتاب، فإنّه تعالى قال: ﴿لا تَجِدُ قوماً يُؤمنون بالله واليومِ الآخرِ يُوادُّونَ مَن حادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[3]، وقال: ﴿فإنْ بَغَتْ إحداهما على الأُخرىٰ فقاتِلوا التي تَبغِي حتّى تَفِيْءَ إلى أمرِ الله﴾[4]، وقال: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمرِ منكم﴾[5].

ثمّ يسألون عن بيعة عليّعليه‌السلام، هل هي صحيحة لازمة لكلّ الناس؟ فلابدّ مِن «بَلَى»، فيقال لهم: فإذا خرج على الامام الحقّ خارجٌ أليس يجب على المسلمين قتالُه حتّى يعود الى الطاعة؟ فهل يكون هذا القتال إلّا البراءة التي نذكرها لأنه لا فرق بين الأمرين، وإنّما برئنا منهم لأنّا لسنا في زَمانهم، فيُمكننا أن نقاتل بأيدينا، فقُصارىٰ أمرِنا الآن أن نبرأ منهم ونَلعَنهم، وليكون ذلك عوضاً عن القتال الّذي لا سبيل لنا إليه.

---

(١) هـ. ص: أي ان الله حاسبه على كتم ما في نفسه من أمرها، والله أعلم.
(٢) في ط: من يذكر ذلك.
(٣) المجادلة: ٥.
(٤) الحجرات: ٤٩.
(٥) النساء: ٥٩.

قال هذا المتكلِّم: على أنّ النَّظّام وأصحابه ذهبوا الى أنّه لا حجّة في الإجماع، وأنّه يجوز أن تجتمع الأُمّة على الخطأ والمعصية، وعلى الفسق، بل على الرِّدة، وله كتابٌ موضوع في الاجماع[1] يطعن فيه في أدلّة الفقهاء، ويقول: إنّها ألفاظ غيرُ صريحة في كون الإجماع حجّة، نحو قوله: ﴿جعلْناكم أُمّة وَسَطا﴾[2] وقوله: ﴿كنتمْ خيرَ أُمّة أُخرجت للناس﴾[3] وقوله: ﴿ويتّبعْ غيرَ سبيلَ المؤمنين﴾[4].

وأما الخبر الذي صورته: «لا تجتمع أمّتي على الخطأ» فخبرٌ واحد، وأمثَلُ دليل للفقهاء قولهم: إنّ الهِمم المختلفة، والآراء المتباينة، إذا كان أربابُها كثيرة عظيمة، فإنّه يستحيل اجتماعهم على الخطأ، وهذا باطل باليهود والنصارى وغيرهم من فِرَق الضلال.

هذه خلاصة ما كان النَّقيب أبو جعفر عَلَّقه بخَطّه من الجزء الّذي أقرأناه. انتهى نقلاً من شرح ابن أبي الحديد[5].

---

(١) في ص: في الأحكام.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) آل عمران: ١١٠.

(٤) النساء: ١١٥.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٠ ـ ٣٤.

ومن خطبة له عليه السلام :

فَكَانَ[١] مِنَ اقْتِدَارِ[٢] جَبَرُوتِهِ[٣]. وَبَدِيعِ[٤] لَطَائِفِ[٥] صَنْعَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْيَمِّ[٦] الزَّاخِرِ[٧]. الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ[٨] يَبَساً[٩] جَامِداً. ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ[١٠] بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ. وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ[١١] يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ[١٢] الْمُثْعَنْجِرُ[١٣] وَالْقَمْقَامُ[١٤] الْمُسَخَّرُ قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ، وَجَبَلَ[١٥] جَلَامِيدَهَا[١٦] وَنُشُوزَ[١٧] مُتُونِهَا وَأَطْوَادَهَا[١٨] فَأَرْسَاهَا[١٩] فِي مَرَاسِيهَا وَأَلْزَمَهَا[٢٠] قَرَارَتَهَا[٢١] فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ[٢٢] أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ

---

(١) في ط و د: وكان مراجعة في هـ. د: فكان ـ ش.

(٢) في هـ. ب: الاقتدار: أن يصير قادراً. (٣) في هـ. ب: جبروت: وجبورته أي كبره.

(٤) في د : ببديع. (٥) في ص: ولطيف وفي هـ. ص: وبديع لطائف.

(٦) في ط و د: البحر، وفي هـ. ب: اليم.

(٧) في هـ. ب: الزاخر: الكثيف وكثير الموج المرتفع.

(٨) في هـ. ب: القصف الكسر، قصفت الريح الماء في البحر.

(٩) في هـ. ص: بالتحريك المكان يكون رطباً ثم ييبس.

(١٠) في هـ. ص المراد بالسموات هنا الأرضون كما يوضّحه تمام الكلام.

(١١) في ط و د زيادة: وأرسى أرضاً. (١٢) في هـ. ب: البحر.

(١٣) في هـ. ب: المصبوب، الثعنجر: الانصباب، وفي هـ. ص: هو السائل، ثعنجرت الدم وغيره واثعنجر، أي صببته فانصب.

(١٤) في هـ. ب: : البحر وهو المراد به هنا البحر وكأنه جنس لكل عظيم.

(١٥) في هـ. ب: خلق.

(١٦) في هـ. ب: احجارها، وفي هـ. ص جمع جلمود وهو الصخر.

(١٧) في هـ. ب: النشز، المراد به المرتفع، والنشز: الارتفاع بمعناه، وفي هـ. ص جمع نشز وهو المرتفع.

(١٨) هـ. ب: جمع طود. (١٩) في هـ. ب: أثبتها.

(٢٠) في ط: وألزمها.

(٢١) في ص: قراراتها، وفي هـ. ص: جمع قرارة، وفي شرح ابن أبي الحديد: قرارها، والمراد به موضع استقرارها.

(٢٢) ب: رسمت، وفي هـ. ب: في نسخة ورست. تثبتت.

فَأَنْهَدَ[١] جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وأَسَاخَ[٢] قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا[٣] وَمَوَاضِعَ أَنْصَابِهَا[٤]، وَأَشْهَقَ[٥] قِلاَلَهَا[٦]، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا[٧]، وَجَعَلَهَا لِلأَرْضِ عِمَاداً، وَأَرَّزَهَا[٨] فِيهَا أَوْتَاداً، فَسَكَنَتْ على حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ[٩] بِأَهْلِهَا أَوْ تَسِيخَ[١٠] بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا[١١] فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً[١٢]، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ[١٣] رَاكِدٍ[١٤] لَا يَجْرِي، وَقَائِمٍ[١٥] لَا يَسْرِي، تُكَرْكِرُهُ[١٦] الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ[١٧]، وَتَمْخَضُهُ[١٨] الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ[١٩] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ﴾[٢٠].

---

(١) في هـ. ب و ص: أي جمع، وفي هـ. ب انهد: انهض.

(٢) في هـ. ب: أثبت. (٣) في هـ. ب: جوانبها.

(٤) في هـ. ب: جمع نصب، وفي هـ. ص: هي الأجسام المنصوبة، الواحدة نصب بضم النون والصاد. (٥) في ط: فَأَشْهَقَ، وفي هـ. ب: رفع وأعلىٰ.

(٦) قلة الجبل أعلاه والمراد جعلها شاهقة اي بعيدة الارتفاع.

(٧) أي مد متونها المرتفعة في جوانب الأرض، وفي هـ. ب: جمع نشز.

(٨) في ط و د: وأرّزها، وفي هـ. ب في نسخة: وأرز فيها، وفي هـ. د: روي،ارزها، وروي: ارز فيها ـ ر، وفي هـ. ب و ص: ارزها: أثبتها. (٩) أي تضطرب وتتزلزل بهم.

(١٠) في هـ. ب: أي تنخسف، وساخ وخسف بمعنى واحد.

(١١) في ص و د: موضعها، وفي هـ. د: مواضعها ـ ض، ح، ب.

(١٢) المهاد: الفرش وما يهيأ لنوم الصبي.

(١٣) في هـ. ب: كثير، واللجة صب الماء أكثر من البحر.

(١٤) في هـ. ب: راكد، صفة البحر. (١٥) في هـ. ب قائم صفة الجبّار.

(١٦) في ب: يكركره، وفي هـ. ب: يحركه، وفي هـ. ب: الكركرة تصريف الرياح السحاب اذا جمعته. (١٧) في هـ. د: القواصف ـ ع.

(١٨) في هـ ب: المخضة، المخض تحريك اللبن لاخراج زبده.

(١٩) من ذرف الدمع اذا سال، و في هـ. ب: السائلات.

(٢٠) النازعات: ٢٦.

[٢١٢]

ومن خطبة له عليه السلام:

اَللَّهُمَّ[١] **أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا اَلْعَادِلَةَ غَيْرَ الجَائِرَةِ وَالمُصْلِحَةَ فِى الدِّينِ وَاَلدُّنْيَا غَيْرَ المُفْسِدَةِ**[٢] **فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النكُوصَ**[٣] **عَنْ نُصْرَتِكَ وَاَلْإِبْطَاءِ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً**[٤] **وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ**[٥] **أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَوَاتِكَ**[٦] **ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ**[٧] **اَلْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ وَالآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.**

---

(١) في هـ. ص هذا الدعاء على الذين قعدوا عن القتال معه ولاسيما القدوة منهم فان مفسده قعودهم أكبر لأنهم قعدوا واقعدوا بقعودهم من اقتدى بهم.

(٢) في ط و د والمصلحة غير المفسدة في الدين والدنيا، وفي هـ. د: والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة ـ ش.

(٣) أي الرجوع على الأعقاب.

(٤) في ط بأكبر وفي هـ. ط وهو النبي صلى الله عليه وآله أو القرآن، وفي هـ. ص انتصب على التمييز.

(٥) في د: ما.

(٦) الى هنا ورد في ب، والظاهر وجود سقط هنا، فان الخطبة ٢١١ و ٢١٢ لم تردا في ب.

(٧) في د: بعد.

[٢١٣]

ومن خطبة له ﷺ :

اَلْحَمْدُ للهِ اَلْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ[1] اَلمخْلُوقِينَ، اَلْغَالِبِ لِمَقَالِ اَلْوَاصِفِينَ، الظَّـاهِرِ بِـعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ، الْبَاطِنِ[2] بِجَلاَلَةِ[3] عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ، اَلْعَالِمِ بِلاَ اكْتِسَابٍ وَلاَ ازْدِيَادٍ وَلاَ عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، المُقَدِّرِ لجَمِيعِ الأُمُورِ بِلاَ رَوِيَّةٍ وَلاَ ضَمِيرٍ، الَّذِي لاَ تَغْشَاهُ الظُّلَمُ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالأَنْوَارِ وَلَا يَرْهَقُهُ[4] لَيْلٌ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ. لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالأَبْصَارِ[5]، وَلَا عِلْمُهُ بِالْإِخْبَارِ[6]

منها في ذكر النبي ﷺ[7] أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ وَقَدَّمَهُ فِي الاصْطِفَاءِ[8] فَرَتَقَ بِهِ[9] المَفَاتِقَ وَسَاوَرَ[10] بِهِ المُغَالِبَ. وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ[11] حَتى سَرَّحَ[12] الضَّلاَلَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

---

(١) الشَبَه: المشابهة.
(٢) في هـ . د: والباطن ـ ض ح ب .
(٣) كذا في ص، وفي ط : بجلال.
(٤) في هـ . ص: أي لا يغشاه .
(٥) في هـ . ص: مصدر أبصر.
(٦) في هـ . د: بالاختيار ـ م، وروي بالاختبار ـ ك ر. وفي هـ . ص : مصدر أخبر.
(٧) في هـ . ص في نسخة: زيادة وعلى آله وسلم.
(٨) في هـ . ص: قال في صحاح الجوهري، وصفوة الشيء خالصته، ومحمّد ﷺ صفوة الله تعالى من خلقه ومصطفاه، عن أبي عبيد، يقال له: صَفوة مالي، وصِفوة مالي وصُفوة مالي، فاذا نزعوا الهاء قالوا له: صَفو مالي بالفتح لا غير.
(٩) أي سد به، والمفاتق مواضع الفتق كالفساد بين الناس.
(١٠) في هـ . ص: واثب مغالبه.
(١١) الحزونة: ضد السهولة.
(١٢) أي فرّق .

ومن خطبة له عليه السلام :

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ، وَحَكَمٌ فَصَلَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ، كُلَّمَا نَسَخَ ٱللهُ ٱلْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ[١]، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ. أَلَا وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلاً، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً[٢]، وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ[٣]، يَقُولُ عَلَى ٱلْأَلْسِنَةِ؛ وَيُثَبِّتُ[٤] بِهِ[٥] ٱلْأَفْئِدَةَ؛ فِيهِ كِفَاءٌ[٦] لِمُكْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ؛ يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ، وَيَتَلَاقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ، وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ[٧]. لَا تَشُوبُهُمُ ٱلرِّيبَةُ، وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ ٱلْغِيبَةُ؛ عَلَى ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ، فكانوا كَتَفَاضُلِ ٱلْبَذْرِ يُنْتَقَى، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّزَهُ ٱلتَّخْلِيصُ، وَهَذَّبَهُ ٱلتَّمْحِيصُ.

فَلْيَقْبَلِ ٱمْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ وَقَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ، حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً؛ فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ[٨]، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ[٩].

---

(١) من يأتي الحرمات.

(٢) في هـ. ص: عصماً جمع عصمة وهو ما يعتصم به أي يمتنع ان يريدعليه السلام ان طاعة من أمر الله بطاعته عصمه من الضلال.

(٣) في هـ. ص: أي ان المطيعين لمن أمر الله بطاعته يمدهم الله بالطاعة، فهوعليه السلام يرغّبهم في الطاعة والانقياد لمن جعله الله قدوة ومرجعاً واخبر ان الحق معه وقائم به. انتهى.

(٤) في هـ. د: ويثبت ـ ض، ح.

(٥) لم ترد به في ص.

(٦) في ص: فيه كفاء.

(٧) في هـ. ص : بفتح الراء: الارتواء والاعتراف ذكره في الصحاح، وبكسر الراء هيئة المرتوي أي حاله المحتملة له بالارتواء فيكون وزنها فعله. انتهى.

(٨) المتحول: ما يتحوّل اليه.

(٩) معارف المنتقل: المواضع التي يعرف الانتقال اليها.

فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ[١]، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ، وَأَصَابَ سَبِيلَ[٢] السَّلَامَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ، وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ، وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ[٣]، وَتُقَطَّعَ أَسْبَابُهُ. وَاسْتَفْتَحَ[٤] التَّوْبَةَ، وَأَمَاطَ[٥] الْحَوْبَةَ[٦]، فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ[٧]، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ.

* * *

قوله عليه السلام: « واشهد انه عدلٌ عدل...الى آخره »:

قال في الشرح: الضمير في «أنّه» يرجع الى القضاء والقَدر المذكور في صدر هذه الخطبة، ولم يذكره الرضيّ رحمه الله [يقول: أشهد أنّ قضاءه تعالى عَدْل عَدلَ وحَكَم بالحقّ، فإنّه حكم فصل بين العباد بالإنصاف] ونسب العدل والفصل إلى القضاء على طريق المجاز، وهو بالحقيقة منسوب إلى ذي القضاء، والقاضي به هو الله تعالىٰ، انتهى[٨].

أقول: ان كان سوق الكلام يقتضي ما ذكره أو تكون الرواية: «في حكم» ـ بضم الحاء ـ فكلامه قريب، وإلّا فإن الظاهر رجوع الضمير الى الباري تعالى وان الرواية: «في حكم» ـ بفتح الحاء والكاف ـ لأن الظاهر ان هذا الكلام متصل بالتحميد وشهادة التوحيد الا تراه عقّبه بشهادة النبوّة، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «لم يُسهِمْ فيه عاهر».

لم يسهم: أي لم يضرب فيه عاهر بسهم، أي بنصيب، وجمعه سُهمان، والعاهر: ذو العَهَر، بالتحريك وهو الفجور والزنا، ويجوز تسكين الهاء، مثل نَهْر ونَهَر، [وهذا هو المصدر، والماضي عَهَر بالفتح، والاسم العِهْر، بكسر العين وسكون الهاء، والمرأة عاهرة ومعاهرة وعَيْهرة، وتعيْهَرَ الرجل إذا زنىٰ، والفاجر كالعاهر هاهنا، وأصلُ الفجور: الميْلُ،

---

(١) في هـ. ص: إشارة الى نفسه عليه السلام وأئمة الدين من ولده تمت من شرح ابن ميثم.
(٢) في ص: سبل.
(٣) في هـ ص استعار لفظ الأبواب له ولأئمة الدين الذين من قبله. انتهى من شرح ابن ميثم.
(٤) هـ ص أي طلب فتح بابها.
(٥) في هـ. ص: أزال.
(٦) في هـ. ص: الحوب والحوبة: الاثم.
(٧) في هـ. د: على طريق ـ ب.
(٨) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٦٦.

قال لبيد:

فَـإِنْ تَـتَقَدَّمْ تَـغْشَ مِـنْها مـقدّماً غليظاً، وإن أخّرْتَ فالكِفْلُ فاجِرُ(١)

يقول: مقعد الرديف مائل.](٢)

وكذلك معنى: ولا ضرب فيه فاجر.

***

[ذكر بعض المطاعن في النسب وكلام للجاحظ في ذلك]

وفي الكلام رمْز إلى جماعة من الصّحابة في أنسابهم طعن، (من شرح ابن أبي الحديد)(٣).

وأقول: أصل مورد كلامه عليه السلام ومغزاه الحثّ على اتباع أهل البيت كما سنوضحه، فقدم الاشارة الى فضلهم بطهارة النسب ويلزم منه أن يكونوا من ذرية نوح وابراهيم الذين جعل الله فيهم النبوّة والكتاب قطعاً جازماً.

أمّا أولاً: فلأنهم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله بنصه المصرح بانهم ذريته وعقبه.

واما ثانياً: فلأنهم ذرية علي عليه السلام شريك رسول الله صلى الله عليه وآله في كل نسبه وشقيقه في كلّ امهاته ما افترقا إلّا في فاطمة بنت أسد، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجريها مجرى أُمّه ويسميها امه، وورد في تفضيلها وتعظيم رسول الله لها ما لم يرد في حق غيرها كما هو مشهور ونقله الخصوم، والله أعلم.

قال المطلب بن أبي وداعة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً» انتهى من شرح ابن ميثم.

قوله عليه السلام: **«قد جعل للخير أهلاً وللحق دعائم»:**

هذه مقدمة افتتح بها ما يريده من بيان ان للحق معدناً، وانه يجب أن يطلب الحق في

---

(١) ديوان لبيد: ١٤.

(٢) من ط.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٦٧.

معدنه، لأن الطلب في مظان الوجدان أجدر بتحصيل المطلوب.

ومغزى الكلام الاشارة الى حكم قول رسول الله ﷺ:«اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ... الى آخره». وقوله ﷺ:« أهل بيتي كسفينة نوح ... الى آخره». وقوله:« من سرّه ان يحييٰ حياتي ويموت مماتي.. الحديث بطوله»، ونحوها مما تواتر معناها من أن أهل بيت رسول الله ﷺ معدن الحق وأهل الهدىٰ ودعائم الدين، لا يخرج الحق منهم. فبيّن عليه السلام أوصافهم وما يجب على المكلفين أن يعاملوهم به، مجملاً غير مصرح باسمهم، وصرح في موضع آخر أن أهل البيت هم أهل الحق.

وكل الكلام المبهم والمعين مراد به ايجاب اتباع اهل البيت والرجوع اليهم عند التباس الحق.

فلا تلتفت الى هراء كلام ابن أبي الحديد من تحريف الكلم عن مواضعه، والله أعلم.

قوله عليه السلام:« المستحفظين علمه»:

يشير الى قوله تعالىٰ: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾[1]. فقد صحّ النقل عنه عليه السلام. وعن علي بن الحسين زين العابدين، وعن الهادي يحيى بن الحسين: ان المراد بها أهل البيت.

ويوضح ذلك قوله ﷺ: «اني تارك فيكم... الحديث» المثبت لاقتران أهل البيت بالقرآن أبداً. وسنة الرسول لا تفارق القرآن.

فصحّ ان المستحفظين علم الله هم أهل البيت.

ثم أخذ يبيّن أوصافهم وطريقتهم ترغيباً في الاقتداء بهم ودلالة عليهم، فقال: انّ القوم الذين جعلهم الله امناء على العلم وحفّاظاً له من شأنهم انهم يصونون ما يعلمون ان اظهاره لكل أحد مفسدة، ويلقونه الى من يعلمونه أهلاً له، وقد نسب عليه السلام هذا الحكم الى نفسه - خاصّة - في مواضع، وقال في بعض كلامه: «ولا بالمذابيع البذر»، وهي طريقة أهل البيت القدماء، فان علمهم القليل النافع.

قوله عليه السلام: «ويفجّرون عيونه»: أي يوضّحون ما ينبغي ايضاحه واظهاره.

---

(١) فاطر: ٣٥/٣٢.

قوله عليه السلام: «يتواصلون بالولاية»:

إمّا بمعنىٰ ان الجامع بينهم والواصل: ولاية الله أي يصل بعضهم بعضاً لعلّة انّه ولي الله لا لغرض دنيوي واما بمعنىٰ يصل بعضهم بعضاً بتوليه له لا كما يتواصل أهل الدنيا بالحباء وتقارض الثناء.

قوله عليه السلام: «ويتلاقون بالمحبة»: أي ان بعضهم وان لم يلق أخاه ببدنه فهو ملاقيه بقلبه لحب بعضهم بعضاً.

قوله عليه السلام: «ويتساقون بكأس رويّة»: من إيضاح بعضهم لبعض ما التبس عليه من إخفاء الحق واعطائه وتثبيت قواعد الدين وتقرير قوانين الشريعة، وسمّاها «كأساً روية»؛ لأنّها تروي من شرب بها وتعينه؛ لأنها حق وصواب.

وقوله عليه السلام: «يصدرون»: أي ان الواحد منهم اذا ورد على هذه الكأس صدر برَيٍّ، أي باغتراف وامتلاء، على رواية فتح الراء، وان كانت الرواية بكسر الراء، فالمعنىٰ: بنقع الغلة.

قوله عليه السلام: «على ذلك عقد خلقهم وأخلاقهم»:

أي هم مهيئون لذلك ميسرون له، فكأنهم مجبولون علىٰ هذه الطريقة؛ لعدم صدور ضدّها عنهم. قوله عليه السلام: «فكانوا»: أي حالهم في باب اختيار الله لهم ـ كحال البذر حين يختار فيُلقىٰ ما يختار، أي فيبذر به، أو يكون المعنىٰ: يتخيّر فيؤخذ المختار ويلقىٰ أي يقذف المكروه.

ثم أكّد معنىٰ التخيّر بقوله عليه السلام: «قد ميّزه التخليص»: أي عن المستكره وهذّبه التمحيص أي التنقية والتطهير.

والحكمان راجعان بالحقيقة الى المشبَّه، وان جريا في اللفظ على المشبَّه به.

ثم قال: اذاً ثبت ان الله سبحانه يختار لحمل دينه وحفظه والدعاء الى سبيله قوماً من خلقه، كما قال تعالىٰ: ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار﴾[1]. وانما يعوّل في معرفة من اختار علىٰ توقيفه. فليقبل امرؤٌ عرف من اختاره الله كرامةً أكرم الله بها من يشاء بقبولها أي بالقبول المناسب لها، وهو الاذعان والتسليم لله والانقياد والطاعة لصاحبها.

---

(١) القصص: ٢٨ / ٦٨.

وهذا تعريض بمقالة من يقرّ بأنّ الله اختاره وأهل بيته لإمامة الخلق ولكنهم عرفوا أن الصواب خلاف ذلك، كما يقع في فلتات كلمات عمر، وكما هو مذهب البغدادية.

وليحذر قارعة تصيبه على حجده لذلك قبل حلولها؛ لان عذاب الله إنّما يحذر قبل حُلوله.

ثم قال: ان المكابرة التي يحمل عليها الحسد يجب أن يطرحها الإنسان مستعيناً بالنظر في انقطاع الدنيا والتحوّل إلى الأُخرىٰ التي لا تنفع فيها إلّا الحقائق.

ثم قال: اذا كان لا ينفع في الآخرة إلّا الحقائق، فطوبىٰ لذي قلب سلم من داء الغلّ والحسد، أطاع من يهديه وتجنب من يرديه وأصاب طريق الحق بالانقياد لمن جعله الله هادياً له.

ثم قال ﷺ: قد أُقيم كلّ من اختار الهدى على طريق الحق بإيضاح أهله، وهدي نهج السبيل بايجاب اتباع من يهديه.

فهذا الكلام منه ﷺ لبيان أن المكلفين منهم هداة، ومنهم مقتدون بهم.

وقد بيّن في غير موضع أن أهل البيت هم أهل الحق الواجب اتباعهم، فيحمل هذا الكلام عليهم حمل المجمل على المبين، والله أعلم.

[٢١٥]

ومن دعاء كان يدعو بهعليه السلام كثيرا:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلَا سَقِيماً[١] وَلَا مَضْرُوباً[٢] عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ[٣] وَلَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي وَلَا مَقْطُوعاً دَابِرِي وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّي وَلَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي وَلا مُلْتَبِساً[٤] عَقْلِي وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ اَلْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي لَكَ اَلْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي، لا[٥] أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي وَلَا أَتَّقِيَ إِلاَّ مَا وَقَيْتَنِي.

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ[٦] أَوْ أُضْطَهَدَ[٧] وَاَلْأَمْرُ لَكَ.

اَللهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي[٨].

---

(١) في هـ. ص: أي لم يدخلني في الصباح كائناً على أحد الحالات.

(٢) في هـ. د: ولا مضربا ـ ب.

(٣) في هـ. ص قال في الشرح: أي برص، ويحتمل أن يريد به عموم السوء من كلّ ما يسوءه.

(٤) ولا ملتبساً ـ ب، روي متلبساً ـ ر. (٥) في ط : ولا.

(٦) في هـ. ص: شبّه الغنى والهدى والسلطان في سعتهن وشمولهن بالظرف المحيط بمظروفه فاستعمل من العبارة ما يفيد الاحاطة.

(٧) هـ. ص: الظاء بدل من ياء الافتعال، واصل الفعل: ضهد فلان فهو ضهيد أي قهر وفلان ضهد لقهره كل أحد.

(٨) في هـ. ص: هذه دعوة النبيصلى الله عليه وآله وهي قوله: اللّهم متعنا باسماعنا وأبصارنا واجعله الوارث منا. أي لا تجعل موتنا متأخراً عن بقية اخواننا، وكان علي بن الحسينعليه السلام يقول في دعائه: اللّهم احفظ سمعي وبصري الى انتهاء أجلي، وفسروا قولهصلى الله عليه وآله واجعله الوارث منا، فقالوا: الضمير يرجع الى الامتاع.
فان قلت: كيف ينفي الامتاع بالسمع والبصر بعد خروج الروح، قلت : هذا توسع في الكلام، ←

اَللّٰهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ أَنْ نُفْتَتَنَ[1] عَنْ دِينِكَ. أَوْ تَتابَعَ[2] بِنا أَهْوَاؤُنَا دُونَ اَلْهُدَى الذِي جاءَ مِنْ عِنْدِكَ.

← والمراد: لا تبلنا بالعمى ولا بالصمم فنكون أحياء في الصورة ولسنا بأحياء في المعنى؛ لأن من يعدمهما لا خير له في الحياة، فجملته على ان طلب بقائهما بعد ذهاب بصر النفس ايذاناً واشعاراً بحبه الّا يبتلي بفقدهما، انتهى من شرح ابن أبي الحديد ١١:٨٧.

(١) في هـ. د: أو نفتن ـ ب، روي نفتتن ـ ل ر.

(٢) في ط: تتابع، وفي د: تتايع، وفي هـ. د: روي في الأصل: تتابع ـ ر، وفي هـ. ص: هو التهافت في الشر واللجاج، ولا تستعمل إلّا في مثل ذلك.

ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفين:

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ[1] وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ ٱلْحَقِّ مِثْلُ الذِي لِي عَلَيْكُمْ. فَالْحَقُّ[2] أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ[3] وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ[4]. لَا يَجْرِي[5] لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ[6] وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً لِلهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ[7] عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى ٱلْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ[8] الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ المَزِيدِ أَهْلُهُ. ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِن حُقُوقِهِ حُقُوقاً ٱفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ ٱلنَّاسِ عَلَى بَعْضٍ فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ[9] فِي وُجُوهِهَا[10] وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً. وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَأَعْظَمُ مَا ٱفْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُقُوقِ حَقُّ ٱلْوَالِي عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ وَحَقُّ ٱلرَّعِيَّةِ عَلَى ٱلْوَالِي. فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً[11] لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ[12] ٱلرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ ٱلْوُلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ[13] ٱلْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ ٱلرَّعِيَّةِ. فَإِذَا أَدَّتِ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَى ٱلْوَالِي حقَّهُ وَأَدَّى ٱلْوَالِي إِلَيْهَا

---

(١) في هـ. ب: يعني قوله تعالى: ﴿أطيعوا الله﴾ الى آخره.

(٢) في ب و ط والحق و في هـ. ص في نسخة: والحق.

(٣) في هـ. ب: أي في الوصف سهل أن يوصف اما في العمل صعب ان يعمل به.

(٤) في هـ. ب: من الانصاف.

(٥) في هـ. ب في نسخة: لا يجري، من جرى بالقلم.

(٦) في هـ. ب لا يجري الحق لأحد ولنفعه الا جرى عليه أو يضره، أي الحق جار على العباد مع النفع والضرّ.

(٧) في ص: جرىٰ.

(٨) في هـ. ص: ما باب اضافة مصدر الصفة الى الموصوف أي الثواب مضاعفاً.

(٩) في هـ. ب و ص: أي تتساوىٰ.

(١٠) في هـ. ب: في نسخة وجومها.

(١١) في هـ. ب: معقداً.

(١٢) في ب: يصلح.

(١٣) في هـ. ب: جمع.

حَقَّهَا[١] عَزَّ ٱلْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ[٢] ٱلدِّينِ وَٱعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ ٱلْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا[٣] ٱلسُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ ٱلزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ ٱلدَّوْلَةِ وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ ٱلْأَعْدَاءِ.

وَإِذَا غَلَبَتِ ٱلرَّعِيَّةُ وَالِيهَا أَوْ أَجْحَفَ ٱلْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ. ٱخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ[٤] ٱلْكَلِمَةُ. وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ ٱلْجَوْرِ. وَكَثُرَ ٱلْإِدْغَالُ[٥] فِي ٱلدِّينِ. وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ[٦] ٱلسُّنَنِ. فَعُمِلَ بِالْهَوَى. وَعُطِّلَتِ ٱلْأَحْكَامُ. وَكَثُرَتْ عِلَلُ ٱلنُّفُوسِ. فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ. وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ. فَهُنَالِكَ تَذِلُّ ٱلْأَبْرَارُ وَتَعِزُّ ٱلْأَشْرَارُ وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ[٧] ٱللهِ عِنْدَ ٱلْعِبَادِ فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ ٱلتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنِ ٱشْتَدَّ عَلَى رِضَى ٱللهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱجْتِهَادُهُ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا ٱللهُ أَهْلُهُ مِنَ ٱلطَّاعَةِ لَهُ وَلَكِنْ[٨] مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ ٱللهِ عَلَى ٱلْعِبَادِ ٱلنَّصِيحَةُ[٩] بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ وَٱلتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ ٱلْحَقِّ بَيْنَهُمْ وَلَيْسَ ٱمْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي ٱلْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِي ٱلدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ[١٠] أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ[١١] وَلَا ٱمْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ ٱلنُّفُوسُ[١٢] وَٱقْتَحَمَتْهُ[١٣] ٱلْعُيُونُ بِدُونِ[١٤] أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ و[١٥] يُعَانَ عَلَيْهِ.

---

(١) في هـ. د: أدى الوالي اليها حقها ـ ض ف ح.

(٢) جمع المنهج، وهو الطريق معناه طرق مسلوكة.

(٣) في هـ. ب: جمع ذلول وفي هـ ص: أي جرت ذلك سائرة في طريقها لا تشمس ولا تعدل عن منهجها.

(٤) في ب هناك.

(٥) في هـ. د: وكثرت الادغال ـ حاشية ن، وفي هـ. ب: الدغل الفساد، والادغال جمع الدغل.

(٦) في هـ. ب: المحجة الطريق الواضح.

(٧) في هـ. ب: التبعات: الذنوبات.

(٨) في هـ. ب: ولكن خفيف النون.

(٩) في ط: عباده.

(١٠) في د: بفوق.

(١١) في هـ. ب: الفوق العلو، يفوق أي لا يعان كذا يقال.

(١٢) في هـ. ب: أي وان كان صغير القدر عند الناس ليس بأدنى الفريقين هو على الحق أو يعان له على الحق.

(١٣) في هـ. ب: أي اقتحمته العيون في الحقارة والصغارة.

(١٤) في هـ. ب: يقال هو أدون، ذلك أي أقرب منه.

(١٥) في ص: أو.

فأجابهﷺ رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له، فقالﷺ:

انَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ اللهِ فِى نَفْسِهِ وجَلَّ مَوْضِعُهُ منْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلُّ ما سِوَاهُ وإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كانَ كَذَلِكَ لِمَنْ[١] عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ولُطْفُ إِحْسانِهِ إِلَيْهِ فإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ[٢] نِعْمَةُ اللهِ على أَحَدٍ إلاَّ ازْدادَ حَقُّ اللهِ عليْهِ عِظَماً وإِنْ مِنْ أَسْخَفْ[٣] حالاَتِ الوُلاَةِ عِنْدَ صالِحِ النَّاسِ أنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الفَخْرِ ويُوضَعُ أَمْرُهُمْ على الكِبْرِ وقدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جالَ[٤] في ظَنِكُمْ أَنّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ[٥] واسْتِماعَ الثَّناءِ ولَسْتُ بِحَمْدِ اللهِ كَذَلِكَ، ولوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ[٦] انْحِطَاطاً[٧] للهِ سُبْحانَهُ عَنْ تَأَوّلِ[٨] ما هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ العَظَمَةِ والكِبْرِياءِ. ورُبَّما اسْتَحْلَى[٩] النَّاسُ الثَّناءَ بَعْدَ البَلاَءِ[١٠] فَلاَ تُثْنُوا[١١] عَلَيَّ بِجَميلِ ثَناءٍ لإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلى اللهِ وإِلَيْكُمْ منَ البَقِيَّةِ[١٢] فِى حُقُوقٍ لمْ أَفْرُغْ منْ أَدائِها وفَرَائِضَ لابُدَّ منْ إِمْضائِها فَلاَ تُكَلِّمُونِى بمَا تُكَلَّمُ بِهِ الجَبابِرَةُ ولا تَتَحَفَّظُوا[١٣] مِنِى[١٤] بمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ البَادِرَةِ[١٥] ولا تُخالِطُونِى بالمُصَانَعةِ[١٦] ولا تَظُنُّوا بيَ اسْتِثْقَالاً لِحَقٍّ[١٧] قيل لِى ولا الْتِمَاسَ إِعظَامٍ لِنَفْسِى فإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الحَقَّ أَنْ يُقالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعرَضَ عَلَيْهِ كانَ العَمَلُ بِهِمَا عليْهِ أَثْقَلَ[١٨]. فَلَا تَكُفُّوا[١٩] عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ[٢٠]. فَإِنِّى لَسْتُ

---

(١) في د: من وفي هـ. د: لمن ـ ض ح ب ل ش.

(٢) في ب: يعظم.

(٣) في هـ. ب: أذل، واسخف أي أخف وأرذل من الجولان.

(٤) في هـ. ب: دار.

(٥) هـ.ب: الاطراء أي المدح.

(٦) في هـ. د: لكرهته ـ م، لتركته ـ هامش م. (٧) في هـ. ب: نزولا.

(٨) في ب و ط: تناول.

(٩) في هـ. ب: من الحلاوة.

(١٠) في هـ. ب: بعد المشقة على فعل حسن. (١١) في ب: ولا تثنوا.

(١٢) في د: التقية، وفي هـ. د: البقية ـ ع ض.

(١٣) في هـ. ب: التحفظ حفظ نفسه وما عليه نفسه من الخصال.

(١٤) في هـ د: لم ترد «مني» في ح.

(١٥) في هـ. ب: أي من تخشى بوادره.

(١٦) في هـ. ب: الرشوة.

(١٧) في ط ر د: في حق، وفي هـ د: لحق ـ ش.

(١٨) في ط و د: أثقل عليه.

(١٩) في هـ. د: ولا تكفوا إبائي ـ ف.

(٢٠) في ب: العدل.

فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِيءَ وَلَا آمَنُ مِنْ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي إلاَّ أَنْ يَكْفِيَ ٱللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي. فَإنَّما أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لا رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا ما لا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنا فِيهِ[1] إلى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ. فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَى. وَأَعْطَانَا ٱلْبَصِيرَةَ بَعْدَ ٱلْعَمَى.

* * *

الذي يظهر لي من معنى قوله عليه السلام: «فالحق أوسع الأشياء في التواصف» أي في ما يصف به الناس بعضهم بعضاً، فيقال: على فلان حق كذا، وعلى فلان حق كذا، حتى يستغرق الأفراد، فلا شيء يعم عمومه في الوصف.

«وأضيقها في التناصف»، أي في باب التناصف، أي في أنصاف المتعاملين بعضهم بعضاً، فانه لا ينصف أحد منهم صاحبه إلّا بتأدية الحق الذي له عليه.

فاقتضاؤه في كل حين مؤكد بعلة انه حق لمستحق، فهذا كلام مرتبط بقوله: «اما بعد»؛ فإن لي عليكم حقاً... الى آخره، كالبرهان عليه.

ووضح معنى الكلام بقوله: «لا يجري لأحد الأجرى عليه... الى آخره»، والمعني من الكلام نصب البرهان على ان الحق يلزم كل معامل ـ مالكاً كان أو مملوكاً ـ.

وقال ابن أبي الحديد ـ بعد كلام عدلنا عنه؛ لأنا لم نرتضه ـ ثم عاد[2] الى تقرير الكلام الأول، وهو وجوب حق الطاعة له وعليه، فقال: «إنّه لا يجري لأحدٍ إلّا وجرى عليه، وكذلك لا يجري عليه إلّا وجرى له»، أي ليس ولا واحد من الموجودين بمرتفع عن أن يجري الحقّ عليه، ولو كان أحدٌ من الموجودين كذلك لكان أحقّهم بذلك الباري سبحانه، لأنّه غاية الشرف، بل هو فوق الشرف وفوق الكمال والتمام، وهو مالك الكلّ، وسيّد الكلّ، فلو كان لجواز هذه القضية وجه، ولصحتها مساغ، لكان الباري تعالى أولى بها، وهي ألّا يُستحق عليه شيء، وتقدير الكلام: لكنّه يُستحق عليه أُمور، فهو في هذا الباب كالواحد منّا يستحق ويستحق عليه، ولكنّه عليه السلام حذف هذا الكلام المقدّر، أدباً وإجلالاً لله تعالى أن يقول: إنه يُستحق عليه شيء أصلا.

---

(١) في هـ. ب: أي الجاهلية.

(٢) أي: أمير المؤمنين

فان قلت: فما بال المتكلّمين لا يتأدّبون بأدبهعليه السلام! وكيف يطلقون عليه تعالى الوجوب والاستحقاق!

قلت: ليست وظيفة المتكلّمين وظيفةَ أمير المؤمنينعليه السلام في عباراتهم، هؤلاء أرباب صناعة، وعلم يحتاج الى ألفاظ واصطلاح لابدَّ لهم من استعماله، للإفهام والجدال بينهم، وأمير المؤمنين إمام يخطب على منبره، يخاطب عرباً ورعيّة ليسوا من أهل النظر، ولا مخاطبته لهم لتعليم هذا العلم، بل لاستنفارهم إلى حرب عدوّه، فوجب عليه بمقتضى الأدب أن يتوقّى كلّ لفظة توهم ما يستهجنه السامع في الأُمور الإلهية وفي غيرها. انتهى كلام ابن أبي الحديد[1].

قلت: المتأدبون بأدب أمير المؤمنينعليه السلام، أهل بيته، الذين أخذوا علمهم عنه بنقل خلفهم عن سلفهم ولم يشوبوا صفوهم بشيء من كدر غيرهم، وهم الهداة المتقدمون ومن قصر نفسه على علمهم من المتأخرين.

واما اعتذار الشارح لمتكلمي أصحابه، فغير عاذر ولا مسوغ، لأن العبارة أوسع مما اعتمدوه، ومما يوهم الخطأ، ولهم عمّا يستهجن مندوحة ولعل الذي جرّأهم على ذلك ما في الكتاب العزيز من نحو قوله تعالىٰ: ﴿وان علينا للهدىٰ﴾ وقوله: ﴿كان على ربك حتماً مقضيا﴾ وقوله: ﴿ثم ان علينا حسابهم﴾ وغير ذلك.

والحق ان اطلاق تلك العبارات من باب التوسع والتمثيل، هو تنزيلاً لما وعّد به وأخبر عن ايجاده له في عدم تخلفه، بالشيء الواجب اللازم لفاعله.

فاستعمل العبارة الموضوعة له تأكيداً لافهام انه لا يترك، ولذلك نظائر في تراكيب القرآن يستعمل سبحانه في حقه من العبارات ما يستحيل حقيقتة عليه تعالىٰ، كنحو ﴿ولتصنع على عيني﴾، ﴿خلقت بيدي﴾، ﴿بل يداه مبسوطتان﴾، ﴿على العرش استوىٰ﴾، لاشتهار تلك العبارات في تأدية خلاصة المعنىٰ، فصارت كالمثل فيه، بخلاف اطلاق لفظ الوجوب والاستحقاق ـ عند المعتزلة ـ فانهم يعنون وجوباً واستحقاقاً حقيقيين دلّ عليهما الدليل العقلي، فافترقا.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٨٩.

ثم قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: أليس يُشعر قولهﷺ: «وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضّلاً منه» تصريحاً منه بمذهب البغداديين من أصحابكم، وهو قولهم: ان الثواب تفضّل من الله سبحانه، وليس بواجب!

قلت: لا، وذلك لأنّه جعل المتفضَّل به، هو مضاعفة الثواب [لا أصل الثواب]، وليس ذلك بمستنكر عندنا.

فإن قلت: أيجوز عندكم أن يستحق المكلّف عشرة أجزاء من الثواب فيعطي عشرين جزءاً منه؟ أليس من مذهبكم أنّ التعظيم والتبجيل لا يجوز من الباري سبحانه أن يفعلهما في الجنّة إلّا على قدر الاستحقاق، والثواب عندكم هو النفع المقارن للتعظيم والتبجيل؟ فكيف قلت: إن مضاعفة الثواب عندنا جائزة!

قلت: مرادهﷺ بمضاعفة الثواب هنا زيادة غير مستحقة من النعيم واللذة الجسمانية خاصة في الجنّة، فسمّى تلك اللذة الجسمانية ثواباً لأنّها جزء من الثواب، فأمّا اللذة العقلية فلا يجوز مضاعفتها، انتهى كلام ابن أبي الحديد[١]، وقد نقلته بطوله وان لم يكن فيه فائدة يعتد بها، لأنه من تكلفات المعتزلة، وانما نقلته بطوله ليعتبر الناظر اللبيب بما فيه من التعسف واطراح دلالة الصرائح؛ فإنه خرج عن صريح كلام أمير المؤمنين فاضطره ذلك الى الخروج عن صرح كلام الله تقويماً لعوج مذهب أصحابه.

ألا تراه أخرج كلام أمير المؤمنينﷺ عن قود ما ساقه له وهو انه جعل حق العاملين عليه مضاعفة الثواب، وهو وجعل ذلك غير حق لهم؟

والحق أنّ المعنى جعل حقهم عليه الثواب مضاعفاً، ومعنى جعله له: ضمانه به ووعدهم بحصوله. ثم ساقه ذلك الى الخروج عن صريح القرآن. قال تعالىٰ: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[٢] وقال تعالىٰ ﴿نؤتها أجرها مرّتين﴾[٣].

وقال رسول اللهﷺ: «للمجتهد المصيب عشرة أجور»، ونحو ذلك مما هو صريح في مضاعفة الاجرّاء. كما قال تعالىٰ: ﴿أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبة والله يضاعف

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٩١.
(٢) الانعام: ١٦٠.
(٣) الأحزاب: ٣١.

لمن يشاء والله واسع عليم﴾[١].

واعلم ان الذي دلّت عليه الأدلة الكثيرة ان عظم الطاعة يكون بوقوعها على وجه له مكانة في ارضاء الله سبحانه، فيعطيه من الثواب ويكفّر عنه من السيئات ما لا يفعله بفاعل تلك الطاعة علىٰ غير ذلك الوجه.

وكذلك عظم المعصية تكون بوقوعها علىٰ وجه له مكانه في اغضاب الله فيلحقه من العقاب ويحبط من أعماله ما لا يفعله بفاعل ذلك الذنب على غير ذلك الوجه.

وعليه يخرج معنى قوله تعالىٰ: ﴿يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، فلا محاباة ولا ارجاء، والله أعلم بالصواب، وتسأله البصيرة والهدى الى سواء الصراط .

قوله ﷺ: «فاني لست في نفسي بفوق أن أُخطئ فيه»:

هذا هضم لنفسه، أي لست بالنظر الى نفسي بفوق ان اخطي، ولا آمن من ذلك من فعلي لو وكلت الى تحفظي، لا أدفع ذلك إلا بكفاية الله لي ما هو أملك له، كقوله تعالىٰ: ﴿ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا﴾ ونحوها من آي القرآن الدالة على ان العصمة تكون بتأييد الله وألطافه، فلا يدل كلامه ﷺ على اعترافه بعدم العصمة، والله أعلم.

وقوله: «فابدلنا بعد الضلالة بالهدىٰ»:

شرك نفسه معهم وان لم يثبت له ضلال ولا عمىٰ، حسن خطابةٍ وأدب عالم، ويحتمل ان يريد بالضلالة والعمىٰ: ما كان الناس فيه قبل بعثة النبي ﷺ، ويحتمل أن يريد: ما كان الناس عليه قبل توليه، فانه لم يكن لهم بصيرة وكانوا في فتنة، والله أعلم.

---

(١) التوبة : ٢٦١.

ومن كلام له عليه السلام :

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ[١] عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ[٢]؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ؛ وَأَكْفَئُوا[٣] إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً[٤] كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ[٥]، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ[٦]، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً[٧]، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً.

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ[٨]، وَلَا ذَابٌّ[٩] وَلَا مُسَاعِدٌ[١٠]، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي ؛ فَضَنَنْتُ[11] بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ. فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى ، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا[١٢]، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ[١٣] مِنَ الْعَلْقَمِ[١٤]، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ[١٥] الشِّفَارِ[١٦].

---

(١) في هـ . ب: اطلب الاعانة منك، وفي هـ . ص: أي اطلبك ان تعديني على من ظلمي أي تنتقم منه، من الشرح.

(٢) في هـ . د: عبارة «ومن أعانهم» ساقطة من م ف ن ل ش.

(٣) في ب: وكفؤوا، وفي هـ . د: وكفئوا ـ ش، وفي هـ . ب: واكفأوا: أي قلّبوا.

في هـ .ص: يعني رحمه من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وذلك انهم عطلوا حكمه الذي عناه الله في قوله:(وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)؛ فانهم نفوا تلك الرحم باضاعة اللبن من الاناء. تمت من الشرح ١١٠:١١، وفيه اشارة الى انهم اضاعوا حقّاً ثابتاً مستقراً موعى في وعاء، ومثله ما روي عنه وعن زيد بن علي وغيرهما من الأئمة عليهم السلام واكفأت بانيتنا وحملت الناس على رقابنا، انتهى.

(٤) في ص: أمراً.

(٥) في هـ . د: وبخط الرضي كان بالتاء، وروي بالنون ـ ر، أن نأخذه ـ ن .

(٦) في هـ . ص: يعني انهم قلّبوا حقيقة الأمر مجاحدة ومصالفة، فجعلوا الباطل حقّاً والحق باطلاً وهذا المعنى مصرح به في كلام عمر واتباعه.

(٧) في هـ . ب: من الغم.

(٨) في هـ . ب و ص: أي معين.

(٩) في هـ . ب: أي دافع.

(١٠) في هـ . ب: أي ناصر.

(١١) في هـ ب و ص: بخلت.

(١٢) في هـ . ب: الكمد.

(١٣) في هـ . ب: تقديره على أمر أمرّ.

(١٤) العلقم: شجر مرّ يضرب به المثل.

(١٥) في ب و ص: حزّ.

(١٦) في هـ . ب: جمع الشفرة: السكين .

قَالَ الرَّضِيّ[١]: وَقَدْ مَضَى هذا الْكَلامُ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ، إِلَّا أَنِّي ذَكَرْتُهُ[٢] هاهنا لاِخْتِلَافِ الرِّوَايَتَيْنِ.

* * *

قوله عليه السلام: «اللّهم اني استعديك ... الىٰ آخره»:

قال ابن أبي الحديد: واعلم أنّ هذا الكلام قد نُقل عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يناسبه، ويجري مجراه، ولم يؤرّخ الوقت الذي قاله فيه، ولا الحال التي عَناها به، وأصحابنا يحملون ذلك على أنّه عليه السلام قاله عَقيب الشورىٰ وبيعة عثمان، فإنّه ليس يرتاب أحدٌ من أصحابنا عَلى أنّه تظلّم وتألّم حينئذ.

ويكره أكثر أصحابنا حَمل أمثال هذا الكلام على التألّم من يوم السقيفة.

ولقائل أن يقول لهم: أتقولون إنّ بيعة عثمان لم تكن صحيحة؟ فيقولون: لا، فيقال لهم: فعلَى ماذا تحملون كلامه عليه السلام، مع تعظيمكم له وتصديقكم لأقواله؟ فيقولون: نحملُ ذلك على تألّمه وتظلّمه منهم إذ تركوا الأوْلَى والأفضل. فيقال لهم: فلا تكرهوا قول مَنْ يقولُ من الشّيعة وغيرهم: إنّ هذا الكلام وأمثاله صدَر عنه عقِيب السقيفة، وحملوه على أنّه تألم وتظلّم من كونهم تركوا الأوْلى والأفضل، فإنكم لستم تنكرون أنّه كان الأفضلَ والأحقّ بالأمر، بل تعترفون بذلك، وتقولون: ساغت إمامة غيره، وصحّت لمانع كان فيه عليه السلام، وهو ما غلب على ظنون العاقدين للأمر من أنّ العرب لا تطيعه، فإنه يخاف من فتنة عظيمة تحدث إن ولِيَ الخلافة لأسباب يذكرونها، ويعدُّونها، وقد روى كثير من المحدّثين أنّه عقيب يوم السقيفة تألّم وتظلّم، واستنجد واستصرخ، حيث ساموه الحضور والبيعة، وأنّه قال وهو يشير الى القبر: ﴿يَابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[٣] وأنّه قال: واجعفراه! ولا جعفر لي اليوم! واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم!

وقد ذكرنا من هذا المعنى جملة صالحة فيما تقدّم، انتهى كلامه الذي يتعلق غرضنا بنقله[٤].

---

(١) لم ترد قال «رحمه الله» في د.

(٢) في د: كررته.

(٣) الأعراف: ١٥٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١١١.

ويا عجباً لهذا الشارح كم يتجاهل ويتمسك في تثبيت ما يبني عليه بنسج العنكبوت.

نقل الشارح هذا الكلام في المتن في جملة خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام في خلافته بعد قتل محمد بن أبي بكر وهو في سوق كلام صريح في ذكر بيعة السقيفة، وذكر أبي بكر وعمر، وها هو ذا معترف انه لا منع من ان يكون أمير المؤمنين عليه السلام قاله عقيب يوم السقيفة وهو وأصحابه متفقون على ان لا منع من كونه قاله عقيب الشورىٰ وبيعة عثمان، فيثبت من هذا انه قول أمير المؤمنين في جميع مدّته منذ قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله إلى أن قبضه الله اليه.

وبهذا يتضح بطلان ما ذكره الشارح بعد هذا الكلام وانّه زعم ان صدور هذا القول كان منه عليه السلام في أوّل الأمر وقبل مصير الأمر إليه، ولمّا صار الأمر اليه وعرف انحراف الناس عنه رضي بما فعلوه، وعلم ان فعلهم كان صواباً، وخبط في هذا المعنىٰ وخلط.

ولعمري لمؤدىٰ كلامه وفحواه أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول ما يقوله خبطاً وجزافاً علىٰ غير بصيرة ويقين، وكان يتألم ممن لم يؤلم، ويتظلّم ممن لم يظلم، ويخطّئ المصيب، ويهم بقتال من ليس له ذنب يبيح دمه؟!

وهذا الشارح يزعم مع ذلك انه أعرف الناس بحق أمير المؤمنين وأفهمهم لفضله، ويزعم انه ممن يقول بأنه معصوم في قوله وفعله واعتقاده، ويزعم انه ـ وأصحابه ـ هم الشيعة المخصوصون بالفضائل المعنيّون بكلّ مدح وثناء كامل.

وهيهات ان يثبت غير الحق وان يروج من الأقوال غير الصدق ﴿**قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا**﴾[1].

لكن المتأخرين ممن يعتزىٰ الى الزيدية أعمىٰ بصائرهم حب مقالات المعتزلة فخبطوا في جهالاتهم وسددوا في غفلاتهم ﴿**وربك الرحمن المستعان على ما يصفون**﴾.

واعلم ان تأويل الظواهر فضلاً عن الصرائح انتصاراً للمذهب من غير دليل قاهر ملجئ الى التأويل، من تحريف الكلم عن مواضعه الذي سجل الله به على بني اسرائيل، وترى كل أهل المذاهب يتبايعون فيه، فنسأل الله العصمة والرحمة.

---

(١) الاسراء: ٨١.

أورد ابن أبي الحديد في ما ألحقه بآخر شرحه من كلامه عليه السلام ما يناسب هذا ورسمه: اللهمّ إنّي أستعديكَ على قريش؛ فإنهم أضمَرُوا لِرَسُولِكَ صلى الله عليه وآله ضروباً منَ الشَّرِّ والغدرِ، فعجزوا عنها؛ دخلت بينهم وبينها؛ فكانت الوجْبَةُ بي، والدَّائرةُ عليَّ. اللهمّ احفَظْ حسناً وحسيناً، ولا تمكّن فجرة قريش منهما ما دمتُ حيّاً، فإذا توفَّيتني كنتَ أنت الرَّقيبُ عليهم، وأنتَ على كُلِّ شيء شهيدٌ، انتهى[١].

وأورد له أيضاً: كلُّ حقدٍ حقدتهُ قريشٌ على رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله أظهرتْهُ فيَّ وستُظهِرُهُ في ولدي من بعدي، ماليَ ولقريش! إنّما وتَرْتُهُم[٢] بأمرِ اللّهِ وأمرِ رَسُولِهِ؛ أفهذا جزاء من أطاعَ اللّه ورَسُولَهُ إن كانوا مسلمين؟![٣].

وأورد له أيضاً: كنتُ في أيّامِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله كجزء من رسول الله صلى الله عليه وآله، ينظُرُ إليَّ الناسُ كما يُنظَرُ إلى الكواكِبِ في أُفق السماء، ثم غضَّ الدّهْرُ منِّي، فقُرنَ بي فلان، وفلانٌ، وفلانٌ، ثم قُرِنتُ بخمسةٍ أمثلُهُمْ عثمانُ، فقلتُ: واذَفَراهُ[٤]! ثم لم يَرْضَ الدهرُ لي بذلِكَ؛ حتى أرذلني، فجعلني نظيراً لابن هِند وابن النابِغَةِ! لقد استنَّت الفصالُ حتى القَرْعى[٥].

وأورد له أيضاً: «يا أبا عبيدة، طال عليك العهدُ فنسيت أم نافَسْت فأُنسيت! لقد سمعتها ووعيتَها فهَلّا رعَيْتها!». وأورد له أيضاً: «قال لَمّا سمع خطبة عمر بالمدينة التي شرح فيها قصة السقيفة: معذِرةً وربِّ الكعبة؛ ولكن بعد ماذا! هيهات علقت مَعالِقها، وصَرَّ الجُنْدُب».

وأورد له أيضاً:«أوّلُ مَن جرَّأَ النّاسَ علينا سعدُ بن عبادة؛ فتح باباً وَلَجهُ غيرُهُ، وأضرمَ ناراً كان لَهبُها عليه، وضوءها لأعدائه».

وأورد له أيضاً:«مالنا ولِقُريش! يخْضِمون الدنيا باسمنا ويَطَئُونَ على رِقابنا؛ فيا للهِ وللعجب! من اسمٍ جليلٍ لِمُسَمّى ذَليلٍ»، انتهى نقلاً من شرح ابن أبي الحديد[٦].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٩٨، الرقم ٤١٣.

(٢) وترتهم: أحدثت عندهم وتراً.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٣٢٨، الرقم ٧٦٤.

(٤) الذفر: الرائحة الكريهة، وفي هـ ص: أي نتناه.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٣٢٦، الرقم ٧٣٣، وقد ذكرها المصنف بتقديم وتأخير وذكرناها حسب ورودها في المصدر المذكور.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٣٠٧ و ٣٠٨.

[٢١٨]

ومنه في ذِكْر السَّائِرِينَ إلى البَصْرَةِ لِحَرْبِهِ ﷺ:

فَقَدِمُوا على عُمَّالِي وخُزَّانِ بيْتِ مَالِ المُسْلِمينَ الذِي في يَدِيّ وَعلى أَهْلِ مِصْرَ كُلُّهُمْ في طَاعتِي وعلى بَيْعَتي فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وأَفْسَدُوا عليَّ جَماعَتَهُمْ ووَثَبُوا على شِيعتِي. فقَتَلُوا طَائِفةً منهُمْ غَدْراً وطائِفَةٌ مِنْهُمْ عَضُّوا على أَسْيافِهِمْ فَضارَبُوا بهَا حتى لقُوا اللهَ صَادِقِينَ.

[٢١٩]

ومن كلام له ﷺ لما مرّ بطلحة وعبدالرحمن بن عتّاب بن أسيد[١] وهما قتيلان يوم الجمل:

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ[٢] بِهذَا الْمَكَانِ غَرِيباً. أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ[٣]. أَدْرَكْتُ وَتْرِي[٤] مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ[٥] بَنِي جُمَحٍ[٦] لَقَدْ أَتْلَعُوا[٧] أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ[٨] فَوُقِصُوا[٩] دُونَهُ.

---

(١) في هـ. ص بن أبي العيص بن امية بن عبد شمس، وهذا هو الذي حملت العقاب كفه يوم الجمل وفيها خاتمه والقتها باليمامة فعرفت باليمامة وعلم أهل اليمامة بالوقعة انتهى من الشرح.

(٢) في هـ. ب: أبو محمد كنية طلحة.

(٣) في هـ. ب: أي تحت السماء.

(٤) في هـ. ب: الوتر: الثار، وفي هـ. ب: حقدي.

(٥) في ط: أعيار، وفي هـ. ص بالنون يعني رؤساؤهم وسادتهم، ويروىٰ أعيار بالراء أي حميرهم، انتهى من الشرح، وفي هـ. د: في حاشية ن و ف أعنان، وفي ح: أعيار، وفي ل: أعيار.

(٦) في هـ. ب: جمع قبيلة، وفي هـ. ص بطن من قريش.

(٧) هـ. ب: أي مدّو، هـ. ص: أي رفعوا قريش.

(٨) في هـ. ص: أي الخلافة، وفيه دليل على ان عموم قريش ليس أهل الامامة.

(٩) وقصوا: أي كسرت أعناقهم وفي هـ. ص: أي دقّت أعناقهم.

ومن كلام له عليه السلام :

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ[١] حَتَّى دَقَّ[٢] جَلِيلُهُ وَلَطُفَ غَلِيظُهُ[٣] وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ[٤] كَثِيرُ ٱلْبَرْقِ فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَسَلَكَ بِهِ ٱلسَّبِيلَ وَتَدَافَعَتْهُ ٱلْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ وَدَارِ ٱلْإِقَامَةِ وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ ٱلْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ بِمَا ٱسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ .

---

(١) في هـ. ص: أي شهوته. (٢) في هـ. ص: نحف بدنه.

(٣) في هـ. ص أي صفت خلائقه.

(٤) في هـ. ب في نسخة : معه لامع، وفي هـ ص هو اللطف وهو النور الذي عناه الله بقوله:(مثل نوره) وقوله:(ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور) النور: ٢٤ / ٤٠.

ومن كلام له ﷺ[1] بعد تلاوته: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾[2].

يا لَهُ[3] مَراماً[4] ما أَبْعَدَهُ. وَزَوْراً[5] ما أَغْفَلَهُ. وَخَطَراً ما أَفْظَعَهُ[6]. لَقَدِ اسْتَخْلَوْا[7] مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ وَتَنَاوَشُوهُمْ[8] مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ أَبِمَصَارِعِ آبائِهِمْ من البلى يَفْخَرُونَ[9]. أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكاثَرُونَ. يَرْتَجِعُونَ[10] مِنْهُمْ أَجْساداً خَوَتْ[11] وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ وَلَأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَى[12] مِن أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ[13] وَضَرَبُوا[14] مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ[15]. وَلَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ[16] وَالرُّبُوعِ[17] الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ[18] ذَهَبُوا فِي

---

(١) وردت في نسخة من هنا الكلام رقم ٢٣٩ بدون شرح وحيث ان النسخ الأُخرىٰ اتفقت على كونها آخر ما اختير من خطبه ﷺ وضعناه هنا وفي ط زيادة: قاله.

(٢) وفي هـ. ب: زور أو زيارة على النصب. (٣) في هـ. ب: أعياله ما أبعده.

(٤) انتصب «مراما» على التمييز أي ذكره القصد الافتخار بهم مقصد بعيد، وفي هـ. د: يا مراماً ـ ن، ف، وفي هـ. ب: أي مطلباً منصوب على التمييز كقوله: يالها نعمة، أي ما أبعده من مرام.

(٥) في هـ ص: الزوّر: الزائرون أي غفلوا عمّا يقتضيه ذكرهم وهو الاعتبار والاتعاظ.

(٦) في هـ. ب: أي ما أشكله.

(٧) في ب: استحلوا وفي هـ. ب في نسخة: استخلو وفي هـ. ب: من الحلاوة، وفي هـ. ص استحلوا ويقال استخْلىٰ بالخاء معجمة: ذكر أموراً خالية. من الشرح.

(٨) في هـ. ب و ص: أي تناولوهم. (٩) في هـ. ب في نسخة: يفتخرون.

(١٠) هـ. ص أي يذكرونهم فكان ذكرهم ارتجاعاً أي طلباً لرجوعهم لأنهم يذكرونهم على وجه التكاثر بهم وكأنهم يبرزونهم في عدادهم.

(١١) في هـ. ب: سقطت، وفي هـ. ص: أي حوت وتساقطت.

(١٢) في هـ. ب: أحرىٰ وأجدر وفي هـ. ص أي أجدر وأولىٰ.

(١٣) في هـ. ص: أي بأبصار غلب عليها العشاء، والمراد بها أبصار القلوب غير المستبصرة.

(١٤) هـ. ص: أي خاضوا وسجو.

(١٥) في هـ. ص: أي في مجرىٰ جهالة، وفي هـ. د: لم ترد جهالة في م ف.

(١٦) في هـ. ص: الخاوية: المتساقطة. (١٧) في ب والرسوم، وفي هـ. د: والرسوم ـ ش.

(١٨) في هـ. د: لقالوا ـ ش.

ٱلْأرض
ضُلَّالاً[١] وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً. تَطَأُونَ فِي[٢] هَامِهِمْ[٣] وَتَسْتَثْبِتُونَ[٤] فِي أَجْسَادِهِمْ وَتَرْتَعُونَ[٥] فِيمَا لَفَظُوا وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا وَإِنَّمَا ٱلْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ[٦] وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ.

أُولَئِكُمْ[٧] سَلَفُ غَايَتِكُمْ[٨]. وَفُرَّاطُ[٩] مَنَاهِلِكُم ٱلَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ[١٠] ٱلْعِزِّ وَحَلَبَاتُ[١١] ٱلْفَخْرِ مُلُوكاً وَسُوَقاً[١٢]. سَلَكُوا فِي بُطُونِ ٱلْبَرْزَخِ[١٣] سَبِيلًا[١٤] سُلِّطَتِ ٱلْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ. فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ. فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ[١٥] قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ[١٦]. وَضِمَاراً[١٧] لَا يُوجَدُونَ لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ ٱلْأَهْوَالِ وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ ٱلْأَحْوَالِ وَلَا يَحْفِلُونَ[١٨] بِالرَّوَاجِفِ[١٩] وَلَا يَأْذَنُونَ[٢٠] لِلْقَوَاصِفِ غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ وَشُهُوداً

---

(١) في هـ. ب: ذهبت في الأرض جهالاً. (٢) لم ترد «في» في ب.
(٣) جمع هامة: أعلى الرأس.
(٤) في ب و ط: تستنبتون، وفي هـ. ب: طلب النبت: تزرعون وفي هـ ص: يروى تستنتون - بالنون. (٥) أي تتنعمون.
(٦) في هـ. ب: جمع باكية.
(٧) في د: أولئك، وفي هـ. د اولئكم ض ح ب ش.
(٨) سلف الغاية: السابق اليها. (٩) في هـ. ب: الفراط: السوابق.
(١٠) في هـ. ب: المقاوم جمع مقام، وفي هـ. ص: جمع مقوم، وهو في أصلها: الخشبة التي يمسكها الحراث، أي ما به يقوم العز وينتصب، انتهى من الشرح ١١: ١٤٩.
(١١) هـ. ص: جمع حلبة وهي جماعة خيل السباق.
(١٢) في هـ. ب: جمع سوقة وهي الرعية. (١٣) في هـ. ب: القبر، وفي هـ ص: المقبرة.
(١٤) في هـ. ص: أي طريقاً الى الآخرة.
(١٥) في هـ. ب: متسعات و في هـ ص: جمع فجوة وهي المقبرة المتسعة.
(١٦) في هـ. ب: من النمو، وهي الزيادة، وفي هـ. د: لا يتمنّون ـ ر.
(١٧) في هـ. ب الضمار كل ما لم تكن على ثقة من وجوده، وفي هـ ص: هو ما لا يرجى ولا يتحقق لخفائه.
(١٨) في هـ. ب: أي لا يبالون، و في هـ ص: أي لا يكترثون، وفي هـ. د: ولا يحلفون ـ ع.
(١٩) في هـ. ب: من الرجفة. (٢٠) في هـ. ب و ص: لا يسمعون.

لَا يَحْضُرُونَ. وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا وَأُلَافاً فَافْتَرَقُوا[١]. وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً وَبِالسَّمْعِ صَمَماً وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً فَكَأَنَّهُمْ فِي ٱرْتِجَالِ[٢] ٱلصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ[٣]. جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ. وَأَحِبَّاءُ[٤] لَا يَتَزَاوَرُونَ[٥]. بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى[٦] التَّعَارُفِ وَٱنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ ٱلْإِخَاءِ. فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ وَبِجَانِبِ ٱلْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ. لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً. أَيُّ ٱلْجَدِيدَيْنِ[٧] ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً[٨] شَاهَدُوا[٩] مِنْ أَخْطَارِ[١٠] دَارِهِمْ أَفْظَعَ[١١] مِمَّا خَافُوا وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا[١٢]. فَكِلْتَا[١٣] ٱلْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ[١٤] فَاتَتْ[١٥] مَبَالِغَ ٱلْخَوْفِ[١٦] وَالرَّجَاءِ. فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا وَلَئِنْ عَمِيَتْ[١٧] آثَارُهُمْ وَٱنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ ٱلْعِبَرِ وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ ٱلْعُقُولُ وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ. فَقَالُوا كَلَحَتِ[١٨] ٱلْوُجُوهُ

---

(١) أُلَافا: جمع أليف، أي مؤتلف مع غيره، وفي هـ. ب: جمع إلف.
(٢) في هـ. ص: أي الاتيان بها على غير تروّ وتأمل.
(٣) في هـ. ب: النوم، وفي هـ. ص السبات النوم.
(٤) في هـ. ص: جمع حبيب وفي هـ. د: أحياء ـ ل ر.
(٥) في هـ. ب: من الزيارة.
(٦) في هـ. ب: جمع سبب، وفي هـ ص: جمع عروة.
(٧) في هـ. ص: هما الليل والنهار.
(٨) في هـ. ص أي انهم لعدم شعورهم بتبدّل الأزمان بمنزلة من استمر عليه الوقت الذي انتقل منه لعدم الشعور بالتقضي والتبدل.
(٩) في هـ. ب: رأوا.
(١٠) في هـ. ب: من المخاطرة.
(١١) في ب: أفظع، هـ ص في نسخة: أفضع، وفي هـ. ب: أصعب.
(١٢) في هـ. ب: من التقدير.
(١٣) في ب و ط: فكلا وفي هـ.د: فكلا ـ ش.
(١٤) في هـ ص: في نسخة مباءات.
(١٥) في هـ. ب: من الفوت.
(١٦) في هـ. د: الفوت ـ م ف.
(١٧) في ب: درست وفي هـ. ب في نسخة: عميت.
(١٨) في هـ. ب: تغيّرت، وفي هـ. ص: عبست وكشرت.

النَّوَاضِرُ، وَخَوَتِ[١] ٱلْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ. وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ[٢] ٱلْبِلَى وَتَكَاءَدَنَا[٣] ضِيقُ الْمَضْجَعِ. وَتَوَارَثْنَا ٱلْوَحْشَةَ[٤]. وَتَهَكَّمَتْ[٥] عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ فَانْمَحَتْ[٦] مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا. وَتَنَكَّرَتْ[٧] مَعَارِفُ صُوَرِنَا. وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ ٱلْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا. وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً. وَلَا مِنْ[٨] ضِيقٍ مُتَّسَعاً. فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ[٩] بِعَقْلِكَ أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ ٱلْغِطَاءِ لَكَ وَقَدِ ٱرْتَسَخَتْ[١٠] أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ[١١]. وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ[١٢]. وَتَقَطَّعَتِ ٱلْأَلْسِنَةُ[١٣] فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا[١٤]. وَهَمَدَتِ[١٥] ٱلْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا. وَعَاثَ[١٦] فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا[١٧] وَسَهَّلَ طُرُقَ ٱلْآفَةِ إِلَيْهَا مُسْتَسْلِمَاتٌ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ. وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ. لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ وَأَقْذَاءَ[١٨] عُيُونٍ. لَهُمْ مِن كُلِّ[١٩] فَظَاعَةٍ[٢٠] صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ. وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي. وَكَمْ[٢١] أَكَلَتِ ٱلْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَأَنِيقِ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ وَرَبِيبَ شَرَفٍ[٢٢]. يَتَعَلَّلُ

---

(١) أي تهدمت بنيتها وتفرقت أعضاؤها وفي هـ. ب: خليت.

(٢) في هـ. ب و ص: جمع هدم وهو الثوب البالي.

(٣) في هـ ص: أي تشق علينا. (٤) في هـ ص: أي استوحش الآخر بعد الأول.

(٥) في هـ. ب: من التهدم، وفي هـ ص نسخة ابن أبي الحديد: تهدمت، قال في الشرح: يقال تهدم فلان على فلان غيضاً، اذا اشتد غضبه .ويجوز أن يكون :تهدمت أي تساقطت، وروي: تهكمت بالكاف، وهو كقولهم :تهدمت بالتفسيرين.

(٦) في ب: فامحت، وفي هـ. ب: فانمحيت بمعنى واحد.

(٧) في هـ ص: صارت منكرة. (٨) في هـ. د: ومن ـ م ن ف .

(٩) في هـ. ب: صورتهم. (١٠) في هـ. ب: نضبت.

(١١) في هـ. ب: صمت. (١٢) في هـ ص: أي غارت وذهبت في الرأس.

(١٣) في ب ص و : الألسن وفي هـ. ب: في نسخة الألسنة.

(١٤) في هـ. ب: حدتها.

(١٥) في هـ. ب: سكنت وماتت و في هـ. ص: أي سكنت عن حركتها بالأفكار.

(١٦) في هـ. ب: فسد، وفي هـ ص: أي أفسدها.

(١٧) في هـ. ب: قبحها. (١٨) في هـ. ب: جمع قذاة.

(١٩) في هـ. د: في كل ـ ف ن ح ض . (٢٠) في هـ. ب: مضل.

(٢١) في ط : فكم.

(٢٢) في هـ. ب: بمعنى موتق أو عجيب، وغدي: مغدوٌ وربيب : مربوب، وفي هـ ص: عزير

←

بِالسُّرُورِ في سَاعَةِ حُزْنِهِ وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنّاً[1] بِغَضَارَةِ[2] عَيْشِهِ وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ فَبَيْنَا[3] هُوَ يَضْحَكُ إِلى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ[4] فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ[5] إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ[6] وَنَقَضَتِ الأَيَّامُ قُوَاهُ[7] وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ[8] فَخَالَطَهُ بَثٌّ[9] لا يَعْرِفُهُ وَنَجِيٌّ[10] هَمٌّ مَا[11] كَانَ يَجِدُهُ. وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ[12]. فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ[13] الأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الحَارِّ بِالْقَارِّ[14] وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالحَارِّ فَلَمْ يُطْفِىءْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ[15] حَرَارَةً وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً وَلاَ أعْتَدَلَ[16] بِمُمَازِجٍ[17] لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ حَتَّى فَتَرَ مُعلله[18] وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ. وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ. وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ. وَتَنَازَعُوا[19] دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ[20]. فَقَائِلٌ هُوَ لِمَا بِهِ[21] وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ[22] عافِيَتِهِ وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى

← بالمعجمة ثم المهملة أي طري ناعم والاتيق الموتق المعجب وعزي ترف أي عدي بالترف وهو المتنعم المطغىٰ وربيب شرف أي قد ربّي في الشرف والعز وألفه.

(١) في هـ. ب و ص: أي بخلاً. (٢) في هـ. ص: أي نعمته ولينه.

(٣) في د: فبينما وفي هـ د: فبينا ـ ش. (٤) في هـ. د: وتضحك إليه ـ ش.

(٥) في هـ. ب: مبالغة في الغافل، وفي هـ ص: كناية عن السرور وتأتي الشهوات وحصول الامنيات فكأن الدنيا تضاحكه والعيش الغفول: الذي قد أمن فيه المصيبات، فكأنه غافل عن شأن الدهر، وهو التقلّب.

(٦) في هـ. ب: شوكته، وفي هـ ص أي عثر به، وهم يشبهون الدهر بالمركب، ومن عليه بالراكب، ويصفون الدهر بالعنود والجموح ونحوهما من صفات المركب، والله أعلم.

(٧) القوة مرة من مرائر الحبل. (٨) في هـ. ب و ص: عن قرب.

(٩) في هـ. ب: حزن.

(١٠) هـ. ب: أنس الى الحزن، هـ ص: المناجي هو المشاور.

(١١) في هـ. ب: نافية.

(١٢) في هـ. ص: منتصب على الحال من ضمير فيه، أي في وقت هو فيه أكثر انساً بصحته.

(١٣) هـ. ب: اتخذه عادة. (١٤) القار: البارد.

(١٥) في هـ. ب: إلّا هيّج. (١٦) في هـ. ص: أي طلب الاعتدال.

(١٧) في هـ. ص أي بمناسب لها في الطبائع المعلل: الممرض.

(١٩) في هـ ص: أي خاضوا وتناقلوا بينهم من دونه خبراً ذا شجىٰ، أي يشجيهم ويبكيهم، أو يغصهم من الشجىٰ، الذي بمعنىٰ الغصة. (٢٠) في هـ. ص: أي يكتمونه منه.

فَقْدِهِ. يُذَكِّرُهُمْ أَسَى[٢٣] المَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ.

فَبَيْنَا[٢٤] هُوَ كَذٰلِكَ عَلَى جَناحٍ[٢٥] مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا؛ وَتَرْكِ الأَحِبَّةِ: إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ.

فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ! وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ! مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ.

وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أو تَعْتَدِلَ[٢٦] عَلَى عُقُولِ[٢٧] أَهْلِ الدُّنْيَا.

* * *

قوله عليه السلام: **«الهاكم التكاثر حتىٰ زرتم المقابر»**:

قال في شرح ابن أبي الحديد: اختلف المفسرون في تأويل هاتين الآيتين، فقال قوم: المعنى أنّكم قطعتم أيام عمركم في التكاثر بالأموال والأولاد، حتى أتاكم الموت، فكنّى عن حلول الموت بهم بزيارة المقابر.

وقال قوم: بل كانوا يتفاخرون بأنفسهم، وتعدّى ذلك إلى أن تفاخروا بأسلافهم الأموات، فقالوا: منّا فلان وفلان ـ لقوم كانوا وانقرضوا.

وهذا هو التفسير الذي يدلّ عليه كلام أمير المؤمنين عليه السلام، انتهى[٢٨].

قوله عليه السلام: **« أفبمصارع ... الى قوله :يتكاثرون؟»**:

المعنىٰ بأي شيء يتبجحون، أبكونهم صرعىٰ البلىٰ فاسدي الأجسام أم بكثرتهم؟ فالهالك معدوم والمعدوم لا كثرة له، لأن كونه موجوداً وعدم وجدانه سواء في عدم

(٢١) في هـ. ب: بمعنىٰ يموت بهذا المرض. (٢٢) في هـ. ب: رجوع.
(٢٣) في هـ. ص: جمع اسوة وهي ما يتأسىٰ به الانسان أي يتمثل به ويذهب به حزنه.
(٢٤) في د: فبينما، وفي هـ. د: فبينا ـ ش.
(٢٥) في هـ. ص: أي على سرعة من فراق الدنيا كأنه راكب جناحاه.
(٢٦) في ب: يعتدل. (٢٧) في هـ. د: قلوب ـ ع.
(٢٨) شرح ابن أبي الحديد ١١ : ١٤٥.

الجدوىٰ.

قوله عليه السلام:« ولأن يهبطوا بهم ... الى قوله: عزة»:

أي لئن يكسبهم ذكرهم وتبصر أحوالهم ذلاً أولىٰ من أن يجحفوا بهم عزّاً وتيهاً، ولكنه عبّر بهذه العبارة الفصيحة شبّه جناب الذل ـ أي جهته وحاله ـ بالمكان المنخفض يستخفي هابطه ويقمع فيه.

واما مقام العز فلابد له من علو وظهور، والله أعلم.

قوله عليه السلام:« ويستثبتون...»:

الاستثبات: طلب الثبات، أي تمكنون أنفسكم وما تريدون مكنته في أجساد الموتىٰ؛ لأنهم قد صاروا من سنخ الأرض.

ويروىٰ يستنبتون: أي تزرعون النبات في أجسادهم، والمعنى ان ظاهر الأرض قد صار تراباً من أجساد الموتىٰ.

قوله عليه السلام:« وترتعون فيما لفظوا»:

أي تنتفعون من المعايش بما أسأروا فسمّى الانتفاع والأكل: رتعاً؛ تشبيهاً لحالهم في ذلك بحال البهائم بجامع الغفلة والاهتمام بالأكل وعبر عن اسئارهم باللفظ وهو الرمي بالشيء من الفم تقذيراً وتنفيراً، والمعنى مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿**وتأكلون التراث أكلاً لمّا**﴾[1] وقوله صلى الله عليه وآله: (**نبوّئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنّا مخلدون بعدهم**)[2]، والله أعلم.

قال في شرح ابن أبي الحديد بعد ايراد هذا الكلام الى آخره، كلاماً منه: وَمَن تأمل هذا الفصل، علم صدق معاوية في قوله فيه: «والله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره». وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبةً في مجلس، وتُلي عليهم أن يسجدوا كما سجد الشعراء لقول عديّ بن الرّقاع:

قلم أصابَ من الدَّواة مِدَادها[3]

---

(١) الفجر: ١٩.

(٢) البحار ٧٧: ١٧٧، ح ١٠.

(٣) صدره: * تُزْجِي أغَنّ كأن إبرة روقه * .

فلما قيل لهم في ذلك، قالوا: إنّا نعرف مواضع السجود في الشعر؛ كما تعرفون مواضع السجود في القرآن.

واني لأُطيل التعجّب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدلّ على أن طبعه مناسب لطباع الأُسود والنمور وأمثالهما من السباع الضارية، ثم يخطب في ذلك الموقب بعينه، إذا أراد الموعظة بكلام يدلّ على أنّ طبعه مشاكل لطباع الرّهبان لابسي المُسوح، اللذين لم يأكلوا الحماً، ولم يريقوا دماً؛ فتارة يكون في صورة بِسْطام بن قيس الشيباني وعقبة ابن الحارث اليربوعيّ، وعامر بن الطفيل العامريّ، وتارةً يكون في صورة سُقراط الحَبر اليونانيّ، ويوحنّا المعمدان الإسرائيلي، والمسيح بن مريم الإلٰهي، انتهى[1].

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٥٣.

ومن كلام له عليه السلام: قاله عند تلاوته:

﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ[١] رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[٢]:

إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ[٣] جِلَاءً[٤] لِلْقُلُوبِ[٥] تَسْمَعُ[٦] بِهِ بَعْدَ ٱلْوَقْرَةِ[٧]، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ ٱلْعَشْوَةِ[٨]، وَتَنْقَادُ بِهِ بعد ٱلْمُعَانَدَةِ. وَمَا بَرِحَ لِلّٰهِ ـ عَزَّتْ آلَاؤُهُ[٩]، فِي ٱلْبُرْهَةِ[١٠] بَعْدَ ٱلْبُرْهَةِ، وَفِي أَزْمَانِ ٱلْفَتَرَاتِ[١١] ـ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ[١٢] فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ[١٣] عُقُولِهِمْ، فاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي ٱلْأَسْمَاعِ وَٱلْأَبْصَارِ[١٤] وَٱلْأَفْئِدَةِ، يُذَكِّرُونَ[١٥] بِأَيَّامِ ٱللهِ، وَيُخَوِّفُونَ[١٦] مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ ٱلْأَدِلَّةِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ[١٧]. مَنْ أَخَذَ ٱلْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً[١٨] ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ ٱلْهَلَكَةِ، فكَانُوا[١٩] كَذٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ ٱلظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ ٱلشُّبُهَاتِ.

وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً اتخَذُوهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا بَدَلاً، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تجارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ[٢٠]، يَقْطَعُونَ

---

(١) لم ترد «يسبح له فيها بالغدو والآصال» في د.

(٢) النور: ٣٦، ٣٧.

(٣) في هـ. ب: أي القرآن.

(٤) في هـ. ص: أي يجلىٰ به كما يجلى السيف بالصقال.

(٥) في هـ. د: جلاء القلوب ـ ب.

(٦) في هـ. ب: تسمع القلوب بالقرآن.

(٧) في هـ. ص: هي ثقل السمع.

(٨) في هـ. ص بفتح العين من العشاء.

(٩) في هـ. ص: أي عظمت وكبرت.

(١٠) في هـ. ب: قطعة من الزمان، وفي هـ. ص مدة يفصل بينها وبين نظيرتها مدة.

(١١) في هـ. ب: ما بين الرسول الى الرسول، وفي هـ. ص الفترة انقطاع الوحي.

(١٢) في هـ. ب: فاعل ناجىٰ الله تعالىٰ.

(١٣) في هـ. ب: أسرار.

(١٤) في هـ. د: في الأبصار والأسماع ـ ض، ب.

(١٥) في هـ. ب: يذكرون الناس.

(١٦) في ب : ويحرفون.

(١٧) في هـ. د: القلوب ـ حاشية ن.

(١٨) في هـ. ص أي عدل عن جادة الطريق.

(١٩) في ط و د: وكانوا.

(٢٠) في ص: عن ذكر الله.

بِهِ أَيَّامَ ٱلْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ[١] بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ ٱللهِ، فِي أَسْمَاعِ ٱلْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُون بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ[٢] بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّهَا[٣] قَطَعُوا ٱلدُّنْيَا إِلَى ٱلْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَٰلِكَ، وَكَأَنَّمَا[٤] اطَّلَعُوا غُيُوبَ الْبَرْزَخِ[٥] فِي طُولِ الإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا[٦]، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَٰلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ.

فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ[٧] لِعَقْلِكَ[٨] فِي مَقَاوِمِهِم[٩] الْمَحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِم الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ؛ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا[١٠] عَنْهَا، أَوْ نُهُوا[١١] عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا؛ وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِم ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الاسْتِقْلَالِ بِهَا؛ فَنَشَجُوا نَشِيجاً[١٢]، وَتَجَاوَبُوا[١٣] نَحِيباً[١٤]، يَعِجُّونَ[١٥] إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ ـ لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجًى، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ؛ وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ ٱلْكَرَامَاتِ، فِي مَقَامٍ[١٦] اطَّلَعَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِيَ[١٧] سَعْيَهُمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ.

يَتَنَسَّمُونَ[١٨] بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ[١٩]، رَهَائِنُ[٢٠] فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ

---

(١) في هـ. ب: يصيحون من ها هنا هاتف. (٢) في هـ. ب: يفعلون ما يأمرون غيرهم.
(٣) في ط فكأنهم. (٤) في ط و د: فكأنما.
(٥) في هـ. ب: القبور، وفي هـ. ص هو ما بعد الموت من مكان أو زمان (انتهى من شرح ابن ميثم).
(٦) في هـ. ب: جمع عدة، وهي الوعد، وفي هـ. د: عند عذابها ـ م.
(٧) في هـ. ب: صورتهم. (٨) في هـ. د: بعقلك ـ ف.
(٩) في هـ. ب: مقامهم. (١٠) في هـ. د: ففرطوا ـ ب.
(١١) في هـ. ب في نسخة: ونهوا. (١٢) في هـ. ب: بكو بكاءً شديداً.
(١٣) في هـ. ب: من التجاوب.
(١٤) في هـ. ب: نيناً، وفي هـ. د: وروي تجاوبوا نجيا ـ ك.
(١٥) في هـ. ب: يصرخون.
(١٦) في ط: مقعد، وفي هـ. ب: في نسخة مقعد، وفي هـ. د: مقعد ـ ن ف م ح.
(١٧) في هـ. ب: أي رضي الله. (١٨) في هـ. ب: من النسيم.
(١٩) في هـ. ب: أي راحة التجاوز عن ذنوبهم.
(٢٠) في هـ. ب: أي هم رهائن فاقه جمع رهن.

لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولُ الأَسَى[١] قُلُوبَهُمْ، وَطُولُ الْبُكاءِ عُيُونَهُمْ.

لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قارِعَةٌ، يَسأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ[٢] الْمَنَادِحُ[٣]، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ.

فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ[٤] غَيْرُكَ.

* * *

الصفات التي ذكرهاﷺ منطبقات على قوم لهم تحقق في العلوم الشرعية والمعاملة الربانية ممن أخذ الله على العلم ميثاقهم ليبيّننه للناس ولا يكتمونه، وهم مع ذلك أهل عبادة عظيمة وزهادة في مشتهيات الدنيا بالغة.

همهم الدعاء الى الدين والذبّ بالأقوال والأفعال عن حرمات ربّ العالمين.

ولن تجد بهذه الصفات من هذه الأُمة إلّا هذه الجملة الطاهرة من عترة سيد المرسلين وشيعتهم من صادقي المؤمنين. وليس الأمر كما زعم ابن أبي الحديد أن المعنى بهم عارفوا الصوفية وحمقاؤهم ـ أهل الانقباض والغفلة عن نُصرة الدين وعن القيام بما كان يقوم به خاتم النبيين وأمير المؤمنين.

فأما علماء العامة فبمعزل ناءٍ عمّا ذكرﷺ من الصفات وانما همّهم طلب رئاسة الدنيا والسمعة والذكر فيها ونيل زينتها.

اما ما ذكرهﷺ من المحاسبة: قال في شرح ميثم بن علي:

وهذا يستدعي بيان معنى المحاسبة، ولمّا كان معناها يستدعي[٥] محاسباً حتى يكون النظر معه في رأس المال في الربح والخسران ليبيّن له الزيادة والنقصان فإنّ[٦] كان من فضل حاصل استوفاه وإن[٧] كان من خسران طالبه بضمانه وكلّفه تداركه في المستقبل فكذلك العبد تعامله نفسه الأمارة بالسوء، ورأس ماله الفرائض وربحه النوافل والفضائل،

---

(١) في هـ. ب و ص: حزن.

(٢) في ص: عليه وفي هـ ص في نسخة: لديه.

(٣) في هـ. ب: السعة و في هـ ص: المنادح جمع مندوحة، وهي في الأصل: الفضاء المتسع بين الجبلين.

(٤) في هـ. ب: محاسب.

(٥) في ط: يستدعي.

(٦) في هـ. ص: فما ـ ظاهراً ـ.

(٧) في هـ. ص: وما ـ ظاهراً ـ.

والخسران المعاصي، وموسم هذه التجارة جملة النهار فينبغي أن يكون للعبد في آخر ساعة يطالب بها نفسه ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها فإن كان قد أدّى الفرائض على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبّها في مثلها، وإن فوّتها من أصلها كلّفها بالقضاء، وإن أداها[١] ناقصة كلّفها بالجبران بالنوافل، وإن ارتكب[٢] معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي[٣] منها ما يتدارك به تفريطها كما يصنع التاجر بشريكه، وكما أنّه يفتّش في حساب الدنيا عن الحبّة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان كذلك ينبغي أن يتقي[٤] خدعة النفس ومكرها فإنّها مخادعة مكّارة فليطالبها أوّلاً بتصحيح الجواب عمّا تكلّم به طول نهاره ليتولّى من حسابها بنفسه ما سيتولّاه غيره في محفل القيامة، وكذلك عن نظره وخواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه، وحتّى عن سكوته وسكونه. فإذا عرف أنّها أدّت الحقّ في الجميع كان ذلك القدر محسوباً له فيظهر لها الباقي ويقرّره عليها ويكتبه على صحيفة قلبه. ثمّ إنّ النفس غريم يمكن أن يستوفي منه الديون أمّا بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها بردّ عينها أو بعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلّا بعد تحقق الحساب وتميّز باقي الحق الواجب عليه. ثم يشتغل بعده بالمطالبة. وينبغي أن يحاسب الإنسان النفس على جميع العمر يوماً يوماً وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقّة وكان محاسباً لنفسه فحسب يوماً فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيّامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمس مائة يوم فصرخ وقال: يا ويلتي ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب. ثم خرّ مغشيّاً عليه فإذا هو ميّت فسمعوا قائلاً يقول: يالك ركضة الى الفردوس الأعلى. فهكذا ينبغي أن تكون المحاسبة، ولو رمى العبد بكلّ معصية حصاة في داره لأمتلأت داره في مدة يسيرة من عمره ولكنّه يتساهل في حفظها والملكان يحفظان عليه كما قال تعالى: ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ الاية.

---

(١) في ط: ادتها.

(٢) في ص: ارتكبت.

(٣) في ط و يستوفي.

(٤) في ط: تتقي.

[٢٢٣]

ومن كلام له ﷺ: قاله عند تلاوته:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾[1]:

أَدْحَضُ مَسْؤُولٍ حُجَّةً وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ[2] مَعْذِرَةً لَقَدْ أَبْرَحَ[3] جَهَالَةً بِنَفْسِهِ.

يَا أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ وَمَا آنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ. أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ[4] أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمِكَ يَقَظَةٌ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِهَا[5]. فَلَرُبَّمَا[6] تَرَى الضَّاحِيَ[7] لحرِّ[8] الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ[9] جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ فَمَا صَبَّرَكَ[10] عَلَى دَائِكَ وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ[11] وَعَزَّاكَ عَنِ ٱلْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ ٱلْأَنْفُسِ عَلَيْكَ. وَكَيْفَ لَا[12] يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ[13] سَطَوَاتِهِ[14]. فَتَدَاوَ[15] مِنْ دَاءِ ٱلْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ[16] وَمِنْ كَرَى ٱلْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ فَكُنْ[17] لِلّٰهِ مُطِيعاً. وَبِذِكْرِهِ آنِساً. وَتَمَثَّلْ[18] فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ يَدْعُوكَ إِلَى

---

(١) في هـ. ب: السائل هاهنا ـ الله تعالىٰ؛ لأنه يقول: ما غرك يا انسان.

(٢) في هـ. ب: مغرور.

(٣) في هـ. ب: أزال، وفي هـ. ب: أي الى البرح وهو الأمر العظيم.

(٤) في هـ. ب: صحه، وفي هـ ص: يقال بل الرجل وابل من دائه: أي شفي.

(٥) في ط و د: غيرك. (٦) في ط: فربما.

(٧) في ط: من حرّ، هـ ص: أي البارز بحرّه.

(٨) لم ترد «لحر» في ص، وفي ط و د: من حرّ، وفي هـ. د: لحرّ ـ ش.

(٩) في هـ. ب: يمض جسده: يولم جسده، وفي هـ. ص: يقال داء ممض أي مؤلم.

(١٠) في هـ. د: فما أصبرك ـ حاشية م.

(١١) في ط و د: بمصابك، وفي هـ. د: مصائبك ـ م ش وحاشية ن، على مصائبك ـ ل.

(١٢) في هـ. د: لم ترد «لا» في ف. (١٣) في هـ. ص: جمع مدرجة بمعنى الطريق والمسلك.

(١٤) في هـ. ب: حملاته. (١٥) في هـ. ب: من التداوي.

(١٦) هـ. ب: بعزم. (١٧) في ب و ط و د: وكن.

(١٨) في هـ. ص: أي ابرز مقالاً وصورة في خيالك.

عَفْوِهِ وَيَتَغَمَّدُكَ[١] بِفَضْلِهِ[٢] وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ[٣] وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ. فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ. وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ. بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ[٤] عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ. أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ. فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ. وَآيْمُ ٱللهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةِ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي ٱلْقُوَّةِ. مُتَوَازِيَيْنِ[٥] فِي ٱلْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ ٱلْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِي ٱلْأَعْمَالِ.

وَحَقّاً أَقُولُ: مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَلٰكِنْ بِهَا ٱغْتَرَرْتَ وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ ٱلْعِظَاتُ[٦] وَآذَنَتْكَ[٧] عَلَى سَوَاءٍ[٨]. وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ ٱلْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ. وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ. وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ ٱلْخَاوِيَةِ وَٱلرُّبُوعِ ٱلْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ[٩] الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلًّا وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً[١٠] هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ[١١].

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا[١٢] الْقِيَامَةُ وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ فَلَمْ يُجْزِ[١٣] فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ[١٤] يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي

---

(١) في هـ. ب و ص: أي يسترك. (٢) في هـ. د: ويتغمدك الله بفضله.

(٣) في ب: ما أحكمه، وفي هـ. ب: في نسخة: ما أكرمه، وفي هـ. د: ما أحلمه ـ ل ش و هامش م.

(٤) في هـ. ب: أي طرفة عين، وفي هـ. ص: أي وقت طرف عين.

(٥) في هـ. ب: أي متشابهين، وفي هـ. ص: أي متساويين متقابلين، وروى متوازنين أي متعادلين، وفي هـ د: متوازنين ـ ض ن ب م.

(٦) في هـ. د: العظات ـ ع، جمع عظة، وهي الوعظ، وفي هـ. ص: بالنصب على تقدير بالعظات محذف الجار، وبالرفع على الفاعلية(٧) في هـ. ص: أي أعلمتك.

(٨) في هـ. ص: أي عدل. (٩) في هـ. ب: بمنزلة.

(١٠) في هـ. ص: أي في الآخرة. (١١) في هـ. ص: أي في الدنيا.

(١٢) في ب ظاهراً: لجلائلها، وفي هـ. ص: هي الأمور الجليلة.

(١٣) في هـ. ب: أي تمل، وفي هـ.د: فلم يجز ـ ف، فلم يحز بالزاي والراء ـ ف.

(١٤) لم ترد «وقسطه» في ط، وفي هـ. د: لم ترد «وقسطه» في ب.

الْهَواءِ وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ في الأَرْضِ إلاَّ بِحَقِّهِ. فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ. وَعَـلَائِقِ عُـذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ. وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لاَ تَبْقَى لَهُ وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ وَشِمْ[1] بَرْقَ النَّجَاةِ. وَارْحَلْ مَطايَا التَّشْمِيرِ[2].

(١) في هـ. ص: شام البرق: نظر اليه نظر راغب طامع.

(٢) في هـ. ب: التشمير: الجد.

ومن كلام له عليه السلام :

وَٱللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ[١] مُسَهَّداً[٢]، وأُجَرَّ[٣] في الأَغْلالِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلْقَى ٱللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا!

وَٱللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ[٤] حَتَّى اسْتَمَاحَنِي[٥] مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ[٦] شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ[٧] الأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ[٨]، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ[٩] مُفَارِقاً طَرِيقَتِي[١٠]، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وكادَ أَنْ يَحْتَرِقَ[١١] مِنْ مِيْسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يا عَقِيلُ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُها لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظًى!

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ[١٢] طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِها، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا[١٣]؛ كَأَنَّمَا

---

(١) في هـ . ب: السعدان: جنس من الشوك، وفي هـ ص هو نبت له شوك يقال له حسك السعدان وحسكة السعدان ويشبه به حلمة الثدي.

(٢) في هـ . ب: ما معناه: ساهراً.

(٣) في ط أو أجر.

(٤) في هـ . ص: أي افتقر.

(٥) في هـ . ص: أي طلب المنح وهو الاعطاء.

(٦) في ب زيادة: غرثى.

(٧) لم ترد «الشعور غبر» في ب و ض و د، وفي هـ . د شعث الشعور غبر الألوان ـ ض ح ب.

(٨) في هـ . ب: الوسمة، وفي هـ ص: صبغ أسود.

(٩) في هـ . ب: انقياده.

(١٠) في د: طريقي، وفي هـ . د: طريقتي ـ ض ح ب، وفي هـ . ب: في نسخة: طريقي.

(١١) في هـ . ب: في نسخة: يحرق.

(١٢) في هـ . ص قيل هو الأشعث، وكان عليه السلام يبغضه ويعرف خبث طويته، أهدى اليه حلوى قد تأنق فيه على طبق مغطى.

(١٣) في هـ . ب: ابغضها.

عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا: فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ! فَقَالَ: لَاذَا وَلَا ذَاكَ؛ وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ. فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ ٱلْهَبُولُ! أَعَنْ دِينِ ٱللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي! أَمُخْتَبِطٌ[١] أَمْ ذُو جِنَّةٍ[٢] أَمْ تَهْجُرُ[٣]! وَٱللهِ لَوْ أُعْطِيتُ ٱلْأَقَالِيمَ ٱلسَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ ٱللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ[٤] شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ؛ وَإِنَّ[٥] دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا.

مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى؛ وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى! نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ ٱلْعَقْلِ، وَقُبْحِ ٱلزَّلَلِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ.

* * *

قوله عليه السلام: «رأيت عقيلاً وقد أملق ... الى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: سأل معاوية عقيلاً عن قصّة الحديدة المحمّاة المذكورة، فبكى وقال: أنا أُحدّثك يا معاوية عنه، ثم أُحدّثك عمّا سألت[٦]، نزل بالحسين ابنه ضيف، فاستسلف درهماً اشترى به خبزاً، واحتاج الى الإدام فطلب من قَنْبر خادمهم، أن يفتح له زِقّا من زقاق عسل جاءتهم من اليمن، فأخذ منه رطلاً، فلمّا قعد عليّ عليه السلام ليقسمها، قال: يا قنبر، أظنّ أنه حدث بهذا الزقّ حدث! قال: صدقت يا أمير المؤمنين فأخبره، فغضب عليه السلام، وقال: عليّ بحسين! فرفع اليه الدّرة، فقال: بحقّ عمّي جعفر ـ وكان إذا سئل بحقّ جعفر سَكن ـ فقال له: ما حملك أنْ أخذت منه قبل القسمة؟ قال: إنّ لنا فيه حقّاً، فإذا أعطيناه رددناه، قال: فداك أبوك! وإن كان لك فيه حقّ، فليس لك أن تنتفع بحقّك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم! أما لولا أنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّل ثنيّتك لأوجعتُك ضرباً. ثم دفع إلى قنبر درهماً كان مصروراً في ردائه، وقال: اشترِ به خير عسلٍ تقدر عليه.

قال عقيل: والله لكأنّي أنظر الى يدي عليّ، وهي عَلَى فم الزّق، وقنبر يقلِب العسل فيه،

---

(١) في هـ. ص: أي مصروع.
(٢) في هـ. ص: أي أبك مس من الشيطان.
(٣) في هـ. ص: أي تقول غير الصواب لعارض مرض أو مجانه وسخرية.
(٤) في هـ. ص بضم الجيم: قشر الشعيرة.
(٥) في ص: فإن.
(٦) في ص: ثم احدثك عنه.

ثم شدّه وجعل يبكي، ويقول: اللهم اغفِرْ لحسين فإنه لم يعلم!

فقال معاوية: ذكرتَ من لا ينكر فضله، رحم الله أبا حسن، فلقد سبق مَنْ كان قبله، وأعجز مَنْ يأتي بعده! هلمّ حديث الحديدة.

قال: نعم، أقويت وأصابتني مخمصَة شديدة، فسألته فلم تندَ صَفاتُه، فجمعت صبياني وجئته بهم، والبؤس والضرّ ظاهران عليهم، فقال: ائتني عشيّةً لأدفع اليك شيئاً، فجئته يقودني أحد ولدي، فأمره بالتنحّي، ثم قال: ألا فدونك، فأهويت ـ حريصاً قد غلبني الجشع، أظنها صرّة ـ فوضعتُ يدي عَلى حديدة تلتهب ناراً، فلمّا قبضتها نبذتها، وخُرْت كما يخور الثور تحت يد جازره، فقال لي: ثكلتك أمّك! هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا، فكيف بك وبي غداً إن سُلِكنا في سلاسل جهنم! ثم قرأ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَالُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾[1].

ثم قال: ليس لك عندي فوق حقّك الذي فرضه الله لك إلّا ما ترىٰ، فانصرف إلى أهلك.

فجعل معاوية يتعجّب، ويقول: هيهات هيهات! عَقِمت النساء أن يأتين[2] بمثله! انتهىٰ[3].

قوله عليه السلام: «فذلك محرّم علينا أهل البيت»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: فإن قلت: كيف قال: «فذلك محرّم علينا أهل البيت»، وإنما تحرم عليهم الزكاة الواجبة خاصة، ولا تحرم عليهم صدقة التطوّع، ولا قبول الصِّلات؟ قلت: أراد بقوله: «أهل البيت» الأشخاص الخمسة: محمّد، وعليّ، وفاطمة، وحسن، وحسين عليهم السلام، فهؤلاء خاصّة دون غيرهم من بني هاشم، محرّم عليهم الصلة وقبول الصدقة، وأمّا غيرهم من بني هاشم فلا يحرُم عليهم إلّا الزكاة الواجبة خاصّة.

فإن قلت: كيف قلت: إنّ هؤلاء الخمسة يحرم عليهم قبول الصِّلات، وقد كان حسن وحسين عليهما السلام يقبلان صِلَة معاوية؟

قلت: كلّا لم يقبلا صلته، ومعاذ الله أن يقبلاها! وإنما قبِلا منه ما كان يدفعه اليهما من

(١) المؤمن: ٧١.

(٢) في ط: ان يلدن مثله.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

جملة حقهما من بيت المال، فإنّ سهم ذوى القربى منصوص عليه في الكـتاب العـزيز، ولهما غير سهم ذوى القربى سهم آخر بالإسلام من الغنائم، انتهى[١].

قلت[٢]: مذهب الناصر وأبي العباس الحسني رضي الله عنهما ان صدقة النفل لا تحل لآل محمد إلّا صدقة بعضهم علىٰ بعض.

وعلى هذا القول حمل ما في الأحاديث الكثيرة من تحليل صدقات بني هاشم بعضهم لبعض وأشهرها حديث العباس، قال: يا رسول الله انك حرمت علينا صـدقات النـاس، افتحل لنا صدقة بعضنا ببعض؟ قال: نعم.

وحمل عليه[٣] ـ أيضاً ـ ما روي عن جمهور المتقدمين من أئمتنا، فانه روي عـنهم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٩. (٢)

(٣) في هـ. ص هنا ما يلي: قال الامام شرف الدين رحمة الله عليه في كلام ردّ به على العامري كلاماً حكاه عنه من نفس النصب ما رسمه: قال بعد ان ساق أحاديث فضائل أهل البـيت الطاهرين وأخبار وجوب اتباعهم المتواتر ما معناه:
ان هذه الأخبار توجب قضاء حوائجهم اذا طلبوا، ومواساتهم اذا سألوا وانه اذا جاء مـنهم سائل مستجد توجه مواساته ولا يلاحق في إقامة بينة علىٰ صحة نسبه، وجاء في ذلك قصة منام حكاه، فجعل البراهين القاطعة لكونهم حجّة الله تعالى على الخـلق وأهـل الريـاسة والولاية التي لايد فوق يدها، في خلافة الملك الحق، وكونهم قرناء القرآن وأُمناء شـريعة الملك الديان، وان محبّتهم واتّباعهم من تمام الايمان، وكراهتهم ومخالفتهم موجبة للنفاق الموقع في الدرك الأسفل من النيران، جعلها لا توجب لهـم إلا تـلك الأحـوال السـخيفة، والاسعاف لمن جاء يستجدي منهم ويهين نفسه لأهل القلوب المريضة عليهم الضعيفة.
وخالف ما جعله الله سبحانه خصيصة لهم ومزيّة من تطهيرهم عن قبول الزكوات الواجبات والصدقات التي فيها دخولهم تحت منّةٍ أيّة منّة.
كيف التذلل لأهل الضغينة عليهم والإحنة.
ولم يبح لهم سبحانه من الحقوق والنفل إلا ما كان مأخوذاً لهم بحدود السـيوف وأطـراف الأسل، أو ما على جهة التقرب الى الله عزوجل في اعتقاد فضلهم واستمداد البركة مـنهم بحيث يكون المنة لهم على المعطي ويكون هو الطالب ويكون الحظ له في قبول ما يتوسل به في نيله الى الله سبحانه من الرغائب كما يتقرب به الى بيت الله الحرام ونحوه من مشاعر الاسلام، كما عدل اليه أعداء أهل البيت الكرام.
وحملوا عليه مراد الملك العلّام في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله عليه وعلى أهل بـيته
←

جواز صدقة بني هاشم بعضهم لبعض دون غيرهم.

فحمل ذلك على ان المراد صدقة النفل.

وكل هذه التأويلات خلاف الظاهر، وظاهر الروايات تحريم صدقة الفرض والنفل من غيرهم وتحليل صدقة الفرض والنفل منهم لمحاويجهم.

وفي الجامع للكافي مسألة: روى محمد باسناده عن علي عليه السلام انه قال: نحن أهل البيت لا تحل لنا الصدقة إلّا صدقة بعضنا على بعض. وروىٰ محمد عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تحل الصدقة لآل محمّد إلّا صدقة الماء أو صدقة بعضهم علىٰ بعض.

وعن علي بن الحسين عليهما السلام انه كان يشرب من ماء الصدقة، انتهى.

قلت: ووجه تخصيص الماء انه باق على الاباحة ولو كان في بئر مملوك أو مأجل، وان فرض مملوكاً فلظهور التسامح وعدم المنّة كالضيافات العامة ونحوها، والله أعلم.

← أفضل الصلاة والسلام.

وقاتل الله أعداء أنفسهم كيف يحملون مثل: «اني تارك فيكم الثقلين...»، «وأهل بيتي كسفينة نوح» «وأمان أهل الأرض» وما يشبهها من البراهين القاطعة على مثل ما ذكروا؟

هل هذا إلا تجاوز عظيم لله سبحانه في كرامة أهل بيت نبيّه، ومخالفة ما أوجبه لهم خالقهم من المحبة والقدوة، وغلوّ جسيم في الاعراض عنهم والبغض لهم، والضلال عن نيّر نهجهم ومستقيم صراطهم، وعدول بذلك إلىٰ من وجب له أضداد ذلك من البعد عنهم والبغض لهم والمعاداة.

انتهى من شرح خطبة الاثمار، وفيه اشارة الى مثل ما قلناه.

[٢٢٥]

ومن دعاء له عليه السلام:

اللهمّ[1] صُنْ[2] وجهي بِالْيَسارِ وَلَا تَبْذُلْ[3] جَاهِي بِالإِقْتَارِ[4]، فَأَسْتَرْزِقَ[5] طَالِبِي رِزْقِكَ[6] وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ. وَأَبْتَلِي[7] بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُفْتَتَنَ[8] بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي. وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كلِّه[9] وَلِيُّ الإِعْطَاءِ وَالمَنْعِ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

---

(١) في هـ. ص: الدعاء بصيغة الأمر.

(٢) صيانة الوجه: حفظه من التعرّض للسؤال.

(٣) في هـ. د : ولا تبتذل ـك وحاشية م ولا تتبذل ـ ر.

(٤) الاقتار: الفقر.

(٥) في هـ. ص: منصوب لأنه جواب الأمر والنهي.

(٦) في ب: رفدك. وفي هـ. ب: في نسخة: رزقك.

(٧) في ص فابتلى، وفي هـ. ص في نسخة: وابتلى.

(٨) في ب: فافتتن وفي د: افتتن. وفي هـ. ص: روي مبنياً للفاعل وللمفعول.

(٩) في هـ. ص: مثل يقال للمحيط بالأمر القاهر له القادر منه على ما يشاء كما يقال للملك العظيم هو من وراء وزرائه وكتابه، لا يعتبر إلّا ذاك حقيقة الجهة، وكما قال تعالىٰ: ﴿والله من ورائهم محيط﴾ وأصله ان لسانق الماشية يكون محيطاً بها ببصره ويده ومن ثم يقال لمن ملك: ساق ويسوق الناس بعصاه، والله أعلم، وحاصله ان هذا اللفظ صار مثالاً علماً لمعنى الاحاطة والاستيلاء كما قال تعالىٰ:(من ورائه جهنم)ابراهيم: ١٤/ ١٦، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

دَارٌ بِالْبَلاَءِ مَحْفُوفَةٌ. وَبِالْغَدْرِ مَعْروفَةٌ. لا تَدُومُ أَحْوَالُهَا. وَلَا تَسْلَمُ[١] نُزَّالُهَا[٢] أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وَتَارَاتٌ[٣] مُتَصَرِّفَةٌ. الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ. وَالأَمَانُ مِنْهَا[٤] مَعْدُومٌ. وَإِنَّمَا أَهْلُها فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدِفَةٌ[٥] تَرْمِيهِمْ[٦] بِسِهَامِهَا وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا[٧].

وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ ٱلدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً. وَأَعْمَرَ دِيَارًا. وَأَبْعَدَ آثَاراً[٨]. أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً[٩]. وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً[١٠] وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً. وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً. وآثَارُهُمْ عَافِيَةً[١١]. فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ[١٢]. وَالنَّمَارِقِ[١٣] الْمُمَهَّدَةِ[١٤] الصُّخُورَ وَالأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ[١٥] وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ[١٦] الْمُلْحَدَةَ[١٧]. الَّتِي قَدْ بُنِيَ بالخَرَابِ[١٨] فِنَاؤُهَا[١٩]. وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا.

---

(١) في ط: لا يسلم.

(٢) جمع نازل.

(٣) في هـ. ب: جمع تارة أي مرّات، و في هـ. ص جمع تارة بمعنى مرّة.

(٤) في ص: فيها. وفي هـ. د: فيها ـ ب ل.

(٥) هـ. ص: بكسر الدال بمعنى منتصبة مهيئة لأن يرمىٰ، وبفتح الدال على المفعولية أي مقصودة بالرمي.

(٦) في هـ. ب: أي الدنيا.

(٧) في هـ. ب: أي موتها.

(٨) في هـ. ب: أي أعمالاً.

(٩) في هـ. ب و ص: أي ساكنة استعارة من قولهم: ماء راكد، وفي هـ. ص: كناية عن سكون الحركات.

(١٠) هـ. ب: ساكنة.

(١١) في هـ. ب: مندرسة.

(١٢) في هـ. ب: العالية، وفي هـ. ص: أي المؤكدة البناء، والشيد: الجص مما يراد تقويته يبنى به فصار التشييد عبارة عن التقوية لذلك.

(١٣) هـ. ب: جمع النمرقة.

(١٤) في هـ. ب: المفترشة.

(١٥) في هـ. ب: من الاسناد وهو الاعتماد.

(١٦) في هـ. ب: أي اللاصقة.

(١٧) في هـ. ب: أي جعل له اللحد.

(١٨) في ط على الخراب.

(١٩) في هـ. ب: يعني القبر قريب وساكنها غريب.

فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ. وساكِنُهَا مُغْتَرِبٌ[١]. بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ[٢]. وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ لَا يَسْتأْنِسُونَ بِالأَوْطانِ. وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ. عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الجِوَارِ وَدُنُوِّ الدَّار. وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ[٣] وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ[٤] الْبِلَى[٥]. وَأَكَلَتْهُمْ[٦] الْجَنَادِلُ[٧] وَالثَّرى. وَكأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى ما صَارُوا إِلَيْهِ وَارْتَهَنَكُمْ ذٰلِكَ ٱلْمَضْجِعُ. وَضَمَّكُمْ ذٰلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ. فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ[٨] بِكُمُ الْأُمُورُ وَبُعْثِرَتْ[٩] الْقُبُورُ. (هُنَالِكَ[١٠] تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى ٱللهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كَانُوا يَفْتَرُونَ)[١١].

---

(١) في هـ . ب: أهل القبور موحشين أي لا انس بينهم.
(٢) في هـ . ب: بأعمالهم في الدنيا. (٣) في هـ . ب: زيارة.
(٤) في هـ . ص: الكلكلة هو الصدر وهو هنا استعارة.
(٥) في هـ . ب: فاعل طحنهم البلى كلكلة اخبار قبل الذكر.
(٦) هـ . ص: أي أفنتهم وهو هنا استعارة أيضاً. (٧) في هـ . ب: الأحجار.
(٨) أي وصلت الى الغاية. (٩) في هـ . ب: اثيرت.
(١٠) في ص: فهنالك، وفي هـ . ص في نسخة هنالك.
(١١) يونس : ٣٠.

ومن دعاء له عليه السلام:

اَللهمَّ إِنَّكَ آنَسُ الآنِسِينَ لأَوْلِيَائِكَ[١]. وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ[٢] لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ. تُشَاهِدُهُمْ[٣] فِي سَرَائِرِهِمْ. وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ[٤]. فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ[٥] مَكْشُوفَةٌ[٦] وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ[٧] إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الإِسْتِجَارَةِ[٨] بِكَ عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الأُمُورِ بِيَدِكَ. وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ.

اَللهمَّ فإِنْ فَهِهْتُ[٩] عَنْ مَسْأَلَتِي. أَوْ عَمِهتُ[١٠] عَنْ طِلْبَتِي. فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي. وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي. فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ[١١] مِنْ هِدَايَاتِكَ. وَلَا بِبِدْعٍ[١٢] مِنْ كِفَايَاتِكَ.

اَللهمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ.

---

(١) في هـ. ص: تقدير الكلام انك لأوليائك آنس من يؤنس بـه، كـما تـقول أنت لي أصـدق الأصدقاء، والآنسين جمع آنس فهو بمعنى النسبة فاعرف ذلك، والله أعلم.

(٢) في هـ. ص: أي أبلغهم احضاراً لكفاية المتوكلين عليه وأقومهم بذلك.

(٣) هـ. ب: تراهم.

(٤) في هـ. ب: جمع بصر وبصيرة بمعنيين.

(٥) في ب: لديك.

(٦) هـ. ب: أي ظاهرة.

(٧) في هـ. ب: من اللهف وهو التحسّر، وفي هـ. ص: أي صارت مستغيثة.

(٨) في هـ. ب: الاعاذة.

(٩) في هـ. ب: أي عجزت، وفي هـ. ص: بالكسر أي عييت.

(١٠) في د: عميت، وفي هـ. د: عمهت م ل وحاشية ن، وفي هـ. ب: حيّرت، وفي هـ. ص: العمه البرود ويروي عميت .

(١١) في هـ. ص: هو العجب.

(١٢) في هـ. ب: بديع، وفي هـ. ص: هو المبتدع.

[٢٢٨]

ومن كلام له عليه السلام :

لِلّهِ بِلاَدُ[١] فُلاَنٍ، فَقَدْ[٢] قَوَّمَ الأَوَدَ[٣]. وَدَاوَى الْعَمَدَ[٤]. أقام[٥] السُّنَّةَ وخَلَفَ[٦] الْفِتْنَةَ[٧]. ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ[٨]. قَلِيلَ العَيْبِ. أَصَابَ خَيْرَهَا[٩] وَسَبَقَ شَرَّهَا. أَدَّى إِلى اللهِ طَاعَتَهُ واتَّقَاهُ بِحَقِّهِ. رَحَلَ وتَرَكَهُمْ[١٠] فى طُرُقٍ[١١] مُتَشَعِّبَةٍ[١٢] لا يَهْتَدِى فِيهَا الضَّالُّ ولا يَسْتَيْقِنُ المُهْتَدِى.

* * *

اعلم ان الشارح ابن أبي الحديد زعم ان المعني بهذا الكلام عمر بن الخطاب، وزعم انه وجد محشىً بذلك في نسخة بخط الرضي ـ أبي الحسن رحمه الله ـ وزعم انه سأل النقيب أبا جعفر رحمه الله عن المراد به؟ فقال له: هو عمر.

وروىٰ عنه ان الامامية يقولون انه قاله تقيةً واستصلاحاً لأصحابه، والجارودية من الزيدية يقولون انه قاله في أيام عثمان وأخرجه مخرج الذم له والتنقص لأعماله كما يمدح الناس الأمير الميت في أيام الأمير الحي بعده فيكون ذلك تعريضاً به.

وروى عن الراوندي انه عليه السلام مدح بعض أصحابه، واستبعد ذلك ابن أبي الحديد، ثم قال

---

(١) في ص: بلاء، وفي هـ. ب في نسخة: بلاد، والبلاء الصنع.

(٢) في د: فلقد، وفي هـ. د: فقد ـ ض ب. (٣) في هـ ب و ص: العوج.

(٤) في هـ. ب: جراحك العمدة، وفي هـ. ص: هو انشداخ السقام.

(٥) في ط و د: وأقام، وفي هـ. د: أقام ـ ش. (٦) في هـ. ب: أي ترك.

(٧) في ط: خلف الفتنة وأقام السنة، وفي هـ. د: خلف الفتنة ـ ب.

(٨) في هـ. ب: أي انه لم يذنب.

(٩) في هـ. ب: الهاء عائد الى الدنيا علمنا ضرورة من ذكرها.

(١٠) في هـ. ب: أي أهل الدنيا.

(١١) في ص: طرقات، وفي هـ. ص في نسخة: طرق.

(١٢) في هـ. ب: بفتح العين وكسرها والكسر اليق بالصواب.

بعد كلام طويل يُعرّض بما رواه عن النقيب والراوندي والتأويلات الباردة الغثة لا تعجبني[١].

وأنا أقول: لم نجد أحداً أكثر تعويلاً على التأويلات الغثة الباردة منك، فقد اعتبرنا ذلك من أول كتابك الى آخره.

ثم لا يبعد أن تأتي بكلام تنقضها وتُظهر الكامن فيها، فان زعمت ان الحامل لك عليها ثبوت خلاف الظاهر عندك فاحتجت الى تأويل ما ثبت عندك خلافه، فلخصومك أن يقولوا ثبت عندنا وعندك أيضاً ذمّ أمير المؤمنين لعمر وعيب سيرته بالقول والفعل، فالقول كثير، ولو لم يكن منه الا ما تضمّنته الشقشقيّة حيث يقول: «فصيّرها في حوزة خشناء... الى آخره» فذلك كلام المعنيّ به عمر قطعاً، فكيف يصحّ أن يمدح أمير المؤمنين سيرته بعد ذلك.

وأما الأفعال فانّه عليه السلام امتنع يوم الشورى من أن تعقد بيعته على سيرة أبي بكر وعمر وقال انما يعقد على كتاب الله وسنّة رسوله، فلو كانت سيرتهما موافقة لكتاب الله وسنّة رسوله لما امتنع من عقد البيعة علىٰ سيرتهما.

ومن الأفعال الدالة علىٰ ذمّه سيرة عمر: ان أمير المؤمنين عليه السلام أدبر ـ بكل وجهٍ ـ ان يفضل في العطاء كما فضل عمر فامتنع من ذلك كل الامتناع وسمّاه جوراً حتى أفضى ذلك الى نفرة الناس ـ الذين يريدون الدنيا ـ عنه، وقعدوا عن نصرته وصرّح عليه السلام مراراً بأن السنّة التي شاهد مضى عليها رسول الله صلى الله عليه وآله هي التسوية في العطاء، وليس ضد السنة إلّا البدعة.

فكل هذا يوجب صرف الكلام عن ان يراد به عمر.

فان صحّ انّه أراده فلابدّ من حمله علىٰ تأويل الجارودية الذي ذكره النقيب.

ولا يبعد عندي انه عليه السلام عنىٰ به بعض أصحابه كالأشتر.

وقد ثبت ان الفساد في أصحابه انما استشرى بعد موت الأشتر رحمه الله، وظهر فيهم الخلاف

(١) انظر شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٤.

والخذلان والالتواء حتى قيل: هزمت حياته أهل الشام وهزم موته أهل العراق، وظهر أثر فقده في أهل العراق ظهوراً بيّناً.

وأقرب من ذلك عندي ان يكون ﷺ عنى بذلك نفسه وحدّث عمّا قام به من الحق وعمّا يقع بعده من الفتن، ولم يلتبس الحق حتى لم يستيقن المهتدي إلّا بعد فقده، اما في حياته فقد كان أتباعه المهتدون مستيقنين، اما عمر فلم تقع الفتنة عقيب فقده بل تراخت زماناً فما نسبة انتفائها اليه بأولىٰ من نسبته الى من تقدمه، والله أعلم.

[٢٢٩]

ومن كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة:

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا. وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا. ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ[١] عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ[٢] عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا[٣] حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ[٤] وَسَقَطَ الرِّدَاءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ[٥] بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ[٦] إِلَيْهَا الْكَبِيرُ وَتَحَامَلَ[٧] نَحْوَهَا الْعَلِيلُ وَحَسَرَتْ[٨] إِلَيْهَا الْكِعَابُ[٩].

---

(١) في هـ. ب: تزاحمتم، وفي هـ. ص: التداك: الزحام الشديد.

(٢) الهيم: العطاش.

(٣) في ب و ط: وردها، وفي هـ. د: وردها ـ ل ش ح وحاشية ن، وفي هـ. ب: في نسخة: ورودها.

(٤) في هـ. د: النعال ـ م.

(٥) في هـ. ب: أي انه ابتهج.

(٦) في هـ. ب: من الدبيب لضعفه، وفي هـ. ص: مشى مشياً ضعيفاً.

(٧) في ص: نحا، وفي هـ. ص: تحامل، وفي هـ. ب: حمل نفسه مع جماعة من المرضى وجاء الي.

(٨) في هـ. ب: أي كشفت النساء الشبان.

(٩) في هـ. د: وحسرت عن ساقها الكعاب، جمع كاعب، وفي هـ. ص: الجارية قد نهد ضرعها فهي تتخفّر وتتستر.

ومن خطبة له عليه السلام :

فَإِنَّ تَقْوَى ٱللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ[١]، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ[٢]. بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ وَيَنْجُو ٱلْهَارِبُ وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ[٣] فَاعْمَلُوا وَٱلْعَمَلُ يُرْفَعُ وَٱلتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَٱلدُّعَاءُ يُسْمَعُ وَٱلْحَالُ هَادِئَةٌ[٤] وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمْراً نَاكِساً[٥] وَ[٦] مَرَضاً حَابِساً[٧] أَوْ مَوْتاً خَالِساً[٨] فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ[٩] لَذَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ[١٠] شَهَوَاتِكُمْ وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ[١١] زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ[١٢] غَيْرُ مَطْلُوبٍ، قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ[١٣] حَبَائِلُهُ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ[١٤] غَوَائِلُهُ[١٥]، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ[١٦]، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ. وَتَتَابَعَتْ[١٧]

---

(١) في هـ. ص: سداد قيل هو بفتح السين وكسرها بمعنى واحد، وقيل السداد بالفتح الرشاد وبالكسر السّد، والله أعلم.

(٢) في هـ. د: عبارة «وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة» ساقطة من ف ن .

(٣) في هـ. ب: جمع الرغيبة وهي الرغبة له.

(٤) في هـ. ب: أي ساكنة، من قولهم: هدأ الناس وهم هادئون، اذا سكنوا، وفي هـ. ص: أي ساكنة.

(٥) في هـ. ب: أي ناقصاً، و في هـ. ص من قوله تعالى: ﴿ومن نعمّره ننكّسه في الخلق﴾ يس : ٣٦ / ٦٨ .

(٦) في د: أو.

(٧) في هـ. ص: أي يمنع من العمل.

(٨) في هـ. ب و ص: أي مختبطاً.

(٩) في ض: هاذم ، وفي هـ. ص الهدم بالمعجمة: القطع.

(١٠) في هـ. ب: منغص .

(١١) في هـ. ب: منازلكم، وفي هـ. ص: الطية بالكسر منزل المسافر.

(١٢) في هـ. ب: حاقد، وفي هـ. ص الواتر القاتل، والوتر: الذحل .

(١٣) في هـ. ص اعلقتكم أي جعلتكم متعلقين فيها، ويروى علقت بغير همز أي تشبثت والحبائل جمع حبالة: المصيدة.

(١٤) في هـ. ب: تكنف اجتمع، وفي هـ. ص أي أحاطت بكم.

(١٥) في هـ. ب: جمع غائلة وهي الفساد.

(١٦) هـ. ب: المعبل السهم والمعابل جمع، هـ. ص المعابل جمع معبله وهي سهم عريض والمراد سهامه واقصدتكم: أصابتكم فأثرت.

(١٧) في هـ. ب: بالباء أيضاً وبالياء هنا أليق.

عَلَيْكُمْ[١] عَدْوَتُهُ وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ[٢]. فَيُوشِكُ[٣] أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي[٤] ظُلله، وَاحْتِدَامُ[٥] عِلله، وَحَنَادِسُ[٦] غَمَرَاتِهِ[٧]. وَغَوَاشِي[٨] سَكَرَاتِهِ. وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ[٩]. وَدُجُوُّ[١٠] إِطْبَاقِهِ[١١]. وَخُشُوبَةُ[١٢] مَذَاقِهِ[١٣]. فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ[١٤] وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ[١٥]. وَعَفَى آثَارَكُمْ. وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ. وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ، يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ. بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ. وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ[١٦] يَمْنَعْ. وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ. فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ. وَالتَّأَهُّبِ وَالاسْتِعْدَادِ. وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ. وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنْيَا[١٧] كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا[١٨] وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا[١٩] وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا[٢٠] وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا[٢١]. أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً[٢٢] وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً لَا يَعْرِفُونَ

---

(١) في هـ. ب: تعديه.

(٢) في هـ. ب: وثبته، وفي هـ. ص: مصدر نبا السيف، وينبو اذا لم يؤثر في الضرب.

(٣) في هـ. ص: أي يسرع.

(٤) في هـ. ب: جمع الداجية، وهي الظلمة، وفي هـ ص وهي ما اطبق.

(٥) في هـ. ب: اضطراب، وفي هـ. ص: اضطرام واشتداد.

(٦) في هـ. ب: ظلمات، وفي هـ. ب: الحندس: الظلمة.

(٧) في هـ. ب: شدائد.

(٨) في هـ. ب: جمع غاشية.

(٩) في د: ازهاقه و في هـ. د: ارهاقه ح ب ش وازهاق بالزاي والراء ـ ن، وفي هـ ص مصدر أرهق: أي اعجل. وغشى ويروى: ازهاقه بالزاي.

(١٠) في هـ. د: ودجو، بالحاء ـ ك ر.

(١١) في هـ. ب: أي ظلمة أطباقه، جمع طبق.

(١٢) في هـ. ص: جشوبة يروى بالجيم والباء، بمعنى غلظ الأكل وربما يروى خشونة بالخاء والنون، ضد الليونة.

(١٣) في هـ. ب: من الذوق.

(١٤) في هـ. ص النجي المتناجون وقد يكون من النجوى.

(١٥) في هـ. ب: أي فرق محفلكم، وفي هـ. ص: الندى مجتمع القوم.

(١٦) في ص: لا، وفي هـ. ص في نسخة: لم.

(١٧) في ط: الحياة الدنيا، وفي هـ. د. الحياة الدنيا ـ ض ح ب.

(١٨) في هـ. ب: أي الدنيا.

(١٩) في هـ. ب: أي غفلتها، وجاءت هذه الفقرة في ص بعد: وأخلقوا حدتها.

(٢٠) في هـ. ب: عددها.

(٢١) أي جعلوا جديدها خلقاً قديماً بطول أعمارهم.

(٢٢) الأجداث: القبور.

مَنْ أَتَاهُمْ وَلَا يَحْفِلُونَ[١] مَنْ بَكَاهُمْ وَلَا يُـجِيبُونَ مَـنْ دَعَـاهُمْ فَـاحْذَرُوا الدُّنْـيَا فَـإِنَّهَا غَدَّارَةٌ[٢] غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا وَلَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا وَلَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا.

منها في صفة الزهّاد:

كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا[٣] وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا[٤] فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا عَـمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ[٥] أَهْلِ ٱلْآخِرَةِ[٦]. يَرَوْنَ[٧] أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

---

(١) في هـ. ب: أي لا يبالون.

(٢) في غير ط : غرارة، وفي هـ. د: فانها غدارة غرارة ـ ض ح ب .

(٣) في هـ. ص: لوجودهم فيها.

(٤) في هـ. ص: أي المؤثرين لها المريدين لها.

(٥) في هـ. ص: ظهراني بفتح النون ولا يجوز كسرها، والمعنى في وسطهم من الشرح.

(٦) في هـ. ص: أي انهم لإيقانهم بما بعد الموت واهتمامهم به صاروا كمن لاقاه كما قال في كلامه الآخر السابق كانما قطعوا الدنيا الى الآخرة.

(٧) في ط: ويرون.

[٢٣١]

ومن خطبة له ﷺ خطبها بذي قار[١] وهو متوجّه إلى البصرة، ذكرها الواقديّ في كتاب الجمل:

فَصَدَعَ[٢] بِمَا أُمِرَ[٣] وَبَلَّغَ رِسَالاتِ[٤] رَبِّهِ فَلَمَّ[٥] ٱللهُ بِهِ الصَّدْعَ وَرَتَقَ بِهِ ٱلْفَتْقَ وَأَلَّفَ بِهِ[٦] بَيْنَ ذَوِي ٱلْأَرْحَامِ بَعْدَ ٱلعَدَاوَةِ ٱلْوَاغِرَةِ[٧] فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ ٱلْقَادِحَةِ[٨] فِي ٱلْقُلُوبِ.

---

(١) في هـ ص موضع قريب من البصرة ومنها كانت وقعة العرب مع الفرس قبل الاسلام.

(٢) أي جهر. (٣) في ط أمر به، وفي هـ. ب: يعني النبي ﷺ.

(٤) في د: رسالة، وفي هـ. د: رسالات ض ح ب.

(٥) في هـ. ب: جمع.

(٦) لم ترد «به» في د، وفي هـ. د: وألّف به الشمل بين ـ ض ح ب، وألّف به بين ـ ش.

(٧) في هـ. ب: الحاصلة، وفي هـ. ض ذات الوغرة وهي شدة الحر.

(٨) في هـ. ص كأنها تقدح منها النار، تمت من الشرح.

[٢٣٢]

ومن كلام له عليه السلام كلم به عبدالله بن زمعة[1] وهو من شيعته، وذلك أنه قدم عليه في خلافته[2] يطلب منه مالا فقال عليه السلام :

إِنَّ هَذَا المَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ الْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ[3] أَسْيَافِهِمْ فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ وَإِلَّا فَجَنَاةُ[4] أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.

---

(١) في هـ. ص: بفتح الميم بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي، وكان عند الله شيعة لعلي عليه السلام ومن أصحابه، ومن ولد عبد الله هذا أبو البختري القاضي، وهو وهب بن وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة، كان قاضي الرشيد هارون بن محمد بن المهدي، وكان منحرفاً عن علي عليه السلام، وهو أفتى الرشيد ببطلان الأمان الذي كتبه ليحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأخذه بيده فمزّقه. من الشرح ١٣: ١١.

(٢) هـ. ب: أي في أيام خلافته.

(٣) في هـ. ص: أي ما جلبته وساقته اليهم.

(٤) في هـ. ب: من الجني من الثمرة، وفي هـ. ص هي ما تجتنىٰ من ثمر الشجر، وهذه استعارة واضحة.

[٢٣٣]

ومن كلام له عليه السلام :

أَلَا وَإِنَّ ٱللِّسَانَ بَضْعَةٌ[١] مِنَ ٱلْإِنْسَانِ فَلَا يُسْعِدُهُ[٢] ٱلْقَوْلُ إِذَا ٱمْتَنَعَ وَلَا يُمْهِلُهُ ٱلنُّطْقُ إِذَا ٱتَّسَعَ[٣]. وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ ٱلْكَلَامِ وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ[٤] وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ[٥] غُصُونُهُ.

وَٱعْلَمُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ ٱلْقَائِلُ فِيهِ بِٱلْحَقِّ قَلِيلٌ وَٱللِّسَانُ عَنِ ٱلصِّدْقِ كَلِيلٌ وَٱللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ. أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى ٱلْعِصْيَانِ مُصْطَلِحُونَ عَلَى ٱلْإِدْهَانِ[٦] فَتَاهُمْ عَارِمٌ[٧]. وَشَائِبُهُمْ[٨] آثِمٌ. وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ[٩]. وَقَارِؤُهُمْ[١٠] مُمَاذِقٌ[١١]. لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ. وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ.

---

(١) في هـ . ص: أي قطعة لحم.

(٢) في هـ . ص: ضمير المفعول للسان.

(٣) في هـ . ص قوله :ولا يمهله النطق، الضمير يعود الى الانسان وتقدير الكلام: فلا يسعد اللسان القول اذا امتنع الانسان عن القول ولا يمهل اللسان القول اذا اتسع الانسان للقول، والمعنى ان اللسان آلة للانسان فاذا صرفه صارف عن الكلام لم يكن الانسان ناطقاً واذا دعاه داع الى الكلام نطق اللسان بما في ضمير صاحبه، انتهى من الشرح. قال فيه: واعلم ان أمير المؤمنين عليه السلام قال: هذا الكلام في واقعة اقتضت وذلك انه أمر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي أن يخطب الناس يوماً فصعد المنبر وأحصر فلم يستطع الكلام فقام أمير المؤمنين عليه السلام فتسنم ذروة المنبر وخطب خطبة طويلة ذكر الرضي منها هذه الكلمات، تمت.

(٤) في هـ . ب: أي عروق الكلام، وفي هـ . ص: أي علقت وتمكنت كتمكن عروق الشجر.

(٥) في هـ . ب: أي ارسلت .

(٦) في ط: أهله مصطلحون على الادهان، وفي هـ . د: عبارة «مصطلحون على الإدهان» من ب، وفي ب: الإدهان، وفي هـ . ب من المداهنة.

(٧) في هـ . ب: مفسد، وفي هـ . ص: بالعين المهملة: الشرير المفسد شرس الخلق.

(٨) في هـ . ب: شهادتهم.

(٩) في هـ . ص: يعتقد ويقول غير الحق ويتظاهر بالاسلام، وهذه صنعة علماء العامة، ومن أحرز منه ظهرا ثم كثروا.

(١٠) في ط: وقارئهم، وفي هـ . ص: عابدهم.

(١١) في هـ . ب: مخلط، وفي هـ . ص: أي مرائي.

[٢٣٤]

ومن كلام له عليه السلام:

روى ذُعْلب اليمانيّ[1] عن أحمد بن قتيبة، عن عبدالله بن يزيد عن مالك بن دِحْية[2]، قال: كنّا عند أمير المؤمنين عليه السلام، فقال وقد ذكر عنده اختلاف الناس[3]:

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهمْ مبَادِيءُ طِينِهِمْ[4]، وذَلِك أَنَّهمْ كَانُوا فِلْقَةً[5] مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ[6] وَسَهْلِهَا، فَهمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ؛ وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلافِها يَتَفَاوَتُون، فَتَامُّ الرُّوَاءِ[7] نَاقِصُ الْعَقْلِ، ومادُّ الْقَامَةِ[8] قَصِيرُ الْهِمَّةِ. وَزَاكِي الْعَمَلِ[9] قَبِيحُ المَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ[10] بِعيدُ السَّبْرِ[11]، ومعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ[12] مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ[13]، وتَائِهُ ٱلقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ. وَطَلِيقُ اللِّسانِ حَدِيدُ ٱلجَنَانِ.

* * *

(١) في ب: روى الثمالي، وفي ط ذوى ذعلب اليمامي، وفي هـ.د: روى اليماني ـ ش، وفي هـ ص: الذعلب والذعلبة الناقة السريعة فسمي به وهو من رجال الشيعة ومحدثيهم، ذكره في الشرح.

(٢) في ب: دحنّة.

(٣) في د: وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال.

(٤) في هـ. ب: في نسخة طينتهم، أي ابتداء أصلهم.

(٥) في هـ. ب: قطعه.

(٦) هـ. د: وحزون تربة ـ ش.

(٧) في هـ. ب: أي تمام المنظر، وفي هـ. ص: الرواء بالمد والهمز: المنظر الحسن.

(٨) في هـ. ص: أي طويلها.

(٩) في هـ. د: زاكي العقل ـ م، وفي الهامش: العمل، وفي هـ. ص: يريد بزكاء أعماله: سدادها وصلوحها.

(١٠) في هـ. ص: يريد قصير القامة.

(١١) في هـ. ص: أي هو داهية لا يوقف على سرّه.

(١٢) في هـ. ب: الخلق والطبيعة، وفي هـ ص الضريبة هي الخليقة الأصلية والجليبة الخلق الذي يتكلّفه الانسان ويتحيله مثل أن يكون جباناً بالطبع فيتكلف الشجاعة، وشحيحاً بالطبع فيتكلف الجود.

(١٣) في هـ. ب: الجليبة ما يفعله الانسان على خلاف طبعه.

قوله عليه السلام: «قتام الرواء»:

كأنه عليه السلام أراد أن ينبئهم ان الاختلاف كما يكون بين الأشخاص يكون بين الخلق والخلق وبين الأخلاق لحكمة المخالف بين ذلك لا بالطبع.

وقوله: «وتائه القلب، متفرّق اللّب»:

هذان الوصفان متناسبان لا متضادان، وكذلك الوصفان اللذان بعدهما كأنه لما فرغ من الأخلاق المتضادة ذكر بعدها الأخلاق والطبائع المتناسبة، ذكره في الشرح قال فيه: وهذا الفصل لا يجوز أن يحمَل على ظاهره، وما يتسارع الى أفهام العامّة منه، وذلك لأن قوله: «أنّهم كانوا فِلْقة من سَبَخ أرض وعَذْبها»؛ إمّا أن يريد به أنّ كلّ واحد من الناس ركّب من طين، وجعل صورة بشرية طينيّة برأس وبطن ويدين ورجلين، ثم نفخت فيه الروح كما فعل بآدم، أو يريد به أنّ الطين الذي ركّبت منه صورة آدم فقط كان مختلطاً من سَبَخ وعَذْب، فإن أريد الأول فالواقع خلافه[1].

ثم بيّن ضعف هذا القول بوجه قريب، ثم قال:

وان أُريد الثاني، وهو أن يكون طين آدم عليه السلام مختلطاً في جوهره، مختلفاً في طبائعه، فلمَ كان زيدٌ الأحمق يتولّد من الجزء السبخيّ وعمرو العاقل يتولّد من الجزء العذبي بأوْلَى من العكس؟ وكيف يؤثّر اختلاف طين آدم من ستّة آلاف سنة في أقوام يتوالدون الآن.

والذي أراه أنّ لكلامه عليه السلام تأويلاً باطناً، وهو أن يريد به اختلاف النّفوس المدبرة للأبدان[2].

ثم أخذ في توضيح معاني النفوس على قواعد الفلاسفة والذين ينتسبون الى الحكمة وأشار الى ما بينهم من خلاف في ذلك، وطوّل في غير طائل وحاشىٰ أمير المؤمنين عليه السلام من اتّباع قواعد الفلاسفة واليونان وان يكون سلفه فيما يقول افلاطون وارسطو واضرابهما.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٩.

لكن الشارح يحمل كلام أمير المؤمنينعليه السلام على حسب ما يألف ويهوىٰ، والحق انّهعليه السلام عنىٰ بالقلقة: طينة آدمعليه السلام ولا منع من أن يجعل الله اختلاف طينة آدم سبباً في اختلاف ذريته، لحكمة يعلمها، أيش المحذور في ذلك؟، ويكون المخصّص لتولّد هذا من جزء من تلك الأجزاء أو علّة طبيعية ذلك الجزء علته، وهذا الآخر من جزء آخر؛ اختيار الصانع الحكيم العالم بالأصول والفروع.

ويكون مغزىٰ كلامهعليه السلام : ان أمر الاناسي مبني على الاختلاف من أصلهم الى فرعهم، حتىٰ دفع الاختلاف بين الأبدان وطبائعها وبين الأخلاق في أنفسها.

فيكون في معقولية ذلك دليل قوي وبرهان جلي علىٰ تأثير صانع متخيّر فيها، فان الاختلاف أقوى دليل على وجود الصانع المختار، والله أعلم.

[٢٣٥]

ومن كلام له ﷺ : قاله وهو يلي غسل رسول الله ﷺ وتجهيزه :

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ[١] وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسْلِياً[٢] عَمَّنْ سِوَاكَ وَعَمَمْتَ[٣] حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً.

وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ[٤] وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً[٥] وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً[٦] وَقَلَّا لَكَ[٧]، وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّهُ وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ[٨].

---

(١) في هـ. ص: بكسر الهمزة، مصدر انبأ، وروي بفتحها جمع نبأ.

(٢) في هـ. ب: من السلوة، يقال مات رسول الله، وفي هـ. ص: أي خصت مصيبتك أهل بيتك حتى انهم لا يكترثون بما يصيبهم بعدك من المصائب ولا بما أصابهم من قبل وعمّت هذه المصيبة الناس حتىٰ استوى الخلائق كلهم فيها فهي مصيبة خاصة بالنسبة وعامة بالنسبة، انتهى من الشرح ١٣:٢٥.

(٣) في هـ. ب: عمت بموته جميع الناس.

(٤) ماء الشئون: يراد بها شئون الدمع، وهي مجاري الدموع في الرأس.

(٥) هـ. ص: أي مماطلاً بالبرء أي لا يجيب الى الاقلال والابلال والافاقة، انتهى من الشرح.

(٦) في هـ. ب: أي الحزن محالفاً، أي ملازماً.

(٧) أي قليلاً لك.

(٨) في هـ. ب: قلبك.

[٢٣٦]

ومن كلام له ﷺ اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي ﷺ ثم لحاقه[1] به :

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى العَرْجِ[2].

في كلام طويل:

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى[3]: قَوْلُهُ ﷺ : «فَأَطَأُ ذِكْرَهُ» ، مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي رُمِيَ بِهِ إِلَى غَايَتَي الإِيجَازِ وَالْفَصَاحَةِ، أَرَادَ أَنِّي كُنْتُ أُغَطَّى[4] خَبَرَهُ ﷺ مِنْ بَدْءِ خُرُوجِي إلى أن انتَهَيْتُ إِلى هَذَا المَوْضِعُ، فَكَنَى عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْكِنَايَةِ الْعَجِيبَةِ.

* * *

[قال ابن أبي الحديد:] روى محمد بن إسحاق في كتاب «المغازي»: قال لم يُعلِمْ رسولُ الله ﷺ أحداً من المسلمين بما كان عزم عليه من الهجرة إلّا عليّ بن أبي طالب وأبا بكر بن أبي قحافة، أمّا عليّ، فإنّ رسول الله ﷺ أخبره بخروجه، وأمره أن يبيتَ علىٰ فراشه، يُخادِعِ المشركين عنه ليروا أنه لم يبرح فلا يطلب، حتى تبعد المسافة بينهم وبينه، وأن يتخلّف بعده بمكّة حتى يؤدّي عن رسول الله ﷺ الودائع التي عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ استودعه رجالٌ من مكّة ودائع لهم، لما يعرفون من أمانته، وأما أبو بكر فخرج معه.

وسألتُ النّقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد الحسني، ﷺ فقلت: إذا كانت قُريش قد محصت رأيها، وألقى اليها إبليس ـ كما رُوِي ـ ذلك الرأي، وهو أن يضربوه بأسيافٍ من أيدي جماعة من بطون مختلفة، ليضيع دمه بين بيوت قريش فلا تطلبه بنو عبد مناف، فلماذا انتظروا به تلك الليلة الصّبح! فإنّ الرواية جاءت بأنّهم كانوا تسوّروا الدّار، فعاينوا

---

(١) في هـ . ب: لحقه، أي وصل الى النبي ﷺ.

(٢) في هـ . ب: منزل.

(٣) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في د.

(٤) في د: أعطىٰ وفي هـ . ب: أي اعطى أنا .

فيها شخصاً مسجّىً بالبُرْد الحضْرمي الأخضر، فلم يشكّوا أنّه هو فرصدوه الى أن أصبحوا، فوجدوه عليّاً، وهذا طريف، لأنّهم كانوا قد أجمعوا على قتله تلك الليلة، فما بالهم لم يقتلوا ذلك الشخص المسجّى، وانتظارهم به النّهار دليل على أنّهم لم يكونوا أرادوا قتله تلك الليلة؟

فقال في الجواب: لقد كانوا همُّوا من النّهار بقتله تلك الليلة، وكان إجماعهم على ذلك، وعزمُهم في حَقْنه من بني عبد مناف، لأنّ الذين محصوا هذا الرأي واتفقوا عليه: النضر بن الحارث من بني عبد الدار، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، وزمعة بن الأسود بن المطلب؛ هؤلاء الثلاثة من بني أسد بن عبد العُزّىٰ، وأبو جهل بن هشام، وأخوه الحارث، وخالد بن الوليد بن المغيرة، هؤلاء الثلاثة من بني مخزوم، ونبيه ومنبّه ابنا الحجّاج، وعمرو بن العاص؛ هؤلاء الثلاثة من بني سَهْم، وأمية بن خلف وأخوه أبيّ بن خلف، هذان من بني جُمَح، فنَما هذا الخبر من الليل الى عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، فلقى منهم قوماً، فنهاهم عنه، وقال: ان بني عبد مناف لا تمسك عن دمه، ولكن صفّدُوه في الحديد، واحبسوه في دارٍ من دوركم، وتربَّصوا به أن يصيبه من الموت ما أصاب أمثاله من الشعراء. وكان عتبة بن ربيعة سيّد بني عبد شمس ورئيسهم، وهم بنو عمّ الرجل ورهطُه، فأحجم أبو جهل وأصحابه تلك الليلة عن قتله احجاماً، ثم تسوَّروا عليه، وهم يظنّونه في الدار، فلما رأوا إنساناً مسجّىً بالبُرْد الأخضر الحضرمي لم يشكُّوا أنّه هوَ؛ وائتمروا في قتله، فكان أبو جهل يذمُرهم عليه[1] فيهمّون ثم يحجمون. ثم قال بعضهم لبعض: ارموه بالحجارة، فرموه، فجعل عليٌّ يتضوّر منها، ويتقلّب ويتأوّه تأوّهاً خفيفاً، فلم يزالوا كذلك في إقدامٍ وإحجام عنه، لما يريده الله تعالى من سلامته ونجاته، حتّى أصبح وهو وقيذ[2] من رمي الحجارة، ولو لم يخرج رسول الله ﷺ الى المدينة، وأقام بينهم بمكة، ولم يقتلوه تلك الليلة، لقتلوه في الليلة التي تليها، وإن شبّت الحرب بينهم وبين عبد مناف، فإنّ أبا جهل لم يكن بالذي ليمسك عن قتله، وكان فاقد البصيرة، شديد العزم على الولوغ في دمه!

---

(١) يذمرهم عليه: يحضهم عليه. (٢) الوقيذ: المشرف على الهلاك.

قلت للنقيب: أفعِلم رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام بما كان من نهي عُتبة لهم؟ قال: لا، إنّهما لم يعلّما ذلك تلك الليلة، وإنّما عرفاه من بعد، ولقد قال رسول الله ﷺ يوم بدر، لمّا رأى عتبة وما كان منه: إن «يكن في القوم خيرٌ ففي صاحب الجمل الأحمر»، ولو قدّرنا أن عليّاً عليه السلام علم ما قال لهم عُتْبة لم يسقط ذلك فضيلته في المبيت، لأنه لم يكن على ثقةٍ من أنّهم يقبلون قول عُتبة، بل كان ظنّ الهلاك، والقتل أغلب.

وأما حال علي عليه السلام، فانه لما ردّ الودائع، خرج بعد ثلاثٍ من هجرة النبي ﷺ، فجاء الى المدينة راجلاً قد تورَّمَتْ قَدَماه، فصادف رسول الله ﷺ نازلاً بقباء على كُلْثوم بن الهدم، فنزل معه في منزله، وكان أبو بكر نازلاً بقباء أيضاً في منزل حبيب بن يساف، ثم خرج رسول الله ﷺ وهما معه من قُباء، حتى نزل بالمدينة على أبي أيّوب خالد بن يزيد الأنصاري، وابتنى المسجد، انتهى من شرح ابن أبي الحديد[1].

وقال فيه في موضع آخر: قال الجاحظ في كتابه العثمانية: فإن احتجّ محتجٌّ لعليٍّ عليه السلام بالمبيت على الفراش، فبيْن الغارِ والفِراش فَرْقٌ واضح، لأنّ الغارَ وصحبة أبي بكر للنبي ﷺ قد نَطَق به القرآن، فصار كالصّلاة والزّكاة وغيرهما، ممّا نطق به الكِتاب، وأمْر عليٍّ عليه السلام ونومه على الفراش، وان كان ثابتاً صحيحاً، إلّا أنّه لم يذكَرْ في القرآن، وإنّما جاء مجيء الروايات والسِّيَر، وهذا لا يوازن هذا ولا يكايله[2].

قال شيخنا أبو جعفر الإسكافي رحمه الله: هذا فرق غير مؤثّر، لأنه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش، فلا فرق بينه وبين ما ذكر في نصّ الكتاب، ولا يجحده إلّا مجنون أو غير مخالطٍ لأهل الملّة، أرأيت كونَ الصلوات خمساً، وكون زكاة الذّهب ربع العشر، وكون خروج الريح ناقضاً للطهارة، وأمثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه؟ هل هو مخالف لما نصّ في الكتاب عليه من الأحكام! هذا ممّا لا يقوله رشيد ولا عاقل، على أن الله تعالى لم يذكر اسم أبي بكر في الكتاب، وإنما قال: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ﴾[3]، وإنّما علمنا أنّه أبو بكر بالخبر وما ورد في السيرة، وقد قال أهل التفسير: ان قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُون وَيَمْكُرُ ٱللّهُ

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣٠٤ ـ ٣٠٦. (٢) العثمانية: ٤٤.
(٣) التوبة: ٤٠.

والله خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ﴾[١]، أنزلتْ في ليلة الهجرة، ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش، ومكر الله تعالى هو منامُ عليّ عليه السلام على الفراش، فلا فرق بين الموضعين في أنّهما مذكوران كِناية لا تصريحاً. وقد روى المفسّرون كلُّهم أن قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءِ مَرْضَاتِ اللهِ﴾[٢]، أُنزلت في عليّ عليه السلام ليلة المبيت على الفراش، فهذه مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ﴾، لا فرق بينهما.

قال الجاحظ: وفرقٌ آخر، وهو أنّه لو كان مبيتُ عليّ عليه السلام على الفراش، جاء مجيء كون أبي بكر في الغار، لم يكن له في ذلك كثير طاعة، لأنّ الناقلين نقلوا أنّه صلى الله عليه وآله قال له: «نَمْ فَلَنْ يخلُص إليك شيء تكرهه»[٣]، ولم ينقُلْ ناقل أنه قال لأبي بكر في صُحبته إياه وكونه معه في الغار مثل ذلك، ولا قال له: أنفِق وأعتق، فإنك لن تفتقر، ولن يصلَ اليك مكروه[٤].

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله، هذا هو الكذب الصُّراح، والتحريف والإدخال في الرواية ما ليس منها، والمعروف المنقول أنّه صلى الله عليه وآله قال له: اذْهَبْ فاضطجع في مضجعي، وتَغشّ بِبُردِي الحضرميّ، فإنّ القوم سيفقدونني، ولا يشهدون مضجعي، فلعلّهم إذا رأوك يسكِنهم ذلك حتى يصبحوا، فإذا أصبحت فاغدُ في أداء أمانتي؛ ولم ينقل ما ذكره الجاحظ، وإنما ولّده أبو بكر الأصمّ، وأخذه الجاحظ، ولا أصلَ له، ولو كان هذا صحيحاً لم يصلْ اليه منهم مكروه، وقد وقع الاتفاق على أنّه ضُرِب ورمى بالحجارة قبل أنْ يعلموا مَنْ هو حتى تضوّر، وأنهم قالوا له: رأينا تضوّرك، فإنّا كنّا نرمي محمّداً ولا يتضوّر، ولأنّ لفظة المكروه إن كان قالها إنما يراد بها القتل، فهب أنّه أمِن القتل، كيف يأمن من الضرب والهوان، ومنْ أن ينقطع بعض أعضائه، وبأن سلمت نفسه! أليس الله تعالى قال لنبيّه: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَٱللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٥] ومع ذلك فقد كسرت رباعيته وشجّ وجهه، وأدميت ساقه، وذلك لأنها عصمة من القتل خاصّة، وكذلك المكروه

---

(١) الأنفال: ٣٠. (٢) البقرة: ٢٠٧.

(٣) في هـ. ص: أقول: يلزم الجاحظ الا يكون لموسى وهارون عليهما السلام فضيلة في اتيان فرعون؛ لأن الله سبحانه قال لهما: ﴿ اني معكما أسمع وأرى﴾ طه: ٢٠ / ٤٦، لكن العناد والزيغ يعمي ويصمّ.

(٤) العثمانية: ٤٥.

(٥) المائدة: ٦٧.

الذي أومن عليٌّ عليه السلام منه - إن كان صحّ ذلك الحديث - إنما هو مكروه القتل.

ثم يقال له: وأبو بكر لا فضيلة له أيضاً في كونه في الغار، لأن النبيّ ﷺ قال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، ومَنْ يكن الله معه فهو آمن لا محالة من كلّ سوء، فكيف قلت: ولم ينقل ناقل أنّه قال لأبي بكر في الغار مثل ذلك! فكلّ ما يجيب به عن هذا فهو جوابنا عمّا أورده، ويقال له: هذا ينقلبُ عليك في النبيّ ﷺ، لأنّ الله تعالى وعده بظهور دينه، وعاقبه أمره. فيجب على قولك ألّا يكونَ مثاباً عند الله تعالى على تحمل المكروه، وما يصيبه من الأذى، إذْ كان قد أيقَنَ بالسّلامة والفتح في عِدَته[1].

قال الجاحظ: ومَنْ جحد كون أبي بكرٍ صاحبَ رسول الله ﷺ فقد كَفَر، لأنه جَحَد نصَّ الكتاب، ثم انظر الى قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[2] من الفضيلة لأبي بكر، لأنه شريك رسول الله ﷺ في كون الله تعالى معه وإنزال السكينة، قال كثير من الناس: إنه في الآية مخصوص بأبي بكر، لأنّه كان محتاجاً الى السّكينة لما تداخله من رقّة الطبع البشري، والنبي ﷺ كان غير محتاج اليها، لأنه يعلم أنّه محروس من الله تعالىٰ، فلا معنى لنزول السكينة عليه، وهذه فضيلة ثالثة لأبي بكر.

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: إن أبا عثمان يجرّ على نفسه ما لا طاقة له به من مطاعِن الشيعة، ولقد كان في غُنْية عن التعلق بما تعلّق به؛ لأنّ الشيعة تزعم أنّ هذه الآية، بأن تكون طعناً وعيباً على أبي بكر، أوْلى من أن تكون فضيلة ومنقبة له، لأنه لمّا قال له: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ دلّ على أنه قد كان حزن وقنط وأشفق على نفسه، وليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين، ولا يجوز أن يكون حزنه طاعةً، لأنّ الله تعالىٰ لا ينهى عن الطاعة، فلو لم يكن ذنباً لم ينهَ عنه، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾؛ أي إن الله عالم بحالنا وما نضمره من اليقين أو الشكّ، كما يقول الرجل لصاحبه: لا تضمرنّ سوءاً ولا تنوينّ قبيحاً، فإنّ الله تعالى يعلم ما نسِرُّه وما نعلنه، وهذا مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا

---

(١) في هـ. ص: وكذلك ينقلب عليه في حق موسى وهارون إذ يقول الله تعالى ﴿فلا يصلون اليكما وأنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ القصص: ٣٥/٢٨.

(٢) التوبة: ٤٠.

كانُوا﴾[١]، أي هو عالم بهم، وأمّا السكينة فكيف يقول: إنّها ليست راجعةً الى النبيّ ﷺ وبعدها قوله: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها﴾، أترى المؤيَّد بالجنود كان أبا بكر أم رسول الله ﷺ!

وقوله : إنّه مستغن عنها، ليس بصحيح، ولا يستغني أحد عن ألطاف الله وتوفيقه وتأييده وتثبيت قلبه، وقد قال الله تعالى في قصّة حُنين: ﴿وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ* ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾[٢] ﷺ.

وأما الصّحبة فلا تدلّ إلّا على المرافقة والاصطحاب لا غير، وقد يكون حيث لا إيمان، كما قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾[٣]، ونحن وإنْ كنّا نعتقد إخلاص أبي بكر وإيمانه الصحيح السليم وفضيلته التّامة، إلّا أنّا لا نحتجّ له بمثل ما احتجّ به الجاحظ من الحجج الواهية، ولا نتعلّق بما يجرّ علينا دواهي الشيعة ومطاعنها[٤].

قال الجاحظ: وعلى أنّا لو نزلنا الى ما يريدونه، جعلنا الفراش كالغار، وخلصت فضائل أبي بكر في غير ذلك عن معارض.

قال شيخنا أبو جعفر ﵀: قد بيّنا فضيلة المبيت على الفراش على فضيلة الصُّحبة في الغار، بما هو واضح لمن أنصف، ونزيدها هنا تأكيداً بما لم نذكره فيما تقدّم، فنقول: إنّ فضيلة المبيت على الفراش على الصُّحبة في الغار لوجهين:

احدهما: أنّ عليّاً ﵇ قد كان أنِس بالنبي ﷺ وحصل له بمصاحبته قديماً أنسٌ عظيم، وإلف شديد، فلمّا فارقه عُدِم ذلك الأنس، وخصّ به أبو بكر، فكان ما يجده علي ﵇ من الوَحشة وألم الفرقة موجباً زيادة ثوابه، لأنّ الثواب على قدر المشقّة.

وثانيهما: أنّ أبا بكر كان يؤثر الخروج من مكة، وقد كان خرج من قبل فرداً، فازداد كراهية للمقام، فلما خرج مع رسول الله ﷺ وافق ذلك هوى قلبه، ومحبوب نفسه، فلم يكن له من الفضيلة ما يوازي فضيلة من احتمل المشقة العظيمة، وعرّض نفسه لوقع

---

(١) المجادلة: ٧.

(٢) التوبة: ٢٥ ـ ٢٦.

(٣) الكهف: ١٨/ ٣٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٦٥.

السيوف، ورأسه لرضْخ الحجارة، لأنّه على قدر سهولة العبادة يكون نقصان الثواب، انتهى[١].

وبيان فضيلة الفراش التي أشار أبو جعفر الى تقديمه هو بقوله.

ثم يقال له[٢]: ما بالك أهملت أمر مَبيت عليّ عليه السلام على الفراش بمكّة ليلة الهجرة! هل نسيته أم تناسيته! فإنها المحنة العظيمة والفضيلة الشريفة التي متى امتحنها الناظر، وأجال فكره فيها، رأى تحتها فضائل متفرّقة ومناقب متغايرة، وذلك أنه لما استقرّ الخبر عند المشركين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مجمع على الخروج من بينهم للهجرة إلى غيرهم قصدوا الى معاجلته، وتعاقدوا على أن يبيّتوه في فِراشه، وأن يضربُوه بأسياف كثيرة، بيد كلّ صاحب قبيلة من قريش سيف منها، ليضيع دمُه بين الشعوب، ويتفرّق بين القبائل، ولا يطلب بنو هاشم بدمه قبيلةً واحدة بعينها من بطون قريش، وتحالفوا على تلك الليلة، واجتمعوا عليها، فلمّا علم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك من أمرهم، دعا أوثق الناس عنده، وأمثلهم في نفسه، وأبذلهم في ذات الإله لمهجته، وأسرعهم إجابة الى طاعته، فقال له: ان قريشاً قد تحالفت على أن تبيّتني هذه الليلة، فامض الى فراشي، ونَمْ في مضجعي، والتفّ في بُرْدِي الحضْرميّ ليروا أني لم أخرج، وإنّي خارج إن شاء الله، فمنعه أوّلاً من التخيّر وإعمال الحيلة، فصدّه عن الاستظهار لنفسه بنوع من أنواع المكايد والجهات التي يحتاط بها الناس لنفوسهم، وألجأه الى أن يعرّض نفسه لظُباتِ السيوف الشَّحِيذة من أيدي أرباب الحَنق والغيظة، فأجاب الى ذلك سامعاً مطيعاً طيّبة بها نفسه، ونام على فراشه صابراً محتسباً، واقياً له بمهجته، ينتظر القتل، ولا نعلم فوق بذل النفس درجةً يلتمسها صابر، ولا يبلغها طالب؛ «والجود بالنّفس أقصى غاية الجود»؛ ولولا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علم أنّه أهلٌ لذلك، لَمَا أهّلَه، ولو كان عنده نقصٌ في صبره أو في شجاعته أو في مناصحته لابن عمّه، واختير لذلك لكان من اختاره صلى الله عليه وآله منقوضاً في رأيه، مقصّراً في اختياره، ولا يجوز أن يقول هذا أحد من أهل الاسلام، وكلُّهم مجمعون على أنّ الرسول صلى الله عليه وآله عمل الصواب، وأحسن في الاختيار.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٦٧.

(٢) في هـ.ص: أي للجاحظ.

ثم في ذلك ـ إذا تأمله المتأمّل ـ وجوهٌ من الفَضل:

منها: أنه وإن كان عنده في موضع الثقة فإنه غير مأمون عليه ألّا يضبط السرّ فيفسد التدبير بإفشائه تلك الليلة الى من يلقيه الى الأعداء.

ومنها: أنّه وان كان ضابطاً للسرّ وثقة عند من اختاره؛ فغير مأمون عليه الجُبن عند مفاجأة المكروه، ومباشرة الأهوال، فيفرّ من الفراش فيفطَنُ لموضع الحيلة؛ ويطلب رسول الله ﷺ فيظفر به.

ومنها: أنّه وإن كان ثقةً ضابطاً للسرّ، شجاعاً محتملاً للمبيت على الفراش، فإنه غير مأمون أن يذهب صبرُه عند العقوبة الواقعة، والعذاب النازل بساحته، حتى يبوح بما عندَهُ؛ ويصير الى الإقرار بما يعلمه، وهو أنّه أخذ طريق كذا فيطلب فيؤخذ. فلهذا قال علماء المسلمين: إنّ فضيلة عليٍّ عليه السلام تلك الليلة لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها، إلّا ما كان من إسحاق[1] وإبراهيم عند استسلامه للذّبح، ولولا أنّ الأنبياء لا يفضلُهم غيرهم لقلنا: إنّ محنة عليٍّ أعظم، لأنه قد روى أن إسحاق تلكّأ لما أمرَه أن يضطجِع، وبكى على نفسه، وقد كان أبوه يعلم أنّ عنده في ذلك وقفة، ولذلك قال له: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾[2]؛ وحال عليٍّ عليه السلام بخلاف ذلك، لأنه ما تلكأ ولا تعتع، ولا تغيّر لونُه، ولا اضطربت أعضاؤه، ولقد كان أصحابُ النبيّ ﷺ يُشيرون عليه بالرّأي المخالف لما كان أمر به، وتقدّم فيه، فيتركه ويعمل بما أشاروا به، كما جرىٰ يوم الخندق في مصانعته الأحزاب بتمر[3] المدينه، فإنّهم أشاروا عليه بترك ذلك، فتركه، وهذه كانت قاعدته معهم، وعادته بينهم، وقد كان لعليٍّ عليه السلام أن يعتلّ بعلّة، وأن يقِفَ ويقول: يا رسول الله، أكون معك أحميك من العدوّ، وأذبّ بسيفي عنك، فلستَ مستغنياً في خروجك عن مثلي، ونجعلُ عبداً من عبيدنا في فراشك، قائماً مقامك، يتوهم القوم ـ برؤيته نائماً في بُرْدِك ـ أنّك لم تخرج، ولم تفارق مركزك؛ فلم يقل ذلك، ولا تحيّر ولا توقّف، ولا تلعثم، وذلك لعلم كلٍّ واحدٍ منهما عليهما السلام أن أحداً لا يصبر

---

(١) على قول من يقول ان الذبيح هو اسحاق، والصحيح عند علمائنا مؤيداً بمؤيدات كثيرة ان الذبيح كان اسماعيل عليه السلام. راجع هامش تفسير غريب القرآن لزيد بن علي عليه السلام.

(٢) الصافات: ١٠٢.

(٣) في ط: بثلث تمر.

على ثِقَلِ هذه المحنة، ولا يتورّط[1] هذه الهلكة؛ إلّا مَنْ خَصّه الله تعالى بالصّبْر على مشقّتها، والفوز بفضيلتها، وله من جِنْس ذلك أفعالٌ كثيرة، كيومِ دعا عمرو بن عبد وُدّ المسلمين الى المبارزة، فأحجم الناس كلُّهم عنه، لما علموا من بأسه وشدّته، ثم كرّر النداء، فقام عليٌّ عليه السلام، فقال: أنا أبرزُ إليه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّه عمرو! قال: نعم، وأنا عليّ! فأمره بالخروج إليه، فلمّا خرج قال صلى الله عليه وآله: «برز الايمان كلّه الى الشِّرك كلّه»، وكيوم أحُد حيث حَمَى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبطال قريش وهم يقصدون قتله، فقتلهم دونه، حتى قال جبريل عليه السلام: «يا محمّد إن هذه هي المواساة»، فقال: «إنّه مني وأنا منه»، فقال جبريل: «وأنا منكما».

ولو عددنا أيامه ومقاماته التي شَرَى فيها نفسه لله تعالى لأطلْنا وأسهبنا.

انتهى كلام الشيخ أبي جعفر الاسكافي نقلاً عن شرح ابن أبي الحديد[2].

قلت: ومن جنس مبيته على الفراش في ليلة الهجرة مواساةً له بنفسه وما يدل على ان هذا خلق له قديم متأصل ما ذكره ابن أبي الحديد في موضع آخر وذكره أهل السير ونقلة الأخبار:

[وقرأت في «أمالي أبي جعفر محمد بن حبيب» رحمه الله، قال: كان أبو طالب إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أحياناً يبكي ويقول: إذا رأيتُه ذكرت أخي، وكان عبدالله أخاه لأبويه، وكان شديد الحُبّ والحنوّ عليه، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحبّ له[3]]، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله البيات إذا عرف مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من منامه، ويُضجِع ابنه علياً مكانَه، فقال له عليٌّ ليلة: يا أبتِ، إنّي مقتول، فقال له:

اصبرنْ يا بُنيّ فالصبر أحْجَى	كلّ حيٍّ مصيرُه لِشَعُوبِ[4]
قد بذلناك والبلاء شديد	لفداء الحبيب وابن الحبيب
لِفداء الأعزّ ذي الحسب الثّا	قب والباع والكريم النجيبِ
إن تصبْك المنون فالنّبل تَبْري	فمصيبٌ منها، وغيرُ مصيبِ

(١) في ص: يتورّد.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٦١.

(٣) من ط.

(٤) من ديوانه ٤١، وشعوب: المنية.

كـلُّ حـيّ وإن تـملّى بـعمرٍ آخـذٌ مـن مَـذاقِـها بـنصيبِ

فأجاب عليعليه السلام، فقال له:

أتأمرني بـالصَّبْرِ فـي نـصرِ أحـمدٍ ووالله ما قلت الّذي قلت جازعا[١]

ولكنّني أحـببت أن تـرى نـصرتي وتـعلم أنّـي لم أزلْ لك طـائعا

سأسعى لوجه اللهِ في نـصر أحـمدٍ نبيّ الهدى المحمود طِفْلاً ويافِعا[٢]

وقال الشيخ أبو جعفر: وعلي هو المخصوص دون أبي بكر بـالحِصار فـي الشِّعْب؛ وصاحب الخَلوات برسول اللهصلى الله عليه وآله في تلك الظلمات، المتجرّع لغُصص المرار من أبي لهب وأبي جهل وغيرهما، والمصطلي لكلّ مكروه، والشريك لنبيّه في كـلّ أذى؛ قـد نـهض بالحِمْل الثَّقِيل، وبان بالأمر الجليل؛ ومَنِ الذي كان يخرج ليلاً من الشِّعْب عـلى هـيئة السارق، ويخفي نفسه، ويضائل شخصه؛ حتىٰ يأتي إلى مَنْ يبعثه إليه أبو طالب من كُبراء قريش، كمطعم بن عديّ وغيره؛ فيحمل لبني هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح؛ وهو على أشدّ خوف من أعدائهم، كأبي جهل وغيره، لو ظفروا به لأراقوا دمه. أعليٌّ كان يفعل ذلك أيّام الحصار في الشِّعب، أم أبو بكر؟

[وقد ذكر هوعليه السلام حاله يومئذ، فقال في خطبة له مشهورة: فتعاقدوا ألّا يعاملونا ولا يناكحونا، وأوقدت الحرب علينا نيرانها، واضطرونا الى جبل وَعْر؛ مؤمنُنا يرجُو الثّواب، وكافرنا يحامي عن الأصل؛ ولقد كانت القبائل كلُّها اجتمعت عليهم، وقطعوا عنهم المارّة والميرة، فكانوا يتوقّعون الموت جوعاً، صباحاً ومساء؛ لا يروْن وجـهاً ولا فَـرَجاً، قـد اضمحلّ عزمهم، وانقطع رجاؤهم، فَمَنِ الذي خـلص إليـه مكـروه تـلك المـحن بـعد محمّدصلى الله عليه وآله إلّا عليٌّعليه السلام وحدَه! وما عسى أن يقول الواصف والمطنِب في هذه الفضيلة، مِنْ تقصّي معانيها، وبلوغ غاية كُنْهِها؛ وفضيلة الصابر عندها! ودامت هذه المحنة عليهم ثلاثَ سنين، حتى انفرجت عنهم بقصّة الصحيفة، والقصة مشهورة][٣]، ولقدكان يـجيع نـفسه ويطعم رسول اللهصلى الله عليه وآله زاده، ويظمّئ نفسه ويسقيه ماءه، وهو كان المعلّل له إذا مـرض،

---

(١) ديوان أبي طالب: ٤١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٦٤.

(٣) ما بين المعقوفتين من ط.

والمؤنس له إذا استوحش؛ وأبو بكر بنجوة عن ذلك لا يمسّه مما يمسّهم ألم؛ ولم يلحقه ممّا يلحقهم مشقّة، ولا يعلم بشيء من أخبارهم وأحوالهم، إلّا على سبيل الإجمال دون التفصيل؛ ثلاث سنين، محرّمة معاملتهم ومناكحتهم ومجالستهم، محبوسين محصورين ممنوعين من الخروج والتصرف في أنفسهم ،انتهىٰ نقلاً من شرح ابن أبي الحديد[1].

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٥٦.

ومن خطبة له ﷺ[١]**:**

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ[٢] **الْبَقَاءِ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ**[٣]**، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ**[٤]**، وَالْمُدْبِرُ**[٥] **يُدْعَى، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى**[٦]**، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ**[٧] **الْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ، وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ**[٨] **التَّوْبَةِ، وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ**[٩]**. فَأَخَذَ**[١٠] **امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ**[١١]**، وَمِنْ فَانٍ**[١٢] **لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ، امْرُؤٌ**[١٣] **خَافَ اللهَ. وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ، امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا، عَنْ مَعَاصِي اللهِ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللهِ.**

---

(١) وردت هذه الخطبة في ب بعد الخطبة الاتية.

(٢) في هـ ص: بفتح الفاء أي في سعة.

(٣) في هـ. ص أي وأنتم احياء إذ لا تطوى صحيفة العمل إلا عند حضور الموت.

(٤) في هـ. ص: أي ليست مقبوضة كحالة الموت والمدبر عن فعل الخير يدعى اليه ويقال له اقبل عليه لبقاء التكليف.

(٥) في هـ. ب: المدبر عن الحق يدّعي انه يطلب الحق به.

(٦) في هـ. ب: أي يرجىء توبته، وفي هـ. ص: دخوله في الصالحين بالاصلاح.

(٧) في ص: يجمد، وفي هـ. ص: استعارة مليحة لانقطاعه وروى بالخاء، وفي هـ. د: يجمد ـ ك ل.

(٨) في هـ. د: أبواب ـ ش.

(٩) في هـ. ص: أي حفظته الى السماء لانقطاع عملهم في الأرض بموته.

(١٠) في هـ. ب: أي ليأخذ.

(١١) في هـ. ص :من حيّ: أي منه في حال حياته له في حال موته.

(١٢) في هـ. ص: أي من الدنيا، لباق هو الآخرة وكذلك من ذاهب لدائم.

(١٣) في هـ. ص بدل موصوف من امري المطلق.

[٢٣٨]

ومن خطبة له ﷺ في شأن الحكمين وذمّ أهل الشام[١]:

جُفَاةٌ طَغَامٌ[٢]**، عَبِيدٌ أَقْزَامٌ**[٣]**، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ**[٤]**، وَتُلُقِّطُوا**[٥] **مِنْ كُلِّ شَوْبٍ**[٦]**، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ**[٧] **وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ**[٨]**، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ**[٩]**، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ**[١٠].

أَلَا وَإِنَّ القومَ ٱخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ[١١]**، وَإِنَّكُمْ ٱخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ**

---

(١) في ص زيادة: وذمّ الحكمين.

(٢) في هـ. ب: في نسخة: طغاة، وفي هـ. ب: جمع جاف، وفي هـ. ص: جمع جاف أي أعراب أجلاف، والطغام يقع للواحد والجمع، وقيل هو جمع طغم، أي لا يفقه.

(٣) في ب: أقرام، وفي هـ. ب: أقزام أي حقيرة لا خير فيهم، وفي هـ. ص: جمع قزم وهم رذال الناس وسفلتهم يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث لأنه مذهب المصدر، ذكره في الشرح.

(٤) في هـ. ب و ص: أي ناحية، وفي هـ. ب: أوب أي معتمون اليه وكذا الستوب أي المختلط من كل حيث.

(٥) في هـ. ب: من اللقطة.

(٦) في هـ. ص: أي هم أخلاط جمعهم حبّ الدنيا.

(٧) في هـ. ص: أي يفهم الدين.

(٨) في هـ. ب: التدريب التخليق يخلق حسن وهو ان يتخلق بخلق حسن، وفي هـ. ص: أي يعلم فعل الخبر.

(٩) في هـ. ب: يجعل لهم ولياً يعلمهم وفي هـ. ص: أي لا يستحقون أن يلوا أمراً بل ينبغي أن يحجر عليهم كما يحجر على الصبي والسفيه لعدم رشده.

(١٠) في هـ. ب: جعلوا دار الايمان، وفي هـ. ص: الذين تبوّوا الدار من الأنصار، فذكرهم تخصيصاً بعد التعميم تنبيهاً على شرف فعلهم، ومعني قوله تعالى: ﴿تبوّؤا الدار والايمان﴾ الحشر: ٩، سكنوهما، وان كان الايمان لا يسكن، ففي الكلام مجاز.

(١١) في د: يحبون، وفي هـ ص: يعني عمراً لأنه كان مبالغاً في تمام أمر معاوية وغلبته لينال به الدنيا.

أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ(١). وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ قَيْسٍ(٢)، بِالْأَمْسِ، يَقُولُ(٣): إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ(٤)، وَشِيمُوا(٥) سُيُوفَكُمْ، فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ(٦) غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ ٱلتُّهَمَةُ.

فَادْفَعُوا(٧) فِي صَدْرِ عَمْرِو بنِ ٱلْعَاصِ بِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ، وَخُذُوا مَهلَ ٱلْأَيَّامِ(٨)، وَحُوطُوا(٩) قَوَاصِيَ ٱلْإِسْلَامِ(١٠).

أَلَا تَرَوْنَ(١١) إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ(١٢) تُرْمَى!

* * *

عبدالله بن قيس هو أبو موسىٰ الأشعري منسوب الى الاشعر بن تنبت بن أدد بن يشجب بن عوف بن كهلان بن سبأ بن يسحب بن يعرب بن قحطان(١٣).

---

(١) في هـ. ب: أي أنا أدعو الى الطاعة وفيها مشقة فتكرهون، ومعاوية يدعو الى الفساد والفجور وهو مما تحبون، وفي هـ ص: هو أبو موسى لأنه كان مائلا الى ابطال ولاية علي عليه السلام لبغضه له منطو لما عليه من النفاق ولأنه من صنائع عمر بن الخطاب وكانوا نواصب فكان ميله الى مصير الأمر الى عبدالله بن عمر. (٢) في هـ. ب: يعني أبا موسى الأشعري.

(٣) في هـ. ب: أي أبا موسىٰ. (٤) في هـ. ب: أي أوتار القوس.

(٥) في هـ. ب: أي اغمدوا.

(٦) في هـ. ص: في هذا دليل على ان أبا موسى حضر صفين قبل أن يطلب للحكومة وانما طلب وهو في الجند وهذا أحد الروايتين، انهى من الشرح.

(٧) في هـ. ب: أي اختاروا جهاد أمثليهم، وفي هـ ص يقال: كف الأمر المتطاول لأمر عنه: ادفع في صدره أي رد كيده ومكره وغدره بذكاء ابن عباس.

(٨) في هـ. ص: أي اضمنوا سعة الوقت لتأدية فرض الجهاد.

(٩) في هـ. ب: حوطوا: أي احتاطوا. (١٠) أي أطراف الاسلام.

(١١) في هـ. ص: أي لا تغفلوا فليس بمغفول عنكم.

(١٢) الصفاة: الحجر الصلب.

(١٣) في هـص: أقول وعمر و أبو موسى اختلفا فيما حكما به وتابع كل واحد منهما فريق من أهل الضلال فعمرو حكم بجواز التغلب على الأمر وصحة امامة المتغلبين الفاسقين فتابعه اللصوص المتغلبون واستباحوا أموال المسلمين وأراقوا دماء المؤمنين. وأبو موسى حكم بعدم جواز قتال المسلمين مع إمام الحق، وزعم ان ذلك من الفتنة المنهي عن الدخول فيها،

←

قال أبو عمر بن عبد البر: فقد روى حُذَيفة فيه كلاماً كرهت ذكرَه والله يغفر له[1].

قلت: الكلام الذي أشار اليه أبو عمر بن عبد البر ولم يذكره قوله فيه، وقد ذكر عنده بالدّين، أما أنتم فتقولون ذلك، وأمّا أنا فاشهد أنّه عدوٌ لله ولرسوله، وحرب لهما في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار. وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين، أسرّ اليه رسول الله ﷺ أمرَهم، وأعلمه أسماءهم.

وروى أن عمّارا سئل عن أبي موسىٰ، فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً، سمعته يقول: صاحب البُرْنس الأسود صاحب البرنس الأسود، ثم كلح كُلوحاً علمت منه أنّه كان من أهل ليلة العقبة من أولئك الرهط.

وروى عن سويد بن غفلة، قال: كنت مع أبي موسىٰ على شاطئ الفرات في خلافة عثمان، فروى لي خبراً عن رسول الله ﷺ، قال: سمعته يقول: «ان بني إسرائيل اختلفوا؛ فلم يزل الاختلاف بينهم، حتى بعثوا حَكمين ضالّين ضلّا وأضلّا مَن اتبعهما، ولا ينفك أمر أُمتي حتى يبعثوا حكَمين يضِلّان ويُضلّان من تبعهما»، فقلت له: احذر يا أبا موسى أن تكون أحدَهما! قال: فخلع قميصه، وقال: أبرأ الى الله من ذلك، كما أبرأ من قميصي هذا.

فأما ما تعتقده المعتزلة فيه، فأنا أذكر ما قاله أبو محمد بن متّويه في كتاب «الكفاية» قال رحمه الله:

وأما أبو موسى فإنه عظم جُرْمه بما فعله، وأدّى ذلك الى الضرر الذي لم يخف حالُه، وكان عليٌّ عليه السلام يقنت بلعنه [فيقول: اللهمّ العن معاوية أولاً وعَمْراً ثانياً، وأبا الأعور السلمي ثالثاً، وأبا موسى الأشعري رابعاً.

روى عنه عليه السلام: أنّه كان يقول في أبي موسى: صبغ بالعلم صبغاً وسلخ منه سلخاً.

← فتابعه على رأيه علماء السوء من العامة الذين لا يجيزون الخروج على أئمة الجور، وأبو موسى حكم رسول الله صلى الله عليه واله بنفاقه بسبب هذه العقيدة، فيجب أن يكون موافقه عليها منافقاً، وهو الذي نقوله من أن مخالف معتقد أهل الحق منافق، كما سبق تقريره، وكلا الفريقين مجتمعون على عداوة أهل البيت عليهم السلام.

(١) الاستيعاب: ٣٨٠ و ٦٥٨ و ٦٥٩.

قال:] وأبو موسىٰ هو الذي روى عن النبيﷺ أنّه قال: كان في بني إسرائيل حكمان ضالّان، وسيكون في أمّتي حكَمان ضالّان، ضالٌ من اتبعهما، وأنه قيل له: ألا يجوز أن تكون أحدهما؟ فقال: لا، أو كلاماً هذا معناه، فلمّا بُلِيَ به، قيل فيه: البلاء موكّل بالمنطق، ولم يثبت في توبته ما ثبت في توبة غيره، انتهى كلام ابن متّويه، وانتهى ذلك نقلاً من شرح ابن أبي الحديد[1].

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣١٦.

[٢٣٩]

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد عليهم السلام[1]:

هُمْ عَيْشُ ٱلْعِلمِ[2]، وَمَوْتُ ٱلْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ[3] وَصَمْتُهُمْ[4] عَنْ حُكْمِ مَنْطِقِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ ٱلْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَهُمْ[5] دَعَائِمُ ٱلْإِسْلَامِ وَوَلَائِجُ[6] الاِعْتِصَامِ بِهِمْ عَادَ ٱلْحَقُّ فِي نِصَابِهِ[7] وَٱنْزَاحَ[8] ٱلْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ. وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ[9]. عَقَلُوا[10] الدِّينَ عَقْلَ وعَايَةٍ[11] وَرِعَايَةٍ[12] لَا عَقْلَ سَمَاعٍ[13] وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ ٱلْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتُهُ[14] قَلِيلٌ.

قوله عليه السلام: «**لا يخالفون الحق**»:

أي لا يكون قولهم خلاف الحق، ولا يختلفون فيه كما يختلف غيرهم من الفرق وأرباب المذاهب؛ فمنهم من له في المسألة قولان وأكثر، ومنهم من يقول قولاً ثم يرجع عنه، ومنهم من يرى في أصول الدين رأياً ثم ينفيه ويتركه، انتهى من الشرح[15].

---

(١) في هـ. ب: في نسخة: صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

(٢) في هـ. ص: عيش العلم: أي سقى العلم سقائهم ـ كما ورد في الحديث ـ.

(٣) في ط زيادة: وظاهرهم عن باطنهم، أي ان سريرتهم وعلانيتهم سواء، وذلك لطهارة اخلاقهم من حيث المكر والخديعة الذان هما طريقة اضداده، وفي هـ. د: عبارة «وظاهرهم عن باطنهم» ساقطة من ل ش. وفي هـ. ص: وذلك لأنهم يؤثرون الحلم وكظم الغيظ، فيدل ذلك على علمهم بفضيلة الحلم والصبر ورجحان أجرهما.

(٤) في هـ. ص: لأن الصمت في غير محل النطق دليل على العلم بما يقول في كل النطق.

(٥) في ط: عليه وهم.

(٦) في هـ. ب: جمع وليجة وهي أوطانه.

(٧) في هـ. ب: أصله.

(٨) في هـ. ب: زال.

(٩) في هـ. د: من منبته ـ ل.

(١٠) في هـ. ب: علموا الدين: فهموه وتحققوه.

(١١) هـ. ب: أي حفظ.

(١٢) في هـ. ص: أي عملوا به.

(١٣) في هـ. ص: أي تسمعونه ويسمعونه لا شيء وراء ذلك.

(١٤) في هـ. ص: أي العاملون به.

(١٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣١٧.

قوله:« **هم دعائم الاسلام**»:

لأنه بهم يدعم الاسلام عن السقوط لأنهم لا يزالون يدعون اليه ويقاتلون عنه ـ كما جاء في الحديث في ذكر الطائفة المحقة[١].

والولائج: جمع وليجة، وهي البطانة والمولى والناصر، والمعنى ان من دخل في جملتهم واستند اليهم اعتصم من الضلال والهلكة كما جاء في حديث الثقلين والسقيفة.

قوله:«**بهم عاد الحق الى نصابه**»:

هذا تصريح بأنه كان قبل توليهم أمور المسلمين خارجاً عن نصابه الذي جعله الله له بعد أن اخرج منه من بعد كونه فيه، كما يقتضيه لفظ عاد، وهذا عين مذهب الشيعة.

وقوله:« **وانزاح الباطل ... الى آخره**»:

هذا تصريح بأن ولاية من سبقه كان باطلاً.

وقوله:« **وانقطع ... الى آخره**»:

هذا تصريح بأن نطق من سبقه كان باطلاً.

واعلم ان المراد بأهل البيت: المخلصون منهم، وهم الذين كانت عقائدهم وأقوالهم وأفعالهم على طبق معتقده وقوله وفعله، وهم صفوتهم المتقدمون ومن تلزّم بمذهبهم من المتأخرين، كما ان المراد ببني اسرائيل المفضلين على العالمين، أهل الحق منهم المذكورون في قوله تعالى: (ليسو سواءا من وؤهل الكتاب أمّة قائمة)، دون من فسّقه موسى ولعنه داود وعيسى بن مريم.

وكما ان الفضائل المذكورة لأُمة محمّدﷺ مخصوصة بالصالحين. فهذه أحكام تذكر للجملة من حيث هي لا كل الأفراد.

وقد قال القاسم بن ابراهيم : أدركت مشيخة آل محمّدﷺ من ولد الحسن والحسين وما بين أحد منهم اختلاف، ثم ظهر أحداث تابعوا العامة في أقوالها. وذكر معناه الهادي في كلام كثير، والله أعلم بالمتقين.

---

(١) هذه الخطبة وشرحها، آخر ما جاء من ص في باب الخطب وبعده باب المختار من كتب أمير المؤمنين .

ومن كلام له عليه السلام[1]: قالهُ لعبد اللهِ بن عباسٍ ، وقد جاءهُ برسالةٍ من عثمانَ ، وهو محصورٌ يسألهُ فيها الخروجَ إلى مالِهِ بينْبع ، ليقلَّ هتفُ[2] الناسِ باسمِه للخلافةِ[3] ، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل .

فقال عليه السلام :

يَابْنَ عَبَّاسٍ ، مَا يُرِيدُ عُثْمانُ إلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحاً بِـالْغَرْبِ[4]، أَقْـبِلْ وَأَدْبِـرْ ! بَعَثَ[5] إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ! وَاللهِ لَـقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً[6].

* * *

أي بالغت واجتهدت في الدفاع عنه حتى خشيت أن أكون آثماً في مبالغتي واجتهادي، لأنه لا يستحق الدفاع عنه لجرمه وإحداثه. هذا أحد تأويلات ثلاثة ذكرها ابن أبي الحديد، وهو الصحيح لأنه الظاهر من الكلام، وما عداه فمتعسف ظاهر البطلان.

وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد رحمه الله، فقلت له: إنّي لأعجب من عليّ عليه السلام كيف بَقِي تلك المدّة الطويلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف ما اغتيل وفُتِكَ به في جَوْف منزله، مع تلظّي الأكباد عليه!

فقال: لولا أنّه أرغم أنفه بالتّراب، ووضع خَدّه في حضيض الأرض لقتل، ولكنه أخملَ

---

(١) ورد هذا الكلام وشرحه في الخطبة رقم ٢١٦. وقد جعلناه هنا حسب ما ورد في النسخ الأولى المخطوطة لنهج البلاغة، وفي هـ . د: هذا الكلام ساقط من ل.

(٢) في هـ. ب: من الهاتف به.

(٣) في هـ. ص: هو ذكرهم له واعلانهم باستحقاقه.

(٤) في هـ. ص: أي شبيهاً بالسائبة في الاقبال والادبار.

(٥) في ب: يعُد.

(٦) في ب هنا ما يلي: آخر الخطب ويتلوه المختار من كتبه ورسائله.

نفسه، واشتغل بالعبادة والصّلاة والنَّظر في القرآن، وخرج عن ذلك الزيّ الأوّل؛ وذلك الشّعار ونسي السيف، وصار كالفاتك يتُوب ويصير سائحاً في الأرض، أو راهباً في الجبال، ولما أطاع القوم الّذين ولّوا الأمر، وصار أذلّ لهم من الحذاء، تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدم عليه إلّا بمواطأةٍ من متولّي الأمر، وباطن في السرّ منه، فلمّا لم يكن لولاة الأمر باعثٌ وداعٍ الى قتله وَقَع الإمساك عنه، ولولا ذلك لقُتلَ، ثم أجّلَ بعد حصن حصين.

فقلت له: أحق ما يقال في حديث خالد؟

فقال: إن قوماً من العلوية يذكرون ذلك.

ثم قال: وقد روى أنّ رجلاً جاء إلى زفر بن الهُذيل، صاحب أبي حنيفة، فسأله عمّا يقول أبو حنيفة في جواز الخروج من الصّلاة بأمر غير التسليم، نحو الكلام والفعل الكثير أو الحدَث! فقال: إنه جائز، قد قال أبو بكر في تشهدّه ما قال، فقال الرجل: وما الذي قاله أبو بكر؟ قال: لا عليك. فأعاد عليه السؤال ثانيةً وثالثةً، فقال: اخرجوه أخرجوه، قد كنت أحدّث أنّه من أصحاب أبي الخطاب[1].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣٠١.

[٢٤١]

ومن كلام له عليه السلام يحث أصحابه على الجهاد[1]:

وَٱللهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ[2] وَمُورِثُكُمْ أَمْرَهُ[3] وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَمْدُودٍ لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ[4] فَشُدُّوا عُقَدَ المَآزِرِ[5] وَاطْوُوا فُضُولَ الخَوَاصِرِ[6] لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ ٱلْيَوْمِ وَأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ ٱلْهِمَمِ.

---

(١) ورد هذا الكلام في ص بين الكلامين رقم ٢١٨ و ٢١٩، ووضعناه هنا حسب ما ورد في النسخ المخطوطة. وفي هـ. د : هذا الكلام ساقط من ش .

(٢) في هـ . ص: أي طالب منكم شكره بالجهاد في سبيله ومنه دليل على ان الطاعة شكر، والله أعلم.

(٣) في هـ . ص: عدة بأن مآل الأمر الى أهل دعوتهم ومقالتهم كقوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ...﴾ الآية، وهذه العدة ستتحقق حقائقها وينكشف معناها بقيام المهدي عليه السلام وظهور دعوة بعض الأئمة جزء من ذلك، والله أعلم.

(٤) هـ . ص: وذلك بالجهاد ومباينة الظالمين، وذلك شأن الأئمة عليهم السلام .

(٥) في هـ . ص كناية عن رفض اتيان النساء مع عزم الغزو.

(٦) في هـ . ص: أي لا تعوّدوا الشبع والتنعم فتألفوه فيقعد بكم.

فهرس المواضيع

٩٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام هي من جلائل خطبه في وصف اللّٰه تعالى ٥
٩١ ـ ومن كلام له عليه السلام لمّا أُريد على البيعة بعد قتل عثمان ٣٧
٩٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام خطبها بعد حرب النّهروان ٣٩
٩٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام وصف فيها اللّٰه تعالى وبيّن فضل الرسول صلى الله عليه وآله ٤٣
٩٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام فيها فضيلة الرّسول صلى الله عليه وآله ٤٧
٩٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام في صفات اللّٰه تعالىٰ وصفة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ٤٨
٩٦ ـ ومن كلام له عليه السلام في أصحابه وأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله ٤٩
٩٧ ـ ومن كلام له عليه السلام أشار فيه إلى ظلم بني أُميّة ٥٦
٩٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام في التزهيد في الدّنيا ٥٧
٩٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام في بيان فضل رسول اللّٰه وأهل بيته عليهم السلام ٥٩
١٠٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام تشتمل على ذكر الملاحم ٦٤
١٠١ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الملاحم ٦٩
١٠٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام في التزهيد في الدّنيا ٧١
١٠٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام في البعثة النّبويّة ٧٥
١٠٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام في بعض صفات الرّسول صلى الله عليه وآله، وتهديد بني أُميّة ٧٦
١٠٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام بيّن فيها فضل الاسلام والرّسول صلى الله عليه وآله ٨٥
١٠٦ ـ ومن كلام له عليه السلام في بعض أيّام صفّين ٨٨
١٠٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الملاحم ٩٠
١٠٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام في بيان قدرة اللّٰه تعالى وانفراده بالعظمة ٩٩
١٠٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام في أركان الدّين ١٠٩
١١٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام في ذمّ الدّنيا ١١٢
١١١ ـ ومن خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت عليه السلام وتوفّيه الأنفس ١١٧

١١٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام في ذمّ الدّنيا ١١٨
١١٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام فيها مواعظ للنّاس ١٢١
١١٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء ١٢٥
١١٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام ينصح فيها أصحابه ١٢٨
١١٦ ـ ومن كلام له عليه السلام يوبخ فيه البخلاء بالمال والنّفس ١٣٠
١١٧ ـ ومن كلام له عليه السلام في الصّالحين من أصحابه ١٣١
١١٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام وقد جمع النّاس وحضّهم على الجهاد ١٣٢
١١٩ ـ ومن كلام له عليه السلام يذكر فضله ويعظ النّاس ١٣٤
١٢٠ ـ ومن كلام له عليه السلام عندما قيل له : نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها ١٣٦
١٢١ ـ ومن كلام له عليه السلام قاله للخوارج وهم مقيمون على إنكار الحكومة ١٣٩
١٢٢ ـ ومن كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في ساعة الحرب ١٤١
١٢٣ ـ ومن كلام له عليه السلام في توبيخ أصحابه عليه السلام ١٤٢
١٢٤ ـ ومن كلام له عليه السلام في حثّ أصحابه على القتال ١٤٣
١٢٥ ـ ومن كلام له عليه السلام في الخوارج لمّا أنكروا تحكيم الرّجال ١٤٦
١٢٦ ـ ومن كلام له عليه السلام لمّا عوتب على التسوية في العطاء ١٤٨
١٢٧ ـ ومن كلام له عليه السلام قاله للخوارج ١٥٤
١٢٨ ـ ومن كلام له عليه السلام أخبر فيه عن الملاحم بالبصرة ١٥٧
١٢٩ ـ ومن كلام له عليه السلام في ذكر المكاييل والموازين ١٦٢
١٣٠ ـ ومن كلام له عليه السلام لأبي ذر رضي الله عنه لمّا أُخرج إلى الرّبذة ١٦٤
١٣١ ـ ومن كلام له عليه السلام وفيه يبين سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحق ١٦٧
١٣٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام يعظ فيها ويزهد في الدّينا ١٦٩
١٣٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام وفيها يعظّم اللّه سبحانه ويذكر القرآن والنّبي ويعظ النّاس ١٧١
١٣٤ ـ ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر في الخروج إلى غزو الرّوم بنفسه ١٧٥
١٣٥ ـ ومن كلام له عليه السلام وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان ١٧٦
١٣٦ ـ ومن كلام له عليه السلام في أمر البيعة ١٧٧
١٣٧ ـ ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة والزبير ١٧٨
١٣٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام يومىء فيها إلى ذكر الملاحم ١٨٢

١٣٩ ـ ومن كلام له عليه السلام في وقت الشّورىٰ ١٨٦
١٤٠ ـ ومن كلام له عليه السلام في النّهي عن غيبة النّاس ١٩٠
١٤١ ـ ومن كلام له عليه السلام في النّهي عن سماع الغيبة ١٩٢
١٤٢ ـ ومن كلام له عليه السلام في واضع المعروف في غير أهله ١٩٣
١٤٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاءِ ١٩٥
١٤٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام في مبعث النبيّ صلى الله عليه وآله ١٩٧
١٤٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام في فناء الدّنيا ٢٠٣
١٤٦ ـ ومن كلام له عليه السلام لعمر أيضا وقد استشاره في الشّخوص لقتال الفرس بنفسه . ٢٠٥
١٤٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الغاية من البعث ٢٠٧
١٤٨ ـ ومن كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة ٢١٥
١٤٩ ـ ومن كلام له عليه السلام قبل موته ٢١٧
١٥٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام يومىء فيها إلى الملاحم ٢٢١
١٥١ ـ ومن خطبة له عليه السلام يحذّر فيها من الفتن ٢٣٤
١٥٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام في صفات اللّٰه جلّ جلاله وصفات الأئمة المعصومين عليهم السلام ٢٤١
١٥٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام ٢٥٢
١٥٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها صفة أهل اللّٰه ٢٥٧
١٥٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقه الخفّاش ٢٥٨
١٥٦ ـ ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم ٢٦١
١٥٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام يحث النّاس فيها على التّقوى ٢٦٨
١٥٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام ينبّه فيها على فضل الرّسول صلى الله عليه وآله وفضل القرآن ٢٧١
١٥٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام يبيّن فيها حسن معاملته لرعيّته ٢٧٣
١٦٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عظمة اللّٰه تعالىٰ ٢٧٥
١٦١ ـ ومن خطبة له عليه السلام في صفة النّبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وأتباع دينه ٢٨١
١٦٢ ـ ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه في الخلافة ٢٨٤
١٦٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام في تحميد الخالق جلّ وعلا ٢٩٧
١٦٤ ـ ومن كلام له عليه السلام لمّا اجتمع النّاس إليه وشكوا مانقموه على عثمان ٣٠٢
١٦٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقه الطّاووس ٣٠٦

١٦٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الحثّ على التآلف ٣١٤
١٦٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام في أوّل خلافته ٣١٩
١٦٨ ـ ومن كلام له عليه السلام بعد ما بويع بالخلافة ٣٢٠
١٦٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة ٣٢٣
١٧٠ ـ ومن كلام له عليه السلام في وجوب اتباع الحق عند قيام الحجّة ٣٢٥
١٧١ ـ ومن كلام له عليه السلام لمّا عزم على لقاءِ القوم بصفّين ٣٢٦
١٧٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام في تحميد اللّٰه تعالى ذكر فيها الشّورى ٣٢٧
تتمة الخطبة (١٧٢) ٣٣٢
١٧٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام في فضيلة النّبي صلى الله عليه وآله وفي هوان الدّنيا ٣٣٥
١٧٤ ـ ومن كلام له عليه السلام في معنىٰ طلحة بن عبيد اللّٰه ٣٤٣
١٧٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام قال فيها: أيّها الغافلون غير المغفول عنهم ٣٤٧
١٧٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام قال فيها: انتفعوا ببيان اللّٰه واتّعظوا بمواعظ اللّٰه ٣٤٩
١٧٧ ـ ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكمين ٣٦٠
١٧٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام في صفات اللّٰه جلّ جلاله ٣٦١
١٧٩ ـ ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذعلب اليماني في وصف الله تعالى ٣٦٣
١٨٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام في ذمّ أصحابه ٣٦٦
١٨١ ـ ومن كلام له عليه السلام في الخوارج ٣٧٠
١٨٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام رواها نوف البكالي ٣٧٢
١٨٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام في قدرة اللّٰه تعالى ٣٨٧
١٨٤ ـ ومن كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهّر الطّائي وقد قال له: «لا حكم إلّا للّٰه» .. ٤٠٠
١٨٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام يحمد فيها اللّٰه ويثني على رسوله ويصف خلقاً من الحيوان ٤٠١
١٨٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام في وصف المتّقين قالها لصاحبه همّام ٤٠١
١٨٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام تختص بذكر الملاحم ٤٤٤
١٨٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الوصية بأُمور ٤٤٩
١٨٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الإيمان ووجوب الهجرة ٤٥١
١٩٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام يحمد فيها اللّٰه ويثني على نبيّه ويعظ بالتقوىٰ ٤٥٩
١٩١ ـ ومن خطبة له عليه السلام في حمد اللّٰه والثناء على نبيّه والوعظ بالتقوىٰ ٤٦٤

١٩٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام تسمىٰ «القاصعة» في ذمّ ابليس ٤٧٠
١٩٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المتقين ٥١٤
١٩٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين ٥٢١
١٩٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام في توحيد اللّٰه وفضيلة الرسول صلى الله عليه وآله ٥٢٤
١٩٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام في بعثة النّبي صلى الله عليه وآله وهوان الدّنيا ٥٢٧
١٩٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام في فضيلته على المسلمين وقرابته من الرّسول صلى الله عليه وآله ٥٢٨
١٩٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام في التأكيد على تقوى اللّٰه ٥٣٥
١٩٩ ـ ومن كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه ٥٤٠
٢٠٠ ـ ومن كلام له عليه السلام في معاوية ٥٤٢
٢٠١ ـ ومن كلام له عليه السلام قال فيه: أيّها النّاس لاتستوحشوا في طريق الهُدىٰ لقلّة أهله ٥٤٣
٢٠٢ ـ ومن كلام له عليه السلام قاله عند دفن سيّدة النّساءِ فاطمة عليها السلام ٥٤٥
٢٠٣ ـ ومن كلام له عليه السلام قال فيه: إنّما الدّنيا دار مجاز والاخرة دار قرار ٥٤٧
٢٠٤ ـ ومن كلام له عليه السلام كان كثيراً ما ينادي به أصحابه ٥٤٨
٢٠٥ ـ ومن كلام له عليه السلام كلّم به طلحة والزّبير بعد بيعته بالخلافة ٥٥٠
٢٠٦ ـ ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام ٥٥٤
٢٠٧ ـ ومن كلام له عليه السلام في بعض أيّام صفّين ٥٥٨
٢٠٨ ـ ومن كلام له عليه السلام قاله لمّا اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة ٥٦٠
٢٠٩ ـ ومن كلام له عليه السلام قاله بالبصرة للعلاءِ بن زياد الحارثي عندما رأىٰ سعة داره . ٥٦٢
٢١٠ ـ ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع ٥٦٤
٢١١ ـ ومن خطبة له عليه السلام في قدرة اللّٰه تعالىٰ ٥٩٧
٢١٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام في ذمّ بعض أصحابه ٥٩٩
٢١٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام قال فيها: الحمد للّٰه العليّ عن شبه المخلوقين ٦٠٠
٢١٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام في صفات اللّٰه تعالى ومدح الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله ٦٠١
٢١٥ ـ ومن دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيراً ٦٠٧
٢١٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفّين ٦٠٩
٢١٧ ـ ومن كلام له عليه السلام في ذمّ قريش ٦١٦
٢١٨ ـ ومن كلام له عليه السلام ذكر فيه السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام ٦٢٠

٢١٩ ـ ومن كلام له عليه السلام لمّا مرّ بطلحة وعبد الرّحمن بن عتّاب بن أسيد وهما قتيلان ٦٢١
٢٢٠ ـ ومن كلام له عليه السلام في صفات المؤمنين ٦٢٢
٢٢١ ـ ومن كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوته: ﴿ألهيكم التّكاثر حتّى زرتم المقابر﴾ ٦٢٣
٢٢٢ ـ ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: ﴿رجال لاتلهيهم تجارة...﴾ ٦٣١
٢٢٣ ـ ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: ﴿يا أيّها الإنسان ماغرّك بربّك الكريم﴾ ٦٣٥
٢٢٤ ـ ومن كلام له عليه السلام في إلزام نفسه بتقوى اللّٰه ٦٣٨
٢٢٥ ـ ومن دعاء له عليه السلام قال فيه: «اللّهمّ صن وجهي باليسار...» ٦٤٣
٢٢٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام وصف فيها الدنيا بقوله: دار البلاء محفوفة وبالغدر معروفة ٦٤٤
٢٢٧ ـ ومن دعاء له عليه السلام قال فيه: «اللّهم إنّك آنس الانسين لأوليائك...» ٦٤٦
٢٢٨ ـ ومن كلام له عليه السلام قال فيه: للّٰه بلاد فلان، فلقد قوّم الأود ٦٤٧
٢٢٩ ـ ومن كلام له عليه السلام وصف فيه بيعته بالخلافة ٦٥٠
٢٣٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام في فضيلة التّقوى وصفة الزّهاد ٦٥١
٢٣١ ـ ومن خطبة له عليه السلام خطبها بذي قار وهو متوجّه إلى البصرة ٦٥٤
٢٣٢ ـ ومن كلام له عليه السلام كلّم به عبد اللّٰه بن زمعة وكان من شيعته ٦٥٥
٢٣٣ ـ ومن كلام له عليه السلام قال فيه: ألا إنّ اللّسان بضعة من الانسان ٦٥٦
٢٣٤ ـ ومن كلام له عليه السلام قال فيه: عندما ذُكر عنده اختلاف النّاس ٦٥٧
٢٣٥ ـ ومن كلام له عليه السلام قاله وهو يلي غسل رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وتجهيزه ٦٦٠
٢٣٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام في بعض صفات اللّٰه تعالى ومدح الرّسول صلى الله عليه وآله ٦٦١
٢٣٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام في التّوحيد وفيها من أصول العلم ما ليس في غيرها ٦٧٢
٢٣٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام في شأن الحكمين وذمّ أهل الشام ٦٧٣
٢٣٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله ٦٧٧
٢٤٠ ـ ومن كلام له عليه السلام: قالهُ لعبد اللّٰهِ بن عباسٍ، وقد جاءهُ برسالةٍ من عثمان ٦٧٩
٢٤١ ـ ومن كلام له عليه السلام يحثّ أصحابه على الجهاد ٦٨١

فهرس المواضيع ٦٨٢



